تقديس السنة المسيحية

بقراءة

سيرة القديسين اليومية

المجلد الثاني

www.muhammadanism.org
August 10, 2010
Arabic

Abrégé

De la

Vie des Saints

Pour

La Sanctification

De L᾽Année Chrétienne

Tome Deuxième

Novele édition revue et corrigée

ossoul

Imprimrie des Pères Dominicains

1891

[Blank Page]

تقديس السنة المسيحيّة

بقراءة

سيرة القدّيسين اليوميّة

لننزُّه

الأنفس الروحيّة

في روضة الكنيسة الكاثوليكيّة

بعد المراجعة والتنقيح طُبِع ثانيةً

المجلّد الثاني

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومِنِكيّين

سنة ١٨٩١

* شهر تموز *

* اليوم الأوّل *

هارون الحبر

ان هارون اخا موسى النبيّ ابن عمرام من سبط لاوي. وُلد في مصر سنة ١٥٧٤ قبل المسيح. فانّ الربّ جلّ اسمهُ إذ تحنّن على شعبهِ الإسرائيلي وأراد أن يعتقهم من رقّ المصريّين. اختارهُ ليكون معيناً لأخيهِ موسى ومساعداً لهُ في هذا العمل الخلاصيّ. وهو أيضاً أوّل حبر أقامهُ الله في الكهنوت الموسويّ. فالسنكسار الروماني يحصيهِ في مصافّ القدّيسين ويحتفل ذكر وفاتهِ ودفنهِ في جبل حرمون في اليوم الأوّل من شهر تموز. والكتاب المقدّس يمدحهُ ويثني عليهِ في المزمور الثامن والتسعين في العدد الخامس قائلاً: عظّموا الرب الهنا واسجدوا لموطئ قدميهِ لأنّهُ هو قدّوس. موسى وهارون في كهنتهِ. وسموئيل في الذين يدعون باسمهِ. وكانوا إذا دعوا الرب استجابهم. وبعمود من سحاب كلّمهم لأنّهم حفظوا شهاداتهِ والوصيّة التي اعطاهم. أيها الربّ الهنا أنت استجبت لهم. وان كنت لهم يا الله غفوراً ومنتقماً في صنائعهم*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وابن سيراخ أيضاً يخبر عن عظمة هذا الحبر الجليل في الاصحاح الخامس والأربعين في العدد السابع إذ يصف المنزلة السامية التي نالها من لدنهِ تعالى قائلاً: رفع هارون اخاهُ وقدّسهُ وأَقامهُ نظيرهُ من سبط لاوي. فحسب تأويل المفسّرين رفع أخاهُ هارون الذي كان شبيهاً بهِ (أي بموسى) أعني بالتقوى لأنّهُ كان من سبط لاوي*

ولمّا تراءَى الربُّ لموسى في وسط عُلَّيقة في جبل حوريب أمرهُ أن يرجع إلى مصر لينفذ شعبهُ المنهوك ظلماً من المصريّين. فأبى موسى معتذراً انهُ لا يحسن التكلّم. فقال لهُ الربّ لا تخف اني أجعل أخاك هارون مساعداً لك في ذلك وهو يتكلّم عنك أمام الشعب العبرانيّ وأمام فرعون. وأظهر لهُ الرب كلّ الآيات والمعجزات التي ستُجترَح على أيديهما. فرجع موسى إلى مصر وبيدهِ العصا التي استحالت إلى ثعبان. ولمّا قبض عليهِ موسى بأمر الله ومسكهُ من ذنبهِ عاد ثانيةً عصاً في يدهِ*

فالكتاب المقدّس يسمّي هذه العصا تارةً عصا الله وطوراً عصا موسى وأخرى عصا هارون. لأنّ الله أعطاهما ايّاها لتكون لهما كآلةٍ يفعلان بها الآيات الباهرة والأعاجيب العظيمة أمام أعين الأمّة العبرانيّة ولتكون لهما كواسطةٍ يجلبان بها النكبات المرّة والضربات المهولة على المصريّين وعلى الملك فرعون إذ كان يصرّ على إطلاق شعب الله* فبهذه العصا فلق موسى البحر الأحمر أمام الشعب الذي جازهُ باليبس. ثمّ عاد فضربها ثانيةً في البحر فرجعت ساعتئذٍ المياه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملتحمةً وغرّقت جميع مركبات وفرسان كلّ جيش فرعون اللاّحق في أثرهم ولم ينجُ منهم أحد. ولمّا حلّ شعب الله في رفيدين وعطش لعدم وجود الماء تقمقم على موسى. فأمره الله أن يأخذ العصا التي ضرب بها البحر ويضرب بها الصخرة في حوريب. فضربها ونبعت للوقت المياه وشرب الشعب كلُّهُ. ولمّا جاء عماليق ليقاتل إسرائيل في رفيدين. قال موسى ليشوع: اختر لنا رجالاً. واخرج وقاتل عماليق. وغداً أنا أقوم على رأس الأكمة وعصا الله في يدي (خروج ص ١٧ عدد ٩)* وحين دخول شعب الله في قادس عازهم الماء ثانية فخاصم القوم موسى واقبل ومعهُ هارون من بين الجماعة إلى قبّة الميعاد. ووقعا على وجودهما. فظهر لهما مجد الربّ. وكلّم الربّ موسى وقال لهُ: خذ العصا. واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك. وقولا للصخرة بحضرتهم أن تُعطي ماءَها. فتخرج لهم الماء من الصخرة وتسقي الجماعة هم ومواشيهم. فأخذ موسى العصا من قدّام الربّ كما أمرهُ. وجمع هو وهارون الجماعة أمام الصخرة وقالا لهم: اسمعوا يا عُصاة. هل نخرج لكم من هذه الصخرة ماءً. ورفع موسى يدهُ وضرب الصخرة بعصاهُ مرّتين. فخرج ماءٌ كثير. فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الربّ لموسى وهارون: لأنّكما لم تؤمنا بي حتى تقدّساني بحضرة بني إسرائيل. فلذلك لا تَدخلان بهذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم ايّاها. وناهيك ان عصا موسى هذه هي غير عصا هارون المذكورة في سفر العدد في الاصحاح السابع عشر التي صارت شاهداً على صحّة كهنوت هارون. وذلك بعد موت قورح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وداثان وابيرام الذين أرادوا أن يختلسوا سلطان الكهنوت. ما نصّهُ بقولهِ. فأمر الله موسى أن يأخذ كلّ سبط من عظماء إسرائيل الاثني عشر عصاً. وان يكتب على عصا كلّ واحد منهم اسم عظيمهم. ففعل موسى كما أمره الربُّ وكتب اسم هارون على عصا سبط لاوي. فوضع موسى العصيّ قدّام الربّ في قبّة الشهادة. وإذا عصا هارون عصا بيت لاوي قد افرخت. وازهرت زهراً. وانضجت لوزاً فأخذ عظماء الأسباط عصيّهم اليابسة وردّ موسى عصا هارون إلى قدّام الشهادة. لتُحفَظ وتكون آية لابناء التمرّد*

انّ الكتاب المقدّس يخبرنا عن خطيّة هارون الجسيمة. وذلك لمّا خرج بنو إسرائيل من مصر وبلغوا إلى جبل سينا صعد موسى إلى هذا الجبل بأمر الله ليقتبل منه تعالى الوصايا العشر. فلمّا أبطأ. اجتمع الشعب إلى هارون وقالوا لهُ: قم اصنع لنا آلهةً تسير أمامنا. لأنّ هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابهُ ولمّا ضايقوهُ أخذ اقراط الذهب الموجودة عند نسائهم وأولادهم وسبكها لهم عجلاً. فسجد لهُ الشعب وقالوا هذا الاهك يا إسرائيل الذي أخرجك من أرض مصر* فقال الربّ لموسى اسرع وانزل فانّ شعبك الذي أصعدتهُ من مصر قد فسد. فنزل موسى من الجبل وبيدهِ لوحا الوصايا. فلمّا عاين ما فعل الشعب غضب وخلّى عن اللوحين فسقطا وتكسّرا. ثمّ أخذ العجل الذي صنعوهُ وأحرقهُ بالنار. وسحلهُ بالمسحل حتى صار مثل الغبار. وذرّاهُ على وجه الماء. وسقى بني إسرائيل. وقال لهارون:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ماذا فعل بك هذا الشعب إذ جلبتَ عليهِ خطيئة عظيمة* فاغتاظ الربّ وأراد أن يبيد هارون مع كلّ الشعب. غير انّ موسى صلّى إلى الربّ فنال الرحمة* وقد لاحظ بعض المفسّرين المعتبرين ان المذنبين من بني إسرائيل لم يرعَوُوا ولم يُبالوا لا من رجوع موسى ولا من غيظهِ الشديد وكسرهِ لوحَي الوصايا ولا من إحراقهِ العجل وتذريتهِ في الماء. كلّ ذلك لم يتمكن من صدّهم عن عبادة الأوثان. بل داوموا على الرقص واللّعب الفاحش في المحلّة. والدليل على ذلك ما ذكرهُ الكتاب المقدّس عن موسى. أي انّهُ نظر وإذا الشعب قد صار عرياناً أعني منصبّاً على العبادة الفاسدة. فامر حينئذٍ اللاويين أن يتقلّدوا سيوفهم ويجوزوا في وسطِ المحلّة من باب إلى باب ويرتدّوا ويقتلوا كلّ من صادفوهُ. فلكي نفهم على قدر الإمكان كيف انّ الاسرائيليّين سقطوا في عبادة العجل بعد مضيّ أربعين يوماً فقط من نزول الشريعة على جبل سينا. يجب أن نتذكَّر أوّلاً: انَّ الشعب العبرانيّ لمّا خرج من مصر تبعهُ عددٌ عظيم من رعاع المصريّين جاءُوا من مصر ومن النواحي المجاورة لها. فهؤلاءِ الغرباء كانوا عبدة الأصنام. فلا بدّ انّ هؤلاء ألحّوا بالطلب على هارون ليسبك لهم العجل. ثانياً لا ينبغي أن ننفي القول عن الإسرائيليين من أنّ جمّاً غفيراً منهم اعتنقوا عبادة الأوثان في مدّة إقامتهم الطويلة في مصر. وانّ أهل مصر كانوا يسجدون بالخصوص للعجل آفيس. كما يشهد لنا في ذلك الكتاب المقدّس إذ يوبّخ الإسرائيليين في مواضع كثيرة على انّهم زاغوا عن عبادة الإِله الحقّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومالوا إلى معبود المصريّين. فكلّ هذه الأحوال لا تبرّر هارون من اثم عبادة الأوثان. إذ انهُ اذعن إلى صراخات شعب غبيّ ولاجل خوفهِ منهم سبك لهم العجل ليسجدوا لهُ. إنّ هارون لمّا سقط في هذه الخطيّة لم يكن كاهناً بعدُ. إلاّ انّهُ في مدّة غياب أخيهِ موسى كان يدبّر الشعب* فمن سقوط هارون نتعلّم انّهُ لا يجب أن نتّكل على ذواتنا لأنّنا ضعفاء سريعي السقوط في الخطأ. ومن الجهة الأُخرى نتعلّم من سقطة هارون انّ الخاطئ التائب لا ينبغي لهُ ان يجزع ويقطع رجاءهُ من الخلاص. بل ليثق برحمة الله العالم بضعفنا وانّنا من تراب*

انّ الكتاب المقدّس لم يعرّفنا عن قصاص هارون من أجل خطيّتهِ. فمع ذلك ينتج لنا انّ هارون تاب توبةً نصوحاً وحاز نعمة الله لأنّهُ عاش في قداستهٍ سامية وفي الاتحاد القلبيّ معهُ تعالى. كما يظهر لنا حقيقة ذلك من تقرير ما سبق من المزمور الثامن والتسعين ومن نصّ ابن سيراخ. وبالحقيقة إنّ هارون احتمل بصبر موت ابنَيْهِ ناداب وابيهو اللذين احترقا بنارٍ طلعت عليهما من المذبح في نهاية الاحتفال بمسحهِ حبراً. وقضى أربعين سنةً في البرّية وعاين موت جميع الرجال الذين خرجوا من مصر في سنّ العشرين وما فوق. واحتمل مع موسى دمدمات الشعب غير المنقطعة وعصاوتهم. وصلّى مع موسى وبكى واستغفر عن خطايا الشعب الخائن. وحافظ بحرصٍ على أوامر الربّ مدّة أربعين سنة. وكمّل واجبات حبريّتهِ بكلّ تدقيق. أخيراً بعد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انقضاء تسع وثلاثين سنة من السفر لمّا قرب الإسرائيليّون من أرض الميعاد. كلّم الربُّ موسى قائلاً: خذ هارون واليعازر ابنهُ واصعد بهما إلى جبل هور. وانزع عن هارون ثيابهُ والبسها اليعازر ابنهُ. وهارون ينضمّ ويموت هناك. فصنع موسى كما أمرهُ الربّ. فصعدوا إلى جبل هور بحضرة الجماعة كلّها. وشلّح موسى هارون ثيابهُ وألبسها اليعازر ابنهُ. ومات هارون هناك على رأس الجبل. ونزل موسى واليعازر من الجبل. فلمّا رأى كلّ الجماعة انّ هارون قد مات بكى عليهِ جميع آل إسرائيل ثلاثين يوماً*

* اليوم الثاني *

زيارة مريم العذراء الطوباويّة

مثلما الشمس من ذات طبعها تُنير وتُدفئ. والماء من طبعهِ أن يبلّ. كذلك جودة الله الغير المتناهية تُعدي على الصدّيقين لتشركهم في خيراتها* ومن هنا ينتج أن القدّيسين الذين فيهم روح الله هم ممتلئون من المحبّة والنعمة* وقد رأينا ذلك بنوع سامٍ في مريم العذراء القديسة. فانّها بعدما حملت يسوع المسيح كلمة الله في حشاها ببشارة الملاك جبرائيل. قامت كما يخبرنا لوقا الإنجيلي وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا لكي تزور اليشباع نسيبتها امرأة زكريا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكاهن وكانت هي أيضاً حينئذٍ حبلى بيوحنّا المعمذان. وكانت مسافة الطريق من الناصرة إلى مدينة يهوذا نحو سبعة وعشرين ميلاً* وقد تعنّت مريم هذا السفر لكي تخدم اليشباع وهي حبلى على كبر سنّها. عالمةً من روح القدس انّ الولد الذي حبلت هي بهِ أتى إلى العالم ليخدم لا ليُخدَم. فأرادت أمّهُ أن تفتدي بهِ في تواضعهِ* فيا للملاقاة العجيبة التي نشاهدها بين هاتين الوالدتين اللتين الواحدة منهما فتاة والأخرى عجوز. الواحدة عذراء والأخرى عاقر. الواحدة والدة الله والأخرى والدة رجل أُعتُبر في حياتهِ كانّهُ هو المسيح* ثمّ انّ هذه الزيارة لم تكن بين هاتين الوالدتين فقط بل بين الولدين اللذين في أحشائهما أيضاً. فانّهُ حالما دخلت مريم عند اليشباع وسلّمت عليها وسمعت اليشباع سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها* فهنا نرى شيئاً عجيباً وهو أنّ يسوع أتى على يوحنّا بواسطة أمّهِ. وامّا يوحنّا فإذ لم يكن لهُ أكثر من ستّة أشهر حصل بزيارة ربّهِ لهُ على الرشد ولم يفقدهُ من ذلك اليوم*

وهكذا حينما عرف يوحنّا من هو هذا الربّ الذي أتى إليهِ وعلم بسرّ الفداء ارتقش فرحاً. وبحركتهِ عرفت أمّهُ السرّ المقدّس الذي سجد لهُ جنينها في حشاها. فامتلأَت اليشباع من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنكِ. ومن أين لي هذا أن تأتي أمّ ربّي إليّ* فهوذا منذ وقع صوت سلامكِ في أذنيّ ارتكض الجنين بتهليل في بطني. فطوبى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

للتي آمنت أن يتمّ ما قيل لها من قِبَل الربّ* فاليشباع بقولها طوبى للّتي آمنت أن يتمّ ما قيل لها من قِبَل الربّ. أرادت أن تهنّئَها على حبلها وولادتها وهي عذراء. وبيّنت أنّ مريم حصلت على هذه الوظيفة السامية بأن تكون والدة الله بواسطة ايمانها الذي كان أعظم من ايمان ابرهيم* فانّ ابرهيم آمن انّ امرأتهُ سارة تلد وهي عاقر. ولكن مريم آمنت انّها تلد وهي عذراء. ثمّ انّ ابراهيم آمن انهُ سيكون لهُ ولد هو إنسان قابل الموت. ومريم آمنت أنّهُ سيكون لها ولد هو إنسان مائت واله غير مائت* فهذا الذي جعل اليشباع أن تعظّم ايمان مريم العذراء. لأنَّ الايمان هو أساس جميع الفضائل. فبالايمان حبلت مريم بابن الله في قلبها قبلما حبلت بهِ في بطنها وأُهِّلت لتكميل كلّ المواعيد العظيمة التي بشّرها بها الملاك حين سلّم عليها*

فبعدما سمعت مريم العذراء هذه المدائح من فم اليشباع شكرت الجودة الإلهية على النعم التي خُصَّت بها* وقالت بحركات الفرح والشكر والتواضع هذه الترنيمة السامية وهي: تعظّم نفسي الربّ وتتهلّل روحي بالله مخلصي. لأنهُ نظر إلى تواضع أَمَتهِ. فهوذا من الآن يعطيني الطوبى جميع الأجيال. لأنّهُ قد صنع بي عظائم القويّ والقدّوس اسمهُ. ورحمتهُ إلى جيل الأجيال لخائفيهِ. صنع القوّة بذراعهِ. فرّق المستكبرين بفكر قلوبهم. انزل الأعزّاء عن الكراسيّ. ورفع المتواضعين. اشبع الجياع من الخيرات. وأرسل الأغنياء فَرَغاً. عضد إسرائيل فتاهُ وذكر رحمتهُ. (كالذي كلّم آباءَنا.) لابراهيم وزرعهِ إلى الأبد*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقد أخبرنا الإنجيل انَّ مريم أقامت عند اليشباع نحو ثلاثة أشهر فكانت في هذه المدّة تعينها. وتخدمها وتسلّيها* فمن يقدر أن يصف الخيرات التي أُسْبغَتْ على زكريا وآلِهِ مدّة إِقامة مريم العذراء والدة الله وسلطانة الملائكة في بيت زكريا. فانّ تابوت العهد حينما دخل في بيت عوبيد ادوم نزلت بركات الله على هذا البيت. فكم تكون أعظم البركات التي أنزلها الله على بيت زكريا الذي فيهِ دخل تابوت الله الحيّ الحاوي المَنّ الحقيقيّ والخبز السماويّ يسوع المسيح*

انّ ربّنا يسوع المسيح جلّت جودتهُ في كلّ محلّ دخلهُ أغنى بنعمهِ مَن اقتبلهُ بقلب مستقيم. فانّهُ حلّ أوّلاً في حشا مريم العذراء فاعطاها المنزلة الأولى بعدهُ في السّماء وجعلها خازنة كلّ المواهب واختصّها بنعم لم يُختَصَّ بها غيرها. ودخل بيت لحم فاحال ذلك الاسطبل إلى فردوس. وفي دخولهِ أرض مصر انقلبت أصنامها وامتلأَت من البركات براريها التي أضحت مسكناً لعددٍ لا يُحصى من الرهبان الذين عاشوا فيها كالملائكة* دُعي إلى عرس قانا الجليل. فأحال الماء إلى خمر نفيس* دخل بيت مار بطرس. فشفى حماتهُ من الحمَّى* دخل بيت متى في الوليمة التي صنعها بعد اهتدائهِ وهناك اجتذب كثيراً من العشّارين والخطاة إلى طريق الحيوة وشفى أنفسهم* دخل بيت الفرّيسيّ وهناك برَّر المرأة الخاطئة مريم المجدليّة* دخل بيت يوارش. فأقام ابنتهُ من الموت* دخل بيت زكّا. فملأَه من النعم والبركات* دخل بيت مرتا ومريم المجدليّة. فأقام أخاهما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليعازر الذي كان قد مات منذ أربعة أيام* فهكذا الرّب الجوّاد صنع في بيت زكريّا إذ قدّس ساعيَهُ مار يوحنّا وملأ أباهُ وأمّهُ من روح القدس*

ترى أيّة مخاطبات سماويّة جرت بين مريم العذراء والقدّيسة اليشباع. وبأيّ تواضع كانت مريم تخدم نسيبتها. وبأيّ تعجّب كانت هذهِ المرأة القدّيسة تنظر إلى مريم والدة الله وسلطانة الخلائق كلّها. وكم من الزمان قضتا بالمخاطبة والتأمّل في أسرار الله الذي أراد بهذه الوسائط الشاقّة أن يفتدي بني البشر*

فما أعظم الفرق بين هذه الزيارة المقدّسة وكثير من الزيارات التي يستعملها أهل العالم بعضهم لبعض. فانَّهم غالباً يصرفون زمانهم بالمخاطبات في الأباطيل الدنيويّة والنميمة والأفراح والملذّات المحرّمة* وأمّا الفضلاء الأتقياء فزياراتهم لا تنقضي الاّ في التقوى والمحبّة وفي مجد الله. راغبين تعمير ذواتهم والقريب* والزيارة إذا خلت من ثمرة صالحة فهي مكروهة عندهم. فانّ الفضيلة تنادي الفضيلة* فلنجتهدنّ بأن نبتعد من الزيارات البطّالة. ولا نعاشر الاّ ذوي المكارم والفضائل السامية. ولنؤثرنّ الزيارة ليسوع المسيح الموجود على المذابح المقدّسة في سرّ الاوخرستيّا على الزيارة للناس التي لا افادة فيها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث *

جهاد مار ايرناوس والقدّيسة مستيولا الشهيدين ـ نقل ذخائر مار توما

جهاد مار ايرناوس والقدّيسة مستيولا الشهيدين

انّهُ في مدّة الاضطهاد القاسي الذي أثارهُ اورليانس على المسيحيّين قام طرجيوس نائب الملك وأخذ أمراً في أن يبحث باجتهادٍ على النصارى الموجودين في اقليم تُسقانا* فجاء إلى فالسكا. وبلغهُ انّ هناك رجلاً يُدعى فيلخس مشتهراً بين المسيحيّين. وقيل لهُ انّهُ لا يزال يحرّض النصارى على الثبات في ايمانهم. ويحثّهم على احتمال العذاب أحرى من أن يجحدوا دينهم. فأمر طرجيوس باحضارهِ. فلمّا قُدِّم أمامهُ سألهُ عن اسمهِ. فقال اسمي فيلخِس. قال لهُ طرجيوس: ما صناعتك أَأَنت والي المدينة أو قاضيها. قال انّي واحد من كهنة يسوع المسيح. قال لهُ طرجيوس بغضب: ولماذا تجمع الناس في أماكن مختلفة وتقنعهم أن لا يسجدوا للآلهة. أما تعلم انّ ذلك يضادّ ديننا وعوائدنا القديمة ويخالف أمر الملك. قال فيلخِس انّما أقضي الواجب عليّ. فانّ وظيفتي تلزمني ان أكرز على الشعب بالفضائل وبنعمة ربنا يسوع المسيح. وذلك لكي أبعدهم عن عبادة الأصنام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأهديهم إلى الحيوة الأبديّة. قال المضطهد ما مرادك بالحيوة الأبديّة. قال فيلخِس الحيوة الأبديّة تتوقّف على محبة الله الآب والابن ربنا يسوع المسيح وروح القدس. قال طرجيوس: اكفر يا فيلخِس بهذا الاله. واطِع أوامر الملوك ساداتك. قال لهُ فيلخس نحن ينبغي لنا أن نطيع يسوع المسيح الهنا ومخلّصنا وديّاننا. فاغتاظ طرجيوس من هذا الجواب. وأمر أعوانهُ أن يسحقوا فمهُ بالحجارة* ففعلوا ذلك. وفي هذا العذاب سلّم الشهيد نفسهُ لله ونال الاكليل الغير الفاني* وأمر طرجيوس أن يطرحوا جسدهُ لطيور السماء ووحوش الأرض. غير انّ شماساً يُدعى إِيرناوس جاء وأخذهُ ودفنهُ باكرام* فلمّا سمع طرجيوس بذلك قبض على ايرناوس. واذ كان مستعدّاً لينطلق إلى مدينة شيوزي. ربطهُ بعربتهِ. ولمّا وصل إلى المدينة. حشرهُ مع النصارى المحبوسين هناك في السجن. وكانت امراةٌ شريفة اسمها مستيولا (كانت ابنة عم الملك قلودِيوس) تأتي وتزورهم في السجن وتعزّيهم وتقوتهم وتثبّتهم في الايمان. فعرف طرجيوس ذلك واغتاظ. ولم يجسر أن يمنع مستيولا عن ذلك لأجل شرفها. فانطلق إليها في قصرها ووبّخها باسم الملك. وحينما كان يخاطبها بُهت من جمال هذه الأميرة ومن هيبتها. وكان يذكّرها شرف جدودها. فقالت لهُ مستيولا يا طرجيوس انّ شرفنا لا يقابَل مع شرف جدودنا. ولكن مع تواضع القدّيسين الذين يومنون بيسوع المسيح* فقال لها اواه يا سيدتي لماذا تجاوبيني بشيءٍ يبعد كثيراً عن الأفكار اسلافكِ. فقالت انّ جهل اسلافي وضلالهم قد أهلكاهم إلى الأبد. فامّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انا فقد أنعم الله عليّ كما أنعم على جميع الذين يومنون بيسوع المسيح ابنهِ بالسعادة الأبديّة وبهذا الرجاء احتقر جميع خيرات هذه الدنيا ولذاتها الكاذبة. فقال لها طرجيوس: يا سيدة راغب إليكِ أن لا تعملي شيئاً يضادّ شرف عشيرتكِ. فقالت لو عرفتَ هبة الله ويسوع المسيح لما غمَّضت عينيك بسهولة عن النور الإلهي* قال: وما هو هذا النور* قالت: هو الروح والحيوة. فلم يفهم هذا الوثني كلامها. فقال لها: علامَ خروجكِ في الليل وذهابكِ إلى السجن عند النصارى المحبوسين. فقالت: انّ محبة يسوع المسيح هي التي تذهب بي إليهم. لأنهم قد حُبسوا حبّاً لاسمهِ. قال لها طرجيوس: لا تفتكري في ذلك بل عليكِ ان تسجدي للآلهة وتطيعي ملككِ. وتخلّصي حياتكِ وأموالكِ. فقالت مستيولا مغتاظة منهُ حقّاً انّك تجدّف ولا تعلم ما تقول* فلما رأى طرجيوس انّها احتقرتهُ جزم أن ينتقم منها. فأرسل وقتل بالسيف جميع النصارى الذين كانوا في الحبس* وامَّا ايرناوس الشماس فمزّق جسمهُ بامشاط من حديد. ثمَّ أحرقهُ بصفايح حديدية محميّة بالنار. وفي هذا العذاب توفّي شاكراً نعمة ربنا يسوع المسيح* ثم ان طرجيوس أرسل أعوانهُ فجلدوا مستيولا بسياط مرصّصة إلى أن سلّمت نفسها لعريسها الإلهي*

نقل ذخائر مار توما الرسول

(تنبيه) طالع سيرة مار توما في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الأول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرّابع *

هوشع النبيّ

هو هوشع بن بئيري. وهو أوّل الأنبياء لأنّهُ أوّل من كتب كتاب نبوّتهِ. وكان في عصر اشعيا النبيّ* قال مار ابيفانيوس انّ هوشع كان من مدينة بعلموث من سبط ايساخر. ويقال في الاصحاح الأوّل من نبوّتهِ أنّهُ تنبّأَ في أيّام عوزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وفي أيام يوربعام الثاني بن يواش ملك إسرائيل. وبما أنّهُ تنبّأ في أيّام كلّ هولاء الملوك يتّضح أنّهُ عاش زماناً طويلاً. لأنّهُ منذ بداية ملك عوزيا إلى انتهاء ملك حزقيا يوجد أكثر من ثمانين سنة* وأكثر نبوّاتهِ كانت عن الأسباط العشرة. وقلّما تنبّأ عن يهوذا* ونرى في نبوّاتهِ أنّهُ كان يوبّخ الإسرائيليّين على فظاعة جهلهم بتركهم الربّ اله آبائهم وسجودهم للأصنام الجامدة صنيعة أياديهم ويمثّل ذلك بالفجور والزناء وبامرأة لم تحفظ عهد الزيجة. لأنّ ذلك يدلّ على النكث بالعهود مع الله* وكان ينذرهم بقضاء الله الذي سيحلّ عليهم من جرى خطاياهم. وتنبّأَ عن خراب إسرائيل وعن ابطال اعيادهم ومواسمهم وعن دعوة الأمم إلى معرفة الله وعن إقامة الكنيسة المقدّسة وانتشارها في كلّ الأرض وثباتها مع يسوع المسيح إلى منتهى العالم. وأخبر بمجيء سنحاريب ملك بابل. وكان ينصح الإسرائيليّين ويدعوهم إلى التوبة ويهديهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى طريق الاستقامة المؤدّية إلى الله الذي تمرّدوا عليهِ*

ودونك ما انذر بهِ النبيّ على اندثار عبادة الأصنام. ودعوة الأمم. وايمان الكنيسة العديم النقصان. منوِّهاً عنها في الاصحاح الثاني في العدد السابع عشر قائلاً: أنزع أسامي البعليم عن فمها. فلا تُذكَر أيضاً بأسمائها. وأضرب لهم عهداً في ذلك اليوم مع وحش البرّ ومع طير السماء ومع دابّة الأرض. وأكسر عن الأرض القوس والسيف والحرب. وأُرقِدُهم بالطمأنينة* وأَخطبكِ لي بالأمانة. فتعرفين الربّ* ويكون في ذلك اليوم بانّي أستجيب بقول الربّ. فأستجيب للسموات. وهنّ يستجِبْنَ للأرض* والأرض تستجيب للحنطة والخمر والزيت. وهنّ يستجِبْنَ للأرض* والأرض تستجيب للحنطة والخمر والزيت. وهنّ يستجِبْن ليزراعيل* وازرعها لي في الأرض وارحم لارُحامهْ* وأقول للاَعَمّي (أي لا شعبي): أنت عمّي (أي شعبي) وهو يقول: أنت الاهي*

فنم هذا النصّ يتّضح لنا جليّاً انّ النبيّ قد كنّى الأمم بوحوش البرّ وبطيور السماء ودبّابات الأرض وذلك طبقاً لِمَا جاء في أعمال الرسل عن الرؤيا التي رآها بطرس الرسول. إذ قال عن نفسهِ في الاصحاح الحادي عشر. في العدد الخامس وما يتلوهُ هكذا: أنا كنتُ في مدينة يافا أصلّي. فرأيتُ في سهوٍ رؤيا. إِناءً نازلاً كمنديل عظيم. مدلّىً بأربعة أطرافهِ من السماء وجاء إليّ* فتفرّستُ فيهِ متأمّلاً. فرأيت القوائِم الأربع التي على الأرض. والوحوش والدبّابات وطيور السماء وسمعتُ أيضاً صوتاً يقول لي: قم يا بطرس اذبح وكُل* فقلتُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حاشاي يا ربّ لأنّهُ لم يدخل في فمي قطّ نجس ولا دنس* فأجابني الصوت من السماء ثانية وقال: ما طهَّرهُ الله لا تنجّسهُ أنت* وكان هذا ثلاث مرّات. ثمّ ارتفع كل شيءٍ إلى السماء أيضاً*

وناهيك أنّ النبيّ أعلن لنا أيضاً برمزهِ عن اتّحاد الكنيسة المخلّد بيسوع المسيح. وهاك فحوى ما أشار بهِ في هذا الشأن. فكأنَّ بهِ يخاطب الكنيسة عن لسان المخلّص إذ يقول لها: انّي لا أرفضكِ يا كنيستي إلى الأبد. واتّحادي بكِ لا يُفَكّ. وأخطبكِ لنفسي إلى الأبد. وأتزوّج بك في العدل والحكم والرحمة وفي التحنّن. لأَني أحميك من هجمات أعدائكِ الظلمة. سأستعمل معهم قضاءي. واجعل عدلكِ يضيء. وأعاملكِ على الدوام برحمة لا تُحَدّ. انّي سأكون معكِ أميناً في مواعيدي. وأنتِ أيضاً تثبتين إلى الأبد. وتعرفين انّي أنا الربّ. وذلك بالمِحَن المتداولة التي توجّهها لكِ قدرتي وجودتي. انّ السماوات تهطل بأمري أمطاراً خلاصيّة على الأرض العطشى. فتعطي الحنطة والخمر والزيت بخصوبة. وشعب الله الجديد يُغمَّر بالخيرات. ساثبّت كنيستي في الأرض كلّها لمجد اسمي. واترأف على الأمم الذين لم ينالوا الرحمة. وادعوهم شعبي الذين لم يكونوا شعبي. وحينئذٍ يقولون لي: أنت الهنا. إذ يتّحدون بي بالايمان والرجاء والمحبّة. امّا المياه التي تنحدر من السماء لتجعل الأرض مخصبة وتعطي حنطتها وخمرها وزيتها بغزارة. فترمز عن الخيرات الروحيّة وعن النعمة والأسرار التي تفاض على الشعب المسيحي*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ عبارات هذا النبيّ كثيرة التأثير ومملوّة حكمة وفصاحة وبعضها غويصة* وبعدما قضى رسالتهُ حسناً توفّي بالسلام سنة ٧٢٣ قبل المسيح* وهوشع لفظة عبرانيّة معناها مخلّص أو خلاص*

* اليوم الخامس *

القدّيسة غدلانة

انّ هذه القدّيسة كانت شريفة الأصل ووُلدت في اقليم بكَّرديا في فرنسا. وكانت كريمة النفس ومن أصل شريف. ولشهرة جمالها علق بها رجل شريف من اقليم فلَنْدرا من أعمال فرنسا أيضاً اسمهُ برتُلْف وكان رجلاً غنيّاً جدّاً. فخطبها وتزوّجها* ولمّا حصلت عندهُ تغيّر قلبهُ عن حبّها فمقتها ولم يعد ينظر إليها إلاّ بعين البغضاء والازدراء. وكانت أمّهُ توبّخهُ على أنّهُ آثر على بنات وطنهِ هذه الابنة الغريبة وتزوّج بها ثمّ كرهها. فتركها في البيت* أمّا غدلانه فلمّا رأت نفسها بأن زوجها رذلها وحماتها تضطهدها. جعلت كل قوّتها وتسليتها في الصلوة وفي محبة يسوع المسيح معينها. ولبثت ساكنة في بيت زوجها تعيش معهُ ومع أهل البيت ذوي الأخلاق السيّئة بفطنة حاذقة وباحتشام فائق. حتى انّها لم تجعل لهم أدنى سبب للاحتجاج عليها. وأمّا برتُلْف زوجها الشقي. فبعد أن نبذ من قلبهِ خوف الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالكليّة. وتغاضى عن المراعاة الواجبة بحقّ شرف قرينتهِ وفضيلتها أوصى خادماً لهُ أن يظلم عليها ولا يعطيها من الطعام الا كسرة خبز فقط كلّ يوم. وكان هذا الخادم قرويّاً وحشيّاً فصار يعاملها كجاريتهِ لا كمولاتهِ. ولم يكن يقدّم لها سوى خبز وملح وماء لا غير* فكانت هذه القدّيسة تشكر ربّنا يسوع المسيح على هذه الحالة وتحتمل صابرةً كل الكلمات الفظّة التي كان يحتقرها بها هذا الخادم الوحشي*

هذا وفضلاً عن كلّ ذلك انها كانت تعطي حصّةً من قوتها للفقراء. وتجاوب بوداعة واحتشام شتائِم الخادم الشرّير بألفاظٍ تليّن أقسى القلوب الوحشيّة وأصلبها* ثمّ بعد زمان أمر برتُلْف خادمهُ أن يقطع عنها نصف خبزها اليوميّ. فكانت هذه القدّيسة لم تنكفّ عن أن تُشرك الفقراء بخبزها. لأنّ جلّ معيشتها كانت منحصرة بالصلوة وبحبّ المخلّص المصلوب. وكان حمواها يبغضانها أيضاً. ويحثّان ابنهما أن يميتها بمعاملاتهِ السيّئة. فخافت غدلانه على حياتها من هذا القاسي القلب. وهربت من بيتهِ سرّاً. وأتت إلى بيت أهلها واخبرتهم بكلّ ما أصابها في بيت احمائها. فاغتاظ أهلها من ذلك ورفعوا الدعوى إلى بُدْوان والي اقليم فلَنْدرا. فحكم الوالي على برتلف زوجها أن يسترجعها ويعاملها بمقتضى حقوقها* وإذ لم يكن لبرتلف عذرٌ يعتذر بهِ أجاب إلى أمر الوالي ورجّعها إلى بيتهِ. وكانت نيّتهُ رديّة عليها فشرع يسيءُ إليها أكثر من ذي قبل. فعلمت غدلانه بذلك انّ ربنا يسوع المسيح يريد أن يهديها إلى السماء في هذه الطريق العسرة ويعدّ لها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اكليل المجد بأيدي الجلاّدين حسبما قالت هي لبعض من النساء* وكان الجور يكثر عليها إلى أن بلغ بزوجها انّهُ أمر اثنين من خدّامهِ أن يقتلاها ليلاً. فذات ليلةٍ إذ كان أهل المنزل نائمين دخل عليها هذان الخادمان وأقاماها من منامها. ووضعا حبلاً في عنقها وخنقاها وغطّساها في نُهَيْر ليتمّ قتلها. ثمّ جرّاها وارجعاها إلى منامها. وفي الصباح اشاع حمواها خبراً بانَّها ماتت على غفلة فقبروها* ولكن ربنا يسوع المسيح أراد أن يكشف حقيقة قتلها بآية عجيبة فأحال الأرض التي خُنقت عليها إلى حجر أشدّ بياضاً من الثلج. وجعل في النُّهَير الذي جرى فيهِ قتلها قدرة لشفاء المرضى الذين يشربون منهُ* من ذلك أنّ ابنة زوجها برتلف وُلدت عمياء من امراتهِ الثانية فابصرت حينما غسلت عينيها بذلك الماء. فاضطرَّ برتلف ان يقرّ ببرارتها. وشكراً لهذه الكرامة بنى ديراً لراهبات مار بندكتس على اسم القدّيسة غدلانه. وحُفظ في هذا الدير دمها الذي خرج من فيها ومنخرَيها حينما خُنقت وغُطِّست في الماء* وكثير من المرضى الذين زاروا قبرها رجعوا مشفيّين بشفاعتها. وكان استشهادها سنة ١٠٧٠* أمّا زوجها فندم على اساءَتهِ لها وقتلهِ ايّاها. وعاش بعد ذلك تائباً حتى مات*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السادس *

اشعيا النبيّ

هو اشعيا النبيّ المعظّم ابن عاموص من نسل الملوك وهو الأوّل في الأنبياء الكبار الأربعة. تنبّأ في أيّام الملوك عوزيا ويوثام واحاز وحزقيا من سنة ٦٣٥ إلى سنة ٦٨١ قبل المسيح* أما الأنبياء الذين تنبّأُوا في عصره فهم هوشع وعاموص وميخا*

انّ اشعيا النبي فاق جميع أنبياء العهد القديم بكثرة نبوّاتهِ التي هي في شأن ربّنا يسوع المسيح ومريم العذراء. وتنبّأ عليها بأنّها تحبل وتلد كلمة الله المتجسّد: وتبقى مع ذلك عذرآ وتنبّأَ أيضاً في شان أزمنة الإنجيل الشريف والكنيسة المقدّسة ولذلك دعاهُ مار هيرونمس واباء الكنيسة الأقدمون النبيّ الإنجيليّ. ودعوا سفر نبوّتهِ انجيل اشعيا*

وكان فصح الأنبياء. وعباراتهُ قويّة بليغة فيها كثير من الفلسفة الطبيعيّة والأدب واللاهوت* ومن أعجب أقوالهِ نشيدهُ في خراب بابل. واجلّ موضوعات نبوّاتهِ هي جلاء اليهود إلى بابل ورجوعهم من السبي وملك المسيح* ويقول هو عن نفسهِ انّ الربّ دعاهُ من بطن أمّهِ وذكر اسمهُ وأعطاهُ لساناً كسيف حادّ وسترهُ في ظلّ يدهِ وجعلهُ سهماً مبريّاً خفيّاً في كنانتهِ. وقال أيضاً انّ الربّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اعطاهُ لساناً عالماً قادراً أن يعزّي القليل الشجاعة* ورأى الربّ جالساً على كرسيّ عالٍ مرتفع وحولهُ السرافيّون والأرض موطأ قدميهِ. ورأى سرافيّاً أخذ جمرة نار من على المذبح ومسَّ بهما شفتيهِ لكي يطهّرهما*

وكان غيوراً على مجد الله لا يفزع قلبهُ من هيبة الملوك* ولمّا كان حزقيا الملك مريضاً انطلق إليهِ من قِبَل الله وأنذرهُ بأن أجلهُ قد قرب. فبكى حزقيا بكاءً مرّاً وصلّى إلى الله. فقبل الله صلاتهُ وأرسل إليهِ هذا النبيّ يبشّرهُ بشفائهِ وبانّهُ تعالى زاد على عمرهِ خمس عشرة سنة. وعلامةً لذلك رجّع الربّ ظلّ ساعة حزقيا الشمسيّة عشر درجات. وبعد موت حزقيا تخلّف بعده الملك منسّى. وإذ كان شرّيراً كان اشعيا النبيّ يوبّخهُ على آثامهِ. وإذ لم يقدر هذا الملك أن يحتمل توبيخهُ قتلهُ بنشر جسدهِ إلى نصفين. وكان ذلك على ما يُظَنّ سنة ٦٨١ قبل المسيح وعمرهُ ماية وثلاثون سنة. واشعيا لفظة عبرانية معناها خلاص الربّ*

ثمّ اننا نشاهد في أخبار شعب الله. بأنّهُ لا توجد حالة أكثر شهرةً من وظيفة الأنبياء. إذ نرى البعض قد امتازوا من بقيّة الشعب باتخاذهم مساكن معتزلة عن الناس. عائشين بشكل جمعيّة. تحت سياسة رئيس يقيمهُ الله عليهم. وقد اشتهروا خصوصاً بنسكهم وتقشّفهم ونوع لباسهم الخشن. وكل ذلك كان رمزاً عن الفضائل التي كان الإنجيل مزمعاً أن ينذر بها عَلَناً. فهولاء كان يعرّفهم الله عن ذاتهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بنوع خصوصيّ. وأظهر كلّ مكاشفاتهِ العجيبة أمام الشعب. ولا سيما في زمان الانقلاب الذي صار في الأزمنة السيئة. حينما ظهر أنّ شوكة عبادة الأوثان قد كادت تُدثَر بشريعة الله* فحينئذٍ أخذ الأنبياء يذيعون في كل النواحي بصوتٍ جهريّ وبكتاباتهم كلّ تهديدات الله والآيات التي كان يؤدّيها لاثبات الحقّ. وهذه الكتابات أعطاها الأنبياء للشعب لتُطالَع وتُحفَظ باعتناء للذكر المخلّد في الأجيال المستقبلة. فمن الشعب من بقي أميناً مع الله متّحداً معهُ. لأننا نرى في مملكة إسرائيل نفسها إذ تسلّطت عليها عبادة الأوثان في ذلك الزمان. كان يوجد أناس أُمناء يحتفلون مع الأنبياء السبت والأعياد التي فرضتها شريعة موسى. لأنّ الأنبياء أنفسهم كانوا يشجّعون الناس الصالحين ليمكثوا ثابتين في الوعد. ولأجل ذلك فانّ كثيرين منهم احتملوا أمرّ الميتات* ويُشَاهَد على مثالهم في الأزمنة الأكثر رداءَة أعني في عهد الملك منسّى أنَّ عدداً لا يُحصى من الناس الأمينين معهُ تعالى سفكوا دمهم من أجل الحقّ القويم والمشهود لهُ على الدوام*

هذا وان الأنبياء ما عدا انّهم كانوا يشاهدون بالوحي مخلّصنا الإلهي ويبشّرون بمجيئهِ وبأعمالهِ. فانّهم صاروا رمزاً عنهُ. ورُسمت فيهم أسرار حياتهِ وعلى الخصوص سرّ آلام الصليب. لأنّ أغلبهم قاسوا العذابات والمشقّات من أجل العدل وقد أعلنوا لنا أيضاً باحتمالهم الاضطهادات عن الاضطهاد الذي كان مزمعاً أن يحتملهُ ربّنا يسوع المسيح من أجل البرارة والحقّ. فمن ذلك نرى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جليّاً انّ ايليا واليشاع النبييَّن لم يزالا مهدَّدَيْن. وصار اشعيا عدَّة مرار هَزُوءاً وسخريّة للملوك وللشعب حتّى انهُ أخيراً نُشِرَ حَنَقاً منهم بمنشارٍ خشبيّ. وزكريا بن يويا داع رُجم. وحزقيّال ما برح مصاباً بالآلام والشدايد. وارميا ما زال في الاضطهاد وينوح من الأوجاع المتراكمة الفائقة الوصف والتعبير. ودانيال أُلقيَ مرّتين في جبّ الأسود* فينتج لنا واضحاً ممّا احتملهُ كلٌّ من هولاء رجال الله المومى إليهم. وكابدوهُ يتجلّدٍ من المصائب والعذابات وأنواع الاضطهادات والفقر بثبات إلى آخر نسمة من حياتهم لأجل البرّ والحقّ. كلّ ذلك يدلّنا على أمانتهم مع ربّهم وايمانهم الحيّ. ويُعلن لنا بنوع أخصّ أنّهُ منذ قديم الزمان وفي كلّ آن ما نال الصالحون موعد السعادة الأبديّة الاّ بتحمّلهم المشقات وتجرّعهم الغصص والمرائر التي انهجت لهم سبيل النعيم. وسهّلت لديهم السلوك في الطريق الضّيق. بناء على ما قيل في أعمال الرسل. انهُ بشدائد كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله ص ٤ عد ٢١*

ويخبرنا الكتاب المقدّس عن راصين ملك آرام وفقح بن رَمَلْيا ملك اسرائيل. فهذان لمّا عزما أن يبيدا كل من يلوذ بنسل داود. اقبلا على اورشليم وحاصراها وكان ذلك في عهد آحاز ملك يهوذا الكافر عابد الأصنام. ومن حيث انّ الله سبحانهُ وعد بأن المسيح سيولد من نسلهِ. أنذر على فم نبيّهِ اشعيا: بأن كل قدرة ملوك الأرض لا يمكنها أن تضع مانعاً لانجاز مواعيدهِ. لأنّهُ ولو أمكن أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يكون اطفاء نسل داود. لَما أمكن أيضاً ابطال وعدهُ الإلهيّ. فعندما حاصر الملوك الأعداء أورشليم ارتعب احاز الكافر. وكل عائلتهِ معهُ وارتجف قلبهُ وقلوب أمّتهِ خوفاً كما يهتزّ شجر الغاب أمام الريح. فقال الربُّ لاشعيا: اخرج لاستقبال آحاز أنت وسآرياشوب ابنك الذي بقي لك إلى أقصى البركة العليا* إلى طريق حقل القصار. وقل لهُ احذر. واهدأ. لا تخف. ولا يضعف قلبك من سبب طَرَفَي ذين العمودَين المدخّنين بغيظ غضب راصين ملك ارام وابن رمليا ملك اسرائيل. صدّقوا ما أقولهُ لكم. والاّ فان لم يكن لكم ايمان وثيق بأقوالي لا تقدرون أن تثبتوا أمام أعدائكم. ثمّ عاد الربّ فكلّم آحاز على فم اشعيا قائلاً: اطلب لك آيةً من الربّ الهك. عمّق طلبك. أو علّهِ إلى فوق. فانهُ يؤكّد لك حقيقة هذا الوعد. امّا آحاز فلم يكن ليصدّق بقول الله. وضعف اعتقادهُ بهِ تعالى. وخاب أملهُ. فاستشار بالأصنام. واستعان بملوك آثور. ولكي يخفي هذا عدم ثقتهُ بالله. ويستر اعتقادهُ الفاسد بالآلهة الباطلة. أظهر أنهُ يحترم الله فأجاب النَّبيّ قائلاً: انّي لا أطلب ولا أجرّب الربّ. أمّا اشعيا فإذ كان يعلم مكرهُ. قال لهُ: اسمعوا يا آل داود. (وعنى بذلك عن الملك وتبّاعهِ) أَلا يكفيكم أن تضجروا الأنبياء بعصاوتكم حتى تضجروا الاهي أيضاً بعدم ايمانكم. اعلموا أن الله هو غير متناهي في صلاحهِ وقدرتهِ. وامين في مواعيدهِ. ولهذا سيعمل ما هو أعظم من الآية التي يمكنكم طلبها ويفوق عنها بكثير ولو استولى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على يهوذا ملك من غير نسل داود فمع ذلك فانّ المسيح سيولَد من نسل داود وهو أَنّ العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمهُ عمانوئيل الذي تأويلهُ الله معنا لأَنهُ يكون الاهاً وانساناً معاً[1]*

والانجيل المقدّس يشهد لنا على انجاز هذهِ النبوّة الشريفة. بناءً على ما نصّهُ متّى الانجيلي في ص ١: عد ١٨: لمّا خُطبت مريم امّ يسوع ليوسف قبل أن يتعارفا وُجِدت حبلى من روح القدس. ويوسف خطّيبها إذ كان صدّيقاً ولم يُرد ان يشهرها. همَّ بتخليتها سرّاً. وفيما هو متفكّر في هذا. إذ ظهر لهُ ملاك الربّ في الحلم قائلاً: يا يوسف بن داود. لا تخف ان تأخذ مريم خطّيبتك فإنّ المولود منها هو من روح القدس وستلد ابناً وتدعو اسمهُ يسوع لأَنهُ يخلّص شعبهُ من خطاياهم. وهذا كلّهُ كان ليتمّ ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل. ها هوّذا العذراء تحبل وتلد ابناً. وتدعو اسمهُ عمّانوئيل. الذي تفسيرهُ الله معنا*

أمّا اليهود الذين جحدوا الايمان بالمسيح. فقد بذلوا منذ ابتداء الديانة المسيحيّة جُلَّ مجهودهم وسعيهم كي يفسدوا معنى نبوّة اشعيا. لينزعوا من الكنيسة المقدّسة الاثباتات الواضحة والبراهين الساطعة التي تبيّن صريحاً الوهيّة يسوع المسيح. وفي يومنا هذا وُجد بعض الكفرة. الذين جدّدوا مناضلات اليهود غير الصوابيّة. ولكنّهم

(١) لقد أدخلنا مع نصّ الكتاب المقدس بعض تفاسير. ليسهل فهم عبارات النبيّ الغويصة والمعقدة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لم يبلغوا منها مأرباً. فانّ اليهود يُأَوّلون عبارات نبوّة اشعيا بقولهم: يجب أن نفهم بأن الولد الموعود بهِ لا يولَد من عذراء بل من ابنةٍ تحبل بهِ بطريقة اعتيادية. وانّ هذا الولد أو عمانوئيل. هو ابن اشعيا أو ابن آحاز الملك*

وناهيك انّ ردّ الجواب على هذهِ الاعتراضات الواهية واضح. فانّ آباء الكنيسة قد أجمعوا على دحضها وتفنيدها بنوع عموميّ. وقالوا: انّ اشعيا وجّه الوعد إلى بيت داود بأسرهِ. أعني لمجمع اليهود وللكنيسة الكاثوليكية. وان الحبل بالولد وولادتهِ لو لم يكونا بنوع غير اعتيادي لما أمكن أن يقال صنع الله للناس أعجوبةً خارقة العادة. وهذا الولد الموعود بهِ لم يُعنِ عن ابن اشعيا النبيّ من حيث كان يرافق أبيهِ في حين الانذار بهذا الوعد. ولا عن ابن آحاز الملك. لأن يومئذٍ كان عمرهُ تسع سنين* بالحقيقة انّنا لو لم نرَ انّ ذلك متأتّياً من بغضة أعداء الكنيسة وعماوتهم لكنّا نندهش مستغربين من اعتراضات مثل هذه*

* اليوم السابع *

مار ايليدس اسقف كليرمُنت

انّ الله سبحانهُ وتعالى الذي أحبّ أن تمتدّ كنيستهُ المقدّسة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في قليل من الزمان في المسكونة بأسرها ما زال لذلك يجود عليها بأساقفة قدّيسين متلألئين بالفضائل والمعجزات لكي تتأيَّد على يدهم الديانة المسيحيّة في نفوس أولئك المومنين الأوّلين* ومن جملة الأساقفة المشاهير الذين زيّنوا كنيسة فرنسا كان مار ايليدس اسقف مدينة كليرمُنْت*

كان منشأ مار ايليدس في بلاد فرنسا. وغدا منذ نعومة أظفارهِ معتصماً بحب الفضائل والتقوى ولا سيّما التقشّف وقمع الأهواء المنحرفة وكان جلّ اهتمامهِ في إخضاع الحسد للروح. فصار يعذّب جسدهُ بأنواع شتّى ويتمنّى أن يصيبهُ كلّ نوع من العذابات بسبب يسوع المسيح الذي مات مصلوباً من أجل البشر* ولذلك بكل صواب نقدر أن نطلق عليهِ تسمية شهيد نظراً لكثرة العذابات المتنوّعة الاختياريّة التي كان يعذّب بها جسدهُ ولو انهُ لم يصبهُ اضطهاد من أعداء الديانة*

وبلغ ايليدس درجة سامية من القداسة والتقوى. ولكنّهُ من أجل تواضعهِ العميق كان يخفي كل ذلك عن أعين الناس* غير انّ الله الذي وعد بالارتفاع من يتمسّك بالتواضع جعل ان يشتهر أمرهُ عند العامّة والخاصّة ويعظم شأنهُ وترتفع منزلتهُ*

وحدث في تلك الأيام أن ترمّلت كنيسة كليرمُنت بوفاة أسقفها فوقع الانتخاب على ايليدس* فضاعف حينئذٍ همّتهُ ليلقي نار المحبّة بين رعيّتهِ واشتدّت فيهِ الغيرة والنشاط في أمور الديانة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان حليماً مكرِّماً لجميع الناس لا يأخذ بالوجوه. ولم يكن لهُ في أعمالهِ كلّها محرّضاً الاّ محبّة يسوع المسيح* فنهض باعباء الأسقفيّة اتمّ نهوض. وأخذ يهذّب جماعتهُ ويحرّضها على التقوى. وكانوا ينقادون لذلك لما كانوا يشاهدونهُ فيهِ من الفضائل الجليلة الفريدة* وشاع صيت ايليدُس في بلاد فرنسا بأسرها حتى بلغ مسامع مكسيمُس ملك الروميّين* وكان لمكسيمس ابنة معذّبة بالرّوح النجس منذ زمن ولم يقدر أحد على إخراجهِ منها. فلمّا سمع مكسيمس بايليدس وقداستهِ أرسل إليهِ ليستدعِيَهُ إلى مدينة تريبيس حيث كان هو يومئذٍ لشفاء ابنتهِ* فقام القدّيس وتوجّه إلى تريبيس. فلمّا دخل على مكسيمس ترحَّب بهِ وأحسن في استقبالهِ. ثمّ شرع يقصّ عليهِ خبر ابنتهِ وما جرى لها. فطلب القدّيس الخلوة وتهيّأَ للصلوة. وأقام الليل كلّهُ يسبّح الرب. فلمّا كان الغد استحضر الابنة. فوضع أصابعهُ في فيها واخرج منها الروح النجس* ففرح الملك بذلك غاية الفرح وشكر القديس مزيد الشكر. واثباتاً لذلك قدّم لهُ مبلغاً وافراً من الذهب والفضّة. فأبى القديس أخذهُ* وعوضاً عن ذلك طلب إلى الملك أن يسمح بأن تؤدّي لهُ مدينة كليرمُنت الاتاوة التي لهُ عليها ذهباً عوض الغلاّت. فرضي الملك بذلك*

وبينما كان ايليدس راجعاً من تريبيس إلى مدينتهِ. أحبَّ الله أن يدعوهُ إليهِ لكي يكافئهُ على أتعابهِ باكليل السعادة الأبدية. وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٨ في اليوم السابع من تموز وقد طعن في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السنّ* فجُملت جثّتهُ إلى مدينة كليرمنت وقُبرت باحتفال عظيم* واشتهر ضريحهُ بالآيات غير المحصاة التي جرت عليهِ. فبشفاعتهِ كان العميان يبصرون والخرس ينطقون والصمّ يسمعون والعرج يمشون والأرواح النجسة تخرج من الأجساد وحدثت غير ذلك من المعجزات* وقد ذكر شيئاً كثيراً منها مار غريغوريوس أسقف توُرْس* من ذلك ما جرى لمار غريغوريوس نفسهِ* فانّ غريغوريوس وقع يوماً مضروباً بالحمّى. فعادهُ مار غالس خالهُ فلمّا رأى مار غريغوريوس انّ المرض لا يزال متزايداً طلب بالهام الهيّ أن يحملوهُ إلى كنيسة مار ايليدس اسقف كليرمنت. فلمّا صار إلى هناك صلّى صلوة حارّة. ومن ساعتهِ برئ من الحمّى. ثمّ عاودتهُ الحمّى واشتدّت عليهِ. فقلقت امّهُ وخافت وبكت. فقال لها ابنها: لا يخالجنّكِ أدنى خوف أو همّ وانّما أسأَلك شيئاً واحداً وهو أن تذهبي بي ثانيةً إلى ضريح الطوباويّ ايليدس الأسقف. فانّي متأكّد غاية التأكّد انهُ يجود عليكِ بالفرح وعليَّ بالعافية* فذهبوا بهِ من ساعتهِ إلى ضريح مار ايليدس. فتضرّع إلى القدّيس ووعدهُ بأن يصير اقليرسيّاً ان تركتهُ الحمّى. فتركتهُ في الحال. وعاد إلى منزلهِ مسروراً شاكراً لله ولعبدهِ ايليدس* ومثل ذلك جرى لأعمى من العميان نال البصر بعد أن قام ساهراً على قبرهِ طول الليل*

وحدث أيضاً لمار غريغوريوس اسقف توُرْس المذكور انّهُ اتخذ في مصلّى لهُ في توُرْسْ ذخائر مار ايليدس* فبعد مدّة غير يسيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صادف الذخائر المذكورة قد طرت عليها الرطوبة فاخرجها لكي يبيّسها على النار فوقع فيها الخيط الذي كانت الذخائر مشدودة بهِ. وكانت النار قويّة ومع ذلك فلم يحترق الخيط*

انَّ سيرة مار ايليدس التي اتّصلت بنا هي من تأليف مار غريغوريوس اسقف تورس المذكور. وهو يشهد انَّ ما رواهُ من الآيات التي جرت على يده شيءٌ يسير نزر بالنسبة إلى ما اكرم الله بهِ صفيّهُ من الكرامات وان معظمها قد دخل في طيّ النسيان بسبب تتابع الأيّام*

ويعيّن السنكسار اللاتينيّ ذكر مار ايليدس في اليوم السابع من شهر تمّوز. وكان القدّيس ايليدس الرابع بين الأساقفة الذين ساسوا كنيسة كليرمنت*

* اليوم الثامن *

مار بروكوبيوس الشهيد في فلسطين

إنّ بروكوبيوس هو أحد الشهداء المشتهرين الذين كابدوا الموت في زمان اضطهاد الملِكَيْنْ ديوقلطيانس ومكسميانس القاسيَيْن. وكان أبواهُ من عظماء مدينة أورشليم التي عمّرها حديثاً ادريانس الملك. امّا أبوهُ فكان مؤمناً بالديانة المسيحيّة ومات بسلام الربّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يسوع. ولكن والدتهُ كانت وثنيّة وتُدعى ثاودوسية. ولفرط تعصّبها في عبادة الأصنام اجتهدت في تربية ابنها المسمّى حينئذٍ نأنياس. وكانت تثقّفهُ في عبادة الآلهة الباطلة. فلمّا كبر وصار مقتدراً على حمل الأسلحة. انطلقت بهِ امّهُ عند الملك ديوقلطيانس قيصر. وكان يومئذٍ في انطاكية. وطلبت منهُ أن يقبل ابنها في خدمتهِ ويقلّدهُ منصباً في عساكرهِ مؤكّدةً لهُ بانهُ غيور للغاية نحو الأمير وديانة السلطنة. فاستجاب الملك طلبة أمّهِ بسرور وقبل الشابّ لمعرفتهِ بأصلهِ الشريف. ووعدهُ بانّهُ يهتمّ بما يفيدهُ ويرقّيهِ في المناصب العالية* وعندما خلت ولاية اسكندريّة سلّم الملك ولايتها لنأنياس وأمره بأن ينطلق إلى هناك بأسرع ما يمكن ليسوس الولاية ولا سيما ليمحو كلّ المسيحيّين* فأخذ نانياس أوامر الملك وتوجّه إلى منصبهِ* وإذ كان في الطريق حدث في إحدى الليالي زلزلة هائلة ورعود وبروق. فخاف كلّ من كان مع نأَنياس وتفرّقوا أيادي سبا. فوقف نأنياس متحيّراً. فسمع صوتاً يقول لهُ: يا نانياس إلى أين. وإلى من أنت ذاهب غضبان هكذا* فقال: أنا ذاهب بأمر الملك إلى الاسكندريّة لأَعدم المسيحيّين وديانتهم الباطلة* فقال لهُ الصوت: أو أنت يا نأنياس تقوم عليَّ* فقال نانياس من أنت* فحينئذٍ شاهد صليباً أصفى من البلّور. وسمع صوتاً من الصليب يقول لهُ: أنا يسوع المسيح المصلوب ابن الله* فقال نأنياس: كيف يمكن أن تكون ابن الله وأنت مصلوب تكابد الأوجاع والعار* فقال لهُ يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح: انّي متُّ بارادتي إذ حملتُ على نفسي القصاصات التي كان يجب أن يقاسيها البشر من جرى خطاياهم وخلّصتهم بموتي من الموت الأبديّ* ثمّ غابت هذه الرؤيا وأثّرت في قلب نانياس كل التأثير وسمّرت فيهِ حبّاً عظيماً للصليب. ولما دخل نانياس مدينة اسقيثوبليس دعا بصائغ وأمره سرّاً ان يصوغ لهُ صليباً من ذهب كالرسم الذي رسمهُ لهُ فمضى الصائغ واشتغل بهِ ليلاً. ولمّا انتهى من عملهِ. ظهر فيهِ ثلاث صور وأحرف تشير إلى أصحاب تلك الصور. وكانت الأولى صورة يسوع المسيح ومكتوب تحتها عمّانوئيل. والصورتان الأخريان في طَرَفَيْ ذراعَيْ الصليب وهما صورة مار ميخائيل ومار جبرائيل باسمَيهما. فتعجّب الصايغ عند نظره هذهِ الصور التي لم تصنعها يدهُ. وأراد أن يمحوها. ولكنَّ يده ثقلت جدّاً حتى انهُ لم يمكنهُ تحريكها* ولما قدّم الصائغ هذا الصليب إلى نأنياس حكاهُ أن تلك الصور والكتابات لم تكن منهُ بل وُجدَت باعجوبة. فدفع لهُ أجرتهُ وأخذ الصليب وهو فرحان بهِ. وأراد ربّنا بذلك أن يشجّعهُ ويثبّتهُ في الايمان. ولمّا كان داخلاً إلى أورشليم مسقط رأسهِ استقبلهُ أهاليها معظّمين شأنهُ باحتفال شائق اجلالاً للملك سيّدهِ واعتباراً لمقامهِ السامي. وتشكّى لديهِ بعض أهالي القرى والمدن الصغار من جرى جور العرب وخطفهم بناتهم قصد أن يزوّجوهنّ بأولادهم. فانعطف نأنياس إلى استرحامهم واعداً ايّاهم أن يساعدهم لا محالة. ثمّ جمع نأنياس عسكره لمحاربتهم وقال في نفسهِ لانظرنَّ الآن هل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان الذي ظهر لي في الطريق هو الاله الحقّ. فسمع صوتاً يقول لهُ تشجع يا نانياس أنا ربّك والهك أكون معك. فتقوّى بهذا الصوت وتوجّه فوجد الأعداء حالّين في معسكرهم فهجم عليهم غفلةً واحاط بهم ثمّ ظفر بهم. وقتل منهم ستّة آلاف ولم يُقتَل واحد من عسكره. فلما سمعت ثاودوسية امّهُ بخبر ظفرهِ طلعت قدامهُ لتهنّئه ولم تعلم إذ ذاك ما حدث من التغيير بابنها فطلبت منهُ أن يرافقها إلى هيكل الآلهة ليشكرهم على الاحسان الذي خوّلوهُ ايّاهُ. ولكنّ نانياس أبى أن يجيب إلى طلبة أمّهِ وقال لها: انّي لستُ مديوناً في انتصاري هذا للآلهة. بل ليسوع المسيح وحدهُ الاله الحقيقي. فاجابتهُ أمّهُ. ماذا تقول أأنت مسيحي. أَما تعتقد أبداً بالآلهة. فقال لها نانياس انّ هولاء ليسوا بآلهة لأنّهم تماثيل صماء عديمي الحسّ لا يقدرون أن يسمعوا أصواتنا ولا أن يغيثونا. ولما دخل إلى بيتها شرع يسحق الأصنام ويدوسها تحت قدميهِ بحضور أمّهِ. فاغتاظت ثاودوسية من ابنها ونسيت انّها امّهُ بالطبيعة وانها ولدتهُ وربّتهُ. فانطلقت إلى انطاكية ووشت بهِ إلى ديوقلطيانس الملك لكونهِ مسيحيّاً. وكان يومئذٍ نانيانس مقيماً في مدينة أورشليم المنضوية تحت حكم فلسطين فارسل الملك خطّاً إلى والي فلسطين وكان يُدعى يسطس يعرّفهُ بأن قد بلغهُ عن نأنيانس والي مدينة اسكندريّة اعتنق الديانة المسيحيّة. وفيهِ يأمرهُ أن يتهدّد نأنيانس ليرجع عمّا هو عليهِ. وحرّضهُ أن يستعمل معهُ كل الوسائط الممكنة ليحملهُ على الكفران بديانتهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيحيّة التي اعتنقها. وان ثبت وبقي مصرّاً على عنادهِ ولم يرعو فليبرز بحقّهِ الأمر الصارم وهو انّهُ منحطّ من وظيفتهِ. ومنزوعة عنهُ علامات العسكريّة. ويُنزِل بهِ العذابات القاسية. فدعا هذا الوالي نانياس إلى مدينة قيصريّة وتكلّم معهُ في أن يرجع إلى عبادة الأوثان واطلعهُ على خطّ الملك. فلما تَلاّ نانياس الخطّ ورأى التجاديف الشنيعة والاهانات القبيحة الملحقة بيسوع المسيح ألقاهُ بعزم شديد بعيداً عنهُ. متنازلاً عن الوظيفة خالعاً علامات العسكريّة ومسلّماً نفسهُ طوعاً بين يدي يسطس الوالي. ليقاسي العذابات التي كان يتوق إليها ويسرّهُ احتمالها. حينئذ أمر يسطس أن يُجلَد بكل قساوة فجُلِد إلى أن ذوى جلدهُ وتناثر لحمهُ وظهرت عظامهُ. حتى انّ الوثنيين أنفسهم سكبوا دموع الشفقة عليهِ حينما شاهدوا تعذيبهُ الوحشي. امّا الشهيد الباسل فإذ رآهم بهذه الحال. التفت إليهم قائلاً: يا آبائي لا تبكوا. ويا أخوتي لا تنوحوا. لانّي عن قريب سأحصل على اكليل الانتصار الذي لا يفنى. فالأَولى بكم والأجدر أن تبكوا على عماوتكم وعلى خسارة أنفسكم. لأنّكم ان لم تومنوا بيسوع المسيح فمعدّ لكم عذابات لا نهاية لها* وانّ نانيانس طُرح في السجن وفي نصف الليل سطع نورٌ باهر زحزح ظلمات الحبس وظهرت الملائكة ملتحفين بالنور ونادوا الشهيد باسمهِ. فقال لهم من أنتم. قالوا نحن ملايكة الله قد أتينا لنزورك. فقال لهم ان كنتم ملايكة المسيح فاركعوا وارسموا علامة الصليب على جباهكم. فلما فعلوا ذلك رأى يسوع المسيح ملك الملايكة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

محفوفاً بالنّور وهو يعمّذهُ بالماء قائلاً: لا تُدعَ فيما بعد نانياس بل بروكوبيوس. فحارِبْ بشجاعة لكي تتكلّل باكليل الاستشهاد أنت وكثيرون معك. فلما سمع ذلك الشهيد انحنى على الأرض وطلب من ربّنا يسوع المسيح غفران خطاياهُ وقوّةً على احتمال العذاب وحينئذٍ شفاهُ الربّ. وفي الغد خرج من السجن صَحيحاً سالماً وكثير ممّن رأوهُ اهتدوا وآمنوا بيسوع المسيح الاله الحقّ. فلما بلغ ذلك الوالي أمر أن يحضروا إليهِ بروكوبيوس. فحين رآه انذهل ونسب شفاءَهُ إلى آلهتهِ الباطلة وقال للحاضرين امدحوا آلهتنا. فعند ذلك قال لهُ الشهيد: لِمَ لا ننطلق إلى هيكل الآلهة لنرى من منهم أحسن إليّ بذلك. ففرح الوالي بهذا الكلام وظنّ انهُ يريد أن يسجد للآلهة. فارسلهُ إلى الهيكل مع جنودٍ يحرسونهُ. فلما دخل الهيكل. صلّى إلى ربّنا يسوع المسيح فوقعت الأصنام وتكسّرت. وبهذه الآية اهتدى الحرّاس إلى الايمان الصحيح واحبّوا الاستشهاد في حبّ المسيح. وبلغ هذا الخبر إلى الوالي. فأرسل قائدَينْ ومعهما عسكرهما وأمرهم أن يقتلوا كل من تنصّر. فلما دنوا من بروكوبيوس استنار بغتةً بنور سماويّ وانطرحوا قدام رجليهِ متنصّرين وطلبوا العماذ. وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر أيار ماتوا شهداء*

ثمّ إنّ بروكوبيوس صُفّدَ أخيراً بالحديد. وأُلقيَ في السجن. وفي أثناء ذلك أمر يسطس أن يُطرَح في السجن اثنتا عشرة امرأة من ذوات الشرف اللّواتي اعترفن بايمان المسيح. فكان هذا القدّيس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يزورهنّ ويعزّيهنّ ويشجعهنّ ليثبتنَ ويتجلّدنَ. مضرماً في قلوبهنّ الشوق إلى أشدّ العذابات حبّاً بمعلمهنّ الإلهي. فكابدن محتملات بصبر وفرح أقسى العذابات. وكانت ثاودوسية امّ مار بروكوبيوس حاضرة في استشهاد هولاء النساء وإذ رأت شجاعتهنّ مع ضعف طبيعة الاناث أيقنت انّ الديانة المسيحية تقوّي الضعفاء وتشدّدهم. فامتلأَ قلبها من حبّ المسيح وصرخت بصوت عالٍ بانّها مسيحيّة. فاغتاظ الوالي جداً. وبعدما مزّق جسمها بأظفار من حديد قطع رأسها. فمن يقدر أن يصف الفرح الذي شمل بروكوبيوس باستشهاد امّهِ* ثمّ انّ الوالي بعدما عذّب بروكوبيوس بأنواع كثيرة ولم يقدر أن يغلبهُ وقع مريضاً لشدّة حزنهِ وغضبهِ. وعقاباً لخطيّتهِ وجورهِ خسر الدنيا والآخرة*

وتخلّف بعد يسطس الوالي الهالك رجل يقال لهُ يولينس. فهذا لم يكن أقلّ جفاءً من يسطس. وظنَّ أنَّهُ بدُهائهِ يقدر أن يقنع بروكوبيوس ليطيع أمر الملك. ولكنّهُ إذ رأى أنّهُ يقضي زمانهُ عبثاً مع الشهيد. أمر خادمهُ ارخلاوس أن يضرب عنقهُ بالسيف. فلمّا أخذ الخادم سيفهُ ليقتل مار بروكوبيوس خارت قواهُ ووقع السيف من يدهِ على الحضيض. فلما رأى ذلك بولينس حار في أمرهِ وأرسل بروكوبيوس إلى السجن مثقّلاً بالحديد. ولشدّة ثقلهِ لم يكن يقدر ينتصب وبعد ستّة أيّام أحضرهُ قدّامهُ وجلدهُ بأَعصاب البقر وأحرق جوارحهُ بجمرٍ متّقد وذرَّ عليها ملحاً. فإذ ذاك قال الشهيد:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اتظنّ بأنّك تعذّبني يا بولينس. أوَ لست تعلم بانك تكسبني سعادة عظيمة. لأنّهُ لا يوجد شيء أكثر عذوبة للنفس التي تحبّ يسوع المسيح من أن تتكبّد العذابات لأجل حبّهِ. ثم ان الوالي أَمر أن يبسطوا يدهُ اليمنى على مذبح الآلهة ويصبّوا عليها دهناً مذوَّباً وبخوراً حتى إذا الجأَه أَلم النار أن يحرّك يدهُ يُقال انّهُ بخّر للآلهة* ولكنّ الشهيد استمرّ زماناً طويلاً في هذا العذاب من دون أن يحرّك يده حتى فنيت بالنار* ثمّ انّهم علّقوهُ من يديهِ بحبل. وربطوا حجارةً ثقيلة في رجليهِ لكي تتخلّع أعضاؤه. وبعدما أذاقوهُ هذا العذاب طرحوه في اتون ملتهبة. فلمّا دخل الشهيد إليها رسم علامة الصليب على النار فلم تضرّهُ بل رشقت من كان يضرمها. وأخيراً أمر الوالي بقطع رأسهِ. فجثا الشهيد على ركبتيهِ وشرع يصلّي بدموع حارة إلى ربّنا يسوع المسيح من أجل خلاص جميع الحاضرين ومن أجل الأرامل والأيتام والمرضى والمحبوسين والحزانى. وبعدما فرغ من صلاتهِ أخذ السيّاف رأسهُ. وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر تموز سنة ٣٠٣*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع *

القدّيس يوحنا الدومنيكي ورفاقهُ التسعة عشر المستشهدين لنصر سرّ الاوخرستيّا والكرسي الرسوليّ

كان هولاء الشهداء من مدينة غرقم من أعمال هولاندا* ووُلد مقدّمهم وهو نقولا بيك في شهر آب من سنة ١٥٣٤. وكان أبواه من أهل الستر والتمسّك بالدين الكاثوليكي*

ولمّا شبّ أرسلهُ أبواه إلى مدرسة مشتهرة في إحدى مدن هولاندا. فقرأ هناك مبادئ العلوم. وتعلّم حبّ الفضائل والعمل بها أكثر من العلوم. ثمّ ترهّب في رهبنة مار فرنسيس الاسّيسيّ أبي الفقراء. وبعدما قضى زماناً في دير تلك المدينة. أرسلهُ روساؤهُ إلى مدينة لوبان ليقرأ الفلسفة وعلم اللاهوت. فتكمّل هناك في العلوم. وبعد سنين قليلة سيم قسّيساً. وقُلّد وظيفة الخطابة فنفع النفوس جدّاً. ومنع كثيرين من السقوط في فساد الهرطقة الابروتستانيّة التي كانت قد فشت في تلك الأثناء. وردّ أناساً كثيرين من طريق الهلاك إلى سبيل الخلاص الأبدي. وأخذ يجول البلاد منذراً ومعلّماً ومرشداً وهو مسلّح بعلمهِ وغيرتهِ وحبّهِ لخلاص النفوس وانتشار الايمان. وأجاد في وعظهِ وخصوصاً في بابَيْن أي في حضور المسيح بالحقيقة في سرّ الاوخرستيّا وفي رياسة الحبر الروماني على الكنيسة كلّها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وشاع اسم نقولا وذاع في بلاد هولاندا وبلجكا. فبالغ الناس في وصفهِ وأكثروا من مدحهِ. غير انّهُ لم يبالِ بذلك ولا افتخر بهِ بل ازداد تواضعاً واحتسب نفسهُ احقر خلايق الله وأرذل أولاد مار فرنسيس فلم يكن يمتنع من أيّ عمل طُلب منهُ مهما كان دنيًّا ولا كان يزدري بأحد مهما كان خاطئاً بل كان يلتمس منهُ أن يصلّي لأجلهِ ليغفر الله لهُ خطاياهُ*

ثمّ أُقيم رئيساً على أديرة الاقليم. فاظهر غيرةً جديدة على خلاص النفوس. وحدث أنّهُ إذ بلغهُ يوماً انّ اثنين من الهراطقة حُكم عليها بالموت أخذتهُ الرحمة على خلاص نفوسهما. فدخل على القاضي وجثا أمامهُ على ركبتيهِ وشرع يبتهل إليهِ ويتضرّع ليمهلهما لعلّهما يصلحان حالهما ويرعويان*

وكان يحبّ الفقر جدّاً حتى انّهُ لم يكن يملك الاّ رداءَهُ والكتاب المقدس (وكان ذلك أعزّ كتاب لديهِ) وصورة يسوع المصلوب. وأحبّ سيدتنا العذراء أخصّ الحب حتى انّهُ لم يكن يدع يوماً يمرّ عليه من دون أن يكرمها بشيء بالوردية مثلاً وبتقديم شيء من التقشّف لها. وكان في كل أعمالهِ يوجّه نيّتهُ إلى الله عزّ وجلّ. وكلما باشر عملاً من وعظ أو سفر أو درس أو غير ذلك كان يجمع كفّيهِ ويرفع رأسهُ إلى السماء قائلاً: لمجدك يا ربّ*

هذا واننا لم نقف على شيء يستحقّ الذكر عن حيوة بقيّة شهداء غرقم الثمانية عشر رفقاء القدّيس نقولا بيك. أمّا القديس يوحنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الدومنيكي فانّهُ وُلد في بلدةٍ من أرض كولونيا. وأوّل ما شبّ هجر المال الذي اتّصل بهِ من أجدادهِ. وانعكف على خدمة الله وخدمة النفوس. فلبس اسكيم رهبنة الدومنيكيّين منذ شبوبيّتهِ وانكبّ على تحصيل ما يقتضي من العلوم والمعارف. فبرع وأجاد. لكنّهُ وجّه جزيل همّتهِ إلى اقتناء الفضائل والكمال على أبلغ نوع بحيث انّ روساءهُ أوّل ما ارتُسم قسّيساً قلّدوهُ سياسة كنيسة هُرْنير التي تلي غرقم. ولم يَخِب حسن آمالهم بهِ فانّهُ شمّر الساعد لخدمة تلك النفوس وسدّ حوائج المعتازين بغيرة ونشاط فريدَين. وبذل الوسع في إثباتهم على الايمان المستقيم على رغم الهراطقة الذين كانوا يدعونهم إلى حزبهم. ولأجل ذلك أبغضهُ هولاء الهراطقة وأثاروا عليهِ اضطهادات كثيرة صعبة. وكان كلّما ازدادوا هم في اضطهادهِ ازداد هو نشاطاً وهمّة* وحدث أن الهراطقة تغلّبوا على الكاثوليك في غرقم. وقبضوا على جميع القسوس والاقليرس والقوهم في السجن. وبقيت المدينة بلا كهنة وبلا أسرار. فاحترّ يوحنّا إذ ذاك وحرّكتهُ الغيرة وشرع يأتي بتواتر من هُونير إلى غرقم ليوزّع الأسرار على الكاثُليكيّين هناك ويقضي ما يفترضهُ أمر خلاصهم. فلمّا أحسّ عليهِ الهراطقة. هجموا عليهِ ذات يوم إذ كان على مسافة ميل من هرنير وقيّدوهُ وجاءُوا بهِ إلى غرقم وألقوهُ في السجن. وقضى تلك المدّة في السجن بحلمٍ وصبرٍ عظيمَين. وثارت المدينة كلّها لهذا العمل الظلمي*

ولنذكرنّ بالاختصار قصة جهاد هولاء الشهداء. فاعلم أنّهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قُبض عليهم قاطبةً في غرقم. وأُرسلوا إلى مدينة بريالاّ التي هي بجزيرة من جزائر هولندا. وقاسوا أذيّات كثيرة من الكلوينيّين وبقوا في السجن إلى الليلة الثامنة من تمّوز. فلمّا كان الصباح أقبل الضابط أُومل الكلويني بجملة جنود إلى السجن. وفكّ اغلال المحبوسين وقادهم إلى محلّ ليقتلهم قاطبةً. فلما صاروا فيهِ شرع أومل بقتل نقولا أوّلاً. فنهض نقولا جذلان مسروراً وطفق يخاطب رفاقهُ قائلاً «يا أولادي ورفاقي الاحباء انّي أريد قبل أن أخرج آخر نفس أن أحرّضكم وأناشدكم الله لكي تجاهدوا بثبات عن الايمان المقدّس. ولا يفترقنّ في هذه الساعة الأخيرة بعضكم من بعض أنتم الذين ما زلتم متّحدين ومتّفقين إلى الآن. ارفعوا نظركم إلى السماء وشاهدوا الأكاليل البهيّة التي أعدّها الله لكم جزاءً على أتعابكم» ثم قبّلهم واحداً واحداً* وأخيراً اصعدوهُ إلى محل القتل ووضعوا وهقاً في عنقهِ وخنقوهُ*

ثمّ أقبلوا على هيرونمس وردن نائبهِ وحاولوا في أوّل الأمر أن يستجذبوهُ بالمواعيد والهدايا. فرفضها ورذلها. فاغتاظوا وأخذوا حديداً محميّاً بالنار وكووا بهِ وجههُ. فاحدق بنظره إلى السماء وندب يسوع ومريم وحرّض رفاقهُ على الثبات ثمّ خُنق هو أيضاً. وهكذا بالتتابع سيق إلى القتل نِقوسيوس يوحَنْسن ونقولا يُبَّل. فاوّل ما سيقا إلى المشنق أخذا يسبحان الله ويشكرانهِ على نعمهِ. ورأيا السماء مفتوحة وابن الله يدعوهما إلى الميراث الأبدي. فخنقوهما أيضاً* ثم اقتفى أثرهما انطون وردن. وفرنسيس رودس. وثاودوريك امبدن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والشيخ ولَّلْد الذي من دانمرك* وكذلك انطون هُرْنَير وبطرس اسكا. وقرنيليوس درفات. وقُبَيْل أن يُقتَلوا توسّلوا إلى الله وطلبوا منهُ المغفرة والصفح في شان أعدائهم ومضطهديهم. وتقدّمهم في ذلك غفريد*

وبعدما قُتل هولاء الافرنسيسيّون الأحد عشر قُبض على ادريان بيكر ويعقوب لوكوب ثمَّ على يوحنَّا الدومنيكيّ ثمّ على يوحنّا الاوغسطيني ثمّ على اندراوس ولتر وشُنقوا قاطبةً*

وقُبرت أجساد هولاء الشهداء بأجمعهم في المحلّ الذي يقال لهُ الحقل الرّجّنسي وأجرى الله على قبورهم كرامات وآيات كثيرة. ونستغني عنها بذكر واحدة من أشهر ما حدث وذلك أنهُ في مبادئ القرن السابع عشر نبت فجأةً على قبرهم زهر عجيب ونما وكبر في أيسر وقت وأضحى ناضراً رائقاً جميلاً دون الوصف. ولم يكن في تلك البلاد لا بل في أوروبا كلّها زهر يحاكيهِ في الهيئة والرونق* ولذلك أخذ الناس يتقاطرون من الآفاق والامصار لمشاهدتهِ. وجميع الذين حضروا ممّن كان لهم خبرة بالمعارف الطبيعيّة أقرّوا بعجيب ما شاهدوا حتى الهراطقة أنفسهم. وكلّ من حجّ لزيارتهِ اتّخذ لهُ شيئاً من ذلك الزهر العجيب للتبرّك ومع ذلك فلم ينفد ولم ينقص ذلك الزهر النابت. بل كان ينمو ويتكاثر. فازدادت بذلك شهرة هولاء الشهداء في بلاد هولندا والجهات المجاورة. وزاد جاههم لدى أولئك الأهالي. وممّا يختصّ بهذه الأعجوبة أنّهُ في سنة ١٦١٤ أخذ قسيس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كنيسة القدّيسة جلترودة في أُترخت فرعاً من ذلك الزهر ووضعهُ في علبة. ثمَّ بعد سنتين فتحها. فشاهدهُ على حالتهِ الأولى من الخضار والطراوة بل رأى ذلك الفرع الواحد قد نما وتكاثر وأفرغ تسعة عشر فرعاً على عدد أولئك الشهداء الذين قتلهم الهراطقة من أجل ايمان المسيح*

* اليوم العاشر *

جهاد القدّيسة فليسيتاس أي سُعدى وأولادها السبعة الشهداء

كان في روميّة في عهد الملك مرقس اوراليوس امرأة شريفة يقال لها سعدى وكانت ذات تقوى وحسب ونسب. وكان لها سبعة أولاد كلّهم مسيحيّون وقد تربوا في حضن الايمان الكاثوليكي والآداب المسيحيّة. ولما ترملت هذه المرأة البارّة نذرت لله عفّتها وأدمنت على الصلوة والصوم وسائر الأعمال التقويّة حتى انها صارت اماماً لكثيرين في السيرة المسيحيّة المقدّسة. ولزيادة تقواها وأعمالها الخيريّة أبغضها كهّان الأوثان هي وأولادها وحمّلوا الملك عليهم. فأمر أعوانهُ أن يجبروهم على السجود للأصنام فاحضرهم والي المدينة وكان اسمهُ ببليقس فيلخس. وانفرد بالأُمّ وطلب إليها أن تقرّب للأوثان ولا تضطرّهُ أن يستعمل معها ومع أولادها ما تكره ويكروهون. فقالت القديسة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا تظنّ يا بُبليقس انّك تقدر بأقوالك اللطيفة أن تجتذبني وأولادي إلى ديانتك الباطلة. ثمّ عبثاً تخوّفني بقساوتك. لأنّ معي روح ربّي الذي لا يسمح للشيطان أن يغلبني. وانّي متيقّنة بانّي سأغلبك ان عشتُ وان متُّ. فقال لها بُبليقُس: يا لكِ من شقيّة. هلاّ تشفقين على نفسكِ وعلى حياة أولادكِ. فقالت: ان قرّب أولادي لآلهتك يموتون موتاً أبديّاً. وان اعترفوا بيسوع المسيح يعيشون إلى الأبد. وفي الغد إذ كان القاضي في هيكل أحد الآلهة الباطلة دعاها هي وأولادها وقال: يا سعدى اشفقي على أولادكِ الذين هم الآن في عنفوان صباهم وسيصيرون عظماء. فقالت: انّ نَصيحتك لغاشّة. ثم التفتت إلى أولادهما وقالت: يا أولادي انظروا إلى السماء حيث ربّنا يسوع المسيح ينتظركم ليحشركم مع قدّيسيهِ فحاربوا بشجاعة في خير نفوسكم. وكونوا امينين وثابتين في حبّ يسوع المسيح مخلّصنا والاهنا* فلما سمع القاضي هذا الكلام غضب غضباً شديداً وأمر أن يلطموها. ثمّ انّهُ أحضر ابنها البكر وكان اسمهُ ينويان وحاول بتمليقاتهِ ومواعيدهِ وتهديداتهِ أن يستميلهُ إلى السجود للآلهة فلم يقدر عليهِ. وكان هذا الشابّ الشجاع يقول لهُ: أنت تشير عليَّ بغباوة. فكيف اتبع مشورتك. وانّي راجٍ من يسوع المسيح ربّي أن يحفظني من كفر نظير هذا. فأمر أن يعرّوهُ من ثيابهِ ويجلدوهُ. ثم طرحهُ في السجن. وأتى باخوتهِ واحداً بعد واحدٍ ولم يترك حيلةً الاّ استعملها معهم راجياً أن يسجدوا للآلهة الباطلة حسب أمر الملك فلم يتمكّن من أحد منهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمّا رأى جميع هولاء الأخوة على رأي واحد ولا يشاؤون السجود للأوثان. جلدهم بقساوة فظيعة وألقاهم في السجن. ثمّ أخبر الملك بما جرى فقضى عليهم بالقتل عن آخرهم بأنواع مختلفة. فاتوا أولاً بالبكر وهو ينويان وجلدوهُ بحبال مرصّصهُ حتى مات. ثمّ أتوا بأخويهِ فيلخس وفيلبّس وسحقوا جسديهما بالعصيّ. ثمّ طرحوا أخاهم سلوانس في هوّة عميقة. ومن بقي من السبعة وهم اسكندر وويطال ومرتيال قطعوا رؤوسهم بالسيف. وهكذا تمت شهادتهم جميعاً. أمّا أمّهم القدّيسة سعدى فاستشهدت بعدهم بأربعة أشهر وكان استشهادهم سنة ١٧٠ للمسيح*

* اليوم الحادي عشر *

مار يعقوب أسقف نصيبين

هو مار يعقوب أحد آباء الكنيسة السريانيّة المشهورين. وُلد في مدينة نصيبين من أعمال الجزيرة أو بين النهرين. ولمّا شبّ وكان ذا قريحة جوّادة. انصبّ إلى العلوم الدنيويّة والالهيّة. ولمّا رأى انّ جلّ أهل العالم كانوا مغلوبين للطمع والأباطيل ومحبّة اللذّات ومتغافلين عن أهمّ الأمور وهو خلاص نفوسهم. خاف على نفسهِ وعزم أن يعيش في الخلوة لكي يقدر أن يحارب أخطار الشهوات فانطلق إلى جبل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عالٍ وسكن في مغارة. وكان في الصيف يترك مغارتهُ ويسكن في غابةٍ هناك. ويلازم الصلوة والتقشّف ويقتات بالحشائش ويكتسي برادءٍ وعباءَة منسوجين من شعر المعزي. وجدّ مجتهداً في أن يخفي نفسهُ عن الناس. ولكنهُ عُرِف أخيراً فصار كثير من الناس يأتون إليهِ طالبين صلواتهِ ومسترشدينهُ في أمور ذمّتهم* وانطلق مار يعقوب إلى بلاد الفرس ليزور بعض كنائس كانت قد نُصِبت جديداً ويشدّد في الايمان المومنين الجدد الذين كان يضطهدهم أعداء الديانة المسيحيّة. ولمّا وصل هناك ثبّت الضعفاء في الايمان وشوّقهم أن يموتوا حبّاً بايمان المسيح. وهدى كثيراً من الوثنيّين إلى معرفة الانجيل. وأصابهُ من جرى ذلك اضطهادات كثيرة. ثمّ رجع إلى مدينتهِ ولشهرة قداسة سيرتهِ وعلمهِ نُصب أسقفاً على مدينة نصيبين. وكانت سيرتهُ في هذه المدينة الجديدة مثلما في الجبال بل انّهُ زاد عليها الأتعاب التي كانت تقتضيهِ منهُ وظيفة الاسقفيّة. فانّهُ كان يشتغل في ترجيع الخطاة إلى التوبة وتثبيت الأبرار في الصلوة. وكان لهُ التفات زائد إلى الفقراء فيشركهم في كلّ ما تحت يدهِ. وبنى في نصيبين كنيسة فخيمة. ولمّا جاء مار ميلس اسقف سوس إلى نصيبين. قضى مدّة من الزمان عند مار يعقوب وتعجّب من جمال تلك الكنيسة. ولمّا رجع إلى مكانهِ. ارسل إلى مار يعقوب أقمشة حريريّة ليعملها ثياباً مقدّسة لخدمة الذبيحة الإلهيّة. وبذل هذا القديس كل جهدهِ في تقويم النظام البيعيّ وفي تهذيب الشباب وتثقيفهم. وفتح مدرسة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نصب فيها مار افرام تلميذهُ معلّماً. وزيّنهُ الله بهبة عمل الكرامات والنبوّة. من ذلك ما رواهُ ثاودريطُس المؤرّخ قائلاً: إذ كان مار يعقوب في سفرٍ صادف طائفة من الفقراء وأراد هولاء أن يخدعوهُ ويأخذوا منهُ فضّة. فتماوت أحدهم وتقدّم الآخرون إلى القدّيس طالبين منهُ فضة ليشتروا بها كفناً ويدفنوهُ. فاعطاهم ذلك. ثم أخذ يصلّي من أجل ذاك الذي كان يظنّهُ ميتاً طالباً من الله أن يغفر لهُ خطاياهُ ويدخلهُ السعادة الأبديّة مع القديسين. ولمّا انصرف مار يعقوب جاء أولئك إلى رفيقهم ليوقظوهُ ويقاسموهُ ما أصابوا فوجدوهُ قد مات حقّاً فأخذهم العجب والخوف والحزن ورفعوا أصواتهم ولحقوا بأثر رجل الله. ولمّا أدركوهُ انطرحوا على قدميهِ واستغفروهُ على مماكرتهم اياهُ وتوسّلوا إليهِ أن يتحنّن عليهم ويحيي رفيقهم. فتحنّن قلب القديس على دموعهم وتوسّلاتهم وجاء وأَحيا رفيقهم* ولما كان اريوس الملحد يبثّ أضاليلهُ الكفريّة في أماكن كثيرة نال مار يعقوب أن يصون كنيستهُ من سمّ هذا الطاعون قتّال النفوس. وفي سنة ٣٢٥ حضر في المجمع النيقاويّ وفي سنة ٣٢٦ حضر أيضاً في المجمع الانطاكيّ. وفي سنة ٣٣٦ كان يعقوب في مدينة القسطنطينيّة التي كانت مجلس ملوك الروم الشرقيّ. فتجاسر قسطنطين الملك ابن قسطنطين الكبير وأمر الكسندر بطريرك تلك المدينة أن يقبل اريوس الملحد في الكنيسة. والاّ فليتنزّل عن كرسيّهِ. وكان اريوس قد خدع الملك بانهُ يعترف بايمان الكاثوليكيّين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فحرّض مار يعقوب الجماعة أن يستعينوا بالله على اريوس بالصوم والصلوة. وبعد ثمانية أيّام أي في يوم الأحد فيما كان عازماً اريوس الكافر أن يدخل الكنيسة حسب أمر الملك مات ميتةً شقيّة* ومن أعظم الكرامات التي جرت على يدي مار يعقوب اسقف نصيبين أنّهُ خلّص مدينة كرسيّهِ من الفرس. وذلك انّ شابور الثاني ملك الفرس حاصرها مرّتين في مدّة اسقفيّة مار يعقوب. وكانت المرّة الأولى سنة ٣٣٨ بعد موت قسطنطين الكبير بقليل. وكان عسكر الفرس كثيراً جدّاً ومعهُ كثيرٌ من الافيال وكلّ جنس من الآلات الحربيّة وبعد ما دام الحصار ثلاثة وستين يوماً ولم يقدر شابور أن يفتتح المدينة. اضطرّ أن يرجع إلى بلادهِ خزيان لأنّ عسكره هلك من المجاعة والأمراض الطاعونيّة. وبعد اثنتي عشرة سنة أي سنة ٣٥٠ جاء شابور مرّة ثانية بعسكر جرّار وبرفقتهِ عدّة من ملوك الهند مع جيوشهم وأخذ ينذر المدينة بالتسليم لهُ والاّ فيهدمها ويجعلها قاعاً صفصفاً. أمّا أهالي المدينة بعد أن شجّعهم أسقفهم تجهّزوا للحرب مصمّمين ان يدافعوا عن أنفسهم. فشرع شابور يشغّل آلاتهِ الحربيّة مدّة سبعين يوماً ليملأَ الخندق. فملأَ جانباً منهُ من الموادّ المقذوفة بالآلات. فتيسّر لهم إذ ذاك أن يصدموا أسوار المدينة بضربات المنجنيق مريدين هدمها. وحفروا في الأرض القاماً. وحوّلوا نهر مغدون عن مجراهُ ليجبروا السكّان كي يسلّموا من العطش فيستولوا عليهم. غير انَّهُ خاب أملهم لشدّة بأس أهل المدينة وبسالتهم. ولأَنّ الآبار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والينابيع سدّت عوزهم بمياهها الغزيرة. فآلت أتعابهم سدىً من دون فائدة. فلما رأى ذلك شابور استعان باختراع واسطة أخرى حديثة تذهل العقل مانعاً جَرَيَان النهر عنهم من أعلى المدينة إذ عمل سدّة بين جبلين. ثمّ عمل سدّةً ثانية احكم من الأولى فبقيت المدينة بين سدّتين حتى إذا ثُلمت السدّة الأولى تُحتبس المياه وتحيط بالمدينة كلّها. فبعد أن فُتِحت هذه السدّة اندفقت المياه بشدّة عظيمة وهدمت أسوار المدينة المحاصرة فخرقتها من دون أن تهدمها. فانحصرت المياه في السدّة السفلى وصارت بحيرة طفا عليها الفرس بسفن عديدة وهجموا على المدينة من كل جانب. فدافع الأهالي عن أنفسهم بشجاعة. وجذبوا بكلاليب السفن القريبة من الشاطئ وسحقوا البقيّة برشقهم عليها حجارة عظيمة. وبينما هم في هذه المعركة المهولة انثلمت السدّة السفلى فطفحت المياه وسارت جارية بالسفن مع من فيها وهدمت أيضاً جانبين من أسوار المدينة. فلما رأى شابور افتتاح المدينة ظنّ أنّهُ قد استولى عليها. فأمر عسكرهُ أن يقترب إليها ليدخلها في صباح غدٍ. غير انّ السكّان عندما لاح النهار وتبلّج الصباح تجمّعوا على الأسوار أفواجاً أفواجاً ووقف حالاً الأبطال والشجعان منهم على ثغر السور والثُلَم ازاء الأعداء ومقابلهم مالئين السور بكثرة عددهم لأجل المدافعة والمحاربة كأنّ بهم صاروا سوراً حربيّاً واثقين بالظفر والغلبة ومتّكلين على سرعة استجابة تضرّع اسقفهم إلى الله بشأنهم حيث كان يصلّي في الكنيسة من أجلهم. فدنا الفرس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إليهم بطريق كثير الاوحال. فتركهم أهل المدينة يقتربون إلى أن وصلوا أمام الخندق بقرب الأسوار وكان هناك ساحة فسيحة جدّاً قد حفرت فيها المياه الكثيرة حفرة عميقة وغمرتها. فبينما هم مجتهدون ليخلّصوا أنفسهم من تلك الورطة ضربهم أهل المدينة بحجارة كثيرة سقطت عليهم كالبَرَد. وأثاروا عليهم النيران ونشبوا فيهم الأسهمة. فوقع فيهم بلبال عظيم فالبعض منهم سقطوا على الحضيض مجندلين والبعض أخذوا بالهزيمة ولكنهم لم ينجوا بل انّ الذين قابلوهم من وراء صدّوهم عن الفرار. فباد منهم جمٌّ غفير. والذين قابلوهم سقطوا في الوحل مع خيلهم وآلاتهم الحربيّة والفيلة حتى هلكوا عن آخرهم. فالتزم شابور أن يشير إليهم لينكفّوا عن المحاربة واخّر القتال إلى الغد لتنشف الأرض وييبس الوحل. وفي هذه المدّة الوجيزة ابتنى أهل المدينة سوراً آخر بسرعة لا توصف. فلما شرع شابور يحاربهم أُلجئَ أنّ يكرّ القهقرى قاطعاً أملهُ من الغلبة كما في المرّة الأولى* ويوماً آخر بينما كان مار يعقوب مارّاً على السور ليشجّع شعبهُ رآهُ شابور وظنّ أنّهُ قسطنطيوس ملك الرّوم واشتدّ غيظاً إذ قيل لهُ انهُ ليس الملك قسطنطيوس. فلما تحقّق من الجميع صدق ذلك علم انّها رؤيا وتأكّد لديهِ انّ ذلك الذي رآهُ كان ملاكاً يحمي مدينة نصيبين. وإذ ذاك تزايد فيهِ الغيظ ووصلت بهِ الحماقة إلى أن تجرّأَ ورشق سهامهُ نحو السماء* وكان مار افرام السرياني حينئذٍ في نصيبين تلميذاً لمار يعقوب وطلب إلى معلّمهِ قائلاً: العن شابور وعسكرهُ. ولكنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يعقوب إذ لم يرد هلاك أحدٍ صعد على برج. وأدار وجههُ نحو عسكر الفرس وصلّى قائلاً: أيها الرّب الذي بقدرتهِ يضع كبرياء المتكبّرين. اكسر هذا العسكر بعسكر من يعوض. فاستجاب الله طلبتهُ وظهر حالاً عساكر لا عدد لها من البعّوض حتى ملأَت الجوّ. وكانت تدخل في خراطيم الأفيال وفي مناخير الخيل وآذانها فهاجت الدوابّ وكسّرت لُجُمها. والقت ركّابها وتبدّدت أيدي سبا. فاضطرب العسكر. وفزع شابور فكرّ القهقرى. وولّى هارباً. من قدّام الاله الجبّار الذي لا يقدر أحد على مقاومتهِ. وهكذا تخلّصت المدينة بشفاعة مار يعقوب. وبعد زمان قليل توفّي وقد ترك في خزانة الكنيسة كتباً صنّفها في اللغة السريانيّة تتضمّن علوماً كثيرة وقد فُقِد أكثرها. وكان آباء الكنيسة الأقدمون يعتبرون مار يعقوب النصيبينيّ ويبالغون في مدحهِ*

* اليوم الثاني عشر *

يوئيل النبيّ

هو يوئيل النبيّ الثاني من الأنبياء الصغار الاثني عشر ابن فنوئيل ويُظَنّ انّهُ من سبط روبين. وتنبّأَ في نحو سنة ٧٦٠ قبل المسيح* ولا نعلم شيئاً عن هذا النبيّ سوى أمور قليلة نستدلّ عليها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من سفر نبوَّتهِ وهو صغير. ويبان منهُ انّهُ كان من سكّان يهوذا لأنّ كلّ نبوّاتهِ كانت متّجهة نحو هذه المملكة. فكما أن هوشع كان نبيّ اسرائيل الخصوصيّ هكذا يوئيل كان نبيّ يهوذا. ونبوّات هذا النبيّ مكتوبة بعبارات بليغة كثيرة المعاني والرموز. ومن أجلّ ما أشار إليهِ فيها خراب اليهوديَّة على يد الكلدانيّين وخراب اوشليم على يد الروم. وتنبّأَ على حلول روح القدس وعن انقضاء العالم وعن الدينونة العامّة وانّها تكون في وادي يوشافاط. وبعدما قضى رسالتهُ توفّي. ويوئيل لفظة عبرانيّة معناها مريد او حالف او مبتدئ*

* اليوم الثالث عشر *

مار اوجين اسقف قرطاجنة ورفاقهُ من شهداء ومعترفين

انّهُ بعد موت جنسريك ملك الوندليّين وهم جيل أتوا من بلاد الشمال وتملّكوا على افريقيّة. تخلّف لهُ ابنهُ البكر هونريك. فهذا في فاتحة أمرهِ أظهر مودّة للمسيحيّين واذن في نصب اسقف على قرطاجنة بحسب طلبة ملك الروم زينون. وكانت قرطاجنة مدينة ذات شهرة في افريقيّة. ولم يكن فيها أسقف منذ أربع وعشرين سنة لسبب الاضطهاد الذي كان قد أصاب الكاثوليكيّين من الاريوسيّين الذين هناك لأن ملك الوندليّين واغلب قومهِ كانوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على هذا المذهب. فأُقيم مار اوجين اسقفاً على هذه المدينة. وكان رجلاً بارّاً أمام الله وذا خير للناس. ففرح بهِ أهل قرطاجنة وأحبوهُ وهو أيضاً أحبّهم حتى انّهُ كان يودّ أن يبذل نفسهُ دونهم. وكان شفوقاً على الفقراء. وكلّما أتاهُ شيء وزّعهُ عليهم حالاً. ولأنّ الوندليّين كانوا قد سلبوا أموال الكاثوليك وتركوهم في فاقة يرثى لها فكان مار اوجين لا يبرح من اسعافهم بسخاءٍ وجودٍ لا مثل لهُ. ولم يكن يُعرَف من أين كانت لهُ هذه الدراهم الكثيرة. فلم يكن إذاً ذلك الاّ اعجوبة فريدة* ولشهرة فضائلهِ وسموّ مناقبهِ حسدهُ الأساقفة الاريوسيّون ووشوا بهِ عند الملك واتّهموهُ بتهمات كثيرة وحمّلوا عليهِ الملك حتى انّهُ نهاهُ عن ان يجلس في كرسيّهِ الاسقفيّ ويخطب الشعب وعن أن يقبل في كنيستهِ أحداً من قوم الوندليّين الكاثوليكيّين. فأجاب الأسقف وقال للملك برسالةٍ كتبها إليهِ: انّ الله يأمرني أن لا أغلق باب الكنيسة في وجه من يريد أن يعبدهُ فيها. فاغتاظ الملك وشرع يضطهد الكاثوليكيّين بأنواعٍ كثيرة ولا سيما الوندليّين الذين كانوا يعترفون بالايمان الصحيح ووضع جنداً على أبواب الكنائس. وأمرهم كلّما رأوا أحداً من الوندليّين يدخل الكنيسة. فليجرّوهُ من شعر رأسهِ بآلة حديديّة حتّى ينقلع شعرهُ وجلدة رأسهِ. غير انّ هذا الاضطهاد القاسي لم يزعزع ثبات الكاثوليكيّين بل بقوا متمسّكين بدينهم. وكان مار اوجين يعضدهم ويشجّعهم بصلواتهِ وارشاداتهِ ويزورهم معزّياً ايّاهم ومثبّتاً اركان الدين فيهم ومنعشاً عزائمهم لكيلا يفشلوا بضيقاتهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الغير المحتملة وكان يحرّضهم أن يدمنوا على الهذيذ بنباهة في الأمور السماويّة. وهذا ممّا كان يوطّد رجاءَهم في الحصول على أفراح النعيم ويجعلهم أن يستهونوا كلّ ما من شأنهِ أن يعيقهم عن غايتهم هذه. وكانت بغضة الملك هونرَيك للكاثوليكيّين تزداد يوماً فيوماً حتّى بلغت بهِ إلى أنّهُ طرد كثيرين من بيوتهم وأخذ أموالهم ونفى أربعة آلاف وتسعماية وستّة وسبعين رجلاً من أساقفة وكهنة وشمامسة وعلمانيّين. وكان البعض منهم مصابين بالأمراض وبعضهم شيوخاً متقدّمين في السنّ بحيث لم يستطيعوا على المشي. ومن جملة هولاء كان القديس سعيد أحد أساقفة المملكة. فلمّا التُمس من الملك كي يشفق على الأقلّ على هذا الأسقف ذي الشيبة المهابة. أجاب بقساوة قائلاً ان لم يقدر سعيد على المسير برجليهِ إلى المحلّ الذي عيّنتهُ لهُ فليُرْبَط بزوج ثيران وليُسحَب قهراً إلى هناك. فيا ترى من يقدر أن يصف ما تحمّلهُ هولاء الشهداء القديسون من الأوجاع والعذابات في الطريق. وما تكبّدوهُ من ألم الجوع والعطش فضلاً عن الاهانات التي ألحقها بهم ذاك القوم البربريّ الذي كان يصادفهم عند مرورهم. ومن يستطيع أن يعبّر عن تجلّد وثبات جنانهم مع ما كابدوهُ ببسالة من الاضطهاد المربع* وحينما رحل لفيف الشهداء القدّيسين تبعهم النساء مع أولادهنّ كي يقتفوا آثار هولاء المعترفين بالايمان المستقيم ويماثلوهم ويشتركوا معهم في الاستشهاد ويتمتّعوا صحبتهم بالمجد الغير الفاني. هذا وانّ الشيوخ احبّوا أيضاً أن لا يفارقوا جنود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يسوع المسيح السعداء فمع ضعف قواهم تبعوهم ماشين. وقد رافق هولاء المنفيّين أيضاً أهل قرطاجنة ذارفين الدموع وهم يقولون للأساقفة والقسوس: آه يا آباءَنا من يعمّذ أولادنا ومن يحلّنا من خطايانا ومن يدفننا بعد موتنا. ومن يقدّس الذبيحة الإلهيّة عنّا. ليتنا نمضي معكم* وفي الاضطهاد الأوّل لم يكن مار اوجين من جملة المنفيّين فداوم يشجّع المومنين ويضرم فيهم نيران شوق الاستشهاد. وفي شهر أيّار سنة ٤٨٣ أرسل الملك إليهِ يأمرهُ بالحضور هو وقومهُ الكاثوليكيّ للجدال مع الأساقفة الاريوسيّين في محفل يُعقَد في اليوم الأول من شهر شباط. وإذ كان مار اوجين يعلم انّ أعداء الايمان سيكونون هم القضاة قال للملك: لمّا كانت هذه المصلحة عامّة تهمّ جميع الكنائس يجب أن يحضر في الجدال بعض من شيوخ الكنيسة الرومانيّة بما انّها امّ الكنائس كلّها. امّا هونريك فلبث مصرّاً على اجراء أمره بحقّهم. غير انَّ الله جلّت احكامهُ الالهيّة لا يزال يعزّي اصفياءَهُ وأحبّاءَهُ في وقت المحن والضيقات ويقوّي عزمهم ليتمكّنوا في ايمانهم المقدّس* واتّفق انّهُ كان في المدينة رجلٌ أعمى اسمهُ سعيد. فهذا جاء إلى مار اوجين وتوسّل إليهِ أن يردّ لهُ بصرهُ. لأنّهُ أُخبر برويا انّ اوجين القدّيس هو الذي يشفيهِ. فلم يُجب مار اوجين إلى طلبتهِ. ولكنّهُ لما علم انّ الله أرسلهُ إليهِ. اضطرّ ان يفعل ذلك. وكان ذلك في يوم عيد الدنح. فبعد ان بارك أجران المعموديّة حسب عادة الكنيسة قال للأعمى: قد قلتُ لك انّي رجل خاطئ وارذل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الناس. ولكنّي أسأل الله أن يصنع معك كحسب ايمانك ويردّ إليك البصر. وبقولهِ هذه الكلمات رسم علامة الصليب على عينيهِ فابصر الأعمى في الحال. فشاعت هذه الكرامة في كلّ المدينة. وبلغت مسامع الملك. فارسل الملك واحضر سعيداً لكي يتحقّقها منهُ. وبعدما امتحنهُ بسؤالات كثيرة. تأكّد صدقها. ولكنّ الأساقفة الاريوسيّين اقنعوهُ بانّ اوجين عمل ذلك بقوّة السحر* ولمّا كان اليوم الأوّل من شهر شباط حضر كثيرون من الأساقفة الكاثوليكيّين واجتمعوا في قرطاجنة ليحضروا المحاورة. امّا هونريك فلكي يُفزعهم ويرخي عزمهم قبض على الأسقف ليتوس الذي هو أكثرهم علماً. وأمر بشراستهٍ وحشيّة أن يُحرَق في وسط المدينة وهو حيّ. فمع ذلك كلّهِ لم يخامر الفزع أصلاً قلب اوجين والأساقفة والشعب برمّتهِ. ولا ارتخى عزمهم المكين المستند على نعمة الله. فعُقد محفل الجدال بين الاريوسيّين والكاثوليكيّين. وكان الكاثوليكيّون قد أقاموا عشرة منهم ليتكلّموا عن الباقين. وكان مقدّم الاريوسيّين رجلاً يُدعى قورلاّ. فهذا جعل أن يحملوهُ في كرسيّ عالٍ مدّعياً انّهُ رئيس المحفل كلّهِ والقاضي عليهِ. وأوقفوا حينئذٍ كلّ الأساقفة الكاثوليكييّن أمامهُ في المحفل. فتشكّى الكاثوليكيّون وقالوا: بأيّ حقّ يدّعي قورلاّ بهذه المرتبة وهذه الحكومة. والحّوا على الاريوسيّين أن يباشروا بالجدال. أما الأريوسيّون فمن حيث لم يكن في وسعهم اعطاء الجواب أخذوا يضربونهم بالعصي. فعند ذلك صرخ مار اوجين قائلاً: يا الله انظر إلى الظلم الذي يعاملوننا بهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وإلى الاضطهاد الذي نقاسيهِ. فحدث حينئذٍ شغب واضطراب عظيم في ذلك المحفل* ثم ان الاريوسيين لعجزهم كفّوا يداً عن المحاورة وأبطلوا المجادلة وذهبوا وحمّلوا الملك بحججٍ واهية على التصديق بأنّ الكاثوليكيّين جبرونا على ذلك. أمّا مار اوجين فإذ كان عارفاً دسيستهم اتّجه رأساً نحو الملك وقدّم لهُ خطّاً موضّحاً فيهِ بنوع عجيب صورة ايمانهِ في ما يخصّ الثالوث الأقدس* غير انّ هونريك جدّد الأمر ثانيةً باضطهاد الكاثوليكيين عموماً وخصوصاً. فطردوا الاقليرس من المدن ومنعوهم من القيام بوظيفتهم في تلك البلاد. وفي مدينة توفاس قطعوا السن وأيدي الكاثوليكيّين الذين كانوا حاضرين في أحد البيوت لاستماع القدّاس الإلهيّ. ولكنّهم بقوّة روح القدس حفظوا صحّة التكلّم وهم مقطوعوا الألسن. وفي ذلك كان يقول وكتور أسقف افريقية الذي روى هذا الاضطهاد: من شكّ في حقيقة ذلك فليذهب إلى القسطنطينيّة فيجد هناك شمّاساً اسمهُ رُبَراتُس فانهُ كان من المعترفين بايمان المسيح في هذا الاضطهاد وقُطع لسانهُ. والآن يتكلّم فصيحاً بدون لسان. وكان هذا الشماس معتبراً عند الملك زينون* قال اناوس الفيلسوف الافلاطونيّ الذي كان في ذلك الزمان في القسطنطينيّة أنّهُ رأى وسمع أولئك الكاثوليكيين المقطوعي الألسن يتكلمون بأفصح لسان. ولمّا فتحوا أفواههم قدّامهُ ورأى ألسنتهم مقطوعة من أصلها تعجّب كيف يتكلّمون وكيف لم يموتوا من ذلك العذاب* أمّا القديس اوجين والأسقفين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وغديميالوس ولونجانوس فقد أُخِّر نفيهم لأنّ الجميع كانوا يوقّرونهم. ولم تزل تجري على أيديهم الكرامات العظيمة والعجائب الباهرة. فأراد حينئذٍ قورلاّ رئيس الاريوسيّين أن ينزع عنهم حسداً المجد الحاصل لهم ويخفض قدرهم واعتبارهم. فعزم أن يصنع آيةً كاذبة ليغوي جمعاً كبيراً من الشعب ابتغاء جلب القلوب إليهِ. فاتّفق خفيةً مع فقير متسوّل واعطاهُ خمسين قطعة ذهب على أن يتظاهر بأنّهُ أعمى كفيف البصر ويتأَوّه بتأَسّف وهو جالس على قارعة الطريق في مكان مشتهر حيث كان مزمعاً ان يمرّ قورلاّ من هناك كيما يتسوَّل ويلتجئ بأنين أن يلمس عينيهِ بيدهِ باسم الله ليردّ لهُ البصر. فبعد أن دبَّر الأمر هكذا اصطحب معهُ الاحبار الثلاثة المومى إليهم وأظهر كانّهُ يمرّ صدفةً من حيث كان الأعمى الكذّاب. فشرع الأعمى يصرخ بتولول قائلاً: انصت إليَّ أيها الطوباويّ قورلاَّ. واغشني مستجيباً يا كاهن الله القديس وتحنَّن على عماي. واجعلني أهلاً ان احسّ بالقوّة التي خوّلك ايّاها الله والتي أُختُبِرَت في كثيرين من البرص والمقعدين والموتى. فلمّا اطرقت هذه الالتماسات مسامع قورلاّ الهرطوقيّ وقف شاخصاً ونظر بعُجب متبيّناً في الجماعة الكبيرة التي حولهُ واقترب من الأعمى وصرخ بصوتٍ عالٍ: لتنفتح عيناك في هذه الساعة اثباتاً لايماني الحقيقيّ الذي أنا مُعتقد بهِ. فحالما تلفّظ بهذا التجديف أَضحى مخذولاً وانفضح عملهُ الزوريّ إِذ ان الله تعالى أخزى طغيانهُ وكفرهُ بضربهِ حالاً الأعمى المخادع بعمىً حقيقيّ. فاصابهُ وجع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليمُ جدّاً وأخذ الشقّي يعطي الويل لنفسهِ ويعجّ صارخاً بأصواتٍ مرّة أفزعت الشعب الملتئم عمداً بمشورة قورلاّ ليكون شاهداً على هذه الأعجوبة الكاذبة. غير أنّ شدة الوجع وفقدان نظر المتعامي اظهرا غشوش وكفران قورلاّ الخدّاع. ثمّ إنّ الأعمى ناداهُ قائلاً: يا مرائي أَردتَ أن تخدع الناس فاخزاك الله بطغيانك. أنت تقاولت معي لاتعامى وادّعيت بأن تردّ لي البصر. وأنت سلبتهُ منّي جالباً إليَّ العمى فخذ الفضّة التي أعطيتنيها وردّ اليَّ نور عينيّ* وبما انّ الله سبحانهُ أراد أَن يظهر صحّة الاعتقاد الكاثوليكيّ أَلهم الأعمى بأن يتّجه إلى القدّيس اوجين ويلتجئ إليهِ ليتحنّن عليهِ ويغيثهُ. فأجابهُ اوجين: إن كان لك ايمان فكلّ شي ممكن للمؤمن فجاوبهُ الأعمى: أنا اومن باله واحد في ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس. وان وُجد أحدٌ لم يؤمن بهذا الايمان الحقيقي فليكابد الوجع الذي أنا أُقاسيهِ الآن. فحينئذٍ وضع الأساقفة أيديهم الطاهرة على راس الأعمى وباركهُ القديس اوجين وهو قائل: فلتنفتح عيناك باسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد في ثلاثة أقانيم متساويين بالقدرة والجبرؤوت. ففي الحال نال الأعمى البصر ورُدَّ إليهِ نور عينيهِ وزال عنهُ ذاك المرض المؤلم وشُفي. ومن جراء هذه الأعجوبة الباهرة التبس الخجل والخزي الاريوسيين كافّةً. واغتاظ هونريك غيظاً شديداً على الأساقفة الثلاثة الكرام وأصدر أمراً بتعذيب الأسقفين أوّلاً وغديميالوس ولونجانوس. وحكم عليهما بعذاب مؤلم جدّاً. فبعد أن كووا جسديهما الطاهرين بجمر من نارٍ متَّقدة مزّقوهما بأظفارٍ حديديّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ قطعوا رأسيهما. أمّا اوجين فأُرسل إلى المنفى إلى محلّ قريب من طرابلس وهناك قاسى عذابات أشدّ مرارة من الموت. وحينما كان محبوساً في سجن مظلم ضيّق كان يكاتب المومنين من أهل قرطاجنة ويحثّهم على أن يثبتوا معترفين بالايمان الكاثوليكي ويشجّعهم ليُكابدوا ببسالةٍ العذابات حتّى الموت. وهاك بعض ما حرّرهُ لهم. اطلب منكم وأنا ذارف الدموع واقسم عليكم بحقّ يوم الدينونة المرهوب وبحقّ جلال ظهور المسيح ان تمكثوا ثابتين ومصمّمين على الاعتراف بالايمان الكاثوليكي. صوموا وصلّوا لأجلي لأنّ الصوم والصدقة همّدا في كل زمان غضب الله. واذكروا على الخصوص ما هو مكتوب: بأنّهُ لا يسوغ لنا أن نخاف ولا أن نرهب من الذين يقتلون الجسد* هذا وانّ الأسقف القدّيس انصبّ منعكفاً بالكليّة على التقشّف والصلوة ليجلب وينال النعم الالهيّة لشعبهِ. وبقي ماكثاً في السجن إلى موت هونريك الكافر الذي ضُرِبَ بآكلةٍ مهولة وقرضت الديدان لحمانهُ وهو حيّ. وكان لشدّة أَلمهِ وغيظهِ يمزّق أعضاءَهُ وينهشها إلى أن خرجت أمعاؤهُ من بطنهِ ومات ميتة شقيّة كآريوس الملحد لسبب انّهُ أضحى محامياً لتعليمهِ الفاسد* فإذ ذاك أُرجع مار اوجين من النفي إلى كنيسة قرطاجنة سنة ٤٨٧. وبقوّة صلواتهِ المستجابة وأعمالهِ المبرورة فُتحت الكنائس وَرُدَّ كهنة الربّ من المنفى فحصل الامن والسلام مدّة يسيرة. غير انّ الملك الذي قام خليفةً لهونريك وكان يُدعى تراسيمُند افتتح اضطهاداً جديداً نحو الكهنة والأساقفة. ونفى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مار اوجين إلى مدينة أَلْبي في فرنسا. وهناك تغمّد الله عبدهُ الأمين الذي حارب عن ايمان الكنيسة المقدّسة بكلّ جهدٍ وعناءٍ وتوفّاهُ في اليوم الثالث عشر من شهر تموز سنة ٥٠٥ ونقلهُ إليهِ ليضاعف لهُ الجزاء عن أعمالهِ ويضفر لهُ اكليل الشهداء والمعترفين الذي استحقّهُ في جهادهِ* وناهيك انّ هذا القديس قد حُكِم عليهِ بالموت واستُلّ السيف على رأسهِ مرّتين مع انّ هونريك وتراسيمُند الملكين الفظّين الظالمين أرادا أن ينزعا عنهُ اكليل الاستشهاد إذ أمرا السيَّاف أن يسأل مار اوجين عندما احنى عنقهُ للسيف هل هو عازم في قلبهِ أن يموت من أجل الايمان الكاثوليكي. وفي كلتا المرّتين جاوب القدّيس بأن الموت لأجل الايمان ربح عظيم لديهِ. لأَن من يموت من أجل الحقّ يحيا حيوة أبديَّة. وفي كلّ من هاتين المرّتين رفع السيّاف يدهُ وامتنع عن ضَرْب عنق القدّيس اوجين. فأُرسل إلى المنفى ومات بالحقيقة شهيداً أمام الله والكنيسة المقدّسة*

* اليوم الرابع عشر *

مار بوناونتورا الكردينال أسقف مدينة البانو الملفان

انّ الحبر القدّيس معلّم الكنيسة السرافيّ مار بوناونتورا فخر رهبنة مار فرنسيس وُلد سنة ١٢٢١ في مدينة صغيرة من أعمال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تُسقانا تسمّى بنغاريا. وكان اسم أبيهِ يوحنّا فيدنزا. واسم أمّهِ ريتلّي. وكانا شريفين في الحسب والنسب وفائقين بالفضائل المسيحيّة. وفي حين ميلادهِ أصابهُ مرض مخطر حتّى يئس الأطباء منهُ. فالتجأت أمّهُ إلى الله وانطلقت عند مار فرنسيس وطلبت إليهِ أن يصلّي على ابنها. ووعدتهُ إِن شُفي ابنها تلبسهُ ثياب رهبنة أخوة مار فرنسيس* فاستجاب الله طلبتها. وشفى ابنها وبعدما نقه من المرض بزمن قليل جاء مار فرنسيس الاسيسي إلى مدينة بنغاريا وزار هذهِ العائلة التقيّة. فحالما وقع نظرهُ على الولد الصغير وتفرّس بهِ تهلّل في نفسهِ لما عاين ولحظ بهِ من إِمارات البهاء الملاكيّ اللائح على وجههِ. وأُوحي إليهِ ما هو مزمع أن يكون من هذا الصبيّ. فاستنار بالهام إلهيّ وأخبر معلناً عن العظمة التي سوف يحصل عليها يوحنّا الصغير. ولم يتمالك نفسهُ من أن هتف باللّغة الايطاليّة يا لهُ من حظّ سعيد (يا بونا افانتورا أي النصيب الصالح) وبكلمات هذا القديس النبويّة سُمّي الولد بهذا الاسم. ولم يعد يُدعى فيما بعد باسم يوحنّا بل باسم بوناونتورا. ومرّنتهُ أُمّهُ وثقّفتهُ ملقِّنةً ايّاهُ ليتمسّك بالله تعالى الذي ردّهُ إلى الحيوة وان يعرفهُ حق المعرفة ويمارس فضيلتي التواضع والطاعة بخلوص القلب والإرادة الصالحة. وان يمقت العالم ولذّاتهِ الكاذبة مستسمجاً أغواءهُ التي لا طائل تحتها. ونابذاً من أقصى تصوّر فكرهِ خدائعهُ الماكرة. وكارهاً خزعبلات غرورهِ التي هي ظلّ الحيوة الحقيقيّة المزمعة الثابتة مع الكفران بالذّات ابتغاء الكمال المسيحي الحقيقيّ واقتفاءً بآثار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المخلّص يسوع المسيح* ولمّا نشأَ هذا بوناونتورا تربّى في سرير العلوم والتقوى. ومع انصبابهِ على الدرس تلألأَ بالفضيلة فأصبح فائقاً بتقواهُ وطهارتهِ بنوع خارق الوصف. وذلك من فضل حماية ملكة السماء التي كان متعبّداً لها تعبّداً قلبيّاً تعجز الألسن عن وصفهِ* ولمّا صار عمرهُ اثنتين وعشرين سنة حان الزمان الذي فيهِ كان يجب أن يوفي نذر أمّهِ لله بشان دخولهِ في رهبنة مار فرنسيس. فكان يحسّ في قلبهِ بانّ الله يدعوهُ إلى خدمتهِ في هذه الرهبنة. فدخل فيها وصار هذا المبتدئ الحديث يحترم قانون الرهبنة ويعتبرهُ غاية الاعتبار مشاهداً فيهِ إرادة الله. غير مستصعب ولا مستخفّ بشيءٍ بتّةً. وكان يصغي بشوقٍ ورغبة إلى كلّ الأقوال والتنبيهات مجتهداً بأن لا يتعدّى ولا يثلم أصغرها. وكان متّحداً بالربّ اتحاداً عجيباً. ومكثراً التأمل بحياة الفادي الإلهيّ. منتقلاً بالورح إلى مذود بيت لحم ومتتبّعاً العائلة المقدّسة إلى أرض مصر والناصرة. وناصتاً إلى عظات يسوع الخلاصيّة ومشاركاً ايّاهُ في كلٍّ من أوجاعهِ وآلامهِ المرّة وموتهِ القاسي على الصليب. هذا وانّ أعمالهُ كانت كلّها مقترنة بالاحتشام والتواضع العميق. فكان يودّ أن يكون أحطّ الرهبان اخوتهِ رتبةً وقدراً فضلاً عن انّهُ كان يحترمهم كما يحترم الروساء ويتوقّى طفيف الشرّ وخيالهِ في كلّ الظروف. وكان يحتسب نفسهُ سعيداً كلّما أمكنهُ تكميل الوظائف المزدرى بها والحقيرة جدّاً. ولا يزال يكرّر بصريح اللّفظ ويقول: إنّ الفضيلة العظمى للراهب هي التواضع ومن دون هذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفضيلة لا يستطيع أحد نوال فضيلة ما اصلاً حتى ولا يمكنهُ ان يحافظ على القداسة ويحصل على الكمال. وكان يشدّد الضعفاء من أخوتهِ ويحثّهم بأقوالهِ الجليلة على الثبات في حمل نير يسوع المسيح الطيّب وبعد أن نذر نذرهُ بزمنٍ وجيز أرسلهُ روساؤهُ إلى باريس ليكمّل دروسهُ فيها. فانطلق إلى هناك وكانت تلك المدينة حينئذٍ مركز العلوم في أوروبا. وقرأَ هناك علم اللاّهوت عند معلّم مشهور يقال لهُ الكسندر. ولحذاقة عقلهِ وانصبابهِ على الدرس المقترن بالصلوة والتأمل أمام المسيح المصلوب أصبح لاهوتيّاً عظيماً. وصار يحاذي مار توما اللاّهوتيّ الذي كان حينئذٍ في رهبنة الأخوة الواعظين. وقُلِّد كلاهما سويّةً وظيفة معلّمين في اللاهوت. ومع القيام باهتمامات الفروض واعباء التعليم كان يصرف مار بوناونتورا ساعات غير قليلة في خدمة المرضى كما كان يصنع في مدّة درسهِ العلوم. وبمقدار ما كان مرضهم صعب عضال بمقدار ذلك كان يزداد همّة في خدمتهم ومداراتهم بمحبّة. وفي كلّ ذلك كان يبيّن نفسهُ انّهُ خالٍ عن كلّ اهتمام ومعاطاة. ومع ذلك كلّهِ فانّ ممارستهُ أعمال المحبّة لم تُعِقْهُ عن التعليم. لأنّهُ لمّا كان يصعد على المنبر ليفسّر الكتب المقدسة كان يخطف قلوب سامعيهِ ويدهش عقول تلاميذهِ بايضاحاتهِ الجليلة وسموّ علمهِ الفائق* وذات يوم دخل عندهُ صديقهُ مار توما اللاّهوتي وطلب إليهِ أن يريهُ الكتب التي كان يطالعها فأراهُ اثنين أو ثلاثة. فقال لهُ مار توما أَرِني الكتب الأخرى النفيسة التي اقتبستَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منها كلّ هذا العلم الزاخر. فأَومأَ بوناونتورا بيدهِ إلى صورة المصلوب المعلَّقة أمامهُ قائلاً: تأكّد يا أبي اجني ثمار عظاتي وتصانيفي من هذا الكتاب السماويّ. لأنّي أدرس في يسوع المصلوب* ويوماً آخر أتى ليزورهُ فرآهُ يكتب سيرة مار فرنسيس. فلم يُرِد أن يدخل عليهِ. ورجع قائلاً: لندع القديس يشتغل لقدّيس آخر* وكان يبيّن انّ ربّنا يسوع المسيح قد وهب للكنيسة هذين القدّيسَيْن في زمان واحد وفي مكان واحد لكي يكونا عمودين للكنيسة يدفعان عنها هجمات أناس ضالّين أشرار ظهروا في مدرسة باريس وكانوا يقاومون رهبنتَي مار فرنسيس ومار عبد الأحد. ومن جملة هولاء المقاومين كان رجل عالم يدعى جيررد. فهذا صنّف كتاباً ذمّ فيهِ الرهبان وهجا فضيلة الفقر. فصنّف مار بوناونتورا كتاباً في الردّ عليهِ سمّاهُ الاحتجاج عن الفقراء. وفيهِ فنّد آراء جيررد الباطلة* وشاع صيت حكمة بوناونتورا وفطنتهِ في كلّ مكان حتى صار الأساقفة وكلّ روساء الرهبنات يستشيرونهُ في أهمّ أمورهم. وكانت آراؤهُ سديدة. وكان الجميع يقبلون مشوراتهِ كأنّها مشورات ملاك. وكان في ذلك الزمان مار لويس ملكاً على فرنسا. فهذا الملك القديس جعل القدّيسَيْن توما اللاهوتي وبوناونتورا مُشِيرَيْهِ الخصوصيَّين. وكانت صداقتهما عزيزة عليهِ* ولمّا علم البابا اقليميس الرّابع بقداسة مار بوناونتورا وسموّ تعاليمهِ أراد أن يرسمهُ مطراناً على مدينة يُرْك في انكلترّة. فأبى تواضعاً قبول هذهِ المرتبة العالية التي كان يحسب نفسهُ غير أهلٍ لها. وتوسّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى الحبر الأعظم أن يتركهُ كي يعيش في الفقر الإنجيليّ ويخدم الكنيسة في درس الكتب المقدّسة. فخلّى البابا سبيلهُ لأجل المنافع التي كانت تحصل للكنيسة بتعاليمهِ الفائقة وتصانيفهِ البديعة*

ولمّا مات رئيس رهبنة مار فرنسيس العامّ نُصب مار بوناونتورا رئيساً عامّاً برضى الرهبنة كلّها. وكان عُمرهُ حينئذٍ خمساً وثلاثين سنة ولم يرد أن يقبل هذه الوظيفة لتواضعهِ. ولكنّهُ أخيراً فضّل الطاعة لله وللبابا على التواضع. فانطلق إلى روميّة واحنى عنقهُ لهذا النير الثقيل* وكان يدبّر رهبنتهُ بالتواضع والحلم والفطنة والغيرة على حفظ القانون. وأعمالهُ الكثيرة لم تكن تشغلهُ عن الصلوة والدرس والتصنيف. ومنذ نُصب رئيساً عامّاً وضع رهبنتهُ تحت حماية السيدة العذراء التي كان قد اتخذها لهُ شفيعة منذ بدء أمرهِ. وكان يحثّ رهبانهُ أن يكرزوا دائماً بمديحها ويحركوا القلوب لعبادتها. وأنشأ في روميّة أخويّة لعبادتها وصنّف أناشيد كثيرة في مدحها* وكان منشغفاً بحبّ القربان المقدّس. ودونك ما تفوّه بخصوص هذا السرّ الشريف معرباً عن عمق أفكارهِ ذات المعاني السامية إذ قال: لو سلبتم ونزعتم من الكنيسة الكاثوليكيّة سرّ الاوخرستيّا لما بقي في العالم سوى الضلال وظلام الكفر. ولرأيتم حينئذٍ الشعب المسيحيّ بحالةٍ مضمحلّة يتسكّعُ في ديجور التيه كقطيع مبدَّد لا رابط لهُ غائصاً ومتلّوثاً في عبادة الأوثان مساوياً الشعوب الوثنيّين والغير المومنين. غير انّهُ بقوّة هذا السرّ تتمكّن الكنيسة المقدّسة وتثبت في الايمان وبهِ تُحفَظ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ديانة المسيح وتُصان وتدوم شبوبيّتها إذ تتجدّد على الدوام. وتثبت عبادة الله حاصلةً على قوّتها الغير المغلوبة بما أنّ المخلّص الإلهي اوعز إلى ذلك بقولهِ: انّي معكم إلى انقضاء الدهور* ثمّ لدى بحثهِ عمّا يخصّ تناول هذا السرّ المقدّس بيّن موضحّاً لنا بعض نيّاتٍ تستميل شوقنا إليهِ. وحثّ كلّ فرد من المومنين أن ينويها عند دنوّهِ من هذا السرّ الطاهر. وهذا ما نطق بهِ بعبارات سامية قائلاً هكذا: أيّها المسيحيّ ليكن الله موضوع كل مسرّاتك وأشواقك. واقتبلهُ بالانعطافات الودّية والشعائر الحبيَّة عندما تدنو من جلالة هذهِ الأسرار المقدسة. لقد يمكنك أن تقتبلهُ وأنت ناوٍ نيّةً ما خصوصيّة في قلبك وذلك امّا لأجل غفران ذنوبك وأوزارك التي تتطهّر بالذبيحة الإلهيّة. وامّا لتتمكّن من المثول أمام يسوع وأنت محرّك نفسك إلى الهذيذ والتأمّل في أسقامك كونهُ هو الطبيب الفريد والمخلّص الوحيد الذي يسند ويقوّي ضعفك. أو لتقودك أثقالك وشدايدك إلى من يقدر أن ينجّيك من كل مصيبة وينجدك من كلّ ضيقةٍ تلمّ بك. ويحميك من كلّ بلاء ويفرّج عنك الكآبة والأحزان. وان شئت فاقصدهُ تمجيداً لاسمهِ تعالى وتفخيماً لقدّيسيهِ. ويمكنك أيضاً ان توافيهُ موجّهاً لهُ الحبّ والانعطاف لكي بعد أن تكون قد اتّحدت اتّحاداً قلبيّاً في التناول الطاهر تعتنقهُ حقّاً وأنت منشغف لذّةً وصبابةً داخل نفسك. أو اذهب إليهِ وأنت مولع وظمآن شوقاً لتسدي لهُ الشكر. وبادِهِ بغرام حبٍّ مضطرم لتتنقّى من كلّ أَدران الرّوح والجسد ولتُنقَذ من كل الأخطار. وغبّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ان تُفعَم وتؤيَّد بالمعونات التي تنتصر بها على التجارب كافّة. تتّحد يسوع المسيح مخلصك اتّحاداً غير ممكن انفصالهُ* وكان بين الرهبان راهب يدعى جلِّس. فهذا إذ كان ذات يوم يتخاطب مع مار بوناونتورا قال لهُ: يا أبي لقد أنعم الله عليك باحسانات كثيرة. امّا نحن الجهّال فكيف نقدر ان ننال شيئاً من جودتهِ ونبلغ إلى الخلاص. فأجابهُ القديس: لو كان الله لا يمنح الإنسان سوى نعمة واحدة وهي أن يحبَّهُ فقط لكان ذلك كافياً لخلاصهِ واعظم كنزلهُ. فقال جلّس: إِذَن يقدر رجل جاهل لا يحسن القراءَة والكتابة. ان يحبّ الله مثلما يحبّهُ رجل علاّمة. قال لهُ بوناونتورا: نعم يقدر. بل انّ امرأة صالحة تقدر أن تحبّ الله أكثر من العلماء المشتهرين في الإِلهيّات. فطار عقل جلِّس فرحاً عند سماعهِ هذهِ الكلمات وأسرع إلى باب البستان الذي يشرف على طريق روميّة وشرع يصرخ ويقول: تعالوا كلّكم أيها الرجال العاميّون الذين لا يحسنون العلوم. تعالينَ أيتها النساء الصالحات. تعالوا كلّكم واحبّوا الله فانكم تقدرون ان تحبّوهُ مثل أبينا بوناونتورا وسائر اللاهوتيّين وأكثر. وعند ذلك غاب هذا الراهب الصّالح عن حواسّهِ مدّة ثلاث ساعات* وغبّ ذلك نصب الحبر الأعظم مار غريغوريوس العاشر مار بوناونتورا كردينالاً ورسمهُ مطراناً. وأمرهُ أن يستعدّ ليخطب في المجمع العامّ الذي التأَم في مدينة لغدون أو ليون لالقاء الصلح بين الرّوم واللاتينيّين ولتخليص الأرض المقدّسة من أيدي الغير المومنين الذين كانوا قد استولوا عليها* ثمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ البابا اصطحب معهُ مار بوناونتورا ومار توما اللاّهوتي إلى ذلك المجمع لكي يحلاّ مشاكل الروم. فمات مار توما في الطريق وامّا مار بوناونتورا فوصل إلى ليون مع البابا وانفتح المجمع في اليوم السابع من شهر أيّار سنة ١٢٧٤ وجلس بوناونتورا إلى جانب الحبر الأعظم. فأمرهُ أن يخطب هو أوّلاً على أهل المجمع وقد حضر فيهِ ملوك وخمسمائة أسقف وسبعون رئيس دير وقسوس كثيرون. فشرع هذا القدّيس العلاّمة يجادل ايّمة الرّوم حتى استمالهم بحلمهِ. واقنعهم بقوّة براهينهِ ان يرفضوا شقاقهم واضاليلهم ويطيعوا البابا ويرجعوا إلى حضن أمّهم الكنيسة المقدّسة. ففرح الحبر الأعظم بهذا النجاح وشكراً لله قدّس يوم عيد القدّيسين بطرس وبولس قداساً احتفاليّاً وامر أن يُقرأَ الإنجيل في اللغة اليونانيّة واللغة اللاتينيّة* وحينئذٍ خطب مار بوناونتورا خطبةً سامية في اتّحاد الايمان والكنيسة وفي هذا القدّاس الاحتفالي نفسهِ رنّموا قانون الرسل في اللّغتين اليونانيّة واللاتينيّة* ولبيان صلح الروم مع الكنيسة واثبات حقيقة انبثاق روح القدس من الآب والابن لا من الآب فقط كما كان يزعم الروم كرّروا في قانون الرسل ثلاث مرَّات هذه الكلمات وهي «المنبثق من الآب والابن» وقبل أن ينفضّ هذا المجمع أصاب مار بوناونتورا مرض قويٌّ. فعلم ان قد دنا أَجَلُهُ وانقضت رسالتهُ على الأرض. فأخذ يستعدّ للعبور من الدنيا إلى الآخرة. وكانت قوى جسدهِ تضعف شيئاً فشيئاً. ولكن نفسهُ كانت تتقوّى ناظرةً أمامها الأجيال الدهريّة. ولمّا دنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يومهُ أخذ الزوّادة الأخيرة وسلّم نفسهُ إلى الله في اليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة ١٢٨٤*

* اليوم الخامس عشر *

جهاد مار قرياقوس وامّهِ يوليطي الشهيدَين

انَّ القدّيسة يوليطي كانت من مدينة ايقونيّة من أعمال لوقاونيّة وكانت من سلالة الملوك في عهد ديوقلطيانس قيصر. وكان لها ابن وحيد يُدعى قرياقوس. عمرهُ ثلاث سنين حين ترمَّلت يوليطي بموت أبيهِ الذي كان قائد جيش. وحدث في ذلك الزمان في مدينة ايقونيّة اضطهاد عظيم على النصارى. فتركت يوليطي أموالها وأملاكها وعشيرتها وأخذت ابنها قرياقوس وخادمتَين. لها وهربت إلى مدينة سلوقيّة. ولم تقدر أن تسكن فيها لأنّ النصارى هناك كانوا يقاسون اضطهاداً عظيماً وكانوا يُقتَّلون حتّى النساء والأطفال. فاضطرّت يوليطي ان تهرب إلى طرسوس في قيليقيّة. ولمّا وصلت إلى تلك المدينة. عُرفت أَنّها مسيحيّة فقُبض عليها. وأُتيَ بها أمام ديوان الكسندر الوالي وهي حاملة ابنها قرياقوس في حضنها. فسألها الوالي قائلاً: من أنت. فقالت لهُ: أنا مسيحيّة. فحاول الوالي أن يرغّبها بتمليقاتهِ ان تكفر بالمسيح وتعبد الآلهة الأوثان فأبت يوليطي قائلة بصوت عالٍ:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لستُ أشاء أن أعبد الشياطين أبداً. وانّي مستعدّة لأن أموت أنا وابني في حبّ اسم يسوع المسيح. فغضب الوالي عليها. وأمر أن يعرّوها من ثيابها ويجلدوها بعصب البقر. وأخذ الصبيّ قرياقوس من حضن أمّهِ واجلسهُ في حضنهِ. وشرع يلاطفهُ ويقول لهُ بكلام لطيف: يا عزيزي اكفر بيسوع المسيح. ولكنّ هذا الصبيّ الذي كان أشجع من الرجال جعل يضرب الظالم ويكمش وجههُ ويجرّ لحيتهُ ويرفسهُ برجليهِ ويبكي ويتنهّد ويصيح أنا مسيحي. ثمّ تنحّى عن الوالي وبسط ذراعيهِ على أمّهِ طالباً أن تأخذهُ. فاكبّ الوالي ليأخذهُ إلى حضنهِ. فعضّهُ قرياقوس في ساقهِ وشرع يصيح أنا مسيحي. فاغتاظ منهُ الظالم وامسكهُ ورماهُ من فوق الدرج حيث كان ديوانهُ إلى أسفل. فوقع الصبي الشهيد على الحضيض وانفجّ رأسهُ ومات أمام أمّهِ. فباركت يوليطي الربّ فارحةً بانطلاق ابنها إلى السماء قبلها ثمّ التفتت إلى الكسندر وقالت لهُ: لا تظنّ انّ عذابك يغلبني ويجعلني ان اجزع من الموت. كلاّ. فانّي لستُ أكفر أبداً بيسوع المسيح الهي ومخلّصي. فأمر أن يربطوها ويمزّقوا جسمها بأمشاط وأظفار حديديّة ويصبّوا على رجليها زفتاً مغليّاً. وفي أثناء هذا العذاب نادى منادٍ أمام يوليطي القدّيسة قائلاً: ان عبدتِ الآلهة والاّ هلكتِ مثل ابنكِ. وكانت الشهيدة تجيبهُ: لستُ بعابدة للشياطين ولتماثيل صمٍّ بُكْمٍ ولستُ أسجد الاّ ليسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي أبدع الأكوان كلّها. وأخيراً أمر الوالي بقطع رأسها. ولمّا أخذوها إلى المقتل. اقبلت وجثت على ركبتيها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وصلّت إلى ربّنا يسوع المسيح قائلةً: اشكرك يا يسوع على انّك أهّلت ابني أن يدخل إلى ملكوتك قبلي واطلب إليك أن ترضى بقبول أمتك الذليلة في ملكوتك ولو كانت غير مستحقّة لكي تباركك نفسي مع الله أبيك وروح القدس إلى أبد الآبدين آمين: ولمّا فرغت من هذهِ الصلوة قطع السيّاف رأسها. وأخذ الأعوان جثّتها وجثّة ابنها وطرحوهما في حقل ليكونا مأدبة للوحوش. فأتت الخادمتان اللّتان كانتا ليوليطي في الليل وأخذتا ذينك الجسدين المقدّسين ودفنتاهما في قبر* وكان استشهاد مار قرياقوس وأمّهِ يوليطي في اليوم الخامس عشر من شهر تموز سنة ٣٠٤*

* اليوم السادس عشر *

ذكر مريم العذراء القديسة سيّدة الكرمل

انّ الكرمل هو جبل شهير في العهد القديم لأنّهُ تشرّف بمقام ايليّا النبيّ فيهِ. وبالكرامات التي أجراها الله فيهِ على يد هذا النبيّ. فانّهُ فيهِ انزل ايليّا ناراً من السماء على مذبح المحرقة أمام الملك أخاب وكلّ شعب اسرائيل. وقدام كهنة بعل الذين لم يقدروا أن يفعلوا كذلك* وعلى رأس هذا الجبل صعد ايليّا وخرّ على الأرض. وجعل وجههُ بين ركبتيهِ. وقال لغلامهِ: اصعد وتطلّع نحو البحر. فصعد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتطلّع وقال: ليس شيء. فقال لهُ: ارجع سبع مرّات. وفي المرّة السابعة قال: رأَيتُ فإذا بسحابة صغيرة مثل راحة كفّ رجل. تصعد من البحر. وهذه السحابة جلّلت السماء حالاً وشرعت تهطل مطراً غزيراً. وأحالت جدب الحقول وقحطها إلى خصوبةٍ يانعة. بعد ان دام القحط مدّة ثلاث سنين ونصف قصاصاً عن جرائِم آخاب وايزابال. وانّما هذه السحابة كانت رمزاً عن البتول الفريدة والدة الله الجليلة لأنّها ظهرت مثل هذهِ السحابة صغيرة باعتبارها ذاتها وبتواضعها العميق وانّها ارتفعت متعاليةً فوق بحر هذا العالم من حيث ولدت من أصل طبيعتنا الملوّثة بالفساد غير معدٍ إليها شيء ممّا هو مستولي علينا. كونها محبول بها بلا دنس. وقداستها ونقاوتها رفعتاها سموّاً فوق كلّ المخلوقات وقد أغاثت العالم المسيحيّ بأمطار الانعام والخيرات الشافية الغزيرة فاخصبتهُ بالمواهب والمِنَح الصالحة. لأنّها ولدت من هو طلّ السماء وندى نعمائهِ*

انّ العذراء والدة الله قد شُرّفت وعُظّمت على الدوام وبُجّلت أيضاً في جبل الكرمل بعبادة خصوصيّة. وهناك عاش بعض القدّيسين. وأشهرهم ايليّا واليشاع النبيّان وقد اجتمع عندهما أيضاً طائفة من الأتقياء الذين صاروا لهما تلاميذ كما نوّه عنهم الكتاب المقدّس. ولقد لقّبهم بأبناء الأنبياء. وكان هولاء يواظبون على التمسّك بقوانين الزهد والصوم والتقشّف والصلوات. وان كثيرين من المؤلّفين المشتهرين ذكروا عن هولاء متوحّدي العهد القديم. بانهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

داوموا على السكنى بلا انقطاع في جبل الكرمل ومكثوا هناك زماناً طويلاً بقدر ما تيسّر لهم. عدا أوقات الجور التي أصابتهم من الملوك الغرباء كلّما استولوا على اليهوديّة. ولم يبرحوا من الاقامة هناك حتّى مجيء المخلّص* وإذ كان يوم عيد الفنطيقسطي العظيم. احتفل الرسل القدّيسون مدائح الله بلغات مختلفة وهم ممتلئون من الروح القدس. وصنعوا آيات شتّى باسم يسوع. وكان الناس الأتقياء الذين اقتفوا آثار النبيَّين ايليا واليشاع كثيرين. اخصّهم أولئك الذين أعدّهم مار يوحنّا السَّاعي بوعظهِ لمجي المخلّص. فهولاء لدى اطّلاعهم على حقيقة الإنجيل اعتنقوا حالاً الايمان المسيحي وانتعشوا بالمحبّة وشرعوا بتأدية الاكرام الخصوصيّ لمريم العذراء الكلّيّة القداسة. ونالوا الحظّ السعيد بتعرّفهم بها. وتشرّفهم بالمحادثة معها. وهم أوّل من عمرّوا كنيسةً اجلالاً لها في محلّ الكرمل نفسهِ حيث كان قد شاهد ايليّا ارتفاع السّحابة التي كانت صورة رمزيّة للامّ البتول. وكانوا يجتمعون يوميّاً مرّات عديدة في هذا الهيكل الجديد ليبجلّوا محاميتهم المجيدة مريم بصلواتهم ومدائحهم وينشدوا الألحان الشجيّة. ولهذا لُقّبوا باخويّة بتول جبل الكرمل. وقد ثبّت الاحبار الرومانيّون العظام هذا اللقب الشريف*

هذا وانّ مريم العذراء لم تقف راضيةً فقط بتشريف رهبنة الكرمل باسمها وحمايتها بل انها انعمت على أخويّتها أيضاً بالثوب المقدّس الذي منحتهُ للطوباوي سمعان سطوك. ليكون اسكيماً مفرزاً وزيّاً ممتازاً ورهن التدرّع بالحماية السماويّة للرهبان الكرمليّين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وليصونهم من كلّ الأخطار والشدايد. وفضلاً عن ذلك فانّ امّ الله الجليلة أرادت بأنّ هذا الاحسان المومى إليهِ ينتشر في كلّ الكنيسة ويسكب على المومنين المواهب والخيرات. إذ انّهم لدى اشتراكهم بهِ يحصلون على الانعام الالهيّة. فيمكنهم أن يلبسوا ذلك بزيّ ثوب صغير من صوف لونهُ كلون القهوة أو اسود. وليس من الضرورة أن يُطبَع عليهِ صورة مريم العذراء كما يتوهّم قوم. فانّ الرهبان يلبسونهُ بلا صورة. أمّا النيّة التي يجب أن يقصدها المومنون بلبسهم هذا الثوب المقدّس فهي أوّلاً: لكي يستحقّوا الحماية التي وعدت بها بفمها الطاهر لمن يتقلّد ثوبها ولكي ينجو بشفاعتها من النيران المطهريّة. ثانياً ليشتركوا بالغفرانات العديدة التي منحها الأحبار الرومانيّون لأخويّة الثّوب الكرمليّ. ثالثاً ليتمتّعوا بالانعام المدعوّ بالانعام السبتيّ. وهذا يتوقّف على نوال المساعدة الخصوصيّة للنجاة من عذاب المطهر بعد الموت بعون البتول امّ الله. والانعام المذكور قد ثبّتهُ البابا يوحنّا الثاني والعشرون بمنشور فيهِ يؤكّد معلناً بانّ المومنين الذين يحافظون بامانة في مدّة حياتهم بعض الشروط. فليثقوا بانّ القديسة مريم تمدّهم براحة عظيمة عندما يتلظّون في اللّهبات المطهريّة. وتنقذهم منها بأقرب مدّة. وانّما هذا الانعام يُدعى سبتيّ لأنّهُ حسب التأويل التقويّ. بأنّ مريم العذراء خصوصاً يوم السبت تُظهر مساعدتها ونجدتها لعبيدها المومنين المتوفّين. ولأنّ الكنيسة المقدّسة خصّصت هذا النهار بعينهِ لاكرام السيّدة مريم البتول* امّا الشروط المحدَّدة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لنوال الاشتراك بالانعام السبتيّ فهي أوّلاً: يجب حفظ الطهارة المناسبة لحالة الشخص المشترك. ثانياً: ان يتلو المشترك كل يوم فرض السيّدة الصغير. وان لم يقدر على ذلك أو كان لا يُحسن القراءَة فعليهِ أن يعوّض صلاة الفرض اليوميّ بالامساك. أعني بالانقطاع عن الزفر ثلاثة أيام في الأسبوع: أي يوم الأربعاء والجمعة والسبت: أَمّا التزام تلاوة فرض العذراء الصغير أو الانقطاع عن الزفر ما عدا الأصوام المفروضة في شريعة الكنيسة. فيمكن تعويض أحدهما بعمل آخر بِرّيّ صالح مثلاً تلاوة سبع مرّات ابانا والسلام في كلّ يوم وذلك باذن الكاهن الذي لهُ سلطان على تلبيس الثوب أو من معلّم الاعتراف. وقد يعوَّض أيضاً الفرض المرقوم بالفرض القانوني الملتزم بتلاوتهِ الكهنة والرهبان. وكذلك الرهبان الثالثيّون رجالاً كانوا أو نساء لأنّهم ملتزمون أن يصلّوا كلّ يوم فرض العذراء القدّيسة. فبتلاوتهم فرضهم فقط يستوفون فرض الانعام السبتيّ للثوب الكرمليّ*

فالثوب إِذن يخوّلنا ثلاثة انعامات عظيمة. وهي أَنّنا ننال بهِ معونة العذراء القديسة. لنحيا ونعيش مقتاتين من نعم الله. ثمّ انّنا نربح غفرانات جزيلة للغاية. أخيراً نحصل بعد موتنا على مساعدة مريم العذراء والنجاة من العذابات المطهريّة بسرعة. فلإِكتساب الانعام الأوّل أي الحصول على معونة العذراء وحمايتها. يجب على المومنين المشتركين أن يلبسوا دائماً الثوب المقدّس وأن يكونوا غُيُراً على اكرام السيّدة الكليّة القداسة. ويقدّموا لها كلّ يوم اكراماً جزئيّاً مهما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان. ولإِكتساب الانعام الثاني أي ربح الغفرانات. فيجب على المشتركين أن يكمّلوا بتدقيق الشروط المحدّدة والمؤيّدة من الاحبار العظماء. وامّا لاكتساب الانعام الثالث أي الانعام السبتيّ فيجب حفظ الالزامَين المحرّرين اعلاهُ*

* اليوم السابع عشر *

مار الكسيس رجل الله

كان في عهد البابا إِنّوكنتيوس الأوّل ولاملك هنوريوس بن ثاودوسيوس الكبير في مدينة روميّة رجل شريف الأصل والنسب وغنيّ جدّاً يقال لهُ اوفميانس. فهذا تزوّج بامرأة شريفة أيضاً تُدعى اغلانس الاّ انّها كانت عاقراً. وكان هذان الزوجان حزينَين دائماً على حرمانهما من الضّنى. ويتوسّلان إلى الربّ بالصلوة والصوم والصدقة أن يرزقهما ابناً يكون وريثاً لاموالهما بعد موتهما. ومن أجل أعمالهما الصالحة وحبّهما للقريب ولانّهما جعلا بيتهما ملجأً للأرامل والأيتام والفقراء ومأوى للغرباء استجاب الربّ لهما ورزقهما غلاماً سمَّياهُ الكسيس. فربّياهُ في الدّين وفي العلوم. ولمّا بلغ سنّ الشباب خطبا لهُ صبيّة من بنات الأشراف وأمراهُ أن يتزوّجها. ولمّا حانت ليلة العرس. كلّمهُ الله باطناً واعلمهُ بأنّهُ تعالى يريدهُ في خدمتهِ. وأمرهُ أن يترك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عروسهُ ويخرج مثل ابراهيم من بلدهِ وينفصل عن أهلهِ وأصدقائهِ وينطلق إلى المكان الذي يريهِ ايّاهُ. فأطاع الكسيس الهام الله. ولمّا دخل حجرة عروسهِ أعطاها خاتماً من ذهب ومنطقة ثمينة. وقال لها: احفظيهما عندكِ كعربون إلى وقت يريدهُ الله* ثمّ خرج من بيت أبويهِ متنكّراً. وتوجَّه إلى المينا في ساحل البحر. فقدَّر لهُ الله سفينة. فركبها وسار حتّى وصل إلى اللاذقيّة. ومن هناك سار في البرّ إلى مدينة الرّها التي هي من بلاد الجزيرة. وسكن فيها بقرب كنيسة مريم العذراء. وكان يستعطي خبز كفافهِ يوماً فيوماً ويقضي زمانهُ في الصلوة*

امّا ما كان من عروس الكسيس فانّها انتظرتهُ تلك الليلة كلّها. وفي الصّباح فتّش عليهِ أبواهُ في كل مكان فلمّا لم يقفا على أثره. أرسل أبوهُ رسلاً يبحثون عنهُ في البلاد. وبلغوا إلى الرّها. فرآهم الكسيس وعرفهم. وأمّا هم فلم يعرفوهُ لأنّهُ من سبب التقشّف والفقر والرثّة كانت قد تغيّرت هيئَتهُ. فاعطوهُ صدقةً وانصرفوا*

وبعدما قضى في تلك الحالة سبع عشرة سنةً لا يعرفهُ أحد. وهو فقير جدّاً أظهر الربّ فضلهُ وأعلن قداستهُ للناس فصار الناس يكرمونهُ بمنزلة قدّيس. فهرب من هناك فارّاً من ذلك الجاه وقصد مدينة طرسوس. فساقت الرياح السفينة التي كان راكبها إلى ايطاليا. فعزم أن ينطلق إلى روميّة ويعيش في بيت أهلهِ كواحد من الفقراء بحيث لا يعرفهُ أحد أصلاً حتّى أبواهُ. مريداً بذلك أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يقهر نفسهُ وينتصر على العالم والشيطان. فبلغ إلى روميّة وزار بعض الكنائس. وطلب إلى الله أن ينصرهُ على التجارب التي ستهجم عليهِ بدخولهِ إلى بيت أبويهِ. ولمّا توجّه إلى البيت صادف في الطريق اباهُ ومعهُ خدّامهُ. فدنا منهُ الكسيس قائلاً: يا سيّدي اتضرّع إليك في حبّ الله أن تسمح لي أن آوي في زاوية صغيرة من بيتك وان أتعيّش بالفتات الذي يسقط من مائدتك. فانّي لستُ مكلّفك بشيءٍ ولا مثقّلاً على خدّامك. اعمل معي هذا الاحسان الذي لا تزال تصنعة مع الفقراء والربّ يباركك ويكثّر أموالك. فتعطّف قلب اوفميانس بهذهِ الكلمات وخطر في بالهِ ابنهُ الكسيس الذي كان أمامهُ ولم يعرفهُ. وأمر أن يوخَذ إلى البيت ويُعطى مكاناً وأوصى بهِ أحد خدّامهِ فأخذهُ الخادم وادخلهُ قبّة صغيرة مظلمة. فسكن فيها مار الكسيس مدّة سبع عشرة سنة من دون أن يعلم بهِ أحد. وكان يقاسي أذيّاتٍ كثيرة من خدّام البيت ومن الآتين والذاهبين إذ كانوا يهزأُون بهِ وبحالتهِ الفقريّة وبقداسة سيرتهِ. وكان يفرح بنظرهِ نفسهُ مرذولاً في بيت أبويهِ حبّاً لله* وكان لالكسيس حرب قويّة لا يقدر أن يحتملها الاّ قلب معُضَد بنعمة إلهيّة خارقة العادة. وهي من جرى أمّهِ التي من يوم فقدتهُ لم تكن تملّ من البكاء عليهِ. ومن جرى عروسهِ التي كانت نظير أرملة ثكلى تبكي نهاراً وليلاً في البيت الذي تركها فيهِ ولا تريد أن تخرج منهُ أبداً. وكانت أمّهُ تقول: يا ابني الكسيس اين أنت. لماذا تمنّيتك كثيراً قبل ميلادك. ولماذا كنتُ أطلبك من الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولماذا رزقني الله ايّاك. أفما كان ذلك لتكون عصا لشيخوختي وشرف بيتي ووريث أموالي. أم كان ذلك لكي تتركني حزينةً ووحيدةً ومعذّبة على فراقك كل هذهِ السنين وأنا كلّ يوم أموت بسببك. فالأوجاع التي قاسيتُها في ولادتك كنتُ أفرح بها في الرجاء الذي كان لي بك أن تكون خليفة في بيتي. ولكن الآن يتمزّق قلبي ولا تعزية لي. أتوسّل إليك يا إلهي. أنت الذي رزقتَني برحمتك هذا الولد ترأَف عليّ وارحمني*

وكانت عروسهُ تنوح عليهِ وتقول: يا عريسي العزيز لماذا تركتني وحدي. أين أنت ولماذا لا تأتي. أميّتٌ أنت أم حيّ. إنّي لم انسَك أبداً وحبّي لك لا ينقص وأحزاني تتكاثر يوماً فيوماً. وكانت هذهِ الحسرات المتقطّعة بالدموع تبلغ إلى مسامع الكسيس. ولو لم يمدّهُ ربّنا المسيح بالعون لَغُلِب لهذهِ التجربة. ولكنّهُ تعالى قوّاهُ وجعلهُ كالصخرة التي لا تقدر أمواج البحر ان تزعزعها. وقدر بذلك أن يحتمل تلك الصعوبات كلّها ويثبت خفيّاً عن معرفة أهلهِ. وكان يعترف ويتناول القربان المقدّس في كل ثمانية أيّام. وكانت حياتهُ تنقضي في الصلوة والصوم والتقشّف. وكان مكتسياً باسمال دنيّة. ويرقد على لوح من حجر. ومن سبب هذه التقشّفات كان جسدهُ ضعيفاً سقيماً. وامّا نفسهُ فكانت قويّة منصورة دائماً. وبعدما قضى الكسيس في هذهِ العيشة سبع عشرة سنة أراد الربّ أن يجازيهُ على جهادهِ. فأوحى لهُ بيوم موتهِ. ولمّا دنا يومهُ. أخذ قلماً وورقةً وكتب فيها اسمهُ واسم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أبيهِ واسم امّهِ واسم امرأَتهِ. وقصّ كلما جرى لهُ وطوى الورقة وأطبق يدهُ عليها منتظراً الساعة التي فيها يدعوهُ الله إليهِ. وفي ذلك الوقت عينهِ كان البابا يقدّس والملك يسمع القدّاس. فسُمع في الكنيسة صوتٌ يقول: هلمّوا أيها المتعوبون والثقيلوا الاحمال فاريحكم. فتعجّب الحاضرون من هذا الصوت وخرّوا بوجوههم على الأرض قائلين: يا ربّ ارحمنا. وللوقت سمعوا صوتاً داخل المذبح يقول: فتّشوا على رجل الله الذي سيخرج من الدنيا يوم الجمعة الآتية وسيتضرّع إلى الله بشأن أهل مدينة روميّة والربّ يستجيب لهُ. ففتّشوا عليهِ ولم يقعوا على أثرهِ إلى أن وافى يوم الجمعة المذكور وفي ذلك اليوم تقاطر الناس أفواجاً إلى كنيسة مار بطرس ليروا من هو رجل الله. وفيما كانت الجموع مزدحمة والحبر الأعظم والملك واوفميانس أبو مار الكسيس في الكنيسة سمعوا صوتاً يقول: ابحثوا عن رجل الله في بيت اوفميانس. فاسرع هذا ودخل إلى بيتهِ وحينما ازمع أن يتخطّى عتبة دارهِ صادفهُ عبدهُ المكلَّف بخدمة الكسيس واعلمهُ بوفاة خادم الله. فعزم اوفميانس أن يراهُ ودخل إلى الحجرة الضيّقة المظلمة التي فيها كان ابنهُ الكسيس الفقير. فرآهُ مضطجعاً على الحضيض ووجههُ مغطّى بعباءَتهِ العتيقة. فلمّا كشف وجههُ رآهُ قد مضى وهو جميل الصورة كريم الوجه كأنّهُ ملاك يسطع فيهِ نور سماويّ. فنظر فوجد في يديهِ ورقةً. فأراد أخذها منهُ فلم يستطِع لأنّهُ كان ماسكها متيناً. فرجع اوفميانس إلى الحبر الأعظم وأخبرهُ بما جرى. ثمّ وضعوا ذلك الجسد المقدّس في حجرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كبيرة. واضجعوهُ على سرير فاخر. وجاء البابا والملك لينظراهُ فركعا أمامهُ. وطلب منهُ البابا أن يعطيهُ الورقة التي في يدهِ. وللوقت أرخى القدّيس يدهُ عنها ودفعها البابا إلى الكاتب ليقرأها. ولمّا شرع الكاتب في قرآتها ولفظ اسم أبيهِ واسم أمّهِ واسم عروسهِ. وقرأ كيف أنهُ دفع إلى عروسهِ الخاتم والمنطقة وتوادع معها. ضجّ أبوهُ اوفميانس بصوت عظيم ورمى بنفسهِ على جسد ابنهِ قائلاً: آه يا ابني لماذا فعلت معي هكذا وتركتني في الحزن. كيف لبثتَ هذهِ السنين الكثيرة في بيتي وما عرفتُك. كم من مرة رايتَنا نبكي وتعلم انَّك أنت سبب حزننا. وكنت تقدر أن تمحو حزننا بقولك لنا من أنت وما أردت أن تفعل ذلك* وسمعت أمّهُ بما كان فخرجت من حجرتها وأسرعت إلى ابنها وهو مائت. وصاحت دعوني أبصر ولدي وحشاشة كبدي. آه يا ابني أأنت هو ابني الكسيس. اليوم فقدتُ الرجا الذي كان لي في أن أجد الكسيس ابني* ثمّ جاءت امرأتهُ وانطرحت على جسدهِ قائلةً: لقد قضيتُ كل حياتي بالدموع والأحزان والآن أشاهدك مايتاً يا عريسي. ثمّ ان البابا والملك أمرا فانفكّ الابّ والامّ والعروس من على جسد مار الكسيس وخفّ بذلك المهم قليلاً. وأرادوا أن يشيّعوهُ إلى الكنيسة. فلم يقدروا لكثرة ازدحام الناس فاخرج الملك مقداراً من الذهب والفضّة. ورماهُ مفرّقاً ايّاهُ على الأرض وقائلاً: ليجمع كلٌّ لنفسهِ ما بدا لهُ. فانشغل القوم بجمع المال. وبهذهِ الحيلة قدروا أن يحملوا جسد مار الكسيس ويشيّعوهُ إلى كنيسة مار بطرس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبقي هناك سبعة أيّام. ولم ينفكّ عنهُ أبوهُ وامّهُ وامراتهُ نهاراً وليلاً. وفي تلك الأثناء جرت كرامات كثيرة بشفاعتهِ. وأخيراً دفنوهُ باحتفال عظيم في كنيسة مار بُنيفاقيوس. وكان موت مار الكسيس في اليوم السابع عشر من شهر تموز سنة ٤٠٥. وبعد ذلك أُقيمت دار اوفميانس عينها كنيسةً جميلة. وأُسِّسَت على اسم القدّيس الكسيس وفي هذهِ الكنيسة يشاهَد حتى اليوم بعض الدّرج التي عاش مختفياً تحتها هذا القدّيس العجيب. وناهيك انّ الفضائل العظيمة التي تلألأ بها هذا القدّيس المعظّم شرّفت على الدوام بيت أبويهِ الذي هجرهُ حبّاً بالله*

* اليوم الثامن عشر *

مار كَمِلّس لَلّيس منشئ رهبنة الاقليرس القانونيّين لخدمة المرضى

انَّ عشيرة لَلّيس هي من أقدم عشائر نابُلي وأشرفهنَّ. وقد خرج منها رجال اشتهروا في العسكريّة وفي العلوم. وعُظّم شرفها بنوع فائق بالقدّيس كملّس* اعلم انّهُ لمّا كانت امّ كملّس حبلى بهِ. رأت حلماً كأنّها ولدت ابناً مرسوماً على صدرهِ صليب ووراءَهُ صبيان كثيرون عليهم صلبان مثلهُ* فارتعبت من هذه الرويا. وظنّت انّها اشارة إلى أنَّ ابنها سيكون ذا سيرة رديَّة بحيث يكون مؤذياً لعشيرتهِ كما يوذي الصليب من يحملهُ ويتراءَس على جماعة من الأَشرار يكونون كصليب ثقيل على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلدهم* وقد توهَّمت في ظنّها هذا أيّ توهّم. لأنَّ هذا كان إشارة إلى الشدائد التي كانت مزمعة أن تقاسيها أخويَّة خدَّام المرضى التي أنشأها مار كملّس* ولكن لم يكن حينئذٍ أحد يقدر أن يفسّر لهذهِ الأمّ مقاصد الله في ابنها*

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر أيار سنة ١٥٥٠ وُلد كملّس* وفي صباهُ صدقت فيهِ ظنون أمّهِ بالرؤيا التي رأَتها إذ كانت حاملاً بهِ. لأنَّهُ تولّع في اللعب واللهو حتى جعل في ذلك كلّ لذّته*

وإذ صار عمرهُ تسع عشرة سنة التقى باثنين من رهبان مار فرنسيس في مدينة فرمو. ولمّا رأى سمتهما وما هما عليهِ من الاحتشام والتقوى. تحرّك قلبهُ إلى هجران العالم. وعزم أن يدخل في رهبنتهما* وكان لهُ خال هو رئيس دير للافرنسيسيّين. فانطلق إليهِ واخبرهُ بما عزم عليهِ. وطلب إليه أن يقبلهُ في الرهبنة. ولكنَّ ذلك الرجل الفطين أبى قبولهُ* فانّ كملّس بعد زمان يسير نسي عزمهُ. ورجع إلى سيرتهِ الأولى ولهوهِ. وانطلق إلى روميّة ودخل إلى بيمارستان يقال لهُ بيمارستان مار يعقوب لكي يداوي قرحةً كانت في رجلهِ. وصار هناك باكثارهِ من اللعب بالورق يبلبل أهل البيمارستان. ولذلك طردوهُ فمضى إلى مدينة بندقية. ودخل هناك في سلك العسكريّة. وفي هذهِ الخدمة قاسى أهوالاً ومشقّات كثيرة في الأسفار والحروب* وكان ولعهُ في لعب القمار لا يزال يكثر ويتمكّن فيهِ. حتى انّهُ خسر كلّ أموالهِ وخسر أيضاً سيفهُ وثيابهُ حتّى قميصهُ. وأضحى عارياً من كلّ شيءٍ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فانطلق إلى مدينة نابُلي وشرع يتسوّل خبزهُ* وفي عيد مار اندراوس سنة ١٥٧٤ إذ كان يستعطي في باب الكنيسة. وكان يبسط يدهُ الواحدة لأخذ الصدقة وباليد الأخرى يغطّي وجههُ من الحياء والخجل. مرَّ بهِ رجل من أكابر المدينة. كان يعمّر من أموالهِ ديراً للكبوشيّين* فلمّا رأى حياء كملّس وخجلهُ. سأَلهُ قائلاً: أتريد أن تشتغل عندي في بناءِ الدير. قال نعم* فأخذهُ الرجل ووضعهُ مع الفَعَلة. فاعطوهُ حمارين لكي ينقل عليهما للبنّائين الحجارة والماء والكلس* وكانت هذهِ حالتهُ الشقيّة تشقّ عليهِ جدّاً جدّاً كلّما تذكّر شرف أصلهِ والأموال الكثيرة التي أتلفها بالقمار. وكان الرهبان أصحاب ذلك الدير يسلّونهُ ويشجّعونهُ. وأعطوهُ ثياباً لتحميهُ من البرد لأنّ خلقانهُ لم تكن تغطّي جسمهُ*

وفي شهر شباط سنة ١٥٧٥ أرسلهُ الرهبان الذين كان يشتغل عندهم إلى دير آخر ليلتمس لهم منهُ خمراً. فأخذهُ رئيس ذلك الدير إلى جُنينة الدير. وشرع يخاطبهُ في التعوّذ من الخطيّة وتسليم النفس إلى الله* فبدأَت حينئذٍ نعمة الله أن تدخل في قلبهِ. وفي الغد وكان عيد تطهير مريم العذراء قام صباحاً. وحمل الخمر على دابّتهِ وانقلب راجعاً إلى الرهبان. وفيما هو في الطريق. خطرت ببالهِ أقوال ذلك الراهب الذي كلّمهُ في الأمس. فخرق قلبهُ شهابٌ من النور السماويّ. وأضاءَ لهُ لينظر في حياتهِ الماضية. وبصّرهُ بالحالة الشقيّة الواقع هو فيها* فرمى بنفسهِ من على الدابّة. وركع على صخرة في قارعة الطريق تاركاً نفسهُ إلى تأثيرات النعمة الإلهيّة. وجعل يصرخ والدموع تهطل من عينيهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قائلاً: واويلاه كيف انّي إلى الآن لم أعرف الربّ الاهي. تبّاً لخطاياي. أفما كان خيراً لي أن لا أولد. حِطّة حِطّة يا ربّ. اغفر لي أنا الخاطي الشقيّ واعطِني زماناً لاقلع عمَّا مضى. وكان يقرع صدرهُ بشدّة* ثمَّ انَّهُ شكر الله على الاحسانات التي صنعها معهُ. وجدّد عزمهُ بالدخول في رهبنة مار فرنسيس. وركب دابّتهُ وأتى إلى الرهبان* فوقع على قدمي الرئيس. وقصّ عليهِ كلّ ما فعلتهُ بهِ النعمة الإلهيَّة* ولمّا تحقّق الرئيس انَّ هذا التغيير الغريب لا يمكن أن يصدر الاّ من القدرة الإلهيّة وطّد عزمهُ. وبعد زمان قليل قبلهُ في الرهبنة*

وأُرسِل كَمِلّس إلى دير تريّوَنْتُو ليقضي فيهِ سني ابتدائهِ. وفي طريقهِ خلّصهُ ملاكهُ الحارس من خطر عظيم: وهو انهُ إذ كان ذات مساءٍ يعبر نُهَيراً وهو غير عارف بعمقهِ. سمع هاتفاً يقول لهُ: لا تتقدّم لا تتقدّم* ولمّا نظر ولم يجد أحداً. أراد أن يعبر أيضاً. ولكن الصوت أوقفهُ ثلاث مرّات عن العبور. فرجع إلى ورائهِ وبات تحت شجرةٍ* ولمّا كان الغد. صادف رهباناً منطلقين إلى دير تريوَنْتُو فرافقهم. فاخبروهُ أنّ المكان الذي كان يريد أن يعبر منهُ عميق جدّاً وانّهُ لو تقدّم فيهِ قليلاً لكان غرق لا محالة*

ولم يُقِمْ كَملّس في هذا الدير زماناً طويلاً. لأنّ قرحة رجلهِ كانت تضايقهُ جدّاً. فانطلق إلى روميّة. ودخل في بيمارستان مار يعقوب الذي كان سابقاً قد طُرِد منهُ. وصار في هذه الدفعة قدوة صالحة لجميع من البيمارستان باتّضاعهِ وتقشّفهِ. وبقي هناك أربع سنين إلى أن بُرِئ من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قرحتهِ* وفي هذهِ المدّة ما بَرِح يداري المرضى ويخدمهم بشفقة عظيمة. وكان إذا رأَى خدّام البيمارستان يتقرّفون من المرضى ولا يخدمونهم كما يجب. يقول في نفسهِ: لقد كان ينبغي أن يكون ها هنا أناس يشتغلون حبّاً ليسوع المسيح لا طمعاً في الفضّة. ويكونون مثل أمّهات لهولاء المرضى المساكين*

وفي عيد انتقال سيّدتنا مريم العذراء سنة ١٥٨٢ وكان عمرهُ اثنتين وثلاثين سنة ألهمهُ الله أن ينشئ جماعةً مخصّصة لخدمة المرضى* فهذه هي الدعوة التي كان الله قد أعدّها لهُ ولم يطلعهُ عليها حتّى ذلك الحين* وهكذا بعدما خسر أوّلاً أموالهُ باللعب. وأبعدتهُ شدائد الحرب عن أوطانهِ وصار متسوّلاً ثمّ بنّاءً ثمّ مبتدئاً في رهبنة الكبوشيّين. ساقهُ الله إلى البيمارستان لكي يريهُ هناك دعوتهُ ويعرّفهُ العمل الذي كان تعالى قد هيّأهُ لهُ*

فاختصّ كملّس خمستهً من رفاقهِ خدّام البيمارستان الذين كان يثق بهم. واخبرهم بما عزم عليهِ. فقبلوا رأيهُ. واتّخذوا لهم قبل كل شيءٍ قبّةً وجعلوها مصلّى. فكانوا يجتمعون فيها للصلوة والقراءَة الروحيّة مستعدّين لإنشاء رهبنتهم الجديدة* ولمّا رأى خدّام البيمارستان اجتماعهم هذا. حسدوهم ووشوا بهم عند مدبّري البيمارستان. فحكموا باغلاق مصلاّهم. فصعب ذلك على كملّس ورفقائهِ* وفي تلك الليلة دخل كملّس لينام في حجرتهِ. وكان حزيناً جدّاً وأمامهُ صليب معلّق* فلما نام. رأى في حلمهِ المسيح يكلّمهُ من الصليب قائلاً: لا تَخفْ يا كملّس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فانّي ساعينك وأكون معك* ثم استيقظ من نومهِ. فحكى رؤياهُ لرفقائهِ* فتشجّعوا وعاجلوا مواصلة عملهم. فلم يقدروا أن يعملوا شيئاً من جرى الموانع التي كانت تعيقهم* وكثيراً ما أراد كملّس أن يخلّي هذا العمل. فكان يرى يسوع المصلوب يكلّمهُ من الصليب قائلاً: لا تَخف ولا تفشل. ابقَ على هذا العمل. وأنا أعينك* وهذا الصليب قد حُفِظ إلى اليوم في كنيسة المجدليّة التي أُعطيَت للقدّيس بعد ذلك*

وأشار عليهِ أحد تلاميذ مار فيلبّس نيري أن يصير قسّيساً ويسكن هو ورفاقهُ سويّةً في أحد البيوت ابتداءً لعملهم. وكان كملّس قد نسي كلّ ما تعلّمهُ في صباهُ. فشرع يقرأ النحو على قسّيس من أصدقائهِ. وكان يذهب كلّ يوم ويقرأ مع الصبيان في مدرسة رومية. وكان الصبيان يضحكون عليهِ لأنّهُ كان كبيراً فيما بينهم ولا يعلم شيئاً. وكانوا يقولون لهُ: قد أتيت إلى المدارس متأَخّراً* فذات يوم إذ كان الصبيان يضحكون عليهِ. قال المعلّم: أي نعم انّ كملّس أتى متأَخّراً ولكنّهُ سيربح الزمان الذي خسرهُ ويعمل أَعمالاً عظيمة في بيعة الله* ولم يزل كملّس يتردّد إلى المدرسة سنتين. ولمواظبتهِ على الدرس تعلّم جيّداً. حتَّى انّهُ في اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٥٨٤ رُسم قسّيساً* وقلّدوهُ خدمة كنيسة مريم العذراء أمّ الكرامات. وفي هذه الكنيسة أنشأ أخويّتهُ* وكان كلّ يوم يذهب إلى البيمارستان ويخدم المرضى ويسلّيهم ويعمل لهم الأدوية التي كان الأطباء يضعونها لهم. ويؤَهّبهم للموت. ويحض عند الذين في سياق الموت ويصلّي عليهم* فمن يعلم كم من الخطاة نالوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخلاص على يدهِ. وكم من النفوس الممجّدة في السماء تشكر اليوم محبّة هذا القسّيس على أنّهُ أعانهنّ على نوال هذهِ الآخرة السعيدة*

وكان أخوة جماعتهِ يكثرون شيئاً فشيئاً. وإذ لم يكن لهم مكان يكفيهم. طلبوا كنيسة مريم المجدليّة. فأُعطوها سنة ١٥٨٦. فأقاموا فيها* وثبّت البابا كسُسْطس الخامس رهبنتهم ببراءَةٍ. واذن لهم أن يلبسوا صليباً أحمر على ثوب أسود. وبذلك صحّت رويا امّ كملّس* وكان لهم أربعة نذروا احتفاليّة. وهي الفقر والعفّة والطاعة وخدمة المرضى حتّى في أزمنة الوباء. وكان كردِنال من الكردنالات يراقب هذه الرهبنة الجديدة. ويحبّ كملّس جدّاً* ولمّا مرض هذا الكردنال. دعا كملّس وأمسك يدهُ قائلاً: أيّها الاب كملّس انّي أحببتُك في حياتي وفي موتي فلا تنسَني في الصلوة من بعد موتي. فلم يقدر كملّس أن يجاوبهُ الاّ بدموعهِ وبصلواتهِ. وبعد قليل مات ذلك الكردينال. وفهم القدّيس معنى قولهِ انّهُ أحبّهُ في الحيوة وفي الموت: لأنّهُ لما قُرِئت وصيّتهُ. وُجد أنّهُ قد ترك لكملّس ورهبانهِ مبلغاً قدرهُ خمسة عشر ألف ريال رومي وهو يساوي نحو أربعماية ألف غرش. وكانت حينئذٍ الرهبنة مديونة ومتضايقة جدّاً. فقدرت بهذا المبلغ الوافر أن تفي ديونها وتسدّ جميع احتياجاتها وتعمّر لها أديرة أخرى*

وفي سنة ١٨٩٠ حدث مجاعة عظيمة في روميّة وفي ايطاليا كلّها. فاضطرّ بعض الفقراء أن يأكلوا جيف الحيوانات. وكان كملّس في تلك الأثناء يعول الفقراء بالخبز ويكسوهم بالثياب. وعمل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في ديرهِ بيمارستاناً للفقراء والمرضى. ومن كثرة ما كان ينفق عليهم كان رهبانهُ يقولون لهُ: ان عملك هذا سيهلكنا جوعاً. فكان هو يقول لهم: انظروا إلى طيور السماء انّها لا تزرع ولا تحصد وأبوكم السماوي يقوتها. فكيف لا يقوتنا نحن خاصّتهُ* ولمّا أمر البابا غريغوريوس الرابع عشر جماعة كملّس أن تُنزَّل منزلة باقي الرهبنات. أُقيم كملّس رئيساً عامّاً عليها. فعمَّر أديرةً كثيرةً في مدينة مديولان وجينُوَا وبلونيا وفرّاراً وفي مدن أخر من ايطاليا. وكان رهبانهُ يطوفون تلك البلاد ويساعدون المرضى والفقراء وكل نوع من المحتاجين*

ولمّا رأى مار كملّس رهبنتهُ قد تأيّدت بالتمام. تنزَّل عن الرّياسة العامة. وصار يشتغل في البيمارستانات من أجل خلاص النفوس والأجساد. وكانت أحياناً قرحة رجلهِ تكلّفهُ جدّاً حتّى انّهُ لم يكن يمشي الاّ بألمٍ عظيم. فكان المرضى يقولون لهُ: يا أبانا استرح قليلاً لئلاَّ تقع. فكان يجيبهم قائلاً: يا أولادي انّي خادمكم. فيجب عليَّ أن أعمل كلّ ما يمكنني لخدمتكم. وقبل موتهِ بسنة طاف تلك البلاد زائراً أديرة رهبنتهِ كلّها. وتوادع مع رهبانهِ وقال لهم: انّي راجع لأَموت في روميّة. ولمّا قرب رحيلهُ من هذهِ الدنيا (وكان في روميّة) شرع يقول: فرحتُ بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب. ثمّ جمع رهبانهُ وطلب إليهم أن يتركوا لهُ كل زلّة زلّ بها أمامهم. فانطرحوا جميعاً على سريرهِ. وسألوهُ أن يباركهم. فعانقهم جميعاً وباركهم. وكان يقول: آه يا ربّ كم أنا مديون لك. فالشكر لك يا إلهي على كلّ ما فعلت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

معي أنا الخاطئ. وفي مدخل الليل مدَّ ذراعيهِ بشكل صليب. وشرع يستغيث باسم الثالوث الأقدس ويسوع ومريم ومار ميخائيل. وقال ليكن وجه ربّنا يسوع المسيح بشوشاً نحوي. وحين قولهِ هذهِ الكلمات. طارت روحهُ إلى الملكوت لتنال جزاء أتعابها. وكانت وفاتهُ في اليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة ١٦١٤ وعمرهُ خمس وستّون سنة وشهر وعشرون يوماً. وجرت كرامات عظيمة بجاههِ جعلت البابا بندكتس الرابع عشر أن يكتب اسمهُ في سفر الطوباويّين سنة ١٧٤٢ ويحكم بقداستهِ سنة ١٧٤٦*

* اليوم التاسع عشر *

مار منصور بولا منشي رهبنة العازاريين وأخوات الرحمة

انّهُ في اليوم الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٥٧٦ في عهد الملك هنري الثالث وهب الربّ لمملكة فرنسا بل للعالم كلّهِ مار منصور بولا رجل المحبّة والقسّيس القديس الذي شرّف غرّة القرن السابع عشر إذ أحيا غيرة اقليرس فرنسا بمفاوضاتهِ ورياضاتهِ الخلاصيّة. وأنذر بالإنجيل بنفسهِ وعلى يد أولادهِ في بلاد فرنسا وافريقيّة واسيّا. وصار أَباً للفقراء والأيتام وموزّع الصدقات بألوف ولالوف. وأنشأ جماعة بنات الرحمة اللّواتي بهنّ تعزّت المرضى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واعتضدت الضعفاء والشيوخ وتربّت الصبيان في الايمان. وكان خليلاً لجميع خدَّام الله المعظَّمين ولجميع الناس المعروفين في عصرهِ. وكان اسم أبيهِ غُلَيْلَم بولا واسم امّهِ برثْرنْدَه موراس. وكانا قروييّن وفقيري الحال. وفي صباهُ كان يرعى غنم أهلهِ. ومنذ صغرهِ كان يحبّ الفقراء ويعطيهم كلّما نالت يدهُ. وبما أنّ القديس منصور جعل نسبهُ الفقريّ نصب عينيهِ موضوعاً للتواضع الدائِم. فبين الوظائف المعتبرة التي خصّتهُ بها العناية الربّانيّة كان جلباب الشرف الملتحف بهِ يتلألأ فيهِ ويسطع ولم يمكن سترهُ. فمع ذلك انّ محادثتهُ الاعتياديّة كانت تعلن على الدوام على انحطاط حسبهِ ودناءة أصلهِ. بالأخصّ إذ كان يسمعهُ الناس الكرام يتفوّه في كذا مصادفات على الأغلب بأن ما هو الاّ ابن فلاّح فقير. وانّهُ كان يرعى الغنم. وممّا لا ينكَر بانّ كذا محادثات هي ذات استحقاق عظيم بحيث يصعب على الطبيعة نفسها ويتعذّر سمعها جدّاً. وبالأخصّ لدى الأشخاص المتّكلين على اعتبار النسب الشريف أكثر من الفضيلة. ولافراط حنوّهِ كان جدير بهِ ويحقّ لهُ أن يقال عنهُ انّ الرحمة ولدت وتربّت معهُ وأخذت لها مقرّاً فيهِ. بحيث انّهُ كان يعطي للفقراء ويوزّع عليهم كلّما تيسّر لهُ وأمكن. وكلّما كان يبعثهُ أبوهُ إلى الرَّحى ليأتيهُ بالدقيق. كان إذا صادف بعض الفقراء في الطريق ولم يجد واسطة أخرى لإِغاثتهم يفتح الكيس ويعطيهم بعض حفنات ولم يُظهر قطّ أبوهُ عن ذلك أدنى اغتمام. ولمّا كان في سنّ الصبوّة تيسّر لهُ جمع ثلاثين سو (والسو عبارة عن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خمس بارات) وهذا المبلغ الوجيز كان قد حفظهُ عندهُ بحرصٍ. فيوماً ما صادف فقيراً ورآهُ في حاجة. فرقّ لفاقتهِ ومسكنتهِ ودفع لهُ كلّما كان عندهُ. ولم يُبقِ منهُ لذاتهِ شيئاً أَصلاً. ولمّا صار عمرهُ اثنتي عشرة سنة أرسلهُ أبوهُ إلى مدينة أَقس ليتعلّم القراءَة والكتابة عند الرهبان الفرنسيسيّين. ولجودة قريحتهِ وانعكافهِ على الدرس تعلّم جيّداً كلّ ما كان يُفرَض عليهِ. وفاق جميع رفاقهِ بالعلم والتقوى. وطاعتهُ لروسائهِ جعلت لهُ نعمة في أعينهم فصاروا يحبّونهُ جدّاً. وكانت فضايلهُ تشير إلى دعوتهِ العتيدة. ولذلك أشار عليهِ روساؤُهُ أن يصير من جملة الاقليرس خدَّام الله. فقبل مشورتهم كانّها من الله. وانطلق إلى مدينة سراغوسا ثمّ إلى تلوزا. وقرأ علم الكلام أي اللاّهوت في هاتين المدينتين. وبعد سبع سنين ختم مسعاهُ في هذا العالم. ورُسم شمّاساً. وغبّ ذلك بسنتين رُسم قسّيساً وعمرهُ أربع وعشرون سنة. وبعد زمان انطلق إلى مدينة مرسيليا لقضاء حاجةٍ وإذ كان راجعاً في البحر إلى بربونة هجم على السفينة قومٌ من تونس ونهبوها وأسروا من فيها وأخذوهم إلى بلادهم. فبيع منصور إلى صيّاد ثمّ إلى رجل افرنجيّ مرتَدّ عن الديانة النصرانيّة أصلهُ من مدينة نتزا. وكان منصور متضايقاً في الأسر ومقطوع الرجاء من الحصول على حرّيّتهِ. وكانت امرأة مولاهُ تتعجّب من صبرهِ وحلمهِ. فذات يوم سألتهُ أن يشرح لها قواعد ديانتهِ ومواسمها وأعيادها. وطلبت إليهِ أن يغنّي لها شيئاً من الأناشيد الدينيّة التي كان يغنّيها في وطنهِ. فخطر في بالهِ النشيد الذي أنشدهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوماً أسرى بابل المنفيّون مثلهُ عن الوطن. فغنّى لسيّدتهِ والدموع تهطل من عينيهِ هذا المزمور وهو: على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكّرنا صهيون على الصفصاف في وسطها علّقنا أعوادنا. لأنَّهُ هناك سالنا الذين سبونا كلام ترنيمةٍ ومعذّبونا سألونا فرحاً قائلين رنّموا لنا من ترنيمات صهيون الخ. وبعد هذا المزمور غنّى السلام عليكِ أيّتها الملكة امّ الرحمة الخ مستمدّاً من مريم العذراء أن تخلّصهُ من العبوديّة. فرقّ قلب مولاتهِ لهذهِ الأَناشيد الشجيّة. وتعجّبت من حسن الديانة المسيحيّة التي شرحها لها أسيرها القدّيس. فجاءت إلى زوجها وأخذت تعاتبهُ على جحودهِ هذهِ الديانة الحقيقيّة. فخجل ذلك المرتدّ وسكت. ثمّ رجع إلى حضيرة الديانة المسيحيّة على يد أسيرهِ مار منصور بولا فأعتقهُ. وانطلق منصور إلى روميّة مع رجل شريف وأقام هناك نحو سنتين. ثمّ أرسلهُ أحد الكردنالات إلى فرنسا لقضاء حاجة عند الملك هنري الرابع. وفي اقامتهِ في باريس تعارف مع الكردنال بُرلّس منشئ أخويّة المصلّى الفرنساويّة. وكان بينهما صداقة مكينة. ثمّ ذهب إلى قرية شاتيّون وصار قسّيساً على كنيسة تلك القرية. فكان يرشد القوم ويثبّتهم في الايمان. ورجّع كثيرين من الذين كانوا هناك متمسّكين بالأضاليل البروتستنتيّة. وناهيك انهُ في مدّة إقامتهِ في شاتيّون أقام أخويّة لزيارة واسعاف الفقراء والمرضى ومداراتهم. ولُقّبت هذهِ الأخويّة بأخويّة بنات المحبّة أو بأخوات مار منصور. وبقليل من الزمان امتدّت وانتشرت في أقاصي المسكونة* وذات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم وكان يوم الأحد إذ صعد على المنبر ليخطب الجماعة طلبت إليهِ امرأة أن يستعطف قلوب القوم ليتحنّنوا على عائلة مسكينة قد ضايقَتها الأمراض والفقر. وكانت في أرض تبعد نصف ميل عن القرية. فشاء الله أن يجعل قوّةً في كلماتهِ حتّى أنّ كثيراً من الخلق مضوا بعد العظة وزاروا أولئك الفقراء المرضى وقدّموا لهم خبزاً وخمراً ولحماً وغير ذلك. والقدّيس أيضاً بعد صلاة الرمش انطلق لزيارتهم فالتقى بجماعة من الأشخاص راجعين أفواجاً أفواجاً. حينئذٍ هتف القديس قائلاً: هوذا المحبّة العظيمة. غير انّهُ يجب نظمها وترتيبها وإداراتها لأنّ هولاء المرضى سيجتمع لهم في دفعة واحدة مؤونة كثيرة ولا بدّ أن يفسد ويتلف الجزء الأوفر ممّا تصدّق بهِ عليهم الخيّرون. ولا يعبر على هولاء المساكين المعوزين أيّام قليلة الاّ ويعودون إلى ما كانوا عليهِ من الفاقة والعازة. فيحصلون في حالٍ أشقى من الأولى* ولهذا فبعد أيّام قلائل اجتمع القديس ببعض النساء التقيّات الغيورات اللّواتي كنّ أشرف كلّ نساء الخورنة. وشاورهنّ بما قد أضمرهُ في قلبهِ لبذل الوسائط في ترتيب المساعدة التي كانت تؤَدَّى نحو أولئك الفقراء المرضى ونحو من يكون مثلهم في المستقبَل. وذلك لكي يقدر المقامون أن يتمكّنوا من مساعدتهم مدّة مرضهم. فبعد أن أعدّهنّ إلى مباشرة هذا العمل الحبّي المبرور سنّ وحدّد لهنّ بعض القوانين ليختبرن أنفسهنّ ويتمرنّ على حفظها باتقان. ولتُثبَّت فيما بعد بسلطان الروساء. فهولاء التقيّات طلبن أن ينعكفنَ على خدمة الله ليحسنّ جيّداً خدمة المرضى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاختار بعضهنّ ووظّفهنّ. وكان يجمعهنّ في كلّ شهر مرّة ليطّلع على حالة الفقراء وكيفيّة افتقادهنّ لهم* وبعد ذلك أُقيمت أخويّات أُخريات كثيرة العدد في أقسام مملكة فرنسا ولُقّبت أيضاً بأخويّات المحبّة حسب المنوال المذكور. فاتّفق أنّ امرأة شريفة تسمّى السيّدة ليكْرا جاءَت من مدينة باريس إلى تلك النواحي واتّخذت لها مسكناً مجاوراً لبيت مار منصور. وهي لم تكن تعرفهُ بعد. وكان لها مرشد أسقف موقّر وقديس. فيما انّهُ لم تسنح لهُ الفرصة لتدبيرها لكونهِ كان عازماً على المبارحة والسّفر من باريس استخصّ هذا الأسقف مار منصور وقلّدهُ تدبيرها وارشادها. ومن حيث انها كانت مظهرة دليلاً واضحاً على شدّة تعلّقها بعبادة الله تعالى بخضوع تام وتواضع. لم يكن يعيقها شيءٌ من عوائق دعوة مقدّسة كذا الاَّ وانتصرت عليها ابتغاء البلوغ إلى أسمى الكمال. فهذهِ المرأة الجليلة الشريفة ذات الحسب والنسب كانت تزور هي بنفسها الفقراء المصابين بالمرض وتقدّم لهم الطعام. وتفرش لهم منامهم وتسلّيهم وتعتني بما يلزمهم. وكانت تفرغ جهدها لكي تعدّ المدنفين منهم على الموت إلى ميتة صالحة وتقبرهم بعد موتهم برقة قلب وحنّية. وبعد أن اختبرها القديس منصور مدّة سنين عديدة وتحقّق ما هي عليهِ من الفضيلة الخارقة العادة والأعمال الخيريّة المبرورة طلب إليها أن تنطلق إلى كلّ أخويّات المحبّة السابق ذكرها المقامة في أقسام مملكة فرنسا لتزورها وتشجّع أعضاءَها وترشدهم على ممارسة واجباتهم المحدَّدة والادمان عليها من دون فشل ولا ملل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحرّضها أن تتحمّل بصبر مشقّات السفر التي تكبّدها ابن الله بمحبّتهِ الإلهيّة وان تشترك معه وتقاسمهُ بالأتعاب. فطافت السيّدة ليكْرا ابرشيّات كثيرة جانية أثماراً عظيمة وهي لا تهدأ قطّ عن أن تنشر وتفيح في كلّ قطر ومكان وُجدت فيهِ عبوق رائحة أمثالها الفائحة وتبهرهُ اشراقاً بنور مشوراتها الصالحة. وبعد كمال رسالتها هذهِ بسرور ونشاط رجعت إلى مدينة باريس* هذا وانّ كثيراً من السيّدات المشتركات في أخويّة المحبّة في باريس إذ كان يتعذّر عليهنّ تأدية الخدمة اللاّزمة للفقراء والمرضى بذاتهنّ خوفاً من معارضة رجالهنّ أو ممّا تقتضيهِ حالتهنّ أو لدواعٍ أخر ضروريّة. كنّ يأمرنَ خدّامهنّ لكيما يقوموا بلوازم الفقراء والمرضى ويهتمّوا بهم. غير أنّهُ لما بلغ مار منصور انّ الخدام كانوا يؤدّون ما فُرِض عليهم ببرودة وضجر وملل من دون اعتناء ومحبّة استحسن أن يفوّض خدمة الفقراء ومداراة المرضى إلى بنات تقيّات متجرّدات عن كلّ اهتمام دنيويّ أحببنَ أن يهجرن العالم لينعكفنَ على خدمة المرضى البائسين حبّاً بالله. ففوّض مار منصور سياسة هولاء البنات اللّواتي اصطفتهنّ العناية الربانيّة إلى السيّدة ليكرا وسلّم زمام تدبيرهنّ بيدها ليس فقط لكي تعلّمهنّ وتعوّدهنّ على خدمة المرضى بل لينشأْنَ بالفضيلة وليحصلن على كمال أنفسهنّ بممارسة الصلوة والأعمال التقويّة. ووضع لهنّ مار منصور قانوناً جميلاً وأخصّ ما يدلّنا على حكمتهِ ما نصّهُ قائلاً: سيعتبرنَ (أي الأخوات) أنّهنّ ولو كنّ غير خاضعات لقانون رهباني فمع ذلك انّهنّ معرَّضات لخطر السقوط

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أكثر من الرهبان المحتبسين في الأديرة لأنّ ليس لهنّ صوامع الاّ بيوت المرضى ولا لهنّ قلاّيات سوى حجرة بسيطة وعلى الأغلب مستأجَرة. وعوضاً عن رواقات الدير لهنّ طُرق المدينة وبدل المشبّكات لهنّ خوف الله. وبدل الغطاء لهنّ الحشمة المقدّسة. واحتراساً على حفظ كل هذهِ الملاحظات يجب عليهنّ أن يمتلكن الفضائل لتكون لهنّ سوراً حصيناً منيعاً أكثر ممّا لو كنّ ناذرات في إحدى الرهبنات. فلأجل ذلك ليجتهدنَ في أن يسلكن في كلّ مكان برزانة وحشمة جاعلات انفسهنّ مثالاً صالحاً وقدوةً جيّدة كالراهبات القاطنات في الأديرة. ولنوال هذهِ النعمة العظمى من الله يجب عليهنّ أن يبذلن جهدهنّ خصوصاً في ممارسة الفضائل التي يأمرهنّ بها القانون بتواضع عميق وطاعة كاملة وبتجرّد تامّ عن المخلوقات* وبعد مدّة عرضت بعض بنات شريفات الأصل أنفسهنّ على القديس ملتمسات منهُ أن يشركهنّ بوظائف أخويّة بنات المحبّة* وفي سنة ١٦١٩ لقّب الملك مار منصور بالمرشد الروحيّ العامّ للمحبوسين. فذهب أوّلاً إلى باريس ليفتقد ويسلّي المحبوسين الذين فيها. ثمّ انطلق إلى مرسيليا وزار المحبوسين الذين كانوا هناك مهملين بالكليّة من كل مساعدة ومفتقرين إلى اللوازم الجسديّة والروحيّة. واستأجر إذ ذاك لهم مار منصور بيتاً قريباً من الكنيسة وشرع يبذل كلّ نوع من الخدم لاغاثتهم. وكان يزورهم مرّات كثيرة ويرشدهم ويعزّيهم إلى أن أعدّهم للاعتراف العامّ بخطاياهم وللتأهّب لتناول الأسرار المقدّسة. وشمّر الساعد لاعالة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أجسادهم. وكان أحياناً كثيرة ينفرد بهم ويسكن معهم. ومن شدّة حبّهِ لهولاء البائسين كثيراً ما كان ينسى نفسهُ عندهم. ولمّا كان يلتزم أن يغيب عنهم لقضاء أمور أخر ضروريّة كان يعتني أوّلاً بتعيين اثنين من الاقليرس الأكثر صلاحاً وفضيلة ليقوما مقامهُ بلوازمهم ومدارتهم ويبذلا الهمّة برأفة وشفقة لكلّ ما يحتاجون إليهِ. وصار قسّيساً للمحبوسين فمكث عائشاً بين هولاء الناس الذين رذلهم الرذيلة. وكانوا مختلطين سويّةً من شباب وشيوخ ومرضى وأصحّاء ومدنفين. فكان لهم مثل أبٍ وملاك تعزية. وتوفّق أن يغيّر كلّ تصرّفاتهم السيّئة إلى عوائد مقدّسة. فصاروا يحتملون كل شدائدهم بالصبر والخضوع* وبعد ذلك رجع مار منصور بولا إلى باريس وعزم أن ينشئ جماعةً من الأنام الأتقياء يخصّصون ذواتهم للعمل في الرسالات. فاتّفق أوّلاً مع بعض القسوس الأفاضل وشرعوا يطوفون في كلّ مكان ويعلّمون الناس أصول الدّيانة ويدعونهم إلى الاعتراف بخطاياهم وهم يكثرون يوماً بعد يوم. حتّى انّهُ بعد زمان قليل كثرت جماعة هولاء المرسلين* وكان مطران باريس يعضدهم واعطاهم محلاً يجمعهم. وهكذا صارت مبادئ أخويّة المرسلين التي ثبّتها البابا أُربانس السابع سنة ١٦٣٢ ولُقّبت برهبنة المرسلين العازاريّين نسبةً إلى دير مار اليعازر الذي أُعطي لهم ليقيموا فيهِ لمّا كثروا. وكان هولاء المرسلون يجولون في بلاد اوروبا وافريقيّة منذرين بالإنجيل وهادين الأمم إلى حظيرة كنيسة المسيح ومصلحين الأمور والعوائد. وفي ذلك الزمان تضايق جانب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من بلاد فرنسا بالحروب والمجاعة والوباء. فأخذ منصور بولا يشتغل بكلّ همّةٍ وجدٍّ في مساعدة أولئك الأقوام المساكين. ونال أن يفتح أكياس جميع الأغنياء الفرنساويّين إذ كانوا يحبّونهُ. وصار يرسل إلى تلك البلاد مع أخوتهِ المرسَلين مؤونات كثيرة. وأرسل أيضاً أخوات الرحمة لمداراة المرضى. وامتلأَ ديرهُ الكبير المدعو باسم مار اليعازر من الفقراء والمرضى الذين كانوا يأتون إليهِ أفواجاً كثيرة من تلك البلاد. فكانت رحمتهُ تسدّ كل احتياجاتهم. وكانت ثقتهُ بالعناية الإلهيّة وطيدةً جدّاً حتى انّ الله كان يرسل لهُ بجودة فائقة كلّ ما كان يحتاج إليهِ لإعالة كلّ فقراء فرنسا الذين لا يحصى عددهم في طول زمان العسر* وفي سنة ١٦٣٤ أنشأَ أخويّة من النساء لخدمة المرضى في بيمارستان عمّرهُ في باريس. فكان يرسل إليهِ كلّ يوم خمساً منهنّ للخدمة* وفي سنة ١٦٣٨ أَنشأ جماعة أخرى من النساء لتربية الأطفال الذين كانوا يوجَدون مطروحين في الأزقّة. وبمبلغ وافر من الفضّة حصّلهُ من صديق لهُ غنيّ بنى بيمارستاناً للشيوخ الضعفاء. حتّى انّهُ في سنة ١٦٥٧ لم يبقَ في مدينة باريس فقير يتسوّل. لأنّ منصور لشدّة غيرتهِ على مجد الله وخلاص النفوس والأجساد جعل لكلّ نوع من المحتاجين محلاًّ يرتاح فيهِ*

وانّ نجاح أعمال هذا القدّيس شجّعهُ وقوّاهُ على كلّ عمل. فكان يجمع اقليرس باريس مرّةً في كلّ أسبوع للمفاوضة في قضايا دينيّة وادبيّة. وكان اجتماعهم غالباً في يوم الثلاثاء. وكان يحضر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في تلك المفاوضات معظم الأحبار والقسوس المعتبرين في ذلك العصر. وحضر مرةً المعلّم المشهور بصُّوَه. فمدح مار منصور بولا قائلاً: انّ كلام منصور يشبه كلام يسوع المسيح. وبهذهِ المفاوضات كان يضرم غيرة الاقليرس على خلاص النفوس* وكان ديرهُ مفتوحاً للقسوس والعلمانيّين الذين كانوا يريدون مشاورتهُ. فكان الشريف والفقير والقسّيس والعلماني والبلديّ والقرويّ جميعاً يُعامَلون على السواء بالاكرام والمحبة. وما خرج أحدٌ من هناك الاّ وهو حامل معهُ رائحة يسوع المسيح الذكيّة. فهكذا حدث انّ رجلاً واحداً محرَّكاً بروح الله أمكنهُ أن يغيّر وجهَ عصرهِ*

أَلاَ ما الذي قدّر مار منصور بولا على كل هذهِ الأعمال العجيبة. وكيف أمكنهُ أن يجد كنوزاً عظيمة بهذا المقدار لإِقامة جماعات كثيرة لخدمة الله ولمنفعة الناس: انّهُ لم يسهّل لهُ ذلك الاّ جودة حبّهِ للبشر. لأنّ المحبّة تقدر أن تعمل أعمالاً عظيمة وتجعل المحبّ أن ينسى نفسهُ بل يبذلها دون محبوبهِ. وقضى مار منصور بولا خمساً وثمانين سنة من العمر* وفي ١٦٦٠ في شهر أيلول قال: انّي مائت في هذهِ الأيّام وسيُطمَر هذا الجسد الخاطئ العتيق الأيّام في الأرض ويستحيل إلى رماد* وفي اليوم السادس والعشرين من شهر ايلول تناول القربان المقدّس حسب عادتهِ. وفي الغد اجتمع حولهُ كلّ أولادهِ باكين بدموع غزيرة على فقدهم هذا الاب الصالح وطلبوا بركتهُ. وبعدما باركهم قال: يا رب اسرع إلى اغاثتي. فطارت روحهُ إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السماء لتنال جزاء كل الأعمال العظيمة التي قضاها في حياتهِ الطويلة* وحُفظ جسد هذا القدّيس عند جماعة العازاريّين. غير انّهُ في مرور الزمان أُخذ قلبهُ إلى كنيسة اسقفيّة ليون وأعظم الكرامات التي نراها في سيرتهِ هي الأعمال الجزيلة الخيريّة العجيبة التي قضاها في حياتهِ التي أذهلت كلّ رجال عصرهِ. فاستحقّ لذلك أن يكتب البابا بندكتس الرابع عشر اسمهُ في سفر الطوباويّين في ٢١ آب سنة ١٧٢٩ ويحكم بقداستهِ بعد ذلك بثماني سنين البابا اقليميس السابع*

* اليوم العشرون *

ايلياء النبيّ

هو ايليّا نبيّ إسرائيل المعظّم* كان من مستوطني جلعاد. ووُلد في مدينة تشبت الواقعة وراء الأردنّ* وعلى رأي بعض المعلّمين انّهُ كان كاهناً من سبط هارون. ولكن ذلك لم يُشَر إليهِ في الكتاب المقدّس. وعلى رأي مار افرام وغيرهِ من المعلّمين انّ ايليا حفظ بتوليّتهُ* وقد أقام الله هذا النبيّ لمقاومة الوثنيّة ولا سيّما عبادة بعل التي أيّدها في إسرائيل الملك آخاب وايزَبال امرأتهُ* ويخبرنا الكتاب المقدّس في سفر الملوك الأوّل من الاصحاح السادس عشر في العدد التاسع والعشرين. انّ اخاب بن عمري ملك على إسرائيل في سنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمانٍ وثلاثين لآسا ملك يهوذا. وملك آخاب بن عمري على آل اسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة. وصنع اخاب بن عمري السوءَ قدّام الربّ أكثر من جميع الذين كانوا قبلهُ. ولم يكفهِ ان يسلك في خطايا يوربعام بن ناباط. بل أخذ لهُ إِزَبال ابنة أَثبعال ملك الصيدونيّين زوجةً. وذهب وعبد البعل وسجد لهُ. وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناهُ بالسامرة. وغرس اخاب غيضاً. وزاد اخاب بعملهِ. فاغضب الربّ اله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبلهُ*

انّ ايليا كمّل الرسالة التي قلّدهُ الله ايّاها بكلّ ضبط وتدقيق. والكتاب المقدّس يثني عليهِ بفم يشوع بن سيراخ ما نوّه عنهُ بمديحهِ لهُ في الاصحاح الثامن والأربعين قائلاً: وقام ايلياء النبيّ كالنار. وتوقّد كلامهُ مثل المشعل. بعث عليهم الجوع. وبغيرتهِ قلّلهم. لأنّهم لم يقدروا ان يصبروا على وصايا الله. اغلق السماء بقول الربّ. وأنزل هكذا ناراً من السماء ثلاث مرّات. كم عظُمتَ يا ايلياء بعجائبك. ومن يقدر يفتخر هكذا مثلك. أقمت الميّت من الجحيم من سهم الموت بقول العليّ. طرحتَ الملوك إلى الهلاك. وهان عليك كسر قدرتهم وانزال الشرفاء من اسرّتهم. سمعتَ القضاء في سينا. وبحوريب أحكام الانتصار. مسحتَ الملوك للنقمة. وصيّرت الأنبياء خلائقك. اختُطفتَ بعجاج النار في عَجَل الخيل الناريّة. اكتُتبتَ في أحكام الأزمنة. لتهدّئَ غضب الربّ. وتردّ قلب الاب إلى ابنهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتضبط أحوال أسباط يعقوب. طوبى لمن عاينك وتشرّف بمصادفتك. لأنّنا نحن نعيش عيشاً فقط وبعد الموت لا يكون اسمنا كذلك*

انّ ايلياء لفظة عبرانيّة معناها إلهيّ. وتدلّ على شرف دعوة النبيّ العظيم. إذ دعاهُ الله ليُشهر عظائمهُ تعالى. وليحرّض البشر ان يسجدوا لجلالتهِ المثلّثة التقديس. وليُظهر قدرتهُ على أعدائهِ ويوطّد سلطتهُ وعبادتهُ عند قبائل الأرض كلّها. إنَّ دعوة كذا تعبّر لنا أيضاً عن أعمال ايلياء العجيبة والخارقة العادة. هذا وانَّ أخاب لكي يرضي امرأتهُ الشريرة ايزَبال أمر أن يُشيَّد هيكلاً اكراماً للبعل اله الصيدونيّين. وانتخب ثمانمائة وخمسين رجلاً من أوباش الناس ليكونوا كهنةً للبعل ويقدّموا لهُ الذبائح. أَمّا ايليّاء فإذ لم يستطِع احتمال هذه القباحة أقبل على اخاب بروح الله رافضاً كلّ تقدمة باطلة في حضرة الملك ذي القلب المتصلّب قائلاً لهُ: حيٌّ هو الربَّ اله اسرائيل الذي وقفتُ بين يديهِ لا يكون في هذه السنين طلٌّ ولا مطر إلاّ عند قولي. وابتغاء الهرب من غضب الملك امرهُ الله أن يمضي فيختفي عند نهر كريت الذي هو مقابل الأردنّ* فأقام هناك مدة من الزمان وعالتهُ الغربان إذ كانت تأتيهِ بخبز ولحم مساء. وكان يشرب من ماء النهر* ولمّا يبس ماء النهر لأنَّهُ لم يكن مطر في الأرض. كلّمهُ الربّ قائلاً: قُم واذهب إلى صارفة التي لصيدا واقِمْ هناك. هوذا قد امرتُ امرأةً أرملة أن تعولك هناك. فقام وانطلق إلى صارفة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمّا دنا من باب المدينة. إذا بامرأة أرملة هناك تجمع حطباً. فدعاها وقال: ايتيني بقليل ماءٍ في اناء لكي أشرب. فذهبت لتأتيهُ. فدعاها وقال لها: ايتيني بفتات خبز في يدكِ. فقالت لهُ: حيٌّ هو الربّ الاهك. انّهُ ليس عندي خبز. الاّ قدر ملءِ كفٍّ من الدقيق في الجرّة وقليل زيت في القلّة. وهوذا أجمع عودَيْ حطب واذهب واصنعهُ لي ولابني. فنأكلهُ ونموت. فقال لها ايلياء: لا خوف عليكِ. انطلقي فافعلي كما قلتِ. ولكن اخبزي لي منها أوّلاً قرصة ملّة صغيرة. واخرجي بها إليّ. ثمّ اصنعي لكِ ولابنكِ أخيراً. من أجل انّهُ هكذا يقول الرب اله إسرائيل: إنَّ جرّة الدقيق لا تفنى. وقلّة الزيت لا تنقص إلى اليوم الذي فيهِ يعطي الربّ مطراً على وجه الأرض. فذهبت وصنعت مثل قول ايلياء. وأكلت هي وهو والذين في بيتها أيّاماً. ولم يفنَ الدقيق الذي في الجرّة. ولم ينقص الزيت الذي في القلّة. كقول الربّ الذي قالهُ على يد ايلياء*

وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت. واشتدّ مرضهُ جدّاً. حتّى لَم تبقَ فيهِ نسمة الحيوة. فقالت لايلياء: ما لي ولك يا رجل الله. أَأَتيتني لتذكّرني اثمي ولتقتل ابني. فقال لها: اعطيني ابنكِ. ثمّ أخذهُ من حضنها. وصعد بهِ إلى العلّيّة التي كان نازلاً فيها. واضجعهُ على فراشهِ. وصرخ إلى الربّ وقال: أيها الربّ الاهي. أأيضاً هذه الأرملة التي أنا نازل عندها قد أنزلتَ بها البلاء بقتل ابنها. ثمَّ تمدَّد على الصبي ثلاث مرّات. ونادى الربّ وقال: أيها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرب الهي. لترجع نفس هذا الصبيّ إلى داخلهِ. فأجاب الربّ إلى صوت ايلياء. فرجعت نفس الصبي إلى داخلهِ. فعاش. فأخذ ايلياء الغلام. ونزل بهِ من العلّيّة إلى البيت. ودفعهُ لأمّهِ. وقال ايلياء: انظري ابنكِ حيٌّ. فقالت المرأة لايلياء: الآن علمتُ انّك رجل الله. وكلام الربّ في فيك حقّ*

وبعد ثلاث سنين سكن غضب الرب عن إسرائيل. فقال لنبيّهِ ايلياء: اذهب وتراءَ لاخاب. لأُنزل مطراً على وجه الأرض* فانطلق ايلياء إلى اخاب. وونّبهُ على تركهِ وصايا الربّ. وقال لهُ: ارسل واجمع إليّ كلّ اسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الذين يأكلون على مائدة ايزَبال* فأرسل اخاب إلى جميع بني إسرائيل. وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل. فتقدّم ايلياء إلى جميع الشعب وقال: حتّى متى تعرجون بين الفرقتين. ان كان الربّ هو الله فاتبعوهُ. وان كان البعل فاتبعوهُ. فلم يجبهُ الشعب بكلمة* ثمّ قال ايلياء للشعب: أنا بقيتُ نبيّاً للرب وحدي. وأنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلاً. فليعطونا ثورين. وليختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطّعوهُ ويضعوهُ على الحطب. ولكن لا يضعوا ناراً. وأنا أقرّب الثور الآخر واجعلهُ على الحطب. ولكن لا أضع ناراً. ثمّ تدعون باسم آلهتكم. وأنا أدعو باسم الرب. والاله الذي يجيب بالنار فهو الله* فأجاب جميع الشعب وقالوا: الكلام حسن* فأخذ أنبياء البعل الثور وقرّبوهُ. ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر. فلم يكن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صوت ولا مجيب وكانوا يرقصون حول المذبح الذي صنعوهُ* وعند الظهر سخر بهم ايلياء وقال: ادعوا بصوت عالٍ. لأنّهُ اله لعلّهُ مستغرق أو في خلوة أو في سفر. أو لعلّهُ نائِم فينتبه* فصرخوا بصوتٍ عالٍ وتقطّعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتّى سال دمهم* ولمّا جاز الظهر ولم يكن صوت ولا مجيب. قال ايلياء لجميع الشعب: تقدّموا إليّ. فتقدّموا إليهِ. فرمّم مذبح الربّ المنهدم. وأخذ اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني إسرائيل. وبناها مذبحاً باسم الربّ. وعمل قناةً حول المذبح وقطّع الثور ووضعهُ على الحطب وقال: املأُوا أربع جرّات ماءً. وصبّوا على المحرقة وعلى الحطب. ثمّ قال: ثنّوا. فثنّوا. وقال: ثلّثوا. فثَلّثوا* فجرى الماء حول المذبح. وامتلأَت القناة أيضاً ماءً* ولمّا أُصعدت التقدمة. تقدّم ايلياء النبيّ وقال: أيّها الربّ اله ابراهيم واسحق واسرائيل ليُعلَم اليوم أَنّك أنت الله في إسرائيل. وانّي أنا عبدك وبأمرك قد فعلتُ كلّ هذهِ الأمور. استجب لي يا ربّ ليعلم هذا الشعب أَنك أنت الربّ الإله وانّك أنت ردَّيتَ قلوبهم إلى وراء* فسقطت نار الربّ. واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب. ونشّفت المياه التي في القناة* فلمّا رأى الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الربّ هو الله. الربّ هو الله* فقال لهم ايلياء: امسكوا أنبياء البعل. ولا يفلت منهم رجل* فامسكوهم فنزل بهم ايلياء إلى نهر قيشون. وذبحهم هناك*

هذا وفضلاً عن أنّ الكتاب المقدّس يخبرنا بأنّ ايليّا ذبح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أنبياء البعل الكذبة. فمن المحتمل أنهُ لم يذبحهم هو بيدهِ. بل أَمر الشعب أَن يذبحهم. وبذلك صار كآلةٍ لانزال نقمة الله الذي كان يستقصّ عن الإهانات الملحَقَة بجلالتهِ العظيمة من عبادة البعل الدنسة. ويريد أن يصون شعبهُ منها. وبناءً على أنّ شريعة موسى كانت تحكم بالموت على الإسرائيليين الذين يعبدون الأصنام كما قيل في سفر الخروج (ص ٢٢ عد ٢٠): كلّ من يذبح للآلهة غير الربّ وحدهُ. يهلك*

وبعد ذلك ارسل الربّ مطراً على الأرض. وارتفع المحل* وأَخبر أخاب ايزبال بكلّ ما عمل ايلياء. وكيف انهُ قتل جميع الأنبياء بالسيف وهدم بعل. فاغتاظت غيظاً شديداً* وأَرسلت ايزبال رسولاً إلى ايلياء تقول: كذا يصنع بي الآلهة وكذا يزيدوني. إِنْ لم أَجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غداً* فلمّا رأى ذلك. قام وانطلق على وجههِ. وأَتى إلى بئر سبع التي في يهوذا. وترك غلامهُ هناك* ثمّ سار في القفر مسيرة يوم واحد. حتّى أتى وجلس تحت شجرة عرعر. وسأَل لنفسهِ الموت. وقال: قد كفى فالآن يا ربّ خُذ روحي. لأَنّي لستُ خيراً من آبائي* واضطجع ونام تحت شجرة العرعر. وإذا بملاكٍ دنا منهُ. وقال لهُ: قُم كُلْ* فتطلّع وإذا قرصةٌ من الملّة وجرّة ماء عند رأسهِ. فأكل وشرب. ثمّ رجع ونام* فعاد ملاك الرب ثانيةً ودنا منهُ. وقال لهُ: قم كُلْ. لأَنّ المسافة طويلةٌ عليك* فقام وأكل وشرب. وسار بقوّة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلةً إلى جبل الله حوريب*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وانّ ايلياء باكلة الخبز العجائبيّ في البرّيّة. اشتدّ عزمهُ وتقوّى قلبهُ. فسار بقوّة تلك الاكلة أربعين يوماً وأربعين ليلةً إلى جبل الله حوريب. فهذا الخبز يرمز لنا عن سرّ القربان المقدّس الخبز الحقيقيّ الذي نزل من السماء ليقيت المسيحي الصالح ويقوّيهُ لئلاّ يضعف ما دام سائراً في برّية هذا العالم ويتكبّدا أوجاعهُ إلى أن يصل إلى جبل الله الحقيقيّ أعني بهِ السماء* انّ ايلياء النبيّ جعل في مسيرهِ إلى جبل حوريب مدّة أربعين يوماً كاملاً. ليس لأنّ الجبل كان بعيداً بكذا مسافة عن بلاد فلسطين. إذ أَنّ بئر سبع لم يكن يبعد عن جبل سينا أو حوريب الاّ مسافة أربعة أو خمسة أيّام. بل لأنّ ايلياء من جرّاء هربهِ من غضب ايزبال جعل في مسيرهِ دورات مختلفة. وكان يتوقّف أحياناً عن السير وأحياناً يجدّ بالمشي كما هو من حالة الهاربين*

ولمّا وصل النبيّ جبل حوريب. قال لهُ الله: ما لك ها هنا يا ايلياء. فقال: قد غِرتُ غيرةً للربّ اله الجنود. لأنّ بني إسرائيل قد تركوا عهدك. ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءَك بالسيف. فبقيتُ أنا وحدي. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها* فقال لهُ الربّ: اذهب راجعاً في طريقك إلى برّيّة دمشق. وامسح حزائيل ملكاً على آرام. وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل. وامسح اليشاع بن شافاط من آبل محولة نبيّاً مكانك. فذهب من هناك وصنع كما أَمرهُ الربّ*

ولمّا جلس بعد آخاب ابنهُ اخزيا. اقتفى بآثار أبيهِ. فاتّفق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّهُ يوماً سقط من الكوّة التي في علّيّتهِ التي في السامرة. فمرض وأَرسل رسلاً ليسأَلوا بعلزبوب اله عقرون هل يبرأ من هذا المرض* فارسل ملاك الرب ايلياء للقاء رسل ملك السامرة فالتقى بهم وقال لهم: اذهبوا راجعين إلى الملك الذي أرسلكم وقولوا لهُ: هكذا يقول الربّ أكأنّهُ لا يوجد في إسرائيل إله فارسلت لتسأل بعلزبوب إله عقرون. فلذلك فالسرير الذي صعدتَ عليهِ لا تنزل عنهُ بل موتاً تموت* فلمّا رجع الرسل وأخبروا الملك. قال لهم: ما هي هيئة الرجل الذي صعد للقائكم وكلّمكم بهذا الكلام. فقالوا لهُ: انّهُ رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويهِ* فقال: هو ايلياء التشبيتي. فارسل إليهِ رئيس خمسين مع الخمسين الذين لهُ* فصعد إليهِ وإذا هو جالس على رأس الجبل. فقال لهُ: يا رجل الله. الملك يقول انزل* فأجاب ايلياء وقال لرئيس الخمسين: ان كنتُ أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك* فنزلت نار من السماء وأكلتهُ هو والخمسين الذين لهُ* ثمّ عاد وأرسل إليهِ رئيس خمسين آخر والخمسين الذين لهُ. فجرى بهم ما جرى برفقائهم* ثم عاد اخزيا فأرسل إليهِ رئيس خمسين ثالثاً والخمسين الذين لهُ. فصعد رئيس الخمسين الثالث. وجاء وجثا على ركبتيهِ أمام ايلياء. وتضرّع إليهِ وقال لهُ: يا رجل الله لتكرم نفسي وانفس عبيدك هولاء الخمسين في عينيك. هوذا قد نزلت نار من السماء وأكلت رئيسَي الخمسينَين الأوّلَين وخمسينيهما. والآن فلتكرَم نفسي في عينيك* فقال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملاك الربّ لايلياء: انزل معهُ ولا تَخَف منهُ. فقام ونزل معهُ إلى الملك وقال لهُ: هكذا يقول الربّ. من أجل انّك أرسلتَ رسلاً لتسأل بعلزبوب اله عقرون. أفكأنّهُ لا يوجد في إسرائيل إله لتسأل عن كلامهِ. لذلك فالسرير الذي صعدت عليهِ لا تنزل عنهُ. بل موتاً تموت* فمات حسب كلام الربّ الذي تكلّم بهِ ايلياء*

هذا وقد قال في هذا الصدد بعض مترجمي الكتاب المقدّس المشهورين الذين أخبر عنهم سانكسيوس: انّ اخزيا الملك ارسل رئيس الخمسين مع الخمسين الذين لهُ. وأمرهُ أن ينطلق إلى ايلياء ليأتيهُ بهِ. وإن امتنع عن الحضور فليسحبْهُ عنفاً. وكان قصد الملك بذلك أن ينتقم لنفسهِ ولامّهِ من النبيّ. لأجل ذبحهِ أنبياء البعل ولسبب إنبائهِ رسل الملك بموت سيّدهم. والبرهان على ذلك انّ رئيس الخمسين حينما دنا من ايلياء وهو متّقدٌ غيظاً كلّمهُ بجسارة قائلاً لهُ: يا رجل الله ان الملك يأمرك أن تنزل. فطلبتهُ هذهِ لم تكن حرمةً منهُ ووقاراً للنبيّ ولا لكي يستمدّ منهُ نعمةً ما بل اقترب من النبيّ وهو محتدٌّ غضباً لِمَا أثّر فيهِ من شدّة حَنَق الملك اخزيا وايزبال امّهِ على النبيّ. فخاطبهُ بقساوة وكرئيس يصول على أحد العصاة. وانّ هذا الوثنيّ عابد البعل لم يتلفّظ بهذهِ كلمات يا رجل الله الاّ هزوءاً وتهكّماً. وقد أسرع ليقبض عليهِ ويحضرهُ أمام الملك. وامّا حقيقة معنى طلبتهِ. فكأنّ بهِ قال للنبيّ: تعال ليحاكمك الملك على ما قلتَهُ وفعلتَهُ. أليس أنت الذي أمرت باسم الله أن يُهدَم مذبح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البعل وان تُذبَح انبياؤُهُ. أوما أنت الذي تنبّأت على موت الملك. فهلّم الآن. لأن الملك يأمرك أن تنزل. وسنرى ماذا يفعل الله من أجلك ذاك الذي تدعوهُ الهك. امّا ايلياء فعندما سمع كلمات الرئيس وتجديفهُ اغتمّ جدّاً من أجل الاهانة العظيمة الصادرة لله من هذا المجدّف. وجاوبهُ في الحال ان كنتُ أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتفنيك. وقد عنى النبيّ بقولهِ لرئيس الخمسين: انك تدعوني خادم الهٍ تزدري بقدرتهِ. فاعلم انّ هذا الاله الذي أعبدهُ أنا يُنزل عليك ناراً من السماء فتحرقك وإذ ذاك تعرفهُ حقّ المعرفة. ولكن ذلك يكون لك من دون فائدة إذ انك ترثي حينئذٍ حماقتك متأسّفاً وتندب آمالك الاثميّة*

وفي كلّ ذلك لم يمل النبيّ إلى أدنى حركة من الغضب. ولم تتسلّط عليهِ رغبة الانتقام. بل كان ينذر المجدّفين بما سيداهمهم من القصاصات. مثلما أنذر القدّيس بطرس الرسول حنانيا واعلمهُ بالموت قصاصاً عمّا ارتكبهُ من النفاق*

وامّا نهاية امر ايلياء النبيّ فهو انّ الله أراد أن يصعدَهُ في العاصفة إلى السماء حسبما يخبرنا الكتاب المقدّس. وكان حينئذٍ ايلياء مع اليشاع تلميذهِ في الجلجال. فحاول ايلياء أن يفترق من اليشاع. ولكنّ اليشاع لم يمكّنهُ من ذلك. لأنّهُ كان حيثما ذهب تبعهُ اليشاع. لأنّ الربّ اعلمهُ باصعاد ايلياء* ثمّ أتيا إلى الأردنّ. فأخذ ايلياء رداءَهُ ولفّهُ وضرب الماء. فانفلق إلى هنا وهنا. فعبرا كلاهما في اليبس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمّا عبرا. قال ايلياء لاليشاع: اطلب ماذا أفعل لك قبلما أوخَذ منك* فقال اليشاع: ليكن نصيب اثنين من روحك عليّ* وفيما هما يسيران ويتكلّمان. إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما. فصعد ايلياء في العاصفة إلى السماء. وترك رداءَهُ فسقط* فأخذهُ اليشاع وجاء إلى ماء الأردنّ. وقال: أين هو الربّ اله ايلياء. ثمّ ضرب الماء فانفلق إلى هنا وهنا. فعبر اليشاع* وكان صعود ايلياء في سنة ٣١٠٨ للعالم وهي سنة ٨٩٢ قبل المسيح وسنة ٨٩٦ قبل التاريخ المسيحي*

وذهب معلّموا الكنيسة انّ ايلياء هو حيّ ولم يعاين الموت بعد. وذلك استناداً على قول الكتاب المقدّس. انّهُ سيأتي عند انقضاء العالم قبل مجيء المسيح للدينونة* وقالوا أيضاً انّهُ رُفع إلى مكان فوق الأرض لا إلى السماء حيث مقرّ اللاّهوت. ولم يدخل إلى سعادة القديسين الذين في السماء* وذهب بعضهم انّهُ على الأرض نفسها في مكان مجهول* ويظهر من سفر الرؤيا انّ النّبيّين اللذين سيظهران عند انقضاء الدنيا لمحاربة الدجّال هما ايليا واخنوخ. وانّهما سيُعطَيان سلطاناً أن يغلقا السماء حتّى لا تمطر مطراً في أيّام نبوّتهما وان يحوّلا المياه إلى دم ويضربا الأرض بكلّ ضربة كلّما أرادا. ومتى قضيا شهادتهما يحاربهما المسيح الكذّاب ويغلبهما ويقتلهما. وتبقى جثّتاهما مطروحتين ثلاثة أيّام ونصفاً عرضةً لإهانة الناس ولا توضعان في القبور. وبعد الأيّام الثلاثة والنصف يدخل فيهما روح الحيوة من الله. فيقومان ويقفان على أرجلهما*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ رهبنة الكرمليّين تكرم ايلياء النبيّ اكراماً عظيماً. وتتّخذهُ اباها ورئيسها. لأنّهُ قد أنشأَ في جبل الكرمل جماعة يسيرون بموجب قوانين رتّبها لهم على ما قيل. ولم تزل هذهِ جماعة ايلياء النبيّ على ذلك الشان إلى القرن الثالث عشر. وحينئذٍ أعطاهم البرتس بطريرك أورشليم قانوناً جديداً* وهذهِ الجماعة كان لها عبادة خصوصيّة لسيّدتنا مريم العذراء حسبما شرحنا في عيد سيّدة الكرمل الوارد في اليوم السادس عشر من شهر تموز*

* اليوم الحادي والعشرون *

دانيال النبيّ

انّ دانيال النبيّ المعظّم هو أحد الأنبياء الكبار. وقد وُلد من نسل ملوك يهوذا. وفي حداثتهِ أُخذ مَسبيّاً مع اليهود إلى بابل سنة ٦٠٢ قبل المسيح. وفي أثناء إقامتهِ هناك أُختير هو ورفاقهُ الثلاثة حنانيا وعازريا وميشائيل ليُربّوا ويُهَذَّبوا في قصر الملك بختنصّر بما امكن من الاعتناء ليكونوا كفوءاً للخدمة بين يدي الملك. فسُمّي حينئذٍ دانيال باسم بلطشاسر (أي المنعَم عليهِ من بعل) وتعلّم لغة البابليّين. وتمهّر في جميع الفنون والعلوم المعروفة يومئذٍ عندهم. وغمّرهُ الله بآلائهِ وأفضالهِ. واختصّهُ بكرامة الوحي وتعبير الأحلام. فشاع صيتهُ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واحبّهُ بختنصّر. وقرّبهُ إليهِ. وقلّدهُ تدبير مملكتهِ. وجعلهُ رئيساً على المجوس والحكماء. وحدث في ذلك الزمان ان الملك بختنصّر نصب تمثالاً من ذهب ارتفاعهُ ستّون ذراعاً وأمر رعيّتهُ أن يسجدوا لهُ قاطبةً. فأبى دانيال ورفاقهُ الثلاثة أن يسجدوا للصنم. فشقّ ذلك على الملك وأمر أن يُطرَحوا في أتّون نار متّقدة. ولكنّهم نجوا من النار بأعجوبة إلهيّة وخرجوا منها سالمين. ومن عجيب الحكمة التي أبداها دانيال هو انّهُ برّر سوسنّة العفيفة من تهمة اتّهمها بها شيخان خبيثان وكشف زورهما. وخلّص سوسنّة الزكيّة من قضاء الموت المحكوم بهِ عليها ظلماً*

ورأى بختنصّر ذات ليلة في المنام أحلاماً. فاضطربت نفسهُ وطار عنهُ النوم. فأَمر الملك أن يُستدعى العرّافون والمجوس والسحرة والكلدانيّون لينبئوا الملك بأحلامهِ. فأتوا ووقفوا قدّام الملك. فقال لهم الملك: رأيتُ في المنام حلماً. واضطربت روحي لمعرفة الحلم. فأجاب الكلدانيّون الملك بالاراميّة: يا أيها الملك حييت إلى الأبد أَخبِرْ بالحلم عبيدك فنبيّن تعبيرهُ. فأجاب الملك وقال للكلدانيّين: قد أفلت منّي الكلام. ان لم تنبئوني بالحلم وبتعبيرهِ. تُقَطَّعون إرباً ارباً وتصير بيوتكم دِمَناً. وان بيّنتم الحلم وتعبيرهُ تنالون منّي هدايا وعطايا نفيسة واكراماً زائداً. فأَخبروني بالحلم وبتفسيرهِ. فأجابوا ثانيةً وقالوا: ليُخْبِرْ الملك عبيدهُ بالحلم. فنُنبئَ بتفسيرهِ. أجاب الملك وقال: انّي عالم يقيناً انّكم تنتهزون الزمان إذ رأيتم انّ القول قد نفذ منّي. بأنّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ان لم تخبروني بالحلم. فقضاءٌ واحدٌ عليكم. بانكم اختلفتم كلاماً كاذباً مملوّاً مكراً لتكلّموني بهِ حتّى يمضي الزمان. فاخبروني بالحلم. فأَعلم انّكم تنبئُوني بتفسيرهِ. فأجاب الكلدانيّون قدّام الملك وقالوا: ليس أحد على الأرض يمكنهُ يا أيها الملك أن يقضي إِرَب الملك. ولا أحد من الملوك ولو عظيماً عزيزاً استفهم عرّافاً أو ساحراً أو كلدانيّاً عن أمر مثل هذا. فانّ الأمر الذي أنت مستفهم عنهُ يا أيها الملك معضَل. ولا يوجد أحد يخبر بهِ قدّام الملك ما خلا الآلهة الذين ليس معاشرتهم مع الناس*

وعند ذلك غضب الملك واستشاط غيظاً. وأمر أن يهلكوا جميع حكماء بابل. فخرج القضاء. وكان الحكماء يُقتَلون. فطلبوا دانيال وأَصحابهُ ليقتلوهم. فحينئذٍ كلّم دانيال ببيانٍ وعقل اريوخ قائد جيش الملك الذي أُمرَ بقتل حكماء بابل. وقال لهُ: لماذا خرج الأمر من قِبل الملك شديداً هكذا* فأخبر حينئذٍ اريوخ دانيال بالأمر. فدخل دانيال إلى الملك وطلب منهُ أن يمهلهُ أيّاماً ليخبرهُ بالتفسير. ثمّ انطلق دانيال إلى بيتهِ. فأَخبر بالأمر حانيا وميشائيل وعازريا أصحابهُ. ليطلبوا الرحمة من اله السماء لانكشاف السرّ كي لا يبيد دانيال وأصحابهُ مع سائر حكماء بابل*

فحينئذٍ كُشف السرّ لدانيال في الرويا ليلاً. فبارك دانيال اله السماء. ونطق دانيال قائلاً: تبارك اسم الله من الأزل وإلى الأبد. من أجل انّ لهُ الحكمة والقدرة وهو يغيّر الأزمنة والأوقات. يعزل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملوكاً. وينصب ملوكاً. يعطي الحكماء الحكمة ويعلّم الفهماء العلم. هو يكشف العميقات والخفايا. ويعرف ما هو في الظلمة وعندهُ النور ساكن. لك يا إله آبائي أحمد وأسبّح لأنّك أعطيني حكمة وقوّة. واطلعتني الآن على ما سألناك لأنّك أظهرتَ لنا أمر الملك. وعند ذلك دخل دانيال إلى اريوخ الذي أمرهُ الملك بأن يهلك حكماء بابل. وقال لهُ هكذا: لا تهلك حكماء بابل. أَدخِلْني إلى قدّام الملك. فأُخبر الملك بالتفسير*

حينئذٍ ادخل اريوخُ مسرعاً دانيالَ إلى قدّام الملك. وقال لهُ هكذا: إنّي وجدتُ رجلاً من بني جلاء يهوذا. هو يخبر الملك بالتفسير. فأجاب الملك وقال لدانيال. الذي اسمهُ بلطشاسر: أترى حقّاً تقدر أن تخبرني بالحُلْم الذي رأيتُهُ وبتفسيرهِ. أجاب دانيال وقال قدّام الملك: انّ السرّ الذي يسأل عنهُ الملك لا يستطيع الحكماء والمجوس والسَّحرة والمنجّمون أن ينبئُوا بهِ الملك. ولكنّ في السماء إلهاً يكشف الأسرار وهو أخبر بختنصّر الملك بما سيكون في الأيام الأخيرة. فحُلمك ورويا راسك على منامك هي هذهِ. كنتَ يا أيها الملك عليَّ فراشك تتفكَّر في ما سيكون من بعد هذا. والكاشف الأسرار يُعلمك بما سيكون. امّا انا فلم يكشف لي هذا السرّ بحكمة هي في أكثر من سائر الأحياء لكن ليُطلَع الملك على التعبير وتعلم حقيقة افكار قلبك*

كنتَ أيها الملك ترى. وإذا تمثال جسيم. وهذا التمثال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العظيم البهيّ جدّاً وقف قبالتك ومنظرهُ مخوف. راس هذا التمثال هو من ذهب جيّد. وصدرهُ وذراعاهُ من فضّة. وبطنهُ وفخذاهُ من نحاس. وساقاهُ من حديد. وقدماهُ بعضهما من حديد. وبعضهما من خزف. فكنتَ ترى هكذا حتى انقطع حجرٌ من جبل بغير يدين فضرب التمثال على قدميهِ اللّتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضّة والذهب معاً. وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح. فلم يوجد لها مكان. أمّا الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً عظيماً. وملأَ الأرض بأسرها. فهذا هو الحلم. ولننبأَنَّ أيضاً قدّام الملك بتفسيرهِ*

أَنت يا أيّها الملك ملك الملوك. واله السماء أعطاكَ المُلك والقدرة والسلطان والمجد. وجميع ما يسكن فيهِ بنو البشر ووحوش البرّ وطيور السماءِ دفعهُ إلى يدك. وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك. فأَنت هو الراس الذي من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك. ومملكة ثالثة أخرى من نحاس وتتسلّط على كلّ الأرض. والمملكة الرابعة تكون صلبة مثل الحديد. لأنّ الحديد يسحق ويدقّ كلّ شي. ومثل الحديد الذي يدقّ تسحق وتكسر جميع هولاء. أمّا انّك رأيت القَدَمين وأصابعهما بعضها من خزف الفخّار وبعضها من حديد. فالمملكة تكون منقسمة. ويكون فيها صلابة الحديد. إذ قد رأيتَ الحديد مختلطاً بخزف الطين وأصابع القدمين بعضها من حديد وبعضها من خزف. فالمملكة يكون بعضها قويّاً وبعضها قصماً. وامّا انّك رأَيت الحديد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مختلطاً بخزف الطين. فانّهم يختلطون بنسل بشريّ. ولكن لا يتلاصقون مثلما لا يمتزج الحديد بالخزف. وفي أيّام هذهِ الملوك يبعث اله السماء مملكة لن تنقرض أبداً ومُلكها لا يُترَك لشعب آخر. وهي تسحق وتفني جميع هذهِ الممالك وهي تثبت إلى الأبد. على انّك رأيتَ انّهُ من جبل انقطع حجرٌ لا بيدَين. فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضّة والذهب. فالاله العظيم قد أظهر للملك ما سيأتي من بعد هذا. والحلم هو حقيقيّ وتفسيرهُ يقين*

فلمّا قال دانيال هذا انذهل بختنصّر متعجّباً وصرخ قائلاً: انّ الإله الذي أنت تعبدهُ يا دانيال هو بالحقيقة اله الالهة وربّ الملوك وكاشف الأسرار. ثمّ رفع الملك شان دانيال واعطاهُ عطايا كثيرة عظيمة*

وبعد زمان رأَى بختنصَّر حلماً آخر الجأَهُ أن يستنجد دانيال النبي ثانيةً. فقصّ بختنصّر على دانيال الحلم وقال لهُ: يا بلطشاسر رئيس العرّافين انّي عالم انّ فيك روح الالهة القدّيسين. ولا يعضلك سرّ من الأسرار. فأَخبرني برُؤَى حُلمي الذي رأيتُهُ وبتفسيرهِ. انّ رُؤى راسي على سريري هي انّي كنتُ أرى وإذا شجرة في وسط الأرض وارتفاعها شامخ. فكبرت الشجرة وقويت. حتّى وصل علوّها إلى السماء ومنظرها إلى أقاصي الأرض كلّها. أوراقها جميلة وثمرها كثير. وفيها طعام للجميع ومن تحتها استظلّ حيوان البرّ. وفي أغصانها عشّشت طيور السماء. واقتات منها كلّ ذي جسد. كنتُ أَرى في رؤى راسي على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سريري. فإذا بساهر وقدّيس نزل من السماء. فهتف صياحاً شديداً وقال هكذا: اقطعوا الشجرة. وافسخوا الأغصان منها وانفضوا أوراقها وبدِّدوا ثمارها. فلتهرب الوحوش من تحتها. والطيور من أغصانها. ولكن اتركوا جذر أصولها في الأرض. وليُرْبَط برباط من حديد ونحاس في عشب الحقل. وليبتلَّ بندى السماء وليكن نصيبهُ في عشب الحقل مع الحيوان وليغيّر قلبهُ عن البشريّة. ويُعطَ قلب بهيمة ولتختلف عليهِ سبعة أزمنة. بقضاء الساهرين هذا الأمر. وبكلام القديسين هذهِ المسأَلة حتّى تعلم الاحياء انّ العليّ متسلّط على مملكة الناس وهو يعطيها من يشاء. ويولّي عليها أحقر الناس. فهذا الحلم رأيتُهُ أنا بختنصّر الملك. وأنت يا بلطشاسر فاشرح لي تفسيرهُ. من أجل انّ جميع حكماء مملكتي لا يقدرون ان يأتوني بالتفسير. ولكنّك أنت قادرٌ لأنّ فيك روح الآلهة القدّيسين*

حينئذٍ دانيال الذي اسمهُ بلطشاسر أُرتج عليهِ نحو ساعة واحدة. وكانت أفكارهُ تقلقهُ. فأجاب الملك وقال: يا بلطشاسر لا يقلقك الحلم ولا تفسيرهُ. فأجاب بلطشاسر وقال يا مولاي: فليكن الحلم للذين يبغضونك ومعناهُ لاعدائك. انّ الشجرة التي رأيتها انّها صارت شامخة شديدة وبلغ ارتفاعها إلى السماء ومنظرها إلى الأرض كلّها. وأوراقها جميلة. وثمرها كثير. وفيها طعام للجميع. ومن تحتها ساكن حيوان البرّ. وفي أغصانها حالّةٌ طيور السماء. انّما هي أنت يا أيها الملك الذي تعظَّمتَ وتقوَّيتَ وعظمتك ازدادت وبلغت إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السماء. وسلطانك إلى أقصى الأرض* وامّا أَنّ الملك رأى ساهراً وقدّيساً نازلاً من السماء يقول اقطعوا الشجرة وبدّدوها ولكن اتركوا جذر أصولها في الأرض. وليُرْبَط بالحديد وبالنحاس في عشب الحقل وليبتلَّ بندى السماء وليكن نصيبهُ مع حيوان البرّ حتّى تختلف عليهِ سبعة أزمنة. فهذا هو التفسير أيها الملك. وهذا هو قضاء العليّ الذي حلّ على سيّدي الملك. انّهم يطردونك من بين الناس. ويكون مسكنك مع البهائِم والوحوش. وتأكل الحشيش كالبقر. وتبتلّ بندى السماء. وتمضي عليك سبعة أزمنة حتّى تعلم انّ العليّ هو المتسلّط على مملكة الناس وانّهُ يعطيها من يشاء. وامّا انّهم أمروا بأن يُترَك جذر أصولها أي أصول الشجرة. فانّ مملكتك تبقى لك بعدما تعلم أنّ للسماء سلطاناً. فلأجل ذلك يا أيّها الملك ارتضِ بمشورتي. وافدِ خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للفقراء. لعلّ راحتك تطول*

كلّ ذلك تمّ ببختنصّر الملك. وذلك انّهُ بعد تمام اثني عشر شهراً. إذ كان يتمشَّى على قصر مملكة بابل. جعل يقول اليس انّ هذهِ هي بابل العظيمة التي أنا ابتنيتُها لبيت المُلك بقوّة جبروتي ولبهاء مجدي. وإذ كان الكلام بعدُ في فم الملك. جاء صوت من السماء يقول: يُقال لك يا بختنصّر الملك انّ المُلك قد نُزع عنك. ويطردونك من بين الناس. ويكون مسكنك مع البهائِم والوحوش وتأكل حشيشاً كالبقر وتمضي عليك سبعة أزمنة. حتّى تعلم انّ العليّ هو المتسلّط على مملكة الناس وانّهُ يعطيها من يشاء وينزعها ممّن يشاء: انتهى*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وناهيك انّ هذهِ النبوّة صحّت بالتطبيق. وذلك انّهُ لمّا كان بختنصّر ذات غداة يتمشّى أيضاً على قصر مملكة بابل وهو يعجب متباهياً بمحاسن عاصمتهِ البديعة. لم يشعر الاّ ويد القهّار ضربتهُ فجأَة. فَفُصِل من الفة البشر ولبث سبع سنين شبيهاً بالوحوش مختلطاً معها وبعدما هدّأ سخط الله عليهِ بهذهِ التوبة القشفة. ردَّ إليهِ عقلهُ فاستولى على عرشهِ*

ودكّ دانيال في عهد الملك أو لمروداخ المتخلّف بعد أبيهِ بختنصّر أعظم صنم للبابليّين وهو صنم بيل. وحدث ذلك انّهُ كان معيَّناً لهذا الصنم في كلّ يوم اثنا عشر مكيالاً من السميد وأربعون شاة. وستّ أجاجين من الخمر. وكان الملك أيضاً يعبدهُ. ويذهب كلّ يوم فيسجد لهُ. فامَّا دانيال فكان يسجد لالههِ. فقال لهُ الملك: لماذا لا تسجد لبيل: فقال لهُ دانيال: لانّي لستُ أعبد الأصنام المصنوعة باليد. بل الاله الحيّ الذي خلق السماء والأرض ولهُ سلطان على كلّ ذي جسد. فقال لهُ الملك: أَلا تعتقد انّ بيل هو الهٌ حيّ. الا ترى كم يأكل ويشرب كلّ يوم. فقال دانيال ضاحكاً: لا تضلّ أيها الملك. فانّ هذا باطنهُ هو من طين. وظاهرهُ هو من نحاس. ولم يأكل قطّ. فغضب الملك واحضر كهنتهُ وقال لهم: ان لم تقولوا لي من هو الذي يأكل هذهِ النفقات قتلتكم. وان بيّنتم انَّ بيل هو الذي يأكلها يُقتَل دانيال لانّهُ جدّف على بيل. فقال دانيال للملك: فليكن ما قلت*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان كهنة بيل سبعين كاهناً ما خلا زوجاتهم وأطفالهم وأولادهم. وجاء الملك ودانيال إلى هيكل بيل. وقال كهنة بيل: ها نحن نخرج إلى خارج. وضع أنت أيها الملك الطعام. وامزج الخمر. واغلق الباب. واختمهُ بخاتمك. وإذا دخلتَ في الغد فان لم تجد انّ يبل اكل هذهِ كلها فاقتلنا. والاّ فدانيال الذي كذب علينا* وكان لهم في ذلك حيلة لأنّهم كانوا قد صنعوا من تحت المائدة مدخلاً خفيّاً. وكانوا يدخلون منهُ دائماً ويأكلون كلّ شيء. فلمّا خرجوا وضع الملك الطعام أمام بيل. وأمر دانيال عبيدهُ فاتوا برماد. فذرّاهُ في الهيكل كلّهِ قدّام الملك. ثمّ خرجوا واغلقوا الباب. وختموهُ بخاتم الملك وانطلقوا. وأتى الكهنة ليلاً كعادتهم هم وزوجاتهم وأولادهم وأكلوا كلّ شيء وشربوا. فقام الملك باكراً في الغد ودانيال معهُ. فقال الملك: اسالمةٌ الخُتُم يا دانيال فقال: سالمة أيها الملك. ولمّا فتُحت الأبواب نظر الملك لوقتهِ إلى المائدة. فصاح صياحاً شديداً. عظيمٌ أنت يا بيل. وليس عندك شيءٌ من المكر. فضحك دانيال وامسك الملك لئلاّ يدخل إلى داخل وقال: انظر إلى البلاط. واعرف ممّن هذهِ الآثار. فقال الملك: انّي أبصر آثار رجال ونساء وأطفال. فغضب الملك وقبض على الكهنة وزوجاتهم وأولادهم* فأَروهُ الأبواب الخفيّة التي كانوا يدخلونها ويأكلون ما على المائدة. فقتلهم الملك. ودفع بيل ليد دانيال فاخربهُ هو وهيكلهُ*

وعمل بلشاصر الملك الذي تخلّف بعد أو لمروداخ وليمة عظيمة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لألَفٍ من عظمائهِ وقدَّام الألَف كان يشرب خمراً. فأَمر بلشاصر وهو سكران ان يوتَى بآنية الذهب والفضّة التي نقلها بختنصّر أبوهُ من هيكل القدس الشريف. وتجرَّأَ هو وندماؤُهُ أن يشربوا بهذهِ الآنية القدسيّة. ولم يكَدْ ينقضي الشرب الاثميّ والنفاق الجسيم الاّ وفي تلك الساعة ظهرت أصابع يد إنسان. وكتبت بازاء المنارة في شِيد حائط دار الملك بخطّ من نار هذهِ الكلمات الثلاث الرمزيّة وهي: منا. ثقل. فرس. فتغيَّر حينئذٍ وجه الملك. وافزعتهُ أفكارهُ وانحلّت مفاصل ظهرهِ. واصطكّت ركبتاهُ. فصاح الملك صياحاً شديداً ليدخّلوا المجوس والكلدانيّين والسحرة وجعل الملك يقول لحكماء بابل: أيّ إنسان قرأَ هذهِ الكتابة وبيّن لي تفسيرها يُلَبَّس الأرجوان وطوقاً من ذهب في عنقهِ. ويكون ثالثاً في مملكتي. حينئذٍ دخل جميع حكماء الملك فلم يقدروا أن يقرأوا الكتابة ولا أن يبيّنوا تفسيرها للملك. فاضطرب بلشاصر الملك جدّاً وتغيّر وجههُ. وتحيّر عظماؤُهُ. فامّا الملكة فلسبب ما أصاب الملك وعظماءَهُ دخلت بيت الوليمة وشرعت تقول: حييتُ إلى الأبد أيّها الملك لا ترعْكَ أفكارك. ولا يتغيّر وجهك. انّ في مملكتك رجلاً فيهِ روح الآلهة القدّيسين. وفي أيّام أبيك وُجد فيهِ ذكاءٌ وفطنة وحكمة كحكمة الآلهة. حتّى انّ بختنصّر الملك اباك صيّرهُ مقدّم المجوس والعرّافين والكلدانيّين والسحرة. ولمّا كان روحاً فاضلة. والمعرفة والفهم وتفسير الأحلام وبيان الأحاجي وحلّ العُقَد وجُدت فيهِ أي في دانيال الذي سمّاهُ الملك بلطشاصر. فليُسْتدعَ الآن فيبيّن التفسير*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأُدخل حينئذٍ دانيال إلى قدّام الملك. فاقبل الملك وقال لدانيال: أَأَنت هو دانيال من بني سبي يهوذا الذي جلبهُ ابي الملك من اليهوديّة. انّي سمعتُ عنك انّ لك روح الآلهة. وانّ فيك ذكاءً وفهماً وحكمة فاضلة. والآن قد أُدخل إلى أمامي الحكماء والسحرة ليقرأُوا هذهِ الكتابة ويطلعوني على تفسيرها. فلم يمكنهم أن يبيّنوا معنى هذا الخطب. وأنا سمعتُ عنك انَّك تقدر على ايضاح الخفايا وعلى حلّ العُقَد. فان تقدر على قراءَة الكتابة وتطلعني على بيانها. تُلبَّس الارجوان ويُقلَّد عنقك بطوق من ذهب. وتكن في المملكة ثالثاً بين المسلَّطين*

فأَجاب دانيال وقال قدّام الملك: لتكن هداياك لك. وهب عطاياك لغيري. ولكنّني أنا أقرأَ للملك الكتابة. وابيّن لهُ تفسيرها. أيها الملك انّ الله العليّ اعطى بختنصّر اباك المُلْك والعظمة والمجد والكرامة. ولأجل العظمة التي قد أعطاهُ ايّاها كانت ترتعد وتفزع لهُ جميع الشعوب والأمم والألسنة. من شاء أمات ومن شاء احَيا. ومن شاء رفع. ومن شاء وضع. فلمّا ارتفع قلبهُ وقست روحهُ بالتكبّر انحطّ عن كرسيّ مُلكهِ. ونُزع عنهُ مجدهُ. وطُرد من بين الناس وساوى بقلبهِ البهائِم. وكان مسكنهُ مع الحمير الوحشيّة. فكان يأكل الحشيش كالبقر ويبتلّ بدنهُ بندى السماء. حتّى علم انّ السلطان على مملكة الناس هو العليّ وانَّهُ يقيم عليها من يشاء. وأنت يا بلشاصر ابنهُ لم تضع قلبك. وكنت تعلم كلّ هذا. بل ارتفعتَ على ربّ السماء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأُحضرتْ آنية بيتهِ إلى أمامك. وأنت وعظماؤُك ونساؤك وسراريّك شربتم بها خمراً. ثمّ سبّحتَ الآلهة التي هي من فضّة ومن ذهب ومن نحاس ومن حديد ومن خشب ومن حجارة التي لا تبصر ولا تسمع ولا تحسّ. والاله الذي بيدهِ نسمتك ولهُ جميع طرقك لم تمجّدهُ. فلذلك أُرسل من عندهِ طَرَف اليد. فكُتبت هذهِ الكتابة. وهذهِ هي الكتابة المسطورة. مَنَا. ثَقِل.فَرِس* وهذا تفسير الكلام. مَنَا. أَحصى الله مُلكك وانقذهُ. ثَقِل. وُزِنتَ بالميزان. فوُجدتَ ناقصاً. فَرِس. قُسِمَتْ مملكتك. وأُسلمتْ لمادي وفارس*

وناهيك انّ هذهِ النبوّة تمّت في أثناء تلك الليلة بعينها. لأنّهُ بعد سُويعاتْ قلائل ظفر قورش ببابل ودخلت جنودهُ المدينة من وسط الفرات الذي كان قورش قد حوّل ماءَهُ ونشّف قاعهُ. فانقضّت العساكر على الصَرْح الملكيّ وهلك بلشاصر في سعير القتال. واقتسم مملكة آثور وبابل قورش وداريوش. فدخل اليهود أيضاً تحت سطوتهما. وانّ داريوش المعروف بالمادي بعدما نصب عمّالاً في جميع أعمال مملكتهِ جعل دانيال صدراً في وزرائهِ. وكان ذلك باعثاً لحسد الأعيان ايّاهُ فافرغوا وسعهم في اتلافهِ. غير انّ دانيال لم يمكّنهم أبداً من وسيلة على ذلك. بل أخزى مكايدهم الخبيثة بسيرتهِ المملوّة رشداً وحزماً واستقامة. أخيراً نصبوا لهُ مكيدة ووشوا بهِ عند الملك بانّهُ قد تجاوز إرادة الملك وتعدّى امرهُ بسجودهِ لاله آبائهِ. فاضطرّ حينئذٍ داريوش من أجل الأمر الذي كان قد أخرجهُ في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن لا يصلّي أحد مدّة ثلاثين يوماً إلى اله كائن من كان. ولاجل لجاجه الأعداء أبرز الحكم على دانيال فأُلقي في جبّ الأسود وأُطبق عليهِ فم الجبّ. غير انّ داريوش لبث الليل كلّهُ لا تأخذ عيناهُ النوم حتّى إذا كان قريب الفجر قام وعدا إلى شفير الجبّ ونادى دانيال باسمهِ وسأَلهُ لعلّهُ بعد في الحيوة. فأجابهُ دانيال بهدوٍّ وقال: هأَنذا معافىً لا ضُرَّ فيّ. فانّ إلهي أرسل ملاكهُ فسدّ أفواه الأسود عنّي. فارتقش الملك فرحاً وأمر فأُخرج دانيال من الجبّ ولم يظهر في بدنهِ أثر جرح أصلاً. وأجرى داريوش على وشاة دانيال العقوبة التي أرادوا انزالها بهِ. وذلك انَّهُ أَمر بالقائهم في الجبّ فالقوهم فيهِ وحالاً تناولتهم الأسود وافترستهم قبل أن يصلوا إلى القاع. وتيقّن كل أحد انّ دانيال لم يُحفَظ الاّ بقوّة الله الواحد. وكان ذلك دفعة ثانية نجّاهُ الله من أنياب الاسود مثلما نجّاهُ المرّة الأولى في عهد أو لمروداخ. ثمّ انّ الملك داريوش امر فنُودي في جميع أعمالهِ انّهُ لا إله الاّ الله الواحد اله دانيال. وايّاهُ وحدهُ فقط يجب أن يعبد الناس كلّهم*

وقضى دانيال أواخر حياتهِ في بابل في الاهتمام بصوالح امّتهِ ورجوعها من السبي إلى أرض آبائها. ولمّا فهم من نبوّات ارميا انّ منتهى السبي قد اقترب. ابتهل إلى الله القادر على كل شيء باسم أمّتهِ. وتذلّل أمامهُ تعالى بتواضع شديد وانكسار قلب ملتمساً منهُ غفران خطاياهم واستمداد الرحمة الالهية لهم. فاستجاب الله توسّلاتهِ واتاهُ وعداً يفوق جدّاً مضمون ابتهالهِ. إذ أعلن لهُ رُؤَى تتضمّن نبوّات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تمتدّ إلى انقضاء الدنيا. ونال أخيراً البهجة والسرور بأن يرى بلوغ أمانيّهِ تماماً في رجوع أمّتهِ إلى أرضهم الاّ انّهُ لم ينل الرجوع معهم لتقدّمهِ في سنّ الشيخوخة، ومات ولهُ من العمر ثمانٍ وثمانون سنة وذلك في أواخر ملك قورش*

انّ نبوّات دانيال هي واسعة جدّاً وتتضمَّن الإنباء عن أحوال العالم عموماً وعن كنيسة الله في زمان الشريعة اليهوديّة والمسيحيّة من أيّامهِ إلى آخر الدهور وأشهرها هي الانباء بمقدار المدّة المعيّنة إلى مجيء المسيح وهي سبعون أسبوعاً وفي أواخر هذهِ المدّة يموت المسيح* ودانيال لفظة عبرانيّة معناها دينونة الله أو الله قاضٍ*

* اليوم الثاني والعشرون *

القدّيسة مريم المجدليّة

هي مريم المجدليّة أخت مرتا ولعازر الذي أقامهُ يسوع المسيح من القبر. وكان اسم أبيها تيوفيلوس على ما قال مار انطونيوس. واسم أمّها لوكاريا. وكانا كلاهما شريفَي النسب بين اليهود ولهما مقتنيات وافرة في أورشليم وبيت عنيا والجليل. فبعد موتهما ورث لعازر ابنهما كلّما كان لهما من المقتنيات في أورشليم وبيت عنيا حيث كان مقرّهُ مع أختهِ مرتا. وامّا مريم فورثت المقتنيات الموجودة في الجليل لا سيّما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قصر مجدل الذي نسبةً إليهِ لُقِّبت بالمجدليّة. وإذ كانت مريم هناك مطلقَة الحريّة ومنفردة عن أخيها وأختها أطلقت لذاتها عنان اللذّات والشهوات ولهذا لُقِّبت بالخاطئة. غير انّ الله ترحّم على نفسها. وتنبيهاً لها على سوء تصرّفاتها سمح أن تعتريها سبعة شياطين. فهذهِ الأرواح النجسة وان لم تكن تعذّبها دائماً الاّ انها غالباً كانت تضايقها وتعاملها بأقسى المعاملات. فإذ ذاك لم ترَ المجدليّة بدًّا للنجاة سوى أن تلتجئَ إلى يسوع المسيح. وكان هو حينئذٍ يطوف مدن الجليل يفتّح العميان ويقيم الموتى ويشفي المرضى ويطرد الشياطين من الأجساد. فالمخلّص الإلهي لم يخيّب أملها لا بل أعطاها الدواء الشافي لاسقامها كلّها. وبكلمة واحدة نطق بها فمهُ المقدّس أنقذها من الشياطين الذين كانوا يذيقونها أمرّ العذاب* وقد ارتأى بعض مفسّري الكتاب المقدّس انّ الشياطين السبعة الذين أخرجهم الربّ من المجدليّة هي الخطايا الراسيّة السبعة التي كانت فيها. الاّ انّ هذا الرأي لا يطابق نصّ الإنجيل المقدّس الذي يُستدَلّ من نصوصهِ السابقة لهذا النصّ بانّ اعتراء الشياطين هذا هو حقيقيّ* وعلى كلّ حال انّ المجدلية قد نالت من الله نعمةً فعّالة بعد أن أَخرج يسوع منها الشياطين السبعة بأيّام قليلة. فانّها شعرت في قلبها وقتئذٍ بندامة قويّة جدّاً حتّى انّ لهو الدنيا وسرورها وأباطيلها بأسرها أضحت لديها مرّةً لا تستطيع احتمالها. وقد حدث لها هذا التغيير امّا لدى سماعها إحدى مواعظ معلّمنا الإلهيّ. وامّا عند رؤيتها العجائب التي كان يصنعها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أو النعمة ذاتها حرّكتها على ذلك من دون واسطة خارجيّة* فشرعت مريم حينئذٍ تندب بمرارة سوء تصرّفات حياتها الماضية. وكفرت بالعيشة الرغدة وليس الثياب الناعمة وحضور اللعب والولائِم ومحافل الانشراح. وأخذ منها التأسّف على خطاياها كلّ مأخذ. وعلمت بنور إلهيّ ان لا قدرة لأحد ليغفر لها خطاياها الاّ يسوع المسيح وحدهُ. فقصدت أن تعترف بها لديهِ علناً لكيما بواسطة اتّضاعها هذا تنال منهُ نعمة الغفران والرحمة. فإذ كان يسوع متّكئاً ذات يوم في بيت سمعان الفرّيسيّ (ويُظنّ انّهُ كان في مدينة نائين) أَتت بقارورة طيب ووقفت من ورائهِ عند رجليهِ باكيةً وشرعت تبلّ قدميهِ بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وتقبلّهما وتدهنهما بالطيب. فلمّا رأى سمعان الفرّيسيّ ذلك أخذ يهزأُ في قلبهِ بهذهِ الخاطئة الشهيرة التي كان يعتدّها غير أهل لأَن تقترب من الناس الحسني السيرة ويهجو على يسوع الذي قبلها مفكّراً انّ مخلّصنا الإلهيّ ما كان ليرضى أن يقبلها لو علم انها خاطئة. غير انّ يسوع المسيح بيّن لهُ بكلام لطيف بأنّ المجدليّة هي أكثر برّاً منهُ امام عينيهِ تعالى لأنها أحبّت أكثر منهُ. وبانّ خطاياها الكثيرة قد غُفرت لها لأنّها أحبّت كثيراً. ثمّ التفتَ إليها وقال لها: مغفورة لكِ خطاياكِ. ايمانكِ خلّصكِ اذهبي بسلام. ومن تلك الساعة تغيّرت هذهِ الخاطئة الشهمة تغيّراً عجيباً وبدأت أن تعيش عيشة مقدّسة. وانعكفت على ممارسة كلّ نوع من الأعمال الصالحة* ويخبرنا لوقا البشير انّهُ حينما كان ربّنا يسوع المسيح يطوف مدن وقرى الجليل وهو يكرز بالإنجيل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويبشّر بملكوت الله ويشفي المرضى كانت المجدليّة تتبعهُ دائماً هي ويوحان امرأة كوزي خازن هيرودس وسوسنّة ونساء أخريات كثيرات كنّ يخدمنهُ بأموالهنّ مقدّمات لهُ ولتلاميذهِ كلّ لوازم المعيشة*

وكان يسوع يحبّ مرتا ومريم وأخاها لعازر كثيراً. وإذ سمع انّ لعازر مريض أقام في الموضع الذي كان فيهِ وقتئذٍ يومين وبعد ذلك قال لتلاميذهِ: امضوا بنا إلى اليهوديّة أيضاً. فقال لهُ التلاميذ: يا معلّم الآن كان اليهود يريدون رجمك وأيضاً تمضي إلى هناك. قال يسوع: أَليس في النهار اثنتي عشرة ساعة. فان مشى أحدٌ في النهار لم يعثر لنظرهِ نور هذا العالم. وان مشى أحدٌ في الليل عثر لأنّهُ ليس فيهِ ضوء. قال هذهِ الأَقوال وبعد ذلك قال لهم: انّ لعازر حبيبنا قد نام ولكنّي انطلق لأُوقظهُ. قال تلاميذهُ: يا سيّد. ان كان راقداً فهو سالم. وانّما عنى يسوع موتهُ. وظنُّوا هم انَّهُ عنى رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذٍ علانيةً: لعازر مات. وأنا أفرح حيث لم أكن هناك من أجلكم لتؤمنوا. ولكن امضوا بنا إليهِ. فقال توما المسمَّى التوْأَم لأصحابهِ التلاميذ: تعالوا نمضي نحن أيضاً لنموت معهُ. فلمّا أتى يسوع وجد أنَّهُ له أربعة أيّام في القبر. وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. وكان كثيرون من اليهود قد جاءُوا إلى مرتا ومريم ليعزّوهما في أخيهما. فلمّا سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لتلقاهُ. وامّا مريم فكانت جالسة في البيت. فقالت مرتا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ليسوع: يا سيّد. لو كنتَ ها هنا لم يمُت أخي. ولكنّي الآن أيضاً عالمة انَّك كلّ ما تسأل الله يعطيكهُ. فقال لها يسوع: سيقوم أخوكِ. قالت لهُ مرتا: أنا أعلم أنّهُ سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحيوة. من آمن بي. وان مات فانّهُ سيحيا. وكلّ من كان حيّاً وآمن بي. فلا يموت إلى الأبد أتومنين بهذا. قالت لهُ: نعم يا سيّد. أنا قد آمنتُ انّك أنت هو المسيح ابن الله الآتي إلى العالم* ولما قالت هذا. مضت ودعت مريم اختها سرّاً وقالت لها: المعلّم قد جاء وهو يدعوكِ. فلمّا سمعت تلك نهضت مسرعةً وجاءَت إليهِ ولم يكن يسوع قد صار إلى القرية ولكّنهُ كان بعد في المكان الذي لقيتهُ فيهِ مرتا. فامَّا اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزُّونها. لمّا رأوا مريم قامت وخرجت مسرعة تبعوها وقالوا انها تمضي إلى القبر لتبكي هناك. فلمّا انتهت مريم إلى المكان الذي كان فيهِ يسوع ورأَتهُ خرّت على قدميهِ وقالت لهُ: يا سيّد لو كنتَ ها هنا لم يمُت أخي. وانّ يسوع لمّا رآها تبكي واليهود الذين جاءُوا معها باكين. تنهَّد بالروح وتحرّك بنفسهِ وقال: أين وضعتموهُ. فقالوا لهُ: يا سيّد تعال وانظر. فدمّع يسوع. فقال اليهود: انظروا كيف كان يحبّهُ. وقال اناس منهم: ألم يقدر هذا الذي فتح عينَي الأعمى أن يجعل أيضاً هذا لا يموت. فارتجّ يسوع أيضاً في نفسهِ وجاء إلى القبر وكان مغارةً وعليهِ حجر موضوع. فقال يسوع: ارفعوا الحجر. فقالت لهُ مرتا اخت الميّت: يا سيّد قد انتن لأنّ لهُ أربعة أيّام.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قال لها يسوع: أَلم أَقُل لكِ ان آمنتِ ورأيتِ مجد الله. فرفعوا الحجر فرفع يسوع عينيهِ إلى فوق وقال: يا أَبتِ أشكرك لأنّكَ سمعتَ لي وأنا كنتُ اعلم انّك تسمع لي في كلّ حين. ولكن من أجل هذا الجمع الواقف قلتُ هذا ليؤمنوا انّك أرسلتني. فلمّا قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر اخرج إلى برَّا. فخرج الميّت ويداهُ ورجلاهُ مشدودة بلفائف ووجههُ ملفوف بعمامة. فقال لهم يسوع حلّوهُ ودعوهُ يمضِ*

وأَنَّ كثيراً من اليهود الذين جاءُوا إلى مريم لمّا رأَوا ما صنع يسوع آمنوا بهِ. وانطلق قوم منهم إلى الفرّيسيّين فاخبروهم بما صنع يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفرّيسيّون محفلاً وتشاوروا في قتلهِ. ولهذا انطلق يسوع من هناك إلى الكورة القريبة من البرّيّة. غير انّهُ لمّا كان يوم الجمعة قبل الفصح بستة أيّام أتى بيت عنيا فاقتبلتهُ هذهِ العائلة المباركة عندها بفرح لا مزيد عليهِ. فدعاهُ سمعان الأبرص على الغداء هو ولعازر وغيرهما من الشرفاء وكانت مرتا تخدم. امّا مريم فلفرط حبّها لمخلّصها الإلهيّ أتت بقارورة طيب خالص كثير الثمن وانطرحت على رجلَي يسوع وأخذت تدهنهما بهذا الطيب وتمسحهما بشعر رأسها مثلما صنعت يوم توبتها على ما يخبّرنا متّى الإنجيليّ انّها أفاضت منهُ أيضاً على رأسهِ فامتلأَ البيت من رائحة الطيب. فتقمقم يهوذا على المجدليّة وذمّ عملها هذا قائلاً: لماذا هذا التلَف. لِمَ لم يُبَع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويُدفَع للمساكين. وانّما قال هذا ليس عنايةً منهُ بالمساكين بل لأنّهُ كان سارقاً وكان الصندوق عندهُ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان يحمل ما يُلقى فيهِ. فقال يسوع: دعوها لتحفظهُ ليوم دفني. انّ المساكين عندكم في كلّ حين امّا أنا فلستُ عندكم في كلّ حين* وهذهِ محبّة مريم المجدليّة ليسوع جعلتها ان تتبعهُ وراءَهُ في طريق الجلجلة وتقف تحت صليبهِ لتشاهد آلامهُ وما كان يصيبهُ من الهوان. وتبكي بدموع غزيرة. فمن يقدر أن يصف الأوجاع التي كانت تمزّق قلب هذهِ القدّيسة عند تأمّلها في العذابات التي كان يتكبّدها معلّمها الإلهيّ* قال ربّنا يسوع المسيح يوماً لإحدى القدّيسات وكان اسمها باتستة الوارانيّة: اعلمي يا ابنتي انهُ من جملة الأوجاع التي تألّم بها قلبي على الصليب كان نظري إلى مريم المجدليّة تلميذتي الأمينة التي كانت تتوجّع عليَّ أكثر من كلّ أحد من بعد أمّي. فانّ تلاميذي أنفسهم تركوني وامّا هي فتبعتني في كلّ مكان تألّمتُ فيهِ وكان قلبها يتمزّق عليَّ حزناً حينما كانت واقفة تحت صليبي مع مريم أمّي. ولمّا شاهدتني منازعاً الروح حسبت أنها فقدت كلّ شيء ممّا في السماء وعلى الأرض. لأنّهُ فيَّ وحدي كان رجاؤها ومحبّتها وسلامها وعزاؤُها. وبعد موتي ما برحت ملازمةً قبري باكيةً عليَّ وتندبني وترثيني. ووجعها كان عظيماً جدّاً حتّى انّي لو لم أحفظها باعجوبة كلما حفظتُ أمّي لماتت. فهل كنتُ أقدر أن أنسى هذهِ الخليلة العزيزة ومحبّتها ولا أترأّف مشفقاً عليها. ولذلك أردتُ أن أجازيها بظهوري لها قبل كلّ أحد من بعد قيامتي. انتهى*

وفي يوم الأحد من السبَّة جاءَت مريم المجدليّة في الغداة غَلَساً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى القبر فرأت الحجر مقلوباً عن القبر. فاسرعت وجاءَت إلى شمعون بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبّهُ وقالت لهما: قد حملوا الربّ من القبر ولا نعلم أين تركوهُ. فخرج بطرس والتلميذ الآخر واقبلا إلى القبر واسرع الاثنان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أوّلاً إلى القبر فتطلّع وابصر الأكفان موضوعة ولكن لم يدخل. ثمّ أتى شمعون بطرس يتبعهُ فدخل القبر. فرأَى الأكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسهِ ليس موضوعاً مع الأكفان بل مفرداً ملفوفاً في موضع على حدة. فحينئذٍ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء في الأوّل إلى القبر فرأَى وآمن لأنّهم لم يكونوا بعد يعرفون المكتوب أَنّهُ ينبغي أن يقوم من بين الأموات. فانطلق التلميذان أيضاً إلى موضعهما. وأمّا مريم فكانت واقفةً عند القبر خارجاً تبكي. وفيما هي باكيةٌ تطلّعت إلى داخل القبر فابصرت ملاكين جالسين بثياب بيض. أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها: يا امرأة ما يبكيكِ. فقالت لهما: انَّهم حملوا سيّدي ولا اعلم أين تركوهُ. قالت هذا والتفتت إلى ورائها فرأَت يسوع واقفاً. ولم تعلم انَّهُ يسوع. فقال لها يسوع: يا امرأة ما يبكيكِ ومن تطلبين. فظنّت هي انّهُ البستانيّ فقالت لهُ يا سيّد: ان كنتَ أنت قد حملتهُ فقل لي أين تركتهُ وأنا آخذهُ. قال لها يسوع: يا مريم. فالتفتت هي وقالت لهُ: رابوني الذي تفسيرهُ يا معلّم. قال لها يسوع: لا تلمسيني لأنّي لم أصعد بعد إلى أبي. فكأَنّ بهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تعالى يقول لها: احفظي الآن هذهِ الشعائر الحسّيّة التي تصدّكِ عن التأَمّل بناسوتي المجيد. دعيني أوّلاً اصعد إلى مقرّ سعادتي ومجدي حيث سَتُقبَلين يوماً وتجلسين بالقرب منّي. وحينئذٍ يُعطى لكِ أن تُظهري لي كلّ علامات وشعائر حبّكِ. لأنّهُ لا يمكن لناسوتي ساعتئذٍ أن يصدّكِ عن مشاهدة طبيعتي الإلهية*

ثمّ قال لها يسوع امضي إلى أخوتي وقولي لهم: انّي صاعد إلى أبي وأبيكم والهي والهكم. فبهذا قد صارت المجدليّة رسول الرسل. وتوجّهت نحو المدينة وجاءت إلى الرسل وقالت لهم: قد رأيتُ الربّ وانّهُ قال لي هذا. أمّا مريم أم يعقوب وسالومي اللّتان تبعتا المجدليّة إلى القبر رجعتا وحدهما إلى أورشليم. وبينما هما سائرتين في الطريق إذا بيسوع لاقاهما وقال: السلام لكما. فعندها شعرا بقلبهما كاد ينفطر حنوّاً وانذهالاً فانطرحتا على قدميهِ وقبّلتاهما وسجدتا لهُ*

انّ مريم المجدليّة كانت مع التلاميذ حينما حلّ الروح القدس عليهم بشبه ألسنة ناريّة وفي مدّة اقامتها بأورشليم ما زالت مرافقةً لمريم العذراء سيّدتها وامّ معلّمها الحبيب. وكانت تخدمها وتسلّيها. وتذهب دائماً فتزور الأماكن التي قدّسها ربّنا يسوع المسيح بحياتهِ وموتهِ* وبعد موت مار اسطفانس أوّل الشهداء لمّا ثار اضطهاد على الكنيسة في أورشليم من اليهود وتفرّق تلاميذ المسيح في المسكونة للانذار بالإنجيل كان من جملة المؤمنين الذين اضطهدهم اليهود مريم المجدليّة واختها مريم وأخوها لعازر لسبب أنهم كانوا يحبّون يسوع المسيح محبّةً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عظيمة. وكان اليهود قبل ذلك قد جزموا على هلاك لعازر لأن يسوع كان قد أقامهُ من القبر ومن أجل هذهِ الآية آمن بهِ كثير من اليهود. فاخذوهم مع خادمتهم مرقلّة. ويُظَنَّ أنها هي كانت تلك المرأة التي رفعت صوتها في وسط الجمع وقالت ليسوع حينما كان يعلّم: طوبى للبطن الذي حملك والثديَين اللذين رضعتهما. وأخذوا أيضاً مار مكسِمينس أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين وكليدونيوس وكان هو ذاك الأعمى المولود الذي فتح عينيهِ المسيح. ويوسف الرامي الذي أنزل يسوع عن الصليب ودفنهُ في قبر وغيرهم من المسيحيّين. ووضعوهم في سفينة لا قلوع لها ولا ملاّح فيها وسيّروهم بها في البحر لكي يهلكوا فيهِ. ولكنّ الله الذي لا تُقاوَم إرادتهُ وفّق أن تتوجّه تلك السفينة إلى مدينة مرسيليا. وهي مدينة من أعمال فرنسا وترسي في ميناها. فخرجت مريم المجدليّة وخرج كلّ من معها إلى البرّ واستمرّوا هناك مدّة من الزمان. وهدت مريم بحسن سيرتها وتبشيرها بالإنجيل والكرامات التي كانت تجري على يديها كلّ سكّان تلك البلاد إلى ايمان المسيح. وصار مار لعازر أسقفاً على مرسيليا ومار مكسمينس اسقفاً على مدينة اكسس. والقدّيسة مرتا جمعت طائفة من الفتيات وعلمتهنّ أن يخصّصنَ ذواتهنّ ليسوع المسيح. وكنّ يعشنَ سويّةً عيشة رهبانيّة. ويوسف الرامي انطلق إلى انكلترّة وصار أوّل مبشّر فيها بالإنجيل*

وبعدما هدت مريم المجدليّة أهل ذلك الاقليم إلى الايمان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انفردت في أحد القفار هناك لتبكي وتقضي بقيّة حياتها بالاتّحاد المتواصل مع معلّمها الإلهيّ. وبقيت في تلك الخلوة مدّة ثلاثين سنة. وكان لها هناك مغارة لمأواها وتقتات بالحشائش وبعروق الأشجار. سائرةً سيرة ملاكيّة. والملائكة كانوا يرفعونها كلّ يوم سبع مرّات في الفضاء ويضعونها على قمّة الجبل الذي كانت مغارتها منقورة في شقوقهِ لتسمع التسابيح السماويّة. وذلك توفيقاً إلى سبعة أقسام صلوات الساعات السبع الفرضيّة. أي صلوة الصبح والساعة الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة وصلوة المساء والستّار. وبعد انقضاء هذهِ المدّة أوحى الله إلى مار مكسمينس بدنوِّ رحيل مريم المجدليّة من هذهِ الدنيا فأتاها بالقربان المقدّس (وكان يوم الأحد) فوجدها تصلّي وهي مرتفعة عن الأرض ويداها ممدودتان بشكلٍ صليب. وبعدما تناولت جسد الربّ والدموع تهطل من عينيها سلّمت نفسها إلى عريسها الحبيب. وأخذت الملائكة نفسها إلى السماء فيما بين الأناشيد السماويّة. ودُفن جسدها باكرام عظيم في قرية قريبة من هناك يُقال لها قرية مار مكسمينُس*

انّ أهالي تلك النواحي ولا سيّما أهل مرسيليا يعتبرون جدّاً القدّيسة مريم المجدليّة ويؤدّون لها غاية الاكرام. ولها عندهم معابد وكنيسة فاخرة مشيَّدة على اسمها وفي كلّ سنة يحجّون إلى المغارة التي كانت تأْوي فيها*

انّ سلوستر فراوار الراهب من رهبنة مار عبد الأحد ومعلّم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القصر البابويّ المقدّس كتب في خطبة لهُ سنة ١٤٩٧ قائلاً: انّهُ زار المغارة التي عاشت فيها مريم المجدليّة بالتوبة واكرم دخائرها المقدّسة. وقال انّهُ رأى رأسها وكان كبيراً وكان فيهِ لحم يابس عند الجبهة حيث كان المخلّص قد لمسها عندما ظهر لها من بعد قيامتهِ. ويُشَاهَد أثر أصابع ربّنا يسوع المسيح مطبوعاً فيهِ. وقال أيضاً انّ أهل المدينة أَروهُ اناءً من بلّور فيهِ خصلة من شعر هذه القديسة الذي مسحت بهِ قدمَي السيّد المخلّص. واناءً آخر فيهِ تراب مخلوط بدم ولونهُ أحمر أسود. وكان ذلك من دم المسيح الذي جمعتهُ المجدليّة من تحت الصليب يوم الجمعة العظيمة. وأكّدوا لهُ بان ذلك الدم المخلوط بالتراب يغلي في تلك الزجاجة كلّ سنة في يوم جمعة الآلام بعدما تُقرأ قصّة آلام المسيح: انتهى* وإلى الآن قد حُفظ رأس مريم المجدليّة وذراعها في صندوقين في دير مار مكسمينُس الذي لرهبنة مار عبد الأحد*

* اليوم الثالث والعشرون *

القدّيسة براجيثة الأرملة

انّ القدّيسة براجيثة كانت من مملكة سويد. وكان أبواها تقيَّين يخافان الله وغنيَّين. واسم أبيها بيرجر سليل الملوك السويديّين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان يعترف بتواضع عميق في كل جمعة ليستمدّ بذلك القوّة وينتصر على هذا العالم. وقد عمّر أبواها كنائس كثيرة بأموالهما وزيّناها بما تحتاج إليهِ* ويوماً ما إذ كانت أمّها حبلى بها وسائرة في البحر هاج البحر عليها وكادت السفينة تغرق. فتراءَى لها رجلٌ لابسٌ ثياباً ناعمة وقال لها: انّ الله يصون حياتكِ لخاطر التي في حشاكِ فربّيها في حبّهِ واحتسبيها هبةً عظيمة من لَدُنهِ تعالى. ولمّا وُلدت دُعي اسمها براجيثة. وبعد زمان قليل ماتت أمّها ميتةً مقدّسة. وأودعها أبوها عند عمّةٍ لها ذات تقوى وحكمة*

ولمّا بلغت براجيثة السنة السابعة من العمر رأت ذات ليلة أمام سريرها مذبحاً جالسة عليهِ مريم العذراء ملتحفة بالمجد والبهاء وفي يدها اكليل ثمين. فنادتها لتدنو منها. فقامت براجيثة وجاءَت إلى المذبح فقالت لها مريم العذراء: يا براجيثة اتريدين هذا الاكليل. فقالت: نعم. فوضعتهُ مريم العذراء على رأسها وغابت* وفي السنة العاشرة من عمرها شرعت تكشف رويداً رويداً الكنز المخفيّ في نفسها وأخذت تنشأ في الفضائل وتسمو في القداسة. فظهرت طائعةً محتشمةً حليمةً شفوقةً رقيقة القلب. وإذ سمعت ذات يوم أحد الواعظين يصف آلام المسيح توجّع قلبها جدّاً وظهر لها المخلّص في تلك الليلة ودمهُ يجري مثلما كان على الصليب. وقال لها انظري جروحي. فظنّت الصبيّة انّها جديدة. وقالت لهُ وهي باكية: من جرحك هكذا يا سيّدي. فقال لها يسوع: أولئك الذين يتحقرونني ولا يفتكرون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في محبّتي. فأثّرت هذهِ الرؤيا في قلب براجيثة حتّى انّها لم تكن تقدر أن تتأمّل في آلام المسيح الاّ والدموع تهطل من عينيها. وكانت صناعتها التطريز بالحرير والذهب وكثيراً ما شوهد فتاة غير معروفة تشتغل معها* وكانت تقوم في كلّ ليلة من فراشها. وتصلّي أمام يسوع المصلوب. وفي ليلة من اللّيالي ظهر لها الشيطان بزيّ حيوان مرعب فخافت منهُ وهربت منهُ محتميةً تحت الصليب فقال لها الشيطان: لا أقدر ان اهلكِ ان لم يسمح لي المصلوب. ثمّ هرب عنها*

وزوّجها أبوها كُرهاً منها من شابّ من بني الأغنياء من بني الأغنياء اسمهُ أُلفون وكان ذا تقوى وعقل وفطنة ومن أمراء مدينة نَريقيا. فعاش هذان الزوجان بالمحبّة وحسن الألفة. ورزقهما الله أولاداً ربّياهم في سبل التقوى وصلاح السيرة وعبادة الله* وكانوا أربعة بنين وأربع بنات فمات منهم ابنان حينما انطلقا إلى أورشليم لمحاربة الاعداء الذين استولوا على قبر السيّد المسيح. والاثنان الآخران قضيا نحبهما في حداثتهما وأمّا بناتُها فاثنتان منهنّ تزوّجتا وصارتا قدوةً صالحة في الفضيلة. والبنت الثالثة اختارت الحيوة الرهبانيّة وفاقت بقداستها التي تلألأت بعجائب عديدة. وأمّا البنت الرابعة فهي القديسة كاترينة السويديّة المشهورة*

انّ القدّيسة براجيثة بذلت غاية جهدها في تربية أولادها بالتقوى وعوّدتهم على ممارسة الأعمال الصالحة والادمان عليها بحرص وتدقيق. وإذ علمت يوماً انّ أحد بنيها أهمل الصوم في ليلة عيد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مار يوحنّا المعمذان اغتمّت جدّاً. ولفرط حزنها بكت بكاءً مرّاً. فسرّ القدّيس يوحنّا بعملها هذا وظهر لها مبدياً سرورهُ بذلك واكّد لها انّهُ منذ ذلك الحين يكون عضداً لابنها ومحامياً لهُ. ثمّ استمالت بعلها وجذبتهُ رويداً رويداً من بين حاشية ملك السويد. فانفصل منها مع انّهُ كان أحد عظماء الدولة. وبعد أن لقّنتهُ ان يتلو يوميّاً فرض السيّدة للعذراء اقنعتهُ على أن يحجّ برفقتها إلى قبر مار يعقوب الرسول في كونبوستلاّ الكائن في اقليم كاليس في اسبانيا. وقد منح الأحبار العظماء غفرانات عظيمة ونعماً غزيرة لكلّ من يزور هذا الحجّ الشريف. وعند عودتهما من زيارة قبر القدّيس المذكور لدى مرورهما من فرنسا أصاب بعل براجيثة في مدينة ارّاس مرض عضال اشرف بهِ على الموت. ولكنّ القديسة امتلأَ قلبها تعزيةً إذ ترآى لها القديس ديونوسيوس وقال لها: أنا ديونوسيوس أُرسلتُ من روميّة إلى فرنسا لأَنذرها بكلام الله. ولأجل عظيم مودّتكِ لي أخبركِ بأن الله يريد أن يعرفهُ الناس على يدكِ. ولهذا فقد أمرني أن اهتمّ بكِ. وعلامةً لتأييد قولي هذا انّ بعلكِ يبرأ من هذا المرض. وتمّ ذلك حقّاً. وناهيك انّ مشورات هذهِ القدّيسة أثّرت في قلب بعلها فمقت العالم وعزم أن يترهّب ولكنّهُ مات بعد زمن قليل ميتة صالحة*

امّا براجيثة فأخذت منذ وقتئذٍ تسير سيرة أحسن وأكمل. فوزّعت أموالها على أولادها وبدّلت زيّ لباسها الأميريّ بثوب فقريّ يدلّ على التوبة ووضعت جلّ اجتهادها في ممارسة الأفعال البرّيّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأعمال الرحمة الفايقة نحو القريب. وأضحت بتصرّفها هذا موضوعاً للهزؤ بين الناس. وشرعوا يستخفّون بها. وأمّا هي فكانت تهزأُ بفعلهم هذا وتجاوبهم بهدوّ وشجاعة كمجاوبة القدّيس برنردوس للشيطان حينما كان يجرّبهُ بقولها: انّي لم ابتدئ لأجلكم ولم أنتهِ أيضاً لأجلكم. هذا وكانت أعمالها القشفيّة متكاثرة وخارقة العادة. ولكنّ شدّة صرامتها على نفسها لم تنزع منها لطف اخلاقها وحلمها العجيب نحو القريب ولا سيّما حسن معاملتها مع الفقراء فانّها ما زالت تتصرّف معهم بحنوّ ورأفة فائقة. فكانت تطعم منهم اثني عشر كلّ يوم وتخدمهم هي بنفسها على المائدة. وفي كل نهار خميس تغسل بيديها أقدامهم تذكاراً لتواضع المخلّص العجيب حين غسّل بيديهِ أقدام رسلهِ في مساء خميس الفصح*

ويكفيك شاهداً لعظم محبّتها واكرامها للفقراء انها تركت كلّ ما يصيبها من الدخل ووهبتهُ لشخص ما ليتصدّق عليها من مالها حبّاً بيسوع المسيح. وفي أثناء زيارتها الأماكن المقدّسة كانت تتوق شوقاً لتأكل مع الفقراء. ولم يستحوذ عليها الخجل من ذلك بل كانت تتسوّل صحبتهم وتقبّل باكرام ما يصيبها من الخبز معتبرةً ايّاهُ غاية الاعتبار وتفضّلهُ على أفخر الأطعمة وألذّها. وبمقدار ما كانت مغمّرة بالأنوار الإلهيّة بمقدار ذلك كانت تزداد تواضعاً قدّام الله والناس. ومن جملة ذلك فلكي تتجنّب كلّ غرور كانت تخضع خضوعاً تامّاً لمعلّم اعترافها وتتمسّك بتدقيق برأيهِ وبمشورات أصحاب الدارية وتؤدّي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

طاعة كاملة لرؤسائها. حتّى انها لم تباشر عملاً ما دون أن تأخذ منهم حسن الرّضى. ولم تتأخّر في تكميل أمر ربّنا لها حينما الهمها أن تذهب إلى روميّة لتشترك بالنعم الغزيرة التي استحقّها القدّيسون الشهداء الذين سفكوا دماءهم في هذهِ المدينة من أجل محبّتهِ* وزارت عند مرورها أماكن عديدة وجدت فيها آثار عباديّة معرّضةً ذاتها بفرح إلى أنواع شتّى من المصاعب والأتعاب اكراماً للقدّيسين الذين ترغب في تبجيلهم. وقد منحها الله مواهب خارقة العادة جزاءً لصلواتها. ولدى رجوعها من روميّة مرّت في أماكن كثيرة في ايطاليا لكي تكرّم دخائر أصفياء الله. فأضنكتها سفراتها المتواترة وسبّبت لها ضعفاً عظيماً في جسمها. وفضلاً عن ذلك لأجل حبّها المتفاقم لربّنا يسوع المسيح قصدت الحجّ إلى أورشليم لتتبارك من الأماكن التي قدّسها المخلّص بآلامهِ. ولهذا أعطاها ربّنا يسوع المسيح قوّةً خصوصيّة لتستطيع الوصول إلى مأربها. وصار هو بنفسهِ دليلاً ومحافظاً لها. وقد اصطحبت معها ابنتها القدّيسة كاترينة فطافت بعبادة فائقة كلّ المحلاّت التي شرّفها مخلّصنا. وهناك أوحى إليها الربّ عن خراب جزيرة قبرس وعن سقوط مملكة اليونان في القسطنطينيّة من أجل انشقاقهم. واعلمها الله أيضاً أشياء خصوصيّة تنبئُ عن آلام المخلص يسوع المسيح وموتهِ. وعند عودتها إلى ايطاليا زارت أماكن أخرى* ثمّ دخلت إلى روميّة لتموت فيها وبصحبتها ابنها بريجر وابنتها كاترينة. وحين اعلمها الربّ بدنوّ وفاتها دعت ولديها وأودعتهما تعاليمها الأخيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأوصتهما أن يسيرا سيرة صالحة ويمارسا الفضيلة. ثمّ اقتبلت الزوّادة الأخيرة وسرّ المشحة بانتباه تامّ من دون أن تغيب عن حسّها. وبعد أن سجدت لجسد يسوع المسيح في حين تقديم ذبيحة القدّاس في حجرتها. أودعت روحها بين يديهِ ورقدت بسلام الربّ في اليوم الثالث والعشرين من شهر تموز سنة ١٣٧٣ للمسيح وكان لها من العمر ما ينيف على سبعين سنة*

* اليوم الرابع والعشرون *

القدّيسة خرستينة العذراء الشهيدة

لا ريب انّ غلبة الاستشهاد هي أعجوبة باهرة صادرة عن نعمة يسوع المسيح القادر على كلّ شيء. غير انّهُ بقدر ما يتكبّد الشهيد الصغير السنّ ذو البنيّة النحيفة من العذابات القاسية فبقدر ذلك يظهر مفعول هذهِ النعمة بنوع أوضح وأجلّ. فبناء عليهِ نقدر أن نقول بأنّ نعمة مخلّصنا الإلهيّ قد ظهرت بنوع خصوصيّ في أمتهِ خرستينة لما قاستهُ من الاستشهاد الطويل والقاسي جدّاً وذلك في السنة العاشرة من عمرها. أوّل ذلك على يد أبيها الوثنيّ نفسهِ إذ تصلّب قلبهُ لكفرهِ وصار أقسى من الوحوش الضارية. ثمّ من خليفتَي أبيها وقد فاقاهُ بالقساوة* وُلدت القدّيسة خرستينة في إحدى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مدن تسقانا لأب وثنيّ كان وزيراً للقياصرة وقاضياً في تلك المدينة. ومنذ نعومة أظفارها أحبّت ربّنا يسوع المسيح بنعمة روح القدس الذي أنار عقلها بأنوارهِ السماويّة. فأخذ أبوها منذ ذلك الحين يضطهدها. أمّا ما حملهُ على تعذيبها فهو لأنّها أخذت أصنام أبيها الفضيّة والذهبيّة وسحقتها وباعتها ووزّعت ثمنها على الفقراء. فشقّ هذا الصنيع على أبيها جدّاً واغتاظ منها وسلّمها حالاً إلى الجلاّدين وأمرهم بضربها شديداً. فجلدوها بعنفٍ وبلغت بالجلاّدين يوماً القساوة البربريّة إلى أن مزّقوا جسدها بأظفار من حديد حتّى تناثرت لحمانها من كلّ جهة وبانت عظامها* كل ذلك وخرستينة تكابد العذاب بصبر عظيم. ولم يكتفِ أبوها بذلك فقط بل وضعها على دولاب من حديد مرتفع قليلاً عن الأرض واطلق النار تحتهُ. غير أنّ الله صانها من الحريق وردّ اللّهبات على المعذّبين والمتفرّجين فاحرقت منهم جماعة كبيرة. فلمّا رأى أبوها هذهِ الأعجوبة وقد أخزتهُ هو وبقيّة عَبَدة الأوثان اغتاظ جدّاً وأمر فطرحوها في السجن فظهر لها ملاك الربّ وافتقدها وسلاّها وشفى جروحها. وإذ سمع أبوها بخبر هذهِ الأعجوبة الجديدة أمر الجند فعلّقوا في عنقها حجر الرحى. وطرحوها في بحيرة كانت بجانب البلدة. غير أنّ الله الذي حفظها سالمة من لهبات النار أرسل أيضاً ملاكهُ فأزال عنها كلّ خوف وأخرجها إلى الشاطي سالمةً صحيحةً كالأوّل. فلمّا بلغ أباها هذا الخبر اتّقدت فيهِ نار الغضب. فبعث بها إلى الحبس ثانيةً وأخذ يفتكر في اختراع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عذاب جديد يميتها بهِ. ولكنّهُ مات في تلك الليلة على غفلة وهو في سريرهِ*

وتخلّف مكانهُ في وظيفة القضاء رجل يقال لهُ ديون وكان هذا قاسياً ومبغضاً للنصارى نظيرهُ فأخذ يعامل خرستينة بأشدّ بغضاء وقساوة. واستنبط لتعذيبها أنواعاً كثيرة من العذابات ومن جملتها أنّهُ أمر أن تُضْجَع على سرير من حديد مملوّ زيتاً وقاراً وزفتاً مغليّاً معاً. أمّا خرستينة فإذ كان الله يُسَرَّ في انتصارها على مضطهديها رسمت على ذاتها علامة الصليب وبقيت تتقلّب في الزيت والقار والزفت المغليّ كمن يستحمّ في الماء البارد وهي تقول لمعذّبيها: انّي سعيدة في هذا السرير كالولد المتسربل في حلّة نعمة المعموديّة. فلمّا رأى أعوان الشيطان ذواتهم مغلوبين من ابنة صغيرة لا يتجاوز عمرها عشر سنين وذهبت كلّ مساعيهم واجتهاداتهم سدىً. لأنها مكثت سالمة في وسط تلك العذابات القاسية ولم يمسَّها أدنى ضرر اقتادوها غصباً إلى هيكل افلّو لكي تقرّب البخور للصنم رغماً عنها. وعند دخول خرستينة إلى الهيكل إذا بالصنم سقط على الأرض وتكسّر وصار هباءً منثوراً بقوّة العليّ القهّار. فخاف القاضي ديون من هذهِ الأعجوبة المدهشة ووقع ميّتاً. فاستولى الخوف على قلوب الناظرين. وآمن منهم بالمسيح نحو ثلاثة آلاف رجل*

ثمّ انّ خرستينة وقعت بين يدَي قاضٍ ثالث يقال لهُ يليانس. فعزم هذا أن ينتقم منها على موت سلفائهِ. فأوقد اتّوناً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وطرح فيهِ القديسة خرستينة. غير انّ الله جدّد مع عبدتهِ الأمينة اعجوبة الفتية الثلاثة في اتّون بابل. فبقيت في الاتّون مدّة خمسة أيّام وهي تسبّح يسوع المسيح وتشكرهُ ولم تضرّها حرارة النار بشيء البتّة. فاخرجوها من هناك ووضعوها في حبس وأطلقوا عليها أفاعي وعقارب مسمّة فلم تؤذِها أصلاً. ثمّ قطعوا لسانها ومع ذلك لم تفتأْ من تسبيح الاله الحقيقيّ ربّها الذي كانت تعبدهُ* أخيراً قربت ساعة الانتصار والظفر. وأراد ربّنا يسوع المسيح أن يشاركها في مجدهِ السمويّ بعد أن غلب بواسطة هذهِ الابنة الصغيرة حنق الشيطان وعذابات الأرض. فعلّقوا البتول الشهيدة بأمر يليانس على شجرة ورموها بالأسهم وفي هذا العذاب ختمت استشهادها وأُحصيت بين عدد أكبر شهداء يسوع المسيح. وهاك بما يمدحها الكلندار الروماني في تروسقانا وسواحل بحيرة بُلسينا «لما كانت القدّيسة خرستينة البتول الشهيدة قد اعتنقت الايمان المسيحي وسحّقت أصنام أبيها الفضيّة والذهبيّة وباعتها ووزّعت أثمانها على الفقراء. جُلدت بأمر أبيها. وعُذّبت بعذابات كثيرة قاسية. ثمّ طُرحت في البحر وفي عنقها حجر الرحى غير انّ ملاك الربّ نشلها من هذهِ التهلكة. واحتملت بصبر لا مثيل لهُ عذابات أقسى من الأولى بأمر من تخلّف أباها بالقضاء. وفي الآخر رماها يليانس في اتّون متّقدة فاستمرّت فيهِ خمسة أيّام ولم تضرّها النار. وإذ أطلقوها عليها أفاعي وعقارب مسمّة نجت منها بقوّة يسوع المسيح. ثمّ قطعوا لسانها وعلّقوها في شجرة ورموها بالأسهم» وهكذا تمّ استشهادها في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليوم الرابع والعشرين من شهر تمّوز سنة ٣٠٠ للمسيح*

اعلم انّ جسد القدّيسة خرستينة الشهيدة موجود إلى يومنا هذا في مدينة بلرمو في جزيرة صقليّة. وأهل تلك المدينة يؤدّون لها اكراماً عظيماً لأنّهم اتّخذوها محامية وشفيعة لهم*

* اليوم الخامس والعشرون *

مار يعقوب الكبير الرسول

انّ يعقوب الرسول هو بكر أولاد زبدى وسالومي واخو مار يوحنّا الإنجيلي. وكان جليليّاً من بيت صيدا ومن قرابة يسوع المسيح. لأنّ أمّهُ سالومي كانت من أقارب مريم العذراء ويُظَنّ بأنها ابنة مريم قليوفا التي يسمّيها الإنجيل أخت مريم أمّ يسوع. وكانت أيضاً أخت مار يعقوب الصغير وسمعان ويهوذا الرسل المدعوّين أخوة يسوع* ولُقّب مار يعقوب بالكبير لتمييزهِ من مار يعقوب الآخر الملقَّب بالصغير. وذلك لأنّهُ دُعي إلى الرسالة قبلهُ*

وكان مار يعقوب الكبير صيّاداً. وهذهِ كيفيّة دعوتهِ. يخبرنا متّى الإنجيليّ انّهُ حينما كان يسوع ماشياً على شاطئ بحر الجليل. رأى أخوين وهما يعقوب بن زبدى ويوحنّا أخاهُ في السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما. فدعاهما إلى الرسالة وللوقت تركا السفينة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واباهما وتبعاهُ* ومرقس الإنجيليّ يقول انّ يسوع سمّاها بُنَيْرغَش أي ابنَي الرعد. وهذا ممّا يحقّ لهُ الاعتبار. لأنّ الربّ لم يغيّر اسم أحد من الرسل سوى اسم شمعون إذ دعاهُ الصّفا أو بطرس. لأنّهُ كان عتيداً أن يجعلهُ صخرةً للكنيسة. واسمَي هذَين الأخوين اللّذَين جعلهما أخصّ أصدقائهِ من بعد مار بطرس. كما نرى في الإنجيل المقدّس إذ انّ هولاء الرسل الثلاثة أي بطرس ويعقوب ويوحنا كانوا رفقاء المسيح دون سائر الرسل. واختُصُّوا وحدهم ليعاينوا قيامة ابنة يوارش وتجلّي معلّمهم الإلهيّ على طور طابور وجهادهُ في بستان الزيتون* وقد سمَّى الربّ يعقوب ويوحنّا ابنَي الرعد لأجل غيرتهما المحترقة. فانّهما طلبا يوماً من معلّمهما أن ينزل ناراً من السماء على مدينةٍ في السامرة لأنّ أهلها لم يقبلوهُ. فوبّخهما يسوع وفهّمهما أنّهُ لا يلزم استعمال سلاح آخر مع الأعداء سوى سلاح الحلم والصبر* ولمّا كان يعقوب ويوحنّا مقرَّبين جدّاً لدى يسوع المسيح. وسمعت أمّهما بجاههما عندهُ. أحبّت أن يكون لابنيها شرف أعظم من هذا لسبب قرابتهما معهُ. فجاءَت إليهِ وسأَلتهُ أن يجلس ابناها يعقوب ويوحنّا الواحد عن يمينهِ والآخر عن شمالهِ في مجدهِ لظنّها كسائر اليهود بأنّ المسيح يأتي إلى العالم ليكون ملكاً على الأرض* ولا شكّ أنّ يعقوب ويوحنّا هما اللّذان حملا امّهما على هذهِ الطلبة. ولهذا التفت اليهما يسوع. وعذل سؤالهما. وفهّمهما أنّ الدخول في مجدهِ لا يكون في حبّ المعالي وفخر هذهِ الدنيا. بل في الجهاد العظيم وشرب كاس الآلام معهُ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذا كلّ ما نجدهُ مكتوباً عن مار يعقوب خاصّةً في الإنجيل المقدّس* وأنذر يعقوب الرسول بالإنجيل أوّلاً في اليهوديّة والسامرة. وقيل انّهُ انطلق فبشَّر بالمسيح اسباط إسرائيل الاثني عشر المشتّتين في المسكونة* وقيل أيضاً أنّهُ ذهب إلى اسبانيا. وانذر هناك أهلها وهدى تسعة أشخاص منهم فتتلمذوا لهُ. ويُظَنّ انّ ذهابهُ إلى اسبانيا كان بعد موت مار اسطيفانس أوّل الشهداء. لأنّ اليهود كانوا قد أثاروا اضطهاداً عظيماً على الكنيسة في أورشليم* وممّا يؤَيّد ذلك وجود جسد أمّهِ القدّيسة سالومي إلى الآن في مدينة وَتوله في إيطاليا. وبحسب الرأي العامّ والتقليد الأبويّ انّ القدّيسة سالومي هربت من أورشليم لسبب الاضطهاد. وجاءَت إلى ايطاليا وبقيت هناك حتّى ماتت* ولكن لا نعلم كم من الزمان أقام مار يعقوب في اسبانيا ولا بالفائدة التي حصّلها بإنذارهِ. بل نعلم فقط بالحقيقة انّ هذا الرسول رجع إلى أورشليم واستشهد فيها قبل جميع الرسل. وهاك قصّة استشهادهِ: لمّا كان يعقوب الرسول يكرز في أورشليم وتخومها ويهدي كثيرين إلى ايمان المسيح. اغتاظ منهُ اليهود وجزموا على اهلاكهِ. فاتّفقوا مع ساحر اسمهُ هَرْموجَنيس وتلميذ لهُ اسمهُ فُجَلُّس وحرّكوهما ان يجادلا يعقوب ويفحماهُ ويغريا الشياطين بأن تؤذيهُ* فأرسل هرموجنيس تلميذهُ فجلُّس إلى يعقوب. ولكن يعقوب غلبهُ بقوّة براهينهِ ومعجزاتهِ. حتى انّهُ اهتدى إلى الايمان وانطرح على قدميهِ مستغفراً. ثمّ انطلق إلى معلّمهِ هرموجَنيس وأراد أن يقنعهُ ليهتدي مثلهُ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكنّ هذا السّاحر الخبيث غضب على تلميذهِ. وقيّدهُ بصناعة شيطانيّة. حتى انّهُ لم يعد يقدر أن يتحرّك من مكانهِ. فبعث لهُ مار يعقوب منديلاً من عندهِ. ومن ساعتهِ انفكّ واتى إليهِ* فأمر هرموجنيس الشياطين أن يجلبوا إليهِ مار يعقوب وفُجَلُّس مقيَّدَين. ولكنّهم بأمر الله قيّدوهُ هو وحملوهُ إلى مار يعقوب الرسول. وحينئذٍ حلّهُ فجلُّس باسم يسوع الناصريّ. فخاف هرموجنيس جدّاً. وتذلّل بين يدي مار يعقوب. واهتدى إلى الايمان بعدما أحرق كتبهُ السحريّة كلّها* انّ مار بولس الرسول في رسالتهِ الثانية إلى طيمثاوس يقول: قد ارتدّ عنّي كلّ الذين في اسيّا الذين منهم فجلُّس وهرموجنيس. فلسنا نعلم من هما اهذان أم غيرهما. ومن الراجح أنهما هما. وانّهما ارتدّا عن الايمان بعدما اهتديا إليهِ مثل سيمون الساحر الذي هداهُ مار بطرس وعمّذهُ وبعد ذلك ارتدّ وأحدث أضراراً كثيرة في الكنيسة*

ولمّا رأى اليهود انّ الوسيلة التي اتّخذوها لإهلاك مار يعقوب خابت. أخذوا يلتمسون حيلة أخرى لبلوغ اربهم منهُ* فأتوا إليهِ ومعهم اثنان من قوّاد عسكر الروم المستولين على البلاد اسمهما لوسياس وثاكريطس. ووجداهُ يكرز ويبرهن للقوم انّ يسوع هو المسيح وابن الله* فهجم عليهِ أحد الكتبة يقال لهُ يوشيا. ووضع حبلاً في عنقهِ. فامسكهُ القائدان. واقتاداهُ إلى هيردوس اغريفا حفيد هيرودس الأكبر الذي كان ملكاً على اليهوديّة من قِبَل الملك غليقُلا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قيصر روميّة خليفة قلوديوس قيصر. فهذا الملك لكي يرضي اليهود حكم على مار يعقوب بقطع رأسهِ* فلمّا أخذوهُ إلى المقتل. شفى في الطريق مقعَداً. وبهذهِ الكرامة آمن بالمسيح يوشيا الكاتب الذي هجم عليهِ أوّلاً ووضع الحبل في عنقهِ. وطلب منهُ الغفران. فغفر لهُ يعقوب. وأعطاهُ قبلة السلام (هكذا روى اقليميس الاسكندري واوسابيوس القيصريّ) فلمّا رأى اليهود ذلك. اغتاظوا جدّاً وقبضوا على يوشيا. وقطعوا راس مار يعقوب وراس يوشيا الكاتب معاً. وكان ذلك سنهُ ٤٤ للمسيح في اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار. وفي مثل هذا اليوم حُبل بالمخلّص ومات على الصليب* ثمّ انّ تلاميذ مار يعقوب أخذوا جسدهُ. وأتوا بهِ إلى يافا. وهناك أنزلوهُ في سفينةٍ ليذهبوا إلى أرض اسبانيا. وبعدما قطعوا بحر الروم وعبروا بحر جبل طارق توجّهوا نحو غليقة وهي إحدى أقاليم اسبانيا. وبلغوا إلى مدينة إيرِس فلاوا. واخرجوا هناك جسد معلّمهم مار يعقوب ودفنوهُ. وبقي مخفيّاً إلى أوائل القرن التاسع وحينئذٍ عُرِف بوحي الهيّ. فنُقِل إلى مدينة كُمبُستَلّة. وهناك يحجّ لاكرامهِ كلّ أهل اسبانيا* والآن في مدينة سراغوسة يوجد كنيسة مبنيّة على اسم مريم العذراء ملقّبة بكنيسة السيّدة ذات العمود. وقيل انّ مريم العذراء إذ كانت بعد عائشة على الأرض ظهرت على عمود لمار يعقوب حين كان في سراغوسا. وأمرتهُ أن يبني هناك كنيسة على اسمها. وقالت لهُ: انّ أهل هذا الاقليم سيكونون عبيداً حقيقيّين ومحبّين لي. وأنا من الآن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اتّخذهم في حمايتي. ثمّ غابت عنهُ* فأطاع مار يعقوب أمرها. وشيّد على اسمها تلك الكنيسة المشهورة الآن في سراغوسا وفي اسبانيا كلّها*

ومنح الله نعماً غزيرة لاسبانيا بشفاعة وليّها مار يعقوب الرسول. فانّهُ طالما شُوهد هذا القدّيس يحارب عن تلك المملكة. وقد نصرها مرّات كثيرة وخلّصها من المغاربة وغيرهم. ولهذا اعتاد ملوكها أن يستشفعوهُ دائماً في حروبهم*

* اليوم السادس والعشرون *

القدّيسة حنّة أمّ سيّدتنا مريم العذراء الطوباويّة

هي حنّة المعظّمة والدة العذراء مريم وجدّة ربّنا يسوع المسيح. وكانت من بيت لحم. وقد تزوّجت من مار يواقيم. وكان هذا جليليّاً من الناصرة. وكلاهما كانا من سبط يهوذا من السلالة الملوكيّة من ذرّيّة داود. ومحافظَين على شريعة الله بكلّ جهدهما. ويلازمان الصلوة والأعمال البرّيّة ولا سيّما الصدقة. وكانا يقسّمان كلّ أرباحهما ثلاثة أقسام. فيخصّصان القسم الأوّل لمعيشتهما. والقسم الثاني يعطيانهِ للهيكل واللاويّين. والقسم الثالث يوزّعانهِ على الفقراء*

وانّ ما نغّص عيشهما هو اقامتهما مدّة عشرين سنة في رباط

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الزيجة ولم يُرْزَقا ولداً لأنّ حنّة كانت عاقراً. ومن ثمّ يئسا من الحصول على ولد واستحوذ عليهما خجل عظيم بين الناس. حتّى انّهما لشدّة حيائهما كان يتجنّبان مخالطة عشيرتهما. وما زالا يذرفان الدموع ويبتهلان إلى الرحمن كي يزيل عنهما هذا العار. لأنّ العقرة كانت في ذلك الزمان عار عظيم عند الناس. ووعداهُ تعالى بأنّهُ إذا رزقهما ولداً يخصّصانهِ لخدمتهِ في الهيكل*

وانطلقت ذات يوم القديسة حنّة إلى الهيكل اقتداء بحنّة امّ سموئيل لتستعطف مراحم الربّ. لعلّهُ يرزقهما ولداً ويرفع عارها. وحدث انّها لم تخرج من الهيكل الاّ ونالت الإجابة من لدنهِ تعالى جزاء ثقتها الوطيدة. وذلك انّ ملاك الربّ ظهر ليواقيم وبشّرهُ بانّهُ سيولَد لهُ ابنة مباركة في النساء ويُدعى اسمها مريم. وتكون أشرف من سارة ورفقة وراحيل. وأسعد من جميع بنات البشر قاطبةً* وقيل أيضاً انّ القدّيسة حنّة بينما كانت تبكي في بستان لها وتطلب من الله أن يتحنّن عليها. إذا بملاكٍ ظهر لها قائلاً: استبشري يا حنّة. فقد سمع الربّ صلاتكِ. وستلدين ابنةً. ويكون نسلكِ مباركاً في الأرض كلّها* فأجابت حنّة فرحةً: ليحيَ الربّ الاهي. وانّي لأَنذر لهُ ثمرة بطني واخصّصها لخدمتهِ في هيكلهِ المقدّس. وفي تلك الساعة ظهر لها ملاكان آخران وقالا لها: ها انّ يواقيم زوجكِ آتٍ مع ماشيتهِ. وستصادفينهُ عند باب اورشليم المدعوّ بباب الذهب. وهذهِ تكون لكِ علامة لهذا الوعد* ولمّا كان ملاك الربّ قد بشّر يواقيم أيضاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أَسرع يواقيم ليبشّر زوجتهُ حنّة. والتقيا عند باب اورشليم الملقَّب بباب الذهب كما قال الملاكان. وبشّر أحدهما صاحبهُ بما رأى وسمع. ففرحا بهذهِ البشرى السماويّة. وشكرا الله على أنّهُ نظر إليهما ولم يخيّب رجاءَهما*

وكان حدوث هذهِ البشارة في اليوم الثامن من شهر كانون الأوّل وهو اليوم الذي فيهِ تعيّد الكنيسة عيد الحبل بمريم العذراء البريء من الدنس*

وبعد مرور تسعة أشهر ولدت القديسة حنّة تلك الزنبقة الطاهرة نجمة الصبح الساطعة التي بشّرت ببزوغ شمس البرارة يسوع المسيح مخلّص العالم. وكان ميلادها في اليوم الثامن من شهر ايلول. ودُعيت مريم مثلما سمّاها الملاك* ولمّا صار عمرها ثلاث سنين. أتى بها أبواها إلى أورشليم ليفيا نذرهما لله كما وعداهُ قبل ميلادها. ويقرّباها لخدمتهِ في الهيكل. فوهباها لهُ تعالى على أيدي الكهنة. ورجعا إلى الناصرة. وعاشا بقيّة حياتهما في القداسة. ولم يُرْزَقا ولداً آخر غير مريم حتّى وفاتهما* وأمّا تسمية الإنجيل لمريم امرأة قليوفا بأخت مريم امّ يسوع فليس مرادهُ بذلك انّها اختها بالحقيقة. بل كانت من قرابتها. وكانت عادة اليهود في ذلك الزمان أن يسمّوا القريبي النسب أخوة*

انّ القديسة حنّة كانت مكرّمة جدّاً عند المسيحيّين الشرقيّين الأوّلين. وفي سنة ٥٥٠ شيّد الملك يسطنيان الأوّل كنيسة على اسمها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في مدينة القسطنطينيّة. وفي سنة ٧٠٦ بنى الملك يسطنيان الثاني كنيسة أخرى على اسم هذهِ القدّيسة. وقيل انّ جسدها أُتي بهِ من فلسطين ووُضع في تلك الكنيسة*

انّ الكتاب المقدّس لم يقل شيئاً عن القديسَين المعظّمَين حنّة ويواقيم حتّى انّهُ لم يذكر اسمهما. غير انّ آباء الكنيسة الأوّلين أخبرونا عنهما. منهم مار ابيفانيوس الذي كتب مديحاً رائقاً للقديسة حنّة. ومار يوحنّا الدمشقي ومار هيرونُمس* وقيل انّ القديسة حنّة ماتت بعد ميلاد يسوع المسيح. ويسوغ لنا أن نقول انّ لهذهِ القديسة درجة عالية في السماء. لأنّهُ كما أنّ مريم العذراء عليها السلام تشرّفت بتسميتها والدة الله هكذا القديسة حنّة تشرّفت بتسميتها امّ والدة الله وجدّة يسوع المسيح. ولمّا كان أَطهر الماء أقربهُ إلى الينبوع. كانت حنّة القديسة المجيدة فائقة الطهارة بما أنها والدة تلك التي هي أطهر نساء العالمين* وقد وضع لها عيداً البابا غريغوريوس الثالث عشر وذلك سنة ١٥٨٤ وأمر أن يُحتفَل بهِ في اليوم السادس والعشرين من شهر تموز*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السابع والعشرون *

بنطاليون الطبيب الشهيد

وُلد القدّيس بنطاليون في مدينة نيقوميديّة من أعمال بثنيّة في آسيا الكبرى. وكان أبوهُ رجلاً شريفاً وثنيّاً وامّهُ مسيحيّة وماتت إذ كان بنطاليون بعد صبيّاً صغيراً. ولمّا شبّ وضعهُ أبوهُ في المدارس ليتعلّم الفلسفة والبيان ونجح فيهما جدّاً لجودة قريحتهِ وانصبابهِ على الدرس. ثمّ انصبّ بنطاليون على درس الطبّ ومهر فيهِ على يد اوفروزينوس أول طبيب لمكسميانوس الملك. فاحبّهُ الملك لمهارتهِ وجودة عقلهِ وحسن سلوكهِ ونقاوة سيرتهِ فأخذهُ في قصرهِ واتّخذهُ طبيباً لهُ*

غير انّ الله كان قد اختار بنطاليون لدعوة أفضل. فحدث يوماً بينما كان يتنزّه خارج المدينة صادفهُ قسّيس فاضل اسمهُ هرملاوس. وكان هذا قد هرب إلى البراري لينجو من الاضطهاد. فانفتحت مباحثة بينهما. فشاهد رجل الله على وجه بنطاليون امارات تدلّ على حسن استعداد قلبهِ. فطلب إليهِ أن يُصغي رويداً إلى مقالهِ. فرضي بنطاليون بهذا. فسألهُ حينئذٍ القسيس الفاضل: من أنت وماذا تصنع. فأجابهُ الشاب أنّهُ ابن استورج الوثنيّ أحد شرفاء المدينة. واسم امّهِ اوبول وهي مسيحيّة وقد ماتت إذ كان بعد صبيّاً صغيراً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونظراً إليهِ فقد بدأ يدرس علم الطبّ تكميلاً لمرغوب أبيهِ. فاتّخذ الشيخ القسيس هذا الجواب وسيلة ليحرّك في قلبهِ ما قد لقّنتهُ أمّهُ من مبادئ الديانة المسيحيّة في صغرهِ وقال لهُ: انّ يسوع المسيح هو مبدع الحيوة والخلاص وباسمهِ تُشفى كلّ الأمراض بأكثر سرعة وبنوع أحسن ممّا يشفيها ابقراط وسائر ايّمة الأطباء. فأثّرت هذهِ الكلمات في قلب بنطاليون وترك هرملاوس وهو عازم أن يعود إليهِ ثانيةً. وقد كمّل قصدهُ هذا إذ زارهُ مراراً عديدة. وفي أثناء كلّ مرّة كان هرملاوس يعظهُ ويفسّر لهُ الحقائق المسيحيّة حتّى أخذ قلبهُ يتّقد شوقاً إلى اعتناق الديانة المسيحيّة* فبينما كان بنطاليون متردّداً في هذا الفكر إذ وجد صبيّاً قد لسعتهُ الحيّة ومات والحيّة في جانبهِ. فقال بإلهام إلهيّ: لانظرنّ الساعة ايصحّ كلام الشيخ القسيس أم لا. وللوقت دنا من الصبيّ الميّت وقال لهُ: قم باسم يسوع المسيح. ثمّ التفت إلى الحية قائلاً: ليرجع إليكِ الشرّ الذي صنعتهِ. ففي تلك الساعة قام الصبيّ وماتت الأفعى. ولدى هذهِ الكرامة أقرّ بنطاليون بحقيقة دين المسيح وذهب مسرعاً إلى هرملاوس وقصّ عليهِ كلّما جرى لهُ. وطلب إليهِ أن يعمّذهُ. وأقام عندهُ سبعة أيّام لكي يتقن تعليم الحقائق المسيحيّة وممارساتها* ثمّ رجع إلى أبيهِ فاستخبرهُ أبوهُ عن سبب غيابهِ. فأجابهُ بجوابٍ مُبهَم قائلاً: انّهُ كان أحد أعوان الملك مريضاً مرضاً ثقيلاً وقد انطلق هو إلى معالجتهِ وشفائهِ (وقد عنى بهذا عن نفسهِ وعن الملك السماويّ)* وصار بنطاليون منذ ذلك الحين يجتهد أن يخرج

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من عقل أبيهِ الضلالات الوثنيّة ويربحهُ إلى حيوة النعمة مثلما صار هو علّة لحياتهِ الطبيعيّة. فكان يقول لهُ: لماذا يا أبي بعض آلهتكم تستمرّ دائماً واقفة ولم تقدر أن تجلس وبعضها هي دائماً جالسة من دون أن تتمكّن من القيام. فلم يقدر أبوهُ أن يجيبهُ عن هذا شيئاً* وفيما كان بنطاليون يشتغل في تثقيف أبيهِ إذ حضر إلى بيتهِ رجل أعمى وكان قد صرف جانباً عظيماً من أموالهِ على الأطباء ولم يقدروا أن يفتحوا عينيهِ وقال لهُ: انّي قبلما فوّضتُ علاج عينيّ إلى الأطبّاء كنتُ أبصر قليلاً وامّا الآن فاعموني بالتمام. فاشفق عليّ وافتح عينيّ. فقال لهُ بنطاليون: وماذا تعطيني إذا فتّحتُ عينيك. فأجابهُ الأعمى: أعطيك كلّما بقي لي. فقال لهُ بنطاليون: انّ أبا الأنوار يعيد عليك بصرك. امّا ما وعدتني بهِ من الدراهم فأَعطِها للفقراء. فقال لهُ أبوهُ: وكان حاضراً حين مخاطبتهما لا تتّخذ على عهدتك شفاء هذا الأعمى لئلاّ تُحتقَر كبقيّة الأطباء. فأجابهُ بنطاليون أبتِ لم يداوِ أحد هذا الرجل حتّى الآن بما أنا مزمع أن أداويهُ وانّهُ لفرق عظيم بين بقيّة الحكماء والمعلّم الذي علّمني هذهِ الصناعة. فتخيّل لأبيهِ أنّهُ يعني بكلامهِ هذا عن الطبيب اوفروزينوس فقال لهُ: انتظرني يا أبتاه قليلاً وانظر ما لم تشاهدهُ عيناك حتّى الآن. قال هذا: ووضع يديهِ على عيني الأعمى وأمرهُ باسم يسوع المسيح أن يفتحهما. وفي الحال رجع إليهِ بصرهُ واعترف بألوهيّة يسوع المسيح الذي بمجرّد اسمهِ قد شُفي في لحظة عين. فأُعطي مع نور العين نور الايمان أيضاً* فلمّا شاهد أبو بنطاليون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذهِ الكرامة تبدّدت عن عقلهِ الأوهام واعترف بحقيقة ألوهيّة يسوع المسيح واستعدّ إلى قبول المعموذيّة. فمن يقدر أن يعبّر وفور الفرح الذي شعر بهِ بنطاليون لدى مشاهدتهِ رعوى أبيهِ واهتدائهِ إلى الايمان المسيحي. وأيّ شكر جزيل قدّمهُ للعزّة الإلهيّة عن هذهِ المنّة العظيمة. فمات استورج بعد قبولهِ المعموذيّة بأيّام قليلة. وبعدهُ شرع بنطاليون يداوي المرضى ويزور المحبوسين وصار يشفي بمجرّد اسم يسوع المسيح الاسقام الغير القابلة الشفاء بالكليّة. فشاع صيتهُ وصار أهل نيقوميديّة قاطبةً يقصدونهُ ليعالج أسقامهم. فحسدهُ سائر الأطبّاء وجزموا أن يسعوا فيهِ عند الملك مكسميانوس الذي كان حينئذٍ في نيقوميديّة. فجاءُوا إليهِ وقالوا لهُ: انّ بنطاليون قد اعتنق الديانة المسيحيّة وهو يجذب إليها كلّ من يشفيهِ. فان تركتهُ فعمّا قليل يترك جميع سكّان المدينة عبادة آلهة المملكة ويتنصّرون. ودليلاً على قولهم هذا قدّموا لهُ الأعمى الذي كان قد ردّ إليهِ بصرهُ. فسأَلهُ الملك وطلب منهُ أن يخبرهُ كيف أبصر. فأجابهُ أنّ بنطاليون شفاني بقدرة يسوع المسيح لا بقدرة الآلهة. فغضب مكسميانوس من هذا الجواب غضباً شديداً وأمر حالاً بقطع رأسهِ. فاشترى بنطاليون جسد هذا الشهيد من الجلاّدين ودفنهُ بجانب جسد أبيهِ*

امّا هو فلمّا رأى أنّ حياتهُ بقيت في خطر. اعتق عبيدهُ ووهبهم جانباً كبيراً من أموالهِ. وما بقي لهُ منها قسّمهُ على الفقراء. وأخذ يعِدّ نفسهُ للحرب وللاستشهاد. ولم يكن متوهّماً في ذلك. لأنّهُ بعد أيّام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قليلة أحضرهُ الملك مكسميانوس أمامهُ. فاعترف بأنّهُ مسيحيّ ويسجد للإله الحقّ الذي خلق السماء والأَرض لا للآلهة الباطلة التي ليست سوى خشب أو حجر* وعاهد الملك على أن يأتيهُ بسقيم قد يئس الأطبّاء من شفائهِ وأن يأتي جميع كهّان آلهتهِ. فان شفوهُ باسم الآلهة يجحد إيمان المسيح ويعبد الآلهة. وان لم يقدروا على شفائهِ وشفاهُ هو باسم يسوع المسيح. فيتّضح حينئذٍ أنّ دين النصارى هو حقّ ومذهب الوثنيّين زورٌ وباطل* فأَتوهُ بزمين وعرضوهُ أمام محفل. وحضر كهّان الأصنام وحضر أيضاً بنطاليون. فبدأَ السدَنة يستغيثون بآلهتهم. وعملوا كلّ جهدهم فلم ينتفعوا شيئاً. لأنّ الزمين لبث مقعداً. ولمّا أعياهم الأمر قال بنطاليون: لقد أتت نوبتي. ثمّ دنا من المُقعَد وقال لهُ: قُم معافىً باسم يسوع المسيح. وفي الحال وثب قائماً واستوى على رجليهِ وهو يشكر الله* فلمّا رأى الحاضرون هذه الكرامة الباهرة اهتدوا إلى ايمان المسيح ومجّدوا الله* فخزي الملك واستحوذ عليهِ الخجل ولم يتفوّه بكلمة. غير انّ كهّان الأصنام اقنعوهُ بأن بنطاليون شفى ذلك الزمين بسحرهِ وحمّلوهُ على قتلهِ لئلاّ يعطّل خدمة آلهتهم ومملكتهم. فقبض الملك على بنطاليون وأمر أن يعرّوهُ من ثيابهِ. ويربطوهُ في عمودٍ مركوز في الشارع ويمزّقوا جلدهُ بآلات حديديّة ويضعوا عليهِ خرقاً مزفّتة ملتهبة. وفيما كان بنطاليون في وسط هذه العذابات رفع قلبهُ إلى يسوع المسيح مستمدّاً منهُ الغوث. فظهر لهُ المخلّص الإلهي وقال: انني معك يا بنطاليون في وسط العذابات التي تتكبّدها بصبر عظيم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حبّاً بي. وفي الحال تقدّدت أيادي معذّبيهِ وعدمت كلّ حركة وانطفأت الخرق الملتهبة التي بها كانوا يحرقونهُ. فتعجّب الملك من هذا المشهد وأمر أن يكفّوا برهة عن تعذيبهِ. فسألهُ قائلاً: بأَيّة وسيلة سحريّة قدّدت أيادي الشرط وأطفأْت الخرق المتّقدة. فأجابهُ الشهيد: ليس لي واسطة أخرى سوى قدرة الإله الحقّ يسوع المسيح. فأمر حينئذٍ مكسميانوس أن يُؤْتى بخلقين كبير ويذوّبوا فيهِ رصاصاً ويغطّسوا فيهِ الشهيد. فقبل أن يقاسي بنطاليون هذا العذاب رفع عينيهِ إلى السماء وناجاهُ تعالى قائلاً: استمع يا الله صوتي إذا ندبتك ومن خوف العدوّ صن حياتي. استُرني من مؤَامرة الأشرار ومن تجمّع العاملين بالظلم (مزمور ٦٣). وحينما غُطِّس في الرصاص المغليّ خمدت النار من ساعتها ولم يشعر بنطاليون بأدنى عذاب بل كان يترنّم بالمزمور الآتي: في العشيّة والغداة ووسط النهار (أي دائماً) ارنّم بمراحم الرب وأُخبر بعجائبهِ فيستمع صلاتي (المزمور ٥٤). فأخذت الحيرة القوم الواقف. ومع ذلك فلم يلِنْ قلب الملك بل أمر أن يطرحوهُ في البحر وفي عنقهِ حجر كبير* ولمّا طرحوهُ. استغاث باسم يسوع المسيح. فظهر لهُ الربّ القدير الذي خلّصهُ قبل ذلك من الحريق. وامسكهُ بيدهِ كما أمسك مار بطرس إذ كان ماشياً على البحر. وأخرجهُ سالماً إلى الشاطي* فلمّا رآهُ الملك صرخ وقال: ما هذا أَلعلّ البحر أيضاً يخضع لسحرك. فأجابهُ بنطاليون: انّ البحر يطيع الله كما تطيعهُ بقيّة الكائنات لأَنّهُ ان كان خدّامك يطيعون أوامرك أنت الذي لا يستقيم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملكك الاّ أيّاماً قليلة فكيف لا تطيع الكائنات لصوت الملك السماويّ. فلم تؤَثّر كلّ هذه المعجزات في قلب مكسميانوس بل تصلّب قلبهُ مثل فرعون القاسي حين لم تؤَثّر في قلبهِ الضربات العشر التي أجراها موسى. فأَمر باعداد وحوش ضارية متنوّعة واجتمع جميع سكّان المدينة ليروا ماذا سيكون من أمرهِ. فلمّا أُعدّ كلّ شي أتوا بالشهيد القدّيس وكان يمشي بشدّة وبأْس وهو يستغيث باسم الرب القائل على فم نبيّهِ. جعلت العَليَّ مثواك لا يلقاك شرّ. ولا تدنو ضربة من مسكنك وعلى اللّيث والأفعى تطأ وتدوس الشِبل والتنّين (مزمور ٩٠)* وإذ دخل الساحة المعيّنة اطلقوا عليهِ الوحوش غير انّ الوحوش عدِمت شراستها وجاءَت فانطرحت على قدمَي شهيد يسوع المسيح وأخذت تلحسها. فتعجّب الحاضرون لدى رؤيتهم هذا المشهد وصرخوا قائلين: عظيم هو اله المسيحيّين فهو الاله الواحد الحقّ. امّا الملك فازدادت شراستهُ على شراسة الوحوش نفسها وأمر بقتل جميع الوحوش التي أُطلقت عليهِ. وقد سمح الله بهذا ليمجّد قدّيسيهِ أو ليخزي الكفرة. فاضطرّوا على حفر هوتة كبيرة لتُلقى بها الوحوش المقتولة وتُوارى* امّا ما كان من مكسميانوس فلم يعتبر ذاتهُ مغلوباً بل أراد أن يُعيي صبر بنطاليون وبهذا يجبرهُ على التضحية للأَصنام. فأَمر أن يربطوا الشهيد على دولاب فيهِ شوكات حديديّة ويُدَحرج من أعلى قمّة الجبل. ثمّ دحرجوهُ بشدّة فحفظتهُ يد القهّار القادر على كل شيء وحلّتهُ من الدولاب وافرزتهُ وانزلتهُ على الأرض بهدوّ سالماً لا جرح فيهِ. وبينما كان الدولاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يتدهور بين صفوف المتفرّجين قتل منهم عدداً كبيراً من الغير المومنين. فصار حينئذٍ جميع سكّان المدينة يخافون ومكسميانوس نفسهُ احتار منذهلاً من هذهِ الأعجوبة الجديدة ولم يعد يدري بأيّ نوع من العذاب يعذّبهُ بهِ واشكل عليهِ أمرهُ. ثمّ أخذ يستخبر منهُ عن المعلّم الذي ثقّفهُ في الديانة المسيحيّة قائلاً لهُ: قل لي من الذي علّمك هذا الايمان واجتذبك إليهِ. فانّي أريد أن أنتقم منهُ* وكان بنطاليون متيقّناً انّ معلّمهُ هرملاوس يتوق إلى الاستشهاد معهُ حبّاً بيسوع المسيح. فقال للملك: انّ هرملاوس هو الذي علّمني هذا الايمان الصحيح* وفي تلك الليلة ظهر ربّنا يسوع المسيح لهرملاوس. واعلمهُ بأنّهُ في الغد يكون معهُ في الملكوت. ولمّا كان الغد. أرسل الملك فاحضر هرملاوس. وسألهُ مسائل شتّى. فأجابهُ عنها بشجاعة عظيمة. وكانت عيناهُ حينما يتكلّم شاخصتين في السماء. وفي تلك الأثناء تزلزلت الأرض فعندها قال الملك وهو ممتلئٌ رعبة: هوذا آلهتنا إظهاراً لغضبها علينا تزلزل الأرض. فأجابهُ الشهيد ماذا تقول أيها الملك: انّ آلهتك نفسها قد سقطت. ولم يتمّ كلامهُ الاّ وجاء أحد أعوان القصر الملوكيّ ينادي الملك ويتأوّه قائلاً: انّ الآلهة قد سقطت من امكنتها على الأرض وتسحّقت. فأمر حينئذٍ الملك فقطعوا راس هرملاوس. وبعدما جلد بنطاليون أمر بقطع رأسهِ أيضاً. فأخذهُ الجلاّدون إلى بستان الزيتون ليقتلوهُ هناك. وبينما هو سائر كان يترنّم بأقوال داود النبيّ القائل: مراراً كثيرة اضطهدوني منذ صباي. فلم يقدروا عليّ. على ظهري

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حرثَ الحارثون. وطوّلوا أَتلامَهم* الربُّ صدّيق. قطّع حبال الأَثَمة (مزمور ١٢٨). وإذ بلغوا من مكان العذاب ربطوهُ في شجرة زيتون واستلّ جلاّد منهم سيفهُ وضرب بهِ عنقهُ. فلم يخدشهُ ولا أثّر فيهِ شيئاً. بل انطوى السيف والتوى كأنّهُ من رصاص. فقال الشهيد للجلاّد: اضرب ضربة ثانية فضربهُ واحتزّ رأسهُ ووقع على الأرض وخرج منهُ حليب بدل الدم. وفي تلك الساعة عينها حملت الشجرة التي كان مربوطاً عليها زيتوناً. فأَخذ المسيحيّون جسدهُ ودفنوهُ في حقلٍ وكان استشهادهُ سنة ٣١١*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار وكتور البابا الشهيد

انّ القديس وِكتور أصلهُ من افريقيا. ونُصب حبراً على كرسيّ مار بطرس بعد موت مار الوثاريوس البابا الشهيد بخمسة أيّام. وساس الكنيسة المقدّسة بحكمة وقداسة مدّه تسع سنين وثمانية وعشرين يوماً*

وكان وكتور محترساً جدّاً على غنمهِ من الذئاب الخاطفة الذين كانوا في زمانهِ يفسدون قلوب كثيرين من الكاثُليكيّين ويجتذبونهم إلى اتّباع اضاليلهم* وقد شجب هذا البابا ثاودورس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القسطنطينيّ وحرمهُ من الكنيسة المقدّسة لأنهُ كان قد أنكر ايمان المسيح في عهد الملك مرقس اوراليوس خوفاً من العذاب. ثمّ أخذ يبتدع هرطقات كثيرة وضلالات شنيعة*

وفي مدّة حبريّتهِ حدث خصومة بين أساقفة اقليم من أرض أناضول يقال لهُ اسيا من جهة تعبيد الفصح. فكان كثير منهم يقولون انّهُ يجب أن يُعيَّد في اليوم الرابع عشر من القمر. لأنّ اليهود في هذا اليوم يأكلون خروف الفصح وفيهِ أيضاً أكل المسيح الفصح مع تلاميذهِ. وكان الباقون يقولون انّهُ يجب أن يعيَّد يوم الأحد الذي بعد الرابع عشر من القمر لأنّهُ فيهِ قام يسوع المسيح* وقد اجتمع لحلّ هذه المسئلة عدّة مجامع في اقاليم مختلفة من الشرق والغرب. وجمع البابا وكتور أيضاً مجمعاً في روميّة وثبّت فيهِ وجوب تعييد عيد الفصح يوم الأحد الذي بعد اليوم الرابع عشر من قمر آذار. لاكرام اليوم الذي فيهِ قام ربّنا يسوع المسيح من القبر ولمنع اتّفاق النصارى مع اليهود في هذا العيد وللتمسّك بما سنّهُ بطرس الرسول إذ أمر أن يعيَّد في هذا اليوم في الكنيسة الرومانيّة* وتثبّت هذا المرسوم في المجمع النيقاوي أيضاً. ومنذ ذلك اليوم حُفظ تعييد الفصح في الكنيسة الكاثوليكيّة في يوم الأحد بدون تغيير*

وكان الحبر الأعظم وكتور غيوراً على الكنيسة المقدّسة باذلا جهدهُ في صيانة الايمان المقدّس ووحدتهِ. ورسم أشياء كثيرة لمنفعة كنيسة المسيح. وبعدما رعى الكنيسة تسع سنين ونيّفاً. تكلّل بالاستشهاد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو وكثير من المسيحيّين وذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر تموز سنة ٢٠٣ للمسيح في الاضطهاد الذي أثارهُ الملك سبتيميوس سويرس. وقُبر جسد وكتور في الواتكان*

* اليوم التاسع والعشرون *

القدّيسة مرتا العذراء مضيفة ربنا يسوع المسيح

هي مرتا أخت مريم المجدليّة ولعازر الذي أقامهُ ربّنا يسوع المسيح من القبر. وكان هولاء يهوداً جنساً ومن أولاد الأغنياء* يخبرنا لوقا الإنجيلي انّ هذهِ المرأَة القدّيسة أضافت يوماً يسوع المسيح في بيتها في قرية بيت عنيا. وكانت تخدمهُ باجتهاد* فمع أنها كانت من أولي الشرف والغنى ولها خدّام. أرادت هي بنفسها أن تصنع غداءً ليسوع المسيح. ولخوفها أنها لا تقدر أن تحسن عمل الطعام تمنّت أن تعينها أختها مريم. وكانت مريم حينئذٍ جالسة عند قدمي يسوع تسمع كلامهُ مغتذيةً بتعليمهِ الإلهيّ* فقامت مرتا وقالت ليسوع: يا ربّ. أما يعنيك أمري انّ أختي تركتني أخدم وحدي. فقل لها ان تعينني* فقال لها يسوع: مرتا مرتا انّكِ مجتهدة ومهتمّة في أمور كثيرة. والذي يُحتاج إليهِ هو واحد. فأمَّا مريم فاختارت لها نصيباً صالحاً لا يُنزَع منها* فهنا لا يذمّ المسيح عمل مرتا. بل مدح عمل مريم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لأنّ الاجتهاد في ما يخصّ الروح هو أفضل منهُ في ما يخصّ الجسد*

وقد ذكرنا في حيوة القديسة مريم المجدليّة في اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر كلّما ينوط بحيوة القديسة مرتا إلى يوم انفصالها عن أختها مريم التي اختلت في إحدى المغائر لتعيش فيها بالوصال المداوم مع يسوع المسيح* وكان اليهود قبل ذلك قد جزموا على اهلاك لعازر لأنّ المسيح أقامهُ من القبر ومن أجل هذا آمن بهِ كثيرون* فأخذوهم وأخذوا مار مكسِمينس أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين وغيرهم من المسيحيّين. ووضعوهم في سفينة لا قلوع ولا ملاّح فيها. وسيّروهم بها في البحر لكي يهلكوا فيهِ. ولكنّ الله القدير هدى سفينتهم إلى ميناء مرسيليا وهي مدينة من أعمال فرنسا* فخرجوا هناك وشرعوا يبشّرون بالمسيح. وهدوا إلى الايمان كلّ أهل مرسيليا وكلّ سكّان ذلك الاقليم المدعوّ بروفنسا. وصار مار لعازر أسقفاً على مرسيليا. ومار مكسمينس أسقفاً على مدينة أَكْس* ثمّ انّ القديسة مريم المجدليّة انقطعت في قفر هناك. وقضت حياتها بالتكفير عن معاصيها السابقة* وأمّا القديسة مرتا فجمعت طائفةً من الفتيات وعلّمتهنّ السيرة المسيحيّة. وان يخصّصنَ ذواتهنّ ليسوع المسيح ويعشنَ سوّيةً كما تعيش الراهبات في الأديرة* وقيل انّ القديسة مرتا قتلت بصلواتها تنّيناً عظيماً كان ينغّص عيشة أهل ذلك البلد* وأوحى إليها الربّ بموتها قبل سنة. فاعترتها الحمّى كلّ تلك السنة* وقبل وفاتها بثمانية أيّام سمعت نغمات سماويّة. ورأَت ملائكة حاملين روح أختها مريم المجدليّة إلى السماء. وشخصت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لها مريم أختها في حين وفاتها. وزارها ربّنا يسوع المسيح وقال لها: تعالي يا حبيبتي. وكما أضفتِني في بيتكِ الأرضيّ. أنا أضيفكِ في قصري السماويّ* ثمّ انّها انضجعت على الرماد في مكان تُرَى منهُ السماء. وطلبت فقُرئت لها قصّة آلام المسيح التي كتبها مار لوقا. ولمّا سمعت هذهِ الكلمات وهي يا ربّ في يديك استودع روحي. سلّمت روحها إلى الله. ودُفن جسدها في ترسكونة حيث ماتت* وجرت كرامات عظيمة بشفاعتها في حياتها وبعد موتها. منها انّ كلويس ملك فرنسا مرض يوماً مرضاً ثقيلاً. ولمّا صلّى عند قبرها رجعت إليهِ صحّتهُ حالاً* وفي القرن الثاني عشر بنى امبرتُس اسقف ارلس كنيسة فاخرة على قبرها الذي كان مجهولاً قبل ذلك*

* اليوم الثلاثون *

جهاد عبدون وسينون الشهيدين

انّ الشهيدَين عبدون وسينون كانا فارسيَّين جنساً وشريفَين حسباً ونسباً ومعتَبرَين جدّاً في بلادهما* ولمّا كانا مسيحيَّين ويبصران العذابات القادحة التي كان النصارى يحتملونها من أجل يسوع المسيح في عهد الملك داقيوس المضطهد للكنيسة. أحبّا نوال اكليل الاستشهاد. وعليهِ كانا يذهبان بلا خوف إلى السجون ويسلّيان الشهداء ويدفنان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أجسادهم* فلمّا بلغ خبرهما إلى داقيوس. أحضرهما قدّامهُ وسأَلهما عن دينهما. فأقرّا بالمسيح. فالقاهما في السجن مع كثير من الفرس لكي يأخذهم جميعاً إلى رومية عند رجوعهِ إليها ظافراً* ولمّا ظفر بالفُرس ورجع إلى روميّة. مشّى أولئك الأسرى معهُ وبينهم عبدون وسينون. وكانا لابسين ثياباً فاخرة بحسب شرفهما ومصفّدين بالحديد كسائر الماسورين* ولمّا بلغوا إلى رومية. أمر داقيوس قلودس كاهن الأصنام أن يأتي بصنم وينصبهُ على مذبح. ففعل* فقال الملك لعبدون وسينون: ان أردتما أن تسترجعا شرفكما وأموالكما وحرّيّتكما. اسجدا لهذا الإله. فقالا لهُ: لن نسجد أبداً لأنّنا لا نعرف إلاهاً الاّ يسوع المسيح. ولهُ فقط نحن مستعدّون أن نقدّم نفوسنا ذبيحة* فتهدّدهما الملك بأن يرحهما إلى الوحوش الضارية. فضحكا عليهِ. ثمّ أمر فأخذوهما إلى الشارع لكي يجبروهما على السجود للشمس. فأبيا وبصقا فيها. فجلدوهما بأسواط مرصّصة. ثمّ عرّوهما من ثيابهما. وأطلقوا عليهما أسدين وأربع دبب. فانطرحت هذهِ الوحوش الضارية على أقدامهما وجعلت تلاطفهما* فنسب الوثنيّون هذه الكرامة إلى السحر. وقتلوهما في تلك الساعة وقطّعوهما ارباً ارباً. وتركوا جسديهما عرضةً للناظرين مدة ثلاثة أيام* ثمّ جمع قرينُس الشمّاس ذخائرهما ليلاً ودفنها في بيتهِ* وفي عهد الملك قسطنطين الكبير وُجد جسداهما بالهام إلهيّ. فنُقلا ودُفنا في مقبرة فنطيان. وكان استشهادهما في نحو سنة ٢٥٠*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الحادي والثلاثون *

مار اغناطيوس لويولا منشئُ رهبنة اليسوعيّين

انّ القدّيس اغناطيوس (مُنشئ رهبنة اليسوعيين) وُلد سنة ١٤٩٤ في اقليم غيبسكوأَه من أعمال اسبانيا من أبوَين شريفَي الحسب غنيّين جدّاً فربّياهُ أَفضل تربية وثقفّاهُ أحسن تثقيف* ولمّا نشأ أرسلهُ أبواهُ إلى قصر فردِنَند الخامس ملك اسبانيا لكي يتعلّم هناك مهارة العسكريّة. ولوفور ميلهِ إلى هذهِ الصناعة أتقنها بكلّ شروطها حتى انّهُ حصل على وظيفة سامية في العسكريّة وفاق بشجاعتهِ جميع قوّاد الجيوش* وكان يكره لعب القمار ويعتني كثيراً في القاء الصلح والسلام بين الجنود ويحبّ أعداءَهُ. وتولّع في نظم الشعر ومع جهلهِ بعلم الفصاحة والتأليف قيل انّهُ ألّف قصيدة صغيرة لاكرام مار بطرس الرسول. ولم تكن سيرتهُ رديّة بل انّها كانت شبيهةً بسيرة كثيرين من أهل العالم المحبّي الملاهي والترفّهات*

وفي سنة ١٥٢١ حاصر الفرنساويّون مدينة فَمفلُونة وكان في داخلها وقتئذٍ اغناطيوس واثنان من روساء العساكر مع جنودهم يحمونها. ففي إحدى المعارك التي حدثت بين الفريقين أصابت اغناطيوس كرة مدفع في جنبهِ الأَيمن فكسرتهُ. واندفعت صفاة بتلك الكرة الناريّة على جنبهِ الأيسر فارتضّ ووقع مجندلاً على الأرض. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رأى الجنود ما حلّ بمقدّمهم كرّوا القهقرى منكسرين. فأسرهم الفرنساويّون. أمّا أولئك فلمّا عرفوا اغناطيوس ضمّدوا جراحاتهِ وبعثوهُ إلى بيتهِ. وكان ألمهُ يشتدّ حتّى بقيت حياتهُ في خطر. الاّ انّ مار بطرس الرسول ظهر لهُ في ليلة عيدهِ الشريف وشفاهُ. فاستوى على رجليهِ. غير انّ عظماً عند ركبتهِ بقي خارجاً عن مكانهِ. فدعا الأطبّاء فقطعوهُ وحصل لهُ من ذلك وجع عظيم احتملهُ صابراً. ثمّ صحّت علّتهُ غير أنّ ساقهُ اليمنى بقيت دائماً أقصر من اليسرى بقليل*

وعندما كان اغناطيوس طريح الفراش تولّع في قراءة الكتب الدنيويّة المؤنسة. فسأل أحد أصدقائهِ أن يعيرهُ كتباً ليتسلّى بقراءتها في مدّة مرضهِ. فأتاهُ بكتابين الواحد سيرة يسوع المسيح والآخر سيرة القدّيسين. ولمّا لم يجد غيرهما في البيت أخذ يقرأ فيهما صرفاً للزمان فأعجباهُ والتذّ بهما. ولم يملّ من قراءَتهما حتّى أتى إلى آخرهما. فحرّك الربّ قلبهُ حتّى انّهُ جزم أن يؤَيّد بالعمل ما قد قرأهُ. وفي إحدى الليالي نهض من فراشهِ وشرع يصلّي مقدّماً ذاتهُ ليسوع المسيح على يدَي سيّدتنا مريم العذراء. وعزم على هجر العالم. فظهرت لهُ حينئذٍ سيّدتنا مريم وفي يديها ابنها الحبيب يسوع المسيح وثبّتتهُ في هذا عزمهِ الصالح. وغيّر الربّ قلبهُ فاستمرّ حتى آخر نسمة من حياتهِ خالصاً من أميال العالم وأشواقهِ الفاسدة والخيالات السمجة التي كثيراً ما تعذّب النفوس الأكثر قداسة*

فخرج اغناطيوس من بيتهِ ابتغاء أن يخدم الله في مكان آخر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فجاء متنكّراً إلى مُنْتْسِرّا وهو محجٌّ جليل لمريم العذراء على الجبل. وبينما كان سائراً في الطريق نذر لله نذر العفّة الدائمة وعزم على جلد جسمهِ في كلّ ليلة طالما مكّنتهُ صحّتهُ من ذلك مقدّماً أفعالهُ كلّها لمجد الله الأعظم* فلمّا وصل إلى قرية في ذيل الجبل وكان بقصدهِ أن يحجّ إلى القدس الشريف بعدما يحجّ إلى كنيسة العذراء. ابتاع لهُ من القرية مسحاً طويلاً خشناً وحزاماً وأحذية من حبال واناء للاستعطاء ووضع الكلّ في قتَب سرج حصانهِ وخرج من القرية وجاء إلى مُنْتْسرّا. وهناك اعترف في كنيسة العذراء اعترافاً عامّاً بجميع خطاياهُ مع توجّع وأسف عظيمَين ثمّ عرض على معلّم اعترافهِ قانون حياتهِ الذي رتّبهُ لنفسهِ ليسلك بموجبهِ. فثبّتهُ معلّم الاعتراف في قصده هذا وقدّم لهُ نصائح مفيدة وكشف لهُ الفخاخ التي لا بدّ من أن ينصبها لهُ عدوّ الخلاص. فنهض القائد البطل من المنبر وقد تاب توبة نصوحاً عمّا سلف منهُ قبلاً. وأهدى حصانهُ لكنيسة العذراء وعلّق سيفهُ وخنجرهُ أمام تمثال مريم وأعطى ثيابهُ لأحد الفقراء وتردّى بالمسمح وتمنطق بالحبل وقضى ليلتهُ بالصلوة في الكنيسة وكانت ليلة عيد البشارة. فلمّا أصبح ذهب إلى منزيزة وهي تبعد عن مُنْتْسرّا مسير ثلاث ساعات. وكان هناك بيمارستان للآباء الدومنيكيّين فسكن فيهِ عائشاً مع الفقراء بالاستعطاء. وهو يقمع جسدهُ بقساوة لا مثيل لها في سيَر النسّاك والمتوحّدين أنفسهم. فجرّبهُ الشيطان بالعُجب وحبّ الذات أوّلاً بشدّة حتّى انّهُ لم يمكنهُ التملّص منها إلاّ بواسطة عون خصوصي من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لدنهِ تعالى. فشرع يتأمّل في عظم شرّ الخطيّة غير المتناهي. وضعف الموازنة بين عذابات جهنّم وأعمال التوبة المسيحيّة. وبهذهِ الواسطة تمكّن من قهر تجربتهِ. فجرّبهُ حينئذٍ ابليس ثانياً بالقنوط وقطع الرجاء وبالوسواس رغماً عن اعترافاتهِ العامّة والخاصّة الكاملة الشروط. بحيث انّ حلاوة العبادة والتعزيات الروحيّة التي خصّهُ بها الله استحالت لديهِ إلى مرارة علقميّة. ونزع الله عنهُ أيضاً الأنوار التي كان قد أنارهُ بها فاستولى على عقلهِ الارتياب والاضطراب والظلام. وأضحى كأنّ أمواج بحر هذهِ التجارب العديدة كادت تغطّيهِ وتبتلعهُ لأنّهُ كان أحياناً كثيرة يرتمي على الأرض باكياً متنهّداً. ويضاعف أصوامهُ وتقشّفاتهِ. ويكثر من التقدّم إلى سرّي الاعتراف وتناول القربان المقدّس بنشاط. ويكشف أحزانهُ وتجاريبهُ إلى معلّم اعترافهِ الذي كان أحد الآباء الدومنكيّين وإلى الراهب الذي سمع اعترافهُ العامّ في مُنْتْسرّه. ومع هذا كلّهِ لم يكن يرتاح ضميرهُ بل كان يقلقهُ ليلاً ونهاراً. فجزم يوماً أن لا يتناول طعاماً قبلما يحصل على سلامة قلبهِ وراحة ضميرهِ. فاستمرّ صائماً سبعة أيّام لا يتناول فيها طعاماً ولا يشرب ماءً وكان مع ذلك يكمّل جميع فرائض عباداتهِ بكمال الدقّة. وبعد مرور هذهِ المدّة عرض قصدهُ على معلّم اعترافهِ. فلم يطابقهُ على هذا القصد بل أمرهُ أن يعدل عنهُ وان يأكل ويشرب كالأوّل. فأطاعهُ بدون تعلّل. فيا لفاعليّة الطاعة العجيبة. فانّهُ في حال تكميلهِ أمر مرشدهِ بالأكل والشرب حصل على راحة الضمير وتعزية النفس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كما كان يتمنّى. وأنار الرب نفسهُ وجازاهُ على حسن عبادتهِ بنعمة تمييز الأرواح وشفاء المصابين بالوساوس وبرؤَى شريفة. منها انّهُ بينما كان ذات يوم يصلّي فرض السيّدة وهو جاثٍ على إحدى درجات كنيسة مار عبد الأحد في مانريزة خُطف عن حواسّهِ وحينئذٍ أنارهُ الرب بأنوار كثيرة عن سرّ الثالوث الأقدس* ثمّ بعد أيّام قليلة أظهر لهُ تعالى مقاصد الحكمة الإلهيّة في خلقة العالم والنظام الذي بموجبهِ كمّل هذا العمل العظيم. ومرّةً بيّن لهُ صريحاً حقيقة وجود جسد ودم يسوع المسيح الحقيقيّ في سرّ القربان الأقدس. وتجلّت لهُ أسرار الايمان بأسرها بصراحة كليّة حتّى صار يقول: لو لم تُكتَب هذه الأسرار في الإنجيل المقدّس لكانت المعرفة التي حزتها عنها في مانريزة تكفيني لكي أكرز بها في العالم كلّهِ وأُناضل عنها لو اقتضى الأمر إلى سفك آخر نقطة من دمي* وانخطف مرّةً أخرى عن حسّهِ طويلاً. وإذ رجع إلى وعاهُ قصد أن يشتغل في رجوع النفوس الخاطئة إلى الله وتقديسها. فصار يعلّم الناس طريق الخلاص. فنجح في قصدهِ هذا نجاحاً عجيباً. ومع كونهِ لا يحسن الإنشاء ولم يكن عالماً بل كان يكتب ويقرأ بسيطاً فقط صنّف في مانريزة بدون مساعدة أحد كتاباً نفيساً وهو كتاب الرياضات الروحيّة الذي يُغني ذكرهُ عن وصفهِ. وقد ثبّتهُ البابا بولس الثالث بسلطانهِ الحبريّ وهو ينطوي على التأمّلات الأكثر تحريضاً وفاعليّة لانقاذ النفوس من لجّة الخطيّة وانقيادها إلى الكمال المسيحيّ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعدما قضى اغناطيوس سنة في قرية مانريزة أَلهمهُ الرب الذي كان قد أعدّهُ لعمل عظيم أن يحجّ إلى أورشليم ويزور الأماكن المقدّسة. فمرّ في طريقهِ برومية وأقام فيها خمسة عشر يوماً. وزار أماكنها المقدّسة وأخذ بركة البابا ادريانس السادس الذي كان جالساً يومئذٍ على الكرسيّ الرسوليّ. وفي اليوم الرابع من شهر ايلول سنة ١٥٢٣ بلغ إلى أورشليم وقد تجشّم أهوالاً ومشقّات عظيمة في سفرهِ هذا الفقريّ. لأنّهُ أَبى أن يصطحب أحداً معهُ. ولم يأخذ لا زاداً ولا فضّة لكي يكون الله وحدهُ معيناً ومسلّياً لهُ ملقياً اتّكالهُ على عناية المولى فقط. وفي كلّ بلد دخلها استعطى الخبز على الأبواب ونام في الأزقّة. ولازمتهُ حمّى قويّة بضعة أيّام من دون انقطاع. وهو على هذهِ الحالة ركب البحر قاصداً مدينة البندقّية وفي المركب اجتهد كثيراً في ردع عُتُوّ وخلاعات الراكبين والملاّحين حتّى انهم كلّوا من توبيخاتهِ وقصدوا أن يتركوهُ في جزيرة قفراء. الاّ انّ الهواء لم يساعدهم على ذلك لأنّهُ قذف المركب بعد ساعات قليلة إلى ميناء قبرص* وبعدما قضى مرامهُ في زيارة الأماكن التي قدّسها ربّنا يسوع المسيح ورسلهُ رجع إلى اسبانيا. وكان خروجهُ من أورشليم في فصل الشتاء وهو متعرّي الساقَين ومتردٍّ بثياب بالية. وأوّل مركب ركبهُ أوصلهُ إلى جزيرة قبرص. ومن هناك عزم على السفر إلى ايطاليا. وكان حينئذٍ ثلاثة مراكب قاصدة السفر إلى تلك الناحية. الأوّل عثماني والثاني بندقّي كبير والثالث بندقيّ صغير كاد يخرب. أمّا ربّان مركب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البندقي الكبير لم يرتضِ أن يركبهُ مركبهُ في سبيل الله رغماً عن كل توسّلاتهِ. غير انّ ربّان المركب البندقي الصغير قبلهُ مجّاناً وعاملهُ بلطافة يُثنى عليها. فجازاهُ الله على حسن معاملتهِ مع خادمهِ فانّ المراكب الثلاثة التي بارحت الجزيرة سويّةَ وهي على أحسن حال لم يصل منها إلى البندقيّة سوى المركب الصغير الذي كان فيهِ اغناطيوس. لأنّ المركب العثمانيّ غرق والبندقي الكبير اصطدم بصخرة في البحر فباد﴿ امّا القدّيس فلم يبقَ في البندقيّة. بل خرج منها حالاً قاصداً اسبانيا ليدرس هناك كما يستطيع أن يشتغل بعد ذلك في رجوع الخطاة وإرشاد النفوس. وكان عمرهُ حينئذٍ ثلاثاً وثلاثين سنة. فبدأَ يقرأ النحو واستمرّ فيهِ مدّة سنتين. وفي أثناء ذلك رجعت إليهِ قوّتهُ التي كانت قد انهكتها الأسفار والأوجاع الطويلة وهو يشتغل خفيةً بخلاص النفوس. ومن جملة أعمالهِ أنّهُ خلّص بعض الفتيات من احبولة بعض الشبّان المفسدين. فغضبوا عليهِ وأخذوا يعادونهُ. ويوماً هجم عليهِ اثنان من عبيدهم فأوجعاهُ ضرباً. ففرح القديس بذلك واحتمل الضرب حبّاً بيسوع المسيح. فجازاهُ الرب على ذلك بموهبة صنع العجائب. منها انّهُ إذ كان أحد الأشقياء قد صلب نفسهُ ومات. صلّى لأجلهِ فرجعت إليهِ روحهُ وطلب قسّيساً ليعترف وبعدما اعترف تائباً مات بسلام الربّ﴿

وبعدما قضى اغناطيوس سنتين في مدينة برشلّونة انطلق بمشورة معلّمهِ إلى مدينة القلعة ليدرس فيها بقيّة العلوم. وكان مع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اعتنائهِ بالدرس يعلّم أيضاً الصبيان التعليم المسيحيّ ويشتغل في رجوع الخطاة. وبواسطة قدوتهِ ومشوراتهِ أصلح في زمان وجيز جميع شبّان مدينة القلعة. فحسدهُ عدوّ الخلاص وهيّج عليهِ بعضاً من الأشرار فاتّهموهُ بأشياء كثيرة. منها انّهم اتهموهُ بالهرطقة ولذلك قُبض عليهِ وحُبس مدّة اثنين وأربعين يوماً. غير انّهُ لمّا تحقّقت برارتهُ وقداسة سيرتهِ خلّوا سبيلهُ. وكان وقتئذٍ يتردّى بثوب لونهُ رماديّ طويل ويمشي حافياً ويسعف الفقراء باستعطائهِ لهم الصدقات* وفي سنة ١٥٢٨ ذهب إلى باريس ليتعلّم الفلسفة واللاهوت وفي أثناء سفرهِ قاسى ما لا يوصف من العناء والمشقّات لسبب فقرهِ. فكان أحياناً يستعطي خبزهُ وأخرى يأكل في المستشفى مع الفقراء وطوراً كان يضطرّ إلى الذهاب بعيداً ليطلب بعض اسعافات من تُجّار وطنهِ. وكان في باريس كما كان في برشلّونة ومدينة القلعة المذكورين مجتهداً في ردع الدارسين عن ارتكاب الفواحش وحثّهم على الصلوة والتقدّم من الأسرار المقدّسة بتواتر والادمان على الأعمال البِرّيّة. فحسدهُ أيضاً كثيرون واضطهدوهُ الاّ انّ الله كان دائماً ينقذهُ بنوع عجيب*

وقرأَ اللاهوت في مدرسة مار توما اللاهوتي عند الرهبان الدومنكيّين واقتبس من درسهِ أنواراً فريدة صار يبثّها منذ ذلك الحين في عظاتهِ المؤَثّرة وإرشاداتهِ المشحونة تعاليم سديدة. إلى أن حان أخيراً الأوان الذي كان قد عيّنهُ الله لينعم على كنيستهِ بواسطة هذا القديس برهبنة جديدة تقاوم هرطقة لوتيروس وكلوينوس المبدِعَين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحدث بعد ذلك انّهُ اقنع ستّة شبان اتقياء غُيُر لينضمّوا إليهِ ويشتغلوا باتّفاق واحد بدون ملل في خلاص القريب. وأخصّ هولاء الشبّان مار فرنسيس كسفاريوس رسول الهند. ففي اليوم الخامس عشر من شهر آب لسنة ١٥٣٤ أي يوم عيد انتقال العذراء القديسة إلى السماء اجتمع هو ورفاقهُ في كنيسة دير منتماتر «حيث شيّد الآن الفرنساويّون كنيسة عظيمة على اسم قلب يسوع الأقدس انجازاً لنذرهم» وبعد أن اعترفوا وتناولوا القربان المقدّس نذروا بصوت جهريّ انهم ينطلقون إلى أورشليم لينذروا الغير المؤمنين وليهدوا الهراطقة القاطنين في بلاد المشرق. واتّفقوا جميعاً على أن إذا تعسّر عليهم السفر لأورشليم أو لم يُسمح لهم بالسكنى في بلاد الشرق يذهبون كلّهم إلى أعتاب نائب يسوع المسيح ويسلّمون لهُ ارادتهم كي يرسلهم حيثما شاء لأجل خدمة الكنيسة* وبناءً على نذرهم هذا ذهب اغناطيوس إلى اسبانيا كي يقطّع أمور بيتهِ وأمور ثلاثة من رفقائهِ الذين كانوا من أهل وطنهِ. ولمّا قرب من قصر لويولا مقرّ أهلهِ خرج للقائهِ كلّ اقليروس مدينة ازبتيا القريبة من هناك. فلم يدخل إلى قصر أهلهِ بل أحبّ أن يسكن في البيمارستان مع الفقراء والمساكين. وفي مدّة الأشهر الثلاثة التي قضاها هناك لم يذهب إلى قصر لويولا الاّ مرّة واحدة فقط وذلك اجابةً لتوسّلات أخيهِ وبني أعمامهِ* فمن يقدر أن يصف ما صنعهُ من الخير العظيم في هذهِ المدينة. فانّهُ أعطى لرجل فقير مزرعتين أصابتهُ ارثاً من أبويهِ وكان الرجل سابقاً قد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حُبس وغرم بالجزية عن سرقة بعض الأثمار نُسِبت سرقتها إليهِ مع انّ سارقها كان اغناطيوس. ثمّ بإرشاداتهِ وتعليمهِ لاشى وأزال من المدينة الفواحش ولعب القمار والتجاديف. وخصّص أموالهُ لأعمال تؤُول لمعيشة الفقراء. منها انّهُ فوّض ورثتهُ أن يعطوا نهار كلّ أحد اثنتي عشر فرصة من الخبز لاثني عشر فقيراً في كنيسة ازبتيا اكراماً للاثني عشر رسولاً. وأقام أيضاً أخويّة سمّاها أخويّة القربان المقدّس لاسعاف الفقراء الذين يتداخلهم الخجل من الاستعطاء. وصنع أيضاً عدّة عجائب* وبعدما رتّب هكذا أمورهُ ووزّع أموالهُ. ذهب إلى حيث كانت أموال تلاميذهِ الثلاثة. فرتّب بحكمةٍ أشغال كلّ فردٍ منهم. ثمّ رجع إلى البندقيّة حيث انضمّ إليهِ رفاقهُ الستّة الذين كانوا قد مكثوا في باريس لاتمام دروسهم. وقصدوا أن يركبوا البحر ويذهبوا إلى أورشليم حسب نذرهم. ولكنّ الحروب التي شبّت حينئذٍ بين البندقيّين والعثمانيّين صدّتهم عن السفر. ولذلك بعث مار اغناطيوس تلاميذهُ إلى روميّة ليطلبوا بركة الحبر الأعظم ويستشيروهُ في أمرهم. وكان ذلك في شهر تشرين الثاني لسنة ١٥٣٦. ولمّا مثلوا أمام البابا بولس الثالث. قبلهم ببشاشة وباركهم. وأمر الذين لم يكونوا قد ارتسموا قسوساً بعد أن يرتسموا. فرجعوا إلى البندقيّة وارتقوا إلى درجة الكهنوت. وارتسم معهم أيضاً مقدّمهم اغناطيوس. وطلب مهلةً سنةً كاملة ليستعدّ بها إلى قدّاسهِ الأوّل. وفي غضون ذلك لم يبرح من أن يتوسّل إلى مريم العذراء أن تقدّمهُ قرباناً إلى ابنها يسوع وان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تسهّل الطريق أمامهُ. وسمح البابا لهُ ولمن تبعهُ أن يشتغلوا في اصلاح الآداب بواسطة الرياضات الروحيّة والإرشادات المسيحيّة. فبناءً عليهِ أخذوا جميعاً يطوفون في تلك البلاد ويكرزون ويدعون الخطاة إلى التوبة ويعلّمون الناس طريق الملكوت. فانضوى كثيرون من الناس الأفاضل تحت تدبيرهِ واتّخذوهُ مرشداً لهم* وحينئذٍ فكّر القديس أن يُنشئَ من جماعتهِ الصغيرة أخويّة رهبانيّة مثبّتة من الكرسي الرسولي لكيما بمضاعفة الفعلة وقداسة سيرتهم يتضاعف الخير أيضاً. ولهذا جمع تلاميذهُ المتفرّقين ليعتنوا سويّة في انتخاب وسنّ القوانين الجيّدة التي يجب أن تسير أخويّتهم المزمعة بموجبها. ثمّ انطلق هو مع اثنين من رفاقهِ إلى روميّة وهناك ظهر لهُ ربّنا يسوع المسيح ووعدهُ أن ينصرهُ في أعمالهِ. فتعزّى بذلك واتّخذ اسم يسوع كنيةً لجماعتهِ. وثبّت الحبر الأعظم وكيل المسيح هذهِ الجماعة. وسمّاها جماعة يسوع أو اليسوعيّين. وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٥٤٠ ولمّا قرأ البابا وردّد في عقلهِ قوانين تلك الرهبنة وسننها. صرّح قائلاً: لا شكّ انّ اصبع الله فيها*

ولمّا تثبّتت رهبنتهم ونمت وكثرت. اجتمع أغلب أعضائها في روميّة في اليوم الثاني والعشرين من شهر نيسان سنة ١٥٤١ وأقاموا اغناطيوس اباهم رئيساً عامّاً عليهم. وألزموا نفوسهم بالنذور الثلاثة الاحتفاليّة أي العفّة والفقر والطاعة وبذلك أُحصيت جماعتهم مع سائر الرهبنات. ثمّ بعد ذلك أضافوا إلى هذهِ النذور الثلاثة نذراً رابعاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهو انّهم يلتزمون أن يذهبوا إلى حيثما يرسلهم الحبر الأعظم لكي يفلحوا في الأعمال التي تأُول إلى مجد الله وخلاص النفوس. وكثّر الربّ عددهم وانمى جماعتهم مباركاً ايّاها حتّى انّهُ بعد سنة انتشرت في بلاد فرنسا وإيطاليا وجرمانيا واسبانيا وبرتوغال وارلنده والهند الشرقيّة*

وكان مار اغناطيوس نظير راع ساهر على غنمهِ يشتغل ليلاً ونهاراً في التعليم والوعظ وتدبير الرهبان وقضاء مصالح الجماعة والصلوة وأفعال الرحمة وعلاوةً على ذلك انّهُ بهمّة وقّادة ونشاط بليغ بنى بيتاً في روميّة لقبول اليهود الذين كانوا يريدون أن يهتدوا إلى الايمان ولإرشادهم فيهِ. وبنى بيتاً آخر للنساء القبيحات اللواتي يُرِدْنَ أن يتبنَ عن خطاياهنّ الشنيعة ويقلعنَ عنها ويكففنَ عن سيرتهنّ الرديّة. وعمّر بيمارستانَين الواحد لليتامى والآخر للفتيات اللّواتي هنّ في خطر فقدان طهارتهنّ بسبب فقرهنّ*

وأخيراً بعدما قضى هذا الاب القدّيس خمس عشرة سنة في وظيفة الرياسة العامّة وقد عانى مشقّات كثيرة في إنشاء وتثقيف جماعتهِ وقاسى اضطهادات مختلفة من الشيطان وخدّامهِ ومن أعداء الحقّ. توسّل إلى ربّنا يسوع المسيح أن ينقذهُ من هذا وادي الدموع ويأخذهُ إليهِ في مقرّ الراحة. فاستجاب العليّ طلبتهُ واعلمهُ بيوم وفاتهِ. ولمّا دنا اليوم الذي كان يتوقّ إليه بشوق عظيم. اعترف بخطاياهُ وتناول القربان المقدّس ثمّ دعا الأخوة إليهِ واعلمهم بمبارحتهِ هذهِ الدنيا. وطلب إلى أحدهم أن يذهب ويقبّل قدمَي الحبر الأعظم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من قبَلهِ ويطلب لهُ من قداستهِ البركة وغفراناً كاملاً لجميع خطاياهُ. وفي الغد الذي كان صباحهُ الجمعة وهو اليوم الثلاثون من شهر تمّوز سنة ١٥٥٦ سلّم روحهُ لله وهو يندب قلباً ولساناً اسم يسوع. وكان عمرهُ حين توفّي ثلاثاً وستّين سنة وكانت السنة الخامسة والثلاثين من يوم اهتدائهِ. فبكى عليهِ أولادهُ ودفنوهُ باكرام واحترام في كنيسة الدير. وفي سنة ١٥٦٩ نقلوهُ إلى مكان آخر في تلك الكنيسة عينها. وفي سنة ١٥٨٧ نُقل إلى كنيسة أُخرى عظيمة في روميّة وهو الآن هناك معظَّماً عند أولادهِ الرهبان وعند سكّان رومية وعند سائر الذين يأتون إلى زيارتهِ. وفي سنة ١٦٠٩ كتب البابا بولس الخامس اسمهُ في سفر الطوباويّين. وفي سنة ١٦٢٢ نقلهُ البابا غريغوريوس الخامس عشر إلى سفر القدّيسين*

انتهى شهر تموز

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* شهر آب *

* اليوم الأوّل *

استشهاد اليعازر الشيخ في اليهوديّة
والأخوة المقابيّين السبعة مع امّهم شموني سنة ١٦٤ ق م
على يد انطيوخس ابيفانوس الملك

بعد أن قاسى اليهود ما قاسوا زهاء سبعين سنة من الرقّ والذلّ تحت نير الأسر في بابل حصلوا أخيراً على الراحة والسلام في زمان ملوك الفرس. فانّ كورش الملك الذي سمح لليهود بالرجوع إلى أورشليم تحت رياسة زُرُبّابيل وعظيم الأحبار عبد يشوع أَذِن لهم أيضاً سنة ٥٣٦ ق م أن يُقيموا الهيكل من جديد. وردّ لهم الأواني المقدّسة التي كانت قد سُلبت من الهيكل في عهد بختنصّر* وحدث بتوفيق الله انّ داريوش بن هَسْتَسبْ أمر اليهود سنة ٥٢٠ ق م أن يتمّموا هيكل بيت المقدس الذي اهتمّ بعمارتهِ زربّابيل والشعب اليهودي كلّهُ إجابةً لتحريضات حجّي وزكريّا النبيّين*

ثم في سنة ٤٦٧ ق م سمح ارتحششتا الملك لعزرا أن يتوجّه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى القديس الشريف مصحوباً باليهود الذين يحبّون أن يرافقوهُ وأعطاهُ هدايا نفيسة للهيكل. فلمّا وصل عزرا إلى اليهوديّة همَّ في تنظيم أحكام المملكة وحفظ الشريعة الموسويّة على ما هي. وبالاتّفاق مع المحكمة العالية عند اليهود راجع الأسفار المتروكة ورتّبها ومحا جميع التحريفات الواقعة فيها* وفي سنة ٤٥٤ ق م أرسل ارتحششتا المذكور سابقاً نحمياءَ إلى اليهوديّة وأذن لهُ أن يشيّد أسوار أورشليم لكي تحميها من هجمات مجاوريها المتّصلة بها. فحُوّطت أورشليم بسور جديد في اثنين وخمسين يوماً. وعند الفراغ عيّدوا عيد التدشين بشعائر دينية. وفي أثناء تقريب نحمياء قربانهُ وُجدت نار الهيكل المقدّسة التي كان قد أخفاها اليهود في جبّ ناشف. وذلك بأمر ارميا النبي حينما خرَّب بختنصّر الهيكل واقتاد اليهود إلى الجلاء*

وفي سنة ٤٢٣ ق م جلس على سرير مملكة الفرس احشويرش الملك الذي اتّخذ استير زوجةً لهُ وصيّر مردخاي أوّل وزرائهِ. ففي هذا العهد صار شهرةً عظيمة لليهود. منها انّ كثيراً من الفرس تركوا ديانتهم وصاروا يهوداً* وبعد ذلك بنحو مائة سنة أي في سنة ٣٣٠ ق م خرَّب الاسكندر الكبير مملكة الفرس ودخل هذا المظفّر الشهير اورشليم. وغمّر أهاليها بالأفضال واللطف. وكان شديد الميل إلى اليهود فأعطاهم الحريّة المطلقة ببقائهم على ديانة آبائهم. وبعدما مات الاسكندر الكبير انقسم ملكهُ الواسع إلى جملة ممالك مستقّلة أشهرها مصر والشام (ويقال لها سوريّة أيضاً) ومقدونية. فوقعت هذهِ الممالك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في حوزة قوّاد مقدونيّين رفقاء الاسكندر. وكان هو قد أعطاهم إيّاها في قيد حياتهِ. أمّا مملكة مصر فوقعت لبطليموس الذي بعد أن حارب طويلاً مجاوريهِ سمّى نفسهُ ملكاً سنة ٣٠٦ ق م* وأمّا مملكة الشام فأُعطيت لسلوقس وكان من أبطال قوّاد الاسكندر وهو الذي بنى مدينة انطاكيّة في سوريّة. وكانت مملكتهُ تمتدُّ من هذهِ المدينة إلى حدود بلاد الهند وتسمّى مملكة سوريّة. لأنّ ولاية سوريّة أصبحت مركز شوكة ملوك البطلميّين أو الذين هم من نسل بطليموس. ولم يلبث بطليموس كثيراً ان استولى على فلسطين وأورشليم سنة ٣٠١ ق م وأجلى أربع مائة ألف يهوديّ إلى مصر. وأخذ يعاملهم بلطف زائد حتّى انّ كثيراً من اليهود احبّوا أن يذهبوا اختياريّاً فيسكنوا في تلك البلاد. وابتنوا لهم ضياعاً وامتدّوا إلى طرابلس وبلاد النوبة* واستمرّت أورشليم وفلسطين تحت حوزة البطلميّين ملوك مصر نحو مائة سنة. ومن جملة مآثر بطليموس فيلَدِلف مع اليهود انّهُ أمر سنة ٢٨٢ ق م باستخراج أسفار الكتاب المقدّس من العبرانيّة إلى اليونانيّة. وتُعرَف هذهِ بالترجمة السبعينيّة لأنّ مترجميها كانوا اثنين وسبعين شيخاً. هولاء أرسلهم اليعازر الحبر الأعظم من اليهوديّة إلى مصر لقضاء هذا العمل حسب رغبة بطليموس* وإذ لم يقم من سلالة ملكيّة المصريّين الاّ ملوك اذلاء ومعتوهون أخذ اليهود ينفرون من نير سلطتهم. وكان يومئذٍ انطيوخس الثالث ويُلقّب أيضاً بالكبير ملكاً على اسيّا الصغرى. ولمّا قدم ليستولي على مصر. انحاز إليهِ اليهود وقدّموا لهُ خضوعهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقد تمّ ذلك سنة ٢٠٣ ق م. فعامل انطيوخس اليهود بالاحسان وحذا حذوهُ سلُوقس فيلوباطر فأجرى لهم من مالهِ كل ما يقتضي لذبائح الهيكل. وفي زمانهِ نشأت خصومة بين حونيّا الثالث الحبر الأعظم وشمعون صاحب حراسة الهيكل بخصوص تدابير المدينة. وإذ لم يتمكّن شمعون من التغلّب على حونيّا ذهب إلى افلّونيوس قائد الجيش في سوريّة الجوفاء وفونيقي وقال لهُ: انّ الهيكل محتوٍ على خزائن لا تُحصى مخصّصة ليس للقرابين فقط بل لما يؤول إلى منفعة العامّة أيضاً. فعرض افلونيوس هذا على سلَوْقس فيلوباطر. فبعث سلوقس وزيرهُ هليودورس إلى أورشليم ليأخذ خزائن الهيكل. فرحل هليودورس لوقتهِ متظاهراً بأنّهُ قاصد بلاد سوريّة الجوفاء وفونيقي ولكنّهُ في الحقيقة كان متوجّهاً لاجراء أمر الملك. ولمّا وصل إلى أورشليم تلقّاهُ الحبر الأعظم في المدينة بإكرام. فذكر لهُ هليودورس السبب الذي قدم من أجلهِ وطلب منهُ خزائن الهيكل المذكورة. فعند ذلك فهّمهُ الحبر الأعظم أنّها ودائع قدسيّة محفوظة لمعاش الأرامل والأيتام. ومنها ما هو لهرقان بن طوبيّا الذي كان رجلاً فاضلاً كريماً. وانّ الأَمر ليس كما زعم شمعون الكافر بل جملتها تبلغ أربع ماية بدرة من الفضّة ومايتان من الذهب. ولكنّ هليودورس قال انّهُ لا بدّ من أن يحملها إلى بيت المال لا محالة حسب الأوامر الملكيّة التي بيدهِ. ثمّ أراد يوماً أن يدخل إلى الهيكل ليفتقد تلك الأموال فحدث حينئذٍ في المدينة كلّها اضطراب عظيم. وتردّى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكهنة بالحلل الكهنوتيّة وجثوا أمام المذبح وأخذوا يتضرّعون إلى ربّ السماء لينجدهم ويصون ودائعهم. فوقع الحبر الأعظم إذ ذاك في قلق واضطراب. وأضحى منظرهُ كئيباً يمزّق القلب ويفتّت الكبد ولونهُ متغيّراً يشير إلى الضيق المستولي عليهِ فضلاً عن الحزن الذي شملهُ وما أدركهُ من القشعريرة* وكثيرون خرجوا من بيوتهم واسرعوا إلى الصلوة مبتهلين إلى الله كي يدفع عن الهيكل كل ضرٍّ وهوان. وخرجت النساء ينحنَ في الشوارع وهنّ متمنطقات بمسوح لا بل انّ العذارى المخدّرات أنفسهنّ تسارعن إلى الأبواب والأسوار ومنهنّ أشرفن من الكوى وجميعهنّ باسطات أيديهنّ نحو السماء مبتهلات إلى الرب ليمدّهنّ بالأَيد والعون. هذا وبينما هم على هذهِ الحالة التي يُرثى لها وقد عمّ الفزع كل الشعب والحبر الأعظم في تذلّل وجزع وبلبال وهم جميعاً يتوسلون إلى الله بخشوع ليحفظ لهم الودائع التي استُودِعوها سالمةً إِذ حضر هليودورس ليُنجز ما قد حتم عليهِ فدخل مع الشرط في الخزانة. وعند ذلك أظهر الرب مالك الأرواح وذو كلّ سلطان قدرتهُ ظهوراً عظيماً حتّى انّ جميع الذين تجاسروا أن يدخلوا راعتهم يد الله واستحوذ عليهم الغَشَيان والرعبة. وذلك انّهُ تراءى لهم فرس عليهِ راكب هائل. ومجلّل بجلال فاخر فوثب بشدّة وأنشب في هليودورس قائمتيهِ المتقدّمتين. وكان راكبهُ يظهر أنّهُ مدجَّج بسلاح من ذهب. وظهر لهُ أيضاً شابّان آخران قويّان ظريفا اللباس متوشّحان بالبهاء. فوقفا عن جنبيهِ. فهذا الذي دخل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخزانة المذكورة بكبكبة عظيمة وجند كثيرين وقع مجندلاً ابكم وخائباً. من كلّ أمل قاطعاً رجاهُ من الحيوة. فحملوهُ وقتئذٍ وهو عديم الحركة واتّضحت لهم جليّاً قدرة الله القهّار. وأمّا اليهود فأخذوا يعظّمون الله ويحمدونهُ على أنّهُ مجّد مكانهُ. والهيكل الذي منذ برهة كان ممتلئاً حزناً واضطراباً. امتلأَ حينئذٍ لدى تجلّي عزّة الرب فرحاً وابتهاجاً* ثمّ بادر قوم من أصحاب هليودورس وسألوا حونيّا ان يدعو العليّ لينعم عليهِ بالحيوة إذ كان فيهِ رمقٌ يسير. فخاف الحبر الأعظم من أنّ الملك يسيءُ الظنّ في اليهود ويتّهمهم بأنّهم قد بيّتوا شرّاً على هليودورس. فقرّب ذبيحة عن خلاص الرجل. وبينما الحبر الأعظم يصلّي. ظهر ذانك الشابّان ثانيةً لهليودورس بلباسهما الأوّل. ووقفا بهِ وقالا: احسن الشكر لحونيّا الحبر الأعظم لأنّهُ بشأنهِ أنعم الرب عليك بالحيوة. وإذ قد ضُربت من الله فأَخبر كل أحد بقدرتهِ العظيمة. قالا لهُ هذا وغابا. وامّا هليودورس فقرّب ذبيحةً للرب ونذر لهُ نذراً جزيلاً على أنّهُ جاد عليهِ بالحيوة. وشكر حونيّا. وانقلب بالجيش راجعاً إلى الملك. وعند وصولهِ اعترف قدّام كلّ أحد بأعمال الله العظيم التي أبصرها بعينيهِ. فسألهُ الملك: من يجدر بنا أن نرسل أيضاً مرّةً ثانية إلى أورشليم فقال: ان كان لك عدوّ أو واحد يستبطن الكيد على المملكة فارسلهُ إلى هناك فلا يلبث أن يعود إليك وقد شبع ضرباً اللهمّ إذا سلم من العطب. لأنّ في الموضع قوّةً من الله حقّاً. فانّ الذي مقامهُ في السماء هو بنفسهِ يراقب الموضع ويحامي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عنهُ. ويضرب الذين يأُمّونهُ بالشرّ ويبيدهم* هذا ما كان من أمر هليودورس وما جرى في أمر وقاية الخزانة*

وجلس على سرير الملك بعد سَلَوْقس فيلوباطر اخوهُ انطيوخس ابيفانس الرابع. وكان هذا انطيوخس كافراً مفسوداً دنيئاً. واستقرّ على سرير المملكة عشر سنوات أي من سنة ١٧٤ إلى سنة ١٦٤ ق م. وفي زمانهِ اجتهد أن يكره اليهود أجمعين على جحود دين الله والتمسّك بالمجوسيّة وعبادة الأوثان. فجعل مقرّهُ في انطاكيّة سوريّة. وكان دانيال قد سبق وتنبّأَ عن كل ما صنع هذا الملك شبح الجحيم الحقيقي الذي قام ضدّ الله وهيكلهِ وشعبهِ. فهو الذي قتل اليعازر الشيخ والأخوة المقابيّين السبعة مع أمّهم شموني. وقد ناضلهُ متثيّا الكاهن وحاربهُ حرباً قويّة وفيها اشتهر بالبسالة هو وأولادهُ السبعة وأشهرهم يهوذا المقابيّ*

فلم يستقرّ انطيوخس ابيفانس على سرير الملك ان نازع يشوع أخاهُ حونيّا وظيفة الحبر الأعظم. فذهب يشوع إلى الملك الجديد ورشاهُ بمبلغ جزيل من الفضّة واستحصل منهُ أمراً بخلع حونيّا من الوظيفة الحبريّة واقامتهِ هو مكانهُ. فاقتيد حونيّا الحبر الأصيل بأمر الملك إلى انطاكيّة لكي يسهل على يشوع اختلاس الحبريّة. واتّخذ لهُ اسماً يونانيّاً عوض اسمهِ العبرانيّ أي انّهُ سمّى نفسهُ ياسون. فمزّق ياسون نظامات الامّة وافسد أخلاق اليهود وآدابهم. ثمّ بعد سنوات قليلة أرسل ياسون مبلغاً من الدراهم إلى انطيوخس مع متلاوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أخي شمعون النباميني. فما كان من متلاوس الاّ انّهُ استمال الملك إليهِ بتملّقاتهِ ومواعيدهِ وحملهُ أن يُنزل ياسون من وظيفة الحبر الأعظم ويقيمهُ (أي متلاوس) عوضهُ. فلمّا بلغ ياسون ذلك هرب إلى بلاد العمّونيّين وأضحت هذهِ الوظيفة القدسيّة عرضةً لتجارة أثيمة يتنازعها الطاغون البغاة مقدّمين مقداراً من الذهب لأجل الحصول عليها. وحدث أنّ متلاوس تقاعد عن دفع الدراهم التي كان قد وعد بها انطيوخس الملك. فاستدعاهُ انطيوخس إلى انطاكية. الاّ أنّهُ خرج من انطاكية قبل وصول متلاوس إليها وعيّن نائباً عنهُ في غيابهِ اندرونيكوس. ولمّا وصل متلاوس إلى انطاكية استمال إليهِ اندرونيكوس باعطائهِ لهُ آنيةً ذهبيّة كان قد سرقها من الهيكل*

فعلم حونيّا الحبر الأعظم بذلك وكان يومئذٍ في انطاكية فوبّخهُ على نفاقهِ وسيرتهِ المذمومة. فانزعج منهُ متلاوس كثيراً وسعى بقتلهِ لدى اندرونيكوس. فأرسل اندرونيكوس جنوداً إلى بيت حونيّا الحبر الأعظم فقبضوا عليهِ وأتوهُ بهِ فأمر بخنقهِ. فاغتاظ من هذا العمل الشنيع اليهود والوثنيّون أنفسهم لأنّ حونيّا كان محبوباً ومكرّماً عند الجميع. ولمّا رجع الملك إلى انطاكية ذهب اليهود واليونانيّون وشكوا إليهِ كلّما جرى فأَمر انطيوخس بقتل اندرونيكوس في المحلّ الذي قُتل فيهِ حونيّا. وفي ذلك الزمان شبّت حرب بين مملكة الشام ومصر وشاع في أثناء المحاربة الخبر بموت انطيوخس. وإذ بلغ ذلك إلى مسامع ياسون جاء من بلاد العمّونيّين بألف راجل وهجم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فجأة على أورشليم وتسلّق الحيطان ودخلها هو ورجالهُ وقتل عدداً غفيراً من بني وطنهِ. ولكنّهُ لم يتمكّن من الحصول على زمام الملك. بل اضطرّ أن يعود إلى العمّونيّين. ومات هناك أشنع ميتة. فلمّا سمع انطيوخس ما جرى بأورشليم وكان هو بعد في مصر ظنّ أنّ اليهود يريدون أن ينقضوا معاهدتهُ معهم. فجاء حالاً إلى فلسطين وحاصر أورشليم. وافتتحها عنوةً وأمر جنودهُ بأن يقتلوا كلّ من صادفوهُ. فقتلوا في مدّة ثلاثة أيّام أربعين ألف نفس من اليهود. وأربعون ألف نفس أخرى بيعت أسرى. ثمّ تجاسر انطيوخس فدخل الهيكل برفقة متلاوس خائن وطنهِ وآلهِ ودنّس بيدهِ الأثيمة أواني الهيكل القدسيّة وسحقها ونهبها. ثمّ رجع إلى انطاكيّة بعد أن وضع لليهود احكاماً لتعذيبهم والتنكيل بهم. وبعد ذلك شنّ الغارة على مصر دفعةً ثانية. فجاء إليهِ مرسلون رومانيّون يأمرونهُ أن يترك حالاً تلك المملكة لأنّها كانت راجعة لروميّة. فأطاع انطيوخس رغماً عنهُ ورجع مفشولاً. فحمّلهُ متلاوس الجاحد على اليهود وحرّضهُ أن يرسل قائدهُ ابولينوس مع اثنين وعشرين ألفاً من جنودهِ إلى اليهوديّة آمراً ايّاهم أن يقتلوا الرجال ويبيعوا النساء والأولاد. فجاء ابولينوس إلى أورشليم متضاهراً بالصلح والسلام وانتظر إلى أن وافى يوم السبت وانعكف اليهود على تقديس هذا اليوم. أمر جنودهُ فتسلّحوا وهجموا عليهم وقتلوا عدداً وافراً من الرجال واحرقوا البيوت واستأسروا عدداً كبيراً من النساء والأولاد. ومنع ابولينوس بقوّة جبريّة العبادة لله ودنّس قداسة الهيكل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلمّا رأى بقيّة السكّان الذين سلموا من القتل ذلك هربوا إلى البراري والجبال وأضحت أورشليم مقرّاً للغرباء* ثمّ بعد هذا الزمان بقليل ارسل انطيوخس من انطاكيّة واحداً من ديوان المشيخة ليدنّس الهيكل تماماً ويجعلهُ هيكلاً للأوثان. فبلغت حينئذٍ الشرور أقصاها وامتلأَ الهيكل المقدّس من الخلاعات والفسادات والولائِم الوثنيّة. ولم يكن الاضطهاد محدوداً في أورشليم فقط بل في اليهوديّة كلّها وفي المدن المجاورة أيضاً ومَن تظاهر باليهوديّة عوقب أشدّ العقاب لا بل بالقتل أيضاً. ومن جملة ذلك إذ علموا يوماً بأنّ امرأتين يهوديّتين ختنتا ابنيهما حسب السنّة قبضوا عليهما وطافوا بهما في شوارع المدينة جهاراً وطفلاهما على ثدييهما ثمّ طرحوهما من أعلى السور إلى أسفل* وبعد ذلك لجأَ قوم من اليهود إلى المغائر القريبة ليقضوا هناك يوم السبت خفيةً. فوُشي بهم إلى فيلبّس فحرقهم جميعاً لأنّهم اتّفقوا أن يحاموا عن أنفسهم من أجل كرامة يوم السبت* وكان اليعازر أحد المقدَّمين في الكتبة وقد طعن في السنّ وهو ذو منظر بهيّ وقور. ففغروا فمهُ ليطعموهُ لحم الخنزير قسراً. ولكنّهُ آثر أن يموت موتاً مجيداً على أن يحيا حيوة ذميمة. فتقدّم إلى العذاب راضياً صابراً ورفض الطعام الذي لم يحلّ أكلهُ. وكان حاضراً في هذا القربان النفاقيّ بعض أشخاص لهم سابق مودّة مع اليعازر. فأخذوهُ ناحيةً. وجعلوا يحثّونهُ أن يأمر بأن يؤتى من اللحم الذي يحلّ أكلهُ ممّا يُهيّأ لهُ ويتظاهر فقط بأنّهُ يأكل من لحم القربان حسب أمر الملك فينجو بذلك من الموت ويُحسَن إليهِ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكنّ اليعازر بقي ثابتاً على رأيهِ ومحافظاً على شرف شيبتهِ الرائقة متمسّكاً بشريعة الله تعالى التي تربّى بها. منذ نعومة أظفارهِ وأجابهم بديهاً قائلاً: انّي أريد أن أستقبل المنيّة عاجلاً. لأنّهُ لا يليق بشيخ مثلي أن يخادع. وذلك خوفاً على كثير من الشبّان أن يعتقدوا أنّ اليعازر قد انحاز إلى سيرة الغرباء وتعدّى الشريعة وهو قد جاوز التسعين سنة. واصير سبب شكّ وعثرة لهم بمخادعتي هذهِ. واكتسب العار واللعنة لشيخوختي ولا أفلت من يد الله سبحانهُ حييتُ أم متُّ. ولكن إذا فارقتُ هذهِ الحيوة القصيرة الزائلة بشجاعة. ظهرتُ أهلاً للشيخوخة. وصرت مثلاً صالحاً للشباب. ليقتدوا بي ويستقبلوا الميتة الجليلة التي مزمعة أن تداهمهم بفرح وحماسة من أجل الشريعة القدسيّة الموقّرة. ولمّا قال هذا. جرّوهُ من ساعتهِ إلى العذاب. والذين كانوا قبلاً يودّونهُ ويرفقون بهِ استبدلوا المودّة بالجفاء وأخذوا يعاملونهُ بقساوة لا مثيل لها ظانّين أنّهُ ما تفوّه بهذا الاّ لأجل العجب. ولمّا أوشك أن يموت من شدّة ما نالهُ من العذاب. تنهّد وقال: الله اعلم وهو ذو العلم المقدّس بأنّي إذ أستطيع أن أنجو من الموت. أُضرَب. وأتكبّد أوجاعاً أليمة في جسدي. وأمّا في نفسي فأحتمل ذلك صابراً مسروراً من أجل مخافتهِ. هكذا قضى هذا الرجل نحبهُ. وخلّف بموتهِ مثل عزّة النفس وقدوة الفضيلة ليس للشبّان فقط. بل لكثيرين من الأمّة*

وحدث أنّهُ قُبض على سبعة أخوة مع أمّهم فأمرهم الملك أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يأكلوا من لحم الخنزير المحرّم وعذّبهم بالجلد والعصَب. فشرع أحدهم وكان أوّلهم يقول للملك: ماذا تلتمس منّا وما مرادك أن تفعل بنا انّنا مستعدّون أن نموت دون أن ندوس شريعة آبائنا. فغضب الملك وأمر أن يحموا مقالي ومراجل نحاسيّة. ولمّا أحموها أمر فقطعوا لسان الذي تكلّم أوّلاً وسلخوا جلد هامتهِ وقطعوا أطرافهُ أمام أخوتهِ وأمّهِ. وبعد أن شُوّه هكذا أمر الملك أن يدنوهُ من النار وهو على آخر رمقٍ ويقلوهُ في المقلاة. وإذ كان يتصاعد بخارهُ من المقلاة كان هو وأمّهُ يشجّعان بعضهما بعضاً على الموت بثبات جنان وبأس قائلين: الربّ الاله يبصر. وهو حقّاً يتعزّى بنا. مثلما بيّن موسى في النشيد الذي يتضمّن المحاجّة قائلاً: بعبيدهِ يتعزّى* ولمّا قضى الأوّل على هذهِ الحال أحضروا الثاني ليسخروا بهِ. فسلخوا جلد رأسهِ مع شعرهِ. وسألوهُ هل تأكل أم نعذّب جسمك عضواً عضواً. فأجاب وقال: كلاّ. فأذاقوهُ بقيّة العذاب كالأوّل. ولمّا كان في آخر نفس قال للملك: أيّها الفاجر انّك تفصلنا من هذهِ الحيوة الدنيا ولكن ملك العالمين سيبعثنا إلى قيامة حيوة مؤبّدة لأنّنا نُقتَل عن شريعتهِ* وبعد هذا أخذوا يسخرون بالثالث. فدلع لسانهُ من ساعتهِ كما أمروهُ وبسط يديهِ وقال بشجاعة: قد أخذتُ هذهِ الجوارح من ربّ السماء ولأجل شريعتهِ اسخو بها. وأنا آمل أن يردّها إليّ ثانية. فتعجّب الملك والذين معهُ من قوّة قلب هذا الصبيّ ومن عدم اكتراثهِ بالعذاب. ولمّا توفّي هذا أتوا بالرابع. وأخذوا بتعذيبهِ ولمّا أشرف على الموت قال: جدير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالذين ماتوا قبلاً على أيدي الناس أن يؤمّلوا من الله بأنّهُ تعالى سيعيدهم احياء ولكن أنت لن يكون لك معاد للحيوة. ثمّ انهم أحضروا الخامس وطفقوا يؤذونهُ فشخص فيهِ وقال: انّك تفعل ما تشاء إذ لك سلطان بين الناس مع انّك ستُبلى. لكن لا تظنّ أنّ الله قد تخلّى من جنسنا فاصبر قليلاً فتبصر كيف انّهُ تقدّس اسمهُ عتيد أن يعذّبك انت وذريّتك. وبعد هذا قدّموا السادس ولمّا أخذ في سياق الموت قال: لا تضلّ باطلاً. انّنا انّما نُصاب بهذهِ الأشياء لسبب أنفسنا إذ قد أخطأنا إلى الله ولذلك حدثت هذهِ الأمور التي توجب التعجّب. ولا تتوهّم أنت انّك ستُترَك سُدىً إذ قد قاومت الله* ولكنّ الأمّ فاقت نجابةً بما يتجاوز حدّ الوصف واستحقّت ثناءً وحمداً. لأنها إذ رأت أولادها السبعة يبيدون في أمد يوم واحد صبرت على ذلك بتجلّد ورضى لسبب الأمل الذي كان لها في الربّ. وكانت تحرّضهم واحداً واحداً بصوت أبويّ وبحكمة خارقة. وهي حاملة قلب رجل في نفس أُنثى. وتقول لهم لا أعلم كيف نبتُّم في حشاي. ولستُ أنا الذي أعطاكم الحيوة والروح ولا أنا الذي ركّب أعضاءكم. بل هو فاطر العالم الذي رزق الإنسان الولادة. وأبدع أصول الأشياء كلّها. وهو برحمتهِ سيعيد إليكم الروح والحيوة. كما انكم الآن تبذلون أنفسكم في شريعتهِ* أمّا انطيوخس فانّهُ تخيّل لهُ انّهُ يُزدَرى بهِ. واغتاظ من كلام المرأة لأنها كانت تعذلهُ. وقبل أن تفيض نفس صغيرهم. أخذ يعظهم بالكلام ويؤكّد بالأقسام بأنّهُ مزمع أن يغني من يحيد منهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عن شريعة آبائهِ ويسعدهُ ويتّخذه لهُ خليلاً ويولّيهُ على الأعمال. فلم يلتفت الغلام إلى ذلك. فاستدعى الملك أمّهُ. وأشار عليها أن تنصح ولدها بما يأُول إلى خلاصهِ. وإذا ألحَّ عليها كثيراً وعدت أن تنصحهُ. ثمّ طأطأت رأسها نحوهُ واستهزأَت بقساوة الملك الغشوم وقالت بصوت والديّ: يا بنيّ ارحمني أنا التي حملتُكَ تسعة أشهر في بطني وأرضعتُكَ ثلاث سنين وربّيتُك حتّى أوصلتُكَ إلى هذا العمر. بالله يا بنيَّ أَلا نظرتَ إلى السماء والأرض وكلّ ما فيهما. وعلمتَ انّ الله فطرها من العدم وكذلك خلق جنس البشر. فلا تفزع من هذا الجلاّد ولكن كن أهلاً لأخوتك واقبل الموت لأقبلك برحمتي مع أخوتك. وبينما هي تتكلّم بذلك قال الصبي: لمن تنتظرون. لن أطيع أمر الملك لكن أطيع وصيّة الشريعة التي أُعطيها آباؤُنا على يد موسى. وأمّا أنت يا أيها الذي اخترعت أنواع البلايا على اليهود فلن تفلت من يد الله. انّنا نحن انّما نصاب لأجل خطايانا وان كان الهنا الحيّ قد غضب علينا يسيراً لتوبيخنا وتأديبنا فسيتصالح أيضاً مع عبّادهِ. فلا تتعظّم ولا تفتخر باطلاً برجاء خائب يا أيها الفاجر يا أخبث الناس كلّهم بمدّ يدك على عبادهِ لأنك لا تنجو من حكم الله القدير الناظر كلّ شيء. انّ أخوتي بما أصابهم الآن من المضاضة اليسيرة حصلوا في شهادة الحيوة الأبديّة لدى الله. وأمّا أنت فسيدينك الله ويحلّ بك العقاب الذي تستوجبهُ كبرياؤُك. انّي مثل اخوتي أبذل جسدي وروحي في شريعة آبائي. وأسأل الله أن يلطف بأُمّتنا عاجلاً فتعترف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أنت في حال الأذيّات والبلايا بأنّهُ هو الاله وحدهُ. وينتهي فيَّ وفي أخوتي غضب الله القدير الذي أنزلهُ بالعدل على أُمّتنا كلّها. فاتّقد الملك عند ذلك غضباً وعظم عليهِ هوانهُ وشدّد العذاب على هذا أكثر من سائر أخوتهِ. وهكذا قضى هذا أيضاً نَحبَهُ طاهراً متوكّلاً على الربّ توكّلاً جميلاً. وفي آخر الأولاد كلّهم قُضي على أمّهم أيضاً. وكان استشهادهم سنة ٣٨٣٧ للعالم وهي سنة ١٦٤ قبل المسيح*

* اليوم الثاني *

مار الفنسس ماريًّا ليغوري الأسقف منشئ جماعة الفدائيين

انّ عائلة ليغوري كانت من أقدم عائلات مملكة نابُلي في ايطاليا وأشهرها. وكان أبو القدّيس الفنسس يُدعى يوسف. وقد حصل هذا على مراتب عالية في العسكريّة. وتزوّج بامرأة من بنات الأشراف تُدعى حنّة. وكان لهذين الزوجين الشريفين ايمان عظيم وتقوى. فبارك الله زيجتهما. ورزقهما ابناً سمّياهُ الفنسس ماريّا*

وُلد الفنسس في اليوم السابع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٩٦ في قصبة في نابلي يُقال لها ماريانلّة. وبعد عماذهِ بأيّام قلائل جاء عند أبيهِ القدّيس فرنسيس هيرونيموس. وبعد أن بارك الصبيّ التفت إلى أمّهِ وقال لها: انّ هذا الصبي يعيش كثيراً ويتجاوز

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عمرهُ التسعين سنة. وسيصير مطراناً ويصنع أشياء جليلة حبّاً بيسوع المسيح. وقد صحّت هذهِ النبوّة في الفنسس كما سترى*

فربّتهُ حنّة أمّهُ في سرير التقوى وأرضعتهُ مع الحليب مخافة الله. ولمّا شبّ الصبي وضعهُ أبوهُ عند قسّيس من جماعة المصلّى ليحسن تربيتهُ. فاشتهر الفنسس بين رفاقهِ بالمحبّة والاحتشام والورع. وحدث يوماً انّ آباء جماعة المصلّى اخرجوا التلاميذ للتنزّه. فطلب بعض الرفقاء من الفنسس أن يشاركهم في اللعب فتمنّع معتذراً بعدم معرفتهِ لعبهم الاّ انّهم الحّوا عليهِ كثيراً حتّى أجاب دعوتهم. ومع كونهِ لا يحسن اللعب غلبهم. فلمّا رأى أحدهم أنّ الفنسس قد غلبهُ وظنّ أنّهُ خدعهم بتمنّعهِ في الأوّل غضب وتفوّه بما لا يليق. فلم يتمالك حينئذٍ الصبي القدّيس نفسهُ بل زجرهُ بصوت خاشع وقال لهُ: آه ما هذا يا أخي. أَلقليل من الدراهم تهين الله هكذا. خذ فضّتك. قال هذا ورمى بها إليهِ قائلاً: لا سمح الله ان أحصّل ما يسبّب الإهانة لهُ تعالى. ثمّ توارى واختفى بين أشجار محتبكة في البستان. فانذهل الشبّان الذين كانوا معهُ ولا سيّما الولد المذنب لما شاهدوهُ من القدّيس مع انّهُ كان صغير السنّ. الاّ انّهم انعكفوا على اللعب ثانية. ولمّا قارب المساء ولم يروا الفنسس بينهم اضطربوا من جرى ذلك. وأخذوا جميعاً يفتّشون عليهِ إلى أن وجدوهُ في محلّ منفرد منطرحاً أمام تمثال صغير لمريم قد وضعهُ على شجرة. وكان غارقاً في بحر الصلوة ولم يشعر بحضورهم حتّى تأوّه الذي أهانهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بصوت عالٍ وقال: آه ماذا صنعتُ باهانتي قدّيساً. فلدى هذا الصوت انتبه الفنسس على ذاتهِ وقام وقد استولى عليهِ الخجل من أجل اكتشاف رفقائهِ على ما صنع. ثمّ حمل تمثالهُ ورجع صحبتهم وكلّهم مبهوتون ومتخشّعون من تقواهُ هذا العجيب. وإذ كان أهلهُ لا يقدرون على مفارقتهِ لشدّة محبّتهم لهُ أَتوهُ بمعلّمين ماهرين في البيت فصار يدرس عليهم العلوم والفنون. وبدرسهِ هذا لم تنقص عبادتهِ البتّة. بل واظب كلّ يوم على زيارة الكنيسة حيث كانت تُقضى فيها حفلة عبادة الأربعين ساعة. أو عبادة السجود للقربان الأقدس. وصار الجميع يتعجّبون من عظم احتشامهِ وحرارة عبادتهِ. وناهيك انّ أفضل عادة امتلكها هي زيارة المرضى المبتلين بمرض عضال. فانعكف على خدمتهم وأخذ يساعدهم في جميع احتياجاتهم بمحبّة وشفقة لا توصفان. حتّى انّهُ بكلّ سهولة خيل للناظرين انّهُ بشخصهم كان يكرم يسوع المسيح نفسهُ*

ولمّا ناهز السبع عشرة من عمرهِ وكان قد تعلّم اللغة اللاتينيّة واليونانيّة وقرأَ الفلسفة وتعلّم الفقه المدنيّ من أمهر المعلّمين. قُلّد وظيفة محامٍ عن الدعاوي في المحكمة. وقام بوظيفتهِ هذهِ حقّ القيام. ومع كلّ غيرتهِ على الذين كان يحامي عنه وفطنتهِ في محاكمة الدعاوي لم يحد أصلاً عن العدل ولو يسيراً ولم يترك ممارسة الفضيلة أبداً. ففي محاكمة ما جرت بين امرَين قديرَين وُكِّل الفنسس أن يحامي عن المدَّعى عليهِ. فخصَّص شهراً بكلّيتهِ لفحص المسئلة ولاعداد البراهين. وفي يوم المحاكمة العلنيّة ربح أغلبيّة الأصوات ومدحهُ الحاضرون في هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المحفل العظيم وأثنوا على ما اشتهر منهُ نظراً لأَهمّيّة القضيّة. وكاد الحاكم يقضي في برارة المدافع هو عنهُ الاّ أنّ المحامي عن المدَّعي التمس منهُ أن يفحص الدعوى والبراهين مجدّداً. فأجاب الحاكم إلى ذلك بدون أدنى تعلُّل معتمداً على قوّة البراهين التي أبرزها الفنسس لمدافعة الدعوى. ولكن اعترتهُ حيرة عندما اكتشف في أوراق الدعوى على عبارة نهائيّة لم يشعر بها أوّلاً وهي تعكس المحاكمة بالكليّة. لأنها أفسدت اسّ برهان الفنسس. فخجل الفنسس من ذلك خشيةَ أن يُنسب إليهِ خلل البرهان. وهو في الدعوى نفسها ولم يُرد أن يلمحهُ أحد لأنّهُ كان قد اعتاد أن يفحص الدعاوي على ما هي دون غشّ. الاّ انّ جميع الحاضرين برّروهُ من هذا الخلل. وطمأنهُ رئيس المجلس وشجَّعهُ بقولهِ لهُ انّ كثيراً ما يحدث مثل هذا الاغفال في المحاكمات مهما كان المدّعي بارعاً وفطناً. وذلك لازدياد الحرارة في المدافعة والشوق إلى الانتصار على الخصم. ومع كلّ هذهِ التلطّفات علا الحياء والخزي وجه الفنسس. وبعد أن اعترف بالغلطة علانيةً واستغفر عنها من الحكّام خرج من المجلس باحتشام وهو يقول بصوتٍ سمعهُ جملةٌ من الناس الحاضرين: اعرفك أيّها العالم الغدّار ولكنّك لا تغشّني بعد هذا أبداً. ولمّا جاء إلى البيت دخل حجرتهُ وأغلق عليهِ الباب مدّة ثلاثة أيّام وأخذ يذرف الدموع عند قدمَي الصليب. وفي تلك الأثناء قصد أن يهجر وظيفتهُ هذهِ. وغبّ أن نال من العلى الهامات وتنبيهات خارقة العادة عزم أن يخصّص ذاتهُ لخدمة الله في الكهنوت فمانعهُ أبوهُ في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قصدهِ هذا زماناً طويلاً. الاّ انّ الفنسس انتصر على جميع الموانع بواسطة شجاعتهِ وتواضعهِ وثباتهِ. وكان عمرهُ يوم ترك العالم وكلّ أفراحهِ وأمجادهِ ومناصبهِ سبعاً وعشرين سنة. ومنذ ذلك الحين وجّه علمهُ كلّهُ وجودة قريحتهِ التي كان يفتخر بها العالم إلى خدمة الكنيسة ولا سيّما علم الموسيقى والنظم. فانّهُ ألّف جملة الحان لطيفة ليجذب بها الناس إلى محبّة الألحان التقويّة عوضاً عن الألحان العالميّة الغير اللائقة التي كانت منتشرة حينئذٍ كثيراً. ومنحهُ الكردينال مطران نابُلي الدرجات الصغار في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٧٢٤. وتعجّب أهل نابلي عند رؤيتهم هذا الشاب الشريف الأصل الذي مع كونهِ قادراً على أن يحصل على شرفٍ عالٍ ومقامٍ سامٍ أَخذ يكمّل أصغر خدم وظيفتهِ الجديدة وأدناها. منها انّهُ كان يجول في الطرق لكي يجمع الأولاد إلى الكنيسة وكان يساوي نفسهُ معهم ويعلّمهم أسرار الايمان وحقائق الديانة. واحتقرهُ البعض لأجل عملهِ هذا واحتسبوهُ إنساناً قليل العقل والدراية عديم الرأي. الاّ انّهُ لا شيء من ذلك قدر أن يزعزعهُ عن قصدهِ. ولمّا صار شمّاساً رسائليّاً انضمّ في أخويّة قد شُيّدت للرسالات ولعمل الرياضات الروحيّة للمومنين. فقلّدوهُ وظيفة تدريس الصبيان التعليم المسيحي فأمالهم إليهِ بشفقتهِ ووداعتهِ. وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٧٢٦ أُرتسم قسّيساً وشرع يكرز ويحثّ الناس على الفضيلة ومحبّة الله بغير انقطاع. وكان كلامهُ يؤَثّر في القلوب تأثيراً عجيباً. وتقاطر الناس من كل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صنف وجنس لاستماع وعظهِ. وكان من جملتهم رجل فصيح بليغ مشهور بالهجو يحضر في مواعظهِ دائماً. فقال لهُ يوماً الفنسس ببشاشة: انّ تردّدك المداوم إلى مواعظي يتهدّدني بهجوٍ. أليس بفكرك أن تنظم هجواً ضدّي. فأجابهُ الفقيه: كلاّ لأنّك لست من الذين يدَّعون بنفسهم. وبناءً عليهِ لستَ ممّن يُنتظَر منهم عبارات فصيحة. فكيف يتمكّن من هجوك من لا يرى عجباً منك بنفسك وقد نسيت ذاتك كي لا تكرز الاّ بكلمة الله الحقّ وهذا ما يُبطل الهجو نفسهُ ويعيبهُ* ثمّ انّ هذا الكاهن القدّيس فضلاً عمّا اختصّهُ الله بنعمة عظيمة لإهداء الأنفس إلى التوبة لم يتجاسر أن يجلس في منبر الاعتراف الاّ بعد سنة لاعتبارهِ السامي لهذهِ الوظيفة وذلك بعد أن أَمرهُ أيضاً مطران نابُلي بأمر الطاعة أن يستعمل سلطان الحلّ. فأطاع الفنسس وأَتى بثمار كثيرة ليس بأَقلّ ممّا في وعظهِ. فكان لا يردّ أحداً من جميع المتقدّمين إلى منبرهِ. حتّى انّ النهار وحدهُ لم يكن ليكفيهُ لذلك فخصّص جانباً من الليل لاستماع اعترافاتهم. ولم يكفّ من حثّ الكهنة على هذهِ الخدمة حتّى شاخ مفضّلاً ايّاها على بقيّة الخدم لكونها مفيدة للجميع. وكان يقول غالباً انّ الكاهن بهذهِ الخدمة يُرجّع الخطاة إلى الله ولا يخاف عليهِ من عجب الذات. وكان يغتمّ من بعض المعرّفين الذين يقبلون التائبين ببرودة وكراهية. ومن الذين بعد سماعهم اعترافات التائبين يُعاملونهم بقساوة واحتقار كأنّهم غير مستحقّين أو غير أهل للمراحم الإلهيّة. أمّا هو فكان قاسياً على ذاتهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكنّهُ رحوماً شفوقاً على الخطاة من دون أن يتساهل أصلاً مع الخطيّة. فكان مُفعماً بكلّيتهِ من المحبّة للخاطئ لكي ينشلهُ من وهدة خطاياهُ. ولهذا كان دائماً في عظاتهِ كلّها يقرن عدالة الله مع رحمتهِ الغير المتناهية أي لم يكن يتكلّم عن الواحدة ما لم يتكلّم عن الأخرى. متيقّناً بأنّ هذهِ أسهل واسطة تحمل الناس على ممارسة الفضيلة. وكان من عادتهِ أن يقول: بقدر ما تكون النفس قد تأصّلت فيها الرذيلة وتقيّدت بقيود الخطيّة. فبالأحرى ينبغي الاجتهاد بواسطة الرأفة والحنو في نشلها من يد الشيطان وترجيعها إليهِ تعالى. أَفلا يعسر على المعرّف أن يقول للتائب اذهب انّك لفي حالة الهلاك لا أقدر أن أحلّك. ولكن لو يتأَمّل بأنّ هذهِ النفس هي مشتراة بدم يسوع المسيح. لارتعد واستكره من كذا معاملة جافية* وكان الفنسس نبيهاً حاذقاً في إعطاء الوسائط اللازمة للتخلّص من حالة الخطيّة وبمحبّتهِ المضطرمة كان يُملئ قلوب الخطاة من الثقة باستحقاقات المخلّص ومن الندامة الصادقة على أنّهم أغاظوهُ بنوع أنّهُ لم يضطرّ أصلاً على إرسال أيّ من كان من الخطاة من دون أن يعطيهُ الحلّة لسبب عدم وجود الندامة في قلبهِ. وكان يقول: إذا لم يُظهر المرشد التائب أنّهُ يهمّهُ أمر خلاص نفسهِ كثيراً فلا ينكفّ عن خطيّتهِ أبداً. أمّا في تعيين القانون للمعترف فلم يكن يفرض عليهِ شيئاً من دون أن يتأكّد أنّهُ يكمّلهُ. ولم يثقّل على النفوس بالتزامات يرى أنّها لا تقبلها الاّ بكراهية. ولهذا السبب أنها تتركها سريعاً جدّاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكثيراً ما كان يحرّض تائبيهِ على أمانة الجسد. وعلى التأمّل بالحقائق الأَزليّة قائلاً لهم: انَّكم بالتأمّل ترون نقائصكم كفي مرآة. وبالأمانة تصلحونها. لا يوجد تأَمّل حقيقي بدون اماتة ولا اماتة بدون روح التأمّل والصلوة. الاّ أنّهُ كان يعتني بنوع خصوصيّ بخلاص أنفس الفقراء والمهملين. ولهذا كثيراً ما كان ينطلق إلى الطرق والأماكن التي تتداولها الناس كثيراً ويجمع حولهُ طائفة كبيرة ممّن هم أكثر فقراً من الآخرين ويحملهم قليلاً فقليلاً على قبول نعمة الله بواسطة سرّ التوبة. ثمّ صار يجمع في كلّ مساء من أيّام الصيف بعض الخدّام وأصحاب الصنائع في نواحي الكنائس. ويعلّمهم بفرح وسرور مبادي الديانة المسيحيّة. وقد أحبّ هذا العمل الصالح بعض من الكهنة والأشخاص الأتقياء فانضمّوا إليهِ ليساعدوهُ وتكاثرت هذهِ الجمعيّة وانتشرت. الاّ أنّ الشيطان افترى عليها بواسطة أعوانهِ الذين أقنعوا من لهم الأمر بتنغيص راحة الجمهور. فاضطرّ القدّيس أن يتركها ولكن لكي لا يهمل تثقيف هولاء الأناس البسطاء المساكين قسّم منهم طائفة كبيرة على جملة أشخاص من تلاميذهِ الأكثر غيرةً وعلماً ووظّفهم على تثقيفهم بالتعليم المسيحي. فازدادت هذهِ الجمعيّات الصغيرة وكبرت حتّى لم يعد ممكنا قضاؤُها في البيوت. بل صاروا يجتمعون في المعابد والمصلّيات. وقد حُفظ هذا العمل الصالح في مدينة نابلي حتّى يومنا هذا وقد أجدى منافع كثيرة. وصار موضوعاً عظيماً لتسلية مطارين وكهنة نابلي. وارتقى بواسطتهِ كثير من عموم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الناس إلى درجة سامية من القداسة. أمّا ما جعل القدّيس أن يجتني ثماراً كثيرة من عظاتهِ فهو انّهُ كان يقرن الكلام الخارجيّ بالصلوات الأكثر حرارة وبالأصوام والاماتات الكثيرة التي كان يصنعها لينال نعمة التوبة للخطاة* ومضى يوماً إلى مدينة فوجا. وكان هناك في الكنيسة صورة عتيقة لمريم العذراء قد كاد وجهها يمحي لتمادي الزمان وكانوا قد غطّوها بصفيحة من فضّة الاّ الوجه فانّهم نشروا عليهِ براقع جميلة وسمّوا تلك الصورة بذات البراقع السبعة. فيوماً ما حدث زلازل في تلك المدينة وهدمت بيوتاً كثيرة. فاجتمع الأهلون في الكنيسة وقدّموا الدعاء إلى الله حسب عادة المومنين عندما تمسّهم المصائب وطلبوا النجاة بشفاعة مريم العذراء الطوباويّة. فما رأَوا الاّ وقد تخرّقت من بغتة تلك البراقع من على وجه الصورة. وظهر فيها وجه مريم العذراء مضيئاً سماويّاً. فصرخت الجماعة مادحين هذهِ السيّدة التي أظهرت لهم علامة حمايتها. وتجدّدت هذهِ الآية العجيبة مراراً كثيرة حتّى انّ كل أهل المدينة شاهدوها بالعيان. فلذلك طلب الأسقف إلى مار الفنسس أن يتكلّف بعمل تسعيّة شكراً لمريم العذراء. فأَجاب القدّيس إلى ذلك بفرح. وفي أحد أيّام التسعيّة إذ كان يخطب في الجماعة. ظهر وجه العذراء من جديد في تلك الصورة يسطع منهُ نور سماويّ وانبعث شهاب من ذلك النور واتّصل إلى هامة الفنسس. فصرخ القوم الآية الآية. وأخذ البعض منهم من يبكي ومنهم من يفرح والخطاة يقرعون صدورهم عازمين على التوبة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ووقع مار الفنسس مريضاً لشدّة ما قاساهُ من الأتعاب في أسفارهِ الرسليّة. وقد سمح الله بذلك لكي يعرّفهُ في أثناء مرضهِ بالعمل الذي كان قد أعدّهُ لهُ. فأُتي بهِ إلى أبرشيّة سكالا ليستريح هناك. فأَقام مع بعض رفاقهِ في صومعة خارج المدينة. ومع كونهِ مريض أخذ يعلّم الفلاّحين والرعاة وسائر الجهّال أصول الديانة. ولمّا رآهم جاهلين كلّ شيء. عزم أن يتكلّف تعليمهم حقائق الديانة وارشادهم في سُبل الخلاص. ومن ثمّ افتكر ان يُنشئ جماعة من المرسلين تشتغل معهُ في هذا العمل. وأعانهُ على ذلك ثلاثة من أصدقائهِ. ولحقهُ تعب كثير. وأخيراً حصل على إنشاء هذهِ الجماعة وسمّاها أخويّة الفدائيّين. وثبّتها البابا بندكتس الرابع عشر في اليوم الخامس والعشرين في شهر شباط سنة ١٧٤٩*

ولمّا قصد الفنسس الذهاب لينشئ جماعتهُ ضايقهُ أبوهُ وأخذ يتوسّل إليهِ بعبارات محنّنة والعبرات تنسجم من عينيهِ طالباً منهُ الاّ يتركهُ. وأقرّ الفنسس بأنّهُ لم يقاسِ تجربة أعظم من هذهِ التجربة. ولكنّ الله وحدهُ أعانهُ على مقاومتها والظفر بها* وحدث انّهُ بعد أن أنشأَ جماعتهُ بأيّام قليلة أهملهُ رفاقهُ الأَوّلون. وعددهم ثلاثة عشر وكان عشرة منهم كهنة. واثنان من المحامين عن الدعاوي. والأخير غنيّاً من أغنياء مدينة اكوافيقا قد ترك كل أموالهِ كي يخدم الجماعة بصفة راهب بسيط. الاّ أنّهُ لمّا قصد هذا القدّيس الفاضل أن يضع قانوناً لجماعتهِ حدث خلف بينهُ وبين رفاقهِ. فمنهم من أراد أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يفتحوا مدارس للفقراء. وغيرهم صاروا يقامون العيشة الفقريّة التي كانوا عليها إلى ذلك الحين. أمّا هو فكان يحبّ أن يتمسّكوا بوظيفة الوعظ وأن يمارسوا الفقر الاختياريّ. بيد أنّهُ لم يتمكّن من اقناعهم ولم تنجع بهم براهينهُ. فانفصل عنهُ جميعهم ما عدا أحد المحامين عن الدعاوي والراهب فقط. الاّ أنّ الله أرسل لهُ عوض هؤلاء كثيرين فانضمّوا تحت قانونهِ. وثبّت البابا بونفانيوس الرابع عشر هذا القانون. وأَيّد الفنسس رئيساً عامّاً على الرهبان. ففاق جميع رفاقهِ بحفظهِ القانون. ولزيادة اماتاتهِ وكثرة أصوامهِ كانوا يتعجّبون منهُ كيف أنّهُ يعيش إذ لم يأكل الاّ قليلاً من المرقة مع الخبز وشيئاً زهيداً من الثمر أو الحشيش. ويوم السبت وليالي أعياد العذراء كان ينقطع انقطاعاً تامّاً عن الأكل. وكان يلبس المسح دائماً. ويتمنطق بسلسلة حديديّة وبحزام من شعر الابل. وكان يترك اشغالهُ مهما كانت ضروريّة ويقضي احتياجات أخوتهِ. ولمّا كانت غاية رهبنتهِ الخصوصيّة تثقيف أهل القرى والضياع فقد جال مدّة ثلاثين سنة في نواحي مدن ايطاليا وهو يعلّم التعليم المسيحي للصبيان ويسمع الاعترافات ويعظ بكلام الربّ. ولكي يحصل على فائدة من عظاتهِ كان يكرز مدّة خمسة عشر يوماً وأحياناً ثلاثين يوماً في محل واحد إلى أن يصطلح أهل تلك النواحي تماماً. وإذ كان يعظ يوماً على حماية مريم العذراء في امادلفي ويحثّ سامعيهِ على الالتجاء إليها بكمال الثقة في كلّ احتياجاتهم صرخ فجأَة وقال: آه انّكم لقليلوا الحرارة في العبادة لمريم. وها أنا أريد أن أصلّي لها من أجلكم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قال هذا وارتمى راكعاً أمام ايقونتها فارتفع جسدهُ عن الأرض. وصار وجه العذراء يسطع نوراً. وكانت أشعّتهُ تندفق على وجههِ*

ولمّا كان صيت هذا القديس شائعاً في كلّ إيطاليا وفي أماكن كثيرة من أوروبا وتصانيفهُ تُستخرَج إلى كلّ اللغات. عزم ملك اسبانيا كارلس الثالث الذي كان متملّكاً حينئذٍ على مملكة نابلي وعلى جزيرة صقليَّة أن يجعلهُ أسقفاً على أبرشيّة بالرمو في صقليَّة. فلمّا علم مار الفنسس ما عزم عليهِ الملك أخذ يكتب إلى ندمائهِ أن يغيّروا فكرهُ في هذا الشأن معتذراً بأنّهُ لا يقدر على ذلك. الاّ أنّهُ بعد موت أسقف مدينة سَنْت أَغاثا أراد البابا اقليميس الثالث عشر أن يسيمهُ أسقفاً عوضهُ. فاعتذر إلى قداستهِ بأنّهُ لا يقدر على القيام بهذهِ الوظيفة السامية لسبب شيخوختهِ لأنّهُ كان في سنّ الخامسة والستّين من العمر. فلم يقبل الحبر الأعظم عذرهُ بل ألزمهُ بذلك. فأطاع القديس وصار أسقفاً في اليوم العشرين من حزيران سنة ١٧٦٢ وكان يتحسَّر على افتراقهِ من جماعتهِ ويقول لرهبانهِ. آه واسفاه الآن الجأَتني الضرورة لانفصل عنكم بعد أن عشنا سويّةً بالمحبّة زهاء ثلاثين سنة. فارغب إليكم أن لا تنسوني*

وكان البابا اقليميس الثالث عشر يحبّهُ جدّاً ويستشيرهُ في أمور تدبير الكنيسة ويقول لاصدقائهِ: انّهُ بموت السيّد الفنسس ليغوري ستحصل الكنيسة على قديس جديد. ودخل مار الفنسس مدينة سَنْت أَغاثا. وجلس على كرسيّ اسقفيّتها. وشرع يرعى قومهُ كما تقتضي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منهُ فرائض وظيفتهِ. وكان يعيش في الفقر. ويوزّع على الفقراء كلّ ما أتاهُ من الدَخْل مستبقياً منه الضروري لقيام حياتهِ. وما زال بيتهُ ممتلئاً من الفقراء. وفي مجاعة حدثت سنة ١٧٦٤ باع كلّ ما لهُ حتّى خاتمهُ الأسقفيّ ووزّعهُ على المحتاجين. وكان يزور في كلّ سنة نصف أَبرشيّتهِ في أيّ فصل كان من فصول السنة مقتحماً الطرق النجسة. ولدى زياراتهِ يسمع الاعترافات ويعظ ويزور المرضى. وكان من عادتهِ أن لا يصنع شيئاً من ترتيب أمور أبرشيّتهِ قبل أن يطلب ويستمدّ نور العون الإلهي بصلوات حارة. وكان يستشير بأخوتهِ الأساقفة في مهامّ الأمور. وانّ من أخصّ مبتغاهُ لكهنتهِ فهو روح التقوى والعلم لا سيما اللاهوت الأدبيّ والغيرة على مجد الله وشرف الكنيسة المقدّسة* وأدمن على الوعظ في كل أسبوع مرّتين. فيوم الأحد في مضمون فصل انجيل ذلك اليوم. ويوم السبت في مديح مريم. واعتاد على الجلوس كل يوم صباحاً في منبر الاعتراف ينتظر الخطاة التائبين* وذات يوم إذ كان يتغدَّى مع اسقف مدينة كاسرتة. سألهُ هذا الأسقف قائلاً: كم نفساً يوجد في أبرشيَّتك. فقال الفنسس: يوجد فيها نحو ثلاثين ألف نفس. فقال: أنا أيضاً يوجد كذلك في ابرشيّتي. فقال مار الفنسس: آه يا سيّدي ما أثقل على الأكتاف البشريَّة حمل ثلاثين ألف رطل. الويل لنا إن تركنا نفساً واحدة تهلك من هذهِ النفوس. وكان ذا احتراس عظيم في نصب الرعاة أي القسوس الذي يسلّم إليهم جزءاً من قطيعهِ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي سنة ١٧٦٩ اعترتهُ حمَّى قويَّة وأُصيب بداء المفاصل في كلّ أعضائهِ حتّى انّ رأسهُ وقع على صدرهِ. الاّ أنّهُ أخيراً تركتهُ الحمّى بعد أن قاسى منها عذابات وأوجاع كثيرة عدّة أشهر وكفى أعجوبة أنّهُ شُفي أيضاً الجرح الصادر من انحناء رأسهِ. ولكنَّ رأسهُ بقي منعطفاً نحو صدرهِ مدّة السبع عشرة سنة الأخيرة من عمرهِ بنوع انّهُ كان لا يتمكّن من شرب الماء الاّ قطرات يسيرة دفعةً واحدة. ومع هذا كلّهِ لم يكفَّ عن الوعظ إلى أن شعر أخيراً أنّهُ غير قادر على القيام بوظيفتهِ كما كان يُحبُّ فطلب حينئذٍ إلى البابا اقليميس الثالث عشر أن يأذن لهُ بالتخلّي عن وظيفة اسقفيّتهِ. فلم يرضَ بإجابة طلبتهِ. ولمّا مات ذلك البابا وتخلّف بعدهُ اقليميس الرابع عشر. عرض القدّيس عليهِ طلبتهُ فلم يجبهُ إليها أيضاً. فقال عند ذلك لتصبرنَّ منتظرين البابا الآخر الذي سيتخلّف بعد هذا. فضحك السامعون من كلامهِ. لأنّ ذلك البابا الجديد كان شاباً قويّ البدن. والفنسس كان شيخاً كبيراً سقيماً. وبعد زمانٍ في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٧٤ كان مار الفنسس جالساً على كرسيّ. فنام فيها واستمرّ إلى ظهر اليوم الثاني. وكان خدّامهُ لا يجسرون أن يوقظوهُ. فلمّا استيقظ. أتوا إليهِ قائلين: ما لك أيّها السيّد نائماً من أمس إلى الآن. فقال: كنتُ حاضراً موت البابا. وذلك انّ البابا اقليميس الرابع عشر توفّي حقيقةً في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايلول. ولمّا تخلَّف بعدهُ البابا بيوس السادس. رقَّ على أسقامهِ وشيخوختهِ فاذن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لهُ أن يخلّي كرسيّهُ ويرجع إلى جماعتهِ الأولى. ففرح القدّيس جدّاً برجوعهِ إلى أولادهِ الأوّلين*

ومنذ اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٩ أعني قبل وفاتهِ بثماني سنوات ترك تلاوة القداس لعدم استطاعتهِ على ذلك واكتفى بالتناول في كل يوم صباحاً. ومنذ حينئذٍ منعهُ أيضاً معلّم اعترافهِ عن جلد نفسهِ وبقيَّة الاماتات التي كان يصنعها. الاّ أنّ الربّ أحبَّ أن يمتحن فضيلة الفنسس امتحاناً قاسياً فداهمتهُ تجارب ضدّ الايمان قويّة جدّاً حتّى كان جميع أهل البيت يسمعون ضجيجهِ إذ كان يضرب رجليهِ على الأرض ويستغيث باسم يسوع ومريم وقد تعذَّب أيضاً كثيراً من الارتيابات والوساوس التي تسلّطت على عقلهِ. فقهر كل ذلك بقوّة طاعتهِ العجيبة. إذ انّهُ حالما أمرهُ معلّم اعترافهِ أن يسكّن روعهُ زالت عنهُ الوساوس وارتاح. ثمّ أنّهُ في السنين الأخيرة من حياتهِ فقد حاسّة السمع تماماً والبصر تقريباً. ثمّ اعتراهُ فَتْقٌ عذَّبهُ عذاباً متواصلاً. وكان يجيب سائليهِ عن صحّتهِ قائلاً لهم: انّ الموت يضايقني عن قريب ولكنّي لا أشتهي ولا أتوق الاّ لله وحدهُ. لله وحدهُ. وما من أحد يقدر أن يصف كم كان عظيماً غرام القديس بحبّ مريم العذراء*

وذكر الاب برونشن من جماعة مار الفنسس انّهُ حدث يوماً لمعلّم اعترافهِ أن يحثّهُ على الثقة بظهور مريم العذراء القدّيسة عندهُ في ساعة موتهِ كما كانت قد ظهرت لهُ مراراً عديدة في حياتهِ. فأجابهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفنسس قائلاً: اعلم يا أبي انّي قد تكلّمتُ كثيراً مع السيّدة وهي كانت ترشدني في جميع أموري. فسألهُ معلّم اعترافهِ وما الذي كانت تقول لك: فأجابهُ انها قالت لي أشياء جميلة جدّاً جدّاً... ولم يتمكّن من أن يقول أكثر من هذا. وقد تعوَّد منذ صغرهِ على تلاوة الورديّة المقدّسة. وكانت ثقتهُ عظيمة بالسلام لكِ. ولذلك كان يقولها أمام جميع ايقونات العذراء. وفي بداية ونهاية جميع أشغالهِ. وأيضاً كان يكرّرها على عدد أرباع الساعة. أخيراً كان يعتبر هذهِ الصلوة الوجيزة أكثر من كنوز العالم وأفراحهِ وأباطيلهِ كلّها. فما عدا المسبحة التي كان يحملها في عنقهِ كان يحمل أيضاً الورديّة في حزامهِ مثلما كان قد رسم قانوناً بذلك على جميع الذين يدخلون في جماعتهِ وقد حملها دائماً أيضاً بعد أنصار مطراناً لكي يُعلن ذاتهُ جهاراً بكونهِ عبداً أميناً للملكة المحبوبة ويفتخر بكونهِ ابناً لأمّ قديسة ومجيدة. وان يكون دائماً أمام عينيهِ ما يذكّرهُ إيّاها ليصلّي لها ويستغيث بها على عدد الدقائق والساعات ويطابق سيرتهُ على أمثلة الفضيلة التي تعلّمهُ ايّاها أسرار الورديّة. وكان قد نذر أن يتلو مسبحة الورديّة يوميّاً. وحفظ نذرهُ هذا بأمانة مدقّقة من دون خيانة البتّة. ولمّا صار مطراناً أخذ يتلوها بصحبة جميع الموجودين في بيتهِ. وإذا عادهُ أحدٌ حينئذٍ أخذ يتلوها بصحبة جميع الموجودين في بيتهِ. وإذا عادهُ أحدٌ حينئذٍ من أيّ صنفٍ ومرتبة كان يدعوهُ لكي يصلّي معهم. وبالاجمال انّ هذهِ العبادة أضحت عزيزة على قلبهِ حتّى انّهُ كان يمارسها في أسفارهِ وعند زيارتهِ ابرشيّتهِ وفي التنزّهات التي كانت تضطرّهُ إليها أحياناً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صحّتهُ وعند استعمال الرياضات الروحيّة في الكنائس للمومنين. ورسم قانوناً لجماعتهِ أنّهُ في الرياضات الروحيّة التي يمارسونها للشعب ان يفرضوا تلاوة الورديّة قبل الموعظة الكبيرة عند المساء وان يشرحوا لهُ أسرارها. وكان يهمّهُ كثيراً اتمام هذا القانون. لأنّهُ قد ظهر لهُ بالتجربة حسن هذهِ العادة وكم انّها تأُول للحصول على منفعة كبرى من الأعمال الرسليّة*

وكان الفنسس قد وضع رجاء خلاصهِ وسعادتهِ الأبديّة بالورديّة. ولمّا طعن في السنّ ولم يعد يقدر أن يقدّس ولا أن يتلو فرضهُ. أُبدلت جميع فروضهِ بتلاوة الورديّة بنوع انّهُ صار منذ الصباح حتّى المساء يكرّر بحرارة ملاكيّة الصلوة الربيّة والسلام الملاكي وهو يتأمَّل في الأسرار المقدّسة. يا لهُ من منظر جميل رؤية هذا الشيخ الوقور العالم المشهور والقديس الفضيل وهو يقضي ساعات النهار والأيام بتلاوة الورديّة بتقوى. وقد جعلها سعادتهُ ومجدهُ ورجاء آخرتهِ. وكان يقول: من لهُ عبادة حقيقيّة لمريم العذراء. يمكنهُ أن يُسمَّى طوباويّاً منذ هذهِ الحيوة. وان تُحسَب السماء نصيبهُ. طبقاً لما جاء في سفر الأمثال القائل: من يجدني يجد الحيوة ويستقي الرضى من الرب (أمثال ص ٨ عد ٣٥) ولكن من يجد مريم سوى من يحبّها ويتعبّد لها بعبادات خصوصيَّة. والحال لا أدري هل يوجد بين العبادات عبادة أفضل ومرضيّة أكثر لمريم من عبادة الورديّة المقدّسة. آه انّ الذين يتلون الورديّة يوميّاً بعبادة وثبات ينبغي أن يكون رجاؤهم وثيقاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالخلاص لأنّ الكتب مشحونة من أمثلة أناس قد خلصوا بواسطة تلاوة الورديّة المقدّسة (من مؤلّفات القديس الفنسس المجلّد ١٦)

وأراد ربّنا يسوع المسيح أن يزيد أجرهُ. فسمح للشيطان أن يجرّبهُ بتجارب عظيمة. فاحتملها وانتصر عليها بمعونتهِ تعالى. وفي اليوم الثالث عشر من شهر ايلول سنة ١٧٨٦ قال لأحد أصدقائهِ: كان يأتي إليهِ مرّة في كلّ سنة في ذلك الزمان ليعودهُ. يا صديقي: انك لن تراني في السنة الآتية. فادعُ لي* وفي اليوم الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٧٨٧ اعترتهُ حمّى قويّة مرافَقة بأوجاع يعسر حملها. فقال: هذهِ آخر حياتي وختامها. وبعد خمسة أيّام أخذ الأسرار الأخيرة. وبارك رهبانهُ. وفي اليوم الأوّل من شهر آب دخل في سياق الموت. وكانت عيناهُ شاخصتين في صورة مريم العذراء امّ الأحزان. ويداهُ مضمومتين إلى صدرهِ وفيهما صليب. وأخيراً عبر من هذهِ الحيوة الدنيا إلى الراحة السماويّة وعمرهُ تسعون سنة وعشرة أشهر وخمسة أيّام. ودُفن جسدهُ في كنيسة رهبنتهِ في مدينة نوقارة. وحضر جمٌّ غفير من الناس في دفنتهِ وهم يتحدّثون في مناقبهِ. ويصرخون من كلّ جهة قائلين: مات القديس. مات القديس. وكان وجههُ يسطع بهاءً سماويّاً*

ثمّ نختم سيرة هذا القديس العظيم بذكرنا خصلة أخرى من خصالهِ الحميدة أي انّهُ كان عابداً لقلب يسوع الأقدس. وفي مدة أسقفيّتهِ ثبّت عيدهُ في ابرشيّتهِ. وكان كل سنة يعظ في عيدهِ*

والبابا بيوس التاسع سنة ١٨٧٠ حكم بكونهِ من ملافنة الكنيسة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث *

وجدان أجساد القدّيسين اسطفانس أوّل الشهداء وغملائيل ونيقوديمس وحبيب

انّ جسد مار اسطفانس المعظّم رئيس الشمامسة وأوّل الشهداء بقي زماناً طويلاً خفيّاً عن الناس في قبر عتيق بعيد عن أورشليم نحو ستّ ساعات بقرب قصبة يقال لها كَرْفَرْ غمالا حيث كان كنيسة يسكنها شيخ وقور يدعى لُقيانس وهاك كيفيّة ذاك. انّهُ في اليوم الثالث من شهر كانون الأوّل سنة ٤١٥ في ليلة الجمعة بينما كان لقيانس نائماً في بيت المعموذيّة حسب عادتهِ لحراسة الذخائر المقدّسة إذ ظهر لهُ شبح وقور موشّح بأثواب كهنوتيّة لهُ لحية بيضاء وعلى صدرهِ بطرشيل مرصَّع بأحجار كريمة وفي يدهِ قضيب من ذهب. فدنا من لقيانس القسيس لكزهُ بهِ وناداهُ ثلاث مرّات قائلاً: لقيانس اسمعني. ثمّ قال لهُ باللغة اليونانيّة: اذهب إلى يوحنّا بطريرك اورشليم وقل لهُ أن يأتي ويفتح القبور التي داخلها ذخائر القدّيس اسطفانس وغيرهُ من خدّام يسوع المسيح لأنّهُ بهذهِ الواسطة سيجد كثيرون رحمة في عينَي الرب. لأنّ الله قد سمع صلوات القدّيسين أصحاب هذهِ الذخائر وتحنّن على العالم الذي كاد يهلك بسبب المآثم الفظيعة التي ارتكبها الخطاة. فانبهر لقيانس من منظر هذا الشيخ وسألهُ قائلاً: من أنت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمن تكون هذهِ الأجساد التي ذكرتها. فقال الشيخ أنا غملائيل الذي كنتُ معلّم الناموس في أورشليم وعلّمتُ مار بولس الرسول. أمّا الأجساد المذكورة فمنها جسدي والذي تراهُ إلى الجهة الشرقيّة من جسدي هو جسد مار اسطفانس الشهيد الذي رجمهُ اليهود وأنا أخذتهُ ودفنتهُ في قبر كنتُ قد أعددتهُ لي داخل دار كانت لي في البريّة بعد الاحتفالات الواجبة للموتى مدّة أربعين يوماً. وفي الصندوق الثاني يوجد جسد نيقوديمُس الذي حرمهُ اليهود ونفوهُ خارج المدينة لأجل تتلمذهِ ليسوع المسيح واعتماذهِ بهِ وأنا أخذتهُ إلى بيتي مدّة حياتهِ كلّها. ولمّا مات قبرتهُ باكرام إلى جانب القديس اسطفانس. وفي الصندوق الثالث ترى فيهِ جسد أحد بنيَّ يقال لهُ حبيب الذي آمن واعتمذ معي وتوفّي ولهُ من العمر خمس وعشرون سنة ودفنتهُ في هذا الصندوق الثالث وهو أكبر من الصندوقين الآخرين. لأنّي أوصيتُ بوضع جسدي فيهِ بعد موتي. فعند ذلك سألهُ لقيانس عن الموضع الذي فيهِ هذهِ الأجساد المقدّسة فدلّهُ عليها ثمّ غاب عنهُ. فلمّا استيقظ لقيانس شرع يفكّر في هذهِ الرؤيا ويطلب إلى الله قائلاً: ان كان هذا الإيحاء منك يا ربّ فكرّرهُ عليَّ مرَّتين أو ثلاثاً. فصام ذلك الأسبوع كلّهُ وفي ليلة الجمعة الأخرى ظهر لهُ ذلك الشيخ ثانيةً. ووبّخهُ على انّهُ لم يفعل ما أمرهُ بهِ. فلم يكتفِ لقيانس بهذهِ الرؤيا الثانية بل انتظر الثالثة فصام أيضاً الأسبوع الآخر وإذ انتهى إلى ليلة الجمعة الثالثة تراءى لهُ غملائيل من جديد وعنّفهُ على قلّة ايمانهِ وأمرهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن يفعل ما كان قد قال لهُ: وفطّنهُ على استكبار هذهِ النعمة واستعظامها حيث الباري تعالى قد فضّلهُ على كثيرين بانتخابهِ إيّاهُ إلى هذا العمل الجليل. فلدى ذلك تقوّى ايمان لقيانس وتأكّد لديهِ بأنّ الرؤيا إلهيّة. ولمّا أصبح مضى إلى أورشليم ومَثُلَ أمام يوحنّا بطريركها وقصّ عليهِ كلّ ما جرى لهُ في الرُّؤَى الثلاث. ففرح البطريرك بهذهِ البشرى وشكر الله على هذا الاحسان ثمّ أمر بإجراء الأمر حسبما أُوحي إلى لقيانس. ولمّا بدأُوا بالحفر تحت تلّ الأحجار حيث قُبرت أوّلاً الأجساد المقدّسة ظهر مار غملائيل لراهب يُدعى ميجاق ودلّهُ على الموضع الذي نُقلت إليهِ أجسادهم فلمّا حفروا هناك وجدوا ثلاثة صناديق مكتوب عليها هذهِ الأسماء الثلاثة وهي: اسطفانس غملائيل نيقوديمس فاسرعوا وبشّروا البطريرك بوجدان هذهِ الذخائر الثمينة. فاقبل ومعهُ الوثاريوس اسقف سبسطيّة والوثاريوس الآخر أسقف ايريحا وجميع الاقليرس وجمٌّ غفير من الجماعة فعندما فتحوا صندوق جسد مار اسطفانس تزلزلت الأرض وفاحت رائحة ذكيّة من الجسد المقدّس حتّى ظنّ الحاضرون انّهم في فردوس. ومن استنشاق تلك الرائحة بُرئ ثلاثة وسبعون مريضاً ونجا كثيرون من المصابين والمعترين من الشياطين. هذا وانّ الأجساد المقدسة نُقلت باحتفال إلى موضع آخر يليق بها احتراماً. أمّا جسد مار اسطفانس فنقلوهُ إلى كنيسة صهيون حيث كان قد رُسم شمّاساً. ثمّ في سنة ٤٤٥ نقلوهُ إلى كنيسة قد بنتها اودكسيّة الملكة على بعد غلوة من المدينة قريباً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من المحلّ الذي فيهِ كان قد رُجم القدّيس اسطفانس وقد اكتشفوا في أيّامنا هذهِ على آثار هذهِ الكنيسة الجميلة وكانت الأرض حينئذٍ محتاجة إلى المطر فنزل مطر غزير أروى الأرض. وكان وجدان ذخائر مار اسطفانس وغملائيل ونيقوديمس وحبيب في عهد القيصرين هنوريوس وثاودوسيوس الصغير*

* اليوم الرابع *

الاب الطوباوي مار عبد الأحد منشئ رهبنة الأخوة الواعظين

انّ الاب المعظّم مار عبد الأحد وُلد سنة ١١٧٠ للمسيح في بلدةٍ من اسبانيا تسمَّى كاروغا من أبوَين شريفَين جنساً خائفي الله. وكان اسم أبيهِ سعيد غزماني. واسم أمّهِ حنّة آزا. ورزق الله هذَين الزوجَين الصفيَّين ثلاثة بنين أضحوا كلّهم فضلاء أمام الله والناس. فالأوّل كان يُدعى انطون وصار قسّيساً ثمّ وزّع جميع أموالهِ على الفقراء ودخل أحد البيمارستانات وهناك خصّص نفسهُ لخدمة المرضى حتّى مات. والثاني كان يُدعى مانّس ولبس ثوب رهبنة الواعظين وعاش ومات بعلامات القداسة. وأمّا الابن الثالث فكان قدّيسنا مار عبد الأحد. وإذ كانت أمّهُ حُبلى بهِ ذهبت إلى دير مؤسَّس على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اسم مار عبد الأحد سيلس لتعمل تسعيّة هناك. ففي ليلة اليوم السابع من أيام التسعيّة رأت رؤيا وهي انّ راهباً ظهر لها مكتسياً بحلّةٍ مثل ثوب رهبان ذلك الدير وقال لها: انّكِ ستُرزَقين ابناً يتزيّن بالنعم ويتجمّل بالفضائل ويملأُهُ الله علماً سامياً ثمّ غاب عنها. ومن أجل هذهِ الرؤيا لمّا وُلد القدّيس دُعي باسم صاحب ذلك الدير. وقبل ولادتهِ بأشهر قليلة رأت أمّهُ رؤيا أخرى وهي أنها لاح لها أنها تنظر في حشاها صورة كلب صغير حامل بفمهِ سراجاً استنار بهِ العالم كلّهُ* وفي أثناء عماذ الصبي رأوا على جبهتهِ كوكباً مشعشعاً. وبقي مدّة حياتهِ كلّها أثر شعاع من ذلك النور السماويّ على جبينهِ. وهذا النور حمل الناظرين إليهِ على تكريمهِ وجذب قلوبهم إليهِ. فأراد الله بهذهِ العلامات أن يبيّن العمل العظيم الذي سيقضيهِ مار عبد الأحد لأنّهُ كان عتيداً أن ينبح على الشيطان ويمنعهُ من الدخول إلى كنيسة يسوع المسيح وان يضيءَ للكنيسة بقداسة سيرتهِ وسموّ تعليمهِ* ولا يُعرَف شيءٌ من طفوليّة عبد الأحد سوى أنّهُ منذ بدأَ أن يتخطّى شرع ينزل خفيةً من مهدهِ من دون أن يسندهُ أحد وينام على الأرض كأنّهُ عرف بسابق علمهِ شقاء البشر واختلاف أحوالهم في هذهِ الأرض. وانّهُ لمحبّتهِ لهم لا يسرّ بالرقاد على منام أفضل من المنام الذي يرقد عليهِ أخوتهُ المساكين الفقراء أو لعلمهِ سابقاً بمهد يسوع المسيح. فكأنّهُ يريد أن يصنع لهُ مناماً شبيهاً بمنامهِ* ولمّا بلغ سنّ التمييز وضعهُ أهلهُ عند قسّيس من بني جنسهِ ليهذّبهُ ويرشدهُ. فاعتنى بتربيتهِ اعتناءً كلّيّاً يليق بمن كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خادماً للهيكل مثلهُ. فاستولت النعمة على قلب عبد الأحد وأخذ ينمو في العمر والعقل ويتقدّم يوميّاً في ممارسة الفضيلة. ولدى بلوغهِ الخامسة عشرة من العمر أرسلهُ أبواهُ إلى مدينة فلنيقيا ليكتسب العلوم في مدرستها الكلّيّة. فأقام فيها عشر سنين. وخصّص منها السنين الستّ الأولى في درس الفصاحة والفلسفة. الاّ أنّ هذا الشاب مع كونهِ نشيطاً لم يتولّع في اقتباس العلوم الطبيعيّة والمدنيّة بل انصبّ على اكتساب العلوم اللاهوتيّة التي فيها وجد ما سرّهُ من البحث عن الحكمة الإلهيّة. أعني بها يسوع المسيح. إذ ما من أحد من الفلاسفة أمكنهُ أن يعرّف الناس عن هذهِ الحكمة* ثمّ انّ عبد الأحد حذراً من أن تذوي وردة شبابهِ في مطالعات غير مفيدة ولكي يبرّد غليل عطشهِ بأسرع ما يمكن انعكف على درس اللاهوت لكي يستقي منهُ ما كان يشتاق إليهِ ويهواهُ بصبابة كلّيّة وحرارة فؤاد. وفي أثناء درسهِ هذا كان يستغيث دائماً بيسوع المسيح حكمة الآب ويُصغي بشوق لا يوصَف إلى معلّميهِ إذ استبان لهُ هذا التعليم الإلهيّ عذباً وحلواً جدّاً. حتّى انّهُ في السنوات الأربع التي قضاها في درسهِ كان غالباً يطوي اللّيالي ساهراً مفضّلاً العناء على الراقد والراحة. وامتنع عن شرب الخمر مدّة عشر سنوات لكي يشرب من زلال الحكمة بعفاف يليق بها. ومع انّهُ كان شاباً صغير السنّ كان يخال لمن رآهُ أنّهُ بلغ سنّ الكهوليّة لأجل كلام الحكمة الذي كان يخرج من فيهِ وللطافة أخلاقهِ. وكان يقضي زمانهُ كلّهُ في الصلوة والشغل المداوم متحذّراً من تضييع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقتهِ سدىً ومفضّلاً الاختلاء في الكنيسة والاستراحة المقدّسة أمام القربان على اللّعب والتنزّه. ووهبهُ الله روح الحكمة والفهم لحلّ المشاكل المعضلة بسهولة لا مزيد عليها مكافأةً لهُ على محبّتهِ المضطرمة في تكميلهِ وصاياهُ تعالى*

وأفضل شيءٍ يستحقّ الذكر فعلهُ عبد الأحد في بحر السنين العشر التي قضاها في فلنقيا هو انّهُ حينما حدثت المجاعة العظيمة في اسبانيا لم يكتفِ بتفريقهِ على المساكين جميع ما كان يملكهُ بل باع كتبهُ أيضاً ووزّع أثمانها عليهم. فتعجّب الناس منهُ لحرمانهِ نفسهُ من وسائط الدرس. واعترض عليهِ بعضهم في ذلك فأجابهم بهذا الكلام وهو أوّل كلام بقي لنا من أقوالهِ. هل أقدر أن أدرس في جلودٍ مائتة عندما أرى أناساً يموتون جوعاً. فلمّا رأى معلّموا المدرسة وتلامذتها ذلك اقتدوا بهِ وشمّروا لمساعدة المحتاجين بسخاء* وممّا اتّفق لهُ أنّهُ رأى يوماً امرأة تبكي بحرقة قلب لأن لم يكن عندها ما تفدي بهِ أخاها من أسر المغاربة. فقدّم لها ذاتهُ لتعرضهُ على البيع وتفتدي بثمنهِ أخاها. غير أنّ الله الذي اختارهُ لخلاص نفوس كثيرة لم يسمح بذلك* ولمّا بلغ عبد الأحد السنة العشرين من عمرهِ. كان مطران أوسما قد رتّب عيشة كهنة الله في كنيستهِ الاكليريكيّة فإذ بلغتهُ الأخبار بأن في مدرسة فلنقيا شاب فاضل اشتهر بحسن سيرتهِ وصار مثالاً وقدوةً لابرشيّتهِ رجا أن يدخلهُ فيما بين جمعيّة كهنتهِ القانونيّين ويلقّنهُ مقاصدهُ في إصلاح الاكليرس. وفوّض هذا الأمر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى عهدة دومدييكو دي ازيفيو وكان هذا رجلاً مشهوراً بحسن خلقهِ وكمال سيرتهِ. وبعد مباحثات طويلة جرت بينهما عزم عبد الأحد أن يخصّص نفسهُ لا بل جسدهُ أيضاً لمجد اسمهِ تعالى ومجد كنيستهِ المقدسة ويكون أحد أعضاء جمعيّة الكهنة القانونيّين في كنيسة اوسما تحت إدارة رئيسها دومدييكو* وهنا يقول الطوباوي جوردان دي ساكس صاحب تاريخ الاب القديس: انّ عبد الأحد ابتدأ حينئذٍ ان يظهر بين أخوتهِ كسراج وهّاج. وفاق جميعهم قداسةً. ولمزيد تواضعهِ كان يعتدّ نفسهُ آخر الجميع. وأخذت تفوح منهُ رائحة الفضيلة منعشة الحيوة في الصدور. بل أضحى كالبخور المتصاعد في أوان الصيف. فاندهش أخوتهُ من عبادتهِ الجليلة ويا لها من عبادة حتّى أنهم أقاموهُ عليهم رئيساً ثانياً. وكلّما ارتقى درجةً ازداد فضيلةً. وكان لا يبارح الكنيسة ليلاً ونهاراً مثابراً على الصلوة ولا يخرج خارج الدير خوفاً من أن يفقد ساعةً من التأمّل. وقد وهبهُ الله الحبّ المفرط نحو القريب. فانّهُ كلّما شعر بذلّ الخطاة وشقاوة المساكين والحزانى أذرف الدموع الغزيرة من أجلهم. ولرقّة جنانهِ عليهم كان يتأثّر لمصابهم ويضيق صدرهُ لما يلمّ بهم من الرزايا. وما فتئَ يحيي اللّيالي بالصلوات والتكلّم عن عزّتهِ تعالى. ويبتهل إليهِ سبحانهُ كي يمنحهُ محبّةً حقيقيّة ليستهون كلّ صعوبة تعرض لهُ لأجل خلاص البشر. وكان موقناً بأنّهُ لا يقدر أن يكون عضواً من أعضاء المسيح ما لم يخصّص نفسهُ بكلّيتها كحسب استطاعتهِ ليربح النفوس لله اقتداءً بمخلّص العالم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذي قدّم نفسهُ ذبيحةً لأجل خلاصنا من دون أن يذخر شيئاً. وانعكف على قراءة كتاب يبحث عن الرذائل والكمال ليتعلّم جميع الطرق الخيريّة ويتتبّعها بمعونة النعمة الإلهيّة. فحصل بواسطة هذا الكتاب على نقاوة الضمير ونور التأمّل وبلغ درجة عظمى من الكمال* وبقي عبد الأحد مدّة تسع سنوات في اوسما وفي سنة ١٢٠١ ارتقى دومدييكو ازيفيو إلى كرسيّ الأسقفيّة على المدينة المذكورة. وفي ذلك الحين تقريباً بدأ عبد الأحد ينذر الشعب بكلام الله ولكن لم يكن يبتعد كثيراً عن اوسما. وداوم على هذهِ الخدمة إلى حين مبارحتهِ اسبانيا. ومن دون أن يشعر بما دبّرهُ الله لهُ اتّجه إلى المحّل المقدّر لهُ في السنة الرابعة والثلاثين من عمرهِ. وذلك انّ ملك قسطلية أراد في ذلك الزمان أن يخطب لابنهِ أميرة من دانيمرك فاختار لهذهِ المهمّة السيّد دومدييكو وهذا اخذ برفقتهِ عبد الأحد وسافرا إلى شمالي ألمانيا. ولدى دخولهما فرنسا شاهدا ما بلغت إليهِ هرطقة الالبيجيّين وخاصّةً في جنوبي فرنسا. فاغتمّا لذلك غمّاً شديداً. وكان هؤلاء الهراطقة يعلّمون الناس أضاليل كثيرة فظيعة منها انّ الزيجة اثم. وانّ عبادة المسيحيّين الظاهرة غلط. وانّهُ يجب قتل الكهنة. وانّ يسوع المسيح ما هو الله. وانّ مريم ليست عذراء. وكانوا يحبّون السحر ويدّعون انّ الكنيسة الرومانيّة هي امّ الأضاليل. وهذهِ الهرطقة لدى انتشارها أعدّت عساكر للحرب وسمّوها الالباويّة لأنها خرجت من مدينة البي. وبالحقيقة انَّ هذهِ الهرطقة لم تكن الاّ بدعة ماني نفسها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ انّ اسقف اوسما وعبد الأحد لمّا وصلا على تولوزا. لم يحبّا الاقامة فيها أكثر من ليلة واحدة أضافهما فيها رجلٌ عندهُ. وإذ شعر عبد الأحد بأنّهُ هرطوقي لم يشأ أن يترك هذا الرجل في ضلالهِ ولو أقام معهُ زماناً وجيزاً. بناءً على ما قالهُ يسوع المسيح لرسلهِ إذا دخلتم في بيت فسلّموا عليهِ بقولكم: السلام لهذا البيت. فصلّى عبد الأحد وثابر على أن يقضي تلك الليلة بالمحادثة معهُ حتّى أصابت أقوالهُ قلب هذا الهرطوقي واعتنق الايمان الصحيح أن يرتفع النهار. وحينئذٍ تمّت الأعجوبة العظمية والأمر الأعظم الذي وُلد عبد الأحد لاجلهِ. وهي انّهُ تحرّكت فيهِ عواطف الشفقة وتألّم لمشاهدتهِ ما سبّبهُ الضلال من الدمار. فاضمر في قلبهِ وعزم أن يُنشئَ رهبانيّة تدافع عن حقوق الكنيسة بالوعظ. وثبت على عزمهِ هذا ولم يهملهُ قط. فغادر فرنسا وقد أضمر في قلبهِ أمراً يتلألأ بهِ مستقبلهُ*

وبعد ان كابد السيّد دييكو وعبد الأحد مشقّات عظيمة بلغا غاية سفرهما. فوجدا حاشية ملك دانيمرك مستعدّة لإجابة رغبة ملك قسطليّة وأحبّوا مصاهرتهُ. فرجعا حالاً إلى اسبانيا ليخبرا ملكهما بذلك. ثمّ عادا ثانيةً ليأتيا بالأميرة إلى اسبانيا. غير انّ الأميرة ماتت في أثناء ذلك. فلم يبقَ إذ ذاك للسيّد دييكو بدٌّ للحصول على غاية رسالتهِ فانفذ ساعياً إلى الملك يخبرهُ بذلك وتوجّه مع عبد الأحد إلى روميّة. وكان يومئذٍ جالساً على السدّة الرسوليّة انوشنسيوس الثالث. فبعد ان زار المسافران ظريحَي بطرس وبولس ذهبا ليتباركا من قداسة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البابا الذي كان يسوس حينئذٍ كنيسة الله بحكمة وقوّة عظيمتَين. فمنحهما بركتهُ. ولدى رجوعهما من روميّة إلى اسبانيا. سافرا من جديد إلى فرنسا ومكثا في مدينة موبيليه فوجدا فيها ثلاثة سفراء وافوا من لدن البابا ليكبحوا قوّة الهرطقة ويمحوها من هذا القسم من فرنسا. وهؤلاء بعد أن أقاموا مدّة سنة ونيّف لم يظفروا بالنجاح وذهبت مساعيهم سدىً وضعفت قوّتهم وارتخى عزمهم وشعروا بأنّهم غير قادرين على أن يأتوا بدواءٍ ناجع لهذا الداء الداخليّ العضال ولما المّ بالكنيسة المقدّسة من الشرور الخارجيّة في هذهِ البلاد. وانّ حالة الرهبانيّة في الانكيدوك (وكانت سنة ١٢٠٥) قد سقطت في اليأس والقنوط. فاجمع هؤلاء السفراء على أن يخبروا الحبر الأعظم بنتيجة أحوال الأمور ويستعفوا من هذهِ الوظيفة لكونهم لا يستطيعون القيام بها ولا يمكنهم الحصول على فائدة منها. وبينما هم معتمدون على هذا القصد المشؤوم وصل أسقف اوسما وعبد الأحد إلى موبيليه وهي مدينة في جنوبي فرنسا. فأرسل هؤلاء القصّاد في طلبهما ليأتيا عندهم. ولمّا شاهدوا هذين الحازمين التقيّين أخبروهما بما كان واستشاروهما في ذلك. فأخذ هذان يفحصان بتدقيق عن عوائد الهراطقة وأخلاقهم. فعلما أنّ الهراطقة يجلبون الناس إلى مذهبهم بطرق مقنعة وبالوعظ وبظواهر القداسة. فأجابا وقالا لسفراء البابا: انّ الهراطقة يغشّون الناس السدّج بتظاهرهم بأعمال الفقر والتقشّف. فحاربوا النفاق بالحقّ وعارضوا القداسة الكاذبة بديانة صادقة وبتواضع حقيقيّ. فقال لهما السفراء: أيّها الأبوان الفاضلان ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذي تشيران بهِ علينا. فقالا لهم بالهام الروح القدس: افعلوا ما نحن آخذان بعملهِ. وفي الحال اطلقا خدّامهما مع كلّ أموالهما ولم يتركا عندهما سوى كتب قليلة ضروريّة. فتعجّب السفراء ممّا سمعوا ورأوا وحذوا حذوهم تاركين هم أيضاً حالاً ما كانوا عليهِ وأَطلقوا خدّامهم ولم يحرزوا عندهم سوى الكتب اللازمة للجدال. وانطلقوا راحلين مع الأسقف الفاضل وعبد الأحد ليكرزوا بالايمان الحقيقي متمسّكين بالفقر الاختياري. وأخذوا يطوفون في المدن والبلدان ويعظون في الكنائس على الكاثوليكيّين ويناضلون الهراطقة في البيوت الخصوصيّة. فامتدّت رسالتهم في فانجو إحدى مدن جنوبي فرنسا. وكلّل الرب أعمالهم الرسليّة بحادثة غريبة جرت فيها. فانّ الطوباوي جوردان دي ساكس أخبرنا قائلاً انّهُ حدث ذات يوم في مدينة فانجو أن انعقد مجمع حضر فيهِ للمجادلة جمّ غفير من الكاثوليكيّين والهراطقة وهيّأَ كلٌّ من الطرفين طبقاً لمعتقدهِ عدّة قضايا مسندة ببراهين تثبّت حقيقة ايمانهم ولمّا قابلوها فيما بينهم وقع الاستحسان على ما أنشأَهُ الطوباوي رجل الله عبد الأحد. وعزموا أن يقاوموا بذلك عينهِ اعتقادات الهراطقة. ثمّ ارتأى الفريقان أن يختاروا ثلاثة أشخاص ليحكموا أيّ اعتقاد براهينهُ أقوى وأحقّ من الآخر. وأيّهما الأصحّ والأثبت. وإذ لم يتّفق الذين أُقيموا حكماً فيما بينهم فكّروا أن يلقوا في النار الصحائف المحرّر فيها قضايا الطرفَين الحاوية اعتقاد كل منهما والتي تسلم من النار فهي تكون الناطقة بالايمان الصحيح والحقّ. فأُضرمت النار في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حضور الجماعة والتهبت وأُلقي فيها المجلّدان فاحترق حالاً كتاب الهراطقة. وأمّا ما كتبهُ الطوباويّ رجل الله عبد الأحد فأَلقاهُ اللهيب بعيداً سالماً من الحريق. فأُلقي ثانيةً وثالثةً ولم يحترق البتّة. وهكذا أعلنت هذهِ الحادثة الغريبة الايمان الحقيقيّ وقداسة كاتب الكتاب. أمّا الدار التي حدثت فيها الأعجوبة فهي باقية إلى يومنا هذا وقد جعلوها معبداً وهو الآن للآباء الدومنيكيّين من أقاليم تولوزا. ويُرَى أيضاً اليوم في بيعة فانجو الخشبة التي رفع إليها اللّهيب كتاب القديس عبد الأحد. ويخبرنا التقليد بأنّ هذا الكتاب يثبّت حبل العذراء بلا دنس* وتحقّق عبد الأحد بأنّ أخصّ وسيلة فاز بها الهراطقة ونجحوا هي ما اتّخذوهُ من الحيلة وذلك في تهذيب الشابات المسيحيّات اللّواتي كنّ معرضات لخطر فَقْد الايمان بسبب شرف أصلهنّ وانحطاطهنّ فيما بعد. وكان بقرب فانجو في قرية بروي كنيسة مؤَسّسة على اسم العذراء القدّيسة يكرمها الناس أجلّ اكرام. وكان عبد الأحد يحبّ هذهِ الكنيسة وما زال يتردّد إليها ويصلّي فيها. وإذ كان ذات يوم يصلّي على تلّ فانجو طالباً من الله أن يريهُ محلاً مناسباً لبناء ديرهِ رأَى كرة انحدرت من السماء واستقرّت على كنيسة سيّدة بروي المذكورة فأَسّس ديرهُ بقرب البيعة. وأضحت راهبات دير بروي أوّل غصن نبت في دوحة رهبانيّة عبد الأحد. ومذ ذاك الحين أخذ القديس اسم الاخ عبد الأحد رئيس دير بروي. وفي ذلك الزمان عينهِ أعني سنة ١٢٠٦ أتى اثنان وثلاثون راهباً من رهبانيّة القديس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

برنرد (أو من سيتو) وانضمّوا إلى تلك الجماعة الرسوليّة أي إلى سفراء البابا وأسقف اوسما والقديس عبد الأحد ليسعوا سويّةً في ترجيع الهراطقة إلى الايمان. وهذهِ الاعانة هيّجت شجاعة الكاثوليك وأخذت كنيسة الانكيدوك تنتعش بقوّة جديدة بعد ان كانت أشرفت على الخراب. ثمّ انّ السيّد دييكو قصد الرجوع إلى اسبانيا متأكّداً زوال الأخطار وما يخلّ بنجاح الايمان في الانكيدوك. فقفل راجعاً إلى ابرشيّتهِ البعيدة وكان طريقها وعراً ووصل أخيراً وشاهد ثانيةً مدينة اوسما وعلا منبرها بعد أن تركهُ وغاب عنهُ مدّة ثلث سنوات. ثمّ عزم ثانيةً أن يفارق وطنهُ. وفي غضون ذلك انتدبهُ الله إلى دار البقاء. ولمّا بلغ خبر نعيهِ إلى اللانكيدوك عاد الاثنان والثلاثون من رهبانيّة سيتو إلى ديرهم. وأغلب الاسبانيّين الذين كان قد أبقاهم تحت تدبير عبد الأحد رجعوا إلى اسبانيا ومات أحد السفراء الثلاثة. والثاني لم يلبث الاّ قليلاً من الزمان. والثالث فكان مهدّداً بالقتل. فبقي عبد الأحد وحدهُ مشمّراً ساعد الهمّة في ترجيع الهراطقة إلى الايمان متّكلاً على الله. وهكذا مكث أميناً مجدّاً في انجاز العمل حسبما تلهمهُ العناية الربّانيّة مقاسياً الصعوبات والأهوال في تأسيس الرهبانيّة. وفضلاً عن ذلك فانّ أمير تولوزا بعد أن قتل سفير البابا خرّب الأديرة ونهب الكنائس وطرد الأساقفة من كراسيهم وامتنع أن يحكم للكاثوليك الخاضعين لهُ ففقدوا الأمان. وشرع هذا يحامي الهرطقات ويدافع عنها في كل مكان ويرذل الديانة مستخفّاً ومستهوناً إيّاها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان لهذا الأمير أصدقاء ذوو سطوة وشوكة ومن جملتهم ملك اراكون. ولمّا بلغ البابا وكان يومئذٍ انوشنسيوس الثالث خبر قتل أحد سفرائهِ ضرب بالحرم الأمير المجرم وأنذرهُ الملوك الكاثوليكيّون جميعاً بالحرب وذلك سنة ١٢٠٩ فانتشبت الحرب وطالت مدّتها إلى سنة ١٢١٤. ولم يتداخل عبد الأحد في ذلك بل لبث وحدهُ مع بعض رفقاء اتّفقوا معهُ من دون أن يتقيّدوا بنذر وأخذ يدافع عن حقوق الايمان في اللانكيدوك مدّة عشر سنوات مخصّصاً نفسه بجملتها في خدمة خلاص النفوس بالوعظ. ومتكبّداً بطيبة خاطر الإهانات والرذل والضّيقات لأجل اسم سيّدنا يسوع المسيح. وكان أعداء الايمان يؤذون رجل الله فانّ منهم من كان يبصق في وجههِ ومنهم من يرميهِ بالوحل. وكانوا يعلّقون تبناً بجبّتهِ مستهزئين بهِ. ولكنّهُ كان عالي النفس كالرسل ويحتسب ذاتهُ سعيداً إذ يرى أنّهُ صار أهلاً لمكابدة الإهانات لاسم يسوع المسيح. وكان يقتحم غالباً الأخطار بطمأنينة لا مزيد عليها. غير مبالٍ بالمخاوف. وسالكاً دائماً في طريقهِ المستقيم. وكان يحتقر نفسهُ ولا يعدّها شيئاً منعكفاً على القناعة والزهد. وكثيراً ما اكتفى بكسرة خبز وقليل من الحسو ولم يكن يخالف هذهِ المعيشة الاّ نادراً مراعاةً لرفقائهِ والأشخاص الذين يأكلون معهُ. وكان يسلّي رفقاءَهُ المرضى بشفقة يستميل بها القلوب محتملاً أوجاعهم بنوع عجيب. ولم يُرَ امرءٌ مثابر على الصلوة ولا من يسكب دموعاً غزيرة مثلهُ. وكان كلّما تأثّر على الفقراء وبؤسهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يُسمع منهُ أصوات كزئير الأسد. وحينما يتفرّغ للصلوة يصرخ. وكثيراً ما سُمع صوت تنهّدهِ منادياً الله مبتهلاً إليهِ وقائلاً: اللّهمّ ارحم عبيدك وماذا يكون من أمر الخطاة ان لم ترحمهم. وكان يحيي الليالي باكياً ومنتحباً من أجل ذنوب الخطاة. ولم يُسمَع قطّ انّ مار عبد الأحد رقد على فراشٍ. فانّ فراشهُ كان قاع الكنيسة وعندما لم يمكنهُ ذلك كان ينام على سرير أو على الأرض. وكان أحياناً إذا غلب النعاس عينيهِ يضطجع على قارعة الطريق أو قريباً منها. ولم يكن يملك سوى قميص واحد مرقّع*

أمّا هبة صنع العجائب فأخذت تنمو في عبد الأحد كسموّهِ في الفضائل الجليلة. ولنختصر على ذكر واحدة منها وهي أنّهُ بينما كان الملوك الكاثوليكيّون سنة ١٢١١ يحاصرون مدينة تولوزا اتّفق انّ جماعة من الحجّاج الانكليزيّين مرّوا بالقرب من هذهِ المدينة. وفيما هم يعبرون نهر كارون إذا بالقارب انقلب بهم لازدحام الراكبين فيهِ وكان يبلغ عددهم نحو أربعين رجلاً فغاصوا في الماء وأشرفوا على الغرق وأخذوا في أثناء ذلك يعجّون بالصراخات هم ومن كان على شاطئ النهر من الجيوش. وصار ضوضاء عظيمة. وكان مار عبد الأحد حينئذٍ في كنيسة مجاورة لذلك المحلّ فعند سماعهِ تلك الصراخات خرج منها وأقبل إلى شاطئ النهر وانطرح على الأرض يصلّي باسطاً يديهِ بشكل صليب. ولمّا فرغ من صلاتهِ انتصب قائماً وقال بصوت عالٍ: آمركم باسم يسوع المسيح بأن تأتوا جميعكم إلى الشاطئ. وفي الحال طفا الغارقون على وجه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المياه واستعانوا بما قَدّم لهم الجنود من الحراب الطوال إلى أن بلغوا الشاطئ ونجوا من الغريق* وفي خلال ذلك الزمان انعمت مريم العذراء القديسة على ابنها عبد الأحد الأمين وعلّمتهُ تلاوة الورديّة التي تمسّك بها الشعب المسيحيّ جيلاً بعد جيل بعبادة لا توصف. وسيأتي الكلام بالتفصيل عن ذلك في يوم عيد الورديّة المقدّسة الواقع في الأحد الأوّل من شهر تشرين الأوّل. ولنكتفِ بذكرنا انّ عبد الأحد شرع منذ ذلك الحين يعظ بالورديّة. وأخذ جماهير الهراطقة يوافون إلى الدين المستقيم. وفي سنة ألف ومائتين وخمس عشرة جمع عبد الأحد في أحد بيوت تولوزا ستّة تلاميذ خصّصوا ذوّاتهم لله على يدهِ وعوّدهم على الحيوة القانونيّة وألبسهم ثوباً بزيّ الثوب الذي كان مكتسياً هو بهِ. فكلّفت هذهِ الجمعيّة الصغيرة ثمن كدّ وافر على عبد الأحد إذ قضى في اكتسابها مدّة عشر سنوات في الرسالة. وخمساً وأربعين سنة قدّم فيها حياتهُ ضحيّةً لله*

ثمّ سافر بعد ذلك عبد الأحد إلى روميّة ليستمدّ من راس الكنيسة وكيل يسوع المسيح البابا انوكنتيوس الثالث انشاء رهبنةٍ رسليّة تنذر بالإنجيل المقدّس ويثبّتها بسلطانهِ الرسوليّ. وكان ذلك سنة ١٢١٥ فلم يرضَ البابا لأنّ تلك الوظيفة كانت مختصّة بالأساقفة. فشرع مار عبد الأحد يصلّي بحرارة إذ علم انّ الله يمنح بالصلوة كل شيء. هذا وحدث أنّهُ في تلك الليلة رأى في الحلم يسوع المسيح غضبان على الناس ومريم العذراء منطرحةً على قدميهِ مستميحةً مراحمهُ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقدّمت لهُ رجلين فقيرَين الأوّل كان هو نفسهُ أي عبد الأحد. والثاني كان مار فرنسيس السرافيّ الذي جاء أيضاً إلى روميّة في شأن إنشاء رهبنتهِ. وقالت لهُ: يا ابني العزيز ترحّم على العالم فانّهُ سيصطلح بإنذار هذين الرجلين. فقبلهما يسوع المسيح وهدّأَ غضبهُ. ثمّ استيقظ عبد الأحد في الغد. وانطلق إلى الكنيسة فرأى ذلك الفقير بعينهِ أي فرنسيس. فركض إليهِ بسرعة واحتضنهُ وقبّلهُ قائلاً لهُ: أنت شريكي وتمشي معي فلنترافق في خدمة ربّ واحد لغاية واحدة ولا يقوى علينا شيء. فبقيا مشتبكَي القلوب متّحدَّين بالمحبّة. واستدامت هذهِ المحبّة بين أولاد مار عبد الأحد وأولاد مار فرنسيس دائماً حتّى يومنا هذا*

وفي الليل رأى البابا انوكنتيوس كأنّ الكنيسة تهوي ساقطةً ومار عبد الأحد يسندها بكتفهِ. فعلم حينئذٍ البابا إرادة الله بالهام روح القدس فدعا مار عبد الأحد وأمرهُ بالرجوع إلى فرنسا حيث كان تلاميذهُ ويختار أحد القوانين القديمة الموجودة حينئذٍ ويبني عليها رهبنتهُ. فرجع مار عبد الأحد إلى تولوزا فوجد عدد تلاميذهِ الستّة الذين تركهم هناك قبل سفرهِ قد بلغ ستّة عشر. وبعد أن تفاوضوا بالاشعارات الوداديّة أخذهم إلى كنيسة بروي كي يتشاوروا فيها تحت نظر حماية أم الله المبجّلة ويختاروا لهم قانوناً يسلكون بموجبهِ. فاختار مار عبد الأحد قانون مار اوغسطينس لاطّلاعهِ على أجلّ ما يتعلّق بالفرائض الرهبانيّة. ثمّ رجع إلى روميّة مرّةً ثالثة حتّى ينال اجازة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قانونهِ. وكان البابا انوكنتيوس الثالث قد توفّي وتخلّف بعدهُ هنوريوس الثالث. فثبّت هذا الحبر قوانين مار عبد الأحد في سنة ١٢١٦ بمنشورَين وسمّى هذهِ الرهبنة الأخوة الكواريز*

وفي مدّة إقامة عبد الأحد في روميّة كان يتردّد إلى بيت الكردينال اوكولين وكان هناك شابّ أتى روميّة للاحتفال بعيد الفصح ويُدعى غليوم دي مونفرا وكان منظر وخطاب عبد الأحد قد أثّرا في قلب هذا الشابّ لأنّهُ سمع مرّات عديدة أقوال مار عبد الأحد وتعاليمهُ فيما يتعلق بخلاص النفس. فاتّفق مع القدّيس أنّهُ بعد أن يدرس اللاهوت في باريس مدّة سنتين يذهبان سويّةً ليشتغلا في ترجيع الوثنيّين في بلاد الفرس وفي النواحي الشماليّة. وقد كمّل غليوم وعدهُ هذا فانّهُ بعد هذهِ المباحثات بسنين قليلة اقتبل الثوب الدومنيكيّ من يد القدّيس منشئ الرهبنة في دير في باريس. وتوجّه إلى ما بين النهرين وإلى العجم ثمّ إلى بغداد حيث استقام هناك كثيراً مع رفيقَين من رهبنتهِ. وفي مدّة إقامتهِ فيها أمال البطريرك النسطوريّ إلى حبّ الايمان الكاثوليكي*

وإذ كان مار عبد الأحد يصلّي يوماً في بيعة مار بطرس أُغمي عليهِ. وظهر لهُ القدّيسان الرسولان بطرس وبولس فسلّمهُ الأوّل عصا والثاني كتاباً وقالا لهُ: اذهب واكرز لأنّك لهذا الشأن قد أُخترت وللوقت رأى تلاميذهُ ينبثّون في العالم كلّهِ لينذورا بالإنجيل. ومنذ ذلك اليوم لم يزل حاملاً دائماً رسائل مار بولس وإنجيل متّى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان في سفرهِ يحمل في يدهِ عصاً تذكرةً لهذهِ الرؤيا* ثمّ رجع إلى فرنسا وجمع تلاميذهُ ثانيةً في كنيسة بروي مستظلاً بحماية مريم والدة الله. ومن هناك أرسل تلاميذهُ إلى العالم ليشيّدوا أديرة وقال لهم: انّ الحبّ يُثمر إذا زُرع ويفسد إذا خُزن. وعزم أن ينطلق إلى بلاد الشرق لينذر الغير المؤمنين فأَطلق لحيتهُ. ثمّ أراد الذهاب إلى إيطاليا ليكرز وينشئ فيها أديرة. فخرج من فرنسا مع تلاميذهِ وكانوا كلّهم راجلين بدون دراهم مفوّضين أمرهم إلى تدبير العناية الإلهيّة. وعند وصولهِ إلى روميّة أعطاهُ البابا هنوريوس دير مار سكتس وفي مدّة ثلاثة أشهر بلغ عدد الرهبان نحو مائة راهب مع انّهُ كان قد تعب سبعاً وأربعين سنة ولم يحصّل سوى ستّة عشر راهباً. وحينئذٍ فببركة الله صار يأتي إليهِ الناس المدعوّون إلى الرهبنة أفواجاً من كل الجهات بتكاثر وكزهور الحقل في أيّام الربيع التي تُصادَف في كلّ خطوة بدون تفتيش* هذا وانّ عبد الأحد أخذ يستعمل دائماً السلطان الذي أعطاهُ الله إيّاهُ على النفوس. وكانت العناصر تطيعهُ بسرعة لا مثيل لها. وفي أثناء بنيان الأديرة ما برح القدّيس منعكفاً على الوعظ ومواظباً على الإرشاد في كنائس روميّة. ومن ثَمّ كان يخرج صباحاً والعصا في يدهِ ويرجع عند المساء مصحوباً بعدّة تلاميذ ساقتهم إليهِ العناية الإلهيّة. ففي أحد الأيّام أحيى بنّاءً كان قد سقط عليهِ سقف وقتلهُ. ومرّةً أخرى اعترى وكيل خَرْج الدير مرضٌ ثقيل فأَشرف على الموت وزوّدوهُ بالأسرار الأخيرة فشفاهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدّيس بلحظة من ذلك المرض* وفي ذات صباح إذ كان قد عرف عبد الأحد انّ طعام الدير قد نفذ ولم يبق عندهم سوى رغيفين أو ثلاثة من الخبز. أمر أن يُقرَع ناقوس الغداء كالعادة. وبعد أن اجتمع الرهبان وصلّوا الصلوة المعيّنة قبل الأكل جلس كلّ راهب في موضعهِ. أمّا عبد الأحد فلبث منفرداً يصلّي. وإذا بشابَّين لابسين ثياباً بيضاء دخلا حجرة المائدة واقتربا من مار عبد الأحد ووضعا أمامهُ خبزاً قد حملاهُ في ردائهما. فأكل الجميع وشبعوا* ويوماً آخر إذ كان القدّيس واقفاً في باب معبد لدير القدّيس سكستس أتت امرأةٌ مسكينة حاملةً على ذراعيها ابنها وكان ميّتاً. فأَلقت جثّتهُ عند قدمَي القدّيس متوسّلةً إليهِ بدموع حارّة أن يردّهُ لها. فدخل عبد الأحد المعبد ثمّ رجع إلى العتبة ورسم على الولد إشارة الصليب وأخذهُ بيدهِ وأقامهُ حيّاً وردّهُ إلى أمّهِ* ثمّ انّ مار عبد الأحد انتقل هو ورفاقهُ الرهبان إلى دير القدّيسة سابينة. وعزم أن يضمّ الراهبات الرومانيّات مع الراهبات اللّواتي كان قد أقامهنّ قبلاً في دير مار سكستس. وفي ٢٨ شباط من سنة ١٢١٨ اجتمع في هذا الدير الكرادلة الثلاثة اكولن واسطيفان ونقولا مع مار عبد الأحد لأجل ضمّ الراهبات حسبما ذكرنا وحسم هذهِ المسئلة المهمّة. وكانت قد حضرت أيضاً الرئيسة الرومانيّة إلى هناك مع راهباتها لتتنازل علانيةً وشفاهيّاً عن وظيفتها وتترك لمار عبد الأحد كلّ حقوق ديرها. وبينما هم جالسون يتداولون في ذلك وإذا برجل دخل عليهم وهو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يلطم على رأسهِ ويتنهّد ويقول: انّ ابن أخ السيّد الكردينال اسطيفان المدعوّ نابوليون قد وقع من على الحصان ومات. فلمّا سمع الكردينال اسطيفان هذا وقع على صدر الطوباويّ مغشيّاً عليهِ فسندهُ الحاضرون فنهض الطوباويّ عبد الأحد ورشّ عليهِ ماءً مباركاً وتركهُ بين أيديهم ومضى حيث كانت جثّة الشابّ المذكور فنظر إليها وإذا هي مهشّمة ومشوّهة وصائرة جرحاً واحداً. فأَمر أن يحملوها إلى غرفة منفردة ويتركوها هناك. ثمّ طلب أن يعدّوا لوازم القدّاس. وبعدهُ ذهب مع الكرادلة والرهبان والراهبات ورئيستهنّ إلى الموضع الذي نُصب فيهِ المذبح فقدّس الطوباوي بدموع غزيرة. وعندما آن وقت الرفعة وحمل الجسد الإلهيّ على يديهِ ارتفع هو أيضاً عن الأرض بعلوّ ذراع. فشخصت إليهِ عيون الجميع وتحيّروا منذهلين من ذلك. وبعد نهاية القدّاس رجع هو والكرادلة وكلّ من حضر إلى المكان الذي كان فيهِ جسد الميّت. ولمّا وصل إليهِ رتّب أعضاءَهُ بيدهِ المباركة ثمّ اضطجع على الأرض وبسط يديهِ بشكل صليب وشرع يصلّي باكياً ثمّ ركع ثلاث ركعات. وفي كلّ ركعة كان يلمس وجه الميّت وأعضاءَهُ مركّباً كلاًّ في محلّهِ. وإذ نهض في المرّة الأخيرة رسم إشارة الصليب على الميّت ووقف عند رأسهِ باسطاً يديهِ نحو السماء فارتفع وقتئذٍ جسدهُ عن الأرض أكثر من ذراع. ثمّ صرخ بصوتٍ عظيم: يا أيّها الشابّ نابوليون لك أقول باسم يسوع المسيح مخلّصنا قم. فقام الشاب حالاً صحيحاً سالماً أمام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذاك المحفل العظيم المعاين هذا المشهد العجيب وقال للطوباويّ عبد الأحد: يا أبي اعطني طعاماً فأَطعمهُ القدّيس وأعطاهُ ليشرب وردّهُ إلى عمّهِ الكردينال فرِحاً ليس فيهِ أثر جرحٍ*

انّ عبد الأحد مع كثرة أشغالهِ ما زال يجدّ مسروراً لقضاء أعمال خصوصيّة فكان يذهب أحياناً لزيارة الراهبات المنفردات وهنّ بعض نساء حبسنَ ذواتهنّ باختيارهنّ في حفيرات ليسكنّ فيها طول العمر. وكان من جملة هؤلاء الحبيسات واحدة تُدعى بونا (أي صالحة) قد أكل الدود صدرها وهي ساكنة بالقرب من باب المدينة المعروف بباب مار يوحنّا دولاتراده. ففي أحد الأيّام ذهب إليها مرشدها مار عبد الأحد بالقربان المقدّس حسب عادتهِ وبعد أن ناولها الجسد الإلهيّ طلب إليها أن تريهُ إحدى تلك الدودات التي تعذّبها وهي تحفظها على صدرها وتعتبرها كضيوف أرسلتها إليها العناية الربّانيّة. فأَجابت صالحة إلى طلبة القدّيس وأعطتهُ دودة. ومن ساعتها تغيّرت تلك الدودة بيد عبد الأحد صانع العجائب واستحالت إلى حجر كريم وشُفي صدر صالحة وأضحى نقيّاً شبيهاً بصدر الولد* وبلغ إذ ذاك عبد الأحد إلى سنّ الكهولة وكان وقوراً معتدل القامة نحيف الجسم حسن الوجه مائلاً إلى الاحمرار أشقر شعر الرأس واللّحية يسطع من وجههِ نور ساطع يحمل ناظريهِ على احترامهِ ومحبّتهِ. وكان لطيفاً بشوشاً ما لم تمسّهُ أحياناً الشفقة على نوائب القريب*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحدث انّ معلّماً كبيراً من فرنسا اسمهُ ريجينلدوس وافى إلى روميّة وإذ سمع بأخبار مار عبد الأحد أُلهم بروح القدس أن يدخل في رهبنتهِ فعرض طلبتهُ على القدّيس فقبلهُ. وفي أثناء ذلك وقع مريضاً وأشرف على الموت. فتضرّع مار عبد الأحد إلى مريم العذراء لكي يفلت من الموت هذا جنينهُ الجديد إذ لم يتهنّأ بهِ بعد. وإذ كان يصلّي ظهرت مريم العذراء للمعلّم ريجينلدوس ومسحتهُ بدهن سماويّ وأَرتهُ أيضاً ثوباً جديداً من السماء للأخوة الواعظين قائلةً لهُ: هاك ثوب رهبنتك وفي الحال شُفي ريجينلدوس. وبعد ذلك جاء مار عبد الأحد يستخبرهُ عن صحّتهِ متبسّماً. ثمّ شكرا كلاهما الله الذي يجرح ويداوي ويهب كلّ الخيرات لخدّام مريم العذراء. ومنذ ذلك الحين غيّر مار عبد الأحد ثوب رهبنتهِ القديم وألبسها بدلهُ الثوب الذي سلّمتهُ العذراء إلى ريجينلدوس وهو ثوب أبيض على الرقبة وفوقهُ عباءَة وقبّعة سوداوان إشارةً إلى نقاوة الراهب وتوبتهِ بدلاً عن الخطاة* ثمّ انّ عبد الأحد أقام جنديّة أخرى وسمّاها الرهبنة الثالثة وسيأتي الكلام عنها في اليوم الحادي عشر من الشهر الجاري. وناهيك انّ صنف هذهِ الرهبنة قد انتشر في فرنسا واسبانيا والمانيا وبولونيا سنة ألف ومائتين وثماني عشرة. وكانت النعمة الفائقة الطبيعة تفعل في كثير من الاكليريكيّين والفقهاء وصار جمّ غفير من التلاميذ ومعلّمي المدارس العموميّة يوافون إلى هذهِ الرهبنة المذكورة التي قبل زمن يسير كانت مجهولة ومحتقرة* ثمّ انّ عبد الأحد اشتاق كثيراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ان يفتقد أولادهُ المتفرّقين في أماكن مختلفة. وفي فصل الخريف من سنة ١٢١٨ سافر من روميّة لزيارة الأديرة والرهبان الموجودين في فرنسا وأسبانيا. وكان يخصّص النهار لخير القريب بالوعظ والأسفار وبقيّة الأعمال الخيريّة. وأمّا اللّيل فقد خصّصهُ لله ولراحتهِ الخصوصيّة. ومن بعد نهاية الصلوة الجمهوريّة يستمرّ وحدهُ في الخورس يصلّي مجتهداً كيلا يراهُ أحد من رفاقهِ. الاّ أنّهُ كثيراً ما استخفى بعض الأخوة تحت ستر الظلام في الكنيسة مراقبين أفعالهُ التقويّة وعباداتهِ الخصوصيّة. ولدى علمهِ بأنّ الكنيسة خالية لا أحد فيها سواهُ كان يخاطب الله بعواطف قلبيّة خشوعيّة وبحرارة لا توصف وهو يطوف الهيكل ويقف أمام كلّ مذابحهِ ليصلّي تارةً منحنياً وأخرى راكعاً وطوراً منطرحاً على الأرض بعمق الاتّضاع قائلاً مع العشّار هذهِ الكلمات: ارحمني يا ربّ أنا الخاطئ. أو نظيرها. وعند نهوضهِ كان يحدق نظرهُ بالمصلوب ويجثو على ركبتيهِ أمامهُ متأمّلاً فيهِ وأحياناً يتنهّد الصعداء ويقول كلمات الكتاب المقدّس هذهِ وما يشاكلها: صرختُ إليك يا رب فلا تتباعد ولا تردّ وجهك عنّي. وعند ذلك كانت تهطل عيناهُ الدموع ويتلهّف تلهّف مسافر قد قارب الوصول إلى وطنهِ. ولم يكتفِ بهذا كلّهِ بل كان يمزّق جسدهُ في كل ليلة ثلاث دفعات بسياط ذات عقد حديديّة. مخصّصاً الجلدة الأولى كفّارة عن خطاياهُ. والثانية لرجوع الخطاة إلى التوبة. والثالثة لنجاة الأنفس المطهريّة من عذاباتها. وبعد أن يقضي هكذا جانباً طويلاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من الليل قبل أن يُقرَع ناقوس صلوة الليل يصعد إلى حجرة النوم ويدور على كلّ واحد من الأخوة مباركاً إيّاهُ بإشارة الصليب. ثمّ ينزل وينتظرهم في الخورس. ولمّا يُقرَع ناقوس الصلوة كان يشترك معهم بترتيل الفرض الإلهيّ وبعدهُ يذهب وينام في إحدى زوايا الدير لأنّهُ لم يكن لهُ حجرة معيّنة كبقيّة الأخوة. وكثيراً ما اضَّجع وهو لابس ثيابهُ كالعادة أينما حلَّ ووُجد وذلك امّا على سريرهِ وامّا على قبر أو على الحضيض. ومارس عبد الأحد هذهِ الأفعال مدّة حياتهِ كلّها حتّى يوم وفاتهِ. وقال يوماً لأحد رهبان دير سيتو: انّي أعلمك بشيءٍ لم أقلهُ بعد لأحد فاطلب منك أن لا تكاشف أحداً عليهِ بل احفظهُ كسرٍّ إلى يوم وفاتي. وهو انّ الله لم يرفض شيئاً ممّا سألتهُ ايّاهُ في مدّة حياتي كلّها. وفي سنة ١٢٢١ احتفل عبد الأحد المجمع العموميّ الثاني لرهبنتهِ المشتملة حينئذٍ على ستّين ديراً. وبعد نهاية المجمع بزمن يسير اقتبل عبد الأحد من السماء خبر دنوّ وفاتهِ وذلك انّهُ بينما كان يصلّي يوماً وإذا بشابّ بشّرهُ قائلاً: يا عبد الأحد حبيبي تعالى إلى النعيم تعال. فعلم ان قد دنا وقت رحيلهِ من هذهِ الدنيا فانطلق وخطب على تلاميذ المدرسة الكبيرة في بولونيا وقال لهم: يا أصحابي أنا في صحّة وعافية ولكن قبل عيد السيّدة أموت. وفي أواخر شهر تموز أصابهُ وجعٌ شديد في رأسهِ. وأحسّ في بطنهِ بألم وأخذتهُ حمّى ثقيلة. ثمّ انّهُ جمع رهبانهُ وقال لهم: انّي مائت بتولاً فان كنتم تحبّون البتوليّة فاحذروا من العشرة السيّئة واعتصموا بالله بجهد روحيّ. وانشروا هذهِ الرهبنة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكونوا شجعاناً في التقوى وفي حفظ القوانين وتكاثروا دائماً في الفضيلة لأنّها هي تركتي لكم يا أولادي. وتمسّكوا بالمودَّة واحفظوا التواضع واملكوا الفقر. وفي الآخر أتوهُ بأسرار البيعة المقدّسة ومشحوهُ باكين عليهِ فقال لهم: لا تبكوا أنا أنفعكم في الموضع الذي انطلق إليهِ أكثر ممّا هنا وأمرهم أن يصلّوا لهُ صلاة توديع النفس. وفيما هم يصلّون قال لهم امهلوني قليلاً. ثمّ قال وهو واقع يديهِ إلى السماء: يا أبتاه قد قضيتُ إرادتك وحفظتُ الذين اعطيتنيهم فاحفظهم يا رب واحرسهم. ثمّ أمر أن يتمّموا الصلوة. ولمّا قالوا بادروا يا قدّيسي الله واحملوهُ يا ملائكة الربّ رفع يديهِ وعينيهِ إلى السماء واسلم روحهُ فاخذتهُ الملائكة. وكان ذلك يوم الجمعة سادس يوم من شهر آب وقت الظهر سنة ١٢٢١ وعمرهُ نحو إحدى وخمسين سنة. وشاع خبر موتهِ فتقاطر الناس ليحضروا دفنتهُ. وانّ راهباً اسمهُ البرنس كان محبّاً لمار عبد الأحد ويودّهُ مودّة عظيمة ومار عبد الأحد أيضاً يحبّهُ. فاتّفق لهُ عند رجوعهِ من سفر طويل أَن حظي بالناس ماضين ليدفنوا القدّيس. فلمّا رأى تلك الحال اضطرب واغتمّ فترامى على القدّيس وشرع يقبّل وجه الزكي ويديهِ ورجليهِ وثيابهُ ويناديهِ قائلاً: يا أبي يا أبي ثمّ احتضنهُ ليودّعهُ. فنهض القدّيس واحتضنهُ كذلك وقال لهُ: لا تبكِ يا البرتس لأنّك في هذهِ السنة تلحقني فنسكن سويّةً مع المسيح. وفي تلك السنة عينها مات الراهب البرتس*

ودفنوا مار عبد الأحد في المكان الذي طلبهُ حيث تُدفن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرهبان وانقضت دفنتهُ بتهاليل وفرح. ولم يُكتَب اسمهُ على حجر القبر لأنّ قبور الأولياء تخبر الناس بقداسة سيرتهم. ومجدهم يخرق الحجارة ويرنّ في هدوّ الضريح كالشمس تخرق الغمام وكالبدر ينير في ظلمة الليل*

وحدث كرامات باهرة وافرة على قبرهِ بمجرّد ندبة اسمهِ فقط. فكان كثير من المرضى يأتون إلى قبرهِ ويرجعون متعافين. ولمّا زاد عدد الأخوة ولم تكن الكنيسة تكفيهم. هدّوا حيطانها وبنوا كنيسة أخرى غيرها وبقي القبر بلا حراسة مدّة اثنتي عشرة سنة إلى زمان البابا غريغوريوس التاسع. فاقبل هذا البابا ووبّخ الأخوة على تركهم قبر أبيهم الطاهر. وأمر مطران مدينة راونّة أن يذهب مع كل اقليروسهِ إلى مكان القبر ويحوّلوا جسدهُ إلى قبر آخر أهل لهُ. وبعد عيد العنصرة بيومين سنة ١٢٣٣ فتحوا قبرهُ ففاح منهُ رائحة لم يشتمّ مثلها أحد من الحاضرين. ثمّ أخرجوا جسد هذا القدّيس ووضعوهُ في صندوق جميل ثمين من خشب وحملوهُ إلى الكنيسة الجديدة بزياحات عظيمة. وهناك دفنوهُ في قبر يليق بهِ وجرى في ذلك اليوم معجزات عظيمة. ولمّا أُخبر بذلك البابا غريغوريوس التاسع صاح أمام الكردنالات قائلاً: أنا لا أشكّ في قداسة مار عبد الأحد وأقرّ بأنّها كقداسة الرسولين بطرس وبولس. ثمّ انّهُ جمع مجمعاً مقدّساً وحكم في براءَة بأنّهُ قدّيس وكتب اسمهُ في سفر القدّيسين. ومنذ ذلك اليوم انتشرت العبادة لمار عبد الأحد في جميع العالم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ببراءَة البابا واحتُفل بعيدهِ في اليوم الرابع من شهر آب وشُيّد لهُ مذابح وكنائس في أمكنة كثيرة. وكما أنّ مجد القدّيسين يتواصل من جيل إلى جيل كذلك في أيّامنا الحاضرة يصنع هذا القدّيس دائماً أعاجيب عظيمة. من ذلك انّهُ في اليوم الخامس عشر من شهر ايلول سنة ١٨٧٠ حينما كنّا نصنّف هذا كتاب سيرة القديسين حدث منهُ كرامة باهرة في سُريانو وهي قرية من قرى كلاَبريا في ايطاليا. وذلك انّهُ في ذلك اليوم تصنع رهبنة الأخوة الواعظين تذكاراً لأبيهم مار عبد الأحد في سُريانو وكثير من العبّاد لهذا القديس يأتون من أماكن بعيدة ليزورهُ في كنيسة الدومنكيّين التي هي في سُريانو. ويوجد في هذهِ الكنيسة صورة من خشب لهذا القدّيس وهي عظيمة جدّاً بالكاد يقدر أن يحملها خمسة رجال أقوياء. ففي ليلة هذا اليوم شرعت هذهِ الصورة تتحرّك من ذاتها. وكذلك صباحاً في القدّاس. ولم يشاهدها أولاً الاّ بعض النساء العابدات ولكن بعد ذلك شاهدها جميع الحاضرين في الكنيسة فكانوا يرون وجه مار عبد الأحد يتغيّر من لون إلى لون تارةً يصفرّ وتارةً يحمرّ وهو عرقان عرقاً غزيراً وعينيهِ تتحرّكان إلى كلّ جهة ولا سيّما إلى جهة مريم العذراء سلطانة الورديّة المقدّسة المنصوبة هناك وأحياناً تشخصان في السماء وشفتيهِ تتحرّكان كشفتي إنسان يتكلّم بشدّة. ويديهِ تمتدّان وتتحرّكان بحركة الواعظين ويدهُ اليمنى التي كانت مُطبَقَة فُتحت واستمرّت هكذا إلى الآن. والزنبقة التي كانت في يدهِ اليسرى تهتزّ. وشاهدوا قامتهُ تارةً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تنحني إلى قدّام وتارةً إلى خلف وطوراً إلى ذات اليمين وأخرى إلى ذات الشمال. ورُؤى أحياناً وجههُ غضوباً. وكانت تلك الحركات قويّة جدّاً حتّى بانت الصورة للذين كانوا حولها انّها كادت تسقط عليهم. وشوهدت بعض مرّات تنهض من على قاعدتها ثمّ تقف في مكانها والقاعدة غير متحرّكة. واستمرّت هذهِ الحركات العجيبة غير منقطعة إلى الظهر. وحينئذٍ زادت وقويت. وكانت جميع النساء اللّواتي في الكنيسة يرينها وهنّ يرصدنها متعجّبات ويبحثنَ عن حقيقتها بتدقيق ولمّا وقفنَ على حقيقتها خرجنَ من الكنيسة وأَذعنَ الخبر في كلّ المدينة. فتقاطر الناس إلى الكنيسة وازدحموا فيها. وكانت تُرَى الناس من أماكن مختلفة داخلين إلى الكنيسة وخارجين منها في كلّ برهة وهم متحيّرون من هذا الحادث. واجتمع حول تلك الصورة طائفة من الرجال الخبيرين بالطبيعيّات وشرعوا يفحصون تلك الحركات لعلّها. كانت مسبَّبة بخواص طبيعيّة. وبعد الفحص المدقّق اثبتوا أنّها كانت حركات حقيقيّة غير ناشئة عن أشياء طبيعيّة. لأنّهم رفعوا كل شيء كان حول الصورة أو تحتها أو قريباً منها. ومع ذلك لم تنقطع تلك الحركات القويّة العجيبة. واستمرّت هذهِ الأعجوبة إلى بعد الظهر وثبّتها قضاة البيعة بعد الفحص المدقّق واستشهاد الناس الكثيرين ممّن عاينوا الأعجوبة وأخصّهم واحد وستّون شاهداً. ولا غرو انّ مار عبد الأحد أراد بهذهِ الأعجوبة أن يوبّخ الناس ويهدّدهم بغضب الله وبعقابهِ الصارم الذي استحقّوهُ من جرى خطاياهم ويحثّهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على تغيير سيرتهم والرجوع إليهِ تعالى بالتوبة والالتجاء إلى مريم العذراء بثقةٍ ولا سيّما بعبادة الورديّة المقدّسة*

* اليوم الخامس *

سيّدتنا مريم العذراء المعظّمة ذات الثلج

انّ الكنيسة المقدّسة قد رسمت في مثل هذا اليوم عيداً لسيّدتنا مريم العذراء باسم ذات الثلج. وذلك لأنّهُ كان في عهد البابا ليباريوس في روميّة رجل شريف غنيّ يقال لهُ يوحنا بطريقيوس وقد تزوّج هذا بامرأة من أولي الشرف مثلهُ. ولم يرزقهما الله ولداً ليكون وريثاً لأموالهما. فصارا لذلك حزينّين مكسورَي القلب. غير انّ حسن تقواهما جعلهما أن يفوّضا أمرهما إلى الله مباركين عنايتهُ الإلهيّة. وحيث انّهما كانا متعبّدَين لسيّدتنا مريم العذراء. عزما أن يتّخذاها وريثةً لأموالهما فشرعا يصلّيان إليها بانبساط قلب طالبَين منها أن تكشف لهما في أيّ عمل تريد أن ينفقا أموالهما اكراماً لها. فاستجابت ملكة السماء طلبتهما وفي ليلة اليوم الخامس من شهر آب ظهرت لكّ منهما على حدة في الحلم وقالت لهما: غداً صباحاً اذهبا إلى جبل اسكويلين (وهو أحد الجبال المبنيّة عليها مدينة روميّة) فتجدا موضعاً مغطًّى بالثلج وعمّرا هناك كنيسة على اسمي وبهذا أرضى أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أكون وريثة أموالكما. فلمّا طلع النهار قصّ يوحنّا بطريقيوس رؤياهُ على امرأتهِ. وهي أيضاً اقتصّت عليهِ رؤياها. ثمّ انّهما اعلما البابا ليباريوس بهذهِ الرؤيا. وكانت مريم العذراء قد أوحت بتلك الرؤيا عينها إلى البابا أيضاً. فحينئذٍ اجتمع الاقليروس والشعب وذهبوا إلى الجبل بزياح حافل ولمّا ارتقوا إلى أعلاهُ وجدوا فيهِ بقعة كبيرة مغطّاة بالثلج وكان ذلك في شهر آب. فتأكّد لدى يوحنّا بطريقيوس وامرأتهُ كرامة مريم العذراء وعمّرا هناك كنيسة فاخرة. ولسبب الكنائس الكثيرة المشيّدة حينئذٍ في روميّة على اسم مريم العذراء دُعيت هذهِ الكنيسة أوّلاً باسم كنيسة مريم العذراء ذات الثلج ثمّ دُعيت كنيسة ليباريوس لأنّ الكرامة التي صارت سبباً لبنيانها حدثت في عهد البابا ليباريوس. ثمّ انّهم سمّوها كنيسة سكستس لأنّ البابا سكستس الثالث خليفة قلسطينس رمّمها وزيّنها بأمتعة فاخرة. ثمّ دعوها كنيسة مريم العذراء ذات المذود لأنّهم كانوا قد وضعوا في إحدى معابدها المذود الذي فيهِ وُضع السيّد المسيح عند ولادتهِ في بيت لحم. أخيراً أُعيد عليها اسمها الأوّل اسم كنيسة مريم العذراء العظيمة ذات الثلج لسبب الكرامة التي حدثت في عهد بنيانها وأيضاً لسبب سموّ شرفها*

وقد جازت سيّدتنا مريم العذراء يوحنّا بطريقيوس وامرأتهُ بأكثر ممّا لو نالت لهما من الله أولاداً. لأنّها جعلت أن يتخلّد بهذا العمل ذكرهما بعد موتهما أكثر ممّا بأولادهما. ومن هنا يتّضح أنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذين يجودون بأموالهم في سبيل الله لهم أجر عظيم وذكر دائم لا ينمحي*

* اليوم السادس *

تجلّي ربّنا يسوع المسيح

انّ الكنيسة الكاثوليكيّة تحتفل عيداً لذكر تجلّي ربّنا يسوع المسيح المجيد لأنّهُ إشارة لسرّ الثالوث الأقدس وسرّ الفداء وقداسة ابن الله والمجد الذي هو مزمع أن يأتي بهِ ليدين الأحياء والأموات وينقذ الأجساد من الفساد ويمجّدها مع جسدهِ. وفي هذا تعزية عظمى لأولاد آدم التائقين للوصول إلى مينا الراحة الأبديّة بعد نجاتهم من غريق أمواج الدنيا المضطربة* انّ يسوع المسيح سبق وأنبأ تلاميذهُ بما سيكابدهُ من الاهانات والأحزان في أثناء آلامهِ ومن ثمّ حرّضهم على الاقتداء بهِ بحملهم صليبهم واتّباعهم لهُ في هذهِ الطريق المؤدّية إلى الخلاص. وبناءً عليهِ قال بولس في رسالتهِ الثانية إلى طيماثاوس في العدد الحادي عشر والثاني عشر من الاصحاح الثاني ما نصّهُ. ان كنّا قد متنا معهُ فسنحيا معهُ أيضاً وان نحن صبرنا فسنملك معهُ. وان كفرنا بهِ فسيكفر بنا. والحال انّ الذي لا علم لهُ بالغاية لا يقدر أن يتحرّى بشجاعة اتّخاذ الوسائط للحصول على تلك الغاية بنوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ أعظم شيء يرجو الإنسان نوالهُ وما يتوقّعهُ من المجازاة الكبرى يخفّفان عليهِ الصعوبات والمشقّات التي يصادفها في استعمال الوسائط لا سيّما إذا كانت عسرة جدّاً ومعاكسة لميل الطبيعة. وكما أنّ يسوع المسيح لم يدخل إلى ملكهِ السماوي الاّ بصلبهِ وموتهِ فكذلك الرسل وجميع المسيحيّين لا يقدرون أن يحصلوا على السعادة والتمتّع بمشاهدتهِ تعالى في السماء الاّ باحتمال الشدائد والضيقات. فبناءً عليهِ قد لاق بيسوع المسيح وهو في هذهِ الحيوة أن يظهر للرسل وبشخصهم لجميع المؤمنين صورة المجد السماوي لكي يبيّن لهم صورة المجد المعدّ لهم وللمؤمنين في السماء حتّى بعد أن يكونوا قد شاهدوا هذا المجد الغير المتناهي وتحقّقوا وجودهُ يقدّمون نفوسهم ببسالة وتجلّد لمقاساة شدائد هذهِ الحيوة التي لا بدّ من مقاومتها. هذا ما قصدهُ ربّنا لهُ المجد بتجلّيهِ أمام رسلهِ الكرام* وقد أراد أيضاً ربّنا يسوع المسيح بسرّ تجلّيهِ أن يثبّت الرسل في الايمان بآلوهيّتهِ كي لا يشكّوا بهِ لدى رؤيتهم ايّاهُ مائتاً على الصليب. ثمّ ليظهر للجميع ان لا سلطان لأحد أن ينزع عنهُ حياتهُ رغماً عن إرادتهِ بل انّما طوعاً اختار أن يقرّب ذاتهُ للموت حبّاً بنا* أخيراً مراعاةً لخيرنا لم يحبّ أن يتردّى بهذا المجد الذي يليق بهِ منذ أوّل دقيقة ميلادهِ وفي مدّة حياتهِ كلّها وذلك كي لا نستثقل الاقتداء بموتهِ في ناسوتهِ*

انّ الإنجيل المقدّس لم يخبّر على أيّ جبل تجلّى المسيح. غير انّ الرأي العامّ هو انّهُ تجلّى على طور تابور المجاور للناصرة كما يؤيّد ذلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مار هيرونيمس ومار يوحنا الدمشقيّ وغيرهما. وهذا الجبل كان معتبراً جدّاً بغلبة باراق ودبورة فيهِ على سيسرا قائد جيوش يابين ملك كنعان. ويدلّ على ذلك بانّ ربّنا يسوع المسيح وعظ فيهِ تلك العظة الطويلة المتضمّنة أخصّ التعليم المسيحي وكمالهِ. وقد تنبّأَ النبي والملك داود قبل ذلك بكثير عن شرف جبل تابور فقال: تابور وحرمون باسمك يرنّمان (مزمور ٨٨: ١٣) أخيراً على هذا الجبل قد تراءَى ربّنا يسوع المسيح بعد قيامتهِ لأكثر من خمسمائة تلميذ*

فعلى هذا الجبل صعد يسوع المسيح حسب مألوف عادتهِ ليقضي اللّيل في الصلوة ولمّا صار على الجبل مع بطرس ويعقوب ويوحنّا شرع يصلّي. وفيما كان يصلّي تجلّى قدّام تلاميذهِ واضاء وجههُ كالشمس وصارت ثيابهُ بيضاء كالثلج وشاهدوا عن جانبيهِ موسى وايليّاء متوشّحَين بالأنوار التي كانا يستمدّانها من ربّهما وهما يخاطبانهِ. ففي هذا التجلّي لم يغيّر المسيح جوهر جسدهِ ولكنّهُ البسهُ ضياءً جديداً خارقاً في كل أعضائهِ. أو جعل أن يضيء وجههُ بنور يسطع على كل جسدهِ ويري ثيابهُ أشدّ بياضاً من الثلج. فالإنجيل المقدّس لكي يحسن وصف الضياء الباهر العجيب الغير المدرك الذي تسربل بهِ السّيد المسيح في تجلّيهِ شبهّهُ بالشمس وشبّه ثيابهُ بالثلج لأنّهُ لا شيء أسطع ضياءً من الشمس ولا أشدّ بياضاً من الثلج*

وقد سمّى الانجيليّون هذهِ الحالة المجيدة التي رُؤي فيها يسوع المسيح على الجبل تجلّياً أعني ظهوراً لأنّ المسيح بذلك قد أظهر لاهوتهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أمام تلاميذهِ وأشار إلى المجد الذي ستحصل عليهِ نفوس القدّيسين بعد القيامة العامّة وإلى الخواصّ الأربع التي ستتمتّع بها أجسادهم إذ ذاك وهي عدم الزوال والخفّة والخرق والبهاء* ثمّ انّ الإنجيل يقول انّ موسى وايليّاء ظهرا مع المسيح بمجد. وذلك لكي يكونا شاهدين لهذا التجلّي المجيد. أمّا ايليّا فقد أتى من الموضع الذي حُفظ فيهِ بنفسهِ وجسدهِ. وأمّا موسى فانّهُ قام بجسدهِ وظهر. وهذا وفقاً لقول أغلب المعلّمين. وقد أذن الربّ بظهور هذين النبيَّين فضلاً عن غيرهما. لأنّ موسى كان إشارةً إلى الناموس وايليّا إشارةً إلى الأنبياء. إذ أنّ الناموس والأنبياء قد أدّوا شهادة للمسيح. ولكي يتأكّد عند تلاميذهِ انّهُ هو المسيح وليس ايليّا أو ارميا أو واحد من الأنبياء كما كانوا قد سمعوا. وبرؤيتهم ايليّا عينهُ عن جانب يسوع يتوطّد ايمانهم بهِ. وأراد بذلك أيضاً ان يبيّن انّهُ ديّان الاحياء والأموات إذ أنّ موسى كان قد مات وايليّا هو حيّ بعد وقد اختارهما أيضاً لأنّ موسى كان مُعطي الشريعة وأكرم أنبياء إسرائيل. وايليا كان غيوراً على مجد الله وعلى حفظ شريعتهِ. وذلك لكي يشهدا لهُ بأنّهُ لم يأتِ ليحلّ ناموس موسى بل ليكمّلهُ ويطلب في كلّ شيء مجد أبيهِ الأزليّ*

انّهُ ممّا يستحقّ الذكر والاعتبار هو انّ هذين النبيّين المعظَّمين حينما ظهرا مع يسوع المسيح وهو ملتحف بالعزّة والمجد. كانا يخاطبانهِ عن الآلام والميتة التي كان مزمعاً أن يكابدها في أورشليم. وكيف انّهُ هو مع كونهِ الكنز الغير المتناهي الحاوي حكمة الله وعلمهُ سيُعامَل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كأحمق ويصمت قدّام المشتكين عليهِ لكي يخلّص بهذا الهوان وبعار الصليب أولئك الذين يؤمنون بهِ. ويظهر انّ كل حكمة هذا العالم ما هي الاّ جهالة أمام الله*

واستيقظ الرسل من رقادهم ورأوا مجد سيّدهم وموسى وايليّا واقفين معهُ يخاطبانهِ. ولمّا أزمع هذان النبيّان أن يفارقا يسوع قال لهُ بطرس: يا معلّم جيّد أن نكون ههنا. فلنصنع ثلاث مظالّ لك واحدة ولموسى واحدة ولايليّا واحدة. وذلك لأنّ بطرس لمّا كان أشدّ التلاميذ غيرةً على يسوع ولا يحبّ أن يسمع شيئاً في شأن آلام معلّمهِ وموتهِ قال هذهِ الكلمات ليصدّهُ عن الآلام والموت لأنّهُ بُهر بتلك الرؤيا السماويّة فتكلم بدون حسّهِ غير مفتكر في ما يخصّ خير البشر. ولهذا أضاف لوقا الإنجيليّ قائلاً: لم يكن يعلم ما يقول*

وفيما كان بطرس يقول ذلك إذا بسحابة ظلّلتهم وصار صوت من السحابة يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ لهُ اسمعوا. وقد جاءَت هذهِ السحابة لأنّ الله غالباً يظهر عزّتهُ بالسحب لعلوّها وسموّها لكي يبيّن أنّهُ رب السماء واله الحق. وأراد الله بهذا الصوت ان يبيّن أنّ يسوع المسيح هو ابنهُ بالطبيعة والجوهر وانّهُ تعالى بهِ سكّن غضبهُ عن البشر وتصالح معهم. ويأمرنا أن نسمع لهُ بما أنّهُ معلّمنا وكلامهُ كلام حيوة وتعليمهُ إلهيّ. ومن هذا الصوت سقط التلاميذ على وجوههم وخافوا جدّاً. وذلك لأنّ الطبيعة البشريّة لضعفها لا تقدر أن تثبت أمام الأشياء الإلهيّة ان لم يعضدها الله كما فعل المسيح وقتئذٍ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إذ جاء إليهم ولمسهم بيدهِ وقال لهم: قوموا ولا تخافوا* ولمّا نزلوا من الجبل أوصاهم يسوع أن لا يعلموا أحداً بما رأوا حتّى يقوم من بين الأموات. ويقول لوقا الإنجيلي أحداً بما رأوا حتّى يقوم من بين الأموات. ويقول لوقا الإنجيلي أنّهم سكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيّام بشيءٍ ممّا أبصروهُ. فبهذا يعلّمنا يسوع المسيح أنّ الأسرار السامية لا ينبغي أن تُكشَف لجميع الناس سويّة لكن للرؤساء أوّلاً وبواسطتهم بحسب الأحوال المناسبة إلى الآخرين. كما فعل المسيح بإظهار مجدهِ في التجلّي لثلاثة فقط وهم عظماء الرسل. وهولاء أخبروا بذلك بقيّة الرسل والكنيسة كلّها*

فهذا هو سرّ تجلّي ربّنا يسوع المسيح المجيد الذي تعيّدهُ الكنيسة المقدّسة في هذا اليوم. وهو رؤيا الاهيّة تثبّت ايماننا وتوطّد رجاءَنا وتضرم محبّتنا وتنشئ في قلوبنا خوفاً بنويّاً لله ابينا. وتؤكّد مجد المسيح الذي سيحصل عليهِ أيضاً أولادهُ الحقيقيّون لأنّهُ حيث يكون الراس فهناك تجتمع الأعضاء*

انّ طور تابور قد تشرّف وتعظّم بتجلّي ربّنا يسوع المسيح عليهِ. ولهذا بنى المسيحيّون بعد ذلك على قمّتهِ ثلاث كنائس إشارةً إلى المظالّ الثلاث التي أراد بطرس أن يصنعها فيهِ. وعمّروا إلى جانبها ديراً ويحجّون إلى هذا الجبل اجلالاً لسرّ تجلّي ربّنا يسوع المسيح لكي يشكروهُ على هذا الاحسان وتنتعش قلوبهم بمحبّتهِ. ويصبروا على احتمال كلّ شدائد هذهِ الحيوة رجاءَ نوال المجد السماويّ الذي أعدّهُ لهم في الآخرة مظهراً ايّاهُ في سرّ التجلّي الجليل*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السابع *

مار غايطان الثيانيّ منشئ جماعة الاقليرس القانونيين

انّ القدّيس غايطان كان شريف الأصل من بني الأغنياء. ووُلد سنة ١٤٨٠ في مدينة ويقَنسا من أعمال لمبرديّة في ايطاليا. ومن حين ميلادهِ وضعتهُ أمّهُ في حماية مريم العذراء. ولمّا بلغ سنّ التمييز شرعت تعلمهُ الفضائل. وحرّضتهُ على التواضع والحلم والطهارة. فتعلّم الصبيّ من أمّهِ الفاضلة هذهِ الدروس الروحيّة جيّداً وعمل بها. فكان أنيس الطبع مليح الشمائل محبّاً للصلوة والتأمّل في الحقائق الأبديّة متجنّباً من الملاهي الدنيويّة والأحاديث الباطلة* وكان بشوش الوجه مع جميع الناس ورحوماً على الفقراء. ويساعدهم بكلّ ما يمكنهُ تحصيلهُ من أهلهِ وأقربائه. ولهذهِ الخصال الحميدة لقّبوهُ بالفتى القدّيس* وكان مع كلّ أعمالهِ التقويّة نشيطاً في درس العلوم. وتعلّم علم اللاهوت والفلسفة والفقه المدنيّ والبيعيّ* وعمّر بمالهِ كنيسةً في أرض لهُ لأجل أهل القرى المجاورة لكي يقدروا أن يسمعوا فيها القدّاس أيّام الآحاد والأعياد*

وأحبَّ هذا الشاب القدّيس أن يخدم الله في السيرة الكهنوتيّة. فانطلق إلى روميّة رجاء أن يتعلّم هذهِ السيرة المقدّسة* وشاع صيتهُ لسبب فضائلهِ وعلمهِ. فقلّدهُ البابا يوليوس الثاني وظيفة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كاتب رسولي في القصر المقدّس. وأخذ الدرجات المقدّسة ودخل في أخويّة تُعرَف بأخويّة المحبّة الإلهيّة. وكان أصحابها أناساً أتقياء يبذلون مجهودهم في انتشار مجد الله* وبعد موت البابا يوليوس الثاني استعفى من تلك الوظيفة. ورجع إلى ويقَنسا مدينة وطنهِ. وهناك اشترك في أخويّة مار هيرونمس التي بُنيت على أساس أخويّة المحبّة الإلهيّة والمؤلَّفة من أصحاب الصنائع. وكانت مخالطتهُ لهم تسرّهُ وتحزن أهلهُ وعشيرتهُ وأصدقاءَهُ العائشين في العالم. فكانوا يلومونهُ على أنّهُ بذلك كان يجلب عاراً على عشيرتهِ. أمّا هو فلم يكن يبالي بلومهم. بل زاد على ذلك وأخذ هو بشخصهِ يداري المرضى ويخدم الفقراء. وكان جميع الناس يتعجّبون من محبّتهِ التي جعلتهُ من بعدما كان سيّداً شريفاً أن يتذلّل ويصير عبداً للجميع*

وانطلق بمشورة معلّم اعترافهِ إلى مدينة بندقيّة. فوجد فيها بيمارستاناً متهدّماً. فرمّهُ من كيسهِ. وأوقف لهُ كلّ الأموال التي تركها لهُ أهلهُ. وكان كلّ من يحضر إليهِ يجد عندهُ دواءً شافياً لادواء النفس والجسد* وبأعمالهِ هذهِ السامية شاع صيتهُ فاكرمهُ كلّ أهل بندقية. وكانوا يعتبرونهُ كملاك نزل عليهم من السماء* واقتدى بهِ جمّ غفير من أشراف تلك المدينة. فكانوا يأتون إلى البيمارستان ويخدمون المرضى ويضمّدون قروحهم ويطعمونهم ويكنسون مآويهم مكلّفين نفوسهم كلّ الأعمال الدنيّة اللازمة في البيمارستان*

وكان الله قد أعدّ لغايطان عملاً عظيماً. وهو إنشاء رهبنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جديدة تؤدّي فوائد جزيلة للكنيسة المقدّسة بفضائلها وعلمها. فالهمهُ أن ينطلق إلى روميّة. وكان ثمّ ملازماً خدمة البيمارستانات. ووجد بعض أصحابهِ الفضلاء الذين كان قد اشترك معهم في أخويّة المحبّة الإلهيّة قد صاروا أساقفة. وإذ كان يخاطبهم عن حاجات الكنيسة. أحسّ بوجوب إنشاء رهبنة مؤلّفة من الاقليرس القانونيّين يكونون بحسن سيرتهم واحتشامهم وطهارة سيرتهم يهذّبون عوائد المسيحيّين ويشتغلون من أجل مجد الله وخلاص النفوس* فاظهر نيّتهُ لرجل من أشرف أهل الأخويّة المذكورة كان مشهوراً في روميّة بحسبهِ ونسبهِ وغناهُ وفضيلتهِ وكان اسمهُ بُنِفاقيوس. وكان خليلاً مخلصاً للقدّيس* فهذا الرجل وطّد عزم غايطان وقدّم نفسهُ ليكون شريكاً ومعيناً لهُ في هذا العمل. واتّفق معهما يوحنّا بطرس كرافا اسقف مدينة ثآته. وكان ذا فضل شهير (وصار فيما بعد بابا باسم بولس الرابع). ورجل آخر طاهر السيرة يُدعى بطرس كنْسلياري* فهولاء الأربعة بعدما استمدّوا المعونة من الله ألّفوا قوانين الرهبنة التي أرادوا مباشرة إنشائها. وعرضوها على البابا اقليميس السابع. وطلبوا من قداستهِ تثبيتها. فبعدما فحص البابا أمرهم أجاب إلى طلبتهم وأحسن إليهم. وثبّت عملهم ببُلّةٍ تاريخها في ٢٤ حزيران سنة ١٥٢٤* ونذر مار غايطان ورفاقهُ نذور رهبنتهم الجديدة في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول أي يوم عيد ارتفاع الصليب المقدّس. وذلك في الكنيسة الواتِكانيّة أمام مذبح مار بطرس بحضور اسقف موكّل من البابا وجمّ غفير من الشعب*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكانت غاية هذهِ الرهبنة الجديدة إصلاح أحوال الاقليرس وتعمير الكنيسة باحبار قدّيسين يرعون النفوس بالفضيلة والقداسة وارشاد العلمانيّين وتعويد الناس على الاكثار من التقدّم إلى سرّي التوبة والاوخرستيّا. وسمّى البابا اقليميس السابع هذهِ الجماعة: الاقليرس القانونيّين. ودُعيت في ايطاليا جماعة النئاتيّين نسبةً إلى يوحنّا بطرس أسقف مدينة ثآته الذي اتّفق مع مار غايطان في إنشاء هذهِ الجماعة كما ذكرنا سابقاً وصار أوّل رئيس عامّ عليها* وبعد زمان قليل امتلأت روميّة بل ايطاليا كلّها من الأثمار التي جناها مار غايطان ورفاقهُ. فصار عددهم يكثر يوماً فيوماً* وسكنوا في أوّل أمرهم في روميّة*

وحدث في تلك الأثناء ان شبّت حرب قويّة بين فرنسيس الأوّل ملك فرنسا وشارل الخامس ملك ألمانيا. واتّفق حينئذٍ انّ ملك فرنسا أهان أحد شرفاء مملكتهِ المدعوّ بربون. فاستعصى بربون عليهِ واتّحد مع ملك ألمانيا لمحاربة ملكهِ ومملكتهِ. الاّ أنّ بربون لم يحصل على الجاه الذي كان يؤمّلهُ من خيانتهِ هذهِ لأنّ شارل صيّربربون قائداً صغيراً فقط في جيشهِ تحت قيادة ضابط جيوش ايطاليا. وبعد ان انكسرت جيوش ملك فرنسا في إحدى الوقائع اجتاز بربون من أمام أحد مشاهير الكافاليريّين الفرنساويّين وكان هذا قد انجرح في القتال جرحاً قتّالاً ولثخن جرحهِ اتّكأَ بشجرة موجّهاً نظرهُ نحو العدو. وإذ رأَى انّ بربون يتأسّف على حالهِ. خاطبهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بهذهِ الكلمات وقال لهُ: لستُ أنا ممّن يجب الأسقف عليهم لأنّي أموت مشرَّفاً من تكميلي واجباتي. ولكن تأسّف على حالك واندب نفسك أنت الذي قد خالفت أقسامك وصرت تحارب الآن ملكك ووطنك* وفي سنة ١٥٢٧ لمّا تحزّب البابا اكليمنضوس السابع لفرنسيس ملك فرنسا وساعدهُ على شارل. فبربون الذي كان وقتئذٍ في ايطاليا غار على روميّة بجنودهِ الغير المهذّبة المؤلّفة أكثرها من تبعة لوتير المتعصّبين الذين عند رؤيتهم أسوار روميّة صرخوا بأصوات مريعة مملوءَة من الحقد والغضب وأخذوا يحاربون المدينة كالمجانين. وفي حمأَة القتال سقط بربون جريحاً بجرح قتّال. الاّ انّ جنودهُ البرابرة فلشدّة حقدهم لم يلتفتوا أصلاً إلى فقد رئيسهم بل كمّلوا القتال. وغبّ أن افتتحوا المدينة استمرّوا نحو شهرين وهم ينهبون ويرتكبون المنكرات بأشنع نوع كالبرابرة وأكثر. واستأسروا البابا اكليمنضوس السابع ولم يطلقوا لهُ الحريّة الاّ بتأدية مبلغ وافر من الجزية*

ودخل بعضهم الدير الذي كان فيهِ مار غايطان ورهبانهُ وهدموهُ. وكان جنديّ منهم يعرف مار غايطان لمّا كان في مدينة ويقَنسا فلمّا رآهُ وظنّهُ غنيّاً كالأَوّل حرّض رفاقهُ أن يهجموا على ديرهِ وينهبوهُ ففعلوا كما قيل لهم. وإذ لم يجدوا فيهِ شيئاً كثيراً ظنّوا أنّ القسوس اخفوا بعض الأثاث الثمينة والذهب والفضّة. فقبضوا عليهم وعذّبوهم بعذابات شديدة قاصدين بذلك أن يجبروهم على الاقرار بها وكشفها لهم. فأَفرغوا فيهم كلّ قساوتهم سيّما مع مار غايطان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منها انّهم حصروا أصابعهُ تحت غطاء صندوق وعلّقوهُ في الفضاء واشبعوهُ ضرباً وعذّبوهُ أيضاً بغير ذلك من العذابات القاسية الشبيهة بالعذابات التي قاساها الشهداء الأوّلون. ولمّا عجز الجنود الأوّلون من تعذيبهِ وتعذيب أخوتهِ. اقبل عوضهم جنود آخرون أشدّ قساوةً من الأوّلين وبعد أن أفرغ هولاء أيضاً كلّ مجهودهم وقساوتهم البربريّة ليقرّروهم عن الكنز الذي خيل لهم أنّهُ موجود عندهم خاب أملهم من ذلك فأخذوا مار غايظان وجماعتهُ وحبسوهم في برج من الواتيكان وهناك أيضاً آذوهم كثيراً. وقد أظهر هولاء القسوس الأبطال صبراً عجيباً في وسط هذهِ العذابات القاسية فكانوا يباركون الله ويبتهلون إليهِ متضرّعين وطالبين أن يُنقذ أبا المسيحيّين والشعب الروماني بأسرهِ من رقّ أعدائهِ. ولم تكلّ السنتهم من التسابيح والتراتيل المقدّسة. وبينما كانوا ذات يوم يصلّون صلوة الفرض الإلهي سمع أحد كبار الضبّاط صوتهم فدنا منهم ولكثرة ما تخشّع قلبهُ لِما رآهُ عليهم من سمات الاحتشام والاحترام والعبادة أطلقهم من السجن. فترك مار غايطان روميّة وذهب صحبة أخوتهِ إلى مدينة البندقيّة وهناك جدّد جماعة الاقليروس القانونيّين. وصار مار غايطان يعتني في تهذيب أخلاق الاقليروس والشعب. ولحسن سيرتهِ القشفة ومواظبتهِ على استماع الاعترافات وزيارة المرضى واسعاف المحتاجين والوعظ والتبشير بكلام الله وتحريض كلّ أحد على تكميل واجبات دعوتهِ وأخيراً لسبب تجرّدهُ التامّ عن كلّ خيرات الأرض كان كلامهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يؤثّر في القلوب كثيراً حتى انّ أناساً لا يُحصى عددهم من كلّ صنف ورتبة اعتنقوا بحرارة قوانين الحيوة المسيحيّة التي كان يقدّمها لهم. وأفضل ما اشتهر فيهِ هذا القديس هو ما بذلهُ من جزيل الهمّة في أثناء الطاعون الذي عثا في مدينة البندقيّة. فأخذ يزور المضروبين ويداوي جراحاتهم بيدهِ ويزوّدهم بالأسرار المقدّسة ويقدّم لهم كلّ المعونات التي كانوا يحتاجون إليها. وبعد زوال الطاعون حدثت مجاعة كبيرة فشمّر أيضاً مار غايطان لمساعدة الفقراء بحنوّ أبوي. ولأنّهُ كان هو فقيراً مثلهم ويعيش نظيرهم من صدقات المحسنين وليس لهُ شيء خاصّ بهِ فكان يحرّض الأغنياء ويحنّن قلوبهم عليهم فيفتحون أكياسهم وعنابيرهم لمساعدتهم بسخاوة* وكثيراً ما التزم القديس ان يغيّر محلّ إقامتهِ ويذهب من مدينة إلى مدينة لإدارة الأديرة التي كان قد شيّدها ولكن هذهِ التحوّلات والأسفار لم تغيّر شيئاً في كيفيّة معيشتهِ. فكان فضّاً قاسياً على ذاتهِ وحليماً رحوماً على غيرهِ. أمّا الباعث الوحيد لجميع أعمالهِ هذهِ القشفيّة وأفعالهِ التوبيّة الخارقة العادة فهو حبّهُ المضطرم لمجد الله الأعظم وخلاص النفوس التي لُقّب بسببها بصيّاد النفوس. وممّا كان يؤلّمهُ ويحزنهُ كثيراً فهو رؤيتهُ مصائب الكنيسة وضيقها إذ أنها كانت يومئذٍ مضطهدة بالهرطقة البروتستنتيّة ولكثرة اكتراثهِ بها وحزنهِ عليها وقع مريضاً. وأخذ مرضهُ يشتدّ يوماً فيوماً. فلمّا رأى الطبيب انّ مرضهُ مخطر. أمر أن يضجعوهُ على سرير ليّن ناعم. ولكنّ القديس أبى ذلك قائلاً: ليتني أموت على صليب. وإذ كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك لا يُعطى لي فاريد اقلّما يكون أن أموت على الأرض مغطًّى بالمسح والرماد* لماذا تهتمّون بهذا المقدار في هذا الجسد الذي عمّا قليل سيصير مأكلاً للدود ويرجع إلى التراب* ولمّا دنا موتهُ. تناول أسرار البيعة المقدّسة بعبادة كاملة واستغفر رهبانهُ على كلّ ما زلّت بهِ قدمهُ إليهم وقال لهم هذهِ الكلمات: يا أولادي الحمد لله انّي إلى الآن عشتُ في الفقر وكانت مُنْيتي أن أموت فقيراً أيضاً. فاستودعكم الفقر. تمسكّوا بهِ أكثر من كلّ شيءٍ. وفي تلك الأثناء ظهرت لهُ مريم العذراء التي تعبّد لها في حياتهِ محفوفةً بالملائكة وأخذت روحهُ وذهبت بها إلى السماء. وكانت وفاتهُ في اليوم السابع من شهر آب سنة ١٥٤٧* وفي يوم موتهِ أجاب الله طلبتهُ في شان أهل نابُلي وجعل السجس أن يهدأ فيما بينهم. ولمّا سمع الناس بخبر موتهِ تقاطروا إليهِ وكرّموا جسدهُ محتفلين دفنتهُ* ووهب لهُ الله في حياتهِ وبعد موتهِ عمل الكرامات. ولأجل كراماتهِ كتب البابا اقليميس العاشر اسمهُ في سفر القديسين في اليوم الثاني عشر من شهر نيسان سنة ١٦٦١*

* اليوم الثامن *

مار هرمزد الشهيد

انّ الديانة النصرانيّة في أسرع وقت انتشرت في الأرض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كلّها. وفي كلّ الجهات والنواحي أيضاً صار لها أولاد سفكوا دماءَهم وأَباحوا بنفوسهم اثباتاً لصحّتها. من ذلك الشهداء الذين قُتلوا في بلاد الفرس ولا تُحصى أسماؤُهم لكثرتهم في أيّام شابور ملك الفرس ثمّ في أيّام بزدجرد. ولم يرتفع الاضطهاد من بلاد الفرس بارتفاع السبب أي بابادة بزدجرد فانّهُ تخلّف بعدهُ ابنهُ ورهران. وهذا كان أشدّ قساوة على النصارى ومن جملة الشهداء الذين استشهدوا على يدهِ مار هرمزد الجليل*

وكان هرمزد من عظماء أهل بلاد الفرس ووالياً على ولاية في تلك النواحي فاحضرهُ ورهران لديهِ. وأمرهُ بأن ينكر يسوع المسيح ويكفر بديانتهِ. فلم يفعل هرمزد. بل أجابهُ قائلاً: إِن اعمل ما تطلبهُ منّي اهين الله تعالى. وإِن أفعل بموجب قولك لي أخالف شريعة العدل والمحبّة. انّ الذي يزدري بخالق المخلوقات كلّها وربّها ولا يبالي بتجاوز وصاياهُ وشرائعهِ لا يمكن أن يلبث مدّةً من الزمان أميناً مع سيّدهِ وملكهِ الأرضيّ. وانّ الخيانة بالملك الأرضيّ تستوجب بلا شكّ أشنع العذابات. وأيّ عذاب أو قصاص يستحقّ من يتجاوز شريعة الله ربّهِ وخالق العالم بأسرهِ. فلمّا سمع الملك ورهران هذا الجواب السديد القاطع من فم هرمزد اغتاظ جدّاً. فنزع عنهُ كل ما كان عليهِ من الثياب الفاخرة ولم يترك لهُ سوى مأزر يتأَزّر بهِ. ونحّاهُ عنهُ وبعثهُ إلى البراري ليسوس الجمال التي للحرب ويرعاها. فاقتبل هرمزد هذا الأمر بسرور وفرح ومكث في البريّة يعيش عيشةً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قشفيّة صعبة. وبقي هكذا مدّةً. فوقع عليهِ يوماً بصر ورهران إذ كان يتطلّع من شبّاك قصرهِ. وتحرّك قلبهُ عليهِ إذ رآهُ قد احترق من حرّ الشمس وتغيّر كثيراً في لونهِ وهيئتهِ لِمَا قاساهُ في البريّة المقفرة. فاستدعاهُ إليهِ وناولهُ ثوباً ليلبسهُ وقال لهُ: دع معاندتك واكفر بابن النجّار. فامتلأَ هرمزد غيرةً وأخذ الثوب وخزّقهُ وقطّعهُ قطعاً كثيرة وقال لهُ: خذ هديّتك التي بها تريد أن أبيعك ديني واكفر بهِ. فازداد ورهران غضباً عليهِ وطردهُ من قدّامهِ. ثمّ كمّل جهادهُ بالقتل*

* اليوم التاسع *

مار رومانس الشهيد

انّ رومانس كان أحد الجند الروميّين في زمان والريانس الملك وجرى لهُ أن يشاهد جهاد القدّيس لورنتيوس الشمّاس في مدينة روميّة. وعند ذلك استنار عقلهُ بنور الايمان الحقّ عقيب آية ظهرت. وذلك انّ رومانس شاهد لورنتيوس في وسط العذابات الشديدة المتنوّعة والأذيات القاسية الصعبة لا يجزع ولا يضطرب البتّة بل لا يزال يزداد شجاعةً ونعمةً وقوّةً وفرحاً ويتحرّق إلى الاستشهاد حبّاً بالربّ. ويطلب من الله أن يمنّ عليهِ بذلك في أسرع وقت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

متضرّعاً إليهِ بأن يقتبل ذبيحة نفسهِ بعين الرضاء. فرأَى رومانس في تلك الأثناء شابّاً عليهِ سحنة البهاء والجمال الرائق واقفاً بجانب لورنتيوس وينشّف بمنديلٍ العرق المنحدر من وجههِ والدم الجاري من جروحهِ. فايقن عند ذلك بان ديانة لورنتيوس هي الديانة الوحيدة الحقيقيّة باعتقادها. وبأنّ المسيحيّين بواسطة احتمالهم في هذهِ الحيوة عذاباً وأحزاناً وقتيّة يقتنون في الحيوة العتيدة سعادة أبديّة. فتقدّم حينئذٍ رومانس من الشهيد القدّيس وكاشفهُ بما رآهُ وطلب إليهِ أن لا يهملهُ بل أن يقبلهُ في عدد المؤمنين وكان وقتئذٍ لورنتيوس ممتدّاً على دولاب من حديد يُعذَّب عليهِ بعذاب شديد قاسٍ جدّاً. وفي تلك الأثناء أمر الملك أن يُعاد لورنتيوس إلى السجن. فانتهز رومانس الملتهب بنار الشوق إلى اعتناق الديانة المسيحيّة هذهِ الفرصة وذهب إليهِ إلى السجن ولمّا اعلمهُ القدّيس بضرورة قبول المعموذيّة. جاء رومانس بملعقة ماء وتوسّل إليهِ أن لا يتأخّر عن إعطائهِ سرّ الميلاد الروحيّ الذي هو المعموذيّة المقدّسة. قال هذا وركع عند رجلَي القدّيس فبارك لورنتيوس الماء وعمّذهُ. فأخذ رومانس بعد ذلك يخبر الجميع بعماذهِ وصيرورتهِ مسيحيّاً. فوُشي بهِ لدى والريانس قيصر. فأمر الملك بالقبض عليهِ. فجاء الجند بهِ إليهِ وهم يضربونهُ بالعصيّ. فلمّا مثل رومانس أمام والريانس فقبل أن يُسأَل عن شيء شرع يصرخ بحماسة وشجاعة لا مثيل لها: أنا مسيحيّ أنا مسيحيّ. فأَبرز عليهِ حينئذٍ والريانس الحكم بالقتل فقطعوا رأسهُ. وكان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك في اليوم التاسع من شهر آب في الليلة السابقة لاستشهاد القدّيس لورنتيوس سنة ٢٥٨*

* اليوم العاشر *

مار لورنتيوس الشهيد

انّ لورنتيوس كان في الأصل كان في الأصل من بلاد اسبانيا. ولم يتّصل بنا شيء مؤكَّد من خبر صبوّتهِ. وممّا وقفنا عليهِ من الاخبار القديمة انّهُ كان في مدينة روميّة في عهد البابا الروماني اكسُسْطس. إذ انّ البابا المذكور رسمهُ دياقوناً أي شمّاساً على الكنيسة الرومانيّة بل جعلهُ ارخدياقوناً أي رئيساً على الشمامسة السبعة الخاصّين بكنيسة روميّة. وكان الأرخذياقون من شان وظيفتهِ أن يقوم بأمر الفقراء والمقطوعين والمحتاجين ويقسّم عليهم صدقات المؤمنين ويعتني أيضاً بإدارة أوقاف الكنيسة وأملاكها محتفظاً على النذورات المقدّمة لها. فجدّ لورنتيوس بهذا الأمر بكل همّةٍ ونصحٍ ونشاط. وفضلاً عن ذلك فانّهُ لم يستخصّ لذاتهِ شيئاً البتّة من المبالغ الجسيمة والنقود والهدايا الثمينة التي سلّمها المؤمنون إلى عهدتهِ بل فضّل العيشة الفقريّة عالماً بانّ الله سوف يطلب حساباً صارماً من المفوَّضين على أموال الكنيسة والفقراء. وقد بلغت بهِ أمانتهُ أن يضبط بتدقيق إدارة أموال الكنيسة والاعتناء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بتكميل الفروض المقدّسة حتّى آل الأمر إلى أن يسفك دمهُ وينال اكليل الشهادة بسببها*

انّ لورنتيوس منذ شبوبيّتهِ تعلّق قلبهُ برباط محبّة خالصة مقدّسة مع اكسطس الذي كان أوّلاً ارخدياقوناً على كنيسة روميّة ثمّ صار حبرها الأعظم. وإذ ذاك تخلّفهُ لورنتيوس برتبة الارخدياقونيّة ولم يكن حينئذٍ أدنى دليل ينبئ عن حدوث ثورة اضطهاد ما ضدّ المسيحيّين. وكان زمام الملك يومئذٍ بيد والريانس قيصر وهو ملك وديع مائل إلى الحنوّ والرأفة وقد استحبّ النصارى وأظهر لهم التفاتاً عظيماً وأنعم عليهم بنعم لم ينعم بها عليهم أحد من سلفائهِ. غير انّهُ لمّا اضطُرّ في سنة ٢٥٧ أن يحارب البرارة الذين كانوا يجلبون الدمار على مملكتهِ عثا الطاعون بجيشهِ. فتخيّل لهُ انّهُ يجد عند السحراء دواءً لهذهِ الضربات. فاستدعى لديهِ العرّافين والسحرة واستشارهم بأمرهِ. فاقنعوهُ بأنّ السبب الوحيد الذي ينغّص راحتهُ وراحة المملكة هو ديانة تبّاع يسوع المسيح. ومن ذلك الحين أخذ والريانس يُبعد المسيحيّين من حواليهِ ويرفع عنهم انعامهُ. بل وأذاق بعض أفراد المسيحيّين عذاب الاستشهاد في أنحاء مملكتهِ. فالكنيسة المتجلّدة على الدوام بصبر على الاضطهاد شعرت بفطنة بتغيّر أفكار الملك وأخذت تنتظر اعطاء الأوامر القاسية من جديد باضطهاد المسيحيّين. وأيقنت انّها ترى دماء أولادها تُسفَك في كلّ المملكة. وقد جرى الأمر كذلك لأنّهُ لم يعبر زمان مديد الاّ وشاع الخبر بانّ والريانس قد أصدر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى مجلس روميّة رسالة جديدة ضدّ المسيحيّين وحينئذٍ بدأ الاضطهاد علانيةً واشتدّ لا سيّما على الرعاة والمتولّين على الديانة. ولذلك وقع في الأوّل القبض على مار اكسسطس الثاني الحبر الرومانيّ وسيق إلى الاستشهاد. فلمّا بلغ لورنتيوس خبر ذلك. لحق في أثرهِ وهو يبكي وينتحب على انّهُ حُرم مشاركة سيّدهِ الحبر مار اكسُسطس في الجهاد عن الايمان المسيحي. ووجّه إليهِ نظرهُ وهو يقول: إلى أين تنطلق يا أبي بلا ولدك. وأين تذهب ايّها الحبر القدسيّ بلا شمّاسك. انّك ما قرّبت الذبيحة على المذبح قطّ بدون أن أقف بجانبك في خدمتك. فما لي الآن أفارقك. العلّك لقيت في تصرّفي خيانة. ناشدتك الله اختبرني ثانيةً وانظر هل أسأتَ في انتخابك ايّاي لتوزيع دم الربّ. فكان بهذهِ الكلمات وأمثالها يبرّد غليلهُ وتشوّقهُ الجزيل إلى الاستشهاد. فأَقبل القدّيس اكسسطس يعزّيهِ قائلاً: هيهات أن أخلّيك يا ولدي. انّ جهاداً أشدّ وأصعب من هذا وغلبةً أعظم من هذهِ ينتظرانك أنت الذي توجد الآن في عنفوان الشبوبيّة والقوّة. انّني قد وهنت قواي لكبر سنّي. وستلحقني بعد ثلاثة أيّام* ثمّ أوصاهُ ان يهتمّ بتقسيم أموال الكنيسة على ذوي الفاقات. وحرّضهُ على أن يسرع في ذلك خوفاً من أن يسلبها الوثنيّون* فاهتشّ لورنتيوس لسماعهِ جواب اكسسطس. وكاد يطير من فرحهِ لهذهِ البشارة. وبادر إلى التفتيش على الأيتام والأرامل وسائر المحتاجين. وقضى ذلك النهار كلّهُ وخاصةً الليل في الدوران عليهم وفي سدّ عوزهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بصلات جزيلة. وباع أيضاً آنية القدس الثمينة ووزّع ثمنها عليهم. وهو لا يستقرّ ولا يهدأ لعلمهِ بدنوّ أوان استشهادهِ* وبعد أن قضى النهار واللّيل كلّهُ في أعمال الرحمة وكمّل بدقّة أوامر اكسسطس رأَى في الغد البابا الطوباوي مصحوباً بالجنود وهم ذاهبون بهِ إلى محلّ العذاب وإذ وقع نظرهُ عليهِ من بُعد شرع يتنهّد أيضاً ويدعوهُ قائلاً: آه لا تتركني يا أبي انّي قد عملتُ كلّما أمرتني بهِ ووزّعتُ الكنوز التي اودعتنيها على الفقراء والمحتاجين. فلمّا سمع الجنود الذين كانوا صحبة اكسسطس بخبريّة الكنوز قبضوا على لورنتيوس واستاقوهُ إلى الحاكم. وأخبروهُ بما سمعوا. ففرح الحاكم جدّاً وسأَل لورنتيوس قائلاً: قد بلغني انّ عندكم آنية من ذهب يستعملها كهنتكم في القرابين. وانّكم تتناولون الدم المقدّس في آنية من فضّة وفي اجتماعاتكم الليليّة توقدون شماعاً بنصبات من ذهب. فهاتِ هذهِ الآنية المكنونة عندكم لأنّ الملك محتاج ليجهّز عسكرهُ بثمنها. فأَجابهُ لورنتيوس بهدوّ وقال: كنيستنا غنيّة بالحقيقة بحيث انّ الملك نفسهُ ليس في كنوزهِ مثل هذهِ الأشياء الفاخرة التي عندنا. فان امهلتَني ريثما ارتّبها اريتك جانباً منها. فامهلهُ إلى ثلاثة أيّام وهو لم يدرك المعنى الذي قصدهُ لورنتيوس. فأخذ لورنتيوس يطوف المدينة كلّها ويجمع الفقراء وذوي الفاقات الذين كانت الكنيسة الرومانيّة تعولهم وتقوم بهم. فلمّا جاء اليوم الثالث جمع عدداً غفيراً من عميان ويتامى وأرامل وذهب بهم إلى قصر الحاكم وقال لهُ: هوّذا قد اتيتك بكنوز الكنيسة وهي كنوز كثيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وافرة توجد في كلّ مكان. ومن أحبّ أن يقتنيها يتمكّن بسهولة على الحصول عليها* فغضب الحاكم من سخريّة لورنتيوس بهِ وأَمر أن يخلعوا عنهُ ثيابهُ ويمزّقوا لحمانهُ بأمشاط حديديّة. ثمّ أحضر جميع آلات العذاب التي كانوا يعذّبون بها الشهداء ووضعها أمام عينَي لورنتيوس وتهدّدهُ بأن يذيقهُ عذاباتها جميعاً ان لم يخرّ ساجداً للآلهة ويسلّمهُ كنوز الكنيسة. فأجابهُ تلميذ يسوع المسيح البطل قائلاً: اعلم يا هذا انّ العذابات هي فرح لي ومنذ زمن مديد اتوق بشوق فريد لأغتذي من هذهِ العذابات اللذيذة. ولدى مجاوبتهِ هكذا أمر الحاكم بجلدهِ. وبينما هو يُجلَد قال للحاكم: اعلم وتحقّق بأنّ كنوز يسوع المسيح تنصرني وفي هذا الحين أحسّ بذاتي انّي لا أشعر بعذاباتك البتّة. فلمّا سمع الحاكم هذا المقال أمر فعلّقوهُ في الهواء وكووا جنبيهِ بقيود حديديّة محميّة في النار. ولكنّ القدّيس لم يلتفت إلى هذا العذاب بل صلّى قائلاً: يا يسوع الابن الوحيد الإله الحقيقيّ ارحم عبدك الذي وُشي بهِ ولم ينكر اسمك بل هو يحامي الآن عن مجدك بمقاساتهِ أمرّ العذابات حبّاً بك* فكان هذا سكون لورنتيوس في وسط عذاباتهِ يهيّج غضب معذّبهِ عليهِ ولذلك أخذ ينسب إلى فاعليّة الشيطان قوّة وشجاعة عظيمة كهذهِ. ومن بعد أن جلدهُ ثانيةً بأسواط معقّدة بالرصاص بقساوة بربريّة ظنَّ القدّيس انّهُ سيسلّم روحهُ في هذا العذاب. ولذلك استودع نفسهُ بين يدي الله. فأمر الحاكم أن يمدّوهُ على مركبة حديديّة ويخلعوا أعضاءَهُ ويهشّموا جسمهُ بأظافير حديديّة. ولكنّ الشهيد الباسل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والثابت لم يُغلَب بل صلّى وهو في وسط هذهِ العذابات قائلاً: كن يا ربّ مباركاً يا من تعامل بمثل هذهِ المراحم من هو ليس باهل لها امنحني نعمة أعرّف بها لجميع الحاضرين ها هنا انّك لا تهمل خدّامك أصلاً بل انّك تسلّيهم وتعزّيهم في زمان الضيق والشدّة. فلم ينتهِ من صلاتهِ الاّ وأرسل لهُ أبو المراحم ملاكاً ليسلّيهُ ويهدّي أوجاعهُ منشّفاً بمنديل العرق المنحدر من وجههِ والدم السائل من جروحهِ مثلما صنع مع القدّيس رومانس الشهيد. وفي ذلك النهار عينهِ استنطق الحاكم لورنتيوس استنطاقاً علنيّاً. فيهِ سألهُ عن مملكتهِ وميلادهِ وسيرة حياتهِ كلّها بالتتابع. فأجاب لورنتيوس: أنا في الأصل من اسبانيا ولكنّي قد تربّيتُ منذ صغري في روميّة وأنا مسيحي منذ طفوليّتي وقد نشأتُ في محبة شريعة الله والعمل بموجبها. فقال لهُ الحاكم كيف تتفاخر بمحبتك للشريعة الإلهيّة وأنت تبغض الآلهة وتستهزئ بالعقابات التي يُعاقَب بها الكفرة. فأجابهُ لورنتيوس. لا شكّ انّي بنعمة الله لا أعرف الأصنام ولا أخاف من العذابات. وعلى هذا تتوقّف طاعتي للشريعة الإلهيّة. فتهدّدهُ الحاكم بأنّهُ ان لم يغيّر أفكارهُ يعذّبهُ الليل كلّهُ. فقال لهُ الشهيد: ان صنعتَ معي ذلك فاللّيل يتحوّل لي إلى نهار ساطع وإلى نور لا يخالطهُ ظلام. فضربهُ بحجر على فمهِ. وأخيراً اشتدّ حنقهُ فقال لهُ: قد علمتُ أنّ المسيحيّين يستهزؤون بالمنيّة. فاعلم انّك لن تموت عن قريب بل أريد أن أطيل عليك الأذيّات فلا تموت الاّ تدريجاً. ثمّ أمر فهيّأُوا مشواةً من حديد ووضعوها على النار وعرّوا لورنتيوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من ثيابهِ وشدّوهُ على المشواة بحيث لا تتّصل النار إلى لحمهِ الاّ قليلاً قليلاً. أمّا لورنتيوس فكانت تنبعث من وجههِ أنوار باهرة ويفوح من جسمهِ عرقٌ ذكيّ. وقد قال مار اوغسطينس انَّ لورنتيوس لشدّة حبّهِ ليسوع المسيح لم يعبأ ولا بالى بالأذيّات التي قاساها بل هان عليهِ العذاب وتحوّل إلى هناء. وبعد مدّة طويلة قال للوالي بكلّ هدوّ: قد انشوى جسمي كفايةً من هذه الناحية فاقلبْهُ إلى الناحية الأخرى. فقلبوهُ. ثمّ بعد برهة قال: قد انشوى لحمي كلّهُ فتعالوا كلوا منهُ. ثمّ رفع طرفهُ إلى السماء وصلّى بحرارة وسأَل الربّ في ارتداد مدينة روميّة عن عبادة الأوثان إلى ديانة المسيح. وطلب ذلك بشفاعة القدّيسين بطرس وبولس اللَّذين قدّساها بدمهما. ثمّ اسلم روحهُ. ولم يبطئ الله في استجابة طلبتهِ. فانّ كثيرين من الحاضرين في تلك الساعة رفضوا عبادة الأوثان وآمنوا بايمان المسيح لِما شاهدوهُ من صحّة هذا الايمان في جهاد لورنتيوس العجيب. وفي الغد حملهُ المسيحيّون إلى المقبرة وقبروهُ باحتفال. ولم يبارحوهُ مدّة ثلاثة أيّام قضوها بالصوم والصلوة والدعاء حول قبرهِ. ثمّ انّ الملك قسطنطين الكبير شيّد لهُ كنيسة فاخرة في مكان قبرهِ توجد إلى يومنا هذا وهي من أشهر كنائس روميّة. واعلم ان الآباء باسرهم قد اسهبوا في وصف جهاد لورنتيوس وذكروا عدداً لا يُحصى من الكرامات التي صارت عن يدهِ في كلّ زمان ومكان*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الحادي عشر *

مار طيبرسيوس الشهيد ورفاقهُ

كان في عهد السلطانَين الرومانيَّين ديوكلسيانوس ومكسميانس رجل ذو رتبة في الجنديّة شجاع اسمهُ سبسطيانس. وكان قد تجنّد حرصاً منهُ على اعانة أخوتهِ المسيحيّين في الاضطهادات التي كانوا يقاسونها. وصار الجند وغيرهم من الناس يحبّونهُ محبّةً لا مزيد عليها لحسن طبعهِ وسلوكهِ. وكان كلّ يوم يذهب ليزور أخوين شقيقين يُقال لهما مرقس ومرسليانس كانا قد حُبسا لسبب ايمانهما بالمسيح. فلمّا رأَى أهلهما وكانوا بعد وثنيّين انّهما حُكم عليهما بالموت. طلبوا من خرومنطيوس حاكم روميّة ثلاثين يوماً مهلةً وقالوا: لعلّنا نصدّهما عن عزمهما. فأَمهلهم. فغُلَّت أيديهما وأُتي بهما إلى دار نيقُسْطراطُس أوّل كتّاب الدعاوي في روميّة. فاحترس عليهما مدّةً حتّى إذا ما رأَيا بكاء أهلهما وتوجّعهم عليهما فترا وضعفت شجاعتهما. فبادر إليهما سبسطيانس فأَيّدهما وشجّعهما ثمّ أبرأَ باعجوبة زوّة امراة نيقسطراطس من مرض عضال كان قد أعدمها الكلام فاهتدت على يدهِ إلى ايمان المسيح. فلمّا رأَى قرينها انّها تعافت خرّ على قدمَي القدّيس يسألهُ العماذ. وطلب أهل مرقس ومرسليانس أن يدخلهم تحت راية الايمان الحقّ. فذهب ورجع إليهم بكاهن قدّيس اسمهُ بولقربس كان قد اختفى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من الاضطهاد. فعمّذهم. وكان ترَنْكويلينُس أبو مرقس ومرسليانس مبتلىً بداء الملوك منذ إحدى عشرة سنة. ولذا فكانت تؤَلّمهُ يداهُ ورجلاهُ حتّى انّهُ لم يقدر يحتمل بصبر على أن يُحمَل بل لم يمكنهُ مدّ يدهِ إلى فمهِ ليأكل. وكابد أوجاعاً أليمة جدّاً حين جُرّد من ثيابهِ للاعتماذ. فسأَلهُ بولقربس قائلاً: أَتؤمن من صميم قلبك بمقدرة يسوع المسيح ابن الله الوحيد على معافاتك وتكفير خطاياك لك. فصرخ وقال: أنا أقرّ من صميم الفؤاد انّ يسوع المسيح هو ابن الله ويستطيع أن يُنعم عليّ بصحّة النفس والجسد. ولكنّي لستُ ملتمساً الاّ الصفح عن خطاياي. وانّي وان استمرّيتُ في أوجاعي بعد عماذي فلستُ بشاكٍّ في ايمان يسوع المسيح. فعند هذا الكلام بكى فرحاً كل المسيحيّين الحاضرين وسأَلوا الله جلّ شأنهُ أن يجازيهُ على ايمانهِ هذا الوطيد. ثمّ مسحهُ الكاهن بالميرون المقدّس وقال لهُ: هل تؤمن بالآب والابن والروح القدس. قال: نعم. ولوقتهِ تعافى من دائهِ. فنزل من تلقاء نفسهِ في الحوض وقال: انّك اللّهمّ انت الإله الوحيد والحقّ ولا يعرفك هذا العالم الرديّ. ثمّ اعتمذ بعدهُ كلّ من كان معهُ. فقضوا جميعاً ما بقي من الأيّام الثلاثين التي أُعطيت مهلةً لولدَيْ ترنكويلينس وهم يسبّحون الله عزّ وجلّ ويتأَهّبون للاستشهاد تائقين إليهِ جميعاً حتّى النساء والأولاد*

ولمّا انتهت الأيّام الثلاثون أرسل خرومنطيوس الحاكم إلى ترنكويلينُس. فحضر أمامهُ وأخذ يشكرهُ على أنّهُ أجّلهُ تأجيلاً أبقى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الولدين لأَبيهما وردّ الاب إلى ولدَيهِ فلم يفهم الحاكم معنى قولهِ. فقال لهُ: يجب إِذَن على ولدَيك أن يأتيا ويقرّبا بخوراً للآلهة. فزاد ترنكويلينس مصرّحاً ما في فكرهِ وأَعلن لهُ بأنّهُ مسيحيّ وانّما عنى بقولهِ ذلك عن شفائهِ من مرضهِ العضال الذي كان معترىً بهِ قبلاً. فأَثّر هذا الكلام في قلب خرومنطيوس لأنّهُ كان هو أيضاً مصاباً بداء المفاصل. الاّ أنّهُ لم يرد أن يعلن ذلك أمام الحاضرين. فأَمر بالقبض على ترنكويلينس وأن يذهبوا بهِ إلى السجن وقال لهُ: اسمعك غداً في الجلسة الأولى. غير انّهُ عندما جنّ الليل أمر فأُتي بهِ سرّاً فقال لهُ: اعطيك مالاً كثيراً ان اطلعتني على الدواء الذي صار سبب شفائك. فقال لهُ وقد استخفّ بالمال: انّي لم أجد دواءً لمرضي غير الايمان بيسوع المسيح. فان رمتَ أنت الالتجاء بهِ أيضاً فافعل فانّك تحصل منهُ على الصحّة التي حصلتُ أنا عليها. قال: فانصرف وأَتِني بمن هداك إلى المسيحيّة. فإذا قدر أن يبرئني أدين بدينكما*

فمضى ترنكويلينس لساعتهِ ودخل على القدّيس بولقربس وأَخذهُ خفيةً إليهِ ووعدهُ الحاكم بنصف مالهِ على أن يبرئهُ من مرضهِ. فقال لهُ كاهن الربّ: حاشانا أن نفعل هذا المتجر. وان فعلناهُ فانّنا نذنب كلانا. بيد انّ يسوع المسيح ان آمنتَ بهِ من صميم الفؤاد ينير عقلك ويبعد عنك ضلالك ويشفيك من وجعك. ثمّ انّهُ علّمهُ قواعد الدين المسيحيّ وأَمرهُ فصام ثلاثة أيّام هو والقدّيس سبسطيانس. وفي اليوم الثالث رجعا إليهِ معاً فاتّخذا الم دائهِ سبباً لمفاوضتهِ في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العذابات الأبديّة. فوقع في قلبهِ كلامهما وفي الحين بيّن لهما رغبتهُ في التنصّر مع ابنهِ الوحيد طيبرسيوس. فقال لهُ سبسطيانس: ايّاك وان تريد العماذ من أجل البرء بل آمن ايماناً حقّاً بالمسيح. وعلامةً لصدق ايمانك وصحّتهِ ايذن لنا أن نذهب ونكسّر أصنامك بأجمعها. فان كسّرناها تبرأ في الحال. فأراد أن يرسل حشمهُ لهذا الشان. فمنعهُ القدّيس وقال لهُ: لعلّ الشيطان يؤذيهم من جرى كفرانهم وفتور همّتهم. فيقال انّهُ فعل ذلك قصاصاً على هدم تلك الطواغيث. فذهب هو نفسهُ ومار بولقربس فركعا عند وصولهما وصلّيا ثمّ شرعا يكسّران الأوثان. فكسّرا أكثر من مائتَي وثن متجنسّي الموادّ. الاّ انّهُ لمّا رجعا لقيا خرومنطيوس غير متعافٍ. فقالا لهُ: انّهُ باق بعد عندك شيء يجب تكسيرهُ. وانّ ايمانك ليس بخالص إلى الآن. فقال: لقد اصبتما انّي لي حجرة ممتلئة آلات بلّوريّة للتنجيم وقد انفق عليها أبي مائتي دينار فاودّ لو حفظتها زينةً للبيت. فأَطلعاهُ على زهو علم التنجيم وبطلان كلّ ما يُتفاءَل بهِ. فقال لهما: دونكما ايّاها وافعلا بها ما بدا لكما. وامّا ابنهُ طيبرسيوس فلم يصبر على أن تُكسّر هذهِ التحف الثمينة العزيزة ولم يكن يريد من جهة أخرى أن يمنع شفاء أبيهِ. فأَمر بايقاد اتّونين فأُوقدا. فقال للحاضرين: لئن كُسّرت الآلات البلّورية ولم يصحّ أبي لالقينّ فيها سبسطيانس وبولقربس. فقبلا بطيبةٍ هذا الشرط وان كان يمنعهما عن ذلك خرومنطيوس. فاخذا يكسّران تلك الآلات. وبينما هما كذلك إذا بشابّ ظريف تراءَى للمريض وقال لهُ: قد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أرسلني يسوع المسيح إليك لاشفيك. فشُفي للوقت. فسعى في طلب ذاك الغلام وهو يريد لثم رجليهِ. فنهاهُ عن ذلك الغلام قائلاً: لا تقرب فانّك لم تتبرّر بعد بالاعتماذ. فخرّ طيبرسيوس على قدمَي بولقربس وانطرح خرومنطيوس أمام سبسطيانس. فقال لهُ الجنديّ القدّيس يا حاكم ما دمتَ في رتبتك فلا بدّ لك من حضور الفُرَج الدنيويّة ومن قضاء الدعاوي التي يكثر فيها ما يضادّ الدين المسيحيّ. وفضلاً عن ذلك قد تُحُدّث بالاضطهادات على النصارى أمام حاكم روميّة نفسهِ. فبناءً عليهِ أشير عليك أن تطلب لك خلفاً في مرتبتك لتتخلّص أنت من مشاغل العالم كلّها. فلا يكون همّك الاّ بخلاصك الأبدي. فقبل خرومنطيوس هذهِ المشورة وأرسل من ساعتهِ إلى أصحابهِ الذين هم من حشم قيصر ليسأَلهم المساعدة على ذلك لِما لهم من الكلمة المسموعة عند سلطانهم*

ولمّا حان وقت اعتماذهِ أخذ بولقربس يسأَلهُ سؤالات شتّى منها قولهُ: هل تكفرنّ بجميع خطاياك. قال: انّك لتأتيني بهذا السؤال متأخّراً وأنا اوثر لبس ثيابي وتأخير اعتماذي كي أجيب إلى سؤالك. فها أنا أروم مسامحة كلّ من أنا مغتاظ عليهِ وترك مالي على غريمي وردّ ما اغتصبتهُ من الغير. وقد أتيتُ إلى بيتي بسريّتين بعد وفاة حليلتي فاريد أن أحرّرهما وازوّجهما. فقال لهُ نعم العزم عزمك وهذا منك زهدٌ ولاجل البلوغ إلى ذلك فيعيَّن في الغالب أربعون يوماً لطالبي العماذ. وخلّى أيضاً طيبرسيوس وكالة الدّعاوي وكان قد حصل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيها على كثير من العلم والبلاغة. فاعتمذ منذ ذلك الوقت. وبعد أيّام قلائل اعتمذ خرومنطيوس أيضاً وعدل عن الأمور العالميّة. وتعمّذ اقتداءً بهِ أربع مائة نفس من بيتهِ وأطلقهم من عندهِ أحراراً قائلاً: انّ الذين بدأُوا يتّخذون الله أباً لهم لا ينبغي أن يبقوا عبيداً للإنسان*

وفي غضون ذلك اشتدّ الاضطهاد على المسيحيّين فأشار الحبر الأعظم مار كيس إلى خرومنطيوس أن يأخذ إلى بيتهِ كل الذين كانوا قد اهتدوا منذ زمنٍ قليل إلى الايمان الصحيح. فأخذهم إليهِ وأجارهم فيهِ من مطاردة المضطهدين فقام بهم أحسن قيام حتّى انّهُ لم يكن منهم من اضطرّ إلى السجود للآلهه الباطلة. غير انّهُ لمّا كان صعباً أن يبقى تغيّر دينهِ مستوراً استأذن السلطان ديوكلسيانوس في أن يذهب إلى كنبانيا مظهراً انّهُ يريد تبديل الهواء وترويح النفس في الأراضي النزهة التي لهُ هناك. فأذن لهُ فقال للمسيحيّين: انّي آخذ إلى هذهِ الأراضي كل من تبعني منكم. فحدث محاورة بين سبسطيانس وبولقربس وكانت غايتهما أن يعلما من منهما يبقى في المدينة أو يصطحب المؤمنين إلى كنبانيا. فأخذ كلٌّ منهما يريد المكث في روميّة كيما يسهل لهُ أن يجد فرصةً للاستشهاد. فوضع البابا ختاماً لهذهِ المجادلة العجيبة فقال: انّ بولقربس يقضي واجبات الكهنوت كما ينبغي ويحسن علم الخلاص فيحقّ لهُ أن يرافق المؤمنين إلى كنبانيا فيقوّيهم في ايمانهم ويساعدهم في أمورهم كلّها* ولمّا كان يوم الأحد قدّس البابا في بيت خرومنطيوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقال للجماعة بأسرها: انّ يسوع المسيح لعلمهِ بسرعة سقوط الإنسان في الزلل أقام المؤمنين على درجتين درجة المعترفين بالايمان ودرجة الشهداء. وذلك لكي يستغني المسيحيّون الذين يريدون أن يعانوا ثقل الاستشهاد بأن يحفظوا نعمة الاعتراف بايمانهم ولكي يتركوا الحمد الأجلّ لجنود يسوع المسيح المجاهدين من أجل اسمهِ القدّوس فيهتمّون بأمرهم أشدّ اهتمام فمن أراد منكم فليذهبنَّ مع خرومنطيوس وطيبرسيوس والاّ فليمكثنّ معي في هذهِ البلدة. فانّ مسافة الأرض لا تفصل الذين وصلت قلوبهم نعمة المسيح. ولن تحسّ أعيننا بغيابكم لأنّنا سننظركم بعين الروح والمحبّة. وبينما البابا يقول هذا إذ رفع طيبرسيوس صوتهُ وقال: يا أبانا وحبر الأحبار لا تسمح بأن أهرب من وجه المضطهدين لأن موضع سعدي وبغيتي العظمى أن أُقتَل في سبيل الله واقتل ألف مرّة أن أمكن بشرط أن أحظى بالحيوة الخالدة التي لا يعادلها شيء. فعند هذهِ الكلمات بكى البابا فرحاً وسال الله تعالى أن ينيل الباقين معهُ اكليل الاستشهاد*

فمكث مع البابا في روميّة طيبرسيوس وسبسطيانس ومرسليانس ومرقس وأبوهما ترنكويلينس ونيقسطراطس وزُوّة امراتهُ وقسطور أخوهُ وقلودس وأخوهُ وِكتربنس وابنهُ سنفريانس. وأمّا الآخرون فانصرفوا جميعاً صحبة خرومنطيوس. فرقّى البابا ترنكويلينس إلى درجة الكهنوت ورقّى اولادهُ إلى درجة الشمامسة الإنجيليّين ورسم الآخرين شمامسة رسائليّين ما خلا سبسطيانس فلقيامهِ الحسن بخدمة المؤمنين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومساعدتهِ لهم في رتبة القيادة العسكرية جعلهُ محامياً للكنيسة. وهذا لقب كان يُلقب بهِ في عهد مار غريغوريوس كلّ من كان البابا يستعملهُ بوجه الخصوص لإعانة الفقراء وامدادهم. وحيث انّ النصارى الذين كانوا قد مكثوا في رومية لم يلقوا محلاً يأمنون فيهِ اعتزلوا مع الحبر الأعظم في قصر السلطان عينهِ عند رجل اسمهُ قسطول وكان هذا مسيحيّاً هو وأهل بيتهِ جميعاً. وكان ساكناً في القصر المذكور لأنّهُ كان مقلّداً إدارة حمّامات السلطان. فلأجل ذلك لم يكن أحد من الرومانيّين يقدر يعرف مكان الحبر الأعظم وباقي المؤمنين إذ لم يخالج ظنّهم قطّ انّهم ساكنون في قصر الملك نفسهِ*

فأَقام المومنون هناك يتضرّعون اناء الليل وأطراف النهار بسكب الدموع والصلوة والصوم حتّى ينالوا من الرحمن سبحانهُ الثبات في الايمان الصحيح ونعمة الاستشهاد. وكانوا يصنعون في مأُمنهم معجزات وافرة بشأن من كان يجيئهم من النصارى مستصرخين ومستمدّين ايّاهم. فيوماً ما إذ كان طيبرسيوس سائراً في المدينة شاهد شابّاً قد وقع من مكان عالٍ جدّاً فانحطمت أعضاؤُهُ بحيث قصد أهلهُ دفنهُ. فسأَل طيبرسيوس أبويهِ وهما يندبانهِ وقال لهما: دعاني أقول عليهِ بعض كلمات فلعلّي أشفيهِ فأَجاباهُ إلى ذلك. فتنحّى الجميع عنهما وأخذ يتلو عليهِ الصلوة الربيّة وقانون الايمان حتّى تعافى بالكليّة كأنّهُ لم يُصبهُ ألمٌ بتّة. فأراد القدّيس أن ينطلق فأَوقفهُ الأبوان وقالا لهُ: انّ ابننا هذا ووحيدنا مات وأنت ردّيتهُ إلينا حيّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فهلمّ خذْهُ فاستعبدهُ ونعطيك معاً أموالنا كلّها. فقال: ان عملتما بما أشير عليكما لاعتبرتُ ذلك منكما مجازاة عظيمة لهذا الشفاء. فقالا لهُ: ان أردتَ أن تستعبدنا نحن أيضاً فلا بأس بذلك بل نبتغيهِ ان رأيتنا لهُ جديرَين. فأخذ بيدهم وانفرد بهم عن الجمّ الغفير فلقّنهم عظم قوّة اسم يسوع المسيح جلّ شأنهُ. ولمّا رآهم راسخين في مخافة الله تعالى ذهب بهم إلى كيّس وقال: أيّها البابا الاكرم وحبر الشريعة الإلهيّة دونك هولاء فقد هداهم اليوم السيد المسيح على يدي إلى ديانة الحق وقد أثمر فيهم ايماني وأعطى أوّل ثمرة. فأخذ البابا الشاب وعمّذهُ هو وأبويهِ*

ولمّا جرى معجزات كثيرة مثل هذهِ فازت زُوّة امرأة نيقسطراطس بمجد الاستشهاد وقد سبقت في ذلك غيرها من المسيحيّين فانّها مضت يوم عيد الرسل إلى قبر مار بطرس وبينما هي تصلّي هناك إذ قُبض عليها وأُخذت إلى رئيس المحلّة فأراد أن يجبرها على أن تقدّم بخوراً لتمثال صغير لمرّيخ وهو اله الحرب عند الوثنيّين فقالت لهُ: يا رئيس تريد أن تغصبني على اهداء الاكرام لمريخ. فاعلم انّي احتقرهُ وازدري بك بقوّة سيّدي يسوع المسيح. فاودعها في السجن فأقامت فيهِ خمسة أيّام لا تأكل ولا تشرب ولا ترى من النور شيئاً قط ولا تسمع سوى هذا الوعيد الذي كان يتوعّدها بهِ الرئيس كل يوم بقولهِ لها: ان لم تسجدي لآلهتنا فانّي مزمع أن أتركِ فِي الحبس حتى تموتي جوعاً. ولمّا كان بعد ستة أيّام أخبر بأمرها الوالي فأمر أن تُعلّق على شجرة من عنقها ويُضرم تحتها نار زبل فَفُعِل. وفي الحال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اسلمت الشهيدة نفسها لله فرُبطت جُثّتها بحجر كبير وأُلقيت في النهر*

وبعد استشهادها تراءَت لسبسطيانس واعلمتهُ بموتها. فذهب وأخبر أصحابهُ المسيحيّين بذلك وإذا بترنكويلينس قد خرج بسرعة يقول: انّ استشهاد نسوة قبلنا لعارٌ علينا. وأَتى إلى قبر مار بولس وركع يصلّي وكان ذلك في اليوم الثامن من الأيّام الثمانية لعيد الرسل. فقُبض عليهِ مثلما كان يبتغي ويتوق ورجمهُ القوم بالحجارة ففاضت روحهُ إلى خالقها. وطُرحت أيضاً جثّتهُ في النهر. ثمّ أُخذ نيقسطراطس وقلودس وقسطور ووكتُرينُس وسنفريانس فيما كانوا يفتّشون على جثّتَي ذينك الشهيدين وأُتي بهم إلى فابيانس حاكم المدينة فجدّ هذا مدّة عشرة أيّام تارةً يخوّفهم متهدّداً ايّاهم وطوراً يستميلهم إلى الكفران بالملاطفة والتمليق. وكان سعيهُ يذهب سدى. فأَخبر بأمرهم السلطانَين وكانا يومئذٍ في روميّة فأَمرا بتعذيبهم ثلاث دفعات. فلمّا رأى فابيانس ان لا عذاب يُرخي عزيمتهم أمر فأُلقوا في البحر*

وكان وقتئذٍ في روميّة رجل مخادع اسمهُ طرقواطس. وكان مع ارتدادهِ عن الايمان يتظاهر بأنّهُ مسيحيّ فانضمّ إلى جماعة البابا ماركيُّس الاّ أنّهُ كان يسلك سلوكاً يغاير مسلك غيرهِ من المسيحيّين. فلم يكن طيبرسيوس يصبر على أن يراهُ يتصنّع في ترتيب شعر رأسهِ وصقلهِ ويفرط في الأكل والشرب ويمشي مشيةً غير محتشمة ويري نفسهُ للنساء بلا أدب ويستعفي من الأصوام والصلوات ويرقد فيما انّ أصحابهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيحيّين يسهرون ويحيون لياليهم في التسبيح لله جلّ شأنهُ. فأخذ يونّبهُ توبيخاً شديداً على ذلك وأمّا هو فكان يتظاهر بالاصغاء إليهِ ويتكلّف قبول نصائحهِ. غير انّهُ استعمل الحيلة فوجد وجهاً لأن يُقبَض على القديس. ولكي لا يشكّ أحدٌ بخيانتهِ هذهِ سمح بأن يوخذ معهُ إلى فابيانُس الوالي. فاستُنطق هو فقال: أنا مسيحيّ وطيبرسيوس استاذي وأنا عامل كل ما رأيتهُ يعمل. فافحمهُ طيبرسيوس ببلاغة جزيلة وأثبت للحاكم خبثهُ. فقال فابيانُس: الاصلح لك يا طيبرسيوس أن يكون همّك بنجاتك فلا تستخفّ بأحكام السلطان. قال: لا يسعني لتوكيد نجاتي الاّ أن أحتقر مستصغراً آلهتك وآلهاتك واعترف بأنّ يسوع المسيح وحدهُ هو ربّي والهي. قال لهُ أيضاً الحاكم: لا تُحرم اهلك نفسك وكن على ما يأمرك الدم بهِ فانّك مع شرف أصلك قد وطّأت شأنك حتى أصبحت جديراً لمكابدة العذاب والعار والموت. فقال لهُ: يا للعجب منك يا أيّها الرجل الحكيم والي الرومانيّين الفضيل. انّك تحسب انّي برفضي السجود لآلهتك أفضح نَسَبي وأكون من المهتوكي الستر. وانّك تتوعّدني بالتعذيب واسقاء شراب الهلاك لكوني أسجد لله الحق الفريد. فأمر فابيانُس فاوقدوا جمراً. فقال لهُ: القِ فيهِ بخوراً لوجه الآلهة والاّ فامشِ عليهِ حافياً. فرسم إشارة الصليب ومشى عليهِ ولم يحسّ بألم البتّة وقال: ليس بوسعك يا حاكم أن تضع يدك في الحميم باسم الهك زَوْس. قال: ومن لا يعلم انّ الهك المسيح قد علّمك السّحر. قال ويلك اصمت وامسك عن شتمي بنطقك أمامي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بهذا الاسم الأقدس وأنت هائج غضبان. فاستشاط الوالي حنقاً وحكم عليهِ بالقتل قائلاً: انّهُ جدّف. فأُخذ إلى مسافة ساعة من المدينة وقُتل شهيداً وكان هناك بعض المسيحيّين فقبروهُ ومنذ ذلك اليوم صنع الله على قبرهِ آيات وافرة*

واستشهد بعدهُ قسطوليوس ثمّ الأخوان مرقس ومرسليانس. فامّا قسطوليوس فخانهُ طرقواطس فأَسلمهُ إلى أهل الأمر فاستنطقوهُ ولمّا رأوا عزمهُ أورطوهُ في حفيرة وألقوا عليهِ جثوة حجارة فخنقوهُ. وأمّا مرقس ومرسليانس فأُخذا ورُبطا على عمودَين وقد ثُقِبت أرجلهما بالمسامير وبقيا كذلك يوماً وليلةً حتّى إذا طُعنا بالرماح توفّاهما الله فقُبرا في مقبرة تبعد عن روميّة مسافة ميلين وسُمّيت باسمهما*

* اليوم الثاني عشر *

القدّيسة كلارة

انّ القدّيسة كلارة وُلدت في مدينة اسّيسي. وكانت هُرطلانة امّها خائفة من الله متعبّدة جدّاً فحجّت إلى القدس الشريف. وقصدت روميّة لزيارة كنيسة الرسولَين بطرس وبولس وزارت غير ذلك من الأماكن المقدّسة. وبعد موت بعلها انتظمت في سلك راهبات ابنتها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدّيسة فعاشت في الدير عيشةً صالحة ثمّ ماتت ميتةً مقدّسة. ولمّا وُلدت الفتاة التي نقتصّ سيرتها دعت اسمها كلارة أي بهيّة أو نيّرة طبقاً لصوت كانت قد سمعتهُ من العلى وهي تصلّي إذ قال لها: يا هرطلانة انّكِ ستضعين ابنةً تكون نوراً ينير العالم كلّهُ. فرضعت البنت منذ صَغرها حليب التقوى والنقاوة وكانت أمّها تلقّنها أصول الديانة وترغّبها في اكتساب محاسنها. فنشأَت متجمّلة بجميع الفضائل راغبةً في الصلوة لا سيّما في التأمّل بسيرة المسيح ربّنا وآلامهِ المباركة. وكانت تحبّ الفقراء وتحتسبهم أخوة يسوع. فتحرم نفسها غداءَها وعشاءَها لتقيتهم. وكان قلبها متجرّداً من الدنيا وزخارفها محتقرة الزينة والمباهاة. فنذرت منذ الصغر عفّتها لله تعالى. وقاومت والديها مقاومة شديدة إذ أرادا أن يزوّجاها*

وكان قد اشتهر في ذلك العصر في مدينة أسّيسي القدّيس فرنسيس السارافي. وحظيت كلارة مرّات كثيرة بمفاوضتهِ ومشاورتهِ. فأَشار عليها بأن تهجر العالم وتتّخذ يسوع وحدهُ عريساً لها. فوقعت عندها هذهِ المشورة أجلّ موقع وصارت تتشوّق إلى ترك العالم والتزهّد في أسرع وقت. وإذ كان عيد الشعانين الواقع وقتئذٍ في اليوم التاسع عشر من آذار سنة ١٢١٢ وهو يوم عيد مار يوسف أتت صباحاً إلى كنيسة أسّيسي الأسقفيّة متزيّنة بثيابها الفاخرة وحليّها. فبعدما قضت النهار كلّهُ قصدت مساءً كنيسة صغيرة لمريم القدّيسة يُقال لها كنيسة بُرْسُيُنكُلة. وكان هناك مار فرنسيس فقبلها هو ورهبانهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بفرح عظيم وأخذوها من باب البيعة إلى أمام المذبح وفي يدها شمعة. فخلعت عنها الزخرفات والحلى وتجرّدت عن العالميّات. فقُصّ شعرها ولبست ثوب الرهبنة. فأَتى بها مار فرنسيس إلى دير راهبات القدّيس بندكتس (أي مبارك) فمكثت ريثما يُسكنها الله داراً يقيم فيها رهبانيّتها* فلمّا رأَى الشيطان ذلك أثار أهلها عليها فقصدوا الدير وأخذوا يحاولون صرفها عن عزمها هذا ويسعون في إعادتها إلى العالم تارةً بأقوال لطيفة وطوراً بالتهدّد والعنف والاكراه. فلمّا لم ينجع مسعاهم فيها شيئاً خلّوا سبيلها ورجعوا إلى دارهم خائبين* وبعد ذلك انتقلت بأمر مار فرنسيس من دير مار بولس إلى كنيسة القدّيس دَميانوس التي هي خارج المدينة منفردةً من غوغاء العالم. وفيها بلغت إلى أسمى درجة من الفضائل لا سيّما التواضع والحبّ للفقر. وصلّت إلى عريسها يسوع طالبةً إليهِ أن يجمع بينها وبين أختها اغنيسة فأَجاب إلى دعائها فأتتها الأخت مشاركةً إيّاها في نسكها وعكفت معها في الدير ووازرتها على مباشرة أعمال التقوى والعبادة. فشاعت صيت قداستها عند الناس في أسرع وقت. فجعلت الفتيات تقصد كلارة أفواجاً أفواجاً ابتغاء الترهّب. وفي مدّة يسيرة امتلأ مأواها من كلّ صنف ومرتبة*

ومع كثرة شهرتها عند الخاصّة والعامَّة كانت تدمن على التواضع منكبّة عليهِ لعلمها بكونهِ أساسا جميع الفضائل. ومع كونها رئيسة كانت تتنازل إلى أدنى الأعمال وأحقرها. فلم تكتفِ بخدمة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الراهبات أخواتها قايمةً لهنّ بجميع لوازمهنّ بل كانت تغسل أقدام خادمات الدير أيضاً وتقبّلها باتّضاع عميق. ومن خشوعها هذا الجزيل تولّد فيها حبّ عظيم للفقر. فباعت كل ما كان لها ووزّعتهُ على الفقراء دون أن تُبقي منهُ شيئاً لنفسها ابتعاء التشبّه بيسوع المسيح. فانّهُ جلّ شأنهُ وُلد في مذود ولم يكن لهُ مأوى ولا ملجأ ومات على الصليب عرياناً واقترع الجند على ثيابهِ* وسأَلت البابا إِنّوشنسيوس الثالث فأَنعم عليها بامتياز الفقر أعني الحقّ في تأسيس رهبانيّتها على احسان المؤمنين لا غير وفي تلقيب راهباتها بالفقيرات. وهذا سبب تسمية جمعيّتها الرهبانيّة بجمعيّة السيّدات الفقيرات. فأَحبّ الله محبّتها هذهِ للفقر وأَجرى على يدها معجزات كثيرة في هذا الشأن. من ذلك انّها يوماً ما إذ لم يكن في ديرها سوى رغيف واحد أمرت فتُصُدّق بنصفهِ على الرهبان ووُضع النصف الآخر على المائدة لغداء راهباتها وكنّ ساعتئذٍ خمسين. فتكاثر هذا النصف الباقي بحيث أكلنَ كلهنَّ وشبعنَ. وقد أوصلها حبّها للفقر إلى انّها كانت تسرّ سروراً وافراً عندما كان الناس لا يتصدَّقون على ديرها الاّ بفتات من الخبز*

وامّا التقشّف الذي بهِ أقمعت جسدها فهو ممّا يوجب عظيم التعجّب. فانّها كانت متسربلة بغطاء دنيّ ومتردّية برداء من صوف خشن. وهي حافية وتنام على الأرض بدون فراش متوسّدةً حجراً. إلى أن اضطرّها ضعفها فرقدت على فراش من جلد واتّخذت لها وسادة من تبن واقتصرت على الماء والخبز فقط مدّة صوم الميلاد والصوم الكبير.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولم تكن تذوق قطّ شيئاً مدّة ثلاثة أيّام في الأسبوع أي الاثنين والأربعاء والجمعة. وتلبس على جلدها مسحاً منسوجاً من شعر ذيل الفرس وتتحزّم بحبل من هذا الشعر فيهِ ثلاث عشرة عقدة. ولا تنام الاّ قليلاً جدّاً فتقضي أغلب أوقاتها في الصلوة العقليّة ومناجاة عريسها يسوع*

وممّا اختُصَّت بهِ كلارة فهو تعبّدها الجزيل للقربان المقدّس. فكانت تتناولهُ بتواتر وبخضوع كلّيّ. وحبّاً لهُ كانت تشتغل بعمل حلل مقدّسة ثمينة ونسائج كتّانية من التي تُستعمَل في احتفال القدّاس وبعض الطقوس النكسيّة. من دون أن يصدّها عن ذلك ضعف أو مرض* وحدث في إحدى ليالي خميس الفصح انّها بينما كانت تتأمّل في شدّة الحبّ الذي حمل السيّد المسيح على أن يمكث في هياكلنا ويفدينا بنفسهِ. أُختُطفت بالروح بحيث بقيت طول الليل غائبةً عن حسّها لا تتحرّك البتّة* ولكثرة حبّها للقربان الأَقدس كانت تنال من يسوع كلّ مبتغياتها فانّها ما التجأَت قط إلى هذا السرّ ورُدّت خائبة. ودليل ذلك ما صنع المخلّص من العجائب الباهرة رعايةً لها وإجابةً إلى دعائها. وأشهرها تخليصهُ الدير الذي كانت ساكنة فيهِ من يد المغاربة الكفّار إذ هجموا عليهِ يريدون انتهابهُ ونقضهُ. وهاك كيفيّة ذلك: انّهُ في سنة ١٢٣٩ كان البابا غريغوريوس التاسع قد حرم فرادريقس الثاني سلطان ألمانيا وكان من أكبر الأعداء للسدّة الرسوليّة وللبيعة المقدّسة. فلمّا بلغهُ حرمهُ استشاط غضباً وأراد الانتقام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاستجاش جنوداً من المغاربة كان قد أخرجهم من صقليّة واستأجرهم وسمّى نفسهُ ملكاً عليهم. فاقتادهم إلى إيطاليا وخاصّةً إلى الأقاليم المستولي عليها الحبر الأعظم. فأَقبلوا يرومون أوّلاً اتلاف وادي بلدة سَبليتا واستئصال أهلهِ وفيهِ كانت مدينة اسّيسي وكان بالقرب منها دير القدّيسة كلارة. فهجموا عليهِ كالوحوش وكانت القدّيسة إذ ذاك مريضة طريحة الفراش. فبادرت إليها راهباتها مرعوبات وباكيات وقلن لها: قد أغار جيش من المغاربة على سور الدير الخارجيّ وهم يتسلّقون الحيطان الداخليّة. فسكّنت روعهنَّ وأَمرت فحملنها إلى باب الدير وأُتي أمامها بالقربان المقدّس فصلّت قائلة: يا ربّ لا تسلّم إلى الوحوش الأنفس المتفرّغة لتسبيحك (من المزمور ٧٣: ١٩) وصن عبداتك اللواتي فديتهنَّ بدمك الثمين من مخاليبها. وإذا بصوت سمعتهُ يقول: لاصوننكّنَّ على الدوام. وللوقت تداخل الكفّار فزع عظيم فولّوا هاربين والذين كانوا قد تسوّروا جدران الدير أغشي بصرهم فرموا أنفسهم من أعلاها إلى أسفلها. وبعد زمان قصير اقلعوا جميعاً عن حصار مدينة اسّيسي وعادوا إلى ملكهم في خجل خائبين*

وبقيت كلارة رئيسة على الدير المذكور مدّة اثنتين وأربعين سنة. وأثبت دليل على قداسة سيرتها صبرها الجميل على مرض مؤلم عضال عذّبها مدّة ثمان وعشرين سنة. ولم تتشكَّ قط وتتذمّر البتّة ولا رأَى أحد على وجهها علامة التمرمر والكآبة أصلاً* ثمّ أنّ داءَها العقيم انحلها وانهكها ولم يفارقها حتّى الساعة الأخيرة التي فيها نالت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بغيتها بالحظوة برؤية حبيبها يسوع. فعندما ناولها الكاهن القربان المقدّس اقتبلتهُ بمزيد حرارة وخشوع قلب. وإذ ذاك لحظ الحاضرون في خبز الذبيحة الطاهر صورة طفل بديع الجمال تعلوهُ كرة ناريّة تسطع نوراً وبهاءً. وكان وقتئذٍ البابا انّوشنسيوس الرابع مارّاً في مدينة بيروزة المقاربة لاسّيسي. فبلغهُ خبر مرض القدّيسة كلارة وانّها على شرف الموت. فاقبل ومعهُ أربع كرادلة ليمنحها بركتهُ الرسوليّة. أمّا هي فمع سقمها وأَلمها الشديد أرادت لثم قدميهِ. فلمّا انصرف قالت لأخواتها: اشكرنَ الله على انّي تشرّفتُ اليوم تشرّفاً لا يثمَّن إذ حظيتُ بيسوع مخلّصي في سرّ القربان المقدّس وبزيارة نائبهِ الأعظم*

والحالة هذهِ فانّ راهباتها كنَّ ملازمات لها لا يفارقنها منتبهات لأقوالها المفيدة ونصائحها النفيسة. فاستحثّتهنَّ على الادمان على أعمال الفضائل وخصوصاً أوصتهنَّ بالتواضع وحبّ الفقر. ثمّ أخذت تقوّي نفسها وتفاوضها في الثقة التي يجب عليها بالله باريها وتناجي يسوع حبيبها قائلةً لهُ: الشكر لك يا ربّي والهي أنت الذي خلقتني من العدم. وإذا بيسوع قد تراءَى لها صحبة مريم العذراء المجيدة وهي محتاطة من عذارى مكلّلات باكاليل متلألئة بهيّة للغاية. فدنت منها العذراء السيّدة وقبّلتها. وأَقبلت الأَبكار الطوباويّات فبسطنَ على جسدها فرشاً من نسيج فاخر نفيس. فانتقلت إلى رحمة الله تعالى وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر آب سنة ١٢٥٣ وحضر جنازتها البابا انّوشنسيوس الرابع وزمرة الكرادلة وجمّ غفير من أهل اسّيسي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعد أن ابّنها أحد الكردنالات امام المأتم وتكلّم عن قداسة سيرتها. أُخذت إلى داخل المدينة وقُبرت في كنيسة مار جرجس حيث دُفن القدّيس فرنسيس* وأَجرى الله عدّة معجزات للذين التجأُوا إليها. هذا وانّ البابا اسكندر الرابع سجّل اسمها في عدد القدّيسين بعد موتها بسنتين*

* اليوم الثالث عشر *

القدّيسة رادغنده الملكة

وُلدت رادغُنده سنة ٥١٩ للمسيح في إحدى مدن ألمانيا وتُعرَف اليوم ببلاد طورنجة وكان أبوها اسمهُ برثاريوس أحد موالي فرنسا متملّكاً على البلاد المذكورة. وفي سنة ٥٢٩ للمسيح حدث أنّهُ غُلب في حرب شبّت بينهُ وبين ملكَي فرنسا واسم أحدهما الملك ثياري الأوّل والآخر كلوتاريوس الأوّل. فوقعت إذ ذاك هذهِ الابنة غنيمةً للناهبين المظفَّرين وسُبيت إلى فرنسا مع أخ لها كانت تودّهُ مودّة شديدة. فهام في حبّها كلا الملكَين ثياري وكلوتاريوس ورام كلّ منهما ان يتّخذها خطّيبةً لهُ. أخيراً اختصّها لهُ كلوتاريوس. وكان هذا الملك فظّاً قاسياً. فأَرسلها إلى إحدى مدنهِ وأَمر أن تهذَّب تهذيباً محكماً. وبذل جلّ همّتهِ بتثقيفها في اتقان الآداب والبيان قاصداً بذلك ان تكون امراتهُ يوماً. فانعكفت على الدرس والمطالعة ورغبت جدّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في التقوى ولم يمل قط قلبها ولا انعطف إلى الملذّات الدنيويّة ولا تاقت نفسها إلى الاشتراك في العرش الملوكيّ مع الظافر الباغي. بل بقيت تهدس وتبيّن لرفيقاتها الدارسات ما قد استولى على قلبها من مزيد الحبّ للاستشهاد. ولم تكفّ من أن تتذكّر المقتلة العظيمة وما شاهدتهُ من خراب مملكة أبيها بعد أن مرّ على ذلك ثلاثون سنة ما قد ارعب صبوّتها واقلقها على الدوام وجعلها تذرف الدموع الغزيرة وتندب حظّها قائلةً: ويحي لقد استولى عليَّ الأعداء ونفوني من موطني وقادوني إلى هنا ذليلة بعد أن عاينتُ بعينيَّ ردم قصر أجدادي. واهاً لقد شاهدتُ بيت أبي ساقطاً في الذلّ والهوان. ورأَيتُ أهلي وقومي النجباء الأكياس مأسورين وفاقدين الجلالة والعزّ. فيا لهُ من مشهد مريع ومحزن حينما رأيتُ أبي وعمّي مذبوحَين وجثّتيهما مطروحتَين على الحضيض وتاجيهما الذهبيَّين ملقيَين في التراب معدومَين من كلّ وقار واكرام. يا حسرتي لقد شاهدتُ جميع القتلى أُحشرت في قبر واحد والنساء مسحوبات إلى الأسر مغلّلات الأيدي مسدلات الشعر حافيات الأرجل ومخضّبات بدم بعولهنَّ ودائسات على جثث أخوتهنَّ ولم يُسمَح لهنَّ أن يودّعنَ عتبة دورهنَّ ولو بقبلة أخيرة. آه انّي لأَغبط حظّ الذين سقطوا قتلى بيد الفرنساويّين. وامّا أنا فبقيتُ وحدي في الحيوة لأَرثيهم واندبهم باكيةً نائحة. ولكنّ قلبي صخريٌّ هو. اواه ليتني أداوم على سكب العبرات الغزيرة والدموع السخينة. آه انّي لكئيبة ومجروحة الفؤاد وهيهات أن أتعزّى*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمّا بلغت ثماني عشر سنة من العمر وعلمت أنّ الملك مجدّ في تجهيز كل لوازم العرس وعازمٌ على افتتاحهِ بعد قليل. خرجت من القصر الذي كانت مقيمةً فيهِ الواقع على ساحل النهر وركبت سفينة هاربة سرّاً تحت استتار الظلام. فلّما استحسّ الملك بذلك أرسل من استعقب أثرها وجاءَهُ بها إلى دارهِ. وبعد زمن قليل تزوّج بها باحتفال ورهج عظيمَين. وصبا إليها منشغفاً بهواها. ولفرط حبّهِ لها أخذ يشكو عدم الفتها لهُ وتواصلها وكراهيّتها الملاذّ العالميّة. وما زال عدم الائتلاف حالاً بينهما ولذلك كان يقول: انّ قرينتي ليست بملكة بل انّما هي راهبة. أمّا هي فما برحت تجدّ وتسعى وراء ما يفرّج الكآبة عن قلبها وما حصل لها من الغمّ في زيجتها. فانعكفت على أعمال التقوى والعبادة فوجدت فيها تسليتها العظمى. وكان الملك كلّما دعاها لتتعشّى معهُ تتركهُ بأمل في انتظارها حتّى تنتهي من قراءَتها الروحيّة فيزداد غيظاً ويبالغ في مشاجرتها وإهانتها. ثمّ أقبل يستميلها بالهدايا كما يستعطفها عمّا سبّب لها من الإهانة والرذل* وكان من دأبها النهوض ليلاً والاضطجاع على مسح مقاسيةً شدّة البرد بتجلّد وثبات. وكانت منصبّة على قراءَة الكتب المقدّسة وصرفت كل أيّامها في درسها. ولم تملّ من مفاوضة الاقليرس والأساقفة المتردّدين إلى بلاط الملك. وكانت تسعف الفقراء وتبذل الاحسانات والصدقات بسخاء جزيل معتنيةً اعتناءً خصوصيّاً في إدارة مستشفى إقامتهُ في مملكة اثياس حيث قضت سني أسرها الأولى. وخدمت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيهِ بنفسها النساء المرضى*

وناهيك انّ جميع أعمال هذهِ القدّيسة الجليلة كانت تعلن صريحاً عن تملّك ايمان سيّدنا يسوع المسيح على نفسها وشدَّة ولعها بهِ. وحبّها المفرط كان يسوقها لتخدم هذا الايمان بجدّ وشوق من دون فتور ولا ملل أو اذّخار شيء* وعندما كانت تضطرّ أحياناً أن تزيّن رأسها بأفخر الحلى المرصّعة بالجواهر الكريمة حسب عادة الملكات المألوفة وتغدو إذ ذاك أبهى خلق الله في الحسن والجمال كان يسيئها ذلك لا سيّما حينما تأخذ جارياتها بوصف جمالها وبهاءِها الفائق. فتسرع هي لتلقي عن رأسها التاج المرصّع بالجواهر الفاخرة وما عليها من الحلى الثمينة واضعةً إيّاها على مذبح أيّ كنيسة صادفتها بالقرب منها. وعندما كانت تمرّ في الطريق وتُصادف هيكلاً للأوثان أو آثار المعبودات الباطلة. كانت تغتاظ وتأخذها الحمّية الدينيّة وتقف عن المسير وهي في موكبها وتأمر الجنود ليهدموا حالاً تلك الأماكن المدنّسة بعبادة الأوثان غير مبالية بصراخات الشعب الفرنساوي المنهمك حينئذٍ في عبادتها ولا ملتفتة ما يحدثونهُ إذ ذاك من الشغب والاضطراب لتمسّكهم الشديد في معبوداتهم ومحاماتهم عنها بالسيوف والعصي. وهكذا لا تبرح واقفة في وسط موكبها حتّى تهدم وتحرق تلك الأبنية وتمحيها عن آخرها*

وبعد زواجها بستّ سنوات قتل كلوتاريوس بعلها أخاها وهو صغير السنّ وكانت تحبّهُ محبّة عظيمة لأنّهُ كان رفيقها في الأسر وموضوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تسليتها الوحيدة. ولم يُعلَم السبب الذي من أجلهِ قتلهُ الملك. فانّهُ كان بريئاً من كل ذنب. فاغتمّت القدّيسة غمّاً شديداً وامتلأَ قلبها حزناً من أجل هذهِ المعاملة الظلميّة. وقد ظهر من بعض عبارات تلفّظت بها بعد موت أخيها بأنّ الملك احتجّ عليهِ بسببها وقتلهُ. فقالت يوماً وهي تتنهّد: انّي شعرتُ بنفسي كأنّ نير العبوديّة قد تجدّد وتضاعف*

ولم نقف على خبر هذا الحادث وما جرى حينئذٍ بينها وبين قرينها سوى انّ ذلك صار سبب انعتاقها من الأسر وقيود العالم. لأنّها بعد قليل من الزمان نالت بغيتها فأَذن لها عريسها أن تهجر القصر الملوكي. فتركتهُ وخرجت من مدينة سواسون ورحلت إلى نويون وكان يومئذٍ أسقف تلك المدينة مار ميدرد. وكان هذا ذا جاهٍ ونفوذ لدى الملك والشعب بأسرهِ. فقصدتهُ القديسة ووجدتهُ إذ ذاك في الكنيسة يحتفل بالقداس الإلهيّ. فعرضت نفسها بين يديهِ وطلبت منهُ أن يكرّسها لخدمة الله. فتحيّر الأسقف ولم يجب إلى طلبتها في أوّل الأمر. وإذ شاهد الأمراء الفرنساويّون الحاضرون وقتئذٍ ما عزمت عليهِ الملكة. احتاطوا بالأسقف وهو على المذبح وانزلوهُ منهُ. وعرضوا عليهِ أن يمتنع من تكريس ملكتهم. أمّا هي فأسرعت حالاً ودخلت إلى الساكرستيّة وأخذت ثوباً رهبانيّاً وتردّت بهِ وعادت نحو المذبح قائلةً للأسقف: ارغب إليك الاّ تؤخّر تكريسي لله وايّاك أن تخشى إنساناً أكثر من الله. فانّ الراعي الصالح سيطالبك يوماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عن نفسي أنا غنمتهُ. فارتاع الأسقف لدى سماعهِ هذهِ الكلمات ومكث عديم الحركة لعظم ما استولى عليهِ من الرعب. ثمّ شعر بإلهام إلهيّ فرفع يديهِ ووضعهما على رأسها وكرّسها خادمةً لله ورسمها شمّاسةً كحسب الرتبة التي نوّه عنها مار بولس الرسول. وإذ بلغ الملك خبرها. لم يتجرّأ في أوّل الأمر أن يمانعها عن صنيعها هذا* أمّا خادمة الله الجديدة فانها أخذت منذ حينئذٍ تتصرّف بحرّيتها وتطوف الهياكل والمعابد موزّعة عليها الهدايا ممّا كان لها من الجواهر والحلى الثمينة الملوكيّة. ثمّ عبرت نهر لوار وأقامت أوّلاً في تورس بالقرب من ضريح القديس مرتينس. وكان الزوّار والبائسون من المسيحيّين يتقاطرون حينئذٍ إلى هنالك ليتباركوا من زيارتهِ. وقيل انها تلاقت مع حماتها كلوتيد التي أقبلت إذ ذاك إلى قبر القديس المذكور وأقامت هناك لتستعدّ للموت* ثمّ انتقلت القديسة من هناك وحلّت في أرض وهبها لها الملك يقال لها سيكس من أعمال مدينة بواتق. وانفردت فيها لتعيش في عزلة فانعكفت على التقشّف والعيشة النسكيّة ملازمةً خدمة الفقراء ومداراة المصابين بالأمراض العضالة وذوي العاهات. وعندما تنتهي من خدمة المرضى المعترين بالبرص واستحمامهم كانت تقبّل قروحهم الملطّخة بالمادة المفسودة من دون أن يتداخلها من ذلك ادنى استنكاف واشمئزاز. وفيما كانت تفعل ذلك يوماً على مجرى عادتها قالت لها إحدى أَتباعها: من يمكنهُ يا سيّدتي أن يعانقكِ ولا تتقرّف نفسهُ ويأنف منكِ إذ يشاهدكِ صحبة هؤلاء البرص تعانقيهم وتقبّلين قروحهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأجابتها القديسة ببشاشة وتبسّم قائلةً لها: انّي لا أبالي اعانقتِني أم لا لأنّ جلّ تعزيتي هي في يسوع*

وعقيب ذلك ذاع الخبر بأنّ كلوتاريوس آتٍ في طلبها لأنّ قلبهُ لم يزل منشغفاً في حبّها بل هام اضطراماً من بعد فراقها. أما القديسة الجليلة فلمّا بلغها ذلك تردّت بمسحٍ خشن وشرعت تجدّ وتكثر في زهدها وتزيد في تقشّفاتها وأصوامها مظهرة بذلك عدم رضاها ورغبتها. وأرسلت ما بقي عندها من الذهب والحجارة الكريمة إلى ناسك قدّيس في شينون صحبة عجوز كانت برفقتها وأوصتها لتطلب منهُ أن يصلّي بحرارة من أجلها كيلا ترجع إلى العالم. وعرضت عليها أن تبلّغهُ كلماتها هذهِ وهي: انّي لأحبّ إليّ أن أموت أي نعم الأحرى لي أن أموت من أن أرجع إلى العالم وأعيش صحبة ملك أرضيّ بعد أن سُررتُ والتذّيتُ بعذوبة معانقة ملك السموات. فجاوبها المتوحّد بأنّ الله سيستجيب طلبتها. فاطمأنّت وقصدت قبر القديس هيلاريوس في مدينة بواتيي لتحتمي فيهِ. ولما وصل كلوتاريوس استولى عليهِ الرعب ثانيةً فجدّد لها الاذن لتمكث في خلوتها وسمح أن تشيّد لها ديراً في بواتيي لتنفرد فيهِ عن العالم. وعند الفراغ من عمارة الدير توجّهت إليهِ وفيما هي سائرة في الطريق تقاطر الناس مزدحمين وقد ملأُوا الشوارع والسطوح ليشاهدوا الملكة المترهّبة. فدخلت القديسة الدير بفرحٍ ورهجٍ لا مزيد عليهما كمن يدخل دار الظفر*

وبعد زمن وجيز داهمت القديسة غموم أُخرى وذلك لأنّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلغها انّ الملك جاء إلى تورس وقصد التوجّه إلى مدينة بواتيي ساعياً في طلبها مظهراً في سفرهِ انّهُ ذاهب لقضاء أمور دينيّة. ومن حيث انها لم تتمكّن حينئذٍ من الحصول على حماية الأسقف القديس ميدرد لأنّهُ كان قد توفّي قبل ذلك بقليل كتبت إلى القديس جرمانس أسقف مدينة باريس المشهور ملتمسةً منهُ أن ينجدها من البلاء الملمّ بها ويعضدها على الثبات في نذرها. فانطلق الأسقف إلى مواجهة الملك فوجدهُ إذ ذاك تجاه ضريح القديس مرتينس فحيّاهُ وأخذ يتوسّل إليهِ راجياً منهُ أن يعدل عن الذهاب إلى مدينة بواتيي. فاستوعب الملك حينئذٍ من عبارات الأسقف كلام رادغنده ومرامها وعلم من ثمَّ انّهُ لا يجدر بهِ أن تكون لهُ امرأة تلك التي ما زالت تفضّل إرادة الله على إرادتهِ. فأَذعن إلى طلبة الأسقف وعرض عليهِ أن ينطلق إليها ويستغفرها عمّا صدر منهُ في مقاومتها وعن كلّ ما أساء بهِ إليها بسبب مشورات الأردياء. وتركها منذ ذلك الحين في السلام. فشرعت منذ حينئذٍ تبذل غاية مجهودها في تأسيس رهبانيّتها عازمةً أن تصرف في الدير الذي شيّدتهُ ما بقي من حياتها. وهكذا حدث فانّها بقيت ملازمةً الدير إلى آخر حياتها مدّة أربعين سنة. واهتمّت أيضاً بإنشاء دير للرهبان محاذياً لديرها. لكي يقوم هؤلاء بتدبير ديرها ويوزّعوا على الراهبات الأسرار المقدّسة. وقد جذبت إلى العيشة الرهبانيّة عدداً وافراً من البنات ذوات الحسب والنسب فبلغ عددهنّ نحو مائتي راهبة وأخصّهنّ من عائلات مجلس غاليا ومن أعيان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأمراء فرنسا. وإذ لم تشأ القديسة أن تصير رئيسة انتخبت شابّةً تُدعى اغنيسة كانت قد ثقّفتها ودرّبتها في التقوى وحسن السيرة واقامتها رئيسةً عليهنّ* ولم تبرح رادغنده تجهد نفسها وتكلّفها الأثقال الرهبانيّة وفروضها. فانّها كانت كلّما أتت نوبتها تخدم هي نفسها في المطبخ وتوقد الأثافيّ والتّنور وتستقي الماء وتحمل أحمال الخشب الثقال وتغسل الأواني والصحون وتكنس الأقذار وتنظّف أحذية الراهبات وقتما يكنّ نائمات. ولم تستخصّ لنفسها شيئاً خارجاً عن قانون الرهبنة* وكانت تنفرد في قلاّيتها مدّة أيّام الصوم الكبير وتحبس ذاتها فيها غير ذائقة طعاماً فيهِ زيت أو ملح ممتنعة عن أكل الخبز وتقتات من بقول وعروق نباتات مطبوخة. ولم تكن تشرب الاّ قليلاً من الماء ولشدّة ما كابدت من العطش لم تَعُدْ تساعدها حنجرتها على ترتيل مزمور واحد* وكانت لا تملّ من قراءَة الكتب المقدّسة ولا من الدرس والهدس والتأمّل في تأليفات الآباء القديسين. فانّها طالعت تفاسير القديسين المشهورين مار غريغوريوس النازينزي ومار باسيليوس ومار اثناسيوس ومار هيلاريوس ومار امبروسيوس ومار هيرونموس ومار اوغسطينس وسيديليوس وبولس الاوروزيّ. ومع هذا كلهِ لم تكن تغفل قطّ عن الاعتناء بالفقراء بل ما برحت تداريهم في أمراضهم العضالة وتخدمهم بشجاعة وثبات. وكانت ذات تواضع عميق مجرَّد من الأغراض العالميّة ومع هذا فانّ جميع الراهبات كنّ يعتبرنها حقّ الاعتبار لأنها بذلت جزيل همّتها في تشييد ديرهنّ وتأسيس رهبنتهنّ. وعظم كذلك شأنها لدى الكنيسة كلّها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وعندما عُقد المجمع الثاني في تورس طلبت القدّيسة إلى الأساقفة الملتئمين هناك أن يثبّتوا قانوناً لديرها في شأن الخلوة المؤَبّدة حسب قانون القدّيس قيساريوس الذي وضعهُ لدير أختهِ المؤَسَّس في مدينة آرل قبل ذلك الحين بنحو مائة سنة*

ثمّ انها أخذت تهتمّ في تزويق هيكل ديرها. ولكي تزيدهُ رونقاً سعت بجلب جزءٍ من عود الصليب الحقيقيّ الذي صُلب عليهِ فادينا. وعرضت طلبتها هذهِ على الملك يسطينس فبلّغها مناها. واقتبلت القدّيسة هذهِ الذخيرة الجليلة بفرح ما عليهِ من مزيد ونقلتها باكرام وتوقير. ولقّبت ديرها باسم الصليب المقدّس. وفي أثناء ذلك رُتّل لأوّل مرّة أناشيد رخيمة لا تزال ترتّلها حتّى يومنا هذا الكنيسة اللاتينيّة ومنها النشيد المعروف بأسلحة الملك. والآخر رتّلْ يا لساني. وقد ألّف هذين النشيدين حينئذٍ الشاعر المشهور فينانسيوس فورتينانتوس لدى تأَثّرهِ من مشاهدة تلك الحفلة. وقد كان هذا الشاعر علمانيّاً من إيطاليا. ولمّا قصد زيارة هياكل غاليا (التي يُقال لها اليوم فرنسا) وجاء إلى بواتيي وشاهد أعمال رادغنده انجذب إلى خدمة الله ورغب فيها. فسيم كاهناً في مدينة بواتيي. ثمّ بعد زمن طويل أُقيم أسقفاً على هذهِ المدينة نفسها. وهو الذي كتب سيرة هذهِ القدّيسة*

ولوفور حبها لعائلتها الرهبانيّة كانت تنظر دائماً إلى الراهبات بعين الرأفة وتخاطبهنَّ بمحبّة ورقّة والديّة. وكلّما وُجدت صحبة بناتها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكثيرات العدد. كانت تحيط بهنَّ كالدجاجة عندما تجمع فراخها وتخاطبهنَّ بهذهِ الكلمات وهي: انّ عظم حبّي لكنَّ ينسيني أهلي وكوني اقترنتُ بملك. فيا بناتي انّي اودكنّ وقد اصطفيتكنَّ وغرستكنَّ كزهور جميلة. انتنَّ عينيَّ وحياتي وراحتي وكل سعادتي. وقد جعلتها هذهِ المحادثات بعيدة عن أخبار العالم* وروى عنها فينانسيوس فورتينانتوس قال: انّهُ في أحد الأيّام عند المساء بينما كانت القدّيسة متفرّغة للصلوة برفقة راهبتين. مرّ جماعة من الرجال بالقرب من حائط الدير وهم يرقصون ويغنّون. فقالت لها إحدى تينك الراهبتين: يا سيّدتي انّي أذكر أحسن أغنيةً من أغاني هؤلاء الرقّاصين كنتُ أرتّلها قبلاً. فأَجابتها القدّيسة: انّي لمتعجّبة غاية العجب كيف انّكِ غبّ ان كرّستِ ذاتك لله تُسرّين باصغائك إلى ضجيج أصوات العالم. فقالت الراهبة: أقول لكِ الحقّ يا سيّدتي بانّي ألّفتُ من هذهِ الأغانيّ اغنيّتين أو ثلاث. فأَجابتها القدّيسة: أمّا أنا فأُشاهد الله عليَّ بأنّي لم أسمع قطّ ولا نغمة واحدة من هذهِ الأغاني العالميّة*

هذا ومع ما كانت عليهِ رادغنده من مزيد الانعطاف إلى الهدس بالأمور الخلاصيّة وعظيم الهمّة في اقتناء الكمال والمواظبة على العيشة الرهبانيّة. أخذت تسعى أيضاً باجتهاد في خير بيتها الملوكيّ وما يؤُول بالمنافع على أهل مملكتها. ومن أخصّ ما أدّتهُ هو انّهُ لما عظمت المشاجرة بين كنّتيها بذلت مجهودها في القاء الصلح والسلام بينهما. وممّا يُروى عنها أيضاً هو انّها ما زالت مشتغلة البال تتوق إلى راحة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أهل وطنها وتكاتب جميع الملوك والأمراء بالتتابع ملتمسةً منهم ان يسهروا على خير الشعب والمملكة بأسرها وتقول: انّي اعتدّ نفسي فائزةً بالظفر ما دام السّلام موجوداً بين عشيرتي. ولهذا لم تبرح من حثّ الراهبات ليوجّهن الصلوات الحارة لهذهِ الغاية. وهي كذلك ضاعفت الأصوام والتقشّفات وأعمال الرحمة* وكانت تعامل راهباتها بمزيد اللطف والرأفة ولا تأمرهنّ بشيء إلاّ وتسبقهنّ في عملهِ رافضةً الراحة ومجهدةً نفسها بأثقال قانون الرهبنة* وكانت أيضاً تعذّب جسدها بعذابات قاسية من ذلك انّها صنعت لها صليباً من حديد وأخذت تحميهِ وتكوي بهِ جسمها الذي لم يكن معتاداً على احتمال تقشّف شاقّ كذا. وذلك شهادةً على كثرة حبّها للمخلّص المصلوب. وحملت على جسدها مدّة حياتها كلّها سلسلة حديديّة كان قد أهداها لها أحد أمراء بواتيي يُدعى جونيانس. وهذا الأمير أيضاً ترك العالم مثلها ولزم التزّهد وجمع تحت لواء النسك عدّة أناس انعكفوا على العبادة والتقشّف اقتداء بالقدّيسة الفاضلة. واختار لهم قانون القديس بندكتس واعتنى أيضاً باعالة عددٍ وافر من أجناس الحيوانات الأهليّة ليتمكّن من القيام بعيشة الفلاّحين الفقراء. وكان يقدّم لهم ما يحتاجون إليهِ من الدوابّ للحراثة. ومن الكسوة والقوت حتى البيض والجبن ويقوم بلوازم المرضى ويغذيهم بلحوم الطيور. وهو كان يكتسي بثياب من صوف تغزلهُ لهُ القديسة. وقد تعاهدا كلاهما على أن يصلّي كلّ منهما من أجل الآخر بعد موتهِ. غير انّ كليهما ماتا في يوم واحد وساعة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واحدة وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ٥٨٧ للمسيح. وخرج في وقت واحد رسولان لينعيا موتهما احدهما من دير الصليب المقدّس الذي في بواتيي والآخر من دير جونيانس فالتقيا في نصف الطريق وهما حاملان الخبر المحزن بموت هذين الفاضلين*

وجاء حينئذٍ إلى بواتيي ليحضر تجنيز القدّيسة غريغوريوس أسقف مدينة تورس. وهو أخبر مندهشاً ممّا عاينهُ وشاهدهُ في هذهِ القدّيسة إذ كانت في النعش. فانّ وجهها زاد بهاءً وجمالاً وهي محتاطة بمائتي راهبة من ذوات الأصل الشريف اللواتي هجرنَ الدنيا على يدها واقتفَين آثارها وكرّسنَ ذواتهنَّ لخدمة الله ومحبّتهِ. فأَخذنَ والحالة هذهِ ينحنَ حول النعش ويرتّلنَ رائيات موت رئيستهنَّ معظّمات فضائلها. وحينما شُيّعت جنازة القدّيسة وأُخذت إلى المقبرة لتُدفن. أسرعنَ مزدحمات على كوى الدير وحيطانهِ وقد أكثرنَ من الصراخ والعويل والتنهّد ملتمسات أن يتركوا لهنَّ نعشها برهةً عند أحد أبراج الدير كيما يودّعنَ رئيستهنَّ الملكة المؤَسّسة لديرهنَّ ويقدّمنَ لها اكراماً أخيراً. وذلك لسبب انّ القانون كان لا يسمح لهنَّ أن يتبعنَ الجنازة خارجاً عن الدير*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع عشر *

القدّيس اوسابيوس

انّ اوسابيوس كان قسّيساً في روميّة ومحامياً غيوراً للديانة الكاثوليكيّة عن بدعة آريوس وتبّاعهِ ومجاهداً صنديداً لها* فلمّا ارتقى سدّة الملك قُسْطنسيوس الاريوسيّ اضطهد كثيرين من الأساقفة والقسوس الكاثوليكيّين. منهم الاب القدّيس اوسابيوس فانّهُ حبسهُ في مضيق بقصرهِ بحيث لم يمكنهُ أن يتحرّك فيهِ يميناً أو شمالاً. وأَقام فيهِ سبعة أشهر وهو يبتهل إلى الله كي ينعم عليهِ بالشجاعة والصبر حتّى الموت لأَجلهِ. فاستجاب الربّ طلبتهُ وتوفّاهُ في السجن بعد أن مكث فيهِ سبعة أشهر وذلك في اليوم الرابع عشر من شهر آب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. فحمل كاهنان جثّتهُ ودفناهُ في مقبرة شريفة وكتبا على قبرهِ هذا التاريخ: هنا ضريح اوسابيوس الصالح* وفي روميّة كنيسة قديمة بناها البابا زكريا فيها محفوظة جثّتهُ الطاهرة باحترام ووقار*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس عشر *

انتقال سيّدتنا مريم العذراء إلى السماء

انّ مريم العذراء والدة الله الجليلة أقامت على الأرض من بعد صعود ابنها سيّدنا يسوع المسيح إلى السماء. وما برحت طول حياتها تتّقد شوقاً مقدّساً إلى مشاهدة الله الذي وحدهُ يكمّل أشواقها ويغمّر نفسها بنعمهِ الغزيرة. ولشدّة ما كانت عليهِ من الأشواق الحارّة والمتداومة شعرت بألَم الحبّ الإلهيّ وهتفت مع صاحب نشيد الانشاد مخاطبة الملائكة المحتاطين حواليها والمحافظين عليها قائلة: اسندوني بالزهور انعشوني بالتفّاح فانّي مريضة من المحبّة. اقسم عليكنَّ يا بنات أورشليم ان وجدتنَّ حبيب نفسي أخبرنهُ بانّي مريضة من المحبّة*

انّ محبّة والدة الله المتفاقمة التي كانت تلهج بها دائماً أخذت تقرض رباطات حياتها وتفنيها يوماً فيوماً. حتّى قطعتها وانفصلت نفسها من جسدها. فحقّاً انّها انحلّت بالموت ولكنَّها رقدت بالسلام وبالحبّ الإلهيّ وطارت روحها مسرعةً نحو الجودة الإلهية لتّتحد بها سرمداً*

قال بعض المؤَلّفين. انّ مريم عاشت ثلاثاً وعشرين سنة من بعد صعود ابنها. لأنّ الرب تركها على الأرض لتنعش نفس الكنيسة الناشئة يومئذٍ وتقوم مقامهُ مع الرسل والتلاميذ لتنيرهم وتشجّعهم. ثمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ليبيّن لنا حسب وعدهِ تعالى انّهُ لم يدعنا يتامى بل ترك لنا أمّاً تساعدنا وتسلّينا من بعد مبارحتهِ العالم*

وقد أخبرتنا التقاليد أنّهُ حينما دنا وقت موت سيّدتنا مريم العذراء أرسل يسوع ملك المجد رئيس ملائكتهِ مار جبرائيل إلى أمّهِ يقول لها ثانيةً: يا ممتلئة نعمة انّي أبشّركِ بأن قد دنت ساعة نجاتكِ* وعندما أُرسل جبرائيل بهذهِ الرسالة الثانية. نقل ملائكة الربّ إلى أورشليم بأعجوبة جميع الرسل من أقاصي الدنيا حيث كانوا قد انتشروا ليكرزوا بالإنجيل وذلك لكي تباركهم والدة الله قبل وفاتها. وحضر صحبة الرسل أيضاً كثير من التلاميذ ومن جملتهم مار ديونوسيوس ومار طيماثاوس ومار جيروثيوس* انّ مريم الطوباويّة لم تتمرّض قط وحسب نصّ بعض المؤَلّفين أنّها طعنت في السنّ إذ بلغت من العمر اثنتين وسبعين سنة. ومع ذلك فلم تظهر عليها إحدى علامات الشيخوخة ولا فقدت جمالها البهيّ السماويّ ولا وقعت طريحة الفراش. ولا احتاجت إلى التجهيزات المعدَّة اعتياديّاً إلى المرضى والمنازعين* وعند مفارقتها هذهِ الحيوة نزل سيّدنا يسوع المسيح من السماء محتاطاً بجماهير ملائكتهِ وقدّيسيهِ ليأخذ روحها الطاهرة التي لم تمسّها الخطيّة قطّ. وإذ ذاك أخذ الملائكة يرتّلون أناشيد سماويّة سمعها جميع من حضر وفاة والدة الله. ولدى مشاهدتها ابنها اتّقد قلبها بنار حبّ لا يوصف. حتّى انّ نفسها انفصلت من جسدها من دون أن تشعر بأَدنى وجع. وهكذا رافقت ابنها إلى السماء بسرور لا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مثيل لهُ. وامّا جسدها المقدَّس هيكل الروح القدس فحملهُ الرسل باحتفال وقبروهُ في وادي يوشافاط مرافقاً بتهاليل الملائكة ونغماتها الحلوة والعجائب الباهرة. ولم يسمح الله أن يقترب الفساد من جسدها المقدّس بل لبث صحيحاً سالماً مدّة ثلاثة أيّام في القبر. وطول مدّة هذهِ الأيّام الثلاثة لم تنقطع أصوات تراتيل الملائكة والرسل. ولم يكن توما الرسول حاضراً مع بقيّة الرسل في وفاتها ودفنتها. ولكنّهُ في اليوم الثالث حضر وأظهر شوقهُ إلى مشاهدة جسدها الطاهر. فمضوا بهِ وفتحوا القبر فلم يجدوا فيهِ جسدها. بل وجدوا ثيابها فقط ففاح منها روائح ذكيّة فائقة الوصف. فعلم الرسل أنّها انتقلت إلى السماء بنفسها وجسدها واندهشوا من هذهِ الأعجوبة العظيمة ومجّدوا الله الذي شاء ليس فقط أن يولد من مريم من دون أن يُفَكّ ختم بكارتها. بل أراد أيضاً أن يُحفَظ جسدها من بعد موتها خالياً من الفساد. وأَنعم عليها أن تحيا حيوة ممجَّدة عديمة الموت من قبل القيامة العامّة* فمن يقدر يصف عظمة الفرح الذي شمل قلب أجواق الملائكة والطوباويّين حينما شاهدوا ملكتهم الطاهرة مرتفعة إلى السموات ومستندة على حبيبها الذي بقي ينتظرها زماناً طويلاً إذ اختارها منذ الأزل لتكون رونق سكّان السماء. ولهذا فقد أسرع إلى ملاقاتها الملائكة وروساء الملائكة الكاروبيم والسارافيم الآباء والأنبياء وجميع القدّيسين من العهد القديم والجديد. لأن بدخولها إلى أورشليم السماويّة أولت سكّانها بهاءً ومجداً. فحيّوها مقدّمين لها الاكرام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والتهاليل واثنوا عليها بمدائحهم منذهلين ممّا شاهدوهُ من النعيم الغزيرة التي غمّرها الله بها ومنعطفين إلى مفاخرها وجمالها الفائق المتلألئ ببهاء سامٍ ما لم ينلهُ قطّ سكان السماء. ولهذا هتفوا قائلين: من هي هذهِ الشبيهة بالفجر البهيّة الجميلة مثل القمر اللامعة كالشمس القويّة مثل العسكر المعدّ للحرب... كم هي جميلة خطواتكِ يا ابنة الأمير. كم أنتِ جميلة ومفتنة هلمّي من لبنان لتُكلَّلي...*

أمّا والدة الله فقد امتلأت فرحاً وبهجةً وسرّ قلبها لِما نالتهُ من المجد والانتصار. وذلك لمّا رأت بأن قد ذهب عنها زمان الأتعاب والمشقّات واحتمال الأوجاع وذرف الدموع والتنهّدات وكملت فيها جميع الرموز وأشرقت عليها أبديّة متلألئة بالمجد غير المتناهي وبدأت بسعادة تفوق كلّ حدٍّ وقياس. لأنها قد زرعت بالدموع وأخذت تجمع وتحصد بالبهجة متمتّعةً بما خوّلها الله من المجد العظيم جزاء ما كابدتهُ من المصاعب الوقتيّة على الأرض. لأنها كانت عالمةً بوفور سخاء الله الذي لا يهمل المجازاة ولا يضيّع أجر من يسقي كاس ماء بارد باسمهِ. فكم بالأحرى لمن يتوق إلى حبّهِ وارضائهِ سواءً كان بذرف الدموع أو باحتمال الأوجاع وما أشبه ذلك. أفلا يفيض على قلب أصفيائهِ سيول البهجة وينعم عليهم بسعادة أبديّة ويمتّعهم باللّذات السماويّة ويضفر على رؤوسهم أكاليل المجد غير المتناهي التي تتلألأُ ساطعةً بالأنوار. وبهاؤُها يفوق أكاليل الملوك الأرضيّين بما لا يوصف* فهذا الإله الجوّاد فتح لوالدتهِ كنوز نعمهِ وضمّها إلى قلبهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأقدس وافعمها من بهاء أنوارهِ الإلهيّة وأشبع نفسها من ملذّات نعيمهِ الغير المتناهي. وغمّرها في بحر حبّهِ الذي لا ينفذ. وجعلها تتمتّع فيهِ بمجد وسعادة لا مثيل لهما. فلا تبرح ملتذّةً بأفراح الظفر والسعادة ليس فقط لسبب أنها أمة الرب الأمينة بل لأنّها بالحقيقة والدة الله*

وبناءً على ما حصلت عليهِ ملكتنا من الانتصار والمجد العظيم يحقّ لنا أن نتهلّل فرحاً ونُسرّ سروراً عظيماً لأنّها أمّنا وفخر جنسنا. ومجدها وانتصارها يأُولان إلى مجدنا وشرفنا. لأنّ الأولاد يشعرون دائماً بما تفوز بهِ الأمّ من المجد والغبطة. فلنسرّ إذاً ونفرح على فرحها. ويا لسعدنا فانّ لنا في السماء امّاً ذات جاه عظيم عند الله وقدرة ومجد ساميَين. ويا لها من أمّ شفوق رأوف تنعطف بحنّيتها الفائقة نحونا نحن أولادها. ويا للسرّ العظيم الذي جاد بهِ الله علينا إذ نرى انّهُ سبحانهُ جعل هذهِ الأم الحنونة عضداً لنا وقناةً تجري علينا منها احساناتهُ الغزيرة. وفضلاً عن ذلك فقد شرّفها بنوع أسمى ورقّاها إلى أعلى منزلة من المجد. أي ما اكتفى أن يتّخذها امّاً لهُ. بل أضاف وسلّم بين يديها جميع النعم التي استحقّها ابنها الإلهي لكي توزّعها علينا. وبذلك فقد ظفرت بنعمة عظيمة على قلبهِ الأقدس وتمكّنت من أن تغيثنا وتمدّ إلينا يد المساعدة. ورقّتها الوالديّة تحملها على أن تتنازل لتسدّ كلّ احتياجاتنا* فلنحبّها إذاً حبّاً عظيماً لأنّها أمّنا الظافره والممجّدة في السماء. ولنبتهج لرفعتها السامية لأنّها تملك في أورشليم السماويّة على عرش مجد قريب من عرش الله نفسهِ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيحقّ لنا أن نقول ان لنا في السماء أم قديرة يمكنها أن تنال لنا كلّ ما نتمنّاهُ وتستطيع نوالهُ لنا من فضل جودتها*

* اليوم السادس عشر *

القدّيس هيّاكنثس (أو هواكنثس) الدومنيكي رسول بلاد الشمال

كان القديس هياكنثس (ومعنى اسمهِ ياقوت) من بيت الدُروفَنْس الشريف وهو من أقدم بيوت سيليزيا وأشهرها. ووُلد سنة ١١٨٥ في قصر سَكْسْ في أبرشيّة بِرِزْلاو*

وأَبدى منذ نعومة أظفارهِ رغبة شديدة في اقتناء الفضائل والدرس. فكان مراراً يسير دائراً في حجر قصرهِ المزيّنة بصور آبائهِ ويقف أمام هذهِ الصور متأَمّلاً في محاسن أجدادهِ وسائلاً عن سيرتهم. ويطلب تفسير ما كان يراهُ ويرغب خاصّةً أن يعلم بأيّ واسطة اشتهر آباؤُهُ في عصرهم وكيف استحقّوا ملكوت السماء. فلم يكن يذهب من بالهِ ذكر ما تلقَّنهُ من هذهِ التعاليم الإلهية. ثمّ انّهُ كان يقول: ان صحّ ان أسلافي جعلوا لهم صيتاً عظيماً لا يُنكَر وجب عليَّ أن اتحذّر من أن أفسدهُ بشيءٍ من المنكرات. فانّ ما حصل بهِ أجدادي على كل هذا الجاه العظيم هو الصدق والاستقامة والشهامة. فيحقّ لي أن أقفوَ أثرهم فاكون مثالاً صالحاً على الأرض وممجّداً في ملكوت السموات*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأنار الروح القدس نفسهُ وأَراهُ اكليل القداسة المعدّ لهُ. واتّصف هذا القدّيس بالخلال الزاهرة في الجسد والروح والحسّ. وكان أديباً كريم الوجه انيساً ثاقب البصيرة رقيق القلب حازماً شهماً. ويا ما أعجب ما اجتمع في هذا الولد الحديث من الموافقة بين مفاعيل النعمة الأولى ومزايا نفسهِ الشريفة. وكان فائقاً في احتشامهِ وحيائهِ ولا يتعاطى قط شيئاً من ملاهي الصبيان. بل كان يحبّ مجالسة أمّهِ ليسمع منها التعاليم التقويّة. وأخصّ ما تلقّنهُ منها هو أن يحب سيّدنا يسوع المسيح وسلطانتنا مريم العذراء ويستظلّ في حمايتها متحرّزاً من كلّ ما من شأنهِ أن يدنّس طهارة نفسهِ وبتوليّة جسدهِ. وكان يكثر أعمال التقشّف والتوبة تاركاً الراحة وماكثاً أوقاتاً طويلة جاثياً على الأرض مخاطباً بصلوات حارّة الاله الرحمان الذي ما يزال يسبغ عليهِ آلاءَهُ الجزيلة* ولم يكن يحبّ الثياب الفاخرة. وكان يشعر في باطنهِ أنّهُ منجذب انجذاباً إلى حبّ الفقراء المتسوّلين المرذولين عند العامّة. ورؤي أحياناً حاملاً دراهم أو خبزاً لكي يقيتهم بذلك. وإذا لم يكن عندهُ شيء توسّل إلى أهلهِ أن يعطوهُ عطيّة ما. فكان يحملها هو نفسهُ بيديهِ الطاهرتين إلى أحبّائهِ المعوزين ويعطيهم إيّاها ويشجّعهم بأقوال لطيفة أنيسة قائلاً: خذوا يا أصدقائي الفقراء يا أخوة المسيح. وأحياناً عند رجوعهِ من صنيعهِ هذا الخفيّ. كان يذهل الناس بحرارة حديثهِ. فانّ نفسهُ كانت تفيض بكلمات ناريّة. ونعمة دعوتهِ الأزليّة كانت تحرّكهُ أن يتكلّم في محبّة الله والقريب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كرسول معظَّم. وأمّا ايباس عمّهُ فكان مبهوتاً ومنذهلاً من اللطافة وسيماء النجابة التي كانت تلوح على وجههِ وعلى شفتيهِ كانتا تنطقان ببديع الكلام وبليغهِ. وكان يصرخ متعجّباً جدّاً: يا هياكنثس ولدي ستصير يوماً أسقفاً عظيماً أو واحداً من واعظي الكنيسة المشهورين أو قدّيساً عظيماً تفوق جميع الذين اشتهروا حتّى الآن في بلاد لاه. ولقد صدق عمّهُ الراهب القانونيّ في قولهِ هذا. لأنّ هياكنثس الشابّ صار فخراً للرسالة الكاثوليكيّة. وذلك بهمّة عمّهِ وأمّهِ بعد الله تعالى. لأنّ عمّهُ هذا كان يعتني بهِ اعتناءً جزيلاً. وأحبّهُ كولدهِ متحفّظاً عليهِ كحدقة عينهِ. فكان يدرّسهُ ويؤَدّبهُ ويهذّبهُ في أبواب جليلة من التقوى. ولم يكن يغفل عنهُ دقيقة من الزمان. وكثيراً ما شاهدهما الناس دائماً سويّة على المائدة أو في القصر أو في الكنيسة أو في غير ذلك من الاجتماعات. وكان عمّهُ هذا يكلّمهُ في أخطار يجب أن يتحذَّر منها وفي لذّات الفضيلة وفي الكرامة التي تصل إلى من كان سليم القلب حسن الطويّة. وكما أنّ التلميذ لا يكتم شيئاً أبداً عن معلّمهِ. فكان هذا الشابّ هياكنثس يبيّن لعمّهِ أسرار قلبهِ الصغير حافظاً فيهِ أقوالهُ النيّرة. وكانت رغبتهُ العظمى أن يفوق بالمحبّة الإلهية الأمثلة التي قد جعلها الرب نصب عينيهِ. فكان ايباس عمّهُ يقضي ساعة أو ساعتين في التأَمّلات. أمّا هياكنثس فكان يسهر الليالي بالتأَمّل في ذلك الحسن الفائق الذي أدهشهُ وهو فتى. وكان ايباس يصوم مرّات كثيرة. وأمّا هياكنثس فكان يصوم أكثر منهُ لابساً مسحاً خشناً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويجلد جسمهُ بالسوط رجاء أن يقهرهُ مع انّهُ لم يكن أبداً قد عصى على نفسهِ. ووزّع ايباس على الفقراء جانباً كبيراً من المال الذي تركهُ لهُ أهلهُ. وأمّا هياكنثس فأَعطاهم كلّ ما لهُ. لا بل كان يعطيهم قلبهُ محبّاً إيّاهم محبّة فائقة. ومن أجلّ ما خلّف ايباس عند موتهِ هذهِ المذكِّرة وهي: انّ هياكنثس سيكون مكرَّماً عند جميع الأمم المسيحيّة كواحد من القدّيسين العظماء ومن صانعي العجائب الباهرة الذين أرسلهم الله إلى الأرض*

وفي ذلك الزمان اشتهرت مدرسة براغا وعظم صيتها. فأُرسل إليها هياكنثس لكي يكمّل دروسهُ. وكان ذهنهُ ثاقباً يحبّ التعمّق في المسائل والاستقصاء عنها. ورغبتهُ في الدرس ومثابرتهُ عليهِ حملتهُ على أن يلتمس مركزاً آخر بحيث يقدر أن ينكبّ على مطالعة علم الإلهيّات. فأرسلهُ أبواهُ إلى مدرسة بولونيا. مع علمهما بفساد الآداب المستولي على شبّانها طالبي العلم لأنهما كانا واثقين بفضائلهِ الثابتة معتمدَين عليها. فلم يخب رجاؤُهما فانّ التقوى غلبت دائماً في قلبهِ خديعة العالم الفاسد. ومكث على هذهِ الحال منصبّاً على الدرس متكمّلاً في الطاعة لمعلّميهِ. وعرف أن يتجنّب الآفات التي يهلك فيها كثير من الشباب. فكان يُرى دائماً في الكنيسة بجانب الفقراء. ولم يُرَ أبداً في اجتماعات اللهو والصفاء. وكان يتمنّى أن يرى من جديد أرض آبائهِ الباردة. ويجلب إليها سعير التعاليم المقدّسة والوعظ. ويقضي جانباً عظيماً من أوقاتهِ أمام يسوع المسيح الموجود في قربان المذبح. وكان يجد هناك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لهيب الغيرة الرسوليّة والعين الغزيرة للعلم الحقيقيّ. وانقضت أيّامهُ هكذا في مدينة بولونيا بمهمّات الدرس إلى الحين الذي فيهِ أُقيم باحتفال علاّمة في علم الإلهيّات وعلم الفقه المدني والبيعيّ ونال الاجازة في ذلك*

ولّما رجع إلى بلادهِ رُسم كاهناً قانونيّاً في كراكوفيا. فيا للسلوك الحسن الذي أَبداهُ في هذهِ المرتبة المتوسّطة بين عيشة الراهب وعيشة راعي الأنفس. فانّهُ أدّى بكلّ ضبط جميع واجبات وظيفتهِ وكان يحضر باحتشام الصلوات الفرضيّة في الكنيسة. وكان قاسياً على نفسهِ. ورحوماً حنوناً على أخوتهِ وكلّ من تحادث معهُ. فتعجّب منهُ الكهنة القانونيّون جدّاً حتى انّهُ من دون أن يفتح فمهُ كان يؤثّر فيهم بحيث كانوا ينتفعون من مجرّد رؤيتهِ وذلك مع صغر عمرهِ وتعنّد رفقائهِ. ثمّ أخذهُ إليهِ أسقفهُ بحبّ جزيل ووكّلهُ على جزءٍ من وكالة ابرشيّتهِ. فكان جميع الناس يتعجّبون من صنعهِ أشياء عظيمة جليلة ومن تمسّكهِ الشديد بالحقّ والعدل. وكان يلتمس دائماً زماناً لزيارة المرضى والفقراء والبيمارستانات ويتخاطب مع سيّدنا يسوع المسيح في القربان المقدّس. ولم يكن يقدر أن يدنوَ منهُ إلاّ وتنحدر من عينيهِ الدموع. وامتاز بمحبّتهِ الجزيلة لمريم العذراء المغبوطة. ونشاهد عبادتهُ لها قد اشتهرت بقصص لطيفة وفي أخبار سيرتهِ*

ثمّ انّ الله الذي كان قد عيّنهُ لمباشرة أعمال عظيمة صعبة سبق وأعدّهُ لذلك بمواهب قلبيّة فائقة. وهي طفوليّة طاهرة. وشبوبيّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عفيفة وكهنوت مثمر أثماراً يانعة منذ ابتدائهِ*

وفي سنة ١٢١٨ في عهد البابا هنوريوس أُقيم ايباس اودروانس عم هياكنثس أسقفاً على كراكوفيا. فانطلق إلى روميّة ليثبّتهُ أبو جميع المؤمنين في هذهِ الأسقفيّة. وكان يصطحبهُ أربعة شبّان حُفظت أسماؤُهم وأفضالهم في التواريخ منهم سَسْلاوس أخو هيّاكنثس. ولمّا بلغ إلى المدينة المقدّسة حدث أنّهُ شاهد إحدى الكرامات التي جاد الله بحكمتهِ على هولاء الخدّام المحبوبين وذلك انّ مار عبد الأحد غُزْماني جاء فأَحيا رجلاً كان قد سقط من على الحصان ومات. فنوى ايباس أن يأخذ معهُ بعضاً من أولاد هذا الاب عبد الأحد لكي يقيمهم رسلاً في ابرشيّتهِ. لأن كلّ الناس في روميّة كانوا يزعمون انّ مار عبد الأحد هو نور الكنيسة ومصلح أحوال الناس. وانّهُ قدّيس مضطرم بالغيرة الرسوليّة. فاستشار ايباس برجل كان رفيقهُ في سفرهِ وصار كردنالاً في ذلك الوقت. فذهبا كلاهما إلى مار الأحد وكان فعلتهُ قليلين. فقال لهما: لا يمكنّي أن أعطيكما ما تسأَلان. لأنّي قد فرّقتُ أولادي رسلاً في أماكن شتّى. غير أنّهُ صعب عليهِ جدّاً أن يخيّبهما فيما التمساهُ. فقال لاياس: لا يحسن أن نرسل إلى بلاد بعيدة رجالاً لا يعرفون لغة تلك البلاد ولا طباع أهلها المتوحّشين. فانك لك أربعة رفاق فاعطِني ايّاهم وبعد قليل أرسلهم إليك ممتلئين من الهمّة والاجتهاد. فمضى ايباس وأخبر رفاقهُ الشباب بذلك. فأَحسّ هياكنثس وسسلاوس وهنريكوس المراويّ وهرمان الجرمانيّ في أنفسهم بقوَّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا تُرَدّ تميل بهم إلى أن يلبسوا ثياب جماعة الأخوة الواعظين. وجرى ذلك بقوَّة صلوة مار عبد الأحد*

وحُكي انّهُ لمّا سمع مار عبد الأحد خبر هذا التغيير الغير المنتظَر فرح فرحاً شديداً. وذلك لأنّهُ رأى أنّ القسم الآخر من الأرض الذي يمتدّ من النهر المسمَّى وستول إلى حدود بلاد الشرق القصوى ينفتح أمام أولادهِ ويكون لهم فيهِ سبيل. وأخذ يشكر العناية الإلهية التي ترتّب كلّ شيء بقوَّة وهدوّ*

وحكى أحد المؤَلّفين أنّهُ لمّا قبل الطوباويّ عبد الأحد هؤلاء الشبّان وألبسهم الثوب الرهبانيّ المقدّس أخذ يعرض عليهم الواجبات التي كانوا ملزومين بها. وإذ كان هياكنثس متّقداً بالغيرة لم يقدر أن يتمالك نفسهُ من الفرح. فصرخ قائلاً: انّك تكلّمني عن أشغال صعبة ومتعبة. فأَنا أقبلها ولا أخاف منها بل أرغب فيها كل الرغبة. وسأَغلب التجارب بنعمة الذي أرجو بهِ. وهو يشجّعني ويحميني بمشوارتهِ. والهاماتهُ تزيل شكوكي. وتسلياتهُ تقوّيني. وهو يحفظ بتوليّتي بعونهِ. ولأجل أتعاب قليلة أتعبها من أجلهِ سيكلّل راسي باكليل ابديّ* يا للجراءَة العظيمة ويا لعجائب النعمة. فيا هياكنثس الحازم السعيد انّك كنت تقدر أن تتمتّع في الغنى والمجد واللذّات الكثيرة. ولكنّك كفرتَ بذلك مستخفّاً. وبعد أن عبرتَ نهر الدنيا المخطر وحفظتَ نفسك طاهراً نقيّاً أقبلتَ لتخصّص ذاتك للربّ. فانّهُ سبحانهُ وتعالى سوف يجازيك فيدخلك في منهاج جديد وسيرة مقدّسة جدّاً*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذا وقضى هياكنثس ورفقاؤهُ بضعة أشهر في دير القدّيسة سَبينة تحت نظر مار عبد الأحد. وإذ رآهم كاملين وأقوياء على الأشياء التي دعاهم الله إليها. أعطاهم بركتهُ وأرسلهم إلى البلاد الشماليّة. وأَقام هياكنثس رئيساً على هذهِ الرسالة الجديدة. فانطلق هؤلاء الرهبان الشباب اقتداءً بالرسل مشاةً وبلا مؤونة وطفقوا ينذرون ويعظون في طريقهم باسم يسوع المسيح على الناس الذين لم يكونوا قد سمعوا بعد وعظاً. فلمّا اقتربوا من مدينة فزيزاك في كورنتيا العليا. إذا هم بجماعة كبيرة من الناس خرجوا لملاقاتهم ورحّبوا بهم كانّهم أُرسلوا من السماء. فيا لهُ من حقل مبارك خليق بهِ أن يقتبل الزرع الإلهي. أمّا هياكنثس فأَخذ يخاطبهم بكلام الله الحيّ. فأثّر في قلب أهل المدينة من كهنة وشمامسة وعلمانيّين. وفهموا انّ الله دعاهم لسيرة أكمل من سيرتهم السالفة. فطلبوا أن يلبسوا ثياب الأخوة الواعظين. ثمّ بعد ستّة أشهر خرج هياكنثس من تلك المدينة. وترك فيها جماعة جديدة وديراً واسعاً ممتلئاً من الرهبان النشيطين تحت نظر هرمان الجرماني. وروى المؤرّخون انّ هذا نال بجاه مريم العذراء موهبة العلم والتكلّم بلغات مختلفة*

وهكذا ابتدأَت هذهِ الرسالة العظيمة التي امتدّت في زمان وجيز إلى الجهات الشماليّة الواسعة وإلى الشرق. ولم يزل هياكنثس سائراً إلى بلاد لاه ومارّاً باوستريا ونمسا وميراويا وسليزيا وهو يزرع زرع الفضائل. ويبعث رائحة يسوع المسيح في كلّ مكان اجتاز

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيهِ. وكان صيت هذا القدّيس ومناقبهُ التي أبدأَها في رسالتهِ تجعلهُ مقدَّماً ومشرَّفاً في بلدهِ. فأَخذ يتبعهُ الخاصّة والعامّة مجذوبين كلّهم وراءَهُ. وأعطاهم أسقف كراكوفيا بيتاً من ملك اسقفيّتهِ لكي يعمّروهُ ديراً. فعمّروهُ وفيهِ صارت بداية الأخوة الواعظين في النواحي الشماليّة. وفي قليل من الزمان اجتمع عند هياكنثس رهبان كثيرون اقتدوا بفضائلهِ وحذوا حذوهُ بالايمان والمحبّة والغيرة على خلاص الأنفس. وبعد مدّة قليلة تغيّر كلّ أهل تلك المدينة وكل أبرشيّة كراكوفيا فمقتوا الملكات الرديئة وامتلكوا عوضها الفضائل الإنجيليّة السنيّة* وإذ شعر هياكنثس بما كان عندهُ من القوَّة وانّهُ يستغني عن المعاونَين القدّيسين وهما سَسلاوس أخوهُ وهنريكوس المراويّ. أرسلهما إلى مملكة بوهيميا وهناك قبلهما بترحاب أسقف براغه. وأمّا هياكنثس فبقي في وسط بلاد لاه مع الأخوة المهتدين حديثاً إلى الحقّ على يدهِ. وأخذوا جميعاً يطوفون البلاد المختلفة بمزيد همّة ونشاط لكي يستأصلوا الجهل والاعتقادات الفاسدة والعوائد الشنيعة والملكات القبيحة الوحشيّة وهم يقبلون في أديرة جديدة كل الذين يعمل في قلبهم روح الله. وكانوا يشتهون أن يوكّدوا خلاصهم ويخصّصوا ذواتهم لأشغال الرسالة. فعلى هذا المنوال أُسّست الأديرة الواسعة التي في سَنتُمِير وبلوكو على نهر وستول. ولكنَّ هذا الميدان الفسيح لم يكن كافياً لغيرة هياكنثس. وربّما كان شوقهُ يتّجه نحو الشمال والشرق أيضاً. فانّ محبّتهُ الحارَّة أظهرت لهُ فيها أمماً غير محصاة منحنين تحت نير الانشقاق وعبادة الأوثان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والعقائد الفاسدة والرذائل القبيحة. فلم تكن تقف غيرتهُ على حدّ ما. بل كان يشتاق كثيراً إلى رسالة بعيدة وأسفار طويلة* وقبل أن نتكلّم عن افتتاحاتهِ الجديدة يجب علينا أن نُخبر عن علّة نجاحهِ الفائق في مدّة الأشهر القليلة التي قضاها في دير القدّيسة سبينه تحت نظر مار عبد الأحد المبارك. فانّهُ كان يجدّ مجتهداً ليقتدي بفضائل أبيهِ المحبوب. ولا سيّما بعبادتهِ الجليلة للقدّيسة مريم العذراء والدة الله ولسرّ القربان المقدّس. قال أحد المؤرّخين القدماء: انّ هياكنثس كان متعبّداً لمريم العذراء المجيدة. وكان يدمن الركوع أمام صورتها. ولم يفتأ طالباً منها ليلاً ونهاراً بتوسّلات حارّة وبدموع غزيرة أن تبارك على أعمالهِ الرسوليّة كافّة. وحدث يوماً أنّهُ بينما كان يصلّي بحرارة قلب أمام صورة أمّهِ الحنونة في كنيسة الأخوة الواعظين التي في كراكوفيا. وكان ذلك اليوم عيد انتقال مريم المجيدة. غاب عن حسّهِ. وأَخذ يتأَمّل في سعادة سرّ ذلك اليوم وسموّهِ وفي مجد والدة الله الجليلة الفائق الوصف. فزاد سرورهُ وفاضت دموعهُ. وكان يدع نفسهُ تغرق في التأَمّل في أسرار الورديّة المقدّسة. ويشتاق أشدّ اشتياق إلى السعادة الأبديّة. ويتوسَّل منتحباً إلى الرحمة الإلهية أن تجعل لهُ نصيباً في مجد المختارين. فرأَى نوراً ساطعاً نزل من السماء على مذبح مريم العذراء وأَقبل يتلألأُ على عينيهِ. وفي وسط هذا النور السماويّ ظهرت لهُ ملكة السماء قائلةً: يا ابني هياكنثس افرح لأنّ ابني مخلّص العالم استجاب صلواتك. وكلّ ما تطلبهُ باسمي يمنحك ايّاهُ بشفاعتي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ ارتفعت هذهِ البشيرة الطوباويّة إلى السماء محتاطةً بالملائكة يترنّمون وتاركةً في أثرها رائحة ذكيّة لا يستطيع لسان ان يصفها. ففرح هياكنثس فرحاً عظيماً بهذهِ الرؤيا السمويّة وبكلمات مريم العذراء الحلوة. وأَحسّ بانّ ثقتهُ تقوَّت جدّاً. ومن ذلك الزمان بدأَ ينال من الرب كلّ ما هو فوق طبيعة الإنسان ولا يقدر أن يصنعهُ إلاّ الله سبحانهُ وتعالى. ثمّ كشف هذهِ الرؤيا في السرّ لاثنين من أخوتهِ. وحرّكهما على عبادة مريم العذراء سلطانة الورديّة المقدّسة وأكّد لهما أنّها محامية الرهبنة ومعزّية خصوصيّة لأولاد مار عبد الأحد*

ويسوغ لنا أن نقول انّ حياة القديس هياكنثس منذ ذلك الحين صارت متّصلةً بعجائب غير منقطعة. وكذلك بعد موتهِ أيضاً لم تنقطع معجزاتهُ. وبعد خمسمائة سنة كتب مورّخوا سيرتهِ شيئاً لا يُحصى من الكرامات التي أبداها هذا أبو العجائب الممجّد. ولولا الإطالة وتعسّر الزمان لذكرنا للقرائين أشهر عجائبهِ التي يُتَّعظ بها. غير أنّنا لا نقدر أن نسكت عن أن نحكي قصّتين فقط حرّرهما أحد كتّاب سيرتهِ القدماء قال: في سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف في يوم عيد نقل القديس استَنسلاوس شهيد بلاد لاه ومحاميها قصد الطوباويّ هياكنثس أن يأتي إلى المكان الذي فيهِ تُكرَّم ذخائر هذا القديس. فعبر في سفينة نهر وِستول. وكانت مياههُ تتلاطم تلاطماً شديداً. فلمّا بلغ الجانب الآخر صادف جماعة من خواصّ الناس وعامّتهم يبكون على شابّ قد وقع من على الحصان وغرق في النهر. وكان اسم هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشاب بطرس وكان من بيت واسع النّعمة. فلمّا رأت هياكنثس امّ هذا الشابّ (وكان اسمها وَلِسْلاوة). وعلمت بقداسة سيرتهِ وجاههِ عند الله. انطرحت على قدميهِ تبكي بكاءً مرّاً وتصبح قائلةً: أيّها الرجل القدّيس أيّها الاب هياكنثس أنا أعلم انّك خادم متعبّد لله ذو تقوى ورحمة. فانظر شقائي أنا التي لم يكن لي الاّ هذا الابن الوحيد. وها هو مائت أمامي. ويحي أنا الشقيّة لقد عدمتُ زوجي وابني المحبوب. فلم يكن من هياكنثس الاّ ورقّ قلبهُ لها وجعل يبكي هو أيضاً. ثمّ ابتعد عن الجمع وركع وصلّى. ورجع إلى الجثّة وقال لامّ الشاب الحزينة: يا ولسلاه ابنتي متى وقع ابنكِ في النهر. قالت: البارحة عند المساء. ولكنّهُ لم يُلقَ إلاّ اليوم. واه انّي اتوسّل إليك بالحاح أيّها الاب الرحيم أن ترحمني في شقائي. فدنا هياكنثس من الميّت وامسكهُ بيدهِ وقال: يا بطرس ليردّ لك الحيوة سيّدنا يسوع المسيح الذي أنا أنذر بمجدهِ وذلك بشفاعة مريم العذراء سلطانة الورديّة المقدّسة. فقام الشاب حالاً شاكراً الله وهياكنثس عبدهُ*

فترى انّ هذا القدّيس أضحى متسلّطاً على الموت لا بل انّهُ تسلّط على العوائق التي كان يصادفها في طريقهِ من قِبَل الخطاة والشيطان. ولاثبات ذلك نورد هذا الخبر الآخر أيضاً وهو انّ الطوباويّ هياكنثس كان يعظ الناس في بلاد مروفيا في تخوم بلوكو. فلمّا اقترب إلى مدينة وِسْفَراد حيث كان ساكناً والي مروفيا. اضطُرّ ليعبّر نهر وستول لكي يصل إلى المدينة. وكان هذا النهر حينئذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فائضاً إلى الغاية. ولم يكن هناك قارب ينقلهُ إلى الضفة الأخرى. فوثق بالله كلّ الثقة. وقال للأخوة الثلاثة الذين كانوا معهُ: يا أخوتي المحبوبين. لنصلِّ إلى الله الذي تطيع لهُ السماء والأرض والبحر لكي يجعلنا أن نعبر هذا النهر السريع الجري العميق. فلمّا سمعوا كلام القدّيس ركعوا ليصلّوا. وبينما هم يصلّون. قام هياكنثس ورسم إشارة الصليب على النهر وأَخذ يمشي على المياه. فقال حينئذٍ لأصحابهِ الواقفين على الشاطئ: باسم يسوع المسيح اتبعوني. وبقوَّة القادر على كل شيء لا تخافوا من شيء البتّة. أمّا هم فانذهلوا من هذهِ الأعجوبة العظيمة. ولكن لم يكن إيمانهم قويّاً كايمان الرسل. فلم يجترئوا أن يمشوا في أثرهِ. فالتفت هياكنثس إليهم ونشر حلّتهُ على المياه وقال لهم: لماذا تتوقّفون بعد يا أولادي المحبوبين. ثمّ رسم ثانيةً إشارة الصليب على النهر وقال: لتكن هذهِ الحلّة جسر يسوع المسيح الذي باسمهِ نعبر هذا النهر الفائض. فجلسوا كلّهم على تلك الحلّة المباركة وعبروا النهر سالمين. فلمّا رأَى ذلك أهل المدينة تعجّبوا وباركوا الله الذي يصنع أعاجيب مثل هذهِ*

وإذ كان القدّيس هياكنثس يأتيهِ العون من العلى وتظلّلهُ حماية مريم العذراء على هذا المنوال قدر أن يتقدَّم إلى ميدان جديد انفتح قدّامهُ لصرف همّتهِ الجزيلة ولتوسيع مملكة يسوع المسيح. ونحن نرغب أن نقتصّ خبر السفر الذي تكبّدهُ هذا رسول الشمال العجيب برفقة بعض من أخوتهِ. فنقول: بعدما قطع هذا القديس حدود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مملكة لاه توجّه إلى البلاد الشماليّة. وكان ينذر الناس في ممالك بُمَرْيانيا وبروسيا ودنيمرك والسّويد وغوتيا ونورج بالتتابع. هادماً في كلّ مكان مملكة سلطان الظلمة وبقايا عبادة الأوثان. وغير خائف من الحرّ والبرد وتغيّر المناخ والهواء الرديّ وظافراً بكلّ الموانع كالأنهر والسيول الفائضة والغابات المخوفة والوحوش الضارية وطبائع القبائل الوحشيّة القاسية. وزارعاً على إِثرهِ معجزات الله وبركاتهِ وإِحساناتهِ. وسائحاً إلى أقصى مملكة يسوع المسيح* وكان كلّما هدى إلى الايمان الإنجيليّ ناحية من الأرض أقام هناك ديراً تثبيتاً لرسالتهِ. فكان يُدخل فيهِ كلّ الذين اختارهم الله منذ الأزل تحت نظر بعض من الأخوة الذين كانوا يرافقونهُ. ثمّ يواصل سفرهُ وسياحتهُ الرسوليّة*

ونزل هياكنثس إلى النواحي القصوى من الشمال أي إلى روسيا الصغيرة أو روسيا الحمراء. وبلغ إلى ساحل البحر الأسود ثمّ دخل في الجزائر الكثيرة التي تجاوز آسيا. ثمّ ارتقى ثانيةً إلى الشمال. ودخل في المملكة المسقوفيّة المدعوّة روسيا الكبيرة أو روسيا السوداء. وهناك في المملكة المسقوفيّة المدعوّة روسيا الكبيرة أو روسيا السوداء. وهناك ظهرت غيرتهُ ظهوراً عجيباً أمام أصناف كثيرة من الوثنيّين والغير المؤمنين والروم المنشقّين. فانّهُ أقبل على الأعمال الخيريّة بحرارة قلب وحميّة لا توصف. واعتنى زماناً طويلاً بإصلاح سيرة والي تلك الجهات المدعوّ وُلدُمير. ولكن كلّ مسعاهُ ذهب هدراً لقساوة ذلك الوالي وسياستهِ الخبيثة. ومع ذلك فالاحسان إلى القريب في سبيل الله كان ينتشر متّسعاً. وكان يتسلّى قلب هذا الرسول بكثرة المهتدين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى الايمان. ولم يزَل بهمّة فائقة مدمناً على الأعمال الخيريّة إلى أن أُقيم في مدينة كيون العظيمة دير عظيم امتلأَ رهباناً قدّيسين. فأمّا وُلْدُمير الوالي فكان يلتمس الحيلة لإعاقة هذا القديس. ولم يلبث مع هذا تصرّفهِ الخبيث ان عوقب عنهُ شديداً. وامّا الطوباويّ هياكنثس فلمّا حصل من رئيس مدينة كيون على محلّ ليعمّر فيهِ ديراً مكث في تلك المدينة خمس سنوات متفرّغاً للوعظ وتأسيس الدير الجديد. فهدى إلى الايمان المسيحيّ جمّاً غفيراً من الناس. وكان يفتكر بأن يرجع إلى بلاد لاه. فيوماً ما صعد على المذبح لإقامة القدّاس الإلهي. وسلّم إرادتهُ مطلقاً للعناية الإلهية. فعلا صياحٌ عظيم في المدينة بلغ إلى الدير. وذلك انّ التتر أغاروا على المدينة. فترامى الأخوة من خوفهم في الكنيسة عند القدّيس يصيحون قائلين: أيها الاب الطوباويّ قد هلكنا فلنهرب عاجلاً لكي نفلت من الكفّار الذين نووا أن يكسّروا باب الدير. فقصد هياكنثس الهرب وهو لابس الحلل المقدّسة مع سائر أخوتهِ آخذاً معهُ القربان المقدّس. وفي خروجهِ من الكنيسة اجتاز بصورة لمريم العذراء كانت من رخام ووزنها خمسمائة رطل فنادتهُ الصورة بصوت عالٍ وقالت: يا ابني هياكنثس أين تهرب من أمام التتر وتتركني أنا أمّك. خُذْني أنا أيضاً في ذراعك. فبُهت هياكنثس لهذا الصوت وصرخ قائلاً: أيتها البتول الممجّدة انّ صورتكِ ثقيلة جدّاً. فكيف أقدر على حملها. فقالت العذراء: خذني في حضنك لأنّ ابني يخفّف ثقل صورتي. فاقبل هذا الرجل القدّيس. وحمل بيدهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الواحدة جسد يسوع المسيح المقدّس. وباليد الأخرى صورة أمّهِ. وصارت حينئذٍ أخفّ من قصبة. واجتاز سالماً صحيحاً مع أخوتهِ أمام جماعة الكفّار وهم يهدّون الدير ويسفكون الدمّ في المدينة. فلمّا بلغ إلى ساحل نهر يُدْعى بورسْتين فرش عباءَتهُ السوداء تحت أرجل أخوتهِ وعبر معهم إلى الشاطئ الآخر. وهكذا نجوا من هذا الخطر. وقد بقيت شهادة بيّنة دائماً لهذهِ الأعجوبة العظيمة. وذلك انّ خطوات هياكنثس بقيت مطبوعة على مياه النهر. وهكذا أيضاً حقّق ذلك كثير من الشهود بأَيمان أمام مجلس الكرسيّ الرسوليّ. وذهب هياكنثس بصورة مريم العذراء العجيبة إلى مدينة كراكوفيا. فأَخذ الناس هناك يكرّمونها إلى الغاية*

وفي سنة ١٢٤١ وكان عمرهُ إذ ذاك ستّاً وخمسين سنة عاد إلى مدينة كراكوفيا. فوجد هناك ديرهُ الأوّل في أحسن حال لأنّ عدد الرهبان كان قد ازداد إلى الغاية. وهم ذوو عبادة متّقدة محبّين للصلوة كثيراً حسبما كانوا قبلاً. فمكث هناك صحبة أخوتهِ نحو سنتين أفادهم بفضائلهِ وأَذاقهم حلاوة الرياضة والتأَمّل. وبعد زمان ألهمتهُ روح الله كما ألهمت مار بولس وحرّكت في قلبهِ شوق الانطلاق إلى البلاد التي أنذرها بالإنجيل ليزور الأديرة التي أقامها. ويثبّت أخوتهُ في الايمان. فلمّا انطلق سُرّ بوجدانهِ في كلّ مكان الزرع الثمين الذي زرعهُ في الأنفس نامياً مخصباً. وسبّب حضورهُ بهجةً لجميع أهل تلك البلاد المباركة. وكان قلبهُ الغيور يضيق ويتأَلم لمّا لم يكن يرى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أمامهُ ميداناً جديداً لصرف السعي والمجهود فيهِ. فجادت عليهِ العناية الإلهية بسنين طويلة من العمر لكي يصرفها فيما يؤول إلى مجد الله وخلاص أخوتهِ* ألا ترى أنّهُ أسرع لافتتاح بلاد جديدة. فانّهُ دخل بلد الكومانيّين الذين كان يحبّهم مار عبد الأحد محبّة خصوصيّة. وهدى منهم إلى الطريق المستقيم جمّاً غفيراً. ثمّ عانق هياكنثس أخوتهُ الجدد وعزّاهم وشجّعهم ورتّب شغلهم على هذهِ الأرض المكروهة التي سقوها بعرقهم ودمهم. ومن ثمّ توغّل في بلاد التتر وردّ أميرهم إلى الايمان وكثيرين من الذين كانوا تحت حكمهِ. ثمّ أرسل هياكنثس رسلهُ إلى جبال تيبت نفسها وإلى قرب السور العظيم الفاصل بين بلاد التتر والصين. وثبّت هناك الايمان بيسوع المسيح الذي أنذر بهِ الرسل سابقاً. وفي الآخر رجع إلى أوروبا على طريق روسيا الحمراء وفولينا وليتوانيا تاركاً في كل مكان آثار غيرتهِ المضطرمة. وبعدما قطع طريقاً طويلاً جدّاً وصل إلى مدينة كراكوفيا سنة ١٢٥٧*

ولمّا بلغ هياكنثس الاثنتين والسبعين من عمرهِ لم يكن يتمنّى الاّ ان يرى عاجلاً انفصال نفسهِ من جسده ليسكن مع المسيح. وكان تتوسّل في صلواتهِ إلى أبي المراحم لكي يستجيب طلبتهُ. فاستجابهُ تعالى. وظهرت لهُ مريم امّ الرحمة سلطانة الورديّة المقدّسة متبسّمة باسطة إليهِ ذراعيها قائلةً لهُ: يا ابني هياكنثس ابشّرك بانّك تموت في يوم انتقالي المجيد. وبجاه موتي المقدّس أنا أُبعد عنك المضايق التي تجري على أولاد آدم كلّهم. فوقع مريضاً يوم عيد مار عبد الأحد. وتزايد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مرضهُ جدّاً ولمّا حانت ليلة عيد انتقال الطوباويّة مريم العذراء. أمر أن يحضر عندهُ جميع الرهبان الموجودين في الدير فكلّمهم بهذا الكلام. يا أولادي المحبوبين انّني غداً أترككم لكي أذهب حيث الله يدعوني. والوصيّة التي أوصيكم بها هي الوصيّة التي أوصى بهِ أبونا الطوباويّ مار عبد الأحد: فليحبّ بعضكم بعضاً. احفظوا الفقر بالتدقيق واصرفوا اهتمامكم في حفظ طهارتكم. وكونوا محبّين للقوانين مراعين لها. وتفرّغوا بلا امهال لتخليص الأنفس ونشر رهبانيّتنا لمجد الله تعالى. لا تحزنوا لموتي فانّهُ ربحٌ لي لأنّ يسوع المسيح هو حياتي. ومنفعة لكم لأنّي ساسعفكم في السماء أكثر من اسعافي لكم على الأرض. قال هذا وسكت مصلّياً باطناً. وفي الغد حضر في صلاة الساعات الفرضيّة. وأخذ أسرار البيعة المقدّسة بحضور جميع أخوتهِ وهم يبكون ويصلّون إلى الله بصلوات حارة. وكانت عينا القديس هياكنثس شاخصتين إلى السماء. فلمّا بلغ في صلاتهِ إلى هذا المزمور: يا ربّ رجوتُ بك ولم أخب إلى الأبد. انحدرت من عينيهِ دموع غزيرة. ثمّ قال: يا ربّ استودعك روحي وللوقت انتقل إلى رحمة ربّهِ محفوفاً بالقديسين وبسلطانتهم العذراء القدّيسة. هكذا مات هذا الذي سمّاهُ المؤرّخون بصواب رسول الشمال وأبا العجائب في عصرهِ* وكمّل الله مجد عبدهِ بأَعاجيب شهيرة وكرامات غير محصاة. فمن ذلك أنّهُ أعاد الحيوة إلى ميّت حين وضعوهُ على قبر القدّيس هياكنثس ساعة. وأَعلن هو أنّ هياكنثس أقامهُ وهو ممجَّد في السماء*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي مساء ذلك اليوم الذي فيهِ دُفن هياكنثس كان أسقف مدينة كراكوفيا راكعاً عند أسفل مذبح مريم العذراء في كنيسة القدّيس استنسلاوس ابتغاء التسلية عن موت صديقهِ القدّيس. فاختُطف بالروح ورأَى شبّاناً لابسين اردية بيضاء وبيدهم مصابيح نيّرة. ويتبعهم رجلان موقّران أحدهما لابس تاج الأحبار. والآخر متسربل بحلّة الأخوة الواعظين وعلى رأسهِ اكليلان ثمينان. وبينما كان هذا مطران كراكوفيا يتعجّب من هذا المنظر الغريب. إذا بواحدٍ من ذينك الرجلين وهو الذي كان لابساً تاج الأحبار دنا منهُ وقال لهُ: أنا هو الأسقف استنسلاوس الشهيد. والذي تراهُ معي هو الأخ هياكنثس الذي من رهبنة الأخوة الواعظين وهو مكلَّل باكليل العلماء والأبكار. وأنا استنسلاوس ذاهب بهِ وراء الأرواح الطوباويّة إلى عرش الله حيث سعادة الحيوة الأبديّة. وعند ذلك بدأَ استنسلاوس بصوت حلو يسبّح هذهِ التسبحة وهي: نور أيدّ يشرق على قدّيسيك يا ربّ. والأرواح السمويّة تمّمت هذا التسبيح المقدّس وهي صاعدة إلى السماء مع الطوباوي هياكنثس*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السابع عشر *

مار مامز الشهيد

انّ القدّيس مامز كان من مدينة كنغري من بلاد بفلاغونيا. ووُلد من أبوين جليلَين وهما ثأُودوطس وروفينه من أعيان المدينة. ولتمسّكها الشديد بالديانة النصرانيّة ماتا شهيدَين. وذلك انّهُ لمّا برز أمر في تلك الأيّام عن لسان اورليانس الملك باضطهاد النصارى وُشي بثأودوطس لدى الكسندر حاكم تلك المدينة. فأَمرهُ أن يقرّب ذبائح للأَوثان فأَنكر ثاودوطس عليهِ ذلك. فاغتاظ الحاكم وكاد يحكم عليهِ بالقتل. ثمّ امتنع خوفاً من سوء العاقبة لأنّ ثاودوطس كان من أرباب المراتب في المدينة. فسيّرهُ إلى مدينة قيصريّة إلى فوسطس الوالي المشهور بقساوتهِ وبغضتهِ للنصارى فأَلقاهُ في السجن للوقت. فتبعت روفينه زوجها ثاودوطس إلى قيصريّة وأُلقيت هي كذلك في السجن وكانت إذ ذاك حاملاً وقد حان زمان ولادتها. ولم يستمرّ ثاودوطس في السجن زماناً طويلاً ان مات فيهِ. وطارت روحهُ إلى السماء لتتمتّع بالسعادة والأفراح الأبديّة مع أخوتهِ الشهداء. وبقيت جثّتهُ مدّةً مطروحة في السجن. ثمّ وضعت روفينه بعد أيّام طفلاً وفوّضت أمرهُ إلى الله وتوسّلت إليهِ تعالى أن ينقلها هي أيضاً من هذهِ الدنيا. فاستجاب الله طلبتها وماتت نظير زوجها في السجن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأَرسل الله عند ذلك ملاكاً إلى أرملة شريفة تُدعى اميّا وأَمرها أن تنطلق إلى الحاكم فَوْسطس وتطلب منهُ جثّتَي الشهيدين وان تدفنهما بوقار واحترام لائقَين باستشهادهما. وان تأخذ ابنهما عندها وتعتني في تربيتهِ اعتناءً زائداً كما لو كان ابنها بالحقيقة. فأَطاعت اميّا أمر الملاك وذهبت فطلبت من الوالي جثّتَي الشهيدين والطفل لتتّخذهُ ابناً لها. فاستجاب الوالي طلبتها. فأَخذت الطفل واعتنت بتربيتهِ بهمّة جزيلة وعلّقت عليهِ كلّ آمالها. فلمّا بلغ هذا الولد الذي دُعي مامز السنة الخامسة من العمر. أودعتهُ مربّيتهُ في المدرسة. فتفرّغ للدرس برغبة وفاق على رفاقهِ. وانشغف منذ نعومة أظفارهِ على الخصوص بحبّ الديانة المسيحيّة فاستملكت بالتمام على قلبهِ. وبذلك أضحى قدوةً لصبيان المدرسة قاطبة*

ولمّا كان اورليانس قيصر لا يكتفي باضطهاد المسيحيّين عموماً أخذ يجتهد خاصّةً في أن يحمل الصبيان أيضاً على نكران الايمان بيسوع المسيح فاوعز بهذا الأمر إلى دمقراطس عندما أرسلهُ إلى قيصريّة ليكون حاكماً عليها. فلمّا جاء دمقراطس البربريّ إلى القيصريّة وبيدهِ هذا الأمر من الملك وعلم بتعلّق مامز الصبيّ بحبّ الديانة النصرانيّة وبانّهُ يثبّت رفاقهُ التلاميذ في الايمان بالمسيح قبض عليهِ واحضرهُ أمامهُ ولهُ من العمر يومئذٍ نحو ثلاث عشرة سنة فقط وكانت قد توفّيت قبل ذلك مربّيتهُ. فعجز الحاكم عن استمالتهِ إليهِ ولو يسيراً. ولم يتمكّن من أن يزعزعهُ ولو شعرة عن حبّهِ الشديد الثابت للنصرانيّة وعن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عزمهِ الوثيق في المحافظة عليها على رغم كلّ الشدائد والعذابات. ولم ينل منهُ بغيتهُ مع كل الحيل التي عملها لقضاء مرغوبهِ ولو كرهاً منهُ. بل انّهُ كلّما ازداد في التهديد والوعيد ازداد مامز الشهيد شجاعة وحرارة. ولمّا عجز الحاكم من اقناعهِ قيّدهُ بالأغلال وسيّرهُ إلى الملك نفسهِ. فعجز الملك أيضاً عن استمالتهِ ولم ينل منهُ المراد. بل بعكس ذلك فانّ مامز اغتنم الفرصة وأقبل يرشد الملك وجميع الحاضرين ويرغّبهم في الديانة النصرانيّة. فأمر الملك بجلدهِ. فازداد بذلك القديس رغبةً في الاستشهاد. ثمّ أُوقدت النار وأُلقي فيها. فكانت اللّهبات تتباعد وتدبر عنهُ. ولم تضرّهُ بشيء. ثمّ أمر فرجموهُ بالحجارة فلم يلحق بهِ ضرر البتّة بل كان يخالها زهوراً ووروداً تكتنفهُ. فغضب الملك لذلك وأمر أن يضعوا في عنقهِ قطعةً كبيرة من الرّصاص ويلقوهُ في البحر ليغرق. فاحتاط بهِ الشرط لإجراء أمر الملك وإذا بملاك من السماء نزل ونشلهُ من بين أيديهم وذهب بهِ إلى جبل ارجيا القريب من قيصريّة. فأَقام هناك وصام أوّلاً صوماً طبيعيّاً مدّة أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب. وبعد ذلك أخذ يمارس العيشة الرسليّة. فكان من حين إلى آخر ينزل من الجبل إلى قيصريّة ونواحيها وينذر الأهالي ببشارة الايمان المقدّس فيكسب منهم خدّاماً ليسوع المسيح* وفي مدّة اقامتهِ في الجبل. اقتات من حليب العنوز البرّيّة التي كانت تأتي إليهِ من ذاتها ممتثلةً بين يديهِ ليحلبها. والوحوش الضارية نفسها كانت تلاطفهُ. حتى انّ الدبب والنمورة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والأسود كانت تلعب حولهُ كحملان صغيرة وديعة. وكان كلّما يقرأ في كتاب الإنجيل الطاهر كانت هذهِ الوحوش تظهر امارات الحرمة لهذا الكتاب الشريف من احناء الراس وخفض الركب وغير ذلك. واستمرّ على هذهِ الحال مدّة سنين طويلة قضاها باستشهاد طويل على ما قال عنهُ الكلندار الرومانيّ* ولمّا قرب الحين الذي فيهِ أراد الله أن يجازي حياة خادمهِ الأمين ويظهر بواسطة هذا الشيخ قوَّة ذراعهِ الضابطة الكلّ. تولَّى حكومة مدينة القيصريّة الكسندر. وكان هذا قاسياً مبغضاً للمسيحيّين دون الحدّ. فسيّر جماعةً من أقوياء قيصريّة إلى مامز ليأتوهُ بهِ. فلمّا خرجوا في طلبهِ لاقوهُ في الطريق مقبلاً إلى المدينة وكانت نعمة الله قد حرّكتهُ على ذلك ولم يعرفوهُ. فسأَلوهُ عن مقام مامز وقلاّيتهِ. فأخذهم إلى مكانهِ وأَطعمهم. وفي تلك الأثناء أتت الوحوش الضارية كجاري عادتها واحتاطت بالقدّيس خادم الله كما يحتاط الحشم بملكهم. فارتاع الجنود من ذلك واستغاثوا بالقدّيس طالبين عونهُ وحمايتهُ. فطمأَنهم القدّيس وسكن روعهم. وبعد أن عرّفهم بنفسهِ طلب إليهم أن يرجعوا إلى القيصريّة مؤكّداً لهم انّهُ سيذهب هو أيضاً إليها. ويكون وصولهم ووصولهُ إليها سويةً. ثمّ دخل إلى مخدعهِ وصلّى إلى الله طالباً منهُ العون وصيّر قلبهُ مذبحاً مضطرماً بنار المحبّة الإلهية. وعلى هذا المذبح قدَّم ذاتهُ ذبيحةً لاحتمال كل أنواع العذابات لمجد اسم يسوع الأقدس. وبعد أن قوّى مامز ذاتهُ هكذا بالصلوة نهض حالاً وذهب مسرعاً إلى القيصريّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولدى وصولهِ إليها امتثل بشجاعة أمام حاكمها الكسندر. فسأَلهُ الكسندر قائلاً: أَأنت هو الساحر الذي يسحر وحوش البرّيّة. فأَجابهُ مامز: أنا لا أعرف صنعة السحر ولكنّي أخدم إلهاً هو رب السماء والأرض المطلق. ولهُ تطيع الوحوش الأكثر شراسة من دون مقاومة. قال لهُ الكسندر: ينبغي لك أن تترك خرافاتك وتكمّل أوامر الملك. فأَجابهُ القدّيس: انّ الملك لا يقدر أن يأمر بالسجود للآلهة الكاذبة. وعلى كلّ حال فلا يمكنّي أن أترك عبادة الإله الحقيقي. فلدى هذا الجواب أمر الكسندر أن يعلّقوا مامز في الهواء ويجلدوهُ جلداً قاسياً. ثم طرحهُ في السجن ريثما يعدّ لهُ أتّوناً عظيماً ليحرقهُ فيهِ. ففي دخول القدّيس مامز إلى السجن. نجا أربعون رجلاً من المسيحيّين كانوا مقيّدين فيهِ إذ انّهُ في حال دخولهِ تكسّرت قيودهم وانفتحت الأبواب أمامهم بأعجوبة وأُطلق سبيلهم بدون ممانعة* وبعد هذا اجتهد الكسندر أن يميل مامز إليهِ بالتملّقات والمواعيد الباطلة. الاّ أنّ القدّيس عنّفهُ على قساوتهِ بشجاعة وناضلهُ بأجوبة ممتلئة من روح القوَّة والحكمة حسبما وعد المخلّص أنّهُ يخوّلها لمن يعترف باسمهِ القدّوس. وإذ كان الكسندر ينسب قوَّة الشهيد إلى مفاعيل السحر. جمع إليهِ كهنة آلهتهِ الباطلة لكيما بواسطة احتفالاتهم وطلباتهم الباطلة يقدروا أن يكتشفوا على ما نسبوهُ إلى السحر من مامز. ولهذا حالما أبرز الكسندر الحكم بالموت على الشهيد احتاط بهِ الكهنة من كلّ جانب قاصدين أن يخضعوهُ لعمليّاتهم الشيطانيّة الباطلة ويلقوهُ بأكثر سهولة في لهبات النار. غير أنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدّيس لم يرد أن يتكبّد ملامستهم الدنسة. ولذلك ركع وصلَّى مدّة من الزمان ثمّ نهض وألَقى ذاتهُ بشجاعة في الأتّون الكبير حيث استمرَّت اللهبات تتأَجّج فيهِ مدّة ثلاثة أيّام. ولكنّ يد ذلك الإله الذي خلّص الفتيان الثلاثة من أتون بابل نجّت مامز. فانهُ أخذ يتمشّى على النار كأنّهُ يتبختر في أحد المروج على الحشيش والزهر. فلمّا خمدت النار وانطفأَت تطلّعوا في الأتون لينظروا أثر مامز. فرأوهُ صحيحاً سالماً في قيد الحيوة وهو يزمّر ويسبّح لله وينشد عجائبهُ كانّهُ لم تزدهُ النار الاّ رونقاً وبهاءً. فبهت الحاضرون أجمعون وأَخذوا ينشدون قاطبةً أناشيد الحمد والشكر لله عزّ وجلّ واعترفوا بالإله الحقّ. ولكنّ الحاكم أصرّ على عنادهِ وبلغ بهِ التعامي إلى أنّهُ نسب ذلك كلّهُ إلى السحر. وفكر في أن يعرضهُ للوحوش الضارية لتفترسهُ. ولمّا وصل الشهيد إلى ميدان اللعب أطلقوا عليهِ دبّة ونمراً. غير أنّ هذين الوحشَين أَنسا عوضاً عن أن يضرّاهُ حسب عادتهما. فالدبّة جلست عند قدميهِ والنمر وقف على رجليهِ ووضع يديهِ على كتفَي الشهيد وصار يلعب معهُ بكلّ لطافة. ففشل حينئذٍ الحاكم وأَمر أن يعيدوا مامز إلى السجن ريثما يأتوهُ بوحوش أكثر شراسة من التي أتوا بها أوّلاً. ولم يمضِ زمانٌ ان سُمع في البلد انّهم قد وجدوا سبعاً ضخماً هائلاً جدّاً وبأنّ مامز سوف يضحي في أنيابهِ ضحيّةً لغضب الآلهة. ولكن بينما كان مامز يصلّي في وسط الميدان والجموع جالستةً على درج ميدان اللعب منتظرةً اعطاء العلامة لاحضار السبع. إذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بسبع آخر نزل من الجبل ودخل ميدان اللعب وفتك بالمتفرّجين وقتل منهم كثيرين وأَلقى الهول والرعبة في قلوب الجميع. والذين نجوا من أنيابهِ سُحقوا تحت أرجل الهاربين. ولم يزل يدور في الميدان. حتّى وصل إلى مامز. ولمّا وقع نظرهُ عليهِ أحنى لهُ رأسهُ باحترام. فأَمرهُ مامز أن يكفّ عن شراستهِ ويرجع إلى مكانهِ فأَطاعهُ حالاً. أمّا الكسندر فاستمرّ في محلّهِ عديم الحركة من الخوف والفزع وشاهد حولهُ كثيرين من سكّان القيصريّة متمرّغين في دمائهم. والذين نجوا من الموت أخذوا يمجّدون إله المسيحيّين. أمّا هو فلم يرد أن يذعن لهذهِ الإشارات الباهرة كلّها. بل صار قلبهُ يطفح حقداً وغيظاً على هذا القدّيس الذي كفَّ الأسد عنهُ وصان حياتهُ من مخاليب هذا الوحش خادم الانتقام الإلهي. ومجازاةً لهُ عن هذا الاحسان أمر أن يطلقوا على مامز الأسد الهائل الذي كان قد أعدَّهُ لافتراسهِ. فخرج السبع من حبسهِ زائراً وعندما بصر بالقدّيس جاء فارتمى عند قدميهِ وأَخذ يلاطفهُ. فلمّا شاهد ذلك غير المؤمنين الذين كانوا قد بقوا في ميدان اللعب مجّدوا الله الاه مامز واعترفوا بانّهُ هو الإله الحقيقيّ. وأمّا الكسندر فلم يعد يتمالك حينئذٍ غيظهُ. بل أمر أحد شرطهِ أن يطعن أحشاء القدّيس بحربة ذات ثلث شوكات. وإذ طعنهُ سُمع صوت من السماء ينادي القدّيس ويستدعيهِ إلى ترك الأرض. فخرجت حينئذٍ نفس القدّيس من قيود جسدهِ وحُملت بين صفوف الملائكة إلى مقرّ المجد الأبديّ. فمن جميع الشهداء الشرقيّين لا يوجد من هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أشهر وأكبر من القديس مامز. وقد سمّاهُ الروم بالقدّيس الكبير. وبُنيت على اسمهِ عدَّة كنائس في الشرق والغرب* ولمّا أراد الملك يوليانس الجاحد أن يبني هو أيضاً بسبب ريائهِ كنيسة على اسم الشهيد لم يتمكّن أصلاً من تكميل بغيتهِ* وقد أطنب جدّاً القدّيسان باسيليوس وغريغوريوس النازينزي في مديح هذا القديس الجليل. وحُفظت هامتهُ الموقّرة إلى يومنا هذا في كاتدريّة لنكرا في فرنسا*

* اليوم الثامن عشر *

مار روكس

من أشهر القدّيسين الذين اشتهروا في القرن الرابع عشر القديس روكس. وكان أبوهُ يُدعى يوحنّا من ذريّة أمراء مدينة مُنتبليار. وممّا اختصّ وامتاز بهِ أجدادهُ هو اعتصامهم بالديانة الكاثوليكيّة ومحاماتهم عنها. ولعظم اشتياق يوحنا وقرينتهِ إلى أن يصير لهما ولد. التجأا إلى ربّنا يسوع المسيح وإلى والدتهِ الكلّية القداسة وصلّيا إليهما قائلَين: يا يسوع مكوّن العالمين ويا أيّتها العذراء مريم سلطانة العالم. يا من يلذّ لكما استجابة من يستغيث بكما ويطلب عونكما نتوسّل إليكما بتذلّل أن تنعما علينا بولد ان كنتما تعلمان انّهُ سيكون مفيداً لأجل مجدكما وخدمتكما. لأننا نبتغي أن يصير لنا ولد لا لكي يزيد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثروتنا. ويفخّم أكثر من هذا شرف عائلتنا. بل لكي يصنع الخير مع الفقراء والمساكين. ويتكبّد الضيقات والشدائد حتّى الموت أيضاً لأجل مجد اسمكما. فاستجاب الله طلبتهما ورزقهما ولداً سمّياهُ روكس. ومن ساعة مولدهِ شاهدوا صليباً أحمر مرسوماً على صدرهِ. فاعتنت أمّهُ بتربيتهِ ومع كبر سنّها لم ترد أن تدفعهُ إلى المرضعات بل أرضعتهُ هي بذاتها. ومنذ طفوليّتهِ أعطى دلائل على قداسة سيرتهِ المستقبلة. منها انّهُ كان أحياناً كثيرة يلازم الانقطاع عن الحليب. وفي كل يوم أربعاء وجمعة لم يرضع إلاّ مرّة واحدة فقط في النهار. ولمّا ترعرع وكبر كانت تسليتهُ الفريدة عمل الخير مع الفقراء والغرباء واسعافهم بكلّ محبّة كأنّهم أهلهُ. ولمّا أوشك والدهُ أن يبارح الحيوة دعاهُ إليهِ وأودعهُ وصايا جليلة منها انّهُ قال لهُ: لقد حان يا ابني وقت ارتحالي من أرض المنفى هذهِ الممتلئة شقاوة. فكن أنت منصبّاً دائماً على خدمة الله وافتكر كثيراً بالأوجاع والأتعاب التي قاساها ربّنا يسوع المسيح لأجل خلاصنا. وكن عيناً للعميان ورِجلاً للعرج وأباً للفقراء. واعلم انك بممارسة أفعال الرحمة هذهِ تجلب عليك نعمة الله وبركة الناس* وبعد وفاة أبيهِ بزمان قليل ماتت أمّهُ أيضاً ولهُ إذ ذاك من العمر نحو عشرين سنة. وقد أضحى ذا ثروة عظيمة ورثها من والديهِ. فوزّع منها جزءاً وافراً على الفقراء ووكّل خالهُ على الباقي منها وحجّ إلى روميّة ماشياً بهيئة سائح. فلمّا بلغ بلاد ايطاليا كان الطاعون قد عمّ تلك البلاد وأخربها خراباً. وأضحت الشوارع والأزقّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والبيمارستانات مشحونة بجمّ غفير من المصابين بهذا الداء. فشمّر لخدمتهم بمحبّة حارّة استحقّ لأجلها أن ينال منهُ تعالى موهبة الشفاء من داء الطاعون. وقد بذل همّتهُ أوّلاً في مستشفى بمدينة اكوابندتيا في ايطاليا. فكان يلمس المضروبين بيدهم اليمنى ويرسم عليهم إشارة الصليب فيبرأون بهذهِ العلامة الخلاصيّة جميعاً* ثمّ أخذ يجول في المدينة ويشفي كل من صادفهُ على طريقهِ مصاباً بهذا الداء القتّال. فصار الناس يتّخذونهُ بصفة ملاك مرسَل من الله لإسعاف هؤلاء المساكين. ولمّا سمع انّ الطاعون عثا بمدينة روميّة وقتل كثيرين من سكّانها. ذهب إليها حالاً فشاهد أهلها في حالة يُرثى لها من الحزن والكآبة والبكاء والعويل. وقد تسلّط الموت في كل مكان. وعربات الجزائر تجول في الطرق وتخبر عن عبورها بقرع النواقيس الحزينة منبّهةً الأهالي ليدفعوا إليها أمواتهم كي تُدفَن. وكانت جثث المائتين مطروحة ومحشورة بعضها على بعض في الطرق. ولم تكن تكفِ العربات لنقلهم. ولمّا اشتدّ الوباء صاروا يضعون الجثث على أبواب البيوت. ولذلك أضحى منظر المدينة يوجّع القلب ويكسر الخاطر. وحدث مع الطاعون مجاعة عظيمة أيضاً أوقعت الجميع في فاقة كبرى. ولم يوجد من يخاطر بحياتهِ لمداواة هذهِ المصائب والضربات الاّ بعض القسوس والرهبان ونفر قليل من القضاة. وأمّا البقيّة جميعاً فكان الخوف وحبّهم لذاتهم قد قسّيا قلوبهم فلازموا بيوتهم مختفين فيها. والأطبّاء أنفسهم ما عدا القليل منهم عندما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رأَوا انّ أدويتهم لم تنجع بالمصابين. ولم يتمكّنوا بواسطة فنّهم أن يتقوّوا على الداء هربوا بعيداً عن المدينة. فلمّا رأَى روكس شعب روميّة على هذهِ الحالة وهو مصروع من الحزن وصائرٌ فريسة للموت. قصد أن يهتمّ في نجاتهِ أو أن يموت فديةً عنهُ. ولهذا أخذ للوقت يجدّ في زيارة البيمارستانات ومتاريس الكرنتينات لمداراة المرضى. وكانت محبّتهُ الزائدة تحطم جميع المخاطر حتى انّهُ كلّما وجد مريضاً رسم عليهِ إشارة خلاصنا المقدّسة فيتعافى وينجو من الموت. وهكذا قليلاً فقليلاً سقطت قوَّة الطاعون وهدأَ رمق أهل مدينة رومية وأخذت تنتعش قواهم وترجع إلى الحيوة. فشاع في المدينة خبر القديس الطبيب العجائبيّ الذي أرسلهُ الله لإنقاذ المدينة من الضربة المهولة التي ضربها بها. وقد تقوّت محبّة روكس وصارت أقوى من الموت نفسهِ. فتغلّب على الطاعون بقوَّة الصليب المقدس وقهرهُ وأَنقذ من مخاليبهِ القتّالة المدينة. وبهذهِ الإشارة عينها خلّص أيضاً أغلب مدن إيطاليا من الوباء. لأنّهُ كان ينتقل من مدينة إلى أخرى تابعاً الطاعون أينما فشا وعثا* ثمّ انّ الله امتحنهُ بمرض سرّي في مدينة بلاشنه. فانفرد إلى غاب منقطع وهناك قاتهُ الله بقرصة خبز كان يأتيهِ بها يوميّاً كلب من مائدة سيّدهِ. فتعجّب المولى من عمل كلبهِ وأَراد أن يعرف ما يصنعهُ الكلب بالخبز. فتتبّعهُ يوماً إلى أن انتهى إلى كوخ القديس فلمّا رآهُ على تلك الحالة من الفقر والوجع. توجّع قلبهُ عليهِ جدّاً وتوسّل إليهِ بلجاجة أن يسمح لهُ بخدمتهِ. وبعد قليل من الزمان تعافى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدّيس باعجوبة سماويّة ورجع إلى فرنسا إلى مدينة منتبليار وطنهِ. وكانت إذ ذاك في اضطراب وانقلاب وقلق عظيم. فلمّا شاهدوهُ في هذا الزيّ ساءَت ظنونهم واتّخذوهُ جاسوساً فألقوهُ في السجن. وكان حاكم المدينة يومئذٍ خالهُ الذي كان قد ترك إلى عهدتهِ إدارة وتدبير أموالهِ. ومع هذا كلّهِ فلم يعرّفهم بنفسهِ ولم يمانعهم بشيءٍ البتّة. بل احتمل ضيقات السجن وشدائدهُ مدّة خمس سنوات أو أكثر وهو يبارك الله على النعمة التي وهبهُ إيّاها لاحتمال الإهانات والضيقات حبّاً بهِ. وما زال يطلب منهُ تعالى بشفاعة والدتهِ الكليّة القداسة أن لا يهملهُ أبداً بل أن يعضدهُ دائماً بنعمتهِ القادرة على كلّ شيء. ولم يكن سجن روكس مظلماً ورطباً فقط بل ممتلئاً من العقارب. وكان يضيف على أوجاعهِ هذهِ تقشّفات صارمة خارقة العادة* واعلمهُ الله أخيراً بقرب وفاتهِ. فاستدعى إليهِ قسّيساً زوّدهُ بالأسرار الأخيرة. وقبل مماتهِ طلب إلى الله السلامة والحفظ من خطر الطاعون لكلّ من يستغيث بشفاعتهِ على هذهِ الغاية. فأَوحى إليهِ تعالى بأنّهُ قد استجاب طلبتهُ* ثمّ توفّي بهذا الداء سنة ١٣٢٧ ولهُ من العمر نحو ٣٢ سنة. وبعد موتهِ شاهدوا أشعّة نور عظيم يلوح من شقوق السجن. فذُعر السجّان وفتح باب السجن فرأَى جسد القديس ممدوداً على الأرض وسرجاً موقدة عند رأسهِ ورجليهِ ولوحاً من خشب إلى جانبهِ مكتوب عليهِ هذهِ الكلمات وهي: كل من يُضرَب بالطاعون ويلتجئ إلى حماية القديس روكس ينجُ من هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الداء القاسي القتّال. وعندما شاعت هذهِ الخبريّة العجيبة جاءت أم الحاكم إلى ابنها وقالت لهُ: انّ الذي ألقيتهُ في السجن هو روكس ابن أختك. والدليل على ذلك هو الصليب الأحمر الذي على صدرهِ. فخجل حينئذٍ الحاكم وتفطّرت أحشاؤهُ حزناً على ما عمل. وأَراد أن يعوّض عن خطيّتهِ بدفنهِ إيّاهُ باجلال ووقار عظيمَين. فجاء جميع سكّان المدينة وصاروا يقبّلون قدمَي سائح المحبّة هذا وهم يذرفون الدموع* ومنذ حينئذٍ أخذ الناس يلتجئون إليهِ في شدائدهم وخاصةً عند نزول الطاعون. وانّ ما حدث في كثير من المدن يؤيّد عظم منفعة شفاعتهِ في ذلك. ومن أشهر ذلك ما جرى في مدينة قسطنسة حين التأَم المجمع العامّ فيها سنة ١٤٤٤. فانّهُ إذ كان هذا الداء قد اشتدّ وتكاثر فيها. أبرز الآباء أمراً في تزييح صورة القدّيس روكس في أزقّة المدينة. ولمّا فعلوا ذلك انقطع الطاعون عنها بالكليّة. وحدث أمثال ذلك في أماكن متعدّدة مع تمادي الزمان. وإلى يومنا هذا تُشاهَد العبادة لمار روكس وطلب شفاعتهِ للنجاة من غايلة الطاعون مبثوثة في البلدان والأقطار*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع عشر*

هيلانة الملكة القديسة

كانت القدّيسة هيلانة انكليزيّة الأصل حسب الرأي العامّ. وكان قد تزوّج بها قسطنطيوس خلورس أحد الضبّاط في الجيش الرومي حينئذٍ. فولدت لهُ قسطنطين الكبير الذي صار لها سبباً لتتعلّم حقائق الايمان المسيحيّ وتصير مسيحيّة. وبعد أن اعتمذت انصبّت على ممارسة الفضائل والسير في طريق الكمال المسيحيّ بحرارة ونشاط. ولمّا استولت على كنوز المملكة بواسطة ابنها صارت توزّع صدقات وافرة على الفقراء. وحجّت إلى الأراضي المقدّسة وهناك اكتشفت على عود صليب مخلّصنا. وعمّرت كنائس وأديرة عديدة. وتعد رجوعها إلى روميّة ماتت بين يدَي ابنها قسطنطين ولها من العمر نحو ثمانين سنة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم العشرون *

القديس برنرد رئيس دير كلارَوَلاّ ملفان الكنيسة

انّ برنرد وُلد في فُنتين من أعمال فرنسا من والدَين غنيَّين بالفضيلة والتقوى وشريفَين حسباً ونسباً. وعند ولادتهِ لم تكتفِ والدتهُ أن تقدّمهُ لله كبقيّة أولادها بل خصّصتهُ أيضاً لخدمة الكنيسة. وأوّل ما نشأَ أسرعت في إرسالهِ إلى المدرسة. فانعكف على الدرس والخلوة. وأَخذت تلوح على وجههِ سيماء الطهارة والاحتشام. وأصبح ليّن الأخلاق مليح الشمائل صالح السيرة طائعاً. ذا ولع وانجذاب طبيعي في التروّض بسيرة يسوع المسيح. ولشدّة حبّهِ للفقراء كان يوزّع عليهم في الخفية كل ما أصابهُ من الدراهم* ولمّا أكمل دروسهُ رجع إلى بيت أبيهِ ولهُ من العمر حينئذٍ ١٩ سنة. ولم يلبث زماناً أن أَخمد فيهِ لهو العالم حرارة العبادة والفضيلة ولم يعد يشعر بالتعزيات الحسّيّة في عبادتهِ. وحُرم نوعاً من سرور الأفعال الروحيّة وحلاوتها التي التذّ بها حتى ذلك الحين. وأوشك أن يسقط في الفتور لو لم تتداركهُ المحن والتجارب التي انعشت فيهِ الفضيلة وعضدتها. وأوّل هذهِ المحن كانت تجربة قويّة مخطرة جدّاً. فارتاع منها حتّى أخذ يركض عن غير هدىً. ولم يقف الاّ عند بحيرة ماؤها جامد فأَلقى نفسهُ فيها بشجاعة ومكث غاطساً فيها زماناً حتى أخرجوهُ منها وقد أوشك على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الموت. فغبّ هذا الانتصار تضاعفت فيهِ قوَّة الفضيلة واستعدّ لاحتمال المصائب والمحن المستقبلة ببسالة. وبعد رجوعهِ من المدرسة بستّة أشهر ماتت أمّهُ العزيزة عليهِ. فحزن عليها حزناً شديداً وتحوّلت لديهِ منذ حينئذٍ جميع لذّات هذا العالم إلى مرائر. واشتدّ حزنهُ بيبوسة داخليّة خيل لهُ منها انّ عبادتهُ قد اضمحلّت ونفسهُ قد غطّاها جليد الفتور* وأخذ الشيطان يحاربهُ حرباً شديدة مهولة. الاّ أنّ العذراء القدّيسة اكتنفتهُ بحمايتها وصانتهُ من سهام العدوّ لسبب تعبّدهُ ومحبّتهِ البنويّة لها. وقد كثر قلقهُ واضطرابهُ لدى تردّدهِ في اعتناق حالةٍ من الحالات ليخدم الله فيها. لأنّهُ من الجهة الواحدة كان العالم يعدهُ بمستقبل عالٍ بهيّ نظراً لشرف عائلتهِ وخِدَم والدهِ الكثيرة الذي بذلها في خير الوطن. وشهامة أخلاقهِ وعلمهِ الواسع وحسن تصرّفاتهِ وآدابهِ. هذهِ كلّها سبّبت لهُ لأَن يتوق إلى أسمى الدرجات وأَعلاها سواء كان في المناصب المدنيّة أو في الدرجات الاكليريكيّة. غير انّ ذكر وفاة والدتهِ كان يقودهُ إلى التفكّر بالأبدية ويبدّد عنهُ أوهام الأباطيل العالميّة. وإذ داهمتهُ ذات يوم تجربة قوية وأوشك أن يضحي فريسةً لها باتّباعهِ ميل الطبيعة ومقاومة صوت النعمة ورفض الاذعان لهُ. دخل إلى كنيسةٍ وأخذ يطلب إلى الله من صميم قلبهِ أن يعلّمهُ بإرادتهِ المقدّسة ويهبهُ القوَّة لاتّباعها. وقبل أن يفرغ من صلاتهِ تبدّدت عنهُ الأوهام وشعر بقصد ثابت لاعتناق السيرة الرهبانيّة في دير الشسترسيّين*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ سيتو هو اسم قرية صغيرة بالقرب من مدينة ديونا في فرنسا. وكان الطوباوي روبرتوس وعشرون راهباً من رهبنة مار بندكتس في نحو سنة ١٠٩٨ قد انفردوا في إحدى غاباتها ليسيروا حسب قانون مار بندكتور ويتمسّكوا بهِ بضبط. فقصد القدّيس برنرد هذا الدير ودخلهُ وخصّص ذاتهُ لخدمة الله. فأَنار الرهبنة بسيرتهِ الصالحة حتّى صاروا يسمّونها بدون تمييز برهبنة القديس برنرد أو رهبنة سيتو وأحياناً أيضاً رهبنة الشسترسيّين*

وعندما سمع أهلهُ أنّهُ عزم على أن يدخل الرهبنة. شرعوا يقاومونهُ مقاومة مزعجة ليصدّوهُ عن اتّباع هذهِ الأفكار. الاّ أنّهُ فنّد اعتراضاتهم ودافع عن دعوتهِ المقدّسة بفصاحة وتواضع. فأَثّر فيهم كلامهُ كلّ التأثير بنوع انّ خمسة من أخوتهِ وأَحد أعمامهِ اقتدوا بهِ وخصّصوا ذواتهم نظيرهُ لله. وما عدا هؤلاء تبعهُ أيضاً بواسطة تحريضاتهِ نحو ثلاثين راهباً. فاجتمعوا جميعاً في بيت منفرد وبدأوا يمارسون سويةً العيشة الرهبانيّة ويحافظون على قوانينها بحرارة ونشاط قبل دخولهم الدير*

وقبل أن يذهب برنرد وأخوتهُ إلى الدير انطلقوا إلى أبيهم ليطلبوا بركتهُ ويتوادعوا معهُ. وتركوا عندهُ مسلّياً لهُ في شيخوختهِ بَنْفار أخاهم الأصغر. ولمّا خرجوا من البيت وأَرادوا الذهاب إلى الدير صادفوا بنفار يلعب في الطريق فقال لهُ كيدو أخوهم الأكبر: أودعناك يا أخي بنفار. ها نحن ذاهبون للتزهّد. وقد تركنا لك جميع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أموالنا وأراضينا. فأَجابهم الصبيّ أمام أندادهِ بحكمة لا مثيل لها قائلاً: آه أمن العدل والانصاف يا أخوة أن تأخذوا أنتم السماء وتتركوا لي الأرض. ثمّ سار الأخوة في طريقهم وانصبّ بنفار على لعبهِ. الاّ انهُ بعد زمان قليل هجر هو أيضاً العالم وتبع أخوتهُ. وهكذا لم يبقَ من العائلة كلّها عائشاً في العالم سوى الاب وابنة وحيدة كانت لهُ سوف نتكلّم عنها فيما بعد*

ولمّا وصل برنرد إلى الدير وبرفقتهِ جماعة المبتدئين الشريفة ارتمى على رجلَي الرئيس القدّيس اسطفانوس وطلب إليهِ بحرارة ان يقبلهم في رهبنتهِ. فقبلهم اسطفانوس بفرح لا مزيد عليهِ. وكان عمر برنرد يومئذٍ ثلاث وعشرون سنة. وابتدأَ بالعيشة الرهبانيّة بنشاط كلّي وباشتياق حارّ وشرع يتقدّم في الفضيلة والكمال. وكثيراً ما كان يحرّض نفسهُ قائلاً: لمَ أتيتَ إلى هنا يا برنرد* وتعوّد على العيشة النسكيّة بالاتّحاد المداوم مع الله في داخل قلبهِ حتّى صار لا يجد تعزيةً وفرحاً الاّ في وحدتهِ. ولمداومتهِ على التقشّف واماتة الحواسّ. فقدت نوعاً حواسُّهُ قوّتها الطبيعيّة. فكان ينظر كانّهُ لم ينظر. ويسمع كانّهُ لم يسمع. ويأكل من دون ذوق* وقيل انّهُ أحياناً كثيرة كان يشرب زيتاً عوض الماء من دون أن يشعر بذلك. وعندما يذهب إلى حجرة الأكل كان يُخال لهُ كأنّهُ يُساق إلى محلّ العذاب. وقضى سنةً كاملة في قلاّية المبتدئين ولم يعرف سقفها كيف كان أَمن خشب أم من حجارة. ولم يدرِ أيضاً هل يوجد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شبابيك في مؤخّر المصلّى الذي كان يصلّي فيهِ يوميّاً ام لا* ولمّا كان الأخوة يشتغلون في بعض الأشغال الخدميّة ممّا لا يقدر هو أن يشتغل فيها لعدم معرفتهِ بها. كان هو يشتغل بأشغال أخرى صعبة نظيرها الاّ أنّها أدنى منها ظاهراً. ففي أحد الأيّام عندما كان الأخوة يحصدون. أمرهُ الرئيس أن لا يحصد هو بل أن يجلس ناحيةً ويستريح وذلك لقلّة خبرتهِ في الحصاد وعدم استطاعتهِ على الشغل. فأَطاعهُ وجلس الاّ أنّهُ رفع قلبهُ إلى الله وطلب إليهِ بدموع سخينة أن يمكّنهُ على الاشتغال كأخوتهِ. فاستجاب الله طلبتهُ ومنذ حينئذٍ صار بارعاً بالأشغال التي كانت تفعلها الأخوة* وكان يلتذّ كثيراً بقراءة الكتاب المقدّس ويقرأ نصوصهُ مجرّدةً من دون تفاسير قائلاً: انّ النصوص تفسّر بعضها. فالسهل منها يفسّر الغويص. واكتشف على الأسرار والحقائق السماويّة من القرائن نفسها إذ انّها كانت تلوح لهُ أوضح وأجمل ممّا أن يكتشف عليها بواسطة تفاسير وتأويلات المفسّرين. ومع هذا كلّهِ ففي تفسير الأسفار المقدّسة كان يُخضع أفكارهُ دائماً لأفكار الذين سبقوهُ من المفسّرين الكاثوليكيّين. ولكثرة مطالعتهِ للكتاب المقدّس أتقن آياتهِ وشواهدهُ. ولهذا نجد مواعظهُ وخطبهُ ومكاتيبهُ كلّها مشحونة منها*

وبعد أن عاش في دير سيتو نحو سنتين ونذر النذور الاحتفاليّة. فوّضهُ اسطيفانوس رئيسهُ على إقامة دير جديد في كلارولاّ وهو وادٍ كثير الغابات ومأوى للصوص. فعانى مشقّات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا توصف في أوائل تشييد هذا الدير. لأنّ المناخ كان رديّاً فاسداً والبرد شديداً والفَقر لا يوصف بحيث كثيراً ما كانوا يصنعون طبيخهم من ورق الزان وخبزهم من الشعير والدخن. وكان أسود اللون ورديّ الذوق بهذا المقدار حتى انّهُ إذ زارهم يوماً راهب غريب وقدّموا لهُ منهُ على المائدة. لم يتمالك من البكاء عندما رآهُ وذاقهُ* وكان برنرد مع ذلك يبذل جهدهُ بأن يدرّب رهبانهُ في طريق الكمال. وفي أوائل الأمر لم يكن يعاملهم على حسب طاقتهم. بل كان يخال أصغر نقائصهم أمراً غير قابل الاحتمال. ويتعجّب من رؤيتهِ إيّاهم يميلون إلى بعض هفوات صغيرة لا يمكنهم تجنّبا على هذهِ الأرض. وكثيراً ما عنّفهم عنها تعنيفاً شديداً القاهم في القنوط. فتعجّب الرهبان من تصرّفهِ الصارم معهم غير انّهُ لازدياد اعتبارهم واحترامهم لهُ فضّلوا الطاعة لهُ ونسبوا الفتور والتراخي لذاتهم ولم يعتدّوهُ صارماً نحوهم وقليل الفطنة في تدبيرهم. وعلى هذا النمط صار تواضع الرهبان تعليماً شافياً للقديس. لأنّهُ شعر بذاتهِ انهُ ليست لهُ الخبرة الكافية لتدبير النفوس. واعترف بأنّ غيرتهُ هي غير مرتَّبة. فتوسّل إلى الله بهذا الشان فأَعطاهُ موهبة خصوصيّة بها يعرف أن يراعي ضعف الآخرين ويشفق عليهم ويعامل كلّ واحد حسب طاقتهِ والنعمة التي وُهبت لهُ. وإذ تغيّر هكذا بالكليّة. ابتدأ أن يعامل أخوتهُ بكلّ حلم ووداعة ويعتني بجميع احتياجاتهم كاعتناء الأمّ بأولادها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحدث أنّهُ بعد أن ترك بنفار أصغر أخوة برنرد بيت أبيهِ وانضمّ إلى أخوتهِ في العيشة الرهبانيّة وبقي أبوهم ثسّالين وحدهُ في البيت مع ابنتهِ همبلينا. أحبّ ثسّالين هو أيضاً بعد زمان أن يشترك بسعادة أولادهِ. فلم يخجل من أن يصير أخاً لهم بالرهبنة. بل وابناً روحيّاً لبرنرد الذي كان ابنهُ بالجسد. أمّا همبلينا فلمّا رأَت ذاتها مالكةً وحدها كل مقتنيات العائلة وقد صارت غنيّة جدّاً. أخذت تزيّن ذاتها وتعيش بالرغد بافراط. وأَتت ذات يوم إلى الدير محفوفةً بالخدم والحشم لتزور أباها وأخوتها. فأَبوا مواجهتها على هذه الحالة فخجلت همبلينا من حالتها وأَخذت تذرف الدموع السخينة وتتوسّل إليهم بأن يقبلوها ليس كابنة وأخت بل كمريضة روحيّة مستعدّة ان تستعمل جميع الأدوية التي يصفونها لها. فرقّ قلب القديس وأبيهِ وأخوتهِ لهذا الكلام وخرجوا لمواجهتها. وبعد المذاكرة معهم كفرت همبلينا بأباطيل العالم كلّها ثمّ استأذنت من زوجها ودخلت أحد الأديرة وعاشت وماتت وتفوح منها رائحة القداسة*

ولنأخذ بالكلام عن القدّيس برنرد ولنرى أنّهُ وان أخذ يعامل أخوتهُ بروح الوداعة والحلم ويعامل ذاتهُ بقساوة لا مثيل لها. فانّهُ كان يصلّي وهو واقف ليلاً ونهاراً ولا يأكل سوى الخبز ولا يشرب غير الماء ولم يعفِ ذاتهُ من الأشغال الخدميّة سواء كانت في داخل أو خارج الدير الاّ في النادر وبصعوبة كليّة عندما تضطرّهُ على ذلك الضرورة القصوى. ولصرامة تقشّفهِ ضعفت معدتهُ جدّاً حتى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لم يعد ممكناً لها أن تحفظ طعاماً بل أخذت تقذف الأكل* امّا البرارة وحبّ الاختلاء وقداسة السيرة التي ازهرت أعمالهُ في الدير فلا يمكن للسان أن يعبّرها ولا لقلم أن يصفها. وقد تكلّمنا سابقاً عن فقر ديرهِ* أمّا السكوت فكان مالكاً دائماً في الدير بحيث أنّ كلاًّ من الأخوة كان يحتسب ذاتهُ عائشاً في الخلود والانفراد. مع انّ الدير كان يحوي اعتياديّاً ما ينيف على ستمائة راهب وبلغ إلى السبعمائة. ففي حين الصلوة لم يُسمَع فيهِ الاّ نغمات المزامير. وفي وقت الطعام ضجيج الآلات التي يستخدمونها فقط. وأطعمتهم ولو كانت زهديّة ولا ذوق لها لكن الرهبان كانوا يعتبرون ذواتهم متنعّمين بأَلذّ الأطعمة. لأنّ قوَّة النعمة كانت تخفّف عنهم زهدهم وتجعلهم ان لا يشعروا بأَدنى عناء في عيشهم* فعاش برنرد هكذا زماناً في خلوة كلارولاّ مجهولاً من العالم. وشاء أخيراً ربّنا يسوع المسيح أن يظهرهُ إلى العالم لكيما بواسطتهِ يجذب النفوس إليهِ ويهدم سلطة الشيطان. فأَعطاهُ تعالى موهبة عمل العجائب التي أذاعت اسمهُ في كل مكان سيّما في فرنسا كلّها. وممّا حدث لهُ انّهُ وقع يوماً مريضاً بمرض عضال أوصلهُ إلى الموت. وفيما هو على هذهِ الحالة غاب عن حسّهِ وشعر بذاتهِ كأنّهُ يُقدَّم أمام منبر الله. والشيطان عدوّ البشر القاسي أخذ يقدّم عليهِ شكايات عديدة. فلم يخف منها أصلاً بل أجاب الشيطان قائلاً: نعم وأنا أيضاً أعترف بانّي لستُ أهلاً للسعادة الأبديّة ولا أستطيع أن أحصل عليها بواسطة استحقاقي. ولكن لمّا كان سيّدي ومعلّمي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يسوع المسيح قد استحقّها بصفتين. أي بصفة حقّ الوراثة من كونهِ ابن الله. وبصفة استحقاقات آلامهِ من كونهِ مخلّص العالم. فحفظ لذاتهِ الصفة الأولى. والصفة الثانية قد تنازل هو أن يشاركني بها. ولهذا فلي باعث قويّ يجعلني أن أثق بالحصول على الملك الذي افتتحهُ لي مخلّصي بواسطة آلامهِ. ثمّ رجع إلى حسّهِ وقد شُفي من مرضهِ بأُعجوبة. وذلك بلمس العذراء القديسة إيّاهُ بيديها المقدّستين. وأَخذ يعظ في فرنسا ونواحيها وما من أحد يقدر أن يُحصي عدد النفوس التي رجّعها إلى الله في هذهِ الأماكن. واكتسب لله ولرهبانيّتهِ نفوساً هكذا عديدة حتى انّهُ وُجد عندهُ في الدير في وقت واحد ستّمائة من المبتدئين فقط. ولمّا كان عدد الطالبين الذين يتقاطرون إليه للدخول في رهبنتهِ يزداد يوماً فيوماً. اقتضى لهُ أن يوسّع أمكنتهُ ليمكنهُ قبولهم. وكان بعد أن يثقّفهم في السيرة الرهبانيّة الكاملة يرسلهم إلى أديرة أخرى تلوذ بديرهِ. حتّى انّ دير كلارَولاّ صار بعد قليل من الزمان رئيساً على مائة وستّين ديراً*

وفي تلك الأيّام حدث شقاق في الكنيسة. وذلك انّ بابا غير شرعي وهو بطرس لاون ادّعى بالجلوس على الكرسيّ الرومانيّ واتّخذ لهُ اسم انقليطوس. وكان البابا الشرعي إذ ذاك انّوكنتيوس الثاني. فانشقّت لذلك الكنيسة حينئذٍ إلى فرقتين احداهما تبعت انوكنتيوس الثاني والأُخرى تبعت بطرس لاون غير الشرعيّ. وحصل ارتياب والتباس بسبب ذلك والتأَمت عدّة مجامع في بلاد فرنسا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لإزالة هذا الشكّ. ودُعي إلى المجمع برنرد وفُوّض إليهِ فحص هذهِ المسأَلة الخطرة وحسمها. ولم يقبل التداخل بها الاّ كرهاً منهُ واغتصاباً حبّاً بالخير والنجاح والسلام. وبعد أن صلّى طويلاً وفحص بدقّة حجج وبراهين انوكنتيوس وانقليطوس. صرّح بانّ انوكنتيوس هو البابا الشرعي ولهُ يجب أن يخضع جميع المؤمنين. فأَذعن لهذا الرأي ليس آباء المجمع فقط بل مملكة فرنسا بأسرها. ثمّ ذهب إلى ملك الانكليز وأَقنعهُ بأن يؤدّي الطاعة لانّوكنتيوس الثاني وجاء بهِ إلى البابا وهو إذ ذاك في مدينة شارتريزا بفرنسا* ولمّا سافر البابا بعد ذلك إلى المانيا ليتواجه مع الامبراطور ويتداول معهُ. أراد الامبراطور أن ينتهز فرصة الانقسامات التي كانت حينئذٍ بين المسيحيّين ليستعبد الكنيسة. فنهض القديس ضدّهُ وقاوم مطلبهُ بشجاعة وحماسة مقدّسة. وبيّن لهُ بصريح العبارة أنَّ قبول رئاسة البابا ليس هو أمر اختياري لا طائل تحتهُ حتى يقبلها الإنسان أو يرفضها تحت شروط. بل هو فريضة لازمة ضروريّة للخلاص* وإذ سافر البابا انوكنتيوس الثاني من فرنسا إلى رومية أحبّ أن يمرّ في طريقهِ ويزور دير كلارولاّ. ولمّا دخل الدير هو والكرادلة الذين كانوا معهُ وشاهدوا احتشام الرهبان واماتتهم وفقرهم وامارات الفرح تلوح على وجوههم المنيرة وتفوح من الدير عبوق روائح السكينة والهدوّ والسلام السماويّ. سرّوا بذلك غاية السرور وتهلّلت وجوههم فرحاً* ثمّ توجّه البابا إلى روميّة وهناك اجلسهُ الامبراطور نفسهُ ثانيةً على كرسيّهِ الرومانيّ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والملك أيضاً اقتبل التاج الملوكي من يديهِ* أمّا القديس فالتزم أن يتبع البابا إلى روميّة وهناك أخذ يجدّ مجتهداً صحبة القديس نوربير ليجذب إلى التوبة والطاعة البابا الغير الشرعيّ. الاّ انّ مساعيهُ ذهبت عبثاً لأنّ المذكور أصرّ على عنادهِ. وبعد ذلك أرسل البابا القدّيس برنرد إلى جينيزا في إيطاليا ليثبّت أهلها في الطاعة للكرسي الرسوليّ ويُلقي الصلح بينهم وبين أهالي مدينة بيزا الذين كان الجينيزيّون كثيراً ما يغزونهم ويتعدّون عليهم. فكمّل هذهِ الرسالة ونجح فيها نجاحاً عجيباً. ومن جينيزا توجّه إلى ألمانيا ليلقى الصلح بين الامبراطور وأمراء مملكتهِ. ومن ألمانيا رجع إلى إيطاليا ليحضر في المجمع الذي افتتحهُ البابا في مدينة بيزا. ومن بعد أسفار كثيرة باشرها القديس لخير الكنيسة ونجاحها. رجع إلى كلارولاّ فاستقبلوهُ بفرح لا مزيد عليهِ. فتعزّى وفرح جدّاً عندما رأَى جميع الأمور تسير سيراً حسناً بالحالة التي تركها* وبعد زمان دعاهُ البابا ثانيةً إلى إيطاليا ليستأصل منها الهرطقة التي تكلّمنا عنها تماماً. فحزن رهبانهُ لسفرهِ وابتعادهِ عنهم حزناً شديداً. وقد تعرّض لهُ الشيطان في هذا السفر تعرّضاً قويّاً. ويُقال انّهُ أخزاهُ الله كسر دولاب العربة التي كان القديس راكبها لكيما يدهورهُ في هوتة كان مارّاً من جانبها* وأخيراً وصل إلى إيطاليا واستأصل منها آثار الهرطقة التي استمرّت مدّة سبع سنوات. وقطع بموت الفجأَة خيط حياة البابا الغير الشرعيّ الذي أقلق العالم الكاثوليكيّ لسبب عنادهِ وحبّهِ للرفعة* ثمّ رجع برنرد إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ديرهِ وقد ذاعت شهرتهُ في كل قطر ومكان. فأَخذ الجميع يستشيرونهُ في أمورهم الكنسيّة والمدنيّة ملحّين عليهِ بإعطاء رأيهِ عنها. وقد عضد القدّيس الايمان وحماهُ من الأضاليل والهرطقات الكثيرة التي نشأَت في عصرهِ وفنّدها وشجبها. لا بل بواسطة صلواتهِ وعظاتهِ وعجائبهِ جذب الذين أنشأوها أنفسهم إلى الرعوى* واختارهُ البابا اوجينوس الثالث ليكرز على الناس بالحرب الصليبيّ الثاني. فبذل في ذلك جلّ همّتهِ حبّاً بيسوع المسيح وطاعةً للكرسيّ الرسوليّ. ولكنّ الصليبيّون لم ينجحوا لأنّ الجيوش التي ذهبت للحرب تحت قيادة الامبراطور وملك فرنسا غلبتها الأعداء بواسطة الخيانة. ولأجل ذلك أخذ المنافقون والأشرار يعاملون القديس شرّ معاملة متّخذينهُ كنبيّ كاذب غشّاش. فاحتمل هذا الصليب وهذهِ الاهانة بمزيد صبر. وأخيراً لسبب كثرة أشغالهِ وأتعابهِ وأفعالهِ التوبيّة وأوجاعهِ المداومة. ضعف ضعفاً بليغاً حتى لم يعد يتمكّن من الوقوف على رجليهِ إذ أصاب ساقيهِ ورم وصار كالمستسقي. وكان مع ذلك دائماً هادياً بشوشاً سالم الفكر. ومع ضعف أعضائهِ كان يجبر ذاتهُ على تكميل الخدم المقدّسة. ويجتهد أن يقدّم ذبيحة القدّاس يوميّاً مستعيناً بأحد الرهبان ليسندهُ على المذبح* وتكلّلت حياة هذا القديس الجليل بعمل خيريّ عظيم يجب أن يُتَّخذ كأعجوبة. وهو انّهُ بينما كان منطرحاً على فراش الموت جاء إليهِ مطران تلفيزا وتوسّل إليهِ أن يأتي إلى معونة أحد أقاليم ابرشيّتهِ المدعوّ ميتزا حيث الأهالي كانوا يحاربون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعضهم بعضاً حرباً قويّة وقد باد فيها نحو الفي رجل. وأَراد المطران أن يفصل بين المتحاربين الاّ انهُ لم ينجح. فجاء وهو حزين كئيب ليستنجد عون القدّيس. فلمّا سمع بذلك تحرّك قلبهُ شفقةً وأَنعشتهُ الغيرة المقدّسة. فنهض من فراشهِ وذهب إلى مينزا ووصل إليها عندما كان الأهالي مستعدّين للقتال. فتقدّم في وسط الفريقَين وهو مستند على بعض الرهبان وخاطب كلاًّ من الفريقَين وأَقنعهم بتوقيف الحرب موقّتاً. وفي اليوم الثاني صباحاً أكّدوا لهُ بأنّ توسّطهُ بالصلح قد قبلهُ الطرفان. فاجتمع الرؤساء حولهُ وفحص شكاياتهم. فلانت قلوبه بتلطّفاتهِ وسكن منهم الغيظ ورموا أسلحتهم. واختلط الحزبان وصار يعطي كلٌّ للآخر قبلة الصلح والسلام. ولمّا كمل الصلح رجع إلى مقرّهِ في كلارولاّ واضطجع ثانيةً على فراش الموت منتظراً بهدوّ وسلام ساعة الراحة الأبديّة. واقتبل المشحة الأخيرة وتلاميذهُ حول فراشهِ يصلّون ساكبين الدموع على فقدهِ. وعندما أوصاهم وصيّتهُ الأخيرة تنهّدوا وقالوا لهُ: أيّها الأب المحبّ والمحبوب. كيف تريد أن تتركنا. الا فارحمنا نحن أولادك. فرقّ قلبهُ لهذهِ التنهّدات وبكى وقال لهم وهو رافع الحاظهُ نحو السماء: آه لستُ اعلم لمن أُصغي أَلصوت محبّة أولادي الذي يضطرّني على الاستمرار معهم. ام لصوت محبّة الله الذي يدعوني إلى السماء. قال هذا ورقد بالربّ في اليوم العشرين من شهر آب سنة ١١٥٣ في نحو الساعة التاسعة من النهار وعمرهُ يومئذٍ ٦٣ سنة قضى منها أربعين سنة في خدمة يسوع المسيح في الرهبنة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أمّا عبادة القدّيس لمريم العذراء فكانت عظيمة ونادرة بين القدّيسين أنفسهم. فانّهُ بينما كان يكرز ذات يوم في إحدى الكنائس الكاتدريّة في ألمانيا أمام جمهور الاقليروس وجمّ غفير من الشعب ركع أمام الجميع ثلاث دفعات قائلاً في الدفعة الأولى: يا رأوفة وفي الثانية يا شفوقة وفي الثالثة يا مريم البتول الحلوة اللّذيذة الطاهرة وأضافت الكنيسة هذهِ النحيّات في آخر صلاة السلام عليكِ يا ملكة الرحمة والرأفة والباقي* وقبل الختام نورد جواب برنرد للشيطان عندما جرّبهُ أخزاهُ الله بالعجب والافتخار. وذلك انّهُ بينما كان يوماً يكرز قال لهُ المجرّب: الجميع يصغون إلى قولك ويتبعونك وهم يمدحونك ويقرّظونك وهذا ما يفرّحك وتفتخر بهِ كثيراً. فأَجابهُ القديس بحماسة: انّي لم ابتدئ الوعظ لأجلك ولا أريد أن أختمهُ لك*

* اليوم الحادي والعشرون *

القدّيسة حنّة فرنسيسة دي شنتال

وُلدت حنّة فرنسيسة دي شنتال في مدينة ديجون من أعمال فرنسا. وكان أبوها رئيس مجلس القضاء في مدينة برغونيا. ففي السنة الخامسة من عمرها دحضت ببرهان قاطع معتقد أحد شرفاء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البروتستانت الذي كان على مذهب كلوين. وفي نهاية المحاورة رمت في النار متاعاً جميلاً كان قد قدّمهُ المذكور لها وقالت لهُ: هكذا يُحرَق بالنار من لا يريد أن يؤمن بكلام يسوع المسيح. ولمّا ماتت أمّها وضعت حنّة ذاتها تحت أنظار وتدبير مريم العذراء. وطردت من صحبتها خادمة كانت تحملها على محبّة العالم. ولمّا كبُرت زوّجها أبوها من البارون دي شنتال. فانصبّت منذ حينئذٍ على ممارسة فضائل حالتها. ولا سيّما اعتنت في تثقيف أولادها بأصول الديانة المسيحية وكذلك خدّامها وجميع اللائذين بها. وكانت تتصدّق على كلّ من سألها صدقة باسم يسوع المسيح. ولم تردّ فقيراً خائباً أبداً* وبعد أن مات زوجها قتيلاً في الصيد أحبّت أن تتدرّب بالسيرة المسيحية بأكمل نوع ممّا سارت بهِ حتى ذلك الحين. فنذرت عفّتها لله. وغفرت من كلّ قلبها لمن قتل زوجها. وعلامةً لغفرانها التامّ لهُ حملت أحد أولادهِ في العماذ. وإذ طلبوا التزوّج بها ثانيةً بلجاجة طبعت اسم يسوع الأقدس على صدرها بحديد محميّ في النار. حذراً من أن تخالف نذرها. وكانت محبّتها ليسوع تزداد اضطراماً يوماً فيوماً. وأَوت عندها الفقراء والمهملين والمرضى حتى المصابين منهم بأشنع الأوجاع وأكرهها. وأخذت تعزّيهم وتسعفهم وتغسل ثيابهم وتصلحها*

ولمّا اعلمها مرشدها مار فرنسيس سالس انّ الله يدعوها إلى العيشة الرهبانيّة تركت بدون امهال اباها وحماها وابنها الذي ارتمى على عتبة الباب ليمنعها لدى خروجها من البيت. وأمّا هي فتركتهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ببسالةٍ بطليّة وبقلب مضطرم بنار المحبّة الإلهية. وذهبت فدخلت الدير ثم اتّفقت مع القدّيس فرنسيس سالس وأقامت أخويّة جديدة على اسم زيارة العذراء مريم. وحفظت جميع قوانينها بتدقيق تامّ. وصارت مثالاً عجيباً لراهباتها في ممارسة الفضائل كافةً وبالأخصّ فضيلة التواضع. ولعظم حبّها لله رخّصها مرشدها أن تلزم ذاتها بنذر أن تكمّل دائماً الفعل الأكثر كمالاً من غيرهِ من الأفعال. وبعد ان شيّدت عدّة أديرة لاخويّتها ودرّبت أخواتها على ممارسة أفعال العبادة والمحبّة جميعها بأقوالها وأَمثالها وكتاباتها الممتلئة من الحكمة الإلهية. ماتت في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الأوّل لسنة ١٦٤١ مزوّدةً بالأسرار الأخيرة. وعلى ما رأَى وشهد القديس منصور دي بولا انّ القدّيس فرنسيس سالس جاء فأَخذ نفس القدّيسة حنّة فرنسيسة ودخل بها إلى السماء*

* اليوم الثاني والعشرون *

وهو ثامن عيد انتقال مريم العذراء المجيدة إلى السماء

وفيهِ ذكر مريم موزّعة النعمة

انّ الكنيسة المقدّسة تستفتح صلوات هذا العيد المجيد بهذه الكلمات وهي: انّ المسيح صعد إلى السّموات وأَعدّ لأُمّهِ الطوباويّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مقرّاً أبديّاً وسعادةً دائمة. يا لهُ من عيد فضيل. يفوق أعياد جميع القدّيسين شرفاً. هذا هو العيد الذي فيهِ صعدت مريم العذراء المجيدة إلى عرش الختن السماويّ. والجيوش السماوية بُهتت لجمالها ومجدها*

ان مريم العذراء هي جالسة عن يمين ابنها الإلهيّ ومالكة معهُ على جميع الكائنات. وهو تعالى أقامها لتوزّع نعم الخلاص. فامتياز امّ النعمة الإلهية هذا قد علّمنا ايّاهُ وفسّرهُ لنا صريحاً الحبر الأعظم لاون الثالث عشر في منشورهِ الذي أصدرهُ في شان عبادة الورديّة المقدّسة لمريم العذراء لكي ينشّط بهذا أولادها ومتعبّديها الأمناء. وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايلول سنة ١٨٩١* فلنأخذ إذاً بذكر ما نصّهُ وعلّمهُ حبر الأحبار نائب يسوع المسيح عمّا حازتهُ مريم امّ الرحمة من السلطنة والاقتدار. قال: انّهُ منذ كمل خلاص الجنس البشريّ بسرّ الصليب المقدّس. وتأَسّسَت الكنيسة موزّعة منافع هذا الخلاص. وانتشرت على الأرض. بعد أن تمجّد يسوع المسيح. قد افتتحت العناية الإلهية وحدّدت ترتيباً جديداً للشعب المختار المفتَدَى بدم يسوع المسيح. وعليهِ يليق بنا بل يجب علينا أن نتأَمّل بروح الإِيمان والعبادة في قصد الله هذا العجيب فنقول: انّهُ لما شاء الكلمة الأزليّ أن يتخذ الطبيعة البشريّة ليخلّص الإنسان ويرفع شأنهُ ويتّحد بهِ اتحاداً غير منفصل بل على نوع ما يعاقد معهُ اقتراناً رمزيّاً. لم يرتضِ جلَّ اسمهُ أن يكمّل قصدهُ هذا من دون الحريّة المطلقة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ورضى مريم التام. تلك التي اختارها أُمّاً لهُ ونائبةً عن الجنس البشري بأسره. فانّهُ قد أعطى لهذهِ الأمّ الجليلة كجهاز معاقدة اقترانهِ الرمزيّ مع الأنام كنوز النعم والخيرات التي أعدّها لخلاص نسل آدم. وهذا ما علّمهُ شمس المدارس اللاهوتيّ مار توما. وعليهِ فقد طلب الله رضاء الجنس البشريّ بطلبهِ رضاء مريم العذراء في سرّ بشارتها. فمن ثمّ يتّضح لنا جليّاً انهُ لا يمكننا الحصول على شيء من هذا كنز النعم الذي هو المخلّص بذاتهِ كقول الرسول يوحنّا: انّ النعمة والحق وجبا بيسوع المسيح الاّ بواسطة مريم. وكما انّهُ لا يقدر أحد أن يذهب إلى الآب الاّ بواسطة الابن هكذا يسوغ لنا أن نقول لا يقدر أحد يتوصّل إلى الابن الاّ بواسطة أمّهِ المجيدة. وفي هذا النظام العجيب تلوح متلألئة حكمة الله الغير المتناهية ورحمتهُ الفائقة. يا لهُ من تنازل غريب تنازل الله نحو الإنسان الضعيف. لأنّنا ان كنّا نعلم بأنّ الله هو غير متناهٍ في رحمتهِ فهو غير متناهٍ أيضاً في عدالتهِ. وان كانت رحمتهُ توطّد ثقتنا فعدلهُ يرهبنا. ولهذا فقد اقتضى للإنسان الخائف من ثقل خطاياهُ شفيعٌ ومحامٍ قدير لدى الله وشفوق جدّاً لكيما لا يمسك عنهُ شيئاً من طلباتهِ حتى بالدعاوي المقطوع الأمل منها. وينعش في القلوب القانطة والحزينة الثقة بهِ تعالى. وهذا المحامي القدير الحليم هو مريم العذراء لأنّها امّ الله القادر على كلّ شيء. وهي تبادر باحساناتها إلينا ببشاشة وحلم لا يوصفان. أي نعم انّ مريم منذ اختارها الله امّاً لابنهِ الإلهيّ الوحيد وجعلها امّاً لنا. وضع في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قلبها الشعائر الوالديّة التي تحملها على المحبّة والعفو دائماً. ولهذا فقد علّمنا يسوع المسيح بواسطة مثالهِ أن نحبّها ونكرّمها إذ انّهُ خضع لها إراديّاً كخضوع الابن لوالدتهِ. وترك إلى عهدتها وعنايتها الوالديّة عندما كان معلّقاً على الصليب الجنس البشري بأسرهِ وذلك بشخص يوحنا الحبيب. وهي أيضاً أعطت ذاتها لنا عندما قبلت بشجاعة بطليّة الميراث الذي تركهُ لها ابنها. وبدأَت منذ حينئذٍ تكمّل وظيفة الرحمة الوالديّة نحو جميع البشر. فهذهِ وظيفة الرحمة التي أعطاها الله لمريم وثبّتها يسوع المسيح بوصيّتهِ الأخيرة. قد عرفها منذ قديم الأزمان الرسل والمسيحيّون الأوّلون. وقد عرفها أيضاً آباء الكنيسة وجميع الشعوب المسيحيّة وعلّموها باتّفاق واحد في جميع الاعصار. فان كانت الآثار جميعها والشواهد المكتوبة كلّها لا تعطينا دليلاً عن هذا الموضوع. فانّ شعائر قلب كل إنسان مسيحيّ تدلّهُ عليها فيعترف علانيةً بوظيفة مريم هذهِ المقدّسة. لأنّ الايمان المقدَّس هو الذي يوطّد ثقتنا ويحملنا على الافتتان بها بانجذاب لا يقاوَم. ويجعل أن تكون جلّ مسرّة خاطرنا وتعزية قلوبنا في وضع ذواتنا تحت حمايتها وتدبيرها. مفوّضين إليها أفكارنا وأعمالنا المبرورة وأَحزاننا وأفراحنا وصلواتنا وأشواقنا وكلّما يلوذ بنا. وبالايمان نرجو ونثق بانّ عطايانا وان كانت في ذاتها كلا شيء. الاّ أنّها تحوز بالرضى وحسن القبول في عينيهِ تعالى عندما نقدّمها بواسطة مريم العذراء* فهذهِ الحقائق الراهنة والمفرّحة بقدر ما تتعزّى بها النفس. بقدر ذلك تحملها على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الاستشعار بالحنوّ والشفقة على الذين يجهلون اسم مريم أو لا يعرفونها كامّهم. بل ممّا يحزنها بالأكثر هو رؤيتها بعض المذمومي السيرة الذين مع كونهم مسيحيّين يتجاسرون ويلومون الصالحين زاعمين بانّ محبّتهم لمريم هي مفرطة وعبادتهم لها متجاوزة الحدود. فيسبّبون هكذا أضراراً للعبادة البنويّة الواجبة على كلّ من المسيحيّين لهذهِ الأمّ الجليلة. أمّا نحن فلا ننصت لمثل هذهِ التخيّلات بل اقتداءً بآبائنا وأجدادنا الأوّلين لنلتجئ إلى مريم سيّدتنا المكرّمة امّ يسوع وأمّنا. ولنستغث بها دائماً وبقلب واحد نتضرّع إليها قائلين: اظهري انّكِ امّنا واجعلي أن يقبل صلواتنا من أراد أن يصير ابناً لكِ بولادتهِ منكِ لأجلنا*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار فيلبّس بانيتي من رهبنة عبيد مريم العذراء

انّ فيلبّس وُلد في مدينة فلورنسا من عائلة بانيتي الشريفة. وما حدث لهُ في صغرهِ من الأمور الغريبة العجيبة كان دليلاً واضحاً بانّ الله قد دعاهُ إلى قداسة كبرى. منها انّهُ إذ بلغ من العمر خمسة أشهر فقط أخذ يتكلّم باعجوبة مع امّهِ ويحثّها على التصدّق على رهبان عبيد مريم (وهم رهبان قد خصّصوا ذواتهم لتكريم أحزان مريم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البتول) ولمّا كان يدرس العلوم في مدرسة باريس الكلّيّة أخذ يتفرّغ إلى العبادة الحارّة. وحمل كثيرين من رفاقهِ للتشوّق إلى خيرات السماء. وبعد رجوعهِ إلى وطنهِ رأى رؤية عجيبة وهي انّ مريم البتول ظهرت لهُ وحثّتهُ على الدخول في الرهبنة المسمّاة برهبنة عبيد مريم التي كانت قد نشأَت حديثاً. فانفرد فيلبّس حيناً ايجاباً لأمر ملكة السماء في مغارة بجيل سنعار وهناك انعكف على تعذيب جسده بالتقشّفات الصارمة والتأَمّل المتواصل بآلام المخلّص. ثمّ خرج من خلوتهِ وطاف أغلب بلاد أوروبا وبعض نواحي اسيّا وهو يكرز ويشيّد في كل الأطراف أديرة على اسم السيّدة أم الأحزان حتى اتّسعت رهبنة عبيد مريم اتّساعاً بسبب فضائلهِ الساميةﷺ واختارهُ الرهبان أن يكون رئيساً عامّاً للرهبنة. فرفض أوّلاً الرئاسة ولكنّهُ قبلها أخيراً اغتصاباً وكرهاً منهُ. ولحرارة محبّتهِ لله ووفور شوقهِ إلى انتشار الايمان في كل قطر ومكان أرسل بعض رهبانهِ ليكرزوا بالإنجيل بين الشعوب البربريّة. وأمّا هو فأَخذ يطوف في مدن ايطاليا ليمنع الاختلافات والانقسامات التي نشأَت حينئذٍ بين المسيحيّين. ويحثّ العصاة على الطاعة والخضوع للحبر الرومانيّ. باذلاً كلّ الوسائط لخلاص الأنفس وحمل الخطاة المنغمسين في حماة الرذيلة على التوبة ومحبّة الله. ولم يكن يملّ أصلاً من الصلوة والتأَمّل. وفي أثناء ذلك كثيراً ما كان يغيب عن حواسّهِ. وهكذا بقي ممارساً أفعال التوبة حتى آخر نسمة من حياتهِﷺ وكان حليماً شفوقاً على الفقراء. وإِذ طلب منهُ يوماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فقير أبرص ثوباً ليتردّى بهِ. نزع فيلبّس ثوباً من ثيابهِ وأعطاهُ إيّاهُ. فحالما لبسهُ الفقير شُفي من مرضهِ. فذاع خبر هذهِ الأعجوبة في كلّ ناحية. وفي ذلك الزمان اجتمع عدد كبير من الكرادلة في مدينة فيتربا لينتخبوا خليفة للبابا اكليمنضوس الرابع. فحوّلوا انظارهم إلى فيلبّس لعلمهم بقداسة سيرتهِ وفطنتهِ الفريدة. غير أنّهُ حالما بلغهُ هذا الخبر هرب واختفى في خلوة بعيدة ليتملّص من ثقل درجة البابويّة السامية. ولم يترك خلوتهُ حتى عرف تماماً بانتخاب غريغوريوس العاشر وجلوسهِ على كرسيّ روميّة. ونال بصلواتهِ موهبة الشفاء للمرضى الذين يستحمّون بالحمّامات التي كان مختفياً بالقرب منها. وهي إلى اليوم هذا تُدعى بحمّامات القدّيس* وبعد أن قاسى فيلبّس أتعاباً ومشقّات كثيرة في خدمة الله والنفوس سلّم روحهُ بيد خالقها في ٢٢ من شهر آب سنة ١٢٨٥ وهو يقبّل الصليب الذي كان يسمّيهِ كتابهُ العزيز* وجرت على قبرهِ كرامات كثيرة باهرة. وقد ثبّتهُ ونظمهُ في سلك القدّيسين البابا اكليمنضوس العاشر*

* اليوم الرابع والعشرون *

القدّيس برثلماوس الرسول

قد تأَسّف مار يوحنّا فم الذهب بكلّ صواب لأَن لم يصل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلينا من خبر هذا الرسول المعظّم الاّ شيء نزر جدّاً لا يفي بالمرام. وسبب ذلك هو انّ القصص والسِيَر التي بيدنا اليوم لا تخلو من حكايات فاسدة قد داخلتها. فيُرتاب في صحّتها من وجوهٍ غير يسيرة ويعسر تمييز فاسدها من صحيحها*

امّا ما لا ريب فيهِ فهو انّ القديس متّى الإنجيلي في تعداد الرسل يجعل برثلماوس سابعاً. وقد ذكر ميتفرستس المؤرّخ نقلاً عن بعض القدماء انّ برثلماوس كان من الجليل. وكان صيّاداً مثل باقي الرسل. ولا نعلم حال دعوتهِ إلى اتّباع السيّد المسيح وما يتعلّق بذلك. وجلّ ما ورد إلينا من الصحيح المؤكّد في شأن اقتسام الرسل البلدان والأقاليم للإنذار بالإنجيل انّ مار برثلماوس الرسول وقعت في حصّتهِ بلاد لوقاونية وهي قسم من بلاد قفادوقيّة. وأَنذر الرسول المغبوط فيها وتبعهُ جمّ غفير. ثمّ ذهب من هناك إلى بلاد الهند بإنجيل مار متى. ثمّ كرز في أرمنيّة الكبرى وهناك ختم حياتهُ باكليل الاستشهاد. أمّا كيفيّة استشهادهِ فقد أجمع القديس امبروسيوس الملفان والآثار القديمة والتقليد البيعيّ على أنّهُ سُلخ جلدهُ. وهذا هو المعوَّل عليهِ اليوم عند النصارى كافةً*

وقد اتّصل بنا كتاب قديم منسوب إلى عبديَّا البابليّ فيهِ شرح مسهب في وصف استشهاد برثلماوس وذكر ما يتعلّق بذلك بالتفصيل ممّا يؤثر الإنسان معرفتهُ وخلاصتهُ*

كان في إحدى المدن العظام بارمنيّة هيكل فيهِ تمثال للوثن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عستروث وأهل تلك المدينة يكرّمونهُ جدّاً ويعبدونهُ ويستغيثونهُ في ما يعرض لهم. وفي الغالب إذا سُئل عن حوادث المستقبل كان يجيبهم بأَجوبة مبهمة مشكلة. وذلك ليتفلّت من عاقبة الذمّ ونسب الكذب أو المكر إليهِ* ودخل يوماً مار برثلماوس الرسول في الهيكل. فصار الشيطان صاحب ذلك الوثن لا يقدر على شفاء أحد. فتوجّه الكهنة الوثنيّون إلى بريث الإله (وهو عضيد عستروث) وجعلوا يسأَلونهُ عن سبب ذلك. فأَشار إلى برثلماوس الرسول الذي قدم منذراً في تلك البلاد بديانة الإله الحقّ وحدهُ. وعرَّفهم انّهُ هو سبب ذلك. ووصف لهم هيئتهُ وزيّ لباسهِ. وقال عنهُ أنّهُ يصلّي مائة ركعة في كل صباح ومائة ركعة في كلّ مساء. وانّ لهُ صوتاً صافياً مثل صوت الفضّة كانّهُ البوق. وانّ الملائكة تحتاطهُ في كلّ حين. وانّ البشاشة تلوح على وجههِ دائماً ولا شيء يخفاهُ ولو حدث في غيابهِ. ثمّ قال: انّهُ في هذهِ الساعة عينها لا يجهل ما قلتهُ انا لكم. فان شاء لا يمكّنكم من القبض عليهِ*

فجدّ أولئك الكهنة في طلبهِ. وصرفوا في ذلك مدّة ثلاثة أيّام فلم يجدوهُ. ثم حدث انّ برثلماوس طرد الشيطان من جسم واحد فشاع خبر ذلك في المدينة كلّها وبلغ إلى مسامع الملك بولومون. وهذا كان لهُ جارية قد تداخلها الشيطان وقد عجز الأوثان نفسهم عن علاجها. فأرسل استدعى برثلماوس الرسول وطلب إليهِ أن يشفيها. فشفاها في الحال. وخلع الملك عليهِ خلعة سنيّة ثمينة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلم يقبلها برثلماوس بل ردّها عليهِ. وفي الغد ظهر القدّيس لهُ ليلاً وهو في مخدعهِ وقد أُغلقت الأبواب ففهّمهُ انّهُ قدم إلى تلك البلاد ليجذب الناس إلى عبادة الله الحقّ. وأَرشدهُ في مبادئ الديانة وشرح لهُ انّ يسوع المسيح نزل من السماء لإِبادة الخطيّة وخلاص العالم. وانهُ مات من جرّاء ذلك مصلوباً على الصليب*

ثمّ بعد ذلك أراد أن يؤيّد ذلك بأكثر تأييد. فاستدعى الملك وجماعة عبّاد الأوثان والكهنة إلى هيكل الأصنام. ولمّا اجتمعوا كلّهم أمر الشيطان بأن يقرّر هو بلسانهِ الحيل التي يفعلها كي يخدع الناس ويمكر بهم. فاضطرّ أن يقرّ هو عن نفسهِ بأنّهُ ليس باله ولكن هو خليقة قد سجنها الله في الجحيم. وانّ الإله الواحد الحقّ هو إله النصارى وابنهُ يسوع المسيح. وهو الذي مات من أجل خلاص البشر. فانذهل الحاضرون من هذا اقرارهِ. واضمروا جميعاً على رفض عبادة الأوثان والتمسك بديانة المسيح. ثمّ انّهُ أراد أن يضرب عبادة الأوثان ضربةً قتّالة. فأَحدر تلك الأصنام من على نصباتها وسحبها في الأرض فتسحّقت. ثمَّ أمر الشيطان بأن يبارح ذلك المكان ويخرج منهُ. فخرج بصورة حبشيّ فازدادوا عجباً واندهاشاً. ثمَّ أمرهُ ثانيةً أن يولّي إلى القفر. فولَّى. واعتمذ بعد ذلك الملك مع من يلوذ بهِ. واعتمذت معهُ اثنتا عشرة مدينة. فزارهم الرسول مار برثلماوس جميعاً لكي يثبّتهم ويؤيّدهم في الايمان. وفعل في تلك الأثناء عجائب ومعجزات كثيرة من ابراء الأسقام المتنوّعة واخراج الشياطين من الناس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان يزداد يوماً فيوماً عدد الذين يتتلمذون لهُ*

فلمّا رأى الشيطان كلّ هذهِ الأمور عزم على الانتقام منهُ. فحمّل الكهنة الوثنيّين على إجراء ذلك. فقصدوا الملك لستواجس أخا بولومون الذي كان يملك على البلاد المجاورة. وكان وثنيّاً. فاستحضر عندهُ مار برثلماوس وأخذ يحاكمهُ. وفي وقت المحاكمة وقع صنم أحد الآلهة من الهيكل الأعظم في تلك المدينة وتكسّر إلى أجزاء ناعمة دقيقة. فاحتدّ استواجس غضباً ودفع القدّيس إلى جندهِ فجلدوهُ وسلخوا جلدهُ وهو حيّ. ثمّ قُطع رأسهُ. فلمّا بلغ خبر استشهادهِ إلى بولومون الملك وسائر النصارى. جاءُوا وأخذوا جثّتهُ وقبروها باكرام واحتفال* وبعد مدّة يسيرة أنزل الله القصاص براس استواجس والكهنة الوثنيّين. واستأصل شافتهم طرّاً. وبذلك هجر كثيرون عبادة الأوثان وانحازوا إلى الديانة النصرانيّة. وصار النصارى يتقاطرون مزدحمين إلى ذلك البلد لاكرام جسد برثلماوس المقبور هناك. فاختلسهُ أعداء الديانة في الليل وألقوهُ في البحر. وكان موضوعاً في صندوق من رصاص. فحفظهُ الله ربّ الماء واليبس. واحدرهُ إلى ساحل جزيرة ليبري بقرب صقيليّة وأوحى للنصارى الذين هناك أن يأخذوهُ من على الساحل إلى الكنيسة باحتفال ويقبروهُ فيها. وبعد ذلك شيّدوا لهُ كنيسة. ثمَّ نُقل بعد مدّة إلى مدينة بوناونتو في بلاد نابلي. وفي سنة ٩٨٣ للمسيح نُقل إلى روميّة وما زال المسيحيّون في كل زمان إلى يومنا هذا يتقاطرون إلى زيارتهِ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس والعشرون *

مار لويس التاسع ملك فرنسا

انّ مار لويس التاسع ملك فرنسا مات أبوهُ ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة. فتولّت أمر تربيتهِ أمّهُ بلنكة أو بلنشة ابنة الفنسس التاسع ملك كستيليّة. وكانت فاضلة تقيّة خائفة من الله. فلقّنت ولدها لويس حبّ الفضائل والأعمال الصالحة. ودرّبتهُ في تقوى الله. وإذ لم تكن هي كافية للقيام بتربيتهِ. اختارت لهُ أشخاصاً ذوي حكمة كاملة ليتولّوا تثقيفهُ. وأضحت حسن أخلاقهِ ولطافة شيمهِ تسهّل لهُ الاقتداء بوصايا مهذّبيهِ* وكان لهُ ميل شديد نحو رهبان مار عبد الأحد ورهبان مار فرنسيس الذين ظهروا في ذلك العصر. وممّا جعلهُ أن يبتعد بُعداً عن الخطيّة الكلمات التي كانت أمّهُ قد طبعتها في عقلهِ وقلبهِ منذ صغرهِ إذ كانت تقول لهُ: يا بنيَّ أنت عزيز عليَّ ولكن لأَن أراك تعدم تاج المملكة والحيوة أحبّ إليّ من أن أراك ترتكب خطيّة واحدة مميتة* ولمّا بلغ السنة التاسعة عشرة من العمر تزوّج بمرغريثا ابنة أمير من العظماء ورُزق منها أربعة أولاد. فربّاهم في خوف الله*

وامتلك هذا القدّيس الفضائل بأجمعها في أعلى درجة. فكان طائعاً لأمّهِ. قشفاً في عيشتهِ. يكثر من لبس السمح على لحمهِ. محبّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

للصوم. متواضعاً. شفوقاً على الفقراء. يغسل أرجلهم في كل سبت ويقوم في خدمتهم على الطعام. وكان لا يتصنّع في ثيابهِ وفي الزينة والتعظّم الظاهر. ويكثر من الصلوة والاعتكاف*

وممّا اختصّ بهِ حبّهُ وإكرامهُ لذخائر القدّيسين ولا سيّما آلات صلب المسيح وآلامهِ. ولذلك أقام في مدينة باريس مصلّى وضع فيهِ أشياء من ذلك. وكان يعيّد في كل سنة ثلاث دفعات عيداً عظيماً لاكرامها. وكان أيضاً ذا عبادة حارّة متّقدة للقربان المقدّس وذا غيرة وشهامة على الديانة الكاثُليكيّة. وحامى عن الايمان من الهراطقة. واستأصل من مملكتهِ هرطقة الألبجيّين. وهمّ كثيراً في إزالة الكفر والتجديف. وجزم على كلّ من يجدّف أن يوسَم بحديد محميّ بالنار. وقاوم الشرّ والأشرار. وتصدّى لمهمّات الملك بما يجب من الفطنة وعلم السياسة بموجب شريعة العدل والانصاف. ولم يهمل مع ذلك أمور الفقراء ومصالحهم بل كان طويل الأناة معهم. ذا بأس خبيراً بأمور الحرب شجاعاً بطلاً* فحدث أنّهُ وقع في مرض عضال وبقي نحو ساعة كالمائت. فلمّا رجع قليلاً إلى ذاتهِ طلب صليباً كرسم المحاربين الصليبيّين ليباشر الجهاد الصليبيّ في فكّ الأراضي المقدّسة. فلمّا تناول الصليب قبّلهُ بشوق وانعطاف وقال بانهُ قد تعافى. وكان الأمر صحيحاً فانّهُ بعد قليل جعل يستعدّ لانجاز نذرهِ بمباشرة الجهاد الصليبيّ. وتبعهُ كثيرٌ من أمراء دولتهِ وأشراف المملكة ووكيل البابا مع أساقفة كثيرين. وسارت بهم الريح فوصلوا إلى جزيرة قبرس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فأَرسل إليهِ حينئذٍ بعض سلاطين الشرق سفراءهم يحلفون لهُ المساعدة والمعاضدة في هذهِ الحروب. ثمَّ توجّهوا إلى مصر وانتهوا إلى قدام دمياط. وكانت دمياط من أحصن المدن التي في ديار مصر. فتمكّنوا من افتتاحها. فولّى العدوّ منهزماً مبلبلاً. ودخل القدّيس لويس إلى المدينة بجيشهِ. وفي تلك الأثناء أرسل الله مرضاً وبائيّاً باد بهِ أغلب العسكر. بحيث انّهُ من جملة اثنين وثلاثين ألف عسكريّ لم يبقَ سوى زهاء ستّة آلاف* وكان الملك بنفسهِ يدفن جثث العسكر المنتنة والمنبعث منها رائحة لا تقابَل. فاضطرّ لويس أن يردّ دمياط بيد صاحبها ويضرب عهد الهدنة مع العدوّ. ورجّع بقايا جيشهِ إلى فرنسا. امّا هو فلبث في سوريّة وبقي فيها مدّة خمس سنوات. وحجّ إلى الأراضي المقدّسة وزارها بعبادة وحرارة. وفي مدّة إقامتهِ في بلاد سوريّة جلب كثيرين إلى المذهب الكاثوليكيّ. وفكّ كثيرين من النصارى من رقّ العبوديّة. ثمّ انهُ حصّن المدن التي في تلك الديار وجهّزها للحرب. ولكنّهُ في تلك الأثناء وفد عليهِ خبر وفاة أمّهِ بلنشة. فالتزم أن يعود إلى فرنسا فسافر إليها. وعند وصولهِ خرجت الخاصّة والعامّة لاستقبالهِ وسرّوا بقدومهِ إليهم سالماً سروراً لا يوصف. فأَخذ القديس يشيّد عدّة بيمارستانات في بلاد فرنسا للمحتاجين والمقطوعين والمرضى. واختطّ أيضاً أديرة كثيرة* ولم تنقضِ مدّة طويلة من بعد غيابهِ عن بلاد الشرق الاّ وأَخذت تتوارد إليهِ الأخبار السيّئة عن بلاد سوريّة والأراضي المقدّسة. فأَهمّهُ ذلك كثيراً. وأَظهر قصدهُ انهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يريد الانطلاق ثانيةً لإنجاد المسيحيّين* ثمّ دبّر مصالح مملكتهِ ودعا الأمراء والاشراف الذين في ملكهِ أن يحذوا حذوهُ ويحملوا الصليب معهُ. فأَجابوا إلى دعوتهِ. فركب البحر سنة ١٢٧٠ وتوجّه إلى مدينة تونس في بلاد المغرب. فلمّا وصل إليها بجيشهِ وكادوا يفتحونها. عثا بهم الطاعون حتى أصاب القوَّاد والأشراف بل الملك نفسهُ وقع مضروباً بهِ بسماح الله. ففهم الملك ان قد دنت ساعتهُ. فلم يجزع ولم يقلق بل أذعن لحكم الإرادة الإلهية وشكر الربّ على إحساناتهِ مفوّضاً إليهِ أمر أمّتهِ وجيشهِ. ثمّ استدعى ابنهُ فيلبّس وقال لهُ: يا ابني أوصيك أن تحبّ الله من كلّ قلبك. وأن تكون مستعدّاً دائماً لتفضّل كل بليّة على أن تخطئ خطيّة مميتة. ثمّ طلب الأسرار فتناولها بخشوع حتّى بكى جميع الحاضرين. ولمّا دنت ساعة رحيلهِ من الدنيا. أمر أن يضجعوهُ على سرير مفروش بالرماد. فلمّا تمدّد عليهِ صلّب ذراعيهِ على صدرهِ وأَحدق إلى السماء وقال: يا رب سأَدخل بيتك وأَسجد لك في هيكل قدسك وامجّد اسمك. ثمّ اسلم روحهُ في ٢٥ من شهر آب من سنة ١٢٧٠. وحُملت جثّتهُ إلى صقيليّة ثمّ إلى فرنسا. وجرت بشفاعتهِ كرامات كثيرة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السادس والعشرون *

زافرينس البابا الشهيد

انّ البابا زافرينس كان في الأصل من مدينة روميّة ولم يصل إلينا شيء من أخبار سيرتهِ الاّ اليسير. فانّنا نعلم انّهُ تخلّف في الكرسيّ الرومانيّ بعد البابا مار بقتور الشهيد. وانّهُ ساس الكنيسة كلّها أحسن سياسة. وبذل على الخصوص همّتهُ ووسعهُ في استئصال زؤان الأضاليل والشرور منها. وردع الهراطقة والمبتدعين الذين كانوا يقاومونها*

ومن جملة أفعالهِ انّهُ حدّد أن تكون آنية القدس من زجاج. إذ كانت العادة قديماً أن تكون في الغالب من خشب. وهو الذي سنّ سنّة التناول الفصحيّ. وأمر بأن لا يُقتَرس أسقف الاّ ويكون قد رُفعت دعواهُ إلى البابا. وجرى عليها الحكم بسلطانهِ. ومن ذلك أيضاً انّهُ جزم على القسوس والشمامسة أن يحضروا وقتما يقدّس الأسقف. ورسم أيضاً أن تصير الاسياميذات أي الرسامات مشتهرة جهريّة لكي ينال المرتسمون من الحاضرين شهادةً على حسن السيرة واللياقة بالدرجة التي يرقّون إليها. وحدّد الاّ يرسَم أحد الاّ ويكون قد سار على الدوام سيرة خالصة من الشوائب وقد اقتنى ما يكفي من العلم وغير ذلك. وساس هذا الحبر الكنيسة مدّة نيّف وثماني عشرة سنة. ثمَّ نال اكليل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشهادة في ٢٦ آب سنة ٢٢١ في عهد الملك الكسندر ساوروس. وشُيّعت جثّتهُ باحتفال واكرام في مدينة روميّة*

* اليوم السابع والعشرون *

مار قيساريوس الشهيد

انّ قيساريوس وُلد في مدينة شالون في بلاد برغونيا ومنذ السنة السابعة من العمر شرع يتصدّق على الفقراء. وشوهد بعض الأحيان يخلع ثيابهُ ليغطّي بها عري المساكين. ثمّ حضر ذات يوم وهو صغير عند أسقف شالون وقال لهُ انّهُ عازم على أن يخصّص ذاتهُ لخدمة الله. وسأَلهُ أن يجعلهُ اكليريكيّاً. فتيقّن الأسقف انّ الله هو الذي حرّكهُ على ذلك. ولبّى دعوتهُ بكلّ رغبة. فلبث مدّة سنتين في خدمة تلك الكنيسة. ثمّ أراد أن ينفرد عن أهلهِ وأصحابهِ حبّاً بالله ورغبةً في اقتناء الكمال. فسار إلى دير ليرين بصحبة خادم وكان الدير المذكور ذائعاً صيتهُ والرئيس عليهِ إذ ذاك الانبا بوقريوس*

فقبلوهُ في الدير باكرام وسرور لِما شاهدوهُ فيهِ من خوف الله. وأَلبسوهُ اسكيم الرهبنة. وفي مدّة قليلة تناهى إلى أعلى درجة من الفضايل. وحاكى بسيرتهِ الرهبان الكاملين الشيوخ. ففوّض الرئيس إليهِ وكالة الدير فأَحسن القيام بواجباتها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ أراحهُ الرئيس من هذا الحمل الثقيل. فسرّ لذلك قيساريوس إذ رأى نفسهُ ناجياً من الاهتمام بما يقتضي للدير في أمر الأكل والشرب وما يشبه ذلك. وقد وفّر عليهِ الزمان للتصدّي إلى الروحانيّات وللتفرّغ للصلوة. فانعكف على العيشة القشفيّة وأَخذ يطبخ لهُ في يوم الأحد حشائش يلتقطها من البرّيّة ويحفظها مدى الأسبوع كلّهِ. وأكثر من تعذيب جسدهِ وقمعهِ. وبالغ في ذلك حتى انّهُ وقع في مرض المعدة. ثمَّ تقوّت عليهِ حمىً شديدة فارسلهُ الرئيس إلى مدينة ارلس ليبدّل الهواء في الدير. وبذل أهل ذلك الدير جلّ ما عندهم من الهمّة والجهد في مداراتهِ وفي اعزازهِ واكرامهِ. ثمَّ أمرهُ الرئيس بأن يرتسم قسّيساً فارتضى انقياداً لأمر الطاعة وأخذ يزداد قداسة وفضيلة. وكان هو الأوّل في الحضور إلى الكنيسة والآخر في الخروج منها* فلمّا مات رئيس الدير لحّ الأسقف عليهِ بأن يصير رئيساً. فرضي بذلك من قبيل الطاعة مجرّداً. وساس الدير بمزيد الفطنة والتقوى. وكانت مدّة رئاستهِ ثلاث سنين*

ثمّ أشرف أسقف أرلس على الموت. فأوصى قسوسهُ وجماعتهُ بأن يتّخذوا لهم قيساريوس أسقفاً. فلمّا بلغهُ ذلك حبس نفسهُ في أحد قبور الأموات ولم يحسّ بهِ أحد. فتعذّر وجدانهُ إلى أن شعر بخبرهِ بعض الناس فاستخرجوهُ من القبر على رغمهِ وحيّوهُ أسقفاً وهم مسرورون راضون بهِ قاطبةً. وأوّل ما تولّى الأسقفيّة بذل معظم وسعهِ في الأمور الروحانيّة وخاصّة في الوعظ. وتجنّب معاطاة الأمور

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الدنيويّة. فاقبل يعظ جماعتهُ ويحرّضهم على اقتناء الفضائل ويبعدهم من الرذائل والشرور. وشدّد الأمر عليهم واستأصل منهم عوائد رديّة شتّى. من ذلك أنّهم كانوا يخرجون حالاً من البيعة بعد قراءة الإنجيل هرباً من استماع الوعظ. فشرع يغلق الأبواب ويحصرهم إلى انقضاء الصلوة والقدّاس. ورجع كثيرٌ من الخطاة والضالّين إلى التوبة عن يدهِ. واعتنى على الخصوص بأمر المرضى وبنى لهم بيمارستاناً ووفّر عليهِ النفقات وسائر ما يحتاج إليهِ المرضى*

وافتقدهُ الله بشدّة ليمتحن بها فضيلتهُ. وذلك انّهُ حضر أحد المزوّرين عند الاريكوس ملك الغوثيّين وكان على مذهب اريوس وسعى بهِ لديهِ مدّعياً انّهُ تواطأ سرّاً مع البرغونيّين أعدائهِ حين كانوا يحاصرون المدينة على أن يسلّمهم. فغضب الملك عليهِ ونفاهُ إلى مدينة بُردو*

وحدث في مدينة بردو حريق في ذلك العهد وأوشكت المدينة المذكورة بأسرها أن تفنى. فجاء أهلها إليهِ وطلبوا منهُ بدموع حارّة أن يطفئ لهبات النار المستعرة المتصاعدة. فتحرّك لدموعهم وصلّى فخمدت النار في الحال وانطفأَت اللّهبات أصلاً. وحسن ذلك بعيني الاريكوس الملك فايقن انّ ما قيل في حقّهِ هو زور محض وبهتان مجرّد. وزادت بذلك حرمتهُ لهُ فاستردّهُ إلى ارلس وأكثر من إكرامهِ. وطلع أهل المدينة كلهم بسرج ومصابيح موقَدَة للقائهِ. وأَيّد الله قداستهُ لديهم بأمطار غزيرة أرسلها في ذلك اليوم بعد قحط

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وجدب شديد طويل* ثمّ ابتنى ديراً للراهبات بقرب الكنيسة وأقام عليهِ رئيسة راهبة استجلبها من دير في مرسيليا. وانضمّ إليها جملة من العذارى الشريفات. وهذا الصنيع الخيريّ جلب على رأسهِ بلاء عظيماً اضطرّ من أجلهِ أن يترك رعيّتهُ ويسافر إلى بلاد ايطاليا إلى الملك ثاودوريك ليبرّئ نفسهُ. فأوّل ما رآهُ الملك المذكور. هالهُ منظرهُ وشرع يرتجف ويرتعد لشدّة ما تداخلهُ من الخوف. وكان يخالهُ ملاكاً مرسلاً من السماء فاكرمهُ وأعزّهُ وأعطاهُ إناء من فضّة. فباعهُ القدّيس وصرف ثمنهُ في عتق عدّةٍ من العبيد. فطاب بذلك خاطر الملك عندما سمع ذلك. وجمع أيضاً من الأغنياء مالاً كثيراً فانفقهُ في فكّ العبيد من قيود العبوديّة. وباع لذلك أيضاً آنية القدس من الفضّة والذهب وافتدى عدداً من العبيد من أهل بلدتهِ ومن أهل البلاد البعيدة أيضاً* ثمّ رحل من عند الملك إلى روميّة وحظي بحسن القبول لدى البابا سمكّوس. ثمّ رجع إلى مرعيثهِ وفرحوا بقدومهِ قاطبة. وصنع الله على يدهِ شيئاً كثيراً من الآيات كقيامة الموتى واخراج الشياطين وإبراء الأسقام. وبعد عمر طويل قضاهُ بالقداسة والأتعاب وعمل الخير انتقل إلى خالقهِ ولا يُعرَف اليوم ولا السنة اللذين مات فيهما*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثامن والعشرون *

مار اوغسطينس اسقف هبّوبة وملفان الكنيسة

انّ اوغسطينس وُلد من أبوين شريفين في تاغَسْت من افريقيّة في ١٣ تشرين الأوّل من سنة ٣٥٥. وكان أبوهُ وثنيّاً وأمّهُ مسيحيّة. وأوّل ما شبّ أُرسل إلى المدرسة ليحصّل فيها من المعارف ما يكسبهُ شهرة وصيتاً في أعين الناس. وكان فهيماً نبيهاً ذا قريحة جوّادة وذهن حاذق. فتعلّم اللّغتين اليونانية واللاتينيّة وأجاد في اللاتينيّة حتى أضحى فيها معلّماً فاضلاً بفنّ البلاغة. وزّين عقلهُ أيضاً ببقيّة العلوم كلّها. وفي شبوبيّتهِ عندما كان في مدينة قرطاجنة قبل ان يتعمّذ بكثير اعتنق هرطقة المانويين وانهمك في ملذّات الجسد الدنسة. وذهب من قرطاجنة إلى روميّة ليعلّم هناك علم البيان*

واشتدّت شهرتهُ في المدينة كلّها وتقاطرت الناس أفواجاً إلى استماعهِ. وورد في تلك الأيام كتاب من حاكم مديولان يتضمّن طلبة معلّم ماهر حاذق في فنّ البيان ليدرّس في مديولان. فأُرسل اوغسطينس وقصدت العناية الربّانيّة بذلك أن تجذبهُ إلى الرعوى بواسطة مار امبروسيوس أسقف تلك المدينة الشهير. فمال اوغسطينس إليهِ لما كان يرى فيهِ من الفصاحة ولطف الشمائل. وأخذ يصبو إلى استماع مواعظهِ واندهش منشغفاً بها. الاّ ان اندهاشهُ كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مقصوراً على ظاهر كلامهِ وزخرفتهِ لا على ما يتضمّنهُ من المعاني السامية والحقائق السنيّة الجليلة. ومع ذلك فتهيّأ قلبهُ قليلاً قليلاً إلى الانتفاع من مواعظهِ لخلاص نفسهِ. وأسرعت أمّهُ مونكا القدّيسة إلى مديولان. وتوسّلت إلى مار امبروسيوس ان يوجّه همّتهُ إلى استجلابهِ إلى طريق خوف الله. ففعل ذلك معهُ. وجرت لاوغسطينس الفة مع رجل اسمه سميليقان. هذا تمكّن من التسلّط على قلبهِ واختبرهُ حقّ الاختبار. ولمّا كان قد رأى فيهِ من حسن الاستعداد حكاهُ ذات يوم قصّة توبة بعض الخطاة في شيخوختهم نفسها. فنفذ هذا المثل إلى لبّهِ فهام إلى اتّباعهِ. وزاد هيامهُ لسماعهِ أخباراً أخرى تشبه هذا الخبر. وإذ سمع يوماً قراءَة سيرة مار انطونيوس الكبير. لم يتمالك من أن يصرخ ويقول: انّ الجهلة في جهلهم ينهضون ويختطفون ملكوت السماء ونحن مع المعارف والعلوم نتقاعس ونلبث منغمسين في بحر الشرور* ومع هذا فلم يتخلّص بعد بالتمام من حبالات الشيطان الاّ بقوّة نعمة الله. فاحسّ على تهاونهِ. فجعل يخاطب نفسهُ قائلاً حتّى مَ حتّى مَ. أَإِلىَ الغد. ولكن لِمَ لا هذهِ الساعة. فسمع صوتاً يقول لهُ: خذْ واقرأ. فأخذ الكتاب المقدّس وقرأ نصّاً من رسالة مار بولس إلى أهل روميّة. لنسعَ كما في النهار بشكل الخير. لا بالملاهي والسكر. ولا بالمضاجع والعهر. ولا بالخصام والحسد بل ألبسوا الربّ يسوع المسيح ولا تهتمّوا بأجسادكم للشهوات (روميّة ١٣: ١٣ و١٤) فاستنار عقلهُ وتقوّى عزمهُ. فطلب العماذ وتعمّذ من يد مار امبروسيوس في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سبت البشارة من سنة ٣٨٨ ولهُ من العمر يومئذٍ ٣٤ سنة. وقيل انّ هذين الملفانَين العظيمَين في تلك الأثناء انشدا بالتناوب ذلك النشيد الشهير وهو: ايّاك اللهمّ نمدح الخ*

وأقرّ مار اوغسطينس بانّ الدموع الغير المنقطعة التي سكبتها امّهُ القدّيسة مونكا أمام الله هي التي استحقّت لهُ الميلاد الروحيّ والدخول في حضن الكنيسة المقدّسة* وقال أيضاً: انّهُ بينما كانت هذهِ الأمّ الصالحة تبكي ذات يوم بمرارة في إحدى الكنائس. قال لها أسقف تلك الكنيسة: يا امرأة اذهبي بسلام. فلا يمكن أن يهلك الولد الذي أذرفتِ من أجلهِ هذهِ الدموع الغزيرة. ثمّ خرج من مديولان وقصد افريقيّة وصحبتهُ أمّهُ فاجتاز برومية. ولمّا بلغ أَسْتيا توفّيت أمّهُ. ثمّ لمّا بلغ افريقيّة اختلى في بلدتهِ وانفرد للصوم والصلوة والزهد. وبقي على ذلك مدّة ثلث سنين إلى أن استدعاهُ إلى مدينة هبّونه بعض أشرافها. ولمّا صار في هبّونه ولاح في أعين الخاصّة والعامّة فضلهُ وحسن سيرتهِ. اعتقد فيهِ والريوس أسقف المدينة استحقاق الوظيفة الكهنوتيّة. فرسمهُ قسّاً على بيعة هبّونه. فابتنى لهُ ديراً وانضمّت إليهِ جماعة من الراغبين في الزهد واقتناء الكمال المسيحي. وقضى أربع سنوات في هذهِ السيرة وهو يعظ في كنيسة هبّونه. وكثيراً ما حرّك الجماعة إلى البكاء والنحيب. ثمّ انّ والريوس اتّخذهُ في شيخوختهِ مساعداً ومعاوناً لهُ في الأسقفيّة وعيّنهُ خليفة لهُ بعد الممات. وكان عمرهُ إذ سيم أسقفاً إحدى وأربعين سنة وذلك سنة ٣٩٥ للمسيح* ولأنّهُ لم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يشأ أن يهجر السيرة النسكيّة أقام لهُ ديراً في قرب دار الأسقفيّة واجتمع إليهِ جماعة الاقليرس واتّخذوا سيرة الرسل قدوةً لهم. وتصدّى لمهمّات الأسقفيّة بهمّة ونشاط. ولم يألُ في تحصيل خير رعيّتهِ تعباً ولا نصباً. فطفق بفطنة عجيبة وحرارة غزيرة ورفقٍ عظيم يستأصل العوائد الرديّة التي كانت في تلك الأسقفيّة باذلاً الغيرة والشهامة على بيت الله وما يتعلّق بهِ. وهمّ كثيراً في زيارة الفقراء والمرضى والأيتام والأرامل وعزَّاهم وسلاّهم وسدَّ عوزهم* وأمّا معظم جهدهِ فبذلهُ في مقاومة الهراطقة ودحضهم. من ذلك انّهُ قبل أن يصير قسّيساً أفحم فرطونانس المانويّ. ويوماً آخر بحضور جمهور عظيم اضطرّ فيلكس المانويّ العنيد أن يذعن لبيّناتهِ ويرفض جهراً الضلالة المانويّة. وكثيراً ما صارع مذهب المانويّين في خطبهِ وجلب جماعة صالحة منهم إلى حضن الكنيسة*

ومن جملة الهراطقة الذين قاومهم كان الدوناطيّون. فانّ هؤلاء ما برِحوا يعادون الكاثوليك معاداة شديدة ويضطهدونهم. ولكثرة محاربتهِ إيّاهم وتفنيدهِ لمذهبهم كسب عدداً غير يسير منهم إلى الكنيسة الكاثوليكيّة. فاشتدّوا غيظاً عليهِ. وطالما طلبوا قتلهُ. وكمنوا لهُ إذ كان ينطلق لزيارة البيع الكاثوليكيّة وأوشك ذات يوم أن يقع في حبائلهم* وممّا نفع منفعة كبيرة لردع الدوناطيّين هو مجلس عُقد في قرطاجنة. وفيهِ جرت مفاوضة بين الأساقفة الدوناطيّين والأساقفة الكاثوليكيّين. وكان المقدّم بين الكاثوليكيّين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مار اوغسطينس اسقف هبّونة. وبهمّتهِ على الخصوص جاء هذا المجلس بحميد العاقبة. إذ انّ الدوناطيّين سلّموا لبيّناتهِ فدخلوا حظيرة الكنيسة أفواجاً*

وأشهر غلباتهِ هي الغلبة التي حازها على بلاجيوس وتبّاعهِ الذين كانوا ينكرون الخطيّة الأصليّة ويزعمون أنّ الإنسان لا يحتاج إلى نعمة المسيح للخلاص. ففنّد مار اوغسطينس هذا المذهب وبيّن لهُ من النصوص الصريحة في الكتاب المقدّس ومن العماذ الذي يُعطى للأطفال انّنا نولَد ملوّثين بخطيّة آدم ابينا الأوّل. وبرهن من الصلوة التي أوضح لنا يسوع المسيح ضرورتها على انّنا محتاجون إلى نعمة تسبقنا وتعين إرادتنا في كلّ أعمالنا التي تختصّ بخلاص النفس. وصرف عشر سنين صحيحة في مقاومة المذهب البلاجي. وصنّف في ذلك كتباً جليلة نفيسة. اقتدى بها جميع الذين تعاطوا هذه المسأَلة في كلّ زمان وفي كل مكان. واتّخذ في هذا البحث اسم معلّم وملفان. حتّى انّ المجامع التي عُقدت في شان دحض هذهِ البدعة استدعتهُ ليكون هو محامي المعتقد الكاثوليكيّ. ولمّا تعذّر حضورهُ اتّخذ الآباء مصنّفاتهِ سنداً لتحديدهم* وفي الاجمال لم تكن براعتهُ مقصورة على هذهِ القضيّة فقط بل انّهُ فاق وبرع في كلّ أبواب اللاهوت حتى سُمّي معلّم الإلهيّات وملفان الكنيسة*

وكان مع ذلك متواضعاً دون الوصف. وقد بلغ بهِ التواضع إلى إشهار جميع ما ارتكبهُ في شبوبيّتهِ من الخطايا والقبائح في كتب كتبها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو. ومن جملة فضائلهِ انّهُ كان محبّاً للفقر ومتزهّداً في الدنيا. وكان يبيع ثيابهُ وينفق ثمنها على الفقراء. وباع أيضاً آنية الكنيسة لهذهِ الغاية* وممّا اتّصف بهِ بعد رعواهُ وتوبتهِ هو ميلهُ إلى الطهارة. فكان يطلبها ليلاً ونهاراً بدموع غزيرة حارّة. ولم ينظر إلى امرأة ولم يخاطبها قطّ بينها وبينهُ* وكانت محبّتهُ للعزّة الإلهية عظيمة جدّاً. ويدلّك عليها خاصّةً كتاب مناجياتهِ المشهور*

ثمّ انّهُ لمّا بلغ السنة الثانية والستّين من العمر. أي بعد أن ساس كنيسة هبّونة اثنتين وثلاثين سنة. تخلّى وانفرد ليتهيّأ للرحيل إلى الآخرة. وعاش في الخلوة مدّة أربع سنين. فحدث انّ الوندليّين أغاروا على هبّونة وعزموا على إبادتها. فصلّى ورغب إلى الله بأن ينشلهُ من هذهِ الحيوة لئلاّ يشاهد هلاك شعبهِ. فاستجاب الرب طلبتهُ وأَرسل لهُ مرضاً شديداً قادهُ إلى الموت. فأَحسن الاستعداد للموت وتزوّد بالزوّادة الأخيرة. وأَسلم روحهُ في ٢٨ آب من سنة ٤٣٣ للمسيح. وقُبر جسدهُ باحتفال في كنيسة مار اسطفانس التي شيّدها هو. ثمّ لمّا تغلّب الوندليّون على هبّونة نُقل إلى جزيرة سردينيّة ثمّ إلى مدينة باويّة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع والعشرون *

القدّيسة سابينة الشهيدة

كانت سابينة من مدينة روميّة شريفة الأصل كريمة النسب. وتزوّج بها والريانس أحد وجوه أهل رومية وأمرائها. ثمّ مات زوجها فانتهزت الفرصة في إحدى النساء المتديّنات الصالحات اسمها سرابية كانت نازلة في دارها. فحرّضتها بجدّ وجهد على أن تستنصر. ومكّنها الله من ذلك. فانعكفتا كلتاهما على ممارسة الفضائل المسيحية وحفظ وصايا الله. واتّقدت في قلب سابينة محبّة الله وحرارة الديانة. بحيث انّهُ إذ قُبض على سرابية بسبب الايمان المسيحيّ تبعتها سابينة إلى دار المحكمة. فلمّا رآها الوالي طفق يقول لها: انّني أتعجّب من غباوتكِ. فكأنّكِ قد نسيتِ أصلكِ وغاب عنكِ ذكر زوجكِ فاتّبعتِ هذهِ المرأة الحقيرة الرذيلة. انّها قد سحرتكِ كما سحرت غيرك. فقالت لهُ سابينة: اتمنّى لك أيّها الوالي أن تسمع أنت أقوال سرابية وتتمعّن في براهينها التي أنت تسمّيها سحراً. فكنت بلا شكّ تهجر عبادة الأوثان وتتمسّك بذلك الذي هو وحدهُ الإله الحيّ الحقّ الذي يجازي الصالحين بسعادة أبديّة ويعاقب الخطاة بعذاب لا نهاية لهُ. فاضرب الوالي عن تعذيب سابينة لا اذعاناً لقولها بل حرمةً لحسبها وتمليقاً لها. وامّا سرابية فحكم عليها بالقتل. فأخذت سابينة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جثّتها وقبرتها في مقبرة المسيحيّين باكرام ووقار* ثمّ بعد أيام قليلة سُعي بها لدى الحاكم البيديوس. فأَحضرها ووبّخها على نسيانها أصل أهلها وأجدادها ودخولها دين النصارى. فشرعت تردّ أقوالهُ وتقرّر بين يديهِ عن استمرارها الثابت على الديانة المسيحيّة. فغضب الحاكم وأمر فقطعوا رأسها وضبطوا أموالها. فأخذها المسيحيّون ودفنوها على سرابية. وكان استشهادها سنة ١٢٢ للمسيح في ٢٩ آب في عهد ادريانس الملك. ولها كنيسة فاخرة قديمة في روميّة وهي التي جعل فيها القدّيس مار عبد الأحد مأواهُ وديرهُ إذ كان برومیّة*

* اليوم الثلاثون *

القدّيسة وردة الليماويّة

وُلدت وردة في مدينة ليما قاعدة مملكة بيرؤ في نيسان من سنة ١٥٨٦. وظهر على رأسها بعد ميلادها بقليل شبه اكليل من ورد ولأجل ذلك سُمّيت وردة* ومنذ صغرها رأوها تصوم عن رضع الحليب أوقاتاً معلومة. واختصّت بتفرّسها في صورة المصلوب وما يتعلّق بآلام المسيح* فلمّا بلغت السنة الخامسة من العمر اتقنت القراءَة. فأَعطت نفسها لله ونذرت لهُ عفّتها وقصّت شعرها واتّخذت لها سيرة القدّيسة كاترينة نموذجاً تسير بموجبهِ. فبالغت في العيشة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القشفيّة. وكان طعامها الخبز والماء مجرّداً. وربّما عملت لها طعاماً من الحشائش البرّيّة* ولا زال ينمو غرامها بآلام المسيح. فكانت تشرب الخلّ والمرارة. وترقد في الليل على الصخر وتستند رأسها على وسادة من الأشواك. واتّخذت لها اكليلاً من الشوك ووضعتهُ على رأسها دائماً. وفي الليل كانت تذهب إلى بستان أبيها لتصلّي تذكرةً لآلام المسيح* ورغبت أيضاً في شغل اليد لكي تعين أهلها. وأخذت تشتغل بالنقش في الحرير وعمل باقات من الزهور. وكانت تصرف في الصلوة والتأمّل اثنتي عشرة ساعة في اليوم. وتشتغل بشغل اليد عشر ساعات. واقتصرت لنومها وراحتها على ساعتين فقط لا غير* وظهر لها الطفل يسوع وأمّهُ مريم العذراء مراراً ولأطفالها. وكذلك القدّيسة كاترينة شفيعتها وملاكها الحارس* وتجرَّأ الشيطان الحسود على مؤاذاتها ليشغلها عن عيشتها. فكان تارةً يلطمها على وجهها. وتارةً يرميها بالوحل والحجارة. وطوراً يلدغها كالهوامّ ويؤذيها ويتصارع معها. فتغلّبت عليهِ دائماً بصبر جزيل جميل*

وممّا امتازت بهِ وردة دون سائر الفضائل هو التواضع البليغ. فانّها كتمت أفعالها عن الناس هرباً من المجد الباطل. وكلّما رأت أحداً يمدحها أو جاءها فكر كبرياء ضربت رأسها باكليل الشوك الذي كان مكلَّلاً بهِ. واختصّت أيضاً بزيادة المحبّة الإلهية فيها. فانّها كانت تناجي يسوع دائماً وتتوسّل إليهِ أن يمنّ عليها بكمال الحبّ وتلتفت إلى الخلائق الغير الناطقة وتحرّكها على محبّة الخالق* وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقت شغلها نفسهِ ما برحت تتفاوض مع الطفل يسوع حبيبها* وعملت ليسوع يوماً لباساً روحيّاً وكتبت في ورقة: أنا أريد أن أهدي لباساً للمولود يسوع الطفل المسجود لهُ. من حيث أنّهُ فقير وعريان وهذا اللّباس هو أن أصلّي خمسين ليتنيّة وتسعمائة ورديّة وأصوم خمسة أيّام اكراماً للتجسّد الإلهي. وأزور المعابد عوضاً عن اللفائف والقمط تسعة أيّام اكراماً للتسعة الأشهر التي قضاها يسوع في حشا أمّهِ الطاهرة. وأصوم عوضاً عن الرداء خمسة أيّام. وأصلّي خمس ورديّات. وأزور الكنائس خمس زيارات. وأصوم خمسة أيّام اكراماً لختانتهِ المقدّسة. وأجلد نفسي ثلاثة آلاف وثلثمائة جلدة اكراماً للثلاث والثلاثين سنة التي عاشها يسوع على الأرض. وأضع في مهدهِ دموعي وتنهّداتي وأشواقي وقلبي وحياتي وحياة نفسي حتى لا أملك شيئاً أبداً. بحيث يكون كلّ ما لي لهُ. وأريد أن أقضي هذهِ العبادة كلّها في كل سنة* فهذا حبّها العظيم لله كان يجعلها أن تحتمل بصبر وتجلّد كل الشدائد والبلايا التي أصابتها*

ثمّ انّها في السنة العشرين من عمرها دخلت الرهبنة الثالثيّة لمار عبد الأحد. فبالغت في اماتة النفس وشرعت تجلد نفسها بسلسلة من حديد. وجلدت يوماً نفسها أكثر من خمسة آلاف جلدة. وكان لها قميص مشوّك كرؤوس الابر* ووضعت على حقويها سلسلة من حديد فدخلت في لحمها وصار فيها قروح. وكادت تموت من شدّة الوجع. وما عدا ذلك كان لها أمراض أليمة كثيرة تعذّبها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومن جملة فضائلها أنّها كانت شفوقة على الفقراء وتتصدّق عليهم بقدر مكنتها مع أنّها كانت هي أيضاً في حاجة. وكانت تزور المرضى الفقراء وتداريهم. وجرى لها في بعض الأيّام أنّها عندما كانت تغسل قروح إحدى الفتيات خرج من القروح رائحة كريهة جدّاً. فاشمأزَّت نفسها طبعاً. فونّبت ذاتها على ذلك ودنت من الفتاة وحست القيح حسوةً واحدة. ومنّ ربّنا عليها جزاءً لذلك بنعمة إبراء المرضى. وأجرى الله على يدها غير ذلك أيضاً من الكرامات بحيث أنها كانت تعرف ضمائر الناس وما في قلوبهم. وتنبّأت عن الغيب* ومرضت يوماً. فاجتمع عندها أقاربها وظنّوها مائتة لا محالة. فقالت لهم: انَّ أجَلي لم يأتِ بعد. لأنّ الله كان قد أوحى إليها بأنّها تموت في السنة الحادية والثلاثين من عمرها. فلمّا دخلت سنة ١٦١٦ علمت أنّها لا ترى مبادئ السنة وتموت يوم عيد مار برثلماوس. فأَخذت تزيد أعمال توبتها وخصوصاً في مدّة الصوم الكبير. فلمّا كان آخر يوم من شهر تموز عند نصف الليل صاحت بصوت عظيم مرعب هائل. فبادر إليها أهلها فرأوها قد بردت يداها كالحديد. وكان يخرج منها نَفَس يسير. فسألوها عن ذلك. فقالت لهم: قد سطا عليَّ الموت. ثمّ قالت انّي أحسّ بمثل كرة محميّة بالنار تنزّ على صدري. ومثل رمل ناري ينسكب من فوق راسي إلى رجليّ. وأشعر كأَنّ في جنبي حربة ناريّة تطعن قلبي. وفي رأسي كمثل قبع حارّ يدوس عليهِ. وعظامي تتناثر. ومخّي يسيل كالرماد. وكل مفصل من مفاصلي لهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وجع على حدة. وطال مرضها. وصبرت عليهِ صبراً عجيباً. ثمّ اعترفت اعترافاً عامّاً وتناولت الأسرار. وكشفت لامّها أنّ موتها قد دنا. والتفتت إلى الحاضرين وطلبت منهم المغفرة والصفح. ثمّ سألت والدتها البركة. وتوسّلت بأن يضعوا لها في الفراش خشبة لتموت كالمسيح وشمعة. وأسلمت روحها وهي تقول: يسوع يسوع كن معي. وذلك في ٢٤ آب. وكان عمرها إذ ذاك إحدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر. وتقاطر الناس من كلّ الجهاد لتجنيزها. وبقيت أربعة أيّام بلا دفنة لازدحام الخلق. وعُمل لها احتفال كاحتفال العيد لا كاحتفال الدفنة. وجرت على يدها في تلك الأيام كرامات كثيرة باهرة. ثمّ حُكم بقداستها سنة ١٦٧١ وعُيّن عيدها في اليوم الثلاثين من آب. وجُعلت شفيعة لبلاد أميركا*

* اليوم الحادي والثلاثون *

القدّيس ريمندس نُنَّانُس

انّ ريمندس وُلد في أرض كتالونيا في مبادئ القرن الثالث عشر وعُرف باسم نُنّانُس أي غير مولود. لأنَّهُ ماتت أمّهُ قبل أن تضعهُ. فأُخرج من أحشائها بيد الجرّاحين. واتّخذ ريمندس العذراء مريم امّاً لهُ وانشغف بمحبّتها. واحبّ الدرس والقراءة في صغرهِ. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انتشى أرسلهُ أبوهُ إلى البرّيّة. وكان هناك مصلّى على اسم مار نيقلاوس وفيهِ صورة لمريم البتول. فكان يقضي أكثر النهار قدّام صورتها. فنال نعماً جزيلة منها. ثمّ بإلهام العذراء قصد مدينة برشيونا ليترهّب هناك في رهبنة أُقيمت إذ ذاك باسم السيّدة أمّ الرحمة. وأخذ اسكيم الرهبنة من يد مار بطرس نولسكو مؤسّس الرهبنة. وفي مدّة يسيرة أجاد في السيرة الرهبانيّة فارتسم قسّيساً وبرع في الوعظ. ومع ذلك انفرد في الخلوة وأكثر من الصلوة واماتة النفس والعيشة القشفيّة* ثمّ سُيّر في ذلك الحين الطوباويّ سرابيون معلّم مار ريمندس إلى بلاد الأقوام المتوحّشين ليعالج أمر فكّ العبيد. فطلب إليهِ ريمندس أن يشاركهُ في هذا العمل. فصحبهُ وابان في هذا العمل عن نشاط وهمّة وتوقّد* ثمّ اقتضى لسرابيون أن يرجع إلى بلاد الانكليز. فأناط أمر الرسالة بريمندس. وبهمّتهِ تنصّر كثيرون من عبّاد الأوثان. ثمّ عاد غانماً إلى بلاد أوروبا فبعثهُ بطرس نولسكو إلى رومية بصفة وكيل عامّ. ثمّ سُيّر إلى بلاد اسبانيا. ثمّ أُرسل ثانيةً إلى بلاد المتوحّشين لقضاء أمر عتق العبيد. وبذل في ذلك جزيل همّتهِ وانفق لعتق العبيد الذين تمكّن من اعتاقهم جميع ما كان قد جمعهُ من الدراهم ولأنّهُ كان يبتغي أن يطلق جميع العبيد رهن نفسهُ بدل الآخرين الذين بقوا في العبوديّة إلى أن يتيسّر لهُ مقدار من الدراهم يكفي لذلك. واحتمل إذ ذاك في السجن إهانات وشدائد وضيقات كثيرة وهو صابر على ذلك بفرح وسرور* وعالج أيضاً في تلك الأثناء أمر دعوة الوثنيّين ودخولهم إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حضن الكنيسة الكاثوليكيّة. فربح منهم للكنيسة جماعة وافرة. وإذ سمع الملك بذلك احتدّ غضباً عليهِ. وضربهُ ضرباً موجعاً. ولكن لم يرتخِ القدّيس من إنذار الغير المؤمنين. فتضاعف غيظ الملك وساءَهُ ذلك جدّاً وحنق عليهِ فأمر أن تُثقَب شفتاهُ وتُقفَلان بقفل من حديد ويُجعل في القفل سلسلة يُقاد بها ويُسحَب كما تُسحَب البهائِم. فاحتمل القدّيس هذا كلّهُ بصبر جميل مذهل*

وذاع خبر ما كان يقاسيهِ لأجل الايمان القويم في البلدان حتى وقف عليهِ البابا غريغوريوس التاسع. فرأَى أن يدخلهُ في سلك الكرادلة فجعلهُ كردنالاً في سنة ١٢٣٧ للمسيح. وسُيّر الخبر بذلك إلى بلاد المتوحّشين وعُملت كلّ حيلة حتى استُنقذ من يد الملك وعاد إلى أسبانيا. ولم يغيّر شيئاً البتّة ممّا كان عليهِ من قشف المعيشة* واشتاق البابا غريغوريوس التاسع إلى رؤيتهِ لما بلغهُ عنهُ. فأمرهُ بالحضور إلى روميّة.فشرع ريمندس يتجهّز للسفر وذهب إلى مدينة كَردونة ليوادع أميرها الذي كان من أفضل المحسنين إليهِ. فلمّا حصل في دار الأمير اعترتهُ حمّى شديدة أشرف بها على الموت. فتزوّد بالأسرار وانتقل إلى ربّهِ ليأخذ جزاء أفعالهِ المبرورة في ٣١ آب من سنة ١٢٤٠*

انتهى شهر آب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* شهر ايلول *

القدّيسة فيلومينة العذراء الشهيدة

انّ الله عزّ وجلّ يمجّد الذين يخدمونهُ ويعبدونهُ ليس في السماء فقط بل على الأرض أيضاً لا محالة. ومن ثمّ إذا حدث أن يزول وينمحي لصروف الزمان خبر بعض القدّيسين من على وجه الأرض. يقيم الله في وسط الرميم والدثار ذكرهم ويشهر اسمهم في الأقطار والأمصار ويجري على يدهم الأعاجيب السنيّة الباهرة* ومن أشهر ذلك ما جرى في شأن القدّيسة فيلومينة. فانّها بقيت آثارها مطمورة تحت الأرض نحو ألف وخمسمائة سنة. وكان لا يُعرَف من صحيح خبرها في التواريخ والأسفار البيعيّة سوى الاسم مجرّداً. حتّى كان اليوم الخامس من أيّار سنة ١٨٠٢ بينما كان بعض الصنّاع يشتغلون في حفر المكان الذي يُعرَف بمقبرة القدّيسة برسقلّة في مدينة رومية. عثروا في لحد فوجدوا على طبقهِ تاريخاً مصوّراً عليهِ سرير ومرساة وسهام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونخلة وباقة من القضبان وسهمان آخران قد عُكس سناناهما. وبين هذهِ العلامات كانت مرسومة هذهِ الكلمات وهي: «فيلومينة السلام عليكِ». ولا حاجة إلى القول انّ في هذا التاريخ إشارة إلى صفة جهادها ونوع عذابها. فانّ المرساة دليل على انّها رُميت في مياه نهر تيبر. والسهام دليل على أنّها رُشقت بالسهام مثل القديس سبسطيانس. وباقة القضبان تعني أنّها عُرضت للجلد والضرب. أمّا السهمان المعكوسا السنّين فإشارةً إلى أنّ السهمَين إذ رُشقا عليها رجعا على الراشق. والسرير علامة البتوليّة. والنخلة إشارة إلى أنّها نالت بالشهادة اكليل الظفر* فلمّا فتحوا اللحد ظفروا باناء فيهِ دم قد يبس ونشف. وقد كان من عادة المسيحيّين القدماء أن يجمعوا من دم الشهيد مقداراً في إناءٍ ويجعلونهُ في لحدهِ. فتسلّم قسّيس من مملكة نابلي الاناءَ المذكور مع ما وُجد من رمّة الشهيدة. وحملها إلى كنيسة مقامة على اسم القدّيسة في مدينة نولا بمملكة نابُلي. فأخذت تتقاطر إليها الناس والزوّار من الأقطار كلّها لشدَّة شهرتها إذ ذاك*

وكان الجميع يتأَسَّفون على أنّ سيرة القدّيسة فيلومينة لم يكن يُعرَف منها شيء البتّة. فظهرت القدّيسة لإحدى الراهبات وأخبرتها بصحيح قصّتها. ونحو ولو كنّا نعلم خير العلم انّ الكنيسة المقدّسة لم تؤيّد بسلطانها هذهِ القصّة إلاّ أنّنا نوردها ها هنا بالاختصار. لأنّ من حكاها يوثَق بهِ. وليس فيها ما ينفي التصديق. قال الراوي: كان أبوها من الوزراء في بعض بلاد يونيا وكان قد تنصّر. ثمّ رزقهُ الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

طفلة. فسمّاها فيلومينة أي بنت النور تذكرة لنور الايمان كان قد استنار بهِ عقلهُ. واتّفق لأبيها أن يقصد ديوقلطيانس الملك برومية لمصلحة لهُ. وأخذ معهُ امرأَتهُ وابنتهُ فيلومينة. فلمّا رآها ديوقلطيانس كلف بها. وكانت حسناء بديعة ولها من العمر نحو ثلاث عشرة سنة. فطلبها الملك ديوقلطيانس خطّيبة لهُ. وكانت هي قد نذرت عفّتها لله منذ صغرها. فأَبت أن تجيب إلى سؤالهِ ورفضت طلبتهُ. فأخذ الملك يستميلها تارةً بهدايا ومواعيد وتارةً يخوّفها ويتهدّدها بعذابات شديدة. فلم يؤثّر كلامهُ البتّة بها. فقيّدها بالأغلال وحبسها في قصرهِ. وبقيت فيهِ مدَّة سبعة وثلاثين يوماً. فظهرت لها مريم العذراء وأعلمتها أنّها بعد انقضاء أربعة أيّام تُعرَض إلى عذابات قاسية وتنال اكليل الغلبة في الجهاد. وحرّضتها على الشجاعة والقوّة. ثمّ غابت. فلمّا انقضت الأيام الأربعة وقد يئس ديوقلطيانس من نوال بغيتهِ منها أمر بأن تُجلَد. ثمّ دعاها إليهِ في الغد وحادثها في مصلحتهِ. فرفضت طلبتهُ وبيّنت لهُ صحّة الديانة النصرانيّة بياناً واضحاً جليّاً لم يمكنهُ أن يعترض عليها ولو بحرف. فازداد غضباً وأمر في الحال بأن توضع المرساة في عنقها وتُطرَح في النهر. فلمّا طُرحت. أقبل إلى عونها ملائكة من السماء فحلّوا المرساة من عنقها. وطلعت هي على الشاطئ سالمة. فاستاء ديوقلطيانس من ذلك وأمر بأن تُرشَق بأسهم ففعلوا. فلم تضرّها شيئاً. فلمّا سمع ديوقلطيانس هذا أمر أن تُحمى الأسهم بالكور وتُحَدّ اسنّتها. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رُشقت على القدّيسة رجعت على الراشق ومع هذا كلّهِ لم يتّعظ الملك بل أمر بأن يُقطَع رأسها فقُطع وكان ذلك نحو أواخر القرن الثالث*

أمّا ما حدث عن يدها من الآيات والكرامات فكثير. فكان العميان والعرج وذوو العاهات يقصدونها أفواجاً أفواجاً لينالوا الشفاء ولم يخب منهم أحد*

* اليوم الثاني *

مار اسطيفان ملك الهنغريّين

انّ اسطيفان قد سبقت نبوّات وإشارات كثيرة إليهِ قبل ميلادهِ دلّت على أنّ الله جلّ وعلا قد اصطفاهُ ليقضي بهِ أجلّ غاياتهِ* وُلد اسطيفان في سنة ٩٨٤. وعمّذهُ مار ادلبرت اسقف براغا وسمّاهُ اسطيفان* ومنذ صباهُ أحبّ الدرس. فاعتنى بهِ أبوهُ وأتى لهُ بمعلّمين حاذقين ماهرين لكي يثقّفوهُ. وأخصّ الذين لقّنوهُ خوف الله كان مار ادلبرت أسقف براغا المذكور* وتوفّي أبوهُ سنة ٩٩٧ من التاريخ المسيحي. وكان قائد الجيش. فخلفهُ اسطيفان وشرع منذ ذلك الوقت يبذل المجهود في نشر أصول الديانة والآداب بين أمّتهِ. ونزع عنهم العوائد الوحشيَّة ولقّنهم الحلم ومكارم الأخلاق. وفي أسرع وقت شاد معابد وكنائس لأولئك النصارى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأحداث. وجعل في بلاد الهنغر عشرة أساقفة. فلمّا انتظمت الكنيسة في تلك البلاد وكثر عدد النصارى فيها. جعلوا اسطيفان ملكاً عليهم. فأَنفذ هو رسلاً إلى البابا سلبستر الثاني ليؤَيّد سلطانهُ وينعم عليهِ بالتاج الملوكيّ. فسرّ البابا المذكور بذلك* وبعد ذلك نصر الله الملك اسطيفان على بقايا الوثنيّين الذين في هنغريا. وبنى ثلاثة أديرة. جعل الأوّل منها على اسم القديس مرتينس الذي اتّخذهُ شفيعاً لهُ ولبلادهِ. واحبّ اسطيفان أن يطوف البلاد ويجول في جبال بنسلوانيّة هو بذاتهِ لكي يبشّر بالمسيح وبانجيلهِ وينشر ديانتهُ بين أولئك الأقوام المتوحّشين ويبيد من بينهم عبادة الأوثان. فعاداهُ الوثنيّون أشدّ معاداة بسبب ذلك. ولكنّهُ لم يرتخِ في عزمهِ بل أرسل جيشهُ لمدافعتهم ولصيانة الديانة. فتغلّب عليهم قاطبةً. واتّسعت مملكتهُ. وشاد كنائس في كلّ تلك الأمكنة. وسنّ شرائع وقوانين لأمّته لتأييد الديانة بينهم وتثبيتها*

وكان لهُ ابن اسمهُ امَرَيك. فهمّ كثيراً في تهذيبهِ وتلقينهِ أصول الديانة المسيحيّة وتقوى الله. وأَعطاهُ وصايا ونصائح جليلة سنيّة لأَنّهُ كان مزمعاً أن يتخلّف بعدهُ في الملك*

ومع كلّ مهمّات المملكة التي أشغلت اسطيفان كثيراً كان يوجّه فكرتهُ إلى خير الفقراء وصلاحهم ويتصدّق عليهم هو بيدهِ ويسلّيهم في ضيقاتهم ويعزّيهم في شدائدهم. وممّا اتّصف بهِ حبّهُ الشديد للأراضي المقدّسة. فحجّ بنفقتهِ عدد وافر من الكهنة والعامّة لزيارة قبر المخلّص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وشيّد ديراً فاخراً في أورشليم لضيافة الحجّاج الغرباء. وبنى في روميّة أيضاً كنيسة باسم مار اسطيفان الشهيد قصد أن يضيف فيها الذين يحجّون إلى روميّة لزيارة ضريحَي الرسولين بطرس وبولس. وكان اسطيفان حليماً وديعاً دون الوصف. فانّهُ في كلّ الحروب الكثيرة التي باشرها وانتصر فيها لم يسئ قطّ إلى أعدائهِ بل عاملهم قاطبةً باللطف والرفق. ومن عجيب ذلك انّهُ ذات ليلة إذ كان في قصرهِ دخل عليهِ سرّاً أحد أعدائهِ وفي يدهِ السيف مسلولاً ليقتلهُ بهِ. فلمّا دنا منهُ أخذتهُ الرجفة ووقع السيف من يدهِ. فتناول اسطيفان السيف. وتراكض الخدّام والحشم ساعتئذٍ إلى محلّ سيّدهم وملكهم اسطيفان. أمّا هو فنهاهم قاطبةً نهياً شديداً عن أن يؤذوهُ. والتفت إلى عدوّهِ وقال لهُ: اذهب في حال سبيلك واندم على خطيّتك واطلب الغفران من الله. أمّا أنا فقد عفوتُ عنك فلك الأمن منّي* الاّ أنّ الأسفار الطويلة والأتعاب الشديدة المتواصلة التي تكبّدها اسطيفان في تأسيس الديانة النصرانيّة ببلادهِ ونشرها فيها أخلّت بعافيتهِ. ووقع في مرض طويل ونحول بليغ. فلمّا دنا أجلهُ. اجتمع إليهِ كل الأساقفة والكهنة وأعيان الشعب فوعظهم وحرّضهم على التمسّك بالديانة النصرانيّة أشدّ تمسّك. وسلّم روحهُ في ٥ آب من سنة ١٠٣٤. وقد ملك سبعاً وثلاثين سنة. وصنع لهُ مناحة أهل تلك البلاد كلّها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث *

القديسة سرابية

انّ أصل القدّيسة سرابية من مدينة انطاكية. وكانت مسيحيّة. ووُجدت في مدينة روميّة في أيام الملك ادريانس. وكانت بتولاً. وانّنا نعلم انّ القدّيسة سابينة المذكورة في هذا الكتاب انزلتها في دارها وحوتها عندها لتتسلّى بها وتؤانسها لفقدها زوجها. ويغني عن وصف سيرة القدّيسة سرابية وقداستها أن نذكر انّها في وجيز من الزمان تمكّنت من جذب سابينة إلى الديانة المسيحيّة وتزيينها بأجلّ الفضائل. حتى انّ سابينة إذ رأت سرابية قد قُبض عليها وقُيّدت للاستشهاد ما انفكّت عنها بل رافقتها إلى قدَّام الوالي لتنال اكليل الاستشهاد معها*

واعلم انّ ادريانس الملك لم يبرز منشوراً في اضطهاد النصارى. بل تسوّل لهُ القبض عليهم وتعذيبهم حسب أهواء الوثنيّين وسعيهم لديهِ فيهم. ومن ذلك ان وزير الملك بارُلاّ اذ وُشي لديهِ في سرابية بأنّها كانت نصرانيّة. استدعاها إليهِ. فذهبت بها سابينة تلميذتها عند الوزير. فلمّا رآهما الوزير. امتنع عن تعذيب سرابية خائفاً من حضور سابينة التي كان يحترمها بسبب شرفها وحسبها. غير انّ سرابية أخذت إذ ذاك تناشد القدّيسة سابينة في أن تبيح لها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ان تعرض نفسها للشهادة والموت في حبّ يسوع المسيح* ثمّ انّ بارُلاّ المذكور أرسل في طلبها ثانيةً بعد مدَّةٍ يسيرة. فمنعها القدّيسة سابينة من الذهاب. حتى تغلّب الشُرَط عليها وجرّوها إلى قدَّام الوزير. وكان وقتئذٍ جالساً على منبر القضاء. فقال لها: قرّبي القرابين للآلهة يا سرابية. فقالت: لست أعرف إلهاً آخر غير يسوع خالق السماء والأرض. ولا أعبد غيرهُ البتّة. فتهدّدها بأقسى العذابات واحدّها ان لبثت مصرّة على قولها. فقالت: انّك لقادر أن تعذّبني بما بدا لك. ولكني لي رجاء بأنّ الله يكافِئُني على كلّ ما أقاسيهِ من العذابات. فلمّا عجز الوزير عن اقناعها. عزم أن يعجّل على قتلها. وكانت العادة عند الروميّين ان لا تُقتَل عندهم امرأة وهي عذراء. فهاجوا عليها ليفتضّوا بكوريتها وينزعوا عنها هذهِ الدرّة الثمينة. وفوّض الوزير الأمر إلى شابّين مشهورين بالعهارة وارتكاب الفحشاء. فضجّت القدّيسة تستغيث بالله وهي تقول: ربّي وإلهي القدير بحقّ ابنك يسوع المسيح الذي أراد أن يتّلد من عذراء هلمّ لمعونتي الآن وصُنّي من سورة العهارة. لا تتركنّ ان تتلوّث بتوليّتي بشيء* فلمّا فرغت من طلبتها. دخل عليها الشابَّان القبيحان. فحدثت في تلك الساعة زلزلة في الأرض ارتاع لها الخلق حتى وقع الشابَّان على الحضيض وادنفا. وبذلك انكفّا عن صنيعهما. ثمّ ان الحاكم أرسل في الغد واستخبر عن أمر سرابية وحالها. فعلم انها في سرور وبهجة وهي تصلّي بعبادة وقنوت عجيب فريد ارتاع لهُ الحاضرون. غير انّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك كلَّهُ لم يحرّك قلب الحاكم شيئاً. بل نسب ذلك إلى حيلة السحر. فقال لسرابية وقد أحضرها عندهُ: بأيّ وسيلة من السحر أوقعتِ الشابَّين المشار إليهما. فقالت بشجاعةٍ عجيبة: انّني لا خبرة لي البتة بالسحر ولكن الله سمع صلاتي الذليلة فأوقع الشابّين الثائرين لاختطاف كنز بتوليّتي الثمين. فقال لها الوالي: ابيني لي قوّة الله وحولهُ في شأن هذين الشابّين. بأن تجعليهما أن يعودا إلى الشفاء والصحّة في الحال. فاكبّت على الأرض وصلّت. فنهض الشابّان. وعادت عليهما العافية التامّة والصحة الكاملة. ولكن الوالي لم يذعن إلى هذهِ الأعجوبة الباهرة أيضاً. بل كان ينسب هذا وأمثالهُ إلى السحر. ثمّ قدّمها إلى الجلد فأدمى جسمها من كل ناحية. وكانت القدّيسة ثابتة في عزمها مشتدَّة في رفض تقديم القرابين للأوثان. وهي تقرّ علناً بايمان يسوع المسيح. فأمر بقطع رأسها. وكان ذلك في الثامن والعشرين من تموز من سنة ١٢٢* وانّما يُصنَع ذكرها في ٣ ايلول لأنَّهُ في مثل هذا اليوم أُخذت ذخائرها وذخائر سابينة رفيقتها وتلميذتها ووُضعت في محل واحد. وذلك في كنيسة القدّيسة سابينة التي برومية إلى يومنا هذا. وكانت هذهِ الكنيسة قديماً دار القدّيسة سابينة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع *

موسى النبي

انّ موسى وُلد سنة ٢٣٧٤ بعد خلق العالم وهي سنة ٧١٧ بعد الطوفان وسنة ١٥٧٦ قبل المسيح وسنة ١٣٥ بعد دخول يعقوب وأولادهُ في مصر. هذا ما أجمع عليهِ أغلبُ المؤرّخين*

والكتاب المقدّس يخبرنا في سفر الخروج انّ رجلاً من آل لاوي تزوّج بامرأة من بنات لاوي وولدت ابناً. فرأت انّهُ حسن الوجه. فاخفتهُ ثلاثة أشهر. وهذا الولد هو موسى. وقال مفسّروا الكتاب المقدّس: انّ ما كان عليهِ موسى من الحسن يفوق الوصف. وانّ جمالهُ الفائق صار دليلاً واضحاً على اتمام وعد الله لوالديهِ بانّهما يُرزقان ولداً ويعتق بني إسرائيل من عبوديّتهم. ولهذا فانّ أبوَي موسى أخفياهُ مدّة ثلاثة أشهر واثقَين بايمان وطيد بانّ الله سينجدهُ من المياه* وقال الرسول مار بولس في رسالتهِ إلى العبرانيّين في الاصحاح الحادي عشر والعدد الثالث والعشرين انّهُ بالايمان حين وُلد موسى أخفاهُ أبواهُ ثلاثة أشهر. لأنّهما رأيا الطفل جميلاً. وبعد أن تحقّقا بايمانهما بأنّ هذا الجمال الفائق يشير عن عظمة ولدهما المستقبلة أخفياهُ ولم يرهبا من أمر الملك الذي أمر بأن يُطرَح في النهر كلّ ذكرٍ عبرانيّ يُولَد. غير انّ امّ الصبي لمّا رأت أنّها لا تستطيع أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تكتم أمرهُ وتخفيهُ أكثر. أخذت لهُ قفّة من البردي فطلتها بالحمر والزفت ووضعت فيها الصبي. وتركتها بين الحلفاء على حافة النهر. ووقفت أختهُ من بعيد لترى ماذا يكون منهُ. فنزلت ابنة فرعون لتغتسل في النهر وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر. فرأت القفّة بين الحلفاء فأرسلت إحدى جواريها. فأخذتها. ولمّا فتحتها رأت صبيّاً يبكي فحنّت عليهِ وقالت: هذا من أولاد العبرانيّين هو. فقالت أختهُ لابنة فرعون: هل اذهب وادعو لكِ امرأة مرضعة من العبرانيّات لترضع لكِ الطفل. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي. فذهبت الجارية فدعت امّ الطفل. فقالت لها ابنة فرعون: خذي هذا الطفل وارضعيهِ لي. وأنا أعطيكِ اجرتكِ. فأخذت المرأة الطفل وأرضعتهُ. فشبّ الصبي. فاتت بهِ إلى ابنة فرعون فاتّخذتهُ لها ابناً. ودعت اسمهُ موسى. وقالت انّني من الماء انتشلتهُ*

انّ موسى تربّى في حاشية الملك صحبة أولاد فرعون ملك مصر وتثقّف بعلوم المصريّين التي يقسمها مار يسطينس الملفان والشهيد إلى قسمين. فالأوّل منهما يُباح لكلّ الطلاّب. وهو يشتمل على علم الهندسة والحساب والفلك والموسيقيّ. وأمّا القسم الثاني فهو يشتمل على علم لا يُعطى الاّ لصنف ممتاز. وهذا العلم يتوقّف على إشارات مصطَلح عليها الخطّ المصريّ القديم ويتضمّن علم الديانة والطبيعيّات والعلم المدنيّ والطبّ*

فلنلاحظنّ هنا لطف العناية الربّانيّة وقوّة وسائل تدابيرها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الغير المدركة لأنّها إذ أعدّت أن يكون موسى يوماً رئيساً على الشعب العبرانيّ ويسوسهُ بالشريعة الإلهية. شاءت أن يتربّى في حاشية فرعون الملك كي ينشأ بالعلم ويقتبس الخواصّ الملوكيّة المضطرّ إليها ليقوم بتكميل واجبات رسالتهِ الشريفة ويدبّر الشعب بسهولة*

انّ موسى لدى بلوغهِ السنة الأربعين من عمرهِ. بينما كان منطلقاً يوماً في مصر ليفتقد أخوتهُ بني إسرائيل. صادف في طريقهِ رجلاً يتطاول على إسرائيليّ. فأَخذتهُ الحميّة الجنسيّة ونظر يميناً وشمالاً وإذ لم يرَ أحداً قتل المصريّ ودفنهُ في الرمل* ومن احتمال أنّ موسى لم يملّ من افتقاد أخوتهِ المحكوم عليهم بالأشغال الشاقّة حتى بلوغهِ السنة الأربعين من العمر. إذ كان يطيّب قلوبهم ويحاميهم بواسطة المتوظّفين الملازمين أوامر فرعون طالباً منهم أن يحسنوا المعاملة مع الإسرائيليّين ويتلطّفوا بهم. ولتصرّفهِ هذا فقد ساء بهِ ظنّ جلساء الملك ووشوا بهِ لديهِ انّهُ يخالف أوامرهُ. ولكن خادم الله الأمين لعلمهِ انّهُ مدعوّ من الله لينجد شعبهُ من العبوديّة. لم يخشَ الامتناع من أن يُدعى ابن بنت فرعون. واختار أن يكون في الذلّ مع شعب الله من أن يتنعّم في الخطيّة زماناً يسيراً. وأضمر انّ عار المسيح هو غنىً أعظم من كنوز مصر لأنّهُ كان يتوقّع المجازاة (عب. صـ ١١) وانّ موسى لدى مشاهدتهِ الرجل المصريّ يضرب رجلاً عبرانيّاً من أخوتهِ. عرّفهُ الله بوحي فائق الطبيعة بأنّهُ يمنطقهُ في ذلك الوقت نفسهِ بجلباب قدرتهِ ويوليهِ سلطانهُ السامي مباشراً رسالتهُ العظيمة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعقاب الرجل المصريّ مجازاةً لذنبهِ بمقتضى عدلهِ الإلهيّ: وقال القدّيس اسطيفانوس في أعمال الرسل: انّ موسى ظنّ انّ أخوتهُ يفهمون انّ الله على يدهِ يؤتيهم الخلاص. وهم لم يفهموا. ومن الغد ظهر لهم وهم يتخاصمون. فدعاهم إلى الصلح قائلاً: يا أيّها الرجال انّما أنتم أخوة فلماذا يسيء أحدكم إلى صاحبهِ. فدفعهُ الذي كان يسيء إلى صاحبهِ قائلاً: من أقامك علينا رئيساً وقاضياً. ألعلّك تريد قتلي كما قتلتَ أمس ذلك المصريّ. فهرب موسى بسبب هذهِ الكلمة وصار غريباً في أرض مديان وأَولد هناك ابنين* انّ مديان هو أحد أبناء ابرهيم المولود من ستّير. وقد بنى هذا مدينة ودعاها باسمهِ. أمّا موسى فلدى وصولهِ إلى مدينة مديان (الواقعة على الجانب الشماليّ من البحر الأحمر في قسم بلاد العرب التي يقال لها بلاد العرب الصخريّة وهو بقرب جبل سينا) جلس بقرب بئر ليستريح. وكان لكاهن مديان سبع بنات. فجئْنَ وأَدلينَ وملأنَ الأحواض ليسقينَ غنم أبيهنّ. فجعل الرعاة يأتون ويطرودونهنّ. فقام موسى وانجدهنّ وسقى غنمهنّ. فاتين إلى راعوئيل أبيهنّ. فقال لهنّ: ما بالكنّ أسرعتنّ في المجيء اليوم. فقلن: انّ رجلاً مصريّاً خلّصنا من أيدي الرعاة وانّهُ استقى لنا أيضاً وسقى الغنم. فقال لبناتهِ: وأين هو لماذا تركتنّ الرجل. ادعونهُ ليأكل طعاماً. فأحبّ موسى أن يسكن مع الرجل ثمّ تزوّج بابنتهِ صافورة. فولدت لهُ ابناً ودعا اسمهُ جرشون. لأنهُ قال: كنتُ نزيلاً في أرض غريبة. وولدت أيضاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

غلاماً ثانياً. فدعا اسمهُ اليعازر قائلاً: من أجل انّ الاه أبي أعانني وخلّصني من يد فرعون*

انّ راعوئيل عظيم مديان كان كاهناً أو مقرّب الضحايا غير انّهُ لا يُعلَم هل كان يقدّم الضحايا للإله الحق أم الأصنام. ومع ذلك فلا ريب انّهُ آمن فيما بعد وقرّب للإله الحق لمشاهدتهِ ما صنعهُ الله على يد موسى من الآيات الباهرة في مسير العبرانيّين في البريّة. وقد لقّبهُ الكتاب المقدّس تارةً باسم راعوئيل وأخرى باسم يثرون* إنّ موسى قضى في بيت حميهِ يثرون مدّة أربعين سنة. وكان دأبهُ رعاية المواشي. وقال كثيرون من مفسّري الكتاب المقدّس انّ موسى كتب في هذهِ المدّة سفر التكوين وسفر أيّوب. ومن المحتمل انّ موسى بتأليفهِ هذين السفرين اللّذين أوحى بهما الروح القدس مؤلّفهما الحقيقيّ استعان بتقاليد آبائهِ. لأنّ جدّهُ لاوي عاش معاصراً اسحق أبيهِ مدّة ثلاث وثلاثين سنة. واسحق عاش مع جدّهِ سام بن نوح مدّة خمسين سنة. وسام عاش مع جدّهِ ما توشالح مدّة ثمانٍ وتسعين سنة. وهذا عاش مع جدّهِ آدم مدّة ثلاث وأربعين سنة. فيتّضح إذاً انّ موسى كان قريباً من أوائل التقاليد بنوع انّ كلّ ما نصّهُ سفر التكوين كان يعرفهُ سابقاً حسبما رواهُ لهُ الآباء*

هذا وانّ موسى بينما هو ذات يوم يرعى غنم ثيرون حميهِ كاهن مديان. ساق الغنم إلى وراء البرّيّة. وجاء إلى جبل الله حويب ويقال لهُ أيضاً جبل سينا. وهناك تراءى لهُ ملاك الربّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلهيب النار في وسط علَّيقة. فنظر وإذا العلَّيقة تتوقَّد بالنار وهي لا تحترق. وهذهِ هي رمز يشير عن مريم العذراء التي ولدت ابن الله وهي عذراء حقّاً من دون أن تُثلَم بكارتها. فقال موسى: اميل الآن لانظر على هذا المنظر العظيم لِمَ لا تحترق العلّيقة. فلمّا رأى الربّ أنّهُ مال لينظر. ناداهُ الله من جوف العلَّيقة وقال: موسى موسى. فقال هأَنذا. فقال لهُ: لا تدنُ من هاهنا. اخلع حذاءَك من رجليك لأنّ المكان الذي أنت قائِم فيهِ أرضٌ مقدّسة. وقال لهُ: انّي أنا الاه أبيك الاه ابراهيم والاه اسحق والاه يعقوب. فغطّى موسى وجههُ لأنّهُ خشي أن ينظر إلى الله. وقد عنا الرب بقولهِ لموسى: أنا الاه آبائك. أي ذلك الإله الحيّ الذي سجد لهُ آباؤك وحدهُ على الأرض وما زالوا يسجدون لهُ حتّى الآن في اليمبوس ويبتهلون على الدوام بأَيد مواعيدي لهم وخلاص شعبي. وبرهاناً لذلك فانّ مخلّصنا يسوع المسيح خاطب اليهود أيضاً بهذهِ الكلمات عينها ردّاً على معتقد الصدوقيّين وليخزيهم إذ كانوا ينكرون قيامة الأجساد. ومعاً ليثبّت لنا بأنّ نفسنا لن تموت مع هذا الجسد ولكنّها تلبث عديمة الموت. بل انّها غير متناهية وستلبس من جديد جسدها يوم القيامة لتحيى معهُ إلى الأبد. وانّ المنتخبين والهالكين يحيون إلى الأبد* وأضاف الربّ قولهُ لموسى. انّي قد رأيتُ مذلّة شعبي الذي في مصر وسمعتُ صراخهم من سبب مستعبديهم. انّي علمتُ أوجاعهم فهلمّ الآن أرسلك إلى فرعون. فتُخرِج شعبي بني إسرائيل من مصر. فقال موسى لله: من أنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حتّى اذهب إلى فرعون واخرج بني إسرائيل من مصر. فقال: انّي أكون معك. وهذهِ تكون لك علامة انّي أنا أرسلتك: إذا أخرجتَ الشعب من مصر. تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله: ها أنا أذهب إلى بني إسرائيل وأقول لهم: الاه آبائكم أرسلني إليكم. فان قالوا لي ما اسمهُ. فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى: أَهْيَه اشَرْ اهيه. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل: اهيه ارسلني إليكم. فأجاب موسى وقال: ها هم لا يصدّقونني ولا يسمعون صوتي بل انّهم سيقولون لم يظهر الربّ لك. فقال لهُ الرب: ما هذهِ التي في يدك. فقال: عصا. قال: أَلقِها إلى الأرض. فأَلقاها إلى الأرض. فصارت ثعباناً. فهرب موسى منهُ. وقال الرب لموسى: مدّ يدك وامسك ذنبهُ. فمدّ يدهُ وقبض عليهِ. فصار عصاً في يدهِ. لكي يؤمنوا انّهُ قد ظهر لك الرب الاه آبائهم. الاه ابراهيم والاه يعقوب. أي انّي عملتُ هذهِ الآية ازاء عينيك لكي تصنع مثلها أمام شعبي بني إسرائيل ليصدّقوا بأقوالك. وقال لهُ الربّ أيضاً: أَدخل يدك في عبّك. فادخل يدهُ في عبّهِ ثمّ أخرجها. فإذا يدهُ برصاء مثل الثلج. فقال لهُ: ردّ يدك إلى عبّك. فردّ يدهُ إلى عبّهِ. ثمّ أخرجها من عبّهِ. وإذا هي قد عادت إلى لون جسدهِ. فإذا لم يصدّقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى. فهم يصدّقون لصوت الآية الأخيرة. وإذا لم يصدّقوا بهاتين العلامتين ولم يسمعوا لصوتك. فخذ من ماء النهر واسكبهُ على اليبس. فيكون الماء الذي تأخذهُ من النهر يتحوّل دماً على اليبس. فقال موسى للربّ: ارغب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إليك يا رب. انّي لستُ برجلٍ فصيح الكلام من أمس ولا من أوّل أمس. ولا من حين خاطبتَ عبدك. بل انّي ألثغ وثقيل اللسان. فقال لهُ الربّ: من الذي خلق فماً للإنسان أو من يصنع الأخرس أو الأصمّ أو البصير أو الأعمى. أليس هو أنا الرب. فاذهب الآن. وأنا أكون مع فيك. واعلّمك ما تتكلّم. فقال موسى: أرغب إليك يا ربّ أن ترسل من ترسل. أمّا موسى فبقولهِ ذلك طلب من الرب أن يرسل أحداً أهلاً لتلك الخدمة ويعفيهُ منها لأنّهُ جاوب الله بتواضع. ولكن الربّ غضب على موسى ليبيّن لهُ انّ تواضعهُ كان صادراً عن خوف. ويجب عليهِ أن يطيع أمر الله متّكلاً عليهِ. ومع ذلك فانّ الربّ العالم بضعف عبدهِ ومراعاةً لاتّضاعهِ جاوبهُ قائلاً: أَلا انّ هرون اللاوي أخوك. انّي عارف انّهُ فصيح الكلام وأيضاً ها هو خارج ليتلقّاك. فإذا ما رآك يفرح في قلبهِ. فخاطِبْهُ واجعل كلامي في فمهِ. وأنا أكون مع فيك ومع فيهِ. واعلّمكما ماذا تعملان وهو يتكلّم مع الشعب عوضك. وهو يكون لك فماً. وخذ بيدك هذهِ العصا التي بها تعمل الآيات. فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميهِ وقال لهُ: انّي انصرف وأَعود إلى أخوتي الذين في مصر لأَرى هل هم الآن باقون. فقال يثرون لموسى: اذهب بسلام. فقال الرب لموسى في مديان: اذهب وارجع إلى مصر. لأنّهُ قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك. فأَخذ موسى زوجتهُ وبنيهِ وجعلهم على حمير ورجع إلى أرض مصر. وأخذ موسى عصا الله بيدهِ. وقال الربّ لهارون:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اذهب وتلقَّ موسى إلى البرّيّة. فمضى وتلقّاهُ في جبل الله وقبّلهُ. وقصّ موسى على هارون جميع كلام الربّ الذي أرسلهُ والآيات التي أمرهُ بها. ثمّ مضى موسى وهارون وجمعا كلّ شيوخ بني إسرائيل وتكلّم هارون بجميع الكلام الذي قالهُ الربّ لموسى. وصنع الآيات قدّام الشعب. فآمن الشعب وخرّوا سُجّداً لله على انّهُ قد افتقد بني إسرائيل وانّهُ نظر مذلّتهم. ومن بعد هذا دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: هذا ما يقول الربّ الاه اسرائيل اطلق شعبي ليعيّدوا لي في البرّيّة. فقال فرعون: من هو الربّ حتى أطيع قولهُ وأطلق إسرائيل. لا أعرف الربّ ولا أطلق إسرائيل. ولم يَلِن قلب فرعون الصَلِب من إنذار موسى وهارون لهُ ولا من اصطناعهما الآيات. ولم يُطلق بني إسرائيل من مصر الاّ بعد أن ضربهُ الله مع شعبهِ بالضربات العشر المذكورة والمهولة. حينئذٍ خرج بني إسرائيل من مصر ليلة اليوم الخامس عشر من شهر آذار وكان عددهم ستّمائة ألف رجل ما عدا الشيوخ والنساء والأحداث الذين لم يبلغوا بعد السنة العشرين من العمر والأولاد. وخرجوا هم وغنمهم ومواشيهم وتبعهم جمٌّ غفير من رعاع الشعب المصريّ والأمم المجاورة مصر. فهؤلاء انضمّوا مع شعب الله وهم الذين اغروا شعب الله فيما بعد عند سيرهم في البريّة مرّاتٍ عديدة وحملوهُ على التذمّر والضلال* وانّ الإسرائيليّين عند خروجهم من مصر صنعوا كما أمرهم موسى فاستعاروا من المصريّين أواني ذهبيّة وفضيّة وثياباً كثيرة. وقد ذكر الكتاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المقدّس عن هذهِ الأموال ما نصّهُ في سفر الحكمة (صـ ١٠ عد ١٦) حيث قال انّها أجرة أتعابهم الطويلة والشاقّة. التي أدّاها العبرانيّون في مصر. وقال يوسيفوس اليهوديّ المؤرّخ: انّ المصريّين أعطوا العبرانيّين هدايا كثيرة وثمينة ابتغاء أن يستميلوهم ليخرجوا سريعاً من مصر والبعض اكراماً لهم. امّا فرعون فما لبث زماناً يسيراً أن نَدِم على انّهُ أطلق بني إسرائيل من مصر ولحق باثرهم بكل مركباتهِ وفرسانهِ وجيشهِ. فادركهم عند البحر الأحمر. وكان ملاك الربّ يسير أمام الإسرائيليّين في النهار بعمود غمام ليدلّهم على الطريق. وفي الليل بعمود نار ليضيءَ لهم. وعندما اقترب المصريّون من الإسرائيليّين انتقل ملاك الربّ الذي كان يسير قدّام عسكر إسرائيل ومشى خلفهم وحجز بينهم وبين عسكر المصريّين. ثمّ بأمر من الربّ ضرب موسى بعصاهُ البحر فانفلق واجتاز بنو إسرائيل في وسط البحر باليبس. وبقيت المياه بهيئة سورٍ عن يمينهم وعن يسارهم. وجدّ عسكر المصريّين في طلبهم. ودخلوا في أثرهم ولكنّ ملاك الربّ الحاجز بينهم وبين الإسرائيليين هجم وضرب المصريّين بالرعود والبروق. فاقلب بكرات مركباتهم. وقصدوا الهرب. فقال الربّ لموسى: امدد يدك على البحر لترجع المياه. فمدّ موسى يدهُ على البحر فرجعت المياه وغمرت المصريّين وابتلعت مركبات وفرسان كلّ جيش فرعون. ولم يبقَ منهم أحد. وصنع الربّ آيةً أخرى وهي: انّ البحر قذف جثث المصريّين على شاطئ البحر. حينئذٍ سبّح موسى وبنو إسرائيل بهذهِ التسبحة للربّ وقالوا:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اسبّح الرب. فانّهُ قد تعظّم. الفرس وراكبهُ طُرح في البحر. الربّ قوّني ومدحي وصار لي خلاصاً. هذا الاهي فامجّدهُ. الاه أبي فارفعهُ. الرب كالرجل المقاتل. الرب اسمهُ عظيم* ثمّ رحل بنو إسرائيل بالأَمن في البرّيّة وساروا مدّة ثلاثة أيام ولم يجدوا ماءً للشرب. فجاءُوا إلى مرّات. ولم يقدروا أن يشربوا ماءً من مرّات. لأنّهُ كان مرّاً. فتقمقم الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب. فصلّى موسى إلى الربّ. فأراهُ الربّ عوداً فجعلهُ في الماء. فصار الماء عذباً* وبعد خروجهم من مصر بثلاثين يوماً تقمقم الشعب من جديد على موسى إذ نفذ ما كان عندهم من الذخيرة والقوت اللذين أتوا بهما من مصر. ولم يجدوا في البرّيّة ما يأكلونهُ. فالتجأ موسى إلى الربّ بالصلوة. ولمّا كان المساء أرسل الربّ عدداً وافراً من السلوى وغطّى المحلّة كلها. وفي الغداة صباحاً ارتفع سقيط الندى وإذا على وجه البرّيّة حول المحلّة شيء رقيق مثل القشور دقيق مثل الجليد. وكان هذا المنّ الخبز الذي أمطرهُ الله عليهم من السماء. ودام المنّ ينزل عليهم أربعين سنةً مدّة سيرهم في البريّة* هذا وانّ الحكيم يخاطب الله في هذا الصدد ما نصّهُ في العدد العشرين من الفصل السادس عشر حيث يقول: أطعمتَ شعبك طعام الملائكة وأرسلت لهم من السماء خبزاً معدّاً بلا تعب. فيهِ كلّ لذّة وطيبُ كلّ مذاق. لأنّ رزقك أظهر حلاوتك التي بها تصل أولادك. فكان يخدم شهوة كلّ واحد منهم فينتقل طعمهُ إلى ما أراد من الطعوم. وكان الثلج والجليد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثابتين مع النار. فلم يذوبا ليعلموا أنّ أثمار الأعداء ابادتها النار المتوقّدة في البَرَد والبارقة في الأمطار. وهذهِ أيضاً تناست قوّتها. كي يغتذي الصدّيقون. لأنّ البريّة التي هي خادمة لك أيّها الباري تمتدّ لعقاب يُرسَل على الظالمين. وتتكرّم لاحسانٍ يصل إلى المتوكّلين عليك. فلهذا حينئذٍ كانت تنقلب إلى كلّ شيء وتخدم عطيّتك التي تربّي كلّ شيء حسب مشيّة المحتاجين إليك. ليعلم بنوك الذين أحببتهم يا ربّ انّ الإنسان لا تغذوهُ أجناس الأثمار. بل قولك يحفظ المؤمنين بك. لأن ما لم تتمكّن النار أن تفسدهُ كان اليسير من شعاع الشمس يحميهِ فيذوب سريعاً. ليكون معلوماً للجميع أنّهُ ينبغي أن نسبق الشمس لنشكرك. وان نبتهل إليك عند شروقها* وأخذ بنو إسرائيل في مسيرهم. ولمّا كانت المرحلة الحادية عشرة من سفرهم بلغوا رفيدين المجاورة لجبل سينا فأَعازهم الماء. فخاصم الشعب موسى وقالوا لهُ: اعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصموني ولماذا تجرّبون الربّ. أمّا الشعب فازداد تقمقماً على موسى وقالوا: هل أخرجتنا من مصر لتقتلنا نحن وأولادنا ودوابّنا بالعطش. فصرخ موسى إلى الربّ قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب انّهم كادوا يرجمونني. فقال الربّ لموسى: امضِ أمام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل. وعصاك التي ضربتَ بها النهر خذها بيدك واذهب ها أنا سأقوم أمامك. هناك على الصخرة في حوريب تضرب الصخرة فيخرج منها ماءٌ ليشرب الشعب. ففعل موسى كذلك قدّام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شيوخ اسرائيل. أمّا الملاك الذي كان يرافق بني إسرائيل بعمود الغمام والنار وهو رمزٌ عن كلمة الله. فحوّل العمود وأقام على صخرة في جبل حوريب أو سينا في المحلّ الأقرب من رفيدين. وعندما ضرب موسى الصخرة انفجرت وانبطت ماءً عزيراً. وقد هتف المرتّل في المزمور الرابع بعد المائة ما نصّهُ في هذا الصدد بقولهِ: شقَّ الصخرة فسالت المياه. وسلكت الأنهار حيث ليس ماء. لأنّهُ ذكر كلمة قدسهِ. التي كانت لابراهيم عبدهِ. فأَخرج شعبهُ بالابتهاج ومختاريهِ بالفرح. وأعطاهم بلدان الأُمم. وأردف الرسول بولس في ذلك معلناً لنا بأنّ الإسرائيليّين كانوا مصطحبين بلا شكّ بعين ماء ما داموا في القفر وانبطت لهم المياه بأنواع عجيبة ومختلفة. فانّهُ ذكر في رسالتهِ الأولى إلى أهل قورنتيّة ما قالهُ: وأحبّ أن تعلموا أيّها الأخوة انّ آباءَنا كلّهم كانوا تحت السحابة. وجازوا جميعاً في البحر وانصبغوا جميعاً على يدَي موسى في الغمام وفي البحر. وأكلوا جميعاً طعاماً واحداً روحانيّاً وشربوا جميعاً شراباً واحداً روحانيّاً (وذلك انهم كانوا يشربون من صخرة روحانيّة كانت تسير أمامهم والصخرة كانت المسيح) غير انّ الله لم يُسَرّ بأكثرهم لأنّهم سقطوا في التيه. فلنمعنّ النظر لدى قراءَتنا هذهِ العبارات. فانّنا نحن المسيحيّون لا نقدر أن نتأكّد أمر خلاص نفسنا مع كوننا قد انصبغنا بدم سيّدنا يسوع المسيح واقتبلنا جميعنا نعمة الله في المعموذيّة. وأكلنا خبز الحيوة في سرّ الاوخارستيا. وانّنا نشرب كلّنا من مياه الحيوة التي سالت من جنب فادينا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونستقيها من أسرارهِ المقدّسة. فمع هذهِ كلّها لا يمكن أن نقتنع بالنعم الغزيرة التي أولانا الله إيّاها. فانّ اليهود أيضاً حازوا نعماً وافرة. ومع ذلك لم يدخلوا أرض الميعاد. لأنّ ما حزناهُ من نعم الله وأفضالهِ هي أعظم بكثير ممّا نالهُ اليهود. ومع ذلك انّ خيانتنا هي جسيمة جدّاً أكثر منهم. فعقابنا سيكون مهولاً أكثر من عقابهم لأنّهم عُوقبوا في البرّيّة بعقابات زمنيّة وأمّا نحن فسنتعاقب بالموت الأبديّ ان لم نتب توبةً نصوحاً*

ثمّ لمّا بلغ بنوا إسرائيل المرحلة الحادية عشرة من سيرهم. جاءهم عماليق وأخذ يقاتلهم في رفيدين. فقال موسى ليشوع: اختَر لك رجالاً واخرج وقاتل عماليق. وغداً أنا أقوم على رأس الأكمة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع كما قال لهُ موسى. وقاتل عماليق. وأمّا موسى وهارون وحور فصعدوا إلى رأس الأكمة. وكان إذا رفع موسى يدهُ يغلب إسرائيل. وإذ خفض يدهُ يغلب عماليق. فصارت يدا موسى ثقيلتين. فأَخذا حجراً ووضعاهُ تحتهُ. فجلس عليهِ. وكان هارون وحور يدعمان يديهِ. الواحد من هنا والآخر من هنا. وكانت يداهُ ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزّم يشوع عماليق وقومهُ بحدّ السيف* فسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى بكلّ ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبهِ. وانّ الربّ أخرج إسرائيل من مصر. فأخذ يثرون حمو موسى صافورة امراة موسى التي كان قد صرفها. وابنيها اللّذين اسم أحدهما جرشوم. لأنّهُ قال كنتُ نزيلاً في أرض غريبة واسم الآخر اليعازر. لأنّهُ قال الاه أبي كان عوني. وخلّصني

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من سيف فرعون. فجاء يثرون حمو موسى وابناهُ وامرأتهُ إلى موسى إلى البرّيّة التي كان نازلاً فيها عند جبل الله. فأَرسل وقال لموسى: أنا يثرون حموك آتٍ إليك وامرأتك وابناها معها. فخرج موسى ليتلقّى حماهُ. فسجد وقبّلهُ وسأل كلّ واحدٍ منهما صاحبهُ عن سلامتهِ. ثمّ دخلا إلى الخيمة*

فقصّ موسى على حميهِ كلّ ما صنع الربّ بفرعون والمصريّين من أجل إسرائيل وكل المشقّات التي أصابتهم في الطريق حيث خلّصهم الربّ. ففرح يثرون بكلّ الخير الذي صنعهُ الربّ إلى إسرائيل حيث نشلهُ من أيدي المصريّين. وقال يثرون: تبارك الرب الذي خلّصكم من أيدي المصريّين ومن يد فرعون الذي خلّص الشعب من تحت أيدي المصريّين. الآن علمتُ انّ الرب هو أعظم من جميع الآلهة. لأنّهم جاروا عليهم وظلموهم. فقرّب يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله. وجاء هارون وجميع شيوخ اسرائيل ليأكلوا خبزاً مع حمي موسى قدّام الله*

فلمّا كان الغد. جلس موسى ليقضي بين الشعب. وكان الشعب قياماً أمام موسى من الصباح إلى المساء. فنظر حمو موسى كلّ ما كان يفعل بالشعب. فقال: ما هذا الأمر الذي تفعل بالشعب لماذا أنت وحدك جالس. والشعب كلّهُ واقف عندك من الصباح إلى المساء. فقال موسى لحميهِ: انّ الشعب يأتوني طالبين قضا الله. وإذا حدث بينهم دعوى. يجيئون إليّ فأَقضي بين الرجل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وصاحبهِ واريهم وصايا الله وسننهُ*

فقال حمو موسى: لا يجمل بك هذا الفعل. انّك تكلّ أنت وهذا الشعب الذي معك لأنّهُ أمر يفوق قواك. ولا تستطيع أن تحملهُ أنت وحدك. ولكن اسمع كلامي فأشير عليك ويكون الله معك. كن أنت للشعب في الأمور التي من جهة الله. وقدّم أنت قدّام الله الدعاوي. وعلّمهم الفرائض والشرائع. وعرّفهم السبيل الذي يسلكون والعمل الذي يعملون. وأنت فانظر رجالاً من كلّ الشعب ذوي قوّة. يخشون الله. أُمناء. مبغضين الرشوة. فأقمهم عليهم رؤوس ألوف ورؤُوس مئين ورؤُوس خمسينات ورؤوس عشرات فيقضون بين الشعب كلّ حين. وإذا هم تشاجروا بأمر عظيم. يأتونك بهِ. وما صغر من الأمور فليكونوا هم يقضون بهِ. فخفّفْ عنك وهم يحملون معك. ان فعلتَ هذا الأمر وآمرك الله تستطيع أن تقوم وجميع هذا الشعب أيضاً ينطلق بسلام كلّ رجل منهم إلى منزلهِ. فأطاع موسى لكلام حميهِ. وفعل كلّما قال لهُ. واختار رجالاً ذوي قوّة من كلّ إسرائيل وجعلهم رؤُوساً على الشعب. رؤُوس الوف. ورؤُوس مئين. ورؤُوس خمسينات. ورؤُوس عشرات. فكانوا يقضون بين الشعب كلّ حين. وكانوا ما عسر عليهم يأتون بهِ إلى موسى وهم يقضون ما خفَّ عليهم. ثمّ سرَّح موسى حماهُ فانطلق إلى أَرضهِ* ومن بعد خروج بني إسرائيل بثمانية وأربعين يوماً من مصر. أتوا إلى برّيّة سينا حيث ظهر الربّ لموسى منذ سنة. وأمرهُ من وسط

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العلّيقة المتّقدة أن يذهب ويعتق شعبهُ. ولمّا حلّ بنو إسرائيل كلٌّ وسبطهُ. دعا الرب موسى. فصعد موسى الجبل وناداهُ الله قائلاً: هكذا تخبر بني إسرائيل: ان سمعتم صوتي وحفظتم عهدي فانّكم تكونون لي خاصّةً من بين سائر الشعوب. فانّ لي الأرض بأسرها. فأَجاب الشعب معاً بأجمعهم وقالوا: كلّ ما تكلّم بهِ الربّ نحن فاعلون. فصعد موسى إلى الجبل ثانيةً. وردَّ كلام الشعب إلى الربّ. ثمّ أمر كلّ المحلّة أن يتطهّروا ويستعدّوا لليوم الثالث. وكان اليوم الخمسين من خروجهم من مصر. فلمّا أصبحوا في اليوم الثالث صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدّاً. ففزع كلّ الشعب الذي في المحلّة. وأخرج موسى الشعب الذي في المحلّة للقاء الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان طور سينا كلّهُ يدخّن من أجل أنّ الربّ هبط عليهِ بالنار وكان الدخان يصعد منهُ كدخان الأتون. وكان الجبل كلّهُ مخوفاً جدّاً وصوت البوق يقوى جدّاً ويشتدّ. وموسى يتكلّم والله يجيبهُ بالصوت*

فهبط الرب على طور سينا إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى راس الجبل. فصعد موسى. ثمّ نزل إلى الشعب وحكاهم. ومكث الشعب في أسفل الجبل. ودنا موسى وهارون وحدهما بالقرب من السحابة وأخذ ملاك الربّ يعلن بصوتٍ جهير واضح وصايا الله العشر. ففزع الشعب فزعاً شديداً وقالوا لموسى: كلّمنا أنت فنسمع ولا يكلّمنا الله فنموت. فوقف الشعب من بعيد وأمّا موسى فدنا من الضباب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذي كان الله فيهِ. ثمّ صعد ودخل في الغمام حيث هبط الربّ وأعطاهُ أوامرهُ ليبلّغها للشعب. فكتبها موسى وجعلها في كتاب العهد وأقام مذبحاً عند أسفل الجبل. وبينما كان شبّان بني إسرائيل يصعدون محرقات ويقرّبون الذبائح. أخذ موسى كتاب العهد وقرأَهُ على مسامع الشعب. وقد أردف الرسول بولس في هذا الصدد بقولهِ في رسالتهِ إلى العبرانيّين: لأنّ موسى إذ كلّم جميع الشعب بكلّ الوصايا على ما في التوراة. أَخذ دم عجول وتيوس مع ماءٍ وصوف قرمزيّ وزوفاً ورشَّهُ على السفر نفسهِ وعلى جميع الشعب وقال: هذا هو دم الوصيّة التي أوصاكم الله بها. ورشّ منهُ على القبّة أيضاً وعلى جميع آنية الخدمة*

وصعد مع موسى إلى الجبل يشوع وهارون وناداب وابيهود ابنا هارون وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأَوا مجد الربّ حالاً بنوع محسوس. وأقاموا هناك وقتاً ثمّ رجعوا إلى الشعب ما خلا يشوع. وارتقى موسى وحدهُ إلى قمّة الجبل. ومكث هناك أربعين نهاراً وأربعين ليلةً لا يأكل ولا يشرب. أمّا يشوع فلبث فوق الجبل في محلٍّ قريب ينتظر قدوم موسى. وأنزل الله على موسى هناك أَوامر في ما يخصّ القبّة وتابوت العهد ومائدة خبز التقدمة ومنارة الذهب ومذبح المحرقات وَوَصْف ملابس هارون وتقديسهُ ومذبح البخور وحفظ السبت* ثمّ انّ موسى عندما أعلمهُ الربّ بعصيان بني إسرائيل انحدر من الجبل وبيديهِ لوحان من حجر قد سطر الله عليهما الوصايا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العشر. ورجع معهُ يشوع الذي كان بانتظارهِ مدّة أربعين يوماً. فلمّا دنا موسى من المحلّة وأبصر العجل الذهبيّ والرقص ثار غضبهُ فرمى باللّوحين من يديهِ وكسرهما. ثمّ أخذ العجل الذي صنعوهُ وأحرقهُ بالنار وسحلهُ بالمسحل حتّى صار مثل الغبار. وذرّاهُ على وجه الماء وسقى بني إسرائيل منهُ وقاصص موسى بالموت ثلاثة آلاف رجل من المذنبين* وذهب فانطرح أمام الله طالباً الصفح منهُ عن خطيّة شعبهِ العظيمة* ثمّ انّ موسى قبل أن يصنع القبّة كان الربّ يُظهر وحيَهُ لموسى. فصنع القبّة ونصبها خارجاً عن المعسكر. وأبعدها من المحلّة وسمّاها قبّة العهد. وذلك لأن فيها وُضعت الشريعة شهادةً على معاهدة الشعب مع الله. وكان الملاك القائِم مقام الربّ يتراءى في قبّة الميعاد بشبه ابن الإنسان ملتحفاً بالغمام. ويخاطب موسى وجهاً بازاء وجهٍ كما يخاطب الصديق صديقهُ* انّ النبيّ القدّيس إذ تاق جدّاً إلى مشاهدة مجد الله. هتف قائلاً: أَرِني مجدك. فأَجابهُ الربّ انّي سوف أريك كلّ خير. وفي الغد بعد أن صعد موسى إلى جبل سينا وبيدهِ لوحا الوصايا ليكتب عليهما الربّ من جديد وصاياهُ العشر. رأى مجد الربّ إذ نزل الربّ في السحاب ووقف معهُ هناك. ودعا باسم الربّ. فلمّا جاز الربّ قدّامهُ. نادى: الربّ الربّ الاه رؤوف رحيم طويل الروح وكثير الاحسان والوفاء حافظ الرحمة إلى ألوف. غافر الذنوب والآثام والخطايا. فأسرع موسى وخرَّ ساقطاً على الأرض وسجد للربّ وأقام من جديد أربعين نهاراً وأربعين ليلةً على الجبل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا يأكل ولا يشرب. ولمّا نزل موسى من الجبل وبيدهِ لوحا الوصايا وإذا جلد وجههِ قد تجلّل بالبهاء لما شاهدهُ من مجد الربّ. فخشي هارون والشعب أن يقتربوا إليهِ. ومنذ ذلك الحين أخذ يضع موسى على وجههِ برقعاً كلّما ظهر أمام الشعب ليكلّمهم. وكان إذا دخل قدّام الربّ في قبّة العهد ليكلّمهُ ينزع البرقع حتّى يخرج. ولمّا كملت صنعة مسكن قبّة الميعاد بأَسرها وكلّ الأثاث والأواني المقدّسة طبقاً لما أَمر بهِ الرب موسى على الجبل. باركها موسى وقدّسها باحتفال. ومسح هارون وجعلهُ رئيس الأحبار وقدّسهُ وجعلهُ مقرّباً الذبائح* وفي السنة الثانية من خروج بني إسرائيل من مصر في اليوم العشرين من الشهر الثاني أعني بعد سنةٍ وعشرين يوماً من بعد وصولهم إلى جبل سينا ارتفعت الغمامة من مسكن الشهادة. فارتحل بنو إسرائيل بافواجهم من بريّة سينا. فحلّت الغمامة في برّيّة فاران. وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المديانيّ حمي موسى: انّنا مرتحلون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم ايّاهُ. هلمّ معنا فنحنُّ عليك لأنّ الرب قد وعد إسرائيل بالخير. فقال لهُ: لا أنطلق بل أنا ماض إلى أرضي ومولدي. قال: لا تتركنا لأنّك تعرف منازلنا في البرّيّة فتكون لنا دليلاً. وإذا جئتَ معنا فمهما كان من الخير الذي يُحسن بهِ الرب إلينا. نحسن بهِ إليك*

فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيّام. وتابوت عهد الرب يسبقهم مسيرة ثلاثة أيّام ليلتمس لهم مستقرّاً. وغمامة الرب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كانت حالّة عليهم في النهار إذا ارتحلوا من المعسكر. وكان موسى إذا ارتحل التابوت يقول: قم يا رب فلتتبدّد أعداؤُك ويهرب مبغضوك من قدّام وجهك. وعند حلولهِ كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات الوف اسرائيل*

ولمّا وصل عسكر بني إسرائيل حدود أرض الميعاد التي وعد بها الله آباءَهم أراد الشعب أن يجسّوا أوّلاً الأرض قبل أن يدخلوها وذلك لقلّة إيمانهم وعدم اتّكالهم على الرب ومساعدتهِ. فخوّلهم الرب طلبتهم وقال لموسى: ارسل رجالاً من رؤساء كلّ سبط كي يجسّوا أرض كنعان التي أهبها لبني إسرائيل وليفحصوا عن بلادها والشعوب الساكنين فيها. ثمّ انطلق الجواسيس ورجعوا بعد أربعين يوماً واخبروا كاذبين على موسى وهارون وكلّ جماعة إسرائيل عن فساد مناخ تلك البلاد وخصوبتها. وبالغوا الوصف عن شدّة بأس سكّانها. فرفع كلّ الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكى الشعب تلك الليلة وتذمّر جميع بني إسرائيل على موسى وهارون ولم يصغوا إلى كالب ويشوع. وكان هذان من جملة الجواسيس. فخاطبا جماعة بني إسرائيل بأسرهم وقالا: أمّا على الرب فلا تتمرّدوا. ولا ترهبوا من شعب الأرض لأنّهم خبزنا وقد زال عنهم ظلّهم. والرب معنا فلا تخشوهم. ولكنّ كل الجماعة أرادوا أن يرجموها بالحجارة. ثمّ ظهر مجد الرب على قبّة الميعاد لجميع بني إسرائيل وقال الرب لموسى: إلى متى يهينني هذا الشعب. وإلى متى لا يصدّقونني بجميع الآيات التي صنعتُ بينهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّي أضربهم بالوباء وأهلكهم وأحوّلك إلى شعبٍ أكبر وأعظم منهم. غير انّ موسى أخذ يصلّي إلى الله فصفح عنهم. ولكنّهُ لكي يظهر لكلّ الأجيال المستقبلة كم اغتاظت جودتهُ من تذمّرات بني إسرائيل وعدم اتّكالهم عليهِ سبحانهُ حكم بأن يموت كلّ الرجال الذين شاهدوا بأَعينهم ما صنعهُ الله من العجائب من أجلهم في مصر وفي البريّة قبل أن يدخلوا أرض الميعاد. حينئذٍ بدأ بنو إسرائيل يسيرون السير الطويل في البرّيّة وساروا مدّة ثمانٍ وثلاثين سنة منتقلين من مرحلة إلى أخرى. حتى مات جميع الذين حكم الله عليهم أن يموتوا في البرّيّة. وناهيك أنّ مسير بني إسرائيل هذا هو رمزٌ عن حجّ الكنيسة المقدّسة ومسير أولادها في بريّة هذا العالم. وكان عمود الغمام يسير أمام شعب الله ليلاً ونهاراً. والمنّ ما زال ينزل عليهم من السماء لقوتهم اليوميّ. وأمّا ثيابهم فلم تتخرّق ولا بليت. وأحذيتهم حُفظت جدّتها ولم يُصب أرجلهم الورم ولا أدنى جرح*

وبعد أن سار بنو إسرائيل ثلاثاً وثلاثين مرحلة وكانت السنة الأربعون من خروجهم من مصر جاءُوا إلى قادس. وفي هذا المحلّ عينهِ كان قد أرسل موسى قبل ثمانٍ وثلاثين سنة الجواسيس. وماتت مريم أخت موسى ودُفنت هناك. ولم يكن للجماعة ماء. فاجتمعوا على موسى وهارون. وخاصم القوم موسى وخاطبوهُ وقالوا: يا ليتنا توفّينا بوفاة أخوتنا قدّام الرب. فاقبل موسى وهارون من بين الجماعة إلى باب قبّة الميعاد فوقعا على وجهيهما فظهر لهما مجد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرب وكلّم موسى وقال لهُ: خذ العصا واجمع الجماعة أنت وأخوك وقولا للصخرة بحضرتهم أن تعطي ماءَها. فتخرج لهم الماء من الصخرة وتسقي الجماعة هم ومواشيهم. فأَخذ موسى العصا من قدّام الرب كما آمرهُ. وجمع موسى وهارون الجماعة أمام الصخرة وقالا لهم: اسمعوا يا عصاة هل نخرج لكم من هذهِ الصخرة ماء. ورفع موسى يدهُ وضرب الصخرة بعصاهُ مرّتين فخرج ماءٌ كثير فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب لموسى وهارون: لأنّكما لم تؤمنا بي حتّى تقدّساني بحضرة بني إسرائيل. فلذلك لا تدخلان بهذهِ الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إيّاها. وهكذا حُرم موسى وهارون من أرض الميعاد. لأنّهما عُدما الثقة بكلام الله. وذلك امّا لأنّهما خالفا أمرهُ تعالى إِذ أمرهما أن يكلّما الصخرة. أو أن يضرباها ضربةً واحدة. وأمّا لأنّهما أظهرا أمام الشعب الاندهاش والارتياب عندما تأخّر الماء أن ينبع بالضربة الأولى. وانّ حرمانهما من دخول أرض الميعاد صار رمزٌ عن ضعف قوّة ذبائح الشريعة القديمة. فانّها لم تقدر أن تفتح للبشر ملكوت السموات. وما فُتح الاّ على يد يسوع المسيح بدخولهِ إليهِ أوّلاً. وقد رمز عنهُ يشوع إِذ ادخل الإسرائيليّين أرض الميعاد بعد أن عبروا نهر الأردنّ. كما أنّ مخلّصنا أراد أن نجوز في مياه المعموذيّة قبل أن نحصل على وراثة السماء. هذا ولم يتأَخّر من أن يكمل قول الرب أوّلاً في هارون الحبر الأوّل للشريعة القديمة. فانّهُ مات على جبل حور وقُبر هناك ورثاهُ الشعب مدّة ثلاثين يوماً*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعد ذلك شرع الإسرائيليّون يقاتلون ملوك الكنعانيّين وينتصرون عليهم. وأوّل ملك انتصروا عليهِ هو عود. فسبوهُ وخرّبوا مدنهُ. وبعد زمان قليل تقمقم الشعب على الله وعلى موسى لأنّهم كرهوا بُعدَ الطرق وأجهدهم التعب في المسير. فأرسل الرب الحيّات المحرقة فلسعت الشعب فمات قومٌ كثير من إسرائيل. فجاء الشعب إلى موسى وقالوا: قد أخطأنا إذ تكلّمنا على الرب وعليك فصلِّ إلى الرب فيزيل عنّا الحيّات. فصلّى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى: اصنع لك حيّة سامّة واجعلها على عَلَم. فكلّ ملسوع يلتفت إليها يحيا. فصنع موسى حيّة من نحاس وجعلها على علم. فكان إذا لدغت حيّةٌ إنساناً والتفتَ إلى الحيّة النحاسيّة بقي حيّاً. وقد أردف الحكيم في هذا الصدد بقولهِ في الاصحاح السادس عشر العدد السابع: لأنّ الذي كان يلتفت إلى حيّة النحاس لم يُشفَ بما كان يشاهدهُ بل بك يا مخلّص الجميع. وقد فسّر لنا هذهِ الأقوال سيّدنا يسوع المسيح هو بنفسهِ كما ذكر مار يوحنا الإنجيلي في العدد الرابع عشر وما يليهِ في الاصحاح الثالث حيث قال: كما رفع موسى الحيّة في البريّة هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن البشر لكي لا يهلك كلّ من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحيوة الأبديّة*

ثمّ انّ بني إسرائيل بعد أن كسروا سيحون ملك الأموريّين وعوج ملك باسان حلّوا في أراضيهم التي وهبها موسى ميراثاً لبني جاد وبني روبين ونصف سبط منسّى. وفي نهاية السنة الأربعين من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سير بني إسرائيل في البريّة لمّا بلغوا عبر الأردنّ عندما أزمعوا على عبورهِ. كلّم الرب موسى وقال لهُ: ارقَ جبل عبريم وانظر إلى الأرض التي أعطيها لبني إسرائيل ليرثوها. وبعد أن تنظرها تنضمّ إلى قومك وتموت كما مات أخوك هارون. وقبل أن يموت موسى صنع كما أمرهُ الرب وأقام يشوع بن نون خليفةً لهُ ليسوس شعب إسرائيل. ثمّ دعا الجماعة وقصّ عليهم أوّلاً بالقول جهراً ثمّ بالتحرير مذكّراً إيّاهم كلّ إحسانات الله العجيبة التي أنعم بها عليهم. وشرح لهم من جديد الشريعة وأعلن أوامرهُ. وتألّف من هذهِ التعاليم الأخيرة السفر الخامس من أسفار التوراة. ويسمَّى في الترجمة السبعينيّة سفر تثنية الاشتراع. وقد كتبهُ النبي القدّيس وسلّمهُ إلى الكهنة ليضعوهُ بالقرب من قبّة الميعاد. وبعد أن أنشد النبيّ حسب أمر الرب مديحاً نبويّاً حاوياً خبر شعب الله بجملتهِ وتلاهُ على مسامع كلّ جماعة إسرائيل طلع موسى من عربات إلى جبل نابو إلى رأس الأكمة تلقاء ايريحا وأراهُ الرب أرض الميعاد. وقال لهُ: هذهِ الأرض التي حلفتُ لابراهيم واسحاق ويعقوب قائلاً انّي معطيها لنسلك قد أَريتك ايّاها بعينك ولكنّك إلى هناك لا تجوز* ومات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب بموجب كلمة الربّ. ودُفن في الوادي في أرض مواب مقابل بيت فعور. ولم يعلم أحدٌ من الناس قبرهُ إلى هذا اليوم. وكان عمرهُ ماية وعشرين سنة إذ مات. ولم تكلّ عيناهُ ولا ذهبت نضارتهُ* فبكى بنو إسرائيل عليهِ في عربات مواب ثلاثين يوماً. أمّا يشوع بن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نون فامتلأَ من روح الحكمة إذ وضع موسى يديهِ عليهِ. فأَطاعهُ بنو إسرائيل وعملوا كالذي أوصى الرب موسى*

ولم يقم بعد ذلك نبيّ في إسرائيل مثل موسى عرّفهُ الرب وجهاً لوجهٍ بكلّ الآيات والمعجزات التي كان مزمعاً أن يجريها على يدهِ بفرعون وبجميع عبيدهِ والأعاجيب العظيمة التي سيصنعها بحضرة بني إسرائيل منذ خروجهم من رقّ المصريّين إلى يوم استيلائهم على أرض الميعاد*

* اليوم الخامس *

مار لورنتيوس

وُلد مار لورنتيوس في مدينة البندقيّة من أبوين شريفَين. وكان يظهر عليهِ منذ صغرهِ علامة خضوع وعلوّ همّة غريبين. فانّهُ لم يكن يصرف وقتهُ باطلاً نظير رفاقهِ بالعمر. بل كان يحبّ مخاطبة العقلاء ومجالستهم والتفرّغ بأمور ذات أهميّة. ولمّا كانت أمّهُ تونّبهُ على أمرٍ ما كان يجيبها بتواضع انّهُ سيسعى في أن يصلح سلوكهُ. وكان يرغب كثيراً في أن يصير قدّيساً. وإِذ كان معتقداً انّهُ خُلق ليخدم الله على الأرض ثمّ ليملك معهُ إلى الأبد في السماء كان يوجّه أفكارهُ وأعمالهُ كلّها إلى مجدهِ تعالى* وفي السنة التاسعة عشرة من عمرهِ حدّثهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قلبهُ بأنّ ربَّهُ يدعوهُ إلى الانقطاع لخدمتهِ سبحانهُ بنوع خاصّ. فتراءَت لهُ الحكمة الإلهية بشكل امرأة محترمة بهيّة محفوفة بنور أسطع من نور الشمس. وقالت لهُ: ما بالك تطلب راحتك خارجاً عنّي. فانّ ما تبتغيهِ تجدهُ عندي. فها هو في يديك اطلبهُ منّي أنا حكمة الله واتّخذني عروساً ونصيباً لك فتملك كنزاً لا يُثَمَّن. فأَثّر فيهِ هذا الكلام بحيث شعر في نفسهِ برغبة شديدة في الانكباب بصبابة على تطلّب معرفة الله ومحبّتهِ. وكان كلّما ازداد تعبّداً ازداد ايقاناً بدعوة الله لهُ إلى الترهّب الذي لا بدّ أن يجد فيهِ كلّ الطرائق التي من شأنها أن تبلّغهُ إلى الغاية العظمى التي كان قاصدها. فاستعطى نوراً منهُ تعالى واستشار كاهناً قانونيّاً من عائلتهِ كان حكيماً فطناً. فإذ رأى هذا الكاهن الصالح ميلهُ الشديد ليصير راهباً أشار عليهِ أن يجرّب هو أوّلاً قوّتهُ معوّداً نفسهُ شيئاً فشيئاً على التقشّف. فسمع لورنتيوس كلامهُ وشرع يرقد الليل على قطَع خشب أو على الحضيض ويميت جسمهُ بأعمال التوبة منهمكاً في الرياضات الرهبانيّة. فخافت أمُّهُ أن يُتلف عافيتهُ. فحاولت صدَّهُ عن عزمهِ. وأمّا هو فهرب خفيةً إلى دير القانونيّين ليتخلّص من لجاجتها وانتظم في سلكهم. فصار يداوم على أعمال اماتة النفس وقمع جسدهِ بالاسهار الطويلة والأصوام الكثيرة. ولم يكن يذوق ماءً في غير وقت الأكل. ولمّا كان يُعْرَض عليهِ شرب شيءٍ منهُ بعلّة الحرّ الشديد أو التعب الزائد كان هذا جوابهُ: ان لم نقدر على مقاساة العطش فكيف يمكننا مكابدة النار المطهريّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان حبّهُ للتألّم يولد فيهِ صبراً جميلاً على كل الشدائد والمحن والأوجاع. وقيل انّهُ أُصيب بألَم في عنقهِ فاقتضى معالجتهُ بالقطع والكيّ. فلمّا حان وقت العمليّة جعل يقوّي قلب الحاضرين بقولهِ: ما لكم ترتعبون أَتظنّون انّ الذي قدر أن يخلّص من اللهيب الفتيان الثلاثة الذين أُلقوا في الأتون لا يقدر أن يخوّلني ما احتاج إليهِ من ثبات القلب والعزيمة. وهكذا قاسى ألم العمليّة صابراً محتملاً ولم يفهْ الاّ باسم يسوع الأقدس* وقال يوماً آخر لجرّاح كان يحزّ من لحمهِ ويدهُ ترتجف: احزز بلا خوف فشتّان ما بين محزّك والأظفار الحديديّة التي بها كانت تُخدَّش أجسام الشهداء* وحصل على درجة سامية من فضيلة التواضع. فكان يتنازل إلى أحقر الأعمال في خدمة الناس والاخوة رفقائهِ. ولم يأنف من التسوّل على الأبواب. ولم يبالِ بما يقول الناس في شأنهِ* فيوماً ما ذهب إلى بعض الأماكن ليطلب صدقة. فأَومأ إليهِ رفيقهُ قائلاً: انّ هنا يُستَهزأ بنا لا محالة. فأَجابهُ القدّيس بهدوّ: هلمّ بنا نذهب بلا خوف ونطلب الاحتقار* وأحياناً كثيرة كان يتسوّل على باب بيت أهلهِ. فكانت أمّهُ توصّي الخدّام بأن يعطوهُ خبزاً بسخاء. وكان هو لا يقبل سوى رغيفَين. ويتمنّى للمحسنين إليهِ السلام. ويذهب في سبيلهِ كغريب. فبمثل هذا وغيرهِ كان يظهر حبّهُ للتواضع ويعمل الفضائل التي تنتج منهُ* وامّا مواظبتهُ على الصلوة وحبّهُ الشديد لها فممّا يوجب التعجّب. إذ انّهُ عندما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان يصلّي كانت الدموع تهطل من عينيهِ وأحياناً كثيرة كان يغيب عن حسّهِ وخاصّةً في وقت القدّاس. ونال بالصلوة كلّ ما احتاج إليهِ من النعم لخير نفسهِ أو لخير القريب* ونُصب رغماً عنهُ رئيساً عامّاً على رهبانيّتهِ فدبّرها بحكمة فريدة وأزال منها العوائد الرديّة وأحيا فيها الرسوم والقواعد الصالحة حتى انّهُ من جرّاء ذلك اعتُبِرَ كمؤَسّس لها*

هذا وفي سنة ١٤٣٣ للمسيح اختارهُ البابا اوجانيوس الرابع اسقفاً على مدينة البندقيّة لِمَا علم من فضيلتهِ السامية. فاستعمل القدّيس ما امكنهُ من الوسائط لرفض هذهِ المرتبة السامية. حتى انّهُ حثّ رهبانهُ أن يكتبوا إلى البابا طالبين إليهِ أن يتركهُ في خلوتهِ. ولكنّ مسعاهُ ذهب عبثاً فالتزم أن يطيع. فلمّا تقلّد الأسقفيّة قام بتدبير ما يؤول إلى خير رعيّتهِ ونظام الأحوال البيعيّة واصلاح الاقليرس. وسنّ في ذلك شرائع وقوانين جليلة. وفي مدّة اسقفيّتهِ لم يغيّر شيئاً من لبسهِ وطعامهِ ومعيشتهِ وسائر أحوالهِ التي كان عليها قبلاً. وما زال مقيماً على عيشتهِ الزهديّة. ولم يستبدّ لنفسهِ بشيءٍ من مداخيل الأسقفيّة بل كان يقسّم ما فضل من نفقتهِ اليسيرة النزرة على الفقراء والمحتاجين. وربّما كان مقدار ما تصدّق بهِ على المساكين أكثر ممّا فضل من مداخيلهِ. فكان الله حينئذٍ يجازيهِ حسب نيّتهِ وييسّر لبعض المحسنين أن يمدّوهُ بما يقوم بحاجتهِ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأصابتهُ اضطهادات كثيرة أثارها عليهِ أهل الحسد والبغض فاحتملها بصبر جميل وسرور* وكان الناس ينذهلون منهُ جدّاً ويتعجّبون من حكمتهِ وحسن تدبيرهِ. ويقرّظون أفضالهُ وفضائلهُ السنيّة. فذاع صيتهُ عند القريب والبعيد. فلمّا سمع الحبر الأعظم اوجانيوس الرابع ذلك تاق إلى رؤيتهِ. فاستدعاهُ إلى روميّة. فاعتذر القدّيس واحتجّ بكبر سنّهِ وكثرة أشغالهِ. ثمّ مات اوجانيوس الرابع وارتقى بعدهُ إلى السدّة الرسوليّة البابا نيقولا الخامس. فاختارهُ بطريركاً على مدينة البندقيّة. فازداد قداسةً وفضيلةً عند ارتفاعهِ إلى هذهِ الدرجة السامية. ولم يرتخِ عزمهُ البتّة في حسن ترتيب مصالح ابرشيّتهِ*

وكان يتوق إلى الفرار من سجن هذهِ الدنيا إلى النعيم السماويّ. فاستجاب الربّ دعاءَهُ. فوقع في مرض مخطر وكان عمرهُ يومئذٍ ٧٤ سنة* فلمّا رأى خدّامهُ يهيّئون لهُ فراشاً قال لهم مضطرباً: قولوا لي ما قصدكم أن تفعلوا. أرى انّكم تضيّعون زمانكم في الفراش عبثاً. انّ ربّي مات معلَّقاً على الصليب. أفما تذكرون قول القدّيس مرتينوس عند نزاعهِ وهو انهُ ينبغي أن يموت المسحيي على الرماد ومسح الشعر. ثمّ أراد أن يضجعوهُ على التبن لا غير. وفيما كان أصدقاؤهُ يبكون وينوحون حولهُ صرخ بملء الفرح قائلاً: ها هوّذا العريس فلننطلق بسرعة للقائهِ. ثمّ رفع عينيهِ إلى السماء وقال: يا سيّدي يسوع أنا آتٍ إليك* هذا وإِذ كان فقيراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جدّاً لم يكن لهُ شيءٌ يقدر أن يتصرّف فيهِ وانّما وصيّتهُ الأخيرة التي أوصى بها الناس كانت لمجرّد حثّهم على الفضيلة* وأمر أن يدفنوهُ كباقي الرهبان في دير القدّيس جرجس. وكان باب غرفتهِ مفتوحاً للفقراء والأغنياء من دون تمييز. والقى على الجميع تعاليم شديدة التأثير. وإذ شاهد ما رسل أحد تلاميذهِ المحبوبين يبكي عليهِ. عزّاهُ بقولهِ لهُ: أنا أسبقك إلى الآخرة وأنت ستلحق بي عمّا قليل. ونجتمع كلانا في الفصح الآتي. فصحّت نبوّتهُ طبقاً لما قال* ثمّ أسلم روحهُ لربّهِ في اليوم الثامن من كانون الثاني سنة خمس وخمسين وأربعمائة وألف للمسيح* وبقي جسدهُ مدّةً غير مدفون لتقاطر الناس لمشاهدتهِ وللتبرّك منهُ. وما زال طريّاً رائقاً خالصاً من كلّ فساد. وأخيراً قُبر باحتفال وتعظيم لا مثيل لهما* أمّا الكرامات التي جرت على يدهِ في وقت رحيلهِ وبعد وفاتهِ فكثيرة العدد هذا ما عدا الآيات التي صنعها في حياتهِ من ابراء ذوي الأسقام واستخراج الشياطين من بعض الناس وغير ذلك*

* اليوم السادس *

بمبون الناسك

انّ بمبون الناسك هو أحد النسّاك الأوّلين وأقدمهم. وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أوّل أمرهِ قصد مار انطونيوس أبا الرهبان وتتلمذ لهُ. فقدّم لهُ انطونيوس بعض النصائح والمشورات اللاّئقة بالسيرة النسكيّة. فوقعت في قلبهِ أحسن موقع. واشتدَّ عزمهُ على التمسّك بها والسير بموجبها. فزهد في الدنيا متجنّباً عمَّا فيها. وانعكف على السيرة القشفيّة. فأَضحى في مدّةٍ يسيرة زاهداً فاضلاً كاملاً في السلوك النسكيّ. بل فاق من سبقهُ من النسّاك في تلك البريّة. وأخذ يجدّ محترساً دائماً على نفسهِ. وكلّما رام عملاً ما أو كلاماً تروّى فيهِ قبلاً ووجّهَ نظرهُ إلى مالهِ. وكثيراً ما كان إذا سُئل عن شيء يؤخّر جوابهُ إلى مدّة قصد التروّي فيهِ والتفكّر* وممّا تمسّك بهِ اقتداءً بمعلّمهِ مار انطونيوس فهو شغل اليد. لأنّهُ لم يكن يقضي برهةً من الزمان من دون عمل. وبذلك نجا من آفات الكسل والبطالة*

ثمّ انّهُ استأذن القدّيس المومَى إليهِ وانفرد وحدهُ في دير في الصعيد يقال لهُ دير الأكواخ وسكن فيهِ مدَّة. فذات يوم جاءت إليهِ القدّيسة ميلانيّة بمقدار عظيم من الفضّة. وسألتهُ ان يقبلهُ لقضاء حوائج الرهبان. وإذ دخلت عيلهِ وخاطبتهُ بذلك كان منشغلاً بالنسج. فلم ينظر إليها ولم يبطّل عن شغلهِ. بل قال لتلميذهِ اوريجنيس بأن يتسلّم منها النقود ويقسّمها على الأديرة المحتاجة. أمّا هي فلم تنصرف بل أحدقت بنظرها إليهِ وقالت لهُ: يا أبي المحترم اعلمْ انّني قد جئتُك بثلاثمائة وزنة من الفضّة. فلم يبالِ القدّيس بذلك. بل قال لها وهو مكِبٌّ على عملهِ: يا ابنتي انَّ ما تصدّقتِ بهِ لا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يحتاج إلى ذكر مقدارهِ وصفتهِ وجنسهِ. إن كنتِ قد قصدتِ خيراً لوجه الله سبحانهُ وتعالى الذي لم يرذل فلسَي الأرملة بل اتّخذها أعظم وأفضل هدايا الأغنياء فلا تكثري الحديث. فلمّا سمعت منهُ ذلك تركتهُ وانصرفت*

وكان قد نشأ في ذلك العصر هرطقة اريوس في بلاد مصر وفي الاسكندريّة خاصّةً. فاستدعى انطونيوس تلميذهُ بمبون إلى الاسكندرية لكي يقاوم أولئك الهراطقة فحضر ملبّياً. وأحسن في جهادهِ عن الإيمان الارثدكسيّ* وختم سيرتهُ المقدّسة بطهارة من دون مرض ولا وجع ولهُ من العمر يومئذٍ سبعون سنة* واعلم انَّ اليونان يحتفلون ذكرهُ في ١٨ تموز*

* اليوم السابع *

القدّيسة ريجينة العذراء الشهيدة

وُلدت ريجينة أي سلطانة في مدينة اليزيا في برغنديا من أعمال فرنسا سنة ٢٣٦ للمسيح. وكان والدها خابطَين في ديجور الضلالة الوثنيّة. وإذ ماتت أمّها بعد ولادتها بقليل جعل الله أن تُسلَّم بيد مُرضع مسيحيّة. فرضعت منها أيضاً حليب التقوى والديانة المسيحيّة. وتنصّرت واعتمذت. ونمت في العبادة ثمّ شمّرت لقراءة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سِيَر القدّيسين واخبارهم. ولا سيّما الشهداء الذين أُهرقت دماؤُهم لثباتهم على ديانة الحق. فتاقت إلى الاقتداء بهم. واضطرم قلبها حبّاً بيسوع المسيح فاتّخذتهُ عروساً لها ونذرت لهُ عفّتها. ثمّ انّها عرفت انّ الاختلاء أحسن واسطة لحفظ طهارتها. ولذلك أخذت تهرب من معاشرة الناس وتقضي أكثر أوقاتها منفردةً في هيكل المسيحيّين أو في منزلها. وتمسّكت تمسّكاً شديداً بالصلوة. وكانت لا تزال تسأل يسوع بشفاعة والدتهِ سلطانة العذارى أن يصون طهارتها في كلّ شائبة. فنالت من لدنهِ تعالى بصلواتها الكثيرة المتواصلة أن تبقى دائماً عذراء عفيفة. مع انّهُ تعرّض لخطبتها كثيرون من الأشراف والمُؤسِرين*

وكان أبوها لا يزال يقاومها ويسعى في جذبها إلى عبادة الأصنام. واستعمل لذلك أوّلاً الملاطفة ثمّ التهديدات الشديدة المرعبة. وأخيراً استدعاها يوماً إلى حجرتهِ وقال لها وهو مغتاظ: انظري لنفسكِ أيّ الأمرين تختارين امَّا أن تكوني لديَّ ابنة طائعة فتعبدي إلهي وامّا أن أعاملكِ بالقساوة والاغتصاب. ولمّا رأى أن وعيدهُ لم يؤثّر فيها بل استمرّت ثابتةً على عزمها اندفع يضربها بشراسة وحشيّة. وفي تلك الأثناء اجتاز في المدينة اولبريوس حاكم المملكة وكان وثنيّاً وقد أتى لاضطهاد النصارى. فأخبروهُ بما كان يُعامل الاب المذكور ابنتهُ وبالغوا لهُ في وصفهم عن جمالها وبقيّة صفاتها الحسنة وشوّقوهُ ليتّخذها لهُ زوجة. فأحضرها بين يديهِ. فلمّا رآها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تسلّط الهوى على قلبهِ وبصيرتهِ فأُغرم بها وعزم أن يتزوّجها. فاقبل يستميلها إليهِ بمزيد الملاطفة والهدايا النفيسة ويمدح بهاء جمالها الباهر. فسألت الله الأيد والشجاعة لمدافعتهِ. ورفضت هداياهُ ورذلت ملاطفتهُ ومواعيدهُ. فأَحضرها ثانيةً في الغد وشرع يقول لها: أفأنتِ من تبّاع ذلك الجليليّ. وعنى بالجليليّ عن ربّنا يسوع المسيح الذي كان من الجليل. فقالت: نعم انّي من قومهِ وافتخر باسمهِ وبكوني أَمةً ذليلة لهُ. وان شئت فاحكم عليَّ بما أحببت من العذابات. فاني واثقة بعونهِ انّهُ يحفظني سالمة. فألقاها اولبريوس في السجن ورحل إلى بلاد جرمانيا. ثمّ عاد إلى اليزيا فاستدعاها إليهِ. فلمّا وقفت أمامهُ هشّ لاستقبالها وحيَّاها بكلام لطيف وقال لها: اقرّي أيّتها الفتاة بآلهة المملكة الروميّة. فانّي أشفق على عمركِ وصباكِ وارقّ لجمالك السنّي. فان سلّمتِ وسجدتِ للآلهة جعلتكِ أوّل امرأة بين النساء الشريفات في مملكتنا. ولكن أن أبيتِ ذلك وبقيتِ على تعاميكِ. أحوجتِني أن أعاملكِ شرَّ المعاملة. وأبذل كلّ ما يمكن من العذابات في تعذيبكِ. فلم يؤثّر ذلك بل قالت لهُ: انّي قد قلتُ لك قبلاً انَّ لي عريساً لا نظير لهُ في العزّ والغنى والمقدرة ومن أجلهِ وحبّاً بهِ أبتغي أن أقاسي أرهب عذاب وأذوق شرَّ ميتة. فلمّا رآها ثابتة على عزمها اشتدّ بغضاً لها. فحكم عليها بالسجن بعد أن شُدَّ حقواها بمنطقة من حديد ورُبط الزنّار في الجدار بمسامير من حديد وبقيت هكذا مدّة من الزمان. ثمّ أُحضرت إلى الحاكم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاستشاط غيظاً لشدّة ثباتها فأمر بجلدها. فجُلدت وهي تقول: يا ربّ بك رجوتُ فلن أخيب أبداً. ثمّ أمر بأن يمزَّق جسمها بأمشاط من حديد. فامتثل الشرط أمرهُ. وسال الدم من جسمها كلّهِ. حتى ان الحاضرين أجمعين انذهلوا من هذهِ القساوة. واغتمّوا على القدّيسة. واضطرّ الحاكم نفسهُ أن يغطّي وجههُ لئلاَّ يشاهد هذا المشهد المريع. ثمّ أُرجعت إلى السجن وصرفت الليل كلّهُ في الصلوة والدعاء. وعند منتصف الليل رأت صليباً عظيماً يتّصل من الأرض إلى السماء. وعلى رأس الصليب حمامة نقيّة جميلة. وسمعت هاتفاً يقول لها: السلام عليك أيّتها العذراء عروس المسيح التي يبيّن عملها صحّة اسمها. انكّ مطيَّبة بدهن اسنى الفضائل الزكيّ. أعني البتوليّة والصبر وهما يكسبانكِ الاكليل الذي ستُتَوَّجين بهِ على الدوام. وصليب آلامك يكون لكِ سُلّماً بها تصعدين إلى السماء. فازداد بذلك عزمها ثباتاً وقوّة. فلمّا كان الصباح. أخرجها اولبريوس ومدَّدها وأحاطها من هنا وهنا بمشاعل ملتهبة. فلم تضرّها النار. وأخذت تترنّم مع داود النبي قائلةً: اجترتُ بالنار وأنت يا ربّ قدتني إلى البرودة. فازداد الحاكم حدَّة واعدَّ بركةً مملوّةً ماءً بارد فنشلها من النار وزجّها في الماء سريعاً وقد قُيِّدت يداها ورجلاها. فلم تشعر بوجع البتّة. وقالت مناجية يسوع: يا ربّ فكّ هذهِ القيود لاقرّب لك قربان الشكر. فاستحال الماء إلى طلّ وتقطّعت القيود من ذاتها. وظهرت لها الحمامة التي رأَتها في الليل حاملةً اكليلاً وضعتهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على رأسها وسمعت الهاتف يبشّرها قائلاً لها: تعالي يا ريجينة واملكي السماء مع عروسكِ الحبيب. ونالي الجزاء على العذابات التي قاسيتِها بشجاعة عجيبة. فبُهت الحاضرون قاطبةً من هذهِ الأعجوبة الباهرة وكثيرٌ منهم أي نحو مائة وخمسين نفراً رفضوا في الحال عبادة الأوثان وتنصّروا. فلمّا رأى الملك ذلك خاف من تمرّد الشعب. فأَمر بقطع رأسها. فقُطع بالسيف. وطارت الملائكة بروحها إلى الخدر السماويّ. وجرى على قبرها كرامات كثيرة*

* اليوم الثامن *

ميلاد العذراء مريم

انّ الكنيسة المقدسة في عيد ميلاد العذراء تترنّم بهذهِ الكلمات الحلوة اللطيفة وهي: انّ ميلادكِ أيّتها العذراء القدّيسة امّ الله أبهج العالم لأنّهُ منكِ ظهر شمس العدل يسوع المسيح الاهنا الذي أزال اللعنة التي كنّا مصابين بها وشملنا ببركتهِ العميمة. وأباد سلطة الموت وأعطانا الحيوة الأبديّة* فمن ذا الذي والحالة هذهِ لا يحقّ لهُ أن يبتهج ويطير فؤادهُ من الفرح بميلاد هذهِ الملكة المحبوبة. فانّهُ ان كان الملاك قد بشّر زكريّا بفرح عظيم بسبب ميلاد يوحنا المعمذان الذي كان مزمعاً أن يكون ساعياً أمام المخلّص. فلا بدع أن يبتهج

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العالم بأسرهِ ابتهاجاً عظيماً في يوم ميلاد هذهِ العذراء مريم التي كان الله قد اصطفاها منذ الأزل لتكون امًّا لابن الله الحبيب الآتي لخلاص العالم الذي كان غائصاً كلّهُ في ديجور التيهِ والضلال. فلمّا أشرقت في أرض الظلمات هذهِ النجمة الباهرة. امتلأ الكون فرحاً ونوراً. لأنّهُ بها استدلّ على ظهور الشمس الإلهي. لا بل انّ الثالوث المقدّس تمجّد بميلادها. إذ هي عروس الآب وام الابن وهيكل الروح القدس. وأهل السماء قاطبةً سرّوا بميلادها البهيّ لأنّها كانت مزمعة أن تكون سلطانة وطنهم. والآباء القدماء والأنبياء معاً سُرّوا سروراً عظيماً إذ انّهم رأوا بأن قد صحّت نبوّاتهم ورموزهم وأقوالهم في شأنها. وانتعش الخطاة بها لأنّها ملجأهم ومخلّصهم. وعلى الخصوص لاق بوالديها أن يفرحوا أكثر ما يكون* وكان اسم أبي العذراء يوياقيم من مدينة الناصرة وامّها حنّة من بيت لحم. وكلاهما من قبيلة يهوذا من سلالة داود. خائفَين من الله تقيَّين محافظين على حدود الله وشريعتهِ متمسّكين بالأصوام والصلوات وأعمال البرّ ويقسّمان مقتناهما ثلاثة أقسام. الأوّل يجعلانهِ للهيكل ولخدمة الله. والثاني لقوت المساكين. والثالث لحاجتهما وحاجة أهلهما* وكانت القدّيسة حنة عاقراً ويوياقيم شيخاً ولكنّ الله جلّ جلالهُ شاء أخيراً أن تلد لهما العذراء مريم التي اصطفاها منذ الأزل لتكون امّاً للمخلّص الإلهي. ومنذ الحبل بها نذر أبواها قدّام الله أن يجعلا لهُ الثمرة التي هي مزمعة أن تظهر منهما. وأيَّدا نذرهما هذا بصدقات كثيرة وأصوام شديدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واستمرّا على هذا إلى أن حنّ الله عليهما وأرسل لهما ملاكاً واعلمهما مبشّراً انهُ تعالى قد استجاب صلواتهما وجاد عليهما بابنة. وأمرهما بأن يسمّياها مريم. وهي تكون امّاً للمسيح مخلّص العالم كلّهِ. ففرحا بهذهِ البشارة غاية الفرح وشكرا الله على ذلك. وبقيا ينتظران ظهور هذهِ الطفلة المصطفاة* وكان الحبل بها في اليوم الثامن من كانون الأوّل. فوضعتها أمّها في اليوم الثامن من ايلول. وكانت هذهِ الطفلة في غاية الحسن والجمال تفوق البشر قاطبةً جسماً ونفساً. كيف لا وقد قال الربّ في الكتاب المقدّس: كلّكِ جميلة يا حبيبتي ولطيفة وسالبة القلوب. فلا جرم انّهُ ما خلا السيّد المسيح لا يوجد من يضاهي العذراء القدّيسة في الكمال. ولا يفوقها في الحسن والبهاء الاّ خالقها كما قال القدّيس بطرس داميانوس. وقال أيضاً ماريوينيوس: ان جمالها كان فائقاً بحيث انّهُ لو لم يعلّمنا الايمان المقدّس بوحدانية الله لاحتُسِبَت الاهة. لأنّهُ لمّا كان يسوع ابن الله القدوس مُزمعاً ان يحلّ في أحشائها تسعة أشهر متّخذاً لهُ جسداً منها كان يقتضي أن يكون جسدها مناسباً لذلك بالطهر وببهاء كمالهِ ومحمود صفاتهِ. ونفسها معصومةً من الخطيَّة حتى عند الحبل بها* وكانت ملتحفة بنور النعمة والبرّ ومنذ أوّل وجودها أحبّت الله تعالى أكثر ممّا أحبّهُ أعظم أوليائهِ القدّيسين والملائكة. ومن ثمَّ كانت عند ابتداء حياتها أقدس منهم جميعاً. وقال القدّيسان ابيفانوس واوغسطينوس: انّ برّ هذهِ السيّدة لا يُوصَف. وانها حازت من الله سبحانهُ نعماً لا تُحصى لم يحصل عليها أحد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من الخلائق قطعاً*

فأيّ لسان يقدر أيّتها العذراء الطوباويّة أن يصف أوصافكِ ويعدّ محاسنكِ أنت التي صرتِ أمّاً لسيّدكِ وعروسةً لخالقكِ واستحقّيتِ أن يكون ابن الله نفسهُ ابنكِ. ان يسوع الذي لا أُمَّ لهُ في ميلادهِ الأزلي بحسب اللاهوت اتّخذكِ أنتِ بالجسد أُمّاً لهُ. ومنكِ ظهر المخلّص والفادي. انّكِ قد وُلدتِ من آدم وحواء. ولكن وُلدتِ لكي تزيلي بليّة حواء وجريمتها وتبشّرينا بانتهاء شقائنا وتعزّينا. انّكِ ابنة البشر ولكنّكِ صرتِ حقّاً ام الله أيضاً. فالسلام عليكِ أيّتها البتول المكنونة فيها كل النعم واللآلئ. لأنّهُ كلّ ما يوجد من الكائنات فهو دونكِ. وليس أرفع سموّاً منكِ سوى الله تعالى عزّ وجلّ*

فان كانت هذهِ أوصاف العذراء التي وُلدت في مثل هذا اليوم. فبأيّ ابتهاج يجب علينا أن نعيّد هذا العيد ونحتفلهُ ونعظّمهُ* انّ هذا العيد قديم وشهير في الكنيسة الكاثوليكيّة وخاصَّةً منذ عهد المجمع الافسسيّ ولكن في الأزمان المتأخّرة انتشر وكبر*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع *

القدّيس بطرس كلابر

وُلد بطرس في بلاد اسبانيا سنة ١٥٨١ وخصّصهُ أبواهُ منذ صغرهِ نذيراً لله تعالى. فنشأ في التقوى. وأظهر ميلاً شديداً إلى ما يختصّ بالله وبالروحانيّات. فكان يكثر الصلوة والتردّد إلى الكنائس وغير ذلك من أعمال العبادة. ثمّ أُرسل إلى مدينة برشلّونا ليتعلّم في مدرستها الجامعة العلوم والآداب. فصار إِماماً لرفاقهِ ومثالاً لهم في السيرة التقويّة. ثمّ انّهُ زهد في الدنيا. واختار الدخول في رهبنة اليسوعيّين. فدخل دير المبتدئين في ترّاغونة في ٧ آب سنة ١٦٠٢ وكان لهُ يومئذٍ من العمر إحدى وعشرون سنة. فانصبّ على حفظ القوانين. واقتنى في أيسر مدّة الفضائل الجليلة. ثمّ أُرسل إلى مدينة جيرونا ليدرس علم البديع والبلاغة. وبعدهُ إلى جزيرة مايرك ليدرس الفلسفة. وكان إِذ ذاك بوّاب دير مايرك الطوباوي القدّيس ردريكوس الذي كان ذكر قداستهِ ذائعاً في مملكة اسبانيا. فتعارفا هناك وجعلا يُكثران كلاهما من المفاوضات السماويّة. فكان كلابر يزداد يوماً فيوماً علماً وقداسة. واستأذن الرؤساء ليسافر إلى بلاد الهند الغربيّة. ويباشر فيها اهداء الغير المؤمنين إلى ايمان الكنيسة الكاثوليكيّة* وبعد أن درس اللاهوت ركب البحر مسافراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وذلك في سنة ١٦١٠ فوصل إلى مدينة قرطاجنة واستراح من تعب السفر قليلاً. ثمّ ذهب إلى مدينة سنتافة ودرس هناك اللاهوت أيضاً فاستفاد منهُ جدّاً وفاق الآخرين علماً كما أنّهُ كان يفوقهم فضيلة* وفي سنة ١٦١٥ رجع إلى قرطاجنة لكي يستعدّ لقبول درجة الكهنوت فتهيّأ لذلك مدّة سنة ثمّ ارتسم كاهناً. فطلب في الحال بأن يُفوَّض إليهِ أمر العبيد. وكانت قرطاجنة مشحونة بالعبيد يأتونها من سائر الجهات. فكان يوحنا يلازم المينا على الدوام في حين وصول سفن العبيد. ويلاقيهم ببشاشة وانبساط ويصلهم بهدايا نفيسة. ثمّ يدخل بهم المدينة ويشرح لهم باختصار الحقائق الدينيَّة ويهمّ بتعميذ الأطفال الذين وُلدوا لهم في الطريق. وبهذهِ بشاشتهِ واعتنائهِ بهم اجتذب قلوبهم إليهِ. فتيسّر لهُ أن يعمّذهم ويتلمذهم. فكان لا يزال يلازمهم ويشرح لهم وصايا الله وقانون الايمان ويعّدهم للمعموذيّة ويخدمهم ويعتني بأمرهم ويراقبهم ويأتيهم بما يحتاجون إليهِ. فكان في كلّ يوم أحد وعيد يقدّس لهم ويعظهم. ويحرّضهم على تناول الأسرار بعناء جزيل وهمَّة لا توصَف*

ومنّ الله عليهِ بكرامات كثيرة في خير العبيد من ذلك انّهُ جاد عليهِ بروح النبوّة. فكان ينبئُهم بما كان مزمعاً أن يصيبهم. وكان يشفي أمراضهم ويبرئ أسقامهم بصلواتهِ لمّا كانوا يلمسون ثيابهُ* وقيل أيضاً أنّهُ ردّ الحيوة إلى عدّة منهم من الذين ماتوا بغير عماذ. وفي حين موت بعض منهم كان يشيّعهم مثل أولادهِ وأعزّائهِ. ويغتمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جداً لدى مفارقتهِ إيّاهم*

وكان مع كلّ أشغالهِ الكثيرة التي يصرفها في جذب العبيد إلى الديانة المسيحيّة يلازم أيضاً غير ذلك من الأفعال الخيريّة. فكان يزور المحبوسين ويعود المرضى ويداريهم. ويدعو الخطاة والهراطقة والغير المؤمنين ويهديهم إلى طريق الحق. ويطوف في ظاهر مدينة قرطاجنة ليعظ وينذر بالحقائق الإلهية أهل الدساكر والضياع. وكان في المدينة المذكورة بيمارستان قد خرب يُعرَف ببيمارستان مار لعازر. فهمّ هو في إقامتهِ وتجديدهِ وترتيبهِ* ويوماً بلغت سفينة حربيّة إلى المدينة فيها نحو ستّمائة نفر من الانكليز قد وقعوا أسرى. فذهب بطرس لملاقاتهم وكان بينهم ارخدياقون على مذهب الانكليز البروتستانيّ فلاطفهُ القدّيس. ثمَّ ناظرهُ مدّة من الزمان. فسلّم لهُ الارخدياقون وتبع المذهب الكاثوليكيّ. وحذا حذوهُ كثير من الانكليز والهولنديين. أمّا عدد الخطاة الذين ارعووا على يدهِ وتابوا توبةً نصوحاً فيعسر استقصاؤُهُ. ففي يسير من الزمان استأصل من تلك المدينة رذائل وشروراً كثيرة كانت قد عمّت وتمكّنت في الأهالي. ولكي يرغّبهم في الثبات على الصلاح والسيرة الحسنة نال لهم من الله بصلواتهِ خيرات كثيرة دنيويّة*

وكان القدّيس مع كلّ هذهِ الأتعاب والمشقّات والأسفار التي يقاسيها غيرةً على خير القريب ومجد الله يسير سيرةً قشفيّة. فانّ قوتهُ كان مقصوراً على قليل من الخبز والماء وشيء من الأرز المغليّ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان يضعّف جسدهُ ويعذّبهُ بالجلد ولبس المسح والسهر الطويل. ومن عجيب ما ذُكر عنهُ انهُ بقي مدة أربعين سنة يقتات من الفتات الذي يسقط من الموائد. وكان فراشهُ غالباً الأرض من دون بساط أو جلد البقر. ومسند رأسهِ قرميَّة خشب. وفي كل ليلة كان يجلد نفسهُ ثلاث دفعات في أوّل اليوم وفي منتصفهِ وفي آخرهِ. فأصبح بطرس مصاباً بأَوجاع شديدة في كلّ جسمهِ. وكان مولعاً في عبادة حارَّة قلبيَّة للعذراء مريم الطوباويَّة. فيأخذ موضوعاً لخطَبهِ ومواعظهِ وصف جلالتها والبحث عن فضائِلها وذكر احساناتها إلى الناس. وكان فكرهُ يشتغل على الدوام بالتأمّل بآلام المسيح ربّنا. وشوهد غائباً عن حسّهِ عدة مرّات بسبب توغّلهِ وتعمّقهِ فيهِ. وتمسّك مدة حياتهِ كلّها التمسّك الشديد بالتواضع. فكان يقول: انّ الإنسان المتواضع يُسَرّ بالاهانات والاحتقار فيحسب نفسهُ آخر الجميع وأذلّهم ويحتمل بسرور وفرح ما يحدث لهُ من المعاكسات والمقاومات* وعثا الطاعون سنة ١٦٥٠ في قرطاجنة. فأخذ يخالط العبيد المصابين بهذا الداء ويداريهم ويخدمهم فعدا عليهِ فأدنف وتزوّد للرحيل. ولكنّهُ نقه قليلاً وبقي نحيلاً مدة أربع سنوات. ثمّ أوحى الله إليهِ بقرب وفاتهِ ولمّا كان اليوم السادس من ايلول. داهمتهُ حمّى شديدة. فأخذ الأسرار القدسيَّة مستعدّاً للرحيل من هذا العالم. فتراكمت عليهِ أهل قرطاجنة كلّها مزدحمة إلى قلاّيتهِ وشرعوا يتنازعون على أمتعتهِ اليسيرة للتبرّك. وفي اليوم الثامن من ايلول سلّم روحهُ إلى خالقهِ وذلك سنة ١٦٥٤ ولهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من العمر يومئذٍ ثلاث وسبعون سنة*

واجتمع لتشييعهِ أهل المدينة قاطبةً الخاصّ والعامّ منكسري الخاطر حزانى على فقدهم هذا الرجل الجليل الذي أسبغ عليهم الاحسانات الوافرة. وجميعهم كانوا يسمّونهُ رسول قرطاجنة وفرنسيس خاوير الثاني. إذ أَنَّ عدد العبيد الذين عمّذهم بلغ إلى زهاء أربعماية الف. وكرّم الله عبدهُ بآيات كثيرة باهرة. ثم فُتح ضريحهُ في سنة ١٦٥٧ فشوهد جسدهُ صحيحاً سالماً من كل أثر فساد*

* اليوم العاشر *

القدّيسة بلكاريّة ملكة الروم في المشرق

وُلدت بلكاريّة في مدينة القسطنطينيّة في اليوم التاسع عشر من كانون الثاني في آخر سنة من القرن الرابع. وكان والدها اركاديوس الملك ابن ثاودوسيوس الكبير وامّها افدكسيا الملكة ومات أبوها قبل بلوغها. فتولّى ارثميدوس رئيس مشورة المملكة أمر تربيتها وتهذيبها. فاظهرت بلكارية بحزمها وفضائلها استحقاقها لضبط عنان الملكة. فسلّموها المُلك إذ كان لها من العمر خمس عشرة سنة لا غير. فلمّا جلست على العرش عرفت بانّها ملتزمة باصلاح أمور الديانة في المملكة. فنبذت عنها كلّ فكرٍ دنيويّ. وعلّقت ذاتها بالله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحدهُ. فنذرت عفّتها لله عزّ وجلّ في كنيسة القسطنطينيّة بين أيدي أَطيقُس أسقف المدينة. فرغب كثيرٌ من الفتيات الشريفات في صنيع بلكارية هذا وحذونَ حذوها. وأخذن يتردّدن عندها في القصر. وكانت هي ترشدهنّ وتدبّرهنّ* وحافظت بلكارية على نذرها أشدّ محافظة إذ لم تُبح لأحد من الرجال الدخول إلى القصر سوى من كان حضورهُ ضروريّاً لسياسة المملكة. وكانت تمارس أصعب التقشّفات وتحيي جانباً كبيراً من الليل بالصلوة. وتصوم كلّ يوم. وكان جزيل اعتنائها في القيام بأمور المُلك موجّهاً إلى خير الديانة الكاثوليكيّة* فلعمري انّ مملكة الروم لم تبلغ إلى حال أشرف وأسعد من الحالة التي حصلت عليها بتدبير هذهِ القدّيسة* وبذلت جلّ اعتنائها بمساعدة الفقراء وسدّ حاجاتهم. حتّى قيل انّها استأصلت الفقر من المملكة بغزارة احسانها. فلمّا صار أخوها ثاودوسيوس ابن عشرين سنة. اتّخذتهُ شريكاً لها في المُلك. ثمّ زوّجتهُ بأتانايس ابنة لاونسيوس الفيلسوف الوثنيّ الذي من مدينة أثينا. وكانت قبلاً قد اجتذبتها إلى الايمان المسيحي وسمّتها في المعموذية افدوكسيّا. واعتنت أيضاً بتهذيب أخيها في الفضيلة والسياسة. ولم تزر ترشدهُ في تدبير المملكة على ما يقتضيهِ الدين المسيحيّ. ورغّبتهُ في الأعمال الصالحة. فانتفع الملك من إرشادها كما أظهر ذلك بالفعل* وفي تلك الأيّام أي في سنة ٤٣١ للمسيح كان قد ارتقى نسطور على كرسي بطريركيّة كنيسة القسطنطينيّة. وابتدع هرطقة في شان تجسّد المسيح زاعماً بأنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيهِ اقنومَين ونكر بأنَّ مريم العذراء هي أمّ الله. فاستعان مار قورلّس بطريرك الاسكندريّة ببلكارية لدحض نسطور وتفنيدهِ. فأظهرت غيرةً على المحافظة على الدين الصحيح وجمعت باسم أخيها ثاودوسيوس في مدينة افسس مجمعاً مسكونيّاً. وأقيم رئيساً عليهِ مار قورلّس باسم قلسطينس بابا روميّة. فحُرمت ضلالة نسطور وأقامت القديسة بلكارية تذكاراً مخلّداً لتعليم مجمع افسس ببنائها كنائس فاخرة على اسم العذراء مريم التي صرّح المجمع المذكور بكونها أم الله خلافاً لزعم نسطور وتبَّاعهِ. هذا وانّ قنديديان القوميس وزير الملك أراد عزل القدّيس فلابيانوس البطريرك القسطنطيني فجعل يزرع الحسد بينها وبين افدوكسيّا امراة الملك. فشرعت هذهِ تحثّ الملك على طرد بلكارية من البلاط حتى أصابت مرغوبها. فخرجت الملكة من القصر الملوكيّ محتملةً هذهِ الإهانة بصبر جميل. وانفردت في منزلها خارج المدينة لمجرّد الاهتمام بالرياضات الروحيّة. ثمّ بعد ذلك ندم الملك على ما فعل إذ علم بأنّ المملكة محتاجة إلى تدبيرها وشرع يلحّ على أختهِ القدّيسة طالباً إليها أن تعود إلى البلاط وتسعفهُ في سياسة المُلك. فلم ترتضِ أوّلاً بترك خلوتها ولكنّ خوفها على فساد الايمان الصحيح ألزمها بالرجوع. فلمّا دخلت المدينة استقبلها أخوها بمحبّة. فعرّفتهُ بحيَل الهراطقة المجتهدين في أن يسقطوهُ في لجّة الظلال والهلاك. ثمّ اطّلع الملك على خبث خريصافيوس فنفاهُ إلى جزيرة مات فيها مقتولاً. فلمّا استقرّ لها الملك ابتدأت من جديد تحامي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بغيرة متّقدة عن الايمان الصحيح وتقاوم التعاليم الفاسدة. فلمّا رأت شوكة المنوفسيتيّين من بعد المجمع الكاذب الملتئم في افسس قد قويت. (وهم تباع أوطاخي المعتقدون بطبيعة واحدة في المسيح) جمعت مجمعاً في خلقيدونيّة لمقاومة ضلالتهم. والتأم المجمع الذي يُقال لهُ الخلقيدوني سنة ٤٥١ في اليوم الثامن من تشرين الأوّل. وحُرم في هذا المجمع اوطاخي وديوسقورس الذي كان ناصراً لهُ*

واعلم أنهُ قبل أن مات أخوها الملك أشار عليها أن تقيم بعد موتهِ مرقيانوس ملكاً. وهذا كان معتبراً جدّاً بعبادتهِ الجزيلة وعظم شجاعتهِ في الحروب. وخبيراً بتدبير الأمور فجعلتهُ شريكاً لها في تدبير المملكة بل ارتضت أن يكون لها بعلاً بشرط أن تستمرّ عذراء حسب نذرها الذي مرّ ذكرهُ. وانّما رضيت بهذا حبّاً بمصلحة الكنيسة والمملكة معاً* ولعمري أنّها اشتهرت كثيراً بحسن تدبيرها لأنّها أبرزت قوانين كثيرة مشدَّدة وردَّت الأساقفة الكاثوليكيّين إلى كراسيّهم فضلاً عمَّا جمعت من المجامع ضدّ الهراطقة. وأثنى الباباوات جدّاً على همَّتها وغيرتها على الديانة والايمان حتى دعوها حارسة الايمان وكنّوها باسم هيلانة الجديدة. ثمّ توفّيت وفاة مقدّسة بعد أن أوصت بجميع أموالها للفقراء والمساكين وكان انقضاء حياتها البارّة في اليوم العاشر من شهر ايلول سنة ثلاث وخمسين وأربعماية. ولها من العمر تسع وستّون سنة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الحادي عشر *

القديسة ثئودورة التائبة

وُلدت ثئودورة بالاسكندريّة في زمان زينون الملك. وكانت ذات شمائِل مليحة لطيفة. فلمّا كبرت اقترنت برجل شريف واتّفقا كلاهما في الفة ومحبّة عظيمة. غير أنّ الشيطان أَغرى أحد الشبّان الخالعي العذار بأن يراودها عن نفسهِ. ولمّا لم يحصل على غايتهِ بالتمليقات والهدايا والملاطفات استعان بامرأة حيزبون. فاستعملت حِيَلها في ذلك حتى جعلت ثئودورة تذعن للتجربة فزلقت مع الشاب المذكور. وفي الحال كوى الندم والتأسّف قلب ثئودورة ولولا رحمة الله العظيمة لكادت تقع في اليأس وقطع الرجاء من شدّة الحزن. فاكتنفتها الهموم من كلّ ناحية وشغلتها الكآبة في كلّ أعمالها. فالتجأت إلى التوبة ولذلك تنكّرت بزيّ رجل. وقصدت ديراً للرهبان بقرب الاسكندريّة وطلبت الدخول فيهِ. فلمّا اختبرها الرئيس بالتجربة أدخلها الدير وعرض عليها ما صَعُبَ من القوانين. فوعدت أن تُحكم اجراءَها. ومنذ ذلك الحين تمسّكت بها أشدّ تمسّك ومارست أرذل الأعمال وأدناها مدَّة ثماني سنين. ولم يحسّ زوجها بجميع ما صنعت. فتداخلتهُ الأفكار والهموم إذ لم يمكنهُ أن يعرف ما الذي جرى منها. فأرسل الله ملاكاً إليهِ يقول لهُ بأن يذهب في الغد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صباحاً إلى كنيسة مار بطرس الرسول في الاسكندريَّة ويتفرّس بمن يشاهدهُ وكان الرئيس في ذلك النهار قد أرسل ثئودورة إلى الاسكندريّة لقضاء شغل من أشغال الدير. فلما ذهب إلى الكنيسة المذكورة وتفرّس فيمن كان عرفتهُ هي وامّا هو فلم يعرفها. فعاد إلى دارهِ. ثمّ تراءَى لهُ الملاك ثانيةً وأَمَّنهُ وقال لهُ بأنّ زوجتهُ حيّة في أحسن حال* أمّا ثئودورة فلم تكتفِ بحفظ قوانين الدير العموميّة. بل كانت تزيد عليها قوانين أخرى. فأوّل الأمر ما كانت تأكل سوى مرَّة واحدة في اليوم ثمَّ أخذت تأكل يوماً وتصوم آخر. وأخيراً رأت أن تستأذن الرئيس في أن لا تأكل الاَّ مرَّة في الأسبوع فأذن لها. غير انّها زادت على ذلك لبس مسح مؤلم جدّاً لكي تكفّر تكفيراً أتمّ عن الزلّة التي كانت قد سقطت فيها* هذا وظهرت قداستها ظهوراً أعظم ببعض آيات مكّنتها العناية الربّانية أن تفعلها. منها انّهُ كان بالقرب من الدير بحيرة يسكنها تمساح وكثيراً ما يفترس العابرين. حتى انّ حاكم مدينة الاسكندريّة التزم بأن يقيم حرَّاساً بالقرب من البحيرة ليمنعوا الناس عن المرور بها. فكان ذلك يثقل على المارّين ويضجّرهم إلى الغاية. فبلغ الحاكم خبر ثئودورة وما كانت عليهِ من سموّ الفضيلة والسيرة الملاكيّة. فأستأتاها. فأتت. فأعطاها جرَّة وأمرها بأن تجيئهُ بماء من البحيرة. فأطاعت في الحال واثقة بالله رغماً عن ممانعة الناس لها الذين كانوا يصدّونها عن أن تذهب وتخاطر بنفسها. فلما وصلت البحيرة إذا بالتمساح أخذها فوضعها على ظهرهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأتى بها الماء حتى إذا ملأت جرّتها أعادها فأنزلها عنهُ إلى الساحل من دون أن يؤذيها البتّة. ثمّ وبّختهُ القدّيسة على شدّة أضرارهِ للناس بافتراسهِ ايّاهم. فحالاً وقع ومات عند قدميها* وحدث مرّةً أخرى انّها قصدت بعض الأديرة فاجتازت بغابة كثيرة الوحوش الضاربة. فإذا بوحش تقدَّم إليها ليدلّها على الطريق. فاصطحبها حتى جاء بها إلى الدير. غير أنّهُ عند وصولهِ وثب على البوّاب ليفترسهُ فانجتهُ هي من مخاليبهِ. وإذ رأت فيهِ جروحاً دهنتها بالزيت. وفي الوقت تعافى بالكليَّة. وأمّا الوحش فمات* وكان الشيطان لا يزال يحاول إسقاطها في فخاخهِ فأَثار عليها تجارب أخرى صعبة. وذلك انّ الرئيس أرسلها يوماً بجمال إلى المدينة لتأتي بحنطة مؤونةً للدير. فجنّ الليل عليها فرقدت بمقربة جمالها لتبات هناك. فلمحتها صبيَّة قد جرّبها الشيطان فخالتها رجلاً فجاءَت إليها وراودتها على ارتكاب المنكر. وبعد زمان ولدت الصبيّة ابناً فاتّهمت ثئودورة بالجريمة. وشكوا القدّيسة عند الرئيس. وأمّا القدّيسة فلم تزكِّ نفسها وتبرّرها خوفاً من أن تُعرَف مَن هي فتُنفَى من الدير نفياً. فالتزم الرئيس أن يطردها من الدير فذهبت وعمّرت بالقرب من هناك كوخاً مسقّفاً بالقشّ فجاؤوا بالولد وسلّموه لها فقبلتهُ بلا اعتراض وأخذت تغذيهِ من حليب الغنم التي كانت ترعى في جوار الدير مدّة سبع سنوات* فلله درّ صبرها على حالها هذهِ الشقيَّة. فكانت تحتمل بلا تشكٍّ الجوع والعطش وحرّ الشمس وبرد الشتاء القارص وتصوم وتسهر كثيراً حتى انها هزلت وتشوَّه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وجهها فلم تكن تُعرَف بسهولة. ولم تُرِد الابتعاد عن الدير رجاء أن ترجع إليهِ يوماً فتختم حياتها في التوبة. فأخذ الشيطان يسعى في ردّها عن ذلك. فكان يأتي إليها تارةً بزيّ زوجها ويخاطبها ويشكو إليها حالهُ حتى تترك مكانها وتتبعهُ. وأخرى كان يأتي إليها بشياطين آخرين بشكل وحوش برّيّة وغير ذلك. وربَّما ضربوها ضرباً شديداً وتركوها في رمق يسير. وأحياناً كان يأتي إليها بذهب وفضَّة وبأطعمة لذيذة فكانت هي ثابتة العزم تزدري بحيلهِ الخبيثة* فلمّا فطن الرئيس بأنّ ثئودورة قد أَدّت توبة كافية مدّة هذهِ السنوات السبع أعادها إلى الدير. ولكن بشرط أن تبقى بلا عمل مختلية في قلاّيتها. والولد معها. فسمعها يوماً الأخوة تخاطب الولد وتقول لهُ: لقد دنا يا بُنيَّ آخر عمري فاستودعك بيد رئيس الدير. ثمّ أوصتهُ وصايا جميلة في التواضع والصوم والصلوة والمحبّة وغير ذلك. وعقيب هذا بقليل أسلمت الروح. فبادر الرهبان إلى الرئيس يخبرونهُ بما سمعوهُ ورأوهُ. وكان الله في الليلة التي سبقت موتها قد أوحى إليهِ في الحلم بحقيقة جنسها وبالمجد الذي حصلت عليهِ في السماء. وألقى الله سبحانهُ في نفس بعلها أن يأتي الدير ليشاهد قرينتهُ العزيزة قبل دفنها. ثمّ ترهّب في ذلك الدير وقضى حياتهُ في قلاّيّة امرأتهِ. ولمّا مات قُبر في جانبها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثاني عشر *

يونان النبي

انّ يونان النبي المعروف بابن أَمَاتى هو الخامس في ما بين الأنبياء الصغار. وكان من بلاد اليهود من جات حافر الكائِنة في سبط زابلون على ما جاء في سفر يشوع. وعاش في زمان يوربعام الثاني ملك إسرائيل. ويُذكَر عنهُ في الكتاب المقدّس ان الله في عهد فول ملك نينوى أمرهُ بأن يسير إلى مدينة نينوى المنهمكة في التجبُّر والدعارة ليدعوها إلى التوبة. فقال لهُ: قم انطلق إلى نينوى المدينة العظيمة وأنذرها بالتوبة فانّ شرَّها قد ارتفع أمامي. فذُعر يونان من أهوال هذهِ الرسالة ولم يمتثل أمر الرب بل قام ليهرب إلى ترشيش من وجه الربّ. فنزل إلى يافا وركب سفينةً ذاهبةً إلى ترشيش. فدفع كراها وانحدر إليها ليذهب بها إلى ترشيش ظانّاً انّهُ ينجو بذلك من قدّام الربّ ولكن الربّ أثار في البحر ريحاً عاصفاً وزوبعةً عظيمة حتى كادت السفينة تنكسر. فخاف الملاّحون وعجّ كلُّ واحدٍ منهم إلى الآلهة وألقوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخفّفوا عنهم. امّا يونان فنزل إلى أسفل السفينة واضطجع ونام نوماً ثقيلاً. فجاء إليهِ مقدَّم الملاّحين وقال لهُ: ما بالك نائِماً. قم فادعُ الهك. فلعلّهُ يفكّر فينا فلا نهلك. وقال بعضهم لبعض تعالوا نلقي قُرعةً لنعلم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بسبب من أقبل علينا هذا البلاء. فألقوا قُرعةً فوقعت القرعة على يونان. فقالوا لهُ: اخبرنا لأيّ سبب إصابتنا هذهِ المصيبة وما عملك. ومن أين أتيت وما هي أرضك. ومن أيّ شعب أنت. فقال لهم: أنا عبرانيّ. واتّقي الربّ الاه السماء الذي صنع البحر والبرّ. فخاف الرجال خوفاً عظيماً وقالوا لهُ: ما الذي فعلت حتى انَّك جلبتَ غضب الإله عليك. فأخبرهم بما جرى لهُ. ولمّا علموا أنّهُ هارب من أمام وجه الرب قالوا لهُ: ماذا نصنع بك حتى يسكن البحر عنّا. لأنّ البحر كان يزداد اضطراباً. فقال لهم: احملوني والقوني في البحر فيسكن البحر عنكم. لأنّي أعلم بأنّ هذا النؤ العظيم انَّما صار عليكم من أجلي. فجعل الرجال يقذفون بشدّة ليرجعوا بالمركب إلى البرّ فلم يقدروا. لأنّ البحر كان يزداد اضطراباً عليهم. فصرخوا إلى الربّ وقالوا: نسألك يا ربّ أن لا نهلك لأجل نفس هذا الرجل ولا تجعل علينا دماً بريّاً لأنّك يا رب فعلت كما شئتَ. وحملوا يونان وزجّوهُ في البحر. فهدأ البحر من هيجانهِ. فخاف ذلك القوم خوفاً شديداً من الربّ. وذبحوا ذبيحةً لهُ تعالى ونذروا نذوراً*

وهيّأَ الربّ حوتاً عظيماً فابتلع يونان. فصار يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. فصلّى يونان من الحوت إلى الربّ الاههِ وقال: دعوت الربّ في شدَّتي. فاجابني. صرخت من جوف الهاوية. فسمعتَ صوتي. لأنَّك طرحتَني في العمق في قلب البحار فأحاط بي النهر. جميع تَيّاراتك ولججك جازت عليّ. فقلتُ أين قد طُردتُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عن عينك ولكنّي سأعود أنظر إلى هيكل قُدسكَ. قد اكتنفتني المياه إلى النفس والغمرُ أحدق بي. والتفّ الطحلَب براسي. نزلتُ إلى أسافل الجبال وأغلقت الأرض أقفالها عليَّ إلى الأبد. ثمَّ أصعدت حياتي من الوهدة أيها الربّ الهي. فلمّا انتهى يونان من صلاتهِ أمر الربّ الحوت فقذفهُ إلى اليَبَس* وقال الربّ ثانيةً ليونان: قم انطلق إلى نينوى المدينة العظيمة ونادِ فيها مناداةً أنا أقولها لك. فقام يونان وانطلق إلى نينوى حسب قول الربّ. وكانت نينوى مدينةً عظيمةً جدّاً مسيرة ثلاثة أيام. فدخل يونان المدينة وشرع ينادي ويقول: من الآن إلى أربعين يوماً تُخسَف نينوى* فآمن أهل نينوى بالله وفرضوا صوماً ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الحديثُ ملك نينوى. فقام عن كرسيّهِ ونزع رداءَهُ عنهُ وتردّى بمسحٍ. وجلس على الرماد ثمَّ نادى المنادي في نينوى من فم الملك وعظمائهِ وقال: لا تُطعَم الناس ولا البهائِم ولا البقر ولا الغنم شيئاً ولا يرعوا ولا يشربوا ماءً. بل لتتغطَّ الناس بالمسوح وليصرخوا إلى الله بشدّة ويرجع كلّ إنسان عن طريقهِ الرديئة وعن الظلم الذي في يديهِ لعلّ الله يصفح عنّا ولا يهلكنا. فرأى الله أعمالهم وانّهم تابوا عن سيرتهم الخبيثة فعفا عن الشرّ الذي قال ان يصنعهُ بهم. فلم يصنعهُ. فاغتمَّ يونان غمّاً شديداً واغتاظ. وصلَّى إلى الربّ وقال: يا أيّها الربّ أليس هذا كلامي وأنا بعد في بلدي. لذلك أسرعتُ هارباً إلى ترشيش لأنّي علمتُ انّك الاه رأُوف رحيم طويل الاناة كثير الرحمة. فالآن أيّها الربّ اقبض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

روحي منّي لأنَّ الممات لي أَصلح من الحيوة. فقال الرب: هل اغتظتَ بالصواب. ولم يجبهُ بغير هذهِ الكلمة* وخرج يونان من المدينة وجلس شرقيّها على رابية ريثما يرى ماذا يصيب المدينة وانَّ الربّ الإله هيَّا عَشَقَةً فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسهِ لكي يفرّج عنهُ كربهُ. ففرح يونان من أجل العشقة فرحاً عظيماً. ثمَّ أعدَّ الله دودةً عند طلوع الفجر في الغد فضربت العشقة فيبست. فلمّا طلعت الشمس أعدَّ الله ريحاً سموماً حارَّة فضربت الشمس على راس يونان فذبل. فطلب لنفسهِ الموت وقال: موتي خير من حياتي. فقال الله لهُ: هل اغتظت بالصواب من أجل العَشَقة. فقال: لقد اغتظتُ جدّاً حتَّى الموت. فقال الربّ: أنت أشفقت على عَشَقة لم تتعب فيها ولا ربّيتها. بنت ليلة طلعت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس لا يعرف أحدهم يمينهُ من شمالهِ وبهائِم كثيرة*

هذا وبحسب الظاهر انَّ يونان النبي بعد أن قضى رسالتهُ سمع الرب لصلاتهِ. فنقلهُ من هذهِ دار الفناء إلى البقاء وسلّم إليهِ أجرتهُ عاجلاً. واما مماتهُ فليس بمحقّق. فمن الشرقيّين من يزعمون انّهُ مات ودُفن في مدينة جات حافا في اليهوديَّة. فأقام إسلام ذلك البلد على قبرهِ جامعاً. ومنهم من يظنّون أنّهُ قبر في نينوى نفسها وبعد ذلك استولى المسلمون على قبرهِ وبنوا عليهِ جامعاً أيضاً في قرية بالقرب من الموصل تُدعى الآن باسمهِ أي بالنبي يونس*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واعلم ان الكنيسة المقدسة تؤدّي اكراماً خصوصيّاً لهذا النبي القدّيس والداعي هو انّهُ من جملة الرموز العجيبة عن السيد المسيح الذي باختيارهِ سلّم نفسهُ للموت من أجل خلاص العالم وبعدما مكث في القبر ثلاثة أيام خرج منهُ عزيزاً مجيداً*

* اليوم الثالث عشر *

ايملدة الطوباويّة

كانت ايملدة من رهبانيّة مار عبد الأحد متَّصفة منذ صغرها بالحلم وخوف الله والطهارة وخاصّةً بالمحبَّة لعريس العذارى يسوع المسيح. ومن ذلك نتج أنّ أهل الأخويات اعتادوا أن يعرضوها مثالاً وقدوةً للفتيات الراغبات في الفضيلة ولا سيّما في أوان استعدادهنَّ للتناول الأوّل* ولمّا كان لايملدة اثنتا عشر سنة من العمر. بلغت من المحبّة الإلهيّة أقصى درجة. وقرنت الطهارة والنقاوة البليغة بهذهِ المحبَّة الجزيلة*

وهذهِ الفتاة المغبوطة كانت من بيتٍ يُعرَف ببيت لمبرتيني في بولونيا* ومنذ نعومة أظفارها أظهرت ميلاً شديداً إلى الرصانة وخوف الله بحيث انّ الناس قاطبةً كانوا يتعجّبون منها. وشوهدت في طفوليتها مبتعدةً من جميع ملاعب الصبيّات وملاهيهنَّ جاعلةً معظم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لذّتها في التلفّظ باسمَي يسوع ومريم. وصنعت لها مصلًّى صغيراً تُكثر فيهِ الصلوات والأناشيد التقويّة. فلمّا بلغت السنة العاشرة من العمر. عزمت أن تترك الناس وتختلي بحبيبها يسوع. ورغبت في الطاعة والعفّة والفقر. فاستأذنت أهلها وذهبت إلى دير مريم المجدليّة في قرب بولونيا ولبست ثوب رهبنة مار عبد الأحد وأقامت هناك ريثما تفحص عن دعوتها وتنذر النذور. ومع صغرها أضحت الأولى بين الراهبات حافظةً القوانين الرهبانيّة بكلّ اتقان وعادلت بتوبتها وتقشّفها الخاطئات التائبات المشهورات في التواريخ. وكانت تشتهي أن تموت شهيدة من أجل يسوع. ولم تزل مُدمنةً على الصلوة قامعةً جسدها بالجلد وسائر التقشّفات. وكان لها عبادة خصوصيّة لمريم العذراء وللقربان المقدّس ولذلك كانت تقضي ساعات طويلة في الكنائس جاثيةً قدَّام المذبح. وكانت يوميّاً عند استماعها القدّاس تستغرق في بحر التأمّل في محبَّة يسوع الموجود في السرّ المقدَّس مظهرةً غزارة حبّها بالدموع الحارّة الغير المنقطعة واختطافها. وعندما كانت تشاهد رفيقاتها الراهبات يتقدّمنَ إلى التناول وهي لا يُباح لها ذلك لصغر سنّها كانت تهيج أشواقها ويزداد بكاؤُها وتضطرم شوقاً لهُ. الاّ انّ الله الذي وعد بالمحبّة الغزيرة لمن يحبّهُ لم يبطئ في مجازاتها وابلاغها منيتها. وذلك انّهُ إذ كان اليوم الثاني عشر من أيار الواقع فيهِ عيد الصعود سنة ١٣٣٣ ورأت رفيقاتها يقتربن لتناول يسوع المسيح في القربان المقدّس. أَخذت تذرف الدموع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتنتحب لأنّها وحدها بقيت بدون تناول جسد الرب الذي كان قلبها ملتهباً بحبّهِ. وصارت ترفع صلواتها وطلباتها إلى السماء وقد ضمَّت يديها إلى صدرها كانَّها ترجو بذلك أن تهمّد اضطراب خفقان قلبها. وكان في يدها صورة يسوع المسيح فشرعت تناجيهِ بهيام وشوق عظيمَين طالبةً إليهِ أن يأتيها ويأوي عندها أو يجتذب نفسها إليهِ. وكرَّرت الدعاء وهي تقول: ما الذي يطيب لك إذاً يا ملكي أَأَن تحترق وتذوب أَمَتُك على الدوام بتشوّقات لا تنتفع منها؟ أَلا أصفح يا يسوع عن جراءتي. ليت شعري ترى ما الذي يجعلني مرفوضة غير مستجابة لديك. هل أنا وحدي أُحرَم من أن أضعك على شفتيَّ واضمّك إلى فؤادي. فلماذا أنا وحدي أبقى بعيدةً عن مائدتك العرسية. أيقال لصغري. ولكن ألستَ أنت الذي قلت لتلاميذك: دعوا الصبيان يأتوا إليَّ: أفيمكن أن يكون صغري حجَّةً كافية لمنعي عن تناولك. والاَّ فعبَثاً تكون أنت قد صرت طفلاً وصبيّاً ان كان الصغر حجَّة لعدم مجيئك إلى الذين مثلي مع ما هم عليهِ من الشوق إليك. ثمّ أضافت إلى كلامها هذا والدموع تنسجم من عينيها انسجاماً وقالت: اعطِني من هذا الخبز الذي تتوق إليهِ نفسي. والاّ فأموت فتعال إذاً تعال يا يسوع والاّ فاعطني جناح الحمام لأطير فاسكن فيك. وبينما هي على تلك الحال من البكاء والصلوة إذا بالجوهرة المقدّسة طارت من على المذبح وصعدت ترفرف في الهواء وأتت ووقعت عند جبهتها. فبُهتت الراهبات وعجبنَ لذلك. ولم يجترئن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أوّلاً على تصديقهِ أعينهنّ لو لم تلبث الأعجوبة مدَّة طويلة. وضاءت الكنيسة كلّها بنور سماويّ. وفاحت رائحة ذكيَّة. فلمّا أُعلم بذلك معلّم اعتراف ايملدة أسرع وجاء بالصينيّة ووضع الجوهرة المقدسة عليها وناولها إيّاها. فحصلت ايملدة على منيتها واستغرقت في تأمّلات المحبّة الإلهيَّة فأحدقت إليها الراهبات بأعينهنّ منذهلات من اختطافها عن الحسّ. وفي الآخر إذ رأينَها لا تتحرّك ولا تعطي أدنى علامة دنون منها وشرعنَ ينادينها ويأمرنها بالنهوض فليس من يسمع. فكرّرنَ الأمر عليها ثم مَدَدنَ أيديهنّ عليها فإذا هي مائتة. فيا للعجب من هذهِ الميتة التي لم تنشأ فيها إلاّ عن المحبة الإلهية وهي بعد في عمر الاثنتي عشرة سنة فقط*

* اليوم الرابع عشر *

ارتفاع الصليب المقدّس

اعلم انّهُ في عهد هِرقَل الأوّل سلطان المشرق (٦١٠ ـ ٦٤١) توجّه كسرى الثاني ملك الفرس (٥٩٠ ـ ٦٢٨) إلى بلاد الشام وزحف إلى مدينة اورشليم ففتحها ونهبها وأحرقها ثمّ رجع بزكريّا بطريركها. وممّا يُرثى لهُ رثاء أعظم في هذا السلب هو غضبهُ الجزء الأكبر من صليب سيّدنا يسوع المسيح. وكان هذا الصليب قد اكتشفت عليهِ الملكة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هيلانه امّ الملك قسطنطين ووضعتهُ في كنيسة بَنَتْها* فتأسّف لذلك هرقل كثيراً ولم يستطع أن يفعل شيئاً. لأنّهُ كان عالماً بانحطاط جيشهِ وعدم قوّتهِ. فرأى أن يطلب المهادنة من الملك كسرى. فما عدا ان كسرى عتا وأبى الهدنة بلغ بهِ العتوّ إلى أنّهُ طلب من هرقل أن ينكر دين المسيح ان شاء المهادنة. فرفض هرقل ذلك رفضاً وأخذتهُ الحميّة والغيرة وأخذ يتوسّل إلى الله طالباً العون من كرمهِ وجودهِ. وهيَّأَ جيشاً من الشبّان وأرسل إلى كسرى يخبرهُ بقرب محاربتهِ ايّاهُ. ثمّ سار بجيشهِ إلى بلاد الفرس ليدافعهُ ويحاربهُ وهو ملتجٍ بالله وواثقٌ بهِ. ومعهُ صورة السيّد المسيح للدلالة على ثقتهِ بالله عزَّ وجلَّ وبقدّيسيهِ واصفيائهِ. فدخل بلاد فارس وقاتل كسرى. ولم ينكفّ حتى كسر جيشهُ. فأرسل كسرى جيشاً آخر أقوى من الأوّل. فلمّا صارت المناوشة والمقاتلة بينهم أخذ يتوسّل هرقل طالباً من الله العون بحرارة. فاستجابهُ تعالى إذ أنّهُ أرسل في الحال برداً وأمطاراً تلاطم وتصدم وجوه جيش الفرس. فولّوا منهزمين* غير انّ كسرى لم يفشل. بل جهَّز جيشاً ثالثاً لمدافعة هرقل وجعل المتوكّل عليهِ وازاتين. فانكسر هذا الجيش أيضاً وغُلِب. فجزع من ذلك كسرى أشدّ الجزع وارتخت عزائمهُ وفترت همّتهُ ويئس. فكرّ القهقرى منهزماً وعبر الدجلة وجعل في مكانهِ ابنهُ الثاني غير ملتفت إلى تولية ابنهِ الأوّل سيرواس مع انّهُ كان كفؤاً للسياسة خيراً من الآخر. فشقَّ ذلك على سيرواس. فحنق على أخيهِ وعزم على إبادتهِ بالمرَّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واختطاف المملكة من يدهِ. ثمّ قبض على أبيهِ وأودعهُ في السجن فمات فيهِ من شدّة ما لاقى من العذاب والجوع. وبعد ذلك أرسل وصالح هرقل ملك الروم متعهّداً بشروط جمَّة أخصّها إعادة الصليب المقدّس الذي بقي في بلاد فارس مدَّة أربع عشرة سنة. وإطلاق البطريرك زكريا وجميع الأَسرى المسيحيّين. فشكر هرقل الله على ذلك وعلى انتصارهِ ولكي يظهر شكرانهُ لله أحسن ما يكون عاد إلى أورشليم بالصليب المقدّس. فدخل بهِ المدينة حاملاً إيّاهُ على كتفهِ وهو موشّحٌ بأفخر ثيابهِ الملوكيَّة* فمن ذا الذي يقدر أن يصف الابتهاج والاكرام اللّذين بهما استقبل المسيحيّون ذلك العود المبارك الذي بهِ ظفر ابن الله بالخطيئة وخلّص العالم وبهِ غلب المؤمنون أقوى أعدائهم الأَلداء. فاجتمع من كلّ نواحي بلاد فلسطين أَقوامٌ كثيرون وخرجوا مع جميع الاكليريكيّين لاستقبال الراية الخلاصيّة باحتفال جليل. فحدث في تلك الأثناء أعجوبة باهرة. وذلك انَّ الملك لمّا بلغ الباب الذي يؤدّي إلى جبل الجلجلة شعر بما يمنعهُ عن المسير إلى ما قدَّام ولو خطوة واحدة. فتحيّر هو والذين معهُ. وفيما هم مفكّرون في ما هو السبب لهذهِ الآية قال زكريا البطريرك للملك: حذارِ أيّها الملك لعلّ السبب الذي هو كونك متسربلاً بالأثواب الفاخرة. لأنّها لا تشبه الحالة التي كان عليها يسوع المسيح من الفقر والاتّضاع حينما حمل هذا الصليب المقدّس. ففي الحال خلع الملكحلَّتهُ الملوكيَّة ولبس ثوباً اعتياديّاً ومشى حافياً ورفع ما كان في رأسهِ وحمل الصليب المكرَّم ثانيةً وابتدأ بالمشي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حينئذٍ بكلّ سهولة إلى الجبل. ولمّا انتهى إليهِ وضعهُ في مكانهِ. وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول سنة ٦٢٩ للمسيح. وحدث وقتئذٍ عجائب كثيرة وهي انّهُ عاد ميّت إلى الحيوة. وشُفيَ أربعة مقعدين. ونال البصر خمسة عشر أعمى. وتطهّر عشرة من البرص. وكثيرٌ من الذين بهم مَسٌّ خلصوا منهُ ومن المرضى تعافوا*

وناهيك انّ الصليب لا يزال مرتفعاً أمام أعيننا في الكنائس وغيرها لا بل مصوَّراً في عقولنا روحيّاً. فلنرفع نظرنا إليهِ بحسن الايمان وعظيم الاتّكال فتُشفى للوقت كلّ جراحاتنا وأمراضنا. لأنَّ المسيح لهُ المجد قد قال: كما رفع موسى الحيَّة في البرّيَّة ينبغي أن يُرفَع ابن البشر لكي لا يهلك كلّ من يؤمن بهِ. بل تكون لهُ الحيوة الأبديَّة (يوحنا ٣ ـ ١٤)*

* اليوم الخامس عشر *

مار يوحنا الناسك الملقَّب بالزَّوْن

انّ القدّيس يوحنا وُلد في مصر السفلى ولُقّب بالزَّوْن أي الرجل القصير لقصر قامتهِ. وكان من أفاضل النسّاك في برّيّة مصر ومشاهيرهم. وعاش مختلياً مع أحد أخوتهِ في برّيّة الاسقيط. وتتلمذ لأحد النسّاك المشهورين فأخذ يُفرغ كلّ وسعهِ لاكتساب معرفة نفسهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والانتصار على أَهوائهِ. واستعان لذلك بإماتة النفس الشديدة والتواضع البليغ اللذين هما أساس الكمال والزهد. فارتقى في زمان قليل قريب إلى أسنى مراتب الكمال* وممّا يدلُّ على كمال طاعتهِ وسهولة انقيادهِ أنّهُ أوّل ما تشمّر للسيرة النسكيّة أمرهُ معلّمهُ بأن يغرس عصاهُ في الأرض ويسقيها كلّ يوم إلى أن تثمر. فأطاع إراديّاً ولم يكن يعمل شيئاً البتّة بمقتضى عقلهِ لأنّهُ كان يعرف انّ من أطاع الرئيس أطاع الله الذي أقامهُ. ولذلك رغماً من بعد الماء عن محلّهِ لم يكفّ عن سقيها والاهتمام بها مدّة ثلاث سنين من دون اشمئزاز ولا تضجّر. فتأصّلت في الأرض وأثمرت. فجنى من الثمر معلّمهُ وجاء بهِ إلى الكنيسة إذ كان جميع النسّاك حاضرين. فعرض عليهم الثمرة وقال لهم: خذوا كلوا من ثمرة الطاعة*

وحدَّث الآباء القدّيسون عنهُ قالوا انّهُ كان يشتغل بالحصاد في كلّ سنة. وعند رجوعهِ إلى النسّاك أخوتهِ كان يزور الشيوخ منهم أوَّلاً فيسلّم عليهم ويصلّي معهم ثمّ يلازم صومعتهُ ويختلي فيها مليّاً من الزمان حافظاً السكوت متفرّغاً للصلوات والقراءات والتأمّل في الكتاب المقدّس عاملاً باليد دون أن يسمح لأحدٍ بالدخول عليهِ. وكان في تلك الأثناء يضاعف أصوامهُ ويقول: في وقت الحصاد آكل الخبز وأشبع لأجل الشغل والتعب. أمّا الآن فأنا مستريح في زاويتي فعليَّ أن أُلحِقَ بأصوامي أصواماً أُخر استدراكاً لما قد تغافلتُ عنهُ في السابق. ولمّا سأَلهُ بعض الأخوة عن سبب قناعتهِ هذهِ أجابهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قائِلاً: انّ دانيال النبي قال لم آكل طعاماً ما دمتُ في شهوتي* هذا وانّهُ كان يتجنّب كلّ التجنّب من أخطار السقوط في النقائِص والزّلل. ومن ذلك انّهُ إذ كان يوماً مشغولاً بشغلهِ مرّ بهِ بعض الناس. فشنَّعوا عليهِ وأهانوهُ شرّ الاهانات. فنهض يوحنّا وترك شغلهُ. وولّى هارباً لئلاّ يهيج فيغضب. أمّا ما حملهُ على التحفّظ على نفسهِ هكذا فهو الحلم والوداعة والصبر والتواضع البليغ. وبناءً على ذلك كان يقول دائماً: انّ باب الملكوت مفتوح ولكن أصفياء الله لا يلجوهُ إلاّ باحتمال الإهانات والعذابات بصبر وسرور* وفي مدَّة إقامتهِ في تلك البرّيّة لم يقضِ ساعةً من الزمان دون عمل يؤول إلى خلاص نفسهِ. وكان يصرف أفكارهُ ويوجّه همّتهُ في الغاية العظمى التي هي وحدها ضروريّة للإنسان. فيثابر على البلوغ إليها بشغل اليد والصلوة وأعمال التوبة مبتعداً عن أخبار الدنيا وحوادثها. ولمّا وقع يوماً بصرهُ على أخٍ يضحك بكى لذلك وقال للحاضرين: ما بال هذا الأخ يضحك ونحن لنا أسباب كثيرة للنوح والبكاء* وقد بلغنا شيءٌ حَسَن من الحكمة البديعة التي كان هذا القدّيس يُكثر في تذكرتها في شأن السيرة النسكيّة. ومن جملة ذلك انّهُ لمّا دنا يوحنّا من الموت حضر إليهِ الرهبان وسأَلوهُ ان يترك لهم وصيَّة روحيَّة تفيدهم. فقال لهم وهو يتنهّد: انني لم أتبع قطّ إرادتي ولم أعلّم أحداً عملاً ما لم أكن قد سبقتُ أنا وعملتهُ* ثمّ توفّي بسرور وبهجة نحو أوائل القرن الخامس للمسيح ونرى ذكرهُ مسطوراً في سنكسارات كثيرة للكنائس الشرقيّة والغربيّة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السادس عشر *

مار قبريانس أسقف قرطاجنة الشهيد

انّ قبريانس وُلد في افريقيا. وكان من أشراف المملكة في قرطاجنة. ودرس الفلسفة والبيان برغبة ونشاط وبَرِع فيهما حتى أضحى أفضل المعلّمين. وكان لهُ صديق قسّيس اسمهُ كيكيليوس الذي تمكّن من جذبهِ إلى الديانة المسيحيّة وتعمّذ. ودُعي في العماذ كيكيليوس قبريانس شكراً لهُ على إحسانهِ لهُ: ولمّا شاع خبر ذلك عند الوثنيّين حزنوا وفرح المسيحيّون فرحاً لعلمهم بفضل المومى إليهِ وحذاقة عقلهِ. ثمّ نذر قبريانس عفّتهُ وسلّم بيتهُ إلى كيكيليوس المذكور ليتولّى تدبيرهُ. وقسّم ما فضل من أموالهِ على الفقراء. وانصبّ على ممارسة الفضائل السامية وتعلّم التعاليم المسيحيّة واتقنها. ثمّ أُختير ليكون قسّيساً بعد عماذهِ بقليل. فلمّا مات أسقف قرطاجنة طلبهُ الاكليريكيّون والشعب بلجاجة ليرتسم أسقفاً عليهم. فإذ سمع قبريانس بذلك هرب ظانّاً أنّهُ غير مستحقّ لهذهِ الدرجة. ولمّا وقفوا على الموضع الذي اختفى فيهِ لم يزالوا مجدّين في طلبهِ إلى أن أذعن. فارتسم أسقفاً وجاد في عمل الفضائل وحُسْن التدبير وجمَعَ بين السياسة والاستقامة والغيرة والعلم. فأضحى أباً محبّاً حليماً مع الضعفاء والمتّضعين. وراعياً قويّاً متشدّداً على المتمرّدين والمتكبّرين* وكانت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

علامات البُشْر والبشاشة تلوح على وجههِ مقرونة بالمهابة التي جذبت إليهِ الشعب. فصار يؤدّي لهُ تمام الاجلال والاكرام*

وامّا أموال الكنيسة وصدقات المؤمنين فكان يوزّعها على الفقراء بسخاء وجود. وبعد عامَين من أسقفيّتهِ سمح الله لسبب تراخي المؤمنين في العبادة أن يضطهدهم داقيوس الملك. فلمّا ثار الاضطهاد جعل القديس يفكّر ما الذي يجب عليهِ أن يعملهُ: هل يقدّم نفسهُ إلى الاضطهاد أم يختفي. فرأَى (وأُشير عليهِ) انّ الهرب والاختفاء أمرٌ واجب من أجل منفعة الرعيّة. فاختفى حينئذٍ هذا الراعي مؤخِّراً استشهادهُ إلى فرصة أخرى لا تكون لشعبهِ سبباً للمضرَّة والهلاك. وكان عبَّاد الأصنام يجدُّون في البحث عليهِ ليقتلوهُ. وصاحوا أكثر من مرَّة في الملعب: ادفعوا قبريانس للسباع. ادفعوهُ إلى الأسود. وذلك رجاء انّهُ إذا فقد المؤمنون هذا المحامي الصنديد يضعف حالاً ايمانهم فينكرونهُ* امّا هو فلم يبطل في خلوتهِ عن العمل والاهتمام بصلاح جماعتهِ بما كان يكتبهُ لهم من الرسائل. وبالوكلاء الذين وضعهم في مكانهِ ليدبّروهم. وتاب أهل قرطاجنة توبةً نصوحاً. وكثيرٌ منهم هجروا الدنيا ونذروا عفّتهم لله عزّ وجلّ. وكان قبريانس لا يزال يثبّتهم في الايمان. ويشجّعهم على احتمال العذابات كلّها للمحاماة عن ديانتهم الحقيقيّة. وعيّن أشخاصاً يدفنون أجساد الشهداء في الليل سرّاً في ساعات معلومة. ثمّ سكن الاضطهاد عند موت داقيوس مثيرهُ. فعاد القدّيس إلى كنيستهِ* وبعد مدَّة وجيزة هجم البرابرة على اقليم نوميديا. وأسروا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كثيرين من المسيحيّين فوعظهم وحثّ المؤمنين على افتداء أخوة السيّد المسيح بصدقاتهم. فجمع مالاً وافراً بهِ انقذ المؤمنين من الأسر* وبعد هذهِ المصيبة أصاب افريقيا طاعون شديد. فصرف همَّتهُ في مداراة المصابين وتسليتهم. ثمّ تجدّد الاضطهاد بأمر والريانس الملك فأمر اسباسيوس عامل افريقيا باحضار قبريانس إلى محكمتهِ. فلمّا مثل بين يديهِ سأَلهُ عن ديانتهِ. فأجاب بشجاعة: أنا نصرانيّ وأسقف ولا أعرف الاّ إلهاً واحداً. وهو الذي خلق السماء والأرض. ولهُ وحدهُ نعبد وإليهِ نصلّي وندعو للملوك. وبعد محاورة طويلة حكم اسباسيوس بنفيهِ إلى مدينة صغيرة قريبة من قرطاجنة اسمها قروبة. فلبث سنة في المنفى. ولمّا عُزل اسباسيوس عن منصبهِ وخلَفَهُ غاليروس مكسيموس رجع من المنفى وسكن في بستانٍ قريب من قرطاجنة مع كثيرين من الاقليروس. واذن لهُ العامل الجديد بالرجوع إلى قرطاجنة ليحكم في أمرهِ. فرجع وأشار عليهِ قومٌ من أصحابهِ أن يبتعد عن المدينة حذراً من القتل. فلمّا رآهُ العامل وتحقَّقهُ أخذ يتهدّدهُ ويخوّفهُ ليجذبهُ إلى السجود للآلهة. فأبى. ولمّا عجز الملك عن اقناعهِ أمر بقتلهِ ففرح القدّيس وهتف قائلاً: انّي أشكر الله وأباركهُ على أنّهُ يعتقني من سجن هذا الجسد. فانطلقوا بهِ إلى ساحة فسيحة في ظاهر المدينة محتاطةٍ بشجر ودوح كثير. وتبعهُ جمٌّ غفير من المؤمنين راغبين أن يستشهدوا معهُ. فضاقت بهم الساحة على رحبها لكثرة المجتمعين* فلمّا انتهى قبريانس إلى نطع الدم جثا وصلى صلوةً حارَّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ خلع ثيابهُ الحبريَّة ودفعها إلى شمامستهِ. وأعطى خمس قطع من الذهب للجلاّد. ثمّ تقدَّم إليهِ وجثا على ركبتيهِ. وضمّ يديهِ إلى صدرهِ بشكل صليب وعرض عنقهُ فقُطع رأسهُ. وجمع المؤمنون دمهُ بمناديل. وحفظوهُ باحترام جزيل. ثمّ حملوا جسدهُ باحتفال عظيم. وذهبوا بهِ وقبروهُ في مكان لائق. وهكذا كان استشهاد القدّيس قبريانس الذي لقّبهُ القدّيس ايرونيموس بالعلاّمة الفصيح البارّ. والقدّيس اوغسطينس كنَّاهُ بالشهيد المظفَّر المجيد والعلاَّمة الفريد*

* اليوم السابع عشر *

انطباع جروح المسيح في جسم مار فرنسيس السارافي

انّ السيّد المسيح أظهر محبَّتهُ لمار فرنسيس صفيّهِ برسمهِ جروحهُ الخمسة في جسدهِ أي في يديهِ ورجليهِ وجنبهِ مجازاةً لحبّهِ الزائد لهُ. وذلك انّ فرنسيس قبل موتهِ بسنتين صعد على جبل أَلْوَرني الذي كان قد عمَّر فيهِ كنيسة وقلالي. فاختلى فيهِ ليصوم كعادتهِ في كلّ سنة إكراماً لرئيس الملائكة أربعين يوماً. وتوسّل إلى الله منذ الليلة الأولى ليظهر لهُ إرادتهُ كي يخدمهُ بهذا الصوم. فوافاهُ الله بنعمهِ الغزيرة الجليلة. فتزايدت فيهِ اللذّات السماويَّة. وصار ينخطف عن حواسّهِ ويرتفع عن الأرض. وفي عيد الصليب الواقع في اليوم الرابع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عشر من شهر ايلول إذ كان مستغرقاً في الصلوة والتأَمّل بآلام المسيح. وملتهب القلب معاً بمحبَّة يسوع سيّدنا التهاباً لا يكاد يوصف. ظهر لهُ ملاك ذو ستّة أجنحة منيرة ملتهبة. فأمعن فرنسيس النظر فيهِ. فرأَى جناحَين منها فوق رأسهِ. واثنين ممتدّين للطيران. واثنين يحجبان جسدهُ كلَّهُ. وأغرب من ذلك هو أنّ هذا الملاك ظهر بزيّ رجل مصلوب. فأثّرَتْ فيهِ هذهِ الأعجوبة كلّ التأثير. وامتزج في قلبهِ الفرح والحزن معاً لأَنَّهُ من جهة فرح فرحاً لا يُنعَت بمشاهدتهِ ساروفيًّا ظهر لهُ بأُنس بليغ ونوع غريب جدّاً. ومن أخرى حزن أمرَّ حزن لمعاينتهِ شكل يسوع مسمّراً على الصليب. فهاجت في فؤادهِ محبَّة متَّقدة لشدَّة تأمّلهِ بالجروح التي كانت فيهِ. ومالت بهِ عواطف الشوق إلى التألّم مع السيّد المسيح. وفيما كان قلبهُ يرتاح إلى ذلك ارتياحاً بليغاً شعر في نفسهِ بألمٍ شديد أصابهُ في كفّيهِ وجنبهِ وقدميهِ. فرأى جنبهُ مفتوحاً كانّهُ طُعِنَ بحربة. وفي رجليهِ ويديهِ أربعة مسامير لحميّة. واستمرّت جراحاتهُ راسخة فيهِ. حتى انّهُ كانت هيئة المسامير تظهر خارجاً. ولون المسامير كلون الحديد. وبصعوبة عظيمة كان يمشي على قدميهِ. والجرح الذي بجنبهِ كان كثيراً ما يسيل منهُ دمٌ غزير. وكان لونهُ ورديّاً. فبقيت هذهِ الجروح في جسدهِ إلى حين موتهِ أي مدَّة سنتين*

وإِذ نزل فرنسيس بعد انقضاء صومهِ من الجبل قصد أن لا يخبر أحداً بهذا الأمر. غير انّ رهبانهُ لما رأوهُ في حالة من التغيير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سألوهُ باسم المسيح عمّا جرى لهُ. فأخبرهم بالأمر بعدما شرط عليهم أن لا يقولوا لأَحدٍ شيئاً. ولكنّ الله سبحانهُ وتعالى أظهر هذهِ الجروح وأشاعها في العالم كلّهِ بعجائب كثيرة منها انّهُ فشا في اقليم رياط طاعون مهيل أتلف عدداً لا يحصى من المواشي ولم يلقوا لهُ دواء. فأُوحيَ في رؤيا إلى رجل خائف من الله أن يذهب إلى دير مار فرنسيس ويطلب ماءً استعملهُ القدّيس لغسل رجليهِ ويديهِ ويرشّهُ على المواشي المصابة. فذهب وفعل ذلك. وفي الحال تعافت البهائِم بالكلّيَّة. وبعد ما ذاق مار فرنسيس بهذهِ الجروح شيئاً من أوجاع المسيح وآلامهِ التي كابدها في موتهِ اشتدّت فيهِ الغيرة على خلاص النفوس. واحتمل بصبر جزيل وسرور عظيم جميع الإهانات والأمراض والأوجاع التي كانت تصيبهُ*

* اليوم الثامن عشر *

القديسة اوفيمية الشهيدة

انّ اوفيمية كانت من شرفاء خلقيدونيَّة وذات ملاحة وحسن بديع وشمائل نجيبة. واحتفل الوثنيّون يوماً في خلقيدونيّة عيداً لمرّيخ الاه الحرب عندهم. وذلك لكي يقفوا بسهولة على المسيحيّين فيجبروهم على عبادة الأوثان أو يقتلوهم. فأبرز الوالي بِرْسِقُس أمراً يدعو بهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جميع الأهالي إلى حضور العيد. فلمّا بلغ الخبر اوفيمية ساءَها جدّاً. وامتنعت عن الذهاب. فسُعي بها إليهِ. فأحضرها قسراً إلى المحفل مع رفيقات لها وأخذ يجبرها على تقريب القربان للوثن. فأبت قائلةً لهُ: اعلم أيّها الوالي انّنا لا نعبد إلاَّ الله الذي اخرج من العدم السماء والأرض وكل ما فيهما. ونرفض عبادة أصنامكم. فان أردتَ تعذيبنا فافعل. فنحن لا نخاف البتّة. وإذا عذّبتنا سترى أنَّنا نبتغي مكابدة عذاباتك أكثر ممّا أنت ترغب في تأليمنا. فاستشاط غضباً عليها وسلّمها للجلاّدين ليجلدوها بالسياط. فأوجعوها ضرباً وهي تُظهر سروراً عظيماً بالتألّم. ثمّ أمر فأُتي بها إليهِ وجعل يلاطفها ليجذبها إلى ميلهِ. فاجابتهُ العذراء قائلةً: انّما أنا صبيَّة ولكن لا تظنّ انّك لذلك قادرٌ أن تغويني بخداعك. فانّي لا أخشى حيلك وسأظفر بخبثك مع صغري. ويسوع مخلّصي يعينني على التخلّص من مكايدك. فازداد حنقهُ عليها وأمر فعُلّقت على عربةٍ لكي يُمزَّق جسمها. فاستعانت بحبيبها يسوع. فلم يصبها ضررٌ البتّة. بل أصبحت أكثر بهاءً. فلمّا رأى الوالي ذلك. هيّأَ أتوناً من نار وقار وكبريت وأُلقيت فيهِ. فبادرت الملائكة إلى اغاثتها وصيانتها من هذا العذاب. ولم تؤثّر فيها النار شيئاً ولا في أثوابها. فوقع الوالي في الحيرة ولم يدرِ ما شأن ذلك وهو مع ذلك لم ينكفّ عمَّا كان عليهِ من الحنق. بل اشتدّ اصراراً وعناداً. فأكثر من تعذيبها. فعلّق حجاراً ثقيلة في يديها ورجليها وطرحها في جبّ عميق فيهِ أسماك بحريّة لتأكلها. ولم يصبها أيضاً من ذلك شيءٌ أصلاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاخرجها وجعل يفكّك أعضاءها ومفاصلها واحداً واحداً بآلات حديديَّة. فلم ينكِ الحديد فيها أيضاً. فلمّا أعياهُ الأمر. أطلق عليها أربعة أُسود وثلاثة نمور فلم تتحرّك هذهِ البهائِم أيضاً لاذائها الاّ بعد أن سألت هي الله بأن يسمح بذلك وينقلها إلى خدرهِ السماوي. فدنا منها النمر وضربها ضربةً بنابهِ بدون أن يمزّقها. وكانت الأسود تلحس قدميها. فلبثت هكذا مدَّة إلى أن أسلمت روحها إلى الخالق. وفي أثناء ذلك حدثت زلزلة في ذلك المكان. فتراكض الخلق وانهزموا. وبذلك تيسّر للنصارى أن يحملوا جسدها ويقبروهُ باكرام على مسافة يسيرة من المدينة. وأجرى الله كراماتٍ كثيرة باهرة على يد القدّيسة. وأشهرها ما جرى في شان تعليم المجمع الخلقيدوني. وذلك انّهُ إذ بقي تبّاع اوطاخي وديوسقورس مصرّين على ضلالتهم رافضين تحديد المجمع الخلقيدوني. اتّفق معهم الارثدكسيّون أن يلتجئوا إلى اوفيمية الشهيدة ويطلبوا منها أن تبيّن بواضح الدليل أيَّ الفرقتين على الايمان المستقيم. فكتب كلٌّ منهما صورة ايمانهِ على قرطاس وفتحوا قبر الشهيدة ووضعوهما سويَّةً في حضنها بحضور جماعة غفيرة من الجانبين وطبقوا القبر وختموهُ. وجعلوا يصلّون. فلمّا كان اليوم الثالث فكّوا الختم وفتحوا القبر فنظروا وإذا بقرطاس أهل فرقة الايمان الارثدكسيّ الذي حدَّدهُ المجمع الخلقيدوني في يد الشهيدة. وقرطاس المنوفسيتيّين تحت رجليها للدلالة على رفضهِ. وقد حضر ذلك كثيرون من تبّاع المجمع الخلقيدوني ومن آل ديوسقورس*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع عشر *

ينواريوس ورفاقهُ الشهداء

وُلد ينواريوس في نابلي من أعمال ايطاليا في أواسط القرن الثالث ومنذ صباهُ امتاز بمحبّةٍ شديدة للقريب. وتفرّغ لاقتناء الفضائل المسيحيَّة. ولمّا بلغ السنة الخامسة والعشرين من العمر رُسم أسقفاً على بناونت باتّفاق الاقليرُس. وللوقت باشر أعمال المحبَّة العجيبة للفقراء والحزانى. حتّى انّ الوثنيّين أَنفسهم كانوا يقصدونهُ ليعرضوا عليهِ حاجاتهم. ولم يلبث في المدينة المذكورة زماناً طويلاً الاَّ وثار فيها اضطهاد شديد على النصارى. وبلغ الأسقف أوامر قاسية ضدّ رعيّتهِ. فأخذ يفتقد خرافهُ القاطنين في البراري ويعزّيهم ويقوّيهم ويساعدهم باجتهاد كلّيّ. وفي أيسر وقت بلغ إليهِ الخبر عن واحد من أصدقائهِ وأربعة من المسيحيّين بانّهم قد أُلقوا في السجن في بُتْزولس. فتوجّه إلى هناك لكي يفتقدهم في السجن ويثبّتهم في الايمان. فوُشي بهِ إلى طيمثاوس الوالي على انّهُ بسحرهِ يردّ المسيحيّين عن عبادة الآلهة. فأمر الوالي بالقبض عليهِ واحضارهِ في مدينة نولس. فلمّا أتوا بهِ أحضروهُ إليهِ وأخذ يسألهُ سؤالات شتّى عن ايمانهِ. وتهدَّدهُ كثيراً فلم ينجع فيهِ كلامهُ. بل رفض امرهُ واستمرّ ثابتاً على عزمهِ بشجاعةٍ. فاستشاط عليهِ طيمثاوس غضباً. وحكم بأن يُطرح في اتّون ملتهب. فطُرح ولم يمسَّهُ اللهيب أصلاً بل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بل أُخرج منهُ سالماً. أمّا المضطهد فنسب هذهِ المعجزة إلى قوّة السحر الشيطانيّ. ثمّ أمر بقلع أعصابهِ وطرحهُ في السجن. وإذ بلغ خبر حبسهِ فسطوس الشمّاس وديدريوس القارئ في كنيسة نباونت سافرا حالاً ليحضرا عندهُ ويخدماهُ. فلمّا وصلا إلى المدينة قُبض عليهما أيضاً وأُتي بهما أمام الحاكم. وإذ سألهما عن شأنهما أجاباهُ أنَّهما مسيحيّان ويؤدّان أن يتعذّبا مع أسقفهما ويُقتَلان من أجل السيّد المسيح. فألقاهما الحاكم في السجن بصحبة مار ينواريوس وباقي الشهداء. وفي الغد أُخرجوا جميعاً وأمر فأُطلقت عليهم الوحوش الضارية لتفترسهم. وهجمت عليهم بصولة شديدة وزئير مهيل. غير انّها لمّا دنت منهم وقفت عند أرجلهم بوداعة كالخراف وصارت تحرّك أذنابها وتلحسهم بألسنتها بأُنس. فعجب الحاضرون لهذهِ المعجزة الباهرة وأخذوا يتقمقمون. فخاف الحاكم من تعصّب الشعب. فأمر بقطع رؤوس القدّيسين في الميدان. فطلب ينواريوس من الله سبحانهُ أن يضرب الحاكم بالعمى لكي تستنير بصائر الشعب بعماهُ فعمي في الحال. فانتبه على سوء فعلهِ وتحقَّق عظم قدرة عبيد يسوع المسيح. فمنع السيَّاف عن قتلهم وقال للأسقف القدّيس: أَيا ينواريوس عابد الاله القادر على كلّ شيء. اسأل الهك ليردّ إليَّ بصري الذي عدمتهُ. ولكي يظهر ثانيةً قدرة الاله الحقّ. فصلّى القدّيس من أجل الحاكم فعاد إليهِ بصرهُ. وبهذهِ الأعجوبة تنصّر خمسة آلاف نفس من الوثنيّين. أمّا طيمثاوس فطمعاً بالشرف العالميّ وخوفاً من الملك أمر جنودهُ سرّاً بأن يقطعوا رؤوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشهداء عاجلاً. فامتثلوا أمرهُ دون امهال. فأخذ المسيحيّون أجساد الشهداء وقبروهم باحتفال عظيم. ثمّ نُقلت جثّة ينواريوس إلى نابُلي. وصار الناس يتقاطرون إلى اكرامها والتبرّك منها. ثمّ حُملت إلى بناونت. وفي القرن الخامس عشر أُعيدت إلى نابُلي. وفي يوم اعادتها إلى المدينة المذكورة زال عنها الطاعون الذي كانت مصابة بهِ منذ زمان وذلك نالتهُ نابُلي بشفاعة مار ينواريوس. ونجت أيضاً بشفاعتهِ عدَّة مرَّات ممّا يقذفهُ بلقان ويزوف الذي بقربها من الرمل والرماد والحجارة الملتهبة والسائل الكبريتيّ والملح والحجارة الكلسيَّة وموادّ أخرى محترقة. فتذكاراً لذلك وضع منذ القديم أهل نابلي عيداً محتفلاً لاكرامهِ في كلّ سنة. ومن عجيب ما يحدث في كلّ عام إلى زماننا هذا انّهُ في يوم عيدهِ يحمى دمهُ المحفوظ في قنّينة ويغلي ويروق كانّهُ جارٍ في عروقهِ. ثمّ يعود يابساً كما كان قبلاً*

* اليوم العشرون *

القدّيس اوسطاخيوس الشهيد ـ الطوباوية اورسلة بينانكازا

القديس اوسطاخيوس الشهيد

انّ اوسطاخيوس كان جنديّاً وثنيّاً. وكان يُسمَّى بلاقيدس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولهُ امرأَة وولدان وثنيّون. فمع ذلك كان ذا خصال حميدة أديباً فاضلاً رحوماً متعوّداً على عمل الخير. ثمَّ بعد انتهاء محاصرة أورشليم وخرابها رجع إلى روميّة. واتَّفق أنّهُ خرج يوماً للصيد ورأى غزالاً فلحق بأثرهِ ليدركهُ. فوقف الغزال على رأس صخرة بازائهِ فشاهد بين قرنيهِ صليباً يلمع. وعلى هذا الصليب صورة مخلّصنا يسوع المسيح وسمع صوتاً يقول لهُ: يا بلاقيدس ما بالك تضطهدني انّي أنا يسوع المسيح الذي سفكتُ دمي عنك. واروم الآن أن أخلّص نفسك. فانحطّ بلاقيدس من على فرسهِ على الأرض لشدَّة ما أصابهُ من الهول والرعبة. فلما سكن روعهُ رفع نظرهُ وقال: ما هذا الصوت الذي أنا سامعهُ. يا من كلّمتني عرّفني ذاتك لكيما أُومن بك. فلمّا عرف من هو قال: يا ربّ ماذا تريد أن أصنع. فقال لهُ الرب: ادخل المدينة. وقصّ ما جرى لك على قسيس من قسوس النصارى واعتَمِذ أنت وامرأتك وأولادك وعُد إليّ في هذا المكان وأنا أعلمك ما ينبغي أن تفعلهُ. فكمّل بلاقيدس ما أمرهُ بهِ تعالى وسُمّي بالمعموذية اوسطاخيوس فعاد إلى المكان المعيّن. وتوسّل إلى الربّ أن ينجِزَ ويُعلنَ لهُ أوامرهُ ووصاياهُ. فظهر لهُ الربّ وشجَّعهُ وقوَّاهُ ثمَّ حذَّرهُ من الشيطان ومكايدهِ وانبأَهُ بالتجارب والنوائب الشديدة التي ستنزل بهِ وأوصاهُ بالصبر والثبات ووعدهُ بأيدهِ وعونهِ. ورغَّبهُ بما سينالهُ من الجزاء العظيم في الدنيا وفي الآخرة. وختم كلامهُ قائلاً: كن أميناً فاكلّلك باكليل الاستشهاد. فعاد إلى دارهِ مسروراً. وأخبر امرأَتهُ بكل ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جرى لهُ. فقبل كلاهما هذا الإنباء بخضوع واستعدّا للتجارب واعداً ابنيهما معاً. وبينما هما سالكان منهاج الفضيلة حدث الطاعون فعثا في قطيعهِ وعبيدهِ فأبادهم قاطبةً. ثمّ عزلهُ الملك عن منصبهِ وتركهُ جميع أصحابهِ وأخوانهِ. فلما رأى أَنّهُ لم يبقَ لهُ في روميّة صديق ولا معين وقت الضيق خرج منها مع امرأتهِ وولديهِ قاصداً المشرق. وإذ هم سائرون على وجه البحر أُغرم رئيس السفينة حبّاً بامرأتهِ. فأخذ يطلب وجهاً ليخطفها منهُ. فوجد وسيلةً لذلك وهي انّهُ لمّا حان وقت النزول من المركب قصَد اوسطاخيوس وسأَلَهُ أُجرة العبور. فلم يكن للقدّيس شيءٌ يعطيهِ فأمسك امرأتهُ واحتبسها عندهُ قائلاً هي تكون بدلاً عن الأُجرة التي لي عليك. واخرجهُ من المركب مع ابنَيهِ وتركهم على الشاطئ وذهب. فشرعوا يسيرون في البريَّة مستغرقين في شدّة الحزن والكرب من جرى ذلك. إلى أن وصلوا نهراً عريضاً عميقاً. فالتزموا أن يعبروهُ. وإذ لم يقدر القدّيس أن يعبرهُ وهو حامل كلا ولديْهِ حمل أحدهما وترك الآخر على الشاطئ. فلمّا وصل بهِ إلى الجهة الأخرى من النهر وضعهُ هناك وعاد ليعبّر الآخر. وفيما هو في وسط النهر رأى أسداً اختطفهُ ودخل بهِ الغابة. ولمّا يئس منهُ عجّل بالرجوع إلى الأوّل وإذا بذئبٍ وثب عليهِ فأخذهُ أيضاً. فطفق اوسطاخيوس يعجّ ويبكي صارخاً إلى الله تعالى بصبر جميل قائلاً: الهي انّك قد أعطيتني هذين الولدَين والآن أَخذتهما منّي ليكن اسمك مباركاً. وبما انّي قد بقيتُ وحدي فدبّرني كيف شئتَ. ثمَّ دخل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قريةً تُدعى باديسا فاستخدمهُ هناك أحد الأغنياء ليفلح الأرض. واستمرَّ على تلك الحالة مدّة خمس عشرة سنة* وحدث انَّ طرايانس ملك الروم إذ رأى أَنَّهُ على خطر من قِبَل كثرة البرابرة أعداء الرومانيّين بعث في أثر بلاقيدس لما يعهدهُ فيهِ قبلاً من الشجاعة والبأس في حروب شتَّى. فجعلهُ قائداً لجيشهِ وباشر اوسطاخيوس الحرب وانتصر فيهِ. وناهيك انّ الله ينجز مواعيدهُ بالتمام ويجازي أصفياءَهُ في الدنيا والآخرة كما فعل مع اوسطاخيوس. وذلك انَّ اوسطاخيوس في مدّة الحرب إذ كان يوماً مع جيشهِ في إحدى القرى سمع بعض الجند يتفاوضون في اقتصاص ما جرى لهم في حياتهم. وإذا بأحدهم يخبر رفاقهُ بانهُ كان ابن قائد شريف شهير وبينما هو مسافرٌ يوماً مع أبيهِ وأمّهِ وأخيهِ اختُطِفَت امّهم. ولمّا قابلهم نهراً ليعبروهُ أَقبل من أحد الجانبين أسد اختطفهُ. ومن الجانب الآخر ذئب اختطف أَخاهُ. امّا هو فرآهُ أهل قرية من القرى المجاورة فنجّوهُ من فم الأسد. ولمّا كبر وبلغ أشدَّهُ صار جنديّاً في عسكر الروم. وفي اقتصاصهِ ذلك كان يتنهّد ويتأسّف على أبيهِ وأمّهِ وأخيهِ إذ لم يدرِ ما جرى منهم. فلم ينهِ كلامهُ ان قام أحد الجنود الحاضرين وعانقهُ قائلاً: انت بلا شكّ أخي. لأنّي أنا هو ذاك الذي اختطفهُ الذئب. وبتوفيقٍ من العناية الإلهيّة كانت أمّهما أيضاً في تلك القرية تخدم عند بعض الكبراء فبلغها قصَّة هذين الأخوين وما جرى لهما. فقامت وأسرعت إليهما واعلمتهما بانَّها امَّهما. ثمّ ذهبت إلى القائد تستأذنهُ في إطلاق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولديها لكي تعود بهما إلى بلدتها. ولذلك اقتصّت عليهِ القصّة بتمامها. فاهتشّ قلبهُ سروراً وامتلأَ صدرهُ فرحاً لوقوفهِ على خبر خاصّتهِ ولمشاهدتهِ عياناً امرأتهُ وولديهِ. فعانقهم جميعاً واعلمهم بحالهِ. وأدَّى للرب الشكر الجزيل على احساناتهِ العميمة. ثمّ عاد اوسطاخيوس بجيشهِ إلى روميّة غانماً ظافراً. وكان قد مات طرايانس وتخلّف بعدهُ ادريانس. فلمّا أراد الملك أن يقدّم ذبيحة للآلهة شكراً على الغلبة التي فاز بها ودعا الناس إلى ذلك أبى اوسطاخيوس الحضور. وقال صريحاً بانَّهُ نصرانيّ لا يعبد الاّ اله النصارى وحدهُ. فساءَ ذلك ادريانس وحاول على استمالتهِ إلى عبادة الأوثان فلم يفعل. فغضب وأمر بالقبض عليهِ وعلى امرأتهِ وولديهِ واطلقوا عليهم الوحوش الضارية فلم تمسّهم البتّة. فادخلوهم في كور من نحاس واوقدوا الجمر تحتهُ ليبيدوهم قليلاً قليلاً. ففرح لذلك هؤلاء الشهداء وقدّموا أنفسهم طوعاً قرباناً لله تعالى فقضوا حياتهم بهذا العذاب. وحدث ذلك في اليوم العشرين من ايلول في سنة عشرين ومائة للمسيح. ويوجد اليوم في روميَّة كنيسة قديمة على اسم مار اوسطاخيوس*

ذكر الطوباوية اورسلة بينانكازا والثوب الأزرق

للسيّدة المحبول بها بلا دنس

لا حاجة أن نبيّن ها هنا كم هو مقبول لدى والدة الله ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يؤدّيهِ المؤمنون من الحبّ الحارّ. وكم يسرّها انعطافهم الشديد نحوها اقراراً للمودّة والشكران لها. وذلك بتمسّكهم بعبادة ثوبها. ويكفيك شاهداً ما نعاينهُ من النعم الخصوصيّة الممنوحة للمتعبّدين لثوب السيدة وما نقرأهُ عن أمثال القدّيسين وأعمال الأحبار العظماء ومن اتّحاد الشعب المسيحيّ العامّ. فانّ كلّ هذهِ تُثبّت لنا حماية والدة الله نحو أولادها اللاّبسين ثوبها*

إنّ الكنيسة المقدّسة اتّخذت عبادات مختلفة للثوب المقدّس وقد اغنتها بالغفرانات الجزيلة ومن جملتها عبادة الثوب الأزرق. وقد اشتهرت عبادة هذا الثوب على يد القدّيسة أرسلة بينانكازا منشئة رهبنة الناسكات*

وُلدت هذهِ الطوباويّة في مدينة نابُلي في اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الأوّل سنة ألفٍ وخمسمائة وسبعٍ وأربعين. وربّاها أبواها بتقوى الله ومحبّتهِ. وازدانت بعقلٍ ثاقب لأنّ أعمالها كانت مطابقة لاهتمامات والديها بها. وأظهرت منذ صباها شوقها الحارّ للتقوى والعبادة. وغمَّرها الله بنعمهِ السماويّة الخارقة العادة. وانجذب إليها الناس من الخاصّةِ والعامّة ومن كلّ الأصناف فاضطرّت هذهِ القدّيسة أن تترك المدينة. وابتنت لها صومعة على جبلٍ وانفردت هناك لتقضي حياتها بالتأمّل. وما زال الناس يزدحمون إلى صومعتها بتكاثر. فشيّدت على ذاك الجبل عينهِ معبداً على اسم السيّدة المحبول بها بلا دنس. وذهبت إلى روميّة لقضاء أمر اضطرّتها إليهِ المحبّة. ولمّا حضرت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بين يدَي الحبر الأعظم وكان يومئذٍ البابا غريغوريوس الثالث عشر اختُطِفت بالرّوح أمامهُ. أمّا الحبر الأعظم فلمدافعة الغرور اضطرّ أن يفحص عن أمرها. فأقام وكلاء وكان من جملتهم مار فيلبّس نيري. وأخذ هؤلاء يمتحنون الصبيّة. وكلّفوها أنواعاً عديدة من المِحَن والمصاعب. حتّى انّهم القوها في السجن. ولمّا تحقّقوا انّ كلّ ما جرى لها هو مُتَأَتٍّ من روح الله خلّوا سبيلها. وأذنوا لها أن تنطلق إلى نابُلي. واعتبرها إذ ذاك القديس فيلبّس حقّ الاعتبار* هذا وانّ الطوباويّة أورسلة بعد رجوعها إلى بلدتها صار الجميع يحترمونها. وفي أحد الأيام الواقع فيهِ عيد تطهير مريم العذراء ظهرت لها والدة الله المعظّمة وهي متوشّحة بثوب أبيض ومتردّية بجلباب أزرق حاملة يسوع الطفل ومحتاطة بجملة من العذارى وهنّ متوشّحات بثيابٍ بيض. وعليهنّ أردية زرقاء أيضاً. فالتفتت السيّدة نحو اورسلة وخاطبتها بكلمات لطيفة صادرة من قلبها الرؤوف الوالديّ قائلةً لها: ثقي يا اورسلة وتشجّعي. كفّي عن ذرف الدموع. ولتُبدَل تنهّداتكِ إلى فرح وتسلية. وانصتي بحرص إلى ما يقول لكِ يسوع الهي والهكِ الراقد في حضني. وبعد أن انتهت السيّدة من كلامها الحلو والمملوّ شجاعة وتعزية أظهر يسوع إلى اورسلة أنّهُ يريد أن تُؤسِّس رهبنة الناسكات وتُلقّب هذهِ الرهبنة باسم السيّدة المحبول بها بلا دنس. ويجب أن تكون هذهِ الرهبنة مؤلَّفة من ثلاث وثلاثين بنتٍ عذراء يتوشّحن بالثوب الأبيض والأزرق كالزّي الذي كانت متردّية بهِ والدتهُ. وان ينعكفن على العيشة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النسكيّة* هذا وانّ مريم والدة الله وعدت الطوباويّة أورسلة بأنّها تغمّر بالافضال الغزيرة والخيرات الروحيّة كلّ اللّواتي يعتنقنَ هذهِ الحيوة ويواظبن على النسك والتمسّك بفروضهنّ. وطلبت الطوباويّة أيضاً من السيّدة أن تسبغ هذهِ النعم على العلمانيّين الذين يكرّمونها ويلبسون الثوب الصغير والأزرق ويحافظون على زهرة العفّة المناسبة لحالتهم. وفي الحال شعرت انّ صلاتها استُجيبت. إذ شاهدت قبل عبور هذهِ الرؤية ملائكة يوزّعون أثواباً في كلّ جهات الأرض* ثمّ انّ الراهبة القدّيسة استناداً على الوعد الإلهي أخذت تسعى وتجدّ بالعمل. فانّها كانت تصنع بيديها أثواباً صغيرة وتكرّسها على يد أحد الكهنة وتوزّعها على المؤمنين الذين كانوا يلبسونها بعبادة ويحترمونها غاية الاحترام* وناهيك انّ الانعكاف على هذهِ العبادة أخذ ينشئُ في الأنفس أثماراً خلاصيّة. وهذهِ أولت أورسلة فرحاً لا يوصف وامتلأَ قلبها تعزية تامّة. ومن أخصّ ما أنعم الله عليها انّها شاهدت في قيد حياتها هذهِ العبادة منتشرة في كلّ الأمصار ومؤَسَّسة بثبات واستحكام* وانتقلت هذهِ القدّيسة إلى رحمة الله في اليوم العشرين من شهر تشرين الأوّل سنة ثماني عشرة وستمائة وألف للمسيح. وقُبر جسدها في المعبد الذي عمّرتهُ. ووُجد جسدها بعد أربع سنين صحيحاً خالياً من الفساد. وفي سنة ألف وسبعمائة وثلاث وستين صرّح قداسة الحبر الأعظم بيوس السابع بأنّ خادمة الله قد مارست الفضائل بشجاعة بَطَليَّة. وقد اقتدت بغيرتها بناتها الراهبات وسعين بعد موتها بانتشار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الثوب الأزرق الصغير* وبعد زمنٍ وجيز عمّ استعمال هذهِ العبادة سكّان مدينة نابُلي العظمى. فعيّن الكرسيّ الرسوليّ كهنة أخويّة يُدعَون الاقليروس القانونيّين التيّاتيّين وخوّلهم السلطان ليكرّسوا الثوب ويمنحوا لهُ غفرانات. فنشروهُ في كلّ مكان* وخوّل أيضاً الحبر الأعظم رئيس التيّاتيّين العام سلطاناً لتوكيل أحد الكهنة علمانيّاً كان أو قانونيّاً لتبريك هذا الثوب. أمّا الغاية التي يجب أن يقصدها من يلبس الثوب الأزرق فهي أن ينال من الله بالصلوة إصلاح ذوي الخصال المفسودة ورجوع الخطاة إلى التوبة مع انّهُ لا يكون ملزوماً من لبسهُ بصلوة خصوصيّة ولا إلى كميّة محدَّدة. وأمّا نوع الصلوات والتقشّفات التي يجب أن ينعكف المؤمنون على استعمالها فهو متعلّق بحكم مرشد الاعتراف وكحسب عبادة المؤمنين. ولتكن أيضاً مطابقة حسب تلقين السيّدة المحبول بها بلا دنس. اعني أن يُقصَد فيها غاية تهميد غضب العدل الإلهيّ. وناهيك انّ من يهمل إحدى الصلوات المختصّة بعبادة هذا الثوب لا يرتكب اثماً ولا يستوجب قصاصاً ما بل انّما يُحرَم من بعض خيرات روحيّة وغفرانات خلاصيّة وغير ذلك مما يتعلّق بتكميل الصلوات المفروضة*

ومن أراد أن يقف على صلوة وجيزة وسهلة فمن باب المشورة عليهِ أن يتلو كلّ يوم اثنتي عشرة مرّة السلام الملاكيّ اكراماً لما حازتهُ سيّدتنا العذراء الكليّة القداسة من الامتيازات الإلهيّة. ويتبعها بثلاث مرّات أبانا والمجد اكراماً للثالوث الأقدس اقتداءً بالقدّيس اندراوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

دي افيلاّن. فانهُ على هذا النسق كان يكرّم عبادة هذا الثوب ويشير على الجميع باستعمالهِ*

انّ ثوب السيّدة المحبول بها بلا دنس يجب أن يكون من صوف ولونهُ أزرق ولا يتوقّف نوال الغفرانات بواسطة رسم الصورة فانَّه ليس بضروريّ. وانّما يُستعمَل لتحريك عبادة المؤمنين. وإن عتق الثوب يجب تجديدهُ ولا حاجة إلى تكريسهِ. واعلم انّ القدّيس الفونسس دي ليكوري يحثّ المؤمنين حثّاً شديداً في كتابهِ الملقَّب بامجاد مريم ويحرّضهم ليلبسوا الثوب مؤكّداً لهم انّ هذا الاكرام المقدّم لمريم يسرّها كثيراً ويكون كعربون عبادتنا ومحبّتنا لها* امّا الامتيازات التي اختصّ بها الله مريم العذراء والدتهُ فهي اثنا عشر:

١ انتخابهُ لها منذ الأزل لتكون امّاً لابنهِ.
٢ الحبل بها البريء من كلّ غيب.
٣ تواضعها العميق إذ خضعت في كلّ أمرٍ لإرادة الله.
٤ قداستها الفائقة لأنّها أضحت طاهرة وخالية من كلّ اثم مدّة حياتها.
٥ بشارتها وكونها صارت امّاً لله.
٦ ولادتها في حال البتوليّة.
٧ بتوليّتها الدائمة قبل ولادتها وعند ولادتها وبعد ولادتها.
٨ توجّعها الزائد تحت الصليب.
٩ فرحها العظيم الوصف في قيامة وصعود ابنها المخلّص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٠ انتقالها الممجَّد.
١١ مجدها السامي والفريد في السماء.
١٢ قدرتها في نوال كلّ ما تطلبهُ من الله.

اعلم انّهُ قد مُنح غفرانات عديدة مختصّة بعبادة ثوب السيدة المحبول بها بلا دنس في كلّ عيد محتَفَلٍ من أعياد السنة. أمّا الغفران المشهور بالأكثر والممنوح لهذهِ العبادة بنوع أخصّ فهو ما يُكتَسَب بتلاوة الستّ مرات أبانا والسلام والمجد اكراماً للثالوث الأقدس وللبتول البريّة من كلّ دنس موجّهين الغاية على نيّة انتصار الكنيسة واطفاء الهرطقات والسلام بين الأمراء المسيحيّين. وفي كلّ مرّة يتلو المومنون هذهِ الصلوة المذكورة يكتسبون الغفرانات الممنوحة لزيارة كنائس روميّة والحجّ إلى أورشليم وقبر مار يعقوب الرسول في كونباستيل. امّا الاعتراف والتناول فليس هما واجبان لاكتساب هذهِ الغفرانات*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار متّى الإنجيليّ الرسول

انّ الرسول الجليل مار متى الذي يُقال لهُ أيضاً لاوي كان أصلهُ من مدينة قانا الجليل ومكّاساً أي عشّاراً بل رئيس العشّارين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في كفرناحوم. وفيما كان يوماً جالساً في محلّ الجباية على شاطئ النهر اجتاز من هناك السيّد المسيح لهُ المجد ودعاهُ إليهِ قائلاً لهُ: اتبعني. فنهض في الحال وترك كلّ شيء وتبع يسوع وتتلمذ لهُ جهاراً* فتأمّل يا أيّها القارئ كيف انّ الله يُظهر رحمتهُ التي لا حدّ لها للخطاة إذ يجعلهم من أَخصّ أحبائهِ بواسطة التوبة والنعمة* هذا ولكونهِ انقاذ منذ أوّل الأمر حقّ الانقياد لدعوة ابن الله ما زال بعد ذلك مفلحاً في السيرة التي تمسّك بها. وممّا يُظهر ذلك ويحقّق لنا توبتهُ الصادقة انّهُ صنع يوماً في بيتهِ وليمةً ليسوع ودعا إليها جماعةً من العشّارين لكي يجذبهم إلى التوبة بمشاهدة يسوع وسماع تعليمهِ الخلاصيّ. وقد جاء في إنجيلهِ نفسهِ ما يدلّ على اتّضاعهِ وهو انّهُ لمّا ذكر عدد الرسل الذين اجتباهم يسوع من بين تلاميذهِ أقرّ معلناً بأنّهُ كان عشّاراً قبلاً ابتغاء الإعلان صريحاً بفضل النعمة التي بها دُعي إلى الأعمال الرسوليّة* فهذا الرسول المعظّم بعد صعود المسيح إلى السماء وحلول الروح القدس على التلاميذ تفرّغ للتبشير والإنذار بتعليم المسيح في بلاد اليهوديّة. وجنى من ذلك أثماراً كثيرة. ولمّا اقتسم الرسل بينهم أقطار المسكونة ليكرزوا فيها تعيَّن هو لبلاد الحبش. وكانت قاصيةً جدّاً. فقبلَ رحيلهِ إليها سأَلهُ الرسل فكتب انجيلهُ باللّغة العبرانيّة لا بل بالسريانيّة التي كانت يومئذٍ اللّغة العامَّة في بلاد فلسطين وذلك ليؤَيّد المتنصّرين من اليهود في الايمان بالمسيح. وهو أوّل انجيل كُتِبَ. ثمَّ ترجمهُ إلى اليونانيّة أحد المؤمنين. ولمّا وُجِدَ جسد القدّيس برنابا بجزيرة قبرس في سنة ٤٨٨ رأَى الحاضرون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على صدرهِ هذا الإنجيل مخطوطاً بيدهِ. وقد قاسى مار متى الرسول في دخولهِ بلاد الحبش للإنذار بالايمان الحقّ أتعاباً ومشقّات كثيرة صعبة. وأجرى الله على يدهِ معجزات وافرة ردَّت إلى الهدى أهالي تلك البلاد فاستناروا بنور الايمان الذي أوحى بهِ ابن الله*

وممّا جاء في كتاب عبديَّا البابليّ عنهُ انَّهُ نجّى مدينة تدابر الكائنة في بلاد الزُّنوج من آفات السحرة بإشارة الصليب. وأعاد إلى الحيوة ثانيةً ابن ملك الحبشة. وكانت مدّة إقامتهِ في تلك النواحي نحو ثلاث وعشرين سنة وتتلمذ لهُ الملك وجميع أهل بلاطهِ فضلاً عن عامَّة الناس. ثمّ مات الملك وتخلّفهُ أخوهُ. فاتّفق انهُ امسك عليهِ مار متى في أحد الأيام طلبة طلبها منهُ بشأن بنت أخيهِ ايفيجينبا التي قصد أن يتزوّجها لبهائها ولأنَّها وليَّة العهد. أمّا هي فمن حيث أنَّها كانت قد نذرت عفَّتها بين يدَي الرسول فكان هو يثبّتها في عزمها على أن لا تنكث العهد بنذرها غير مذعن للملك. فاغتاظ منهُ الملك غيظاً شديداً وانفذ بعض الجند ليقتلوهُ. فقتلوهُ بينما كان يقدّم ذبيحة القدّاس وقُبر جسدهُ في مدينة تدابر. ثمّ نُقل إلى مدينة سالِرْن الكائنة في مملكة نابُلي. وكان استشهاد مار متّى في سنة ٩٠ للمسيح. وورد عنهُ في كتاب الرسول الرسوليَّة انَّهُ هو الذي عيّن في الكنيسة تقديس الماء المبارك لاستعمال المسيحيّين وأمر المؤمنين بأن يخصّصوا الباكورة من الأثمار والعشر من مداخيلهم لعيشة الكهنة ولحاجة الفقراء*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثاني والعشرون *

القديس موريقيوس ورفاقهُ الشهداء

فيما كانت جماعة المؤمنين متألّمة تحت ثقل نير ديوقلطيانس ومكسميانس. كان كثيرٌ من الشهداء الأبطال ينتصرون على الشيطان وأهلهِ بسفك دمائهم. ومن أشهرهم كتيبة من العسكر يقال لها الفرقة الثيبانيّة وكان قائدها اسمهُ موريقيوس وعددها ستة آلاف وستمائة. ففي سنة ستّ وثمانين ومائتين اضطرمت نار حرب شديدة في نواحي بلاد غاليا. فاستدعى مكسميانس الملك الفرقة الثيبانيّة انجاداً لعسكرهِ ليرحل بهم إلى تلك البلاد. فخرج موريقيوس من المشرق وذهب بفرقتهِ المظفّرة إلى بلاد ايطاليا انقياداً لأمر الملك مكسميانس. ولمّا وصل مكسميانس إلى مدينة من مدن غاليا يقال لها اوكتودوروم وهي على شاطئ نهر الرون في شمالي بحيرة جنيفا قصد أن يقدّم ذبيحة للآلهة وأمر كلّ الجنود أن يحضروا هذهِ الذبيحة الوثنيّة الدنسة. فأبى ذلك موريقيوس وفرقتهُ قائلين: نحن ما جئنا لندنّس أيدينا بذبائح الأوثان بل لنقاتل أعداء المملكة. فاستشاط الملك غضباً عليهم وأمر أن يُقتل من كلّ عشرة واحدٌ وجعل ذلك بالقرعة. فصار من تقع عليهِ القرعة منهم يسلّم نفسهُ للذبح بلا ممانعة. وامّا الباقون فلم يفزعوا من ذلك بل ازدادوا قوّة وشوقاً إلى الاستشهاد. فصاحوا بصوتٍ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عظيم وقالوا: نحن نكره عبادة الأوثان. ولا نعبد الاّ الله الواحد الحقّ. ونحن مستعدّون لمكابدة كلّ جنس من العذابات أولى من أن نجحد الايمان الصحيح بهذا الأمر. فلمّا مكسميانس ذلك ازداد غضباً أكثر من ذي قبل وأمر ثانيةً أن يُقتَل منهم من كلّ عشرة واحدٌ. فاقترعوا على كلّ عاشر منهم وذبحوهم. ثمّ شرعوا يلحّون على الباقين ليقدّموا ذبيحةً للأصنام. فثبتوا في رفضهم ذلك وكانوا يحرّضون بعضهم بعضاً ويشجّعون أنفسهم على احتمال كلّ شيء من العذابات في حبّ الايمان والحقّ. وكان مقدَّمهم في ذلك موريقيوس قائدهم واكسوبير وقنديد. فقدَّموا للملك معروضاً يقولون: نحن وان كنّا جندك أيُّها الملك المولى. ولكن نحن عبيد الله أيضاً. فلك نحن ملتزمون بالجنديّة ولله بالعبادة المنزَّهة عن الخطأ. أمّا أنت فتدفع لنا الفرض المعيَّن جزاءَ أتعابنا. وأمّا هو سبحانهُ تعالى فيولينا الحيوة ويحفظنا. فلا يسوغ لنا ولا يمكن أن نطيعك في ما يبعدنا عن الله خالقنا ومولانا. وهو أيضاً خالقك ومولاك إِن شئتَ وإِن أبيت. ونحن مستعدّون لامتثال أوامرك ولكن بشرط أن لا تلزمنا باسخاط الله جلّ شأنهُ. وان خيّرتنا بين الطاعة لله والطاعة لك فنحن نختار الطاعة لله. فهل تريد أن تغزو الأَعداء. فها نحن بين يديك. خذنا ولا تقصّر. فانّنا لا نمتنع من أن نقاتل الخوارج والكفّار ولكن لم تعتَدْ أيدينا على سفك دم بني جنسنا والأبرياء. وقد عاهدنا الله قبلما عاهدناك. فكيف ترجو منَّا ايفاء عهودك ان كنت تريد أن نخالف عهود الله. ان كان مرادك أن تميت النصارى. فها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نحن بين يديك فانَّنا نؤمن بالله خالق كلّ الأشياء. وبيسوع المسيح ابنهِ. وها انّنا مستعدّون لنُذبَح كما ذُبح رفاقنا المغبوطون. ولا تخف فتنةً. فإنّ النصارى يعرفون ان يموتوا لا أن ينغشّوا. وعندنا أسلحة ولكن لا نستعملها. ولأَن نموت أبرياء أهنأُ من أن نعيش مُجرمين. فلمّا قرأَ الملك هذا المعروض ورأَى ما فيهِ ممّا يدلّ على الشجاعة والقوّة زاد التهاب حنقهِ ويئس أن يغلبهم. فنوى قتلهم جميعاً. فأطلق عليهم العسكر فقتلوهم عن آخرهم وفي أثناء ذلك كان هؤلاء الأبطال يطرحون أسلحتهم. ويخلعون دروعهم ويقدّمون أعناقهم لحدّ السيف وكانوا يشجّعون بعضهم بعضاً على الموت في حبّ المسيح*

* اليوم الثالث والعشرون *

القديسة تقلا أوّل الشهيدات

كانت تقلا من مدينة ايقونية في بلاد قيليقيّة وأبواها من عبدة الأوثان. وكانت حسناء وذات عقلٍ ذكيّ. فتفرَّغت لدرس العلوم. وفيما هي على تلك الحالة اجتاز مار بولس الرسول بمدينة ايقونيّة ونزل في دار اونيسمس. وكان يلتئم في تلك الدار جماعة من أهل المدينة فيرشدهم الرسول ويُبشّرهم بالإنجيل المقدّس. وكانت تقلا من جملتهم. فلدى سماعها مواعظ الرسول المومى إليهِ تغيّر قلبها وتنصّرت ثمَّ تعمَّذت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونذرت بتوليّتها لله تعالى. فلمّا بلغ ذلك امّها حزنت جدّاً لأنّها كانت قد وعدت أحد الأعيان بتزويجها بهِ. فذهبت وسعت بها عند الحاكم وقالت لهُ: انّ تقلا ابنتها قد انضمّت إلى دين النصارى وصارت مسيحيّة وطلبت منهُ بأن يحضرها ويتهدَّدها. فإن انقادت عن غيّها والاّ فليحرقها بالنار ذبيحةً للأوثان. فاستدعاها القاضي. ولمّا أُحضِرت بين يديهِ. ورآها مصرّة على عزمها أوقد جمراً كثيراً من النار وقال لها: قدّمي ذبيحة للأوثان والاّ فتكوني لها ماكلاً. فأَبت قائلةً: انّ إلهي هو يسوع. واحبّهُ كثيراً بحيث يعجز أن يفصلني عن عبادتهِ كلّ عذاب مهما كان شديداً. وأمّا آلهتكم التي هي أعمال أيديكم فانّي احتقرها وابغضها من صميم قلبي. فغضب الحاكم وأراد أن يلقيها في النار أمّا هي فرسمت علامة الصليب المقدّس ورمت بنفسها في وسط لهيب النار المتّقد مسرورةً فارحةً. فهطل بغتةً مطر غزير أطفأَ النار بالكلّيّة. ففرّ الناس هاربين. ولم تتمكّن النار من إحراق شيء من ثياب القدّيسة حتّى ولا شعرة من شعرها*

ثمّ انّ القدّيسة تقلا دخلت بيت أحد المسيحيّين وأخذت تعذّب نفسها هناك بأصوام عسرة وصلوات متواصلة وعبادات قشفة. فأُعلم بها الحاكم ثانيةً. فأحضرها وأمر بأن تُعرَض إلى الوحوش الضارية لتفترسها. وتموت ممزَّقة. فلمّا أُطلقت الوحوش عليها. لم تتجرّأ على مضرّتها البتّة. بل جلست عند رجليها وجعلت تقبّلهما* ثم عُرضت بعد ذلك إلى الأسود ولم يلتحق بها منها أدنى مكروه أيضاً. فإذ عاين الحاضرون هذهِ الأعجوبة الشهيرة شرعوا يصيحون بأعلى أصواتهم: انّ الإله الحقّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو وحدهُ القادر على كلّ شيء. فارتاع القاضي من السجس فاضطرّ إلى اطلاقها وكفّ عنها. فرحلت من ايقونيّة إلى مدينة سلوقيّة. وعاشت مديداً وهي تجذب كثيرين إلى الديانة النصرانيّة. وأخيراً توفّيت بسلام الربّ في مدينة سلوقيّة. وذلك في اليوم الثالث والعشرين من ايلول*

* اليوم الرابع والعشرون *

مار جيرَرد الأسقف الشهيد

انّ جيرَرْد وُلد في مدينة البندقيّة من بلاد ايطاليا في أواخر القرن العاشر. ومنذ صغرهِ اهتمَّ أبواهُ بتعليمهِ حقائق الديانة وخوف الله. فأضحى في صبوّتهِ فاضلاً في حبّ الله والأمور الروحيّة* وذات يوم خرج سرّاً من بين أصحابهِ وذهب إلى دير من أديرة الرهبان البندكتيّين. ولبس اسكيم الرهبنة لكي يتخلّى عن أمور الدنيا وينصبّ على السيرة النسكيّة والزهد. ثمَّ نشأَ في قلبهِ بعد زمان يسير شوقٌ شديد إلى حجِّ القدس الشريف ليزور القبر الخلاصي. فتبعهُ جماعة من رفاقهِ الرهبان وفي حجّهِ اجتاز ببلاد المَجر. وكان ملك المَجر إذ ذاك اسطيفان القديس. فلمّا سمع بهِ. دعاهُ إليهِ وأعزَّهُ وأكرم مثواهُ. ثمَّ امسكهُ عندهُ ومنعهُ عن الذهاب. فوقع جيرَرْد في حيرة إِذ من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جهةٍ لم يطاوعهُ قلبهُ إلى مخالفة إرادة الملك ومن الجهة الأخرى كان يخاف على نفسهِ من ضوضاء القصر الملكيّ* فرضي أخيراً أن ينفرد في خلوتهِ في تلك الجهات. فاختار لهُ موضعاً اسمهُ بيل وانضمَّ إليهِ راهب يقال لهُ مورس. وعبد فيهِ مدَّة سبع سنوات* وفي تلك المدَّة كان اسطيفان ملك المَجَر مشغولاً باستئصال عبادة الأوثان من المملكة ونشر الديانة المسيحيَّة فيها* فلمّا كثر عددهم وتأَصَّل فيهم الايمان دعا اسطيفان الملك جيرَرْد من خلوتهِ وجعل بالسلطان المعطى لهُ من الحبر الأعظم أن يرتسم أسقفاً على مدينة شعرناد* فاستمالهم قاطبةً إلى الدين الحقيقيّ وأخذ عددهم ينمو يوماً فيوماً. فشيَّد لهم عدَّة كنائس ومن الجملة كنيسة مار جرجس. وهي أوَّل كنيسة شُيّدت في تلك النواحي* وكان لجيرَرْد عبادة خصوصيَّة لمريم العذراء المغبوطة فشرع يرسخها في قلوب المجرّبين ويهتمّ جدّاً بإصلاح أحوال رعيّتهِ وبالقيام فيما تقتضيهِ حاجاتهم ويصرف جُلّ وقتهِ في زيارة المرضى ومساعدتهم. وكان قنوعاً في ثيابهِ وقشفاً في معاشهِ ويلازم الخلوة والانفراد. ومع كثرة أشغالهِ أبدى شهامة وغيرة وشجاعة رسليّة في كلّ ما يؤول إلى نشر الايمان ونموّهِ وخير الكنيسة وشرفها. وأشهر من ذلك أَنّهُ إذ مات اسطيفان ملك المجر جلس بعدهُ على تخت المملكة بطرس وهذا تقوَّى عليهِ رجل يقال لهُ إِيغون فجاء إلى جيرَرْد وسألهُ ان يضع على رأسهِ تاج الملك كحسب عادة ذلك العهد* فأبى القدّيس ورفض طلبتهُ. ومع ذلك فلم تزل جماعة من الكهنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومن أعيان الناس تلحّ عليهِ في الطلبة فلم يحفل بذلك ولم يرتخِ البتّة عزمهُ* ولمّا كان يوم عيد القيامة وكانت الجماعة في الكنيسة وعلم انَّ قوماً من حزبهِ مصرّون على مبايعتهم لإِيغون بالملك رغماً عنهُ صعد المنبر في الكنيسة وشرع يفنّد رأيهم. ووجّه خطابهُ إلى إِيغون المدَّعي بالملك وونبَّهُ على عظم جرائمهِ التي ارتكبها في تغلّبهِ على مملكة المجر. ثمَّ تهدَّدهُ بعقابات الله وضرباتهِ. وأنبأَهُ انّهُ بعد ثلاث سنين يبيدهُ الله. وحدث الأمر كما تنبّأَ. ولذلك استراحت أهالي المجر ممّا كانت عليهِ قبلاً من القلاقل* ولكن ذلك لم يدم طويلاً. فانّهُ بعد ثلاث سنوات خلعت الرعيّة الطاعة لملكها الشرعيّ. وأقامت عليها ملكاً اخر بدلهُ. وبلغ بهم التمرّد والعصيان إلى أنّهم رفضوا الديانة المسيحيّة. وعادوا إلى عبادة الأوثان* والذي بقي منهم ثابتاً في دين النصرانيّة حاجّوهُ واضطهدوهُ بدون استثناء أحد البتّة. وهجموا على الكنائس والمعابد ونهبوها وأخربوها. وأمّا سوْرَة حقدهم فكانت متَّجهة خاصّة نحو جيررد الأسقف فانّهُ لمّا كان يوماً في بلغراد راحلاً إلى نهر دانوب تواقع عليهِ أولئك الأشرار فأخذوا حجارة ليرجموهُ فلمّا رآهم الأسقف القدّيس رسم علامة الصليب فلم تصل إليهِ الحجارة. ثمّ جثا على الأرض رافعاً بصرهُ إلى السماء وهو يطلب لهم من الله الصفح والغفران أمّا هم فاسرعوا إليهِ وطعنوهُ بحربة. فوقع مقتولاً وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من ايلول في سنة ١٠٤٧* واعلم انّ جيررد هذا هو أوَّل شهيد في بلاد المجر. وقد أجرى الله على يدهِ كرامات كثيرة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس والعشرون *

مار فرمينس اسقف اميانس الشهيد

انّ هذا القدّيس وُلد في بمبلونة قاعدة بلاد نافارَة: وكان والداهُ من وزراء الدولة الروميّة وكانا وثنيّين ثمّ تنصّرا في نيمس على يد الشهيد مار هُونِسْطس. فلمّا رزقهما الله هذا الولد همّا بتعميذهِ. وأوّل ما نشأَ فوّضا أمرهُ إلى هونسطس الشهيد المشار إليهِ فجدّ في تهذيب سيرتهِ وتزيين عقلهِ بالأدب والعلوم. فبرع في العلوم وخوف الله. بحيث انّهُ لمّا بلغ السنة السادسة عشرة من العمر كان يرسلهُ هونسطس إلى النواحي المجاورة ليبشّر بدين المسيح ويدعو الناس إليهِ. وجاء ذلك بحميد العاقبة*

ثمّ ان هونسطس لمّا رأى فيهِ من حسن الاستعداد لأخذ الدجارت الكهنوتيّة سيّرهُ إلى مدينة تولوزا إلى هونوراتُس الأسقف ليضع يدهُ عليهِ. فنصبهُ أسقفاً وارسلهُ إلى بلاد الغول ليزيل منها عبادة الأصنام. فمرّ أوّلاً على بلادهِ ليبيع أملاكهُ ويقسّمها على الفقراء. ثمّ ذهب إلى مدينة آجن وأقام فيها مدّة. ثمّ رحل إلى أَوْبرغ وافحم كهنة عبدة الأوثان وجذبهم إلى الديانة الحقيقيَّة. ثمّ جاء إلى أنْجِرْس واستأصل من تلك الجهات ضلالة عبادة الأصنام. ثمّ توجّه نحو مدينة بُوَيس في بيقرديّة لِمَا بلغهُ من خبر اضطهاد النصارى الذين فيها. ولم يبالِ بكلّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك. بل شرع ينادي جهراً ويهجو أضاليل الوثنيّين وهو تائقٌ إلى الاستشهاد. وألظى بحرارَتهِ صدور السامعين بحيث انّ جانباً صالحاً منهم طلبوا أن يعطوا أعناقهم لأجل الديانة الحقيقيّة. فلمّا علم الوالي بذلك. أمر على القدّيس فرمينس بأن يُلقَى في السجن. ثمّ قوي الناس على الوالي. وأطلقوا فرمينس. فعاد ينذر ثانيةً بلا خوف وبحرارة بصحّة الديانة النصرانيّة. وأتى بثمر كثير. ثمّ رحل إلى اميانس. فلمّا صار فيها. أفرغ وسعهُ في جلبهم إلى الايمان الصحيح. حتّى انّهُ في مدّة أربعين يوماً صار عدد الذين تمسّكوا بدين المسيح أكثر من ثلاثة آلاف نفس. وفي جملتهم جمّ غير قليل من الشرفاء. فلمّا رأى الحكّام الوثنيّون ذلك قبضوا عليهِ وطرحوهُ في السجن. ثمّ قتلوهُ سرّاً في السجن خوفاً من المسيحيّين وطمروهُ في مكان غير معروف وبقي هكذا إلى عهد مار سَلْوُس. فجدّ هذا في استخراجهِ ووجدانهِ فأوقفهُ الله عليهِ بواسطة آية أظهرها لهُ. فاجتمع الأساقفة والكهنة وعدّة من المؤمنين على قبرهِ. وطافوا بهِ باحتفال ورهج في المدينة. وجرت في تلك الأثناء عجائب وآيات كثيرة باهرة*

* اليوم السادس والعشرون *

القديس قبريانس والقدّيسة يسطينة الشهيدة

وُلد قبريانس في انطاكية العظمى من بلاد سوريّة. وكان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وثنيّاً. وكذلك يسطينة أيضاً كانت انطاكيّة وثنيّة. وكانت جميلة حسناء. واشتهر إذٍ ذاك بين اقليروس انطاكية برلّس الشمّاس. فهذا تمكّن من جذب يسطينة إلى رفض عبادة الأوثان والتمسّك بديانة المسيح* واشتدّت فيها محبّة الله بحيث انّها في زمان يسير أضحت كاملة في أجلّ الفضائل المسيحيّة*

فلمّا رأى الشيطان عدوّ الخير ثباتها. هيّج عليها أحد الشبّان الوثنيّين. فأُغرم بمحبّتها وأراد أن يتزوج بها. فلم ترضَ. وقوي عليهِ الغرام والهوى حتى انّهُ التجأ إلى الشياطين والآلهة الكذبة وسألهم ان يبلّغوهُ منيتهُ منها. وكان من مشاهير السحرة في انطاكية إذٍ ذاك ساحرٌ اسمه قبريانس واستعمل كلّ ما أمكنهُ من وسائط السحر ليستميل يسطينة. فأضحت كلّها عبثاً ولم تنجع فيها البتّة. وأفرغ الشياطين أيضاً كلّ مجهودهم في اكتسابها فخاب أملهم وأضحوا مخذولين خاسرين. لأنّ يسطينة كانت تقوى عليهم بالصلوات إلى الله والطلبات الحارّة. وانتصرت عليهم خاصّةً بإشارة الصليب المقدّس. لا بل نالت ان تكسب قبريانس المذكور للديانة المسيحيّة. لأنّهُ إذٍ رأى انّ لا منفعة من السحر ضدّ المسيحيّين والمسيح ربّهم وزعيمهم. علم من ذلك صحّة ديانتهم واستدلّ على ضعف الشياطين ووهاء ديانتهم* فأنار الله عقلهُ وكشف عن عينيهِ برقع الضّلال. فرأى فساد معتقدهِ. وصحّة معتقد المسيحيّين. واتّقد قلبهُ بنار النعمة السماويّة. فهجر الديانة الوثنيّة. وتنصّر على يدي انثيمس الأسقف وأحرق كتبهُ السحريّة ورفض الشيطان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وآمن بالمسيح وتعمّذ ثمّ سيم شمّاساً* وكان قبريانس يشكر على الدوام يسطينة إِذ انّها صارت لهُ سبباً ليهتدي إلى طريق الحقّ*

وذاع صيتهما في المدينة بأسرها. فنهض لمقاومتهما أحد الأمراء وكان اسمهُ اوثلميوس. ودعا قبريانس وعذّبهُ ومزّق جسمهُ بأمشاط حديديّة* ثمّ دعا يسطينة فجلدها. ولمّا رآهما ثابتين على اقرارهما بالديانة النصرانيّة غير متزعزعين. ألقاهما في السجن كلّ واحد منهما في محلّ منفرد. ثمّ أخرجهما ورماهما في اناء مملوّ قاراً وشحماً مغليّاً. ومع ذلك فلم ينَل منهما شيئاً. فلمّا رأى ذلك سيّرهما إلى نيقومدية فعُذّبا عذاباً شديداً ثمّ أُحتزّ رأساهما. فأخذ المؤمنون جثّتيهما وذهبوا بهما إلى روميّة*

* اليوم السابع والعشرون *

قزما ودميانس الشهيدان

انّ قزما ودميانس هما أخوان شقيقان وُلدا في بلاد العرب. وكان أبواهما مسيحيّين. واعتنت أمّهما بتربيتهما. فنشأا ممتلئين من خوف الله. مكمّلَين في أجلّ الفضائل* وتعلّما صناعة الطبّ فبرعا فيها. وصارا يستعملان صناعتهما في خير الناس ويبذلان الجهد في عمل الرحمة والاحسان. مستغنيان بالأجر عند الله عن كلّ جزاءٍ دنيويّ. فكان تعالى يساعدهما بنعمتهِ العظيمة على ابراء الأسقام الصعبة المعضلة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أمّا والي مدينتهما فكان عدوّاً مبغضاً للمسيحيّين قاسياً فتّاكاً. ويُدعى لوسيانُس. فلمّا بلغهُ خبر هذين الأخوين أحضرهما بين يديهِ وسألهما عن أصلهما واسمهما. فأخبراهُ بأنّهما من بلاد العرب وانّهما أخوان اسم الواحد قزما واسم الآخر دميانس. وانّ لهما ثلاثة أخوة آخرين وهم بأجمعهم مسيحيّون. فاغتاظ الملك منهما وأفرغ كلّ وسعهِ وما عندهُ من الحيلة والصناعة ليجذبهما إلى عبادة الأوثان فلم ينَل منهما بغيتهُ* فقبض على أخوتهما وأرسلهم قاطبةً مقيّدين بالأغلال ورماهم في البحر ليبيدوا بالغريق* فأَرسل الله ملاكاً ونشلهم من وسط المياه وجاء بهم إلى الشاطئ. فاحتدّ الوالي غضباً وألقاهم في السجن. ثمّ أخرجهم منهُ في الغد وأوقد جمراً من النار ورماهم فيها. وأقاموا فيها دون أن تؤَثّر فيهم وهم ينشدون تسابيح الشكر والمديح لله عزَّ وجلّ. فهبّت ريح عاصفة وشتَّتت الجمر ونسفتها. فأحرقت عدّة من الوثنيّين الذين كانوا حاضرين ليشاهدوا عذاب المسيحيّين. ولكنّ الملك أعمى العناد بصيرتهُ. فلم يسلّم لهذهِ الآيات الباهرة بل أمر بأن تمزّق لحمانهم بالآلات الحديديّة. فامتثلوا أمرهُ. ولكنّ القدرة الإلهيّة حفظتهم أيضاً سالمين صحيحين من أدنى جرح وتمزيق. فلم ينكفّ الوالي من تعذيبهم. بل بلغت بهِ الغباوة إلى أن علّقهم على صلبان ليُرْجَموا. وكان كلّما ألقوا عليهم حجراً. رجع عليهم وأصابهم هم. ثمّ رشقوهم باسهمة. وكذلك الأسهمة عادت إلى راشقيها وجرحتهم* فلمّا عجز الوالي واعيا من تعذيبهم. أمر بأن تُضرَب أعناقهم بالسيف*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان جهاد هؤلاء الشهداء الأجلاء في السابع والعشرين من ايلول من سنة ٢٧٥ للمسيح* وحُمل جَسَدَاهما إلى روميّة. وقُبرا في كنيسة من أفخر الكنائس التي هناك* وأجرى الله على أيديهما عجائب كثيرة باهرة ولا سيّما في شأن ابراء ذوي الأسقام. فانّهُ لم يقصدهما أحد من المرضى ورجع خائباً. ومن جملة الذين نالوا الشفاء بشفاعتهما يسطنيان الملك. فشيّد لهما كنيستين فاخرتين*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار بنقسلاوس الشهيد

انّ بنقلاوس وُلد في أرض بوهيميا. وكان أبوهُ أميراً مسيحيّاً غيوراً على الديانة امَّا امّهُ فكانت وثنيّةً عدوّة للنصارى. ومات أبوهُ منذ صغرهِ. فتولّت أمر تربيتهِ جدّتهُ وتدعى لدملاً. وكانت خائفة من الله. وجعلت لهُ معلّماً وقائداً رجلاً قدّيساً يُقال لهُ بولس* وكان أبوهُ حين موتهِ قد عيّن جدّ الولد وكيلاً عنهُ في وراثة الامارة إلى أن ينشأ* غير انّ أمّهُ تقوّت عليهِ واستولت على الامارة. فاغلقت الكنائس ومنعت القسوس من الوعظ والإنذار وتهدّدتهم بالسجن والنفي. ثمّ عزلت أرباب المناصب المسيحيّين. ووضعت بدلهم وثنيّين* وبعد ذلك أعطت لدملاّ الأمر بيد بنقسلاوس. وكان بنقسلاوس مكمّلاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في الفضائل والتقوى يكثر من الصلوة ومن زيارة الكنائس وإذ لم يكتفِ بالنَّهار كان ينتهز اللّيل أحياناً ويزورها حافياً. وأضحى في أمرهِ وسياستهِ حليماً منصفاً. وما بَرِحَ يطلب العون والرشد من الله للقيام بواجبات وظيفتهِ*

وكان بعض الناس القليلي الديانة يبغضونهُ. ومن جملتهم رجل يُدعى رادسلاس. فهذا تناول السلاح وخلع الطاعة وتغلّب على بلاد يوهيميا. وأغار عليها ونهبها. فسيّر إليهِ بنقسلاوس جماعة من عظمائهِ لكي يستميلهُ ويجذبهُ إلى الصلح. فأبى ذلك رادسلاس. فلمّا رأى ذلك بنقسلاوس أخذ يتروّى في عاقبة الأمر. ولمّا لم يُرِد أن يصير سبباً لسفك دماء كثيرين من الأبرياء. عرض على رادسلاس بأن يتحارب كلاهما فقط. فتجهّز رادسلاس للحرب. أمّا بنقسلاوس فاستعان بالربّ وبالتوبة وبإشارة الصليب. ونزلا للميدان. فشمّر رادسلاس الساعد لضرب بنقسلاوس. فرأى ملاكاً يمسكهُ ويقول لهُ: لا تضربنّهُ البتّة. فأُغشي عليهِ من شدّة الهول. ونزل عن حصانهِ وجاء إلى قدّام بنقسلاوس وخرّ على قدميهِ وطلب منهُ المغفرة والصلح. وشُوهد الملائكة محتاطين بهِ عدّة مرّات* وكان بنقسلاوس لهُ عبادة شديدة للقدّيسين وذخائرهم. فجمع شيئاً منها وأقام لاكرامها كنيسة في مدينة براغة* وكان متواضعاً بحيث انّهُ لم يرضَ قطّ ان يتّخذ تسمية ملك. وبذلك حصل على إكرام واعتبار كثير لدى الجميع ما خلا مبغضيهِ لأنهم كانوا وثنيّين* وصنع يوماً أخوهُ دعوةً ودعاهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إليها. فتناول القربان المقدس واستعدّ وذهب. لأنهُ لم يكن يعرف ماذا كان مزمعاً أن يجري برأسهِ. فلمّا أعدّوا المأدبة وجلسوا للأكل وطالت بهم كثيراً. نهض بنقسلاوس وذهب إلى الكنيسة ليصلّي صلوة الشكران* فأشارت أمّهُ الشقيّة إلى أخيهِ بأن يقتلهُ. فذهب أخوهُ مسلَّحاً إلى الكنيسة فقتلهُ بيدهِ. ولكن الله أحلّ بهِ القصاص جزاء فعلهِ هذا المُنكر* وقُبر بنقسلاوس باكرام واحتفال عظيم. وصُنع لهُ الاحترام الواجب لشهداء المسيح. وأجرى الله على يدهِ كرامات كثيرة*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار ميخائيل رئيس الملائكة

انّ الكنيسة المقدّسة تحتفل اليوم بعيد مار ميخائيل رئيس الملائكة لسببين. أوّلهما لنؤدّي الشكر لله على أنّهُ جاد على كنيستهِ بهذا المجاهد والشفيع العظيم. إذ أعلن لنا إرادتهُ بأن نتّخذهُ شفيعاً ومحامياً. وذلك في الرؤيا التي أظهرها على جبل غرغان. وأمر أن تُشَيَّد كنيسة على اسمهِ. وقد تكرّست هذهِ الكنيسة في مثل هذا اليوم* وثانيهما أن نعمّ بهذا الذكر سائر الملائكة الحائزين من لدن الله نعماً خصوصيّة. ونشكرهُ تعالى على آلائهِ العميمة التي أنعم بها عليهم. ثمّ إنّنا نستشفع الملائكة قاطبةً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بأن يتوسّطوا فينا لديهِ سبحانهُ* ومن اللائق أن نقرَّ بفضلهم وسموّ جلالة طبيعتهم. فانّهُ من الايمان الموحى بهِ نعتقد أنّ الله جلّ شأنهُ خلقهم لأداء خدمتهِ في السماء والأرض. فيقتضي أن نكرمهم أوّلاً لارتفاع منزلتهم. وثانياً لأجل الاحسانات التي ننالها نحن بواسطتهم* فأمّا من جهة منزلتهم وطبيعتهم فانّ أعظم الناس وأفضلهم لا يوازي طبعاً أصغر الملائكة. وانّهم أرواح محضة لا تموت البتّة ولا تمسّهم الأشياء الحاسّة* ولهم سرعة وخفّة عجيبة لا يعادلها شيء. ولهم ذكاء وفهم عجيب سامٍ يفوق ذكاء الإنسان بكثير. وهم لا يفقدون أبداً النعم التي ثبتوا فيها*

انّ الملائكة عددهم غفير وافر. وقد قال عنهم دانيال انّهم مئات من ربوات الربوات* وذهب ديونوسيوس الذي من اريوس فاغوس إلى أنَّ عددهم يفوق عدد جميع المخلوقات المنظورة بكثير* وهذا العدد الغير المحصى لا بلبلة فيهِ. فانّ الملائكة يُقسَمون إلى ثلث طبقات: عالية ومتوسّطة وسفلى. وكلّ طبقة مقسومة إلى ثلاث مراتب* ففي الطبقة العالية يوجد الكواريب والسواريف والكراسي. والكواريب يفوقون الباقين بملء العلم. والسواريف بحرارة المحبّة. والكراسي برؤية الله ومعرفة أعمالهِ. والطبقة الثانية تحوي المتسلّطين والمراتب والقوّات. والطبقة الثالثة تتضمّن الرياسات وروساء الملائكة. وبين كلّ هذهِ الطبقات والرتب نظام واتّصال وترتيب*

أمّا الأسباب التي تحملنا على اكرام هذهِ الأرواح الطاهرة ومحبّتها فهي أوّلاً انّ هذهِ الأرواح السماويّة لم تزل على الدوام مزيّنةً بحلّة النعمة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والقداسة. وهم لم يزالوا على الدوام أحبّاء الله وأعزّاءَهُ* وثانياً الاحسانات التي ننالها بواسطة هؤلاء الملائكة. فانّهُ وان كان الله هو مبدأ النعم ومولیها. فالملائكة هم الذين يستخدمهم الله عزّ وجلّ لكي يوزّع نعمهُ علينا. ومن ذلك النعم التي ينالها كلّ منّا بيد ملاكهِ الحارس* وانّ الكتاب المقدّس ولا سيّما العهد القديم مشحون بأمثال ذلك. من ذلك ما صنعه رافائيل الملاك مع طوبيّا في سفرهِ. ومن ذلك أيضاً قصّة الملاك الذي تعارك مع يعقوب. وقصّة ذلك الملاك الآخر الذي وافى إلى ايليّا النبي بالقوت. وذلك الذي زار دانيال في جبّ الأسود. وذلك الذي ذِكرهُ وارد وفي قصّة الشمّاس فيلبّس إذ عمّذ الخصي*

واعلم انّ الملائكة يُسمَّون في الكتاب المقدّس عساكر الله من قبيل انّهم بمنزلة خدّام لهُ يطيعون إشاراتهِ في إرسالهِ إيّاهم إلى الناس. ويُسمَّون أيضاً نوراً من قبيل خفّتهم وسرعتهم. ويُسمَّون شموساً من وجه انّهم ينيرون العالم. ويُنعتون بغير ذلك من الأوصاف الكثيرة* واعلم انّ مار ميخائيل يستحقّ منّا إكراماً خصوصيّاً من حيث انّهُ قائد هؤلاء الجنود السماويّين. وهو محامي الكنيسة الخاصّ* ولذلك يجب على كلّ واحد منّا أن يحبّهُ ويوقّرهُ ويشكرهُ على خدماتهِ الخالصة واستمدادهِ نعم الله لنا*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثلاثون *

مار هيرونمس ملفان الكنيسة

انّ هيرونمس وُلد في حدود بلاد دلماطيا من أبوَين مسيحيّين. وذلك في عهد مُلك قسطنس بن قسطنطين الكبير ملك الروم* ومنذ صغرهِ ظهرت فيهِ علامة النجابة وحسن الطباع فبعثهُ أبواهُ إلى روميّة ليدرس العلوم ويتلقّن أصول الديانة. فتفرّغ لعلم البيان والبديع وبرع فيهما. ثمّ توغّل في درس الفلسفة* ولم يكن قد اعتمذ بعد إلى ذلك الحين. فتعمّذ في روميّة وواظب على الصلوة والصوم وزيارة الكنائس. وكان يحبّ خاصّةً زيارة قبور الشهداء* ثمّ خرج من روميّة. وطاف بلاداً كثيرة في طلب العلم والأدب. وفي سفرهِ تعارف مع مشاهير العلماء والأساقفة والقديسين الذين عُرفوا في ذلك العصر. ثمّ عاد إلى بلادهِ. وبعد ذلك رحل إلى بلاد اليونان. ثمّ إلى بلاد الشام وفلسطين* وفي مدّة إقامتهِ في بلاد الشام تعارف مع أحد النسّاك المنقطعين يُقال لهُ ثئودوسيوس. فخاطبهُ هذا عن زوال الدنيا وأباطيلها. وحرّضهُ على تخلية الناس ودخول السيرة النسكيّة. فأثّر ذلك في قلب هيرونمس. وواظب على النسك في إحدى صحاري الشام. وكان ذلك في نحو سنة ٣٧٤ للمسيح* وكانت تلك الصحراء واسعة حارّة ومع ذلك فكان يسكنها فئة من الزهّاد لشدّة حبّهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

للعيشة القشفيّة* وحكى هيرونمس عن نفسهِ انّهُ كان يرتعب في تلك الصحراء من أحكام الله ويخاف من ذكر دينونتهِ المرهوبة. ولذلك كان يعتصم بالصلوة والصوم واماتة النفس* وممّا أعانهُ كثيراً على ذلك فهو التأَمّل والتوغّل والهذيذ الغير المنقطع في الكتاب المقدّس. ولشدّة شوقهِ ورغبتهِ في إدراك معانيهِ وما يشتمل عليهِ درس اللغة العبرانيّة فبرع فيها. وما زال مدّة حياتهِ كلّها متفرّغاً لدرس الكتاب المقدّس. ولهُ التفاسير الجليلة النفيسة والتعليقات البديعة على ذلك. وفي ذلك الزمان نشأ انقسام وشقاق في كنيسة انطاكيّة وانقسمت إلى ثلث فرق. وكان هيرونمس في ذلك الحين معروفاً مشهوراً لديهم. فكتب إليهِ كلّ من الفرق الثلاث وسألوهُ أن يبوح برأيهِ في صحّة إحدى الفرق المذكورة دون غيرها. ولكنّ هيرونمس لشدّة اتّضاعهِ واعتصامهِ برأس كنيسة المسيح رأى أن يكتب في ذلك إلى البابا مار دَمَسُس*

وبعد إقامتهِ في تلك الصحراء مدّة أربع سنوات رحل إلى القدس ليتبارك منهُ* وارتسم قسّيساً من يد بولينس أسقف انطاكية. وذهب إلى القسطنطينيّة واجتمع مع غريغوريوس النازينزي وقرأ عليهِ علم الكتاب المقدّس وتفسيرهُ. ولهذا يسمّي غريغوريوس معلّمهُ. وتعارف أيضاً مع غريغوريوس النوسي أخي مار باسيليوس* ثمّ التأَم في روميّة مجمع لإصلاح أحوال الكنيسة المضطربة في المشرق والمغرب. فحضرهُ هيرونمس. وأمسكهُ البابا دَمَسُس عندهُ ليعطي الفتاوي في المسائل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

التي كانت تأتيهِ من سائر الكنائس. وهو الذي أدخل في الطقس الروماني بعض عوائد اتّخذها من الكنيسة الانطاكيّة والكنيسة الأورشليميّة. وأصلح أشياء كثيرة طقسيّة في روميّة. وصحّح ترجمة المزامير اللاتينيّة على الترجمة السبعينيّة. ونقّح كتاب العهد الجديد* وكان في روميّة لا يزال يزور الكنائس والمزارات بحرارة وايمان* وكثير من الناس إذ رأوا سيرتهُ الصالحة وعلمهُ السامي وقداستهُ السنيّة وعيشتهُ القشفيّة انشغفوا بهِ واقتدوا بأعمالهِ* فاغتنم هو هذهِ الفرصة ليستأصل رذائل كثيرة وملكات رديّة من الرومانيّين*

ثمّ انّهُ بعدما مات مار دمَسُس البابا. رجع هو إلى أرض فلسطين. وجعل مقامهُ في بيت لحم. وهناك حصل على ما كان يتمنّاهُ من الراحة وسلامة الضمير والأمن. وانطلق إلى برّيّة مصر ليزور نسّاكها ويشاهد سيرتهم العجيبة ليقتدي بها* ثمّ سافر إلى الأراضي المقدّسة وأقام عند مغارة بيت لحم ديراً لهُ ولرفاقهِ. فصار ملازماً لكوخهِ على الدوام وهو يصلّي نهاراً وليلاً مقاسياً البرد القارس في الشتاء والحرّ اللافح القتّال في الصيف. ويقضي النهار كلّهُ بالصوم والصمت. ولم يبرح من التفكّر في ذكر يوم الدينونة العظيم. وكان يضيف عندهُ الحجّاج ويغسل أقدامهم ويكرمهم ويعزّهم مزيد الاعزاز* وما انكفّ هيرونمس يقاوم الهراطقة والمبتدعين من أيّ صنفٍ كانوا. واحتمل من سبب ذلك أذيّات ومشقّات كثيرة. منها أنّ يوحنّا أسقف أورشليم الموافق لضلالة الاوريجنيسيّين عزم على نفيهِ وطردهِ من بيت المقدس لأنّهُ كان يحاربهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويحاجّهُ* وصنّف تأليفات شتّى وعدّة مقالات في دحض الهرطقات والهراطقة الذين كانوا في أيّامهِ* وممّا اشتهر بهِ على الخصوص مقاومة هرطقة البلاجيّين وتفنيدها. وموافقتهُ لمار اوغسطين على ذلك*

وتناهت شهرة القدّيس إلى الجهات القاصية. فكانت ترد إليهِ رسالات عديدة ومسائل كثيرة ليحلّها. حتّى انّ مار اوغسطين الملفان العظيم أرسل إليهِ تأليفاتهِ لكي ينقّحها ويصحّحها إذ كان يعتبرهُ أجلّ الاعتبار*

وفي أيّامهُ هجم الهونيّون على بلاد الشرق فنهبوا بلاد أرمنيّة وأخربوا بلاد مصر وشاع الخبر انّهم يريدون أن يغزوا القدس الشريف. فتداخل الجزع والهول في قلوب أهلهِ. وخرج الغرباء عائدين إلى بلادهم. فخرج هيرونمس أيضاً بجماعة تلاميذهِ قاصداً بلاد المغرب. فلمّا وصل البحر. وكان الأعداء مقبلين إلى أورشليم. صدّهم الرب عن المسير إلى أورشليم. فسلم أهالي القدس من هذهِ الغائلة وايقنوا في انّهم نجوا من فضل صفيّ الله مار هيرونمس* امّا الفضل السابغ الذي لهيرونمس في كنيسة الله فهو تعبهُ بما يخصّ الكتاب المقدّس. فانّهُ أتحف الكنيسة الغربيّة بترجمة لاتينيّة للكتاب الشريف الموحى بهِ بذل في ضبطها على اللغات الأصليّة اهتماماً جزيلاً واجتهاداً طويلاً* وألّف مقدّمات وترجمات لتوضيح أمور كثيرة تخصّ الكتاب المقدّس. ولهُ أيضاً تفاسير كثيرة لأسفار هذا الكتاب الشريف* والعجب من هيرونمس كيف انّهُ قدر أن يشتغل كلّ هذا الاشتغال في العلم والتوغّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في الإلهيّات وتفسير المعاني الغويصة في المصحف الإلهيّ مع كلّ أمراضهِ وأوجاعهِ التي كانت لا تفارقهُ البتّة* فبعد أن قضى مسعاهُ بالأعمال الصالحة وخوّل الكنيسة أفضالاً جليلة سلّم روحهُ بيد خالقهِ في اليوم الثلاثين من سنة ٤٢٢ للمسيح. وقد شاخ في السنّ* وقُبر في بيت لحم باحتفال. ثمّ نُقل إلى روميّة*

انتهى شهر ايلول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* شهر تشرين الأوّل *

* اليوم الأوّل *

القدّيس رميج اسقف مدينة ريمس

لمّا كانت بلاد فرنسا في انقلاب واضطراب عظيم وكان أهلها خابطين في بحر الشرور عاكفين على الشهوات. أوحى الله لأحد النسّاك المنقطعين في إحدى البراري في فرنسا بولادة ولد لكلينة زوجة اميليوس أحد شرفاء مدينة تور. مع انّ كليهما كانا قد طعنا في السنّ. فوُلد لهما بعد قليل ابن وسمّياهُ رميج* فلمّا تمّ الوحي الإلهي عن المولود ونشأ الطفل ازداد الناس يقيناً بأنّ الله أقامهُ لينشل بلاد فرنسا من الحال التي كانت فيها. وذلك لها شاهدوهُ فيهِ من حسن الاستعداد واللياقة* وكان رميج منذ الصغر راغباً في الصلوة. محبّاً للصلاح مجتهداً في اكتساب العلم وخاصّةً علم خوف الله. فبادر إلى الزهد في الدنيا. وطلب الاختلاء والانفراد. واتّصل خبرهُ بالخاصّة والعامّة* وحدث في ذلك الحين أنّ جناديوس أسقف المدينة توفّي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاجمع أهل مدينة ريمس على انتخاب رميج أسقفاً عليهم* فتمنّع في أوّل الأمر واحتجّ بكونهِ غير أهل للقيام بواجبات هذهِ المرتبة ولكن أذعن أخيراً فتُوّج رأسهُ في الحال بشعاع من نور ساطع. وأفاح منهُ عرفاً ذكيّاً دلالةً على أنّ المشيّة الإلهيّة أيّدت هذا الانتخاب* فتقلّد رميج هذهِ الرياسة. وأفرغ جدّهُ وجهدهُ في إصلاح أحوال الناس. وجعل يصرف معظم زمانهِ في إرشاد الجماعة وإنذارها بحقائق الديانة. وحدّ لسانهُ خاصّةً على أهل العهارة. وذكّرهم عقوبات الله المريعة. فجاءت أتعابهُ بأثمار جليلة. وذلك لأنّ سيرتهُ كانت مطابقة لما كان يعلّم وينذر بهِ* ثمّ انّهُ زار هو بنفسهِ جماعتهُ كلّها. وكان حليماً غيوراً لطيفاً في كلامهِ ومسايرتهِ معهم* وكان يتعوّذ من المجد الباطل والفخفخة والعظمة. ويهرب كلّ الهرب من المدح*

وجاد الله عليهِ بكرامة اصطناع الآيات لتزداد شهرتهُ ويشتدّ صيت قداستهِ عند الناس. فيحصل بذلك خيرهم. فكان يبرئُ ذوي الأسقام بصلواتهِ. وربمّا ردّ إلى الحيوة بعض الأموات* ومن ذلك انّهُ ذات يوم أصاب الحريق مدينة ريمس وعمّ جانباً كبيراً منها. فطفق القدّيس يدفع اللهبات بيدَيْهِ ورجلَيْهِ. حتّى ابتعدت وولّت. وتتبّعها إلى أن خرجت من باب المدينة وتبدّدت في القفر وانطفأت أصلاً*

وممّا جرى أيضاً أنّ أناساً أشراراً تعدّوا عليهِ وأحرقوا قمحاً كان قد خزنهُ ليوزّعهُ على الفقراء. فأنزل الله عليهم عقاباً هائلاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تتبّعهم مدّة سنين. واتصل بذريّتهم أيضاً*

وممّا اشتهر بهِ رميج أنّهُ اتّخذ معلّماً للملك اقلوبيس المتنصّر حديثاً. فعلّمهُ مبادئ الديانة وشرح لهُ فرائضها شرحاً وافياً* وبينما كان ذات يوم يعلّمهُ في حضور الملكة وبعض من الكهنة سمع صوتاً يقول: السلام عليكم. لا تجزعوا. بل أثبتوا في محبّتي* فبادر القدّيس إلى اخبار الملك بالظفر والمجد والرفعة التي كان مزمعاً أن يحصل عليها عقيب تنصّرهِ* ثمّ انّهُ لمّا حان الوقت المناسب. عمّذ الملك باحتفال وأبّهة. وبعد العماذ أراد أن يمنحهُ سرّ التثبيت. فلم يكن لهُ الميرون المقدّس. فطلب متوسّلاً إلى الله بأن يسدّ هذهِ الحاجة. فشُوهدت حمامة تطير في البيعة وفي فمها اناء مملوّ زيتاً تفوح منهُ رائحة سماويّة. فتناول الاناء ومشحهُ بالميرون المقدّس*

وكتب البابا هرمزد إليهِ رسالة بها قلّدهُ سلطان النيابة على تلك البلاد. فنجح رميج الأسقف نجاحاً عجيباً في فرنسا. وجذب بمواعظهِ وحسن سيرتهِ عدداً وافراً من الناس إلى التوبة. وكان يذهلهم بأعاجيبهِ ويحميهم بصلواتهِ* وممّا أعانهُ على ذلك غاية الاعانة حماية الملك اقلوبيس لهُ والسلطان الرسولي الذي قلّدهُ إيّاهُ البابا هرمزد المقدّم ذكرهُ*

وامتحن الله الأسقف القدّيس بتجربة. وذلك أنّهُ فقد بصرهُ في آخر عمرهِ. فصبر على ذلك الصبر الجميل. وكان جزاء صبرهِ أنّهُ نال الشفاء* وبعد ذلك بزمان يسير دنت ساعة وفاتهِ. فاستحضر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أحبّاءهُ وأودعهم وصيّتهُ الأخيرة. وتزوّد بالأسرار. وتجهّز خير تجهّز للرحيل. فاسلم روحهُ بيد خالقهِ. وذلك في اليوم الثالث عشر من كانون الثاني من سنة ٥٤٥ للمسيح. وقد قضى في الأسقفيّة مدّة أربع وسبعين سنة. ورثاهُ جميع أهل فرنسا*

أمّا الكرامات التي أجراها الله عزّ وجلّ على يد صفيّهِ فشيءٌ لا يُحصى. وقد جرت العادة منذ قديم الزمن أن يُعيَّد عيدهُ في أوّل تشرين الأوّل*

* اليوم الثاني *

الملائكة الحرّاس

انّ الكنيسة المقدّسة تذكر في هذا اليوم جملة الملائكة الموكّلين على حراسة كلّ واحد من الناس* فانّهُ من الواضح البيّن من شهادة الكتاب المقدّس والآباء القدّيسين انّ الله عزّ وجلّ قد جعل وخصّص لكلّ من الناس ملاكاً من ملائكتهِ القدّيسين. ووكلّهُ على أن يحرسهُ منذ أوّل دقيقة من عمرهِ إلى حين وفاتهِ وحضورهِ بين يدي الربّ الديّان* فالملاك الحارس من شأنهِ أن يصون الإنسان من كلّ خطيّة ويبعد عنهُ كلّ ضرر* وبذلك نستدلّ على جودة الله العظيمة ومحبّتهِ الغير المتناهية للبشر. لأنّهُ لم يكتفِ بأن يجعل الكون بأسرهِ يحثّ الناس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلسان حالهِ ويحرّضهم على فعل الخير واجتناب الشرّ. بل عيّن لكلّ منهم ملاكاً يقودهُ ويرشدهُ إلى عمل الصلاح ويلازمهُ إلى ساعة موتهِ. وبذلك ننال إحسانات وخيرات لا عدد لها. فضلاً عن المنافع الكثيرة التي نجهلها ولا نشعر بها* ومن جملة الفوائد التي تصيب كلاًّ منّا من الملاك الحارس أنّهُ قبل كلّ شيء يهتمّ بدفع الموانع والعوائد المتنوّعة لكي يتيسّر العماذ المقدّس للإنسان المولود حديثاً* ثمّ إذا نشأ الطفل يعتني بدفع جميع الآفات التي يحاول الشيطان أن يصيبهُ بها ولا سيّما نفسهُ. فيجدّ في أن يتهذّب ويتربّى تربية مسيحيّة. ويساعدهُ على اقتناء الفضائل أوّلاً فأوّلاً* ولا يزال الملاك الحارس محافظاً على الإنسان ملازماً لهُ حيثما ذهب لئلاّ يقع في احبولات الشيطان وفخاخهِ. ولكي يَقِيَهُ وينشلهُ منها إذا سقط فيها ولا يدعهُ يقع في أعظم منها. ويتّضح ذلك من قول النبي: انّ الربّ أمر ملائكتهُ أن يهتمّوا بك ويحرسوك في طرقك. ويحملوك على أياديهم لئلاّ تعثر بحجر رجلك* ومن شأن الملاك الحارس أيضاً أن يثير في قلب الإنسان المفوّضة إليهِ حراستهُ الأفكار الصالحة والالهامات السماويّة والحركات الروحيّة ويسهّل لهُ امتلاك الفضيلة. ومن ذلك أيضاً انّ الملائكة الحرّاس لا يزالون يتشفّعون لنا ويطلبون الغفران لخطايانا من لدن الله تعالى. وأخصّ اهتمام الملائكة الحرّاس بنا يكون في ساعة الموت. وذلك لأنّ الشيطان عند ذلك يفرغ كلّ جهدهِ في اهلاكنا في جهنّم. والملائكة الحرّاس كذلك يجتهدون حينئذٍ ان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يجتذبونا إلى دار الملكوت ولا ينفصلون عنّا حتّى يرونا سالمين. وهم الذين يسلّون أهل المطهر أيضاً*

ومن ثمّ علينا أن نهاب الملاك وأن نسترشدهُ ونستغيثهُ. وأن نطيعهُ ونذعن لكلّ ما يثيرهُ في نفوسنا من الصالحات. وأن نتعبّد لهُ كلّ يوم. حتّى نخرج من هذهِ دار الأخطار*

* اليوم الثالث *

الطوباويّ يوحنّا الملقَّب بالمشيّح

انّ الطوباوي يوحنّا وُلد في مدينة ريبيرا في بلاد الاسترامدور. وذلك في اليوم الثاني من آذار من سنة ٥٨٥ للمسيح. ومات أبواهُ وهو صغير السنّ. فتولّى أعمامهُ أمر تهذيبهِ وتربيتهِ* فلما بلغ السنة الخامسة من العمر أخرجهُ أعمامهُ إلى الحقل ليرعى قطعان الغنم. فاغتنم تلك الفرصة وتفرّغ للصلوة والخلوة والانفراد* وانّ يسوع المسيح سيّدنا وأمّهُ الطوباويّة مريم أرسلا إليهِ مار يوحنّا الرسول سميّهُ ليحرسهُ في البراري* فبينما كان في بعض الأيّام وحدهُ في فلاة وهو يرعى القطيع ظهر لهُ صبيّ صغير من أندادهِ في العمر. فقال لهُ متبسّماً: أنا هو يوحنّا الإنجيليّ. وقد أرسلني الله لاحرسك جزاءً لعبادتك وتقواك فلا تَخف البتّة* فقال لهُ الطفل يوحنّا: ومن هو يوحنّا الإنجيلي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قال: هو ذلك التلميذ الذي كان المسيح يحبّهُ. ووعدهُ بأن يمدّهُ بعونهِ ويحرسهُ ويرافقهُ إلى أقطار بعيدة كما يشاء الربّ* ثمّ عاود إليهِ مرّة أخرى بتلك الهيئة عينها. واصعدهُ بالروح إلى المدينة القدسيّة أي إلى الملكوت. وأراهُ ما فيها من السعادة والنعم. ثمّ قال لهُ: هذهِ هي داري الآن. وأنت كذلك فستلجها عقيب موتك وتعيش فيها عيشة سعيدة لا زوال لها* ثمّ عاود إليهِ ثالث مرّة. ولم يزَل يتردّد إليهِ إلى أن بلغ أشدّهُ. فحرّك أخيراً في نفسهِ رغبة السفر. فسافر إلى مدينة شيولِاّ. ثمّ رحل إلى أميركا صحبة تاجر تعارف معهُ في المدينة المذكورة. فلمّا وصل إلى قرطاجنة التي في بلاد الهند الغربيّة خلاّهُ التاجر فأخذ يوحنا يطوف في بلاد أميركا ويقطع أميالاً كثيرة في كلّ يوم حتى بلغ مدينة ليما التي في أرض بيرؤ. فلمّا صار في مدينة ليما. وكّلهُ أحد وجوه تلك المدينة على رعاية غنمهِ. وأقام سنتين في تلك الحالة. وكان الله يبارك شغلهُ ويضع البركة في قطيع الغنم* ثمّ عزم يوحنّا على الدخول في رهبنة الدومنكيّين. فكشف عزمهُ لسيّدهِ وتوادع معهُ ودخل الدير ولبس اسكيم الرهبنة الدومنكيّة. وكان لهُ من العمر يومئذٍ نحو ستّ وثلاثين سنة. وجرى ذلك في اليوم الثاني والعشرين من كانون الثاني من سنة ١٦٢٢ للمسيح* ثمّ نذر النذور الاحتفاليّة بعد انقضاء سنة وجُعل بوّاباً في ذلك الدير*

ثمّ انّ يوحنّا سار في الطريق الذي سلك فيهِ قبلهُ كثير من القدّيسين لكي يبلغوا دار الملكوت. أي طريق الزهد والتقشّف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبالغ في ذلك كثيراً حتى انّهُ لم يُبح لذاتهِ الاّ ما هو ضروريّ لحفظ الحيوة ولم يَزَل يقمع جسدهُ بالأصوام والتقشّفات. حتى ربّما خطر بحياتهِ* وكان يحيي الليالي الطويلة بالسهر والصلوة والتأمّل. ومع ذلك لم يستبدّ قطّ برأيهِ. بل كان طائعاً خاضعاً منقاداً لأمر روسائهِ. بحيث انّ كلمة واحدة من فم أحدهم كَفَتْ لتوقفهُ عن التمسّك بهذهِ السيرة التي كان يلتذّ بها أي سيرة التوبة والتقشّف* ومع كلّ ما كان عليهِ من هذهِ العيشة الصارمة القاسية. فانّهُ كان سهل العريكة ليّن السجيّة حلو الطباع أنيساً شفوقاً حنوناً على غيرهِ* وكان من فرائض البوّاب ان يوزّع صدقات الدير على المحتاجين. فكان يفرغ وسعهُ في جمع ما أمكنهُ في شأنهم من الدير ومن أهل الرحمة ويقسّمهُ عليهم برحمة ولطف صباحاً ومساءً. وأبدى في ذلك حسن نظارة عجيبة ودقّة بصيرة* وكان يدخل على الكهنة الفقراء وغيرهم من ذوي الستر في حجرة ويجلسهم على المائدة ويخدمهم هو بنفسهِ حذراً من أن يستحوذ عليهم الخجل والحياء. وكان يخدم الكهنة راكعاً وينظر إليهم كما إلى الربّ يسوع بعينهِ* ولجزيل اعتنائهِ وبذل جدّهِ وجهده في شان الفقراء ما زال يطلب إلى الله وإلى العذراء مريم أن يمكّناهُ من سدّ عوزهم* فكانا يفتحان لهُ أبواباً كثيرة ويحرّكان قلوب كثيرين من المحسنين ليسعفوهُ لخيرهم. وينبئانهِ عن ذلك. ولقد شوهد قصاص الله حالاً على من رفض التصدّق ممّن كان في مكنتهِ ذلك*

وكان متعبّداً للعذراء الطوباويّة امّ الله غاية التعبّد ويصرف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ساعات كثيرة من الليل قدّام صورتها في الكنيسة. ويتلو كلّ يوم المسبحة الورديّة بثلاثة أقسامها* وكان لهُ شفقة عظيمة على أهل المطهر. ويقدّم لله في شأنهم جميع ما أدّاهُ من أعمال البرّ وكلّ ما اكتسبهُ من الغفرانات*

ثمّ انّ القدّيس بعد عمر قضاهُ في الأصوام والتقشّفات وعمل الخير دعاهُ الله إليهِ ولهُ من العمر ستّون سنة ونصف ونيّف* وكان ذلك في اليوم السادس عشر من تشرين الأوّل سنة ١٦٤٥*

* اليوم الرابع *

مار فرنسيس الأسّيسي السارافي

انّ هذا القدّيس الجليل وُلد في مدينة اسّيسي في امبريا التي في إيطاليا وذلك سنة ١١٨٢ للمسيح* وكان أبواهُ متّقيين يخافان الله. ثمّ انّهُ لما بلغ سنّ التمييز أُرسل إلى المدرسة. ثمّ اتّخذهُ أبوهُ معيناً لهُ في شغل التجارة* وقضى فرنسيس شبوبيّتهُ في وسط العالم بدون أن يطلق العنان للشهوات الدنيويّة. ولم ينصبّ قلبهُ إلى الأشياء الزائلة. وكان رحوماً شفوقاً على الفقراء. بحيث انّهُ جزم على نفسهِ أن يتصدّق على كلّ من يسألهُ بحبّ الله. وان لا يردّ أحداً البتّة. وأثبت ذلك بالنذر. وأنجز نذرهُ هذا إلى الموت*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان قلبهُ متّقداً اتّقاداً شديداً بحبّ الله. بحيث انّهُ كان كلّما سمع لفظة محبّة الله ارتقش قلبهُ ببهجة عجيبة*

ثمّ انّ الله سبحانهُ وتعالى أظهر لفرنسيس بواسطة الرؤى والتجارب والالهامات والوحي انّهُ اختارهُ ليصير في بيعتهِ أباً لجيش روحيّ عتيد أن يدافع أعداء الكنيسة والشيطان أشدّ مدافعة* وقبل أن يفهم هذهِ غاية الله فيه حقّ الفهم انصبّ إلى الصلوة. ونبذ من قلبهِ محبّة الدنيا واحتقر ملاهيها. وكان يتمنّى أن يبيع كلّ ما عندهُ ويشتري درّة الإنجيل الكثيرة الثمن* وعرضت لهُ يوماً فرصة جليلة لاقتناء الفضيلة. وذلك انّهُ دعتهُ الحاجة إلى أن ينطلق إلى ظاهر مدينة اسّيسي. فبينما هو ماضٍ. صادف رجلاً أبرص. فأوّل ما رآهُ تكرّهت نفسهُ منهُ. ولكن في الحال خطر على بالهِ أنّهُ إن أراد أن يكون جنديّاً للمسيح يجب عليهِ أن يغلب نفسهُ. وعند ذلك نزل عن الفرس وتقدّم نحو الأبرص. وهو قد بسط يدهُ يطلب صدقة. فقبّل فرنسيس يد الأبرص بشوق ورغبة. ورجع امتطى الفرس سريعاً. ثمّ تطلّع حولهُ فلم يرَ الأبرص. فتعجّب وامتلأ قلبهُ عزاءً روحيّاً* وكان فرنسيس يحبّ الخلوة. وينفرد من رهج الناس مصلّياً ومتضرّعاً إلى الربّ ليكشف لهُ إرادتهُ المقدّسة. وإذ كان يوماً يصلّي ظهر لهُ مخلّصنا يسوع مصلوباً. فاتّقدت في فؤادهِ منذ ذلك الحين شهائب الحبّ ليسوع المصلوب. حتّى انّهُ كان كلّما تذكّر آلام المسيح تهطل من عينيهِ دموع غزيرة* وهذا حبّهُ الجزيل لآلام المسيح أوقد في قلبهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أيضاً حبّ الفقر والرحمة. بحيث انّهُ صار يدخل البيمارستانات ويداري المرضى ويقبّل أيديهم. ويخلع ثيابهُ وأمتعتهُ على الفقراء ويلبس هو خلقانهم*

وحدث لهُ يوماً انّهُ إذ كان يصلّي في كنيسة مار دميانس بحرارة وخشوع. سمع صوتاً يخرج من فم تلك الصورة ويقول لهُ ثلاث مرّات: قم يا فرنسيس اذهب واصلح بيتي المنهدم. وتفرّس فرنسيس في الكنيسة التي كان فيها. فرآها عتيقة. فظنّ المطلوب منهُ رمّ تلك الكنيسة. فباع حصاناً لهُ وبضاعة فاخرة وعيّن الثمن لنفقة اصلاح الكنيسة. فلمّا سمع أبوهُ بهذا الخبر اغتاظ وجاء فأَخذ الدراهم وأراد أن يضرب فرنسيس. فاختفى ونجا بحول الله من غضب أبيهِ. ثمّ أدركهُ أبوهُ فعذّبهُ طويلاً. ثمّ حرمهُ من الميراث. ولم يترك عليهِ شيئاً حتّى القميص* وعاش مدّة وهو يطوف البلاد مثل غريب ومثل أبناء السبيل. وكان يشدّ في وسطهِ حزاماً من جلد ويحمل بيدهِ عصاً كأحد النسّاك* وفي هذهِ الحوادث وأمثالها كان ينسرّ سروراً عظيماً ويفرح فرحاً جزيلاً* وبقي فرنسيس في مدينة غوبية مدّةً يداري المرضى برأفة في البيمارستانات وينظّف جروحهم ويقبّلهم بخشوع عجيب. وأنعم الله عليهِ بقوة شفاء الأمراض الروحيّة والجسديّة*

ثمّ انّهُ رجع إلى مدينة اسّيسي. وقد تأصّلت فيهِ التقوى واحتقار ذاتهِ وشرع يتسوّل في هذهِ المدينة في حضور الوجوه الذين كانوا يعرفونهُ حينما كان قديراً ذا جاه* ومع انّهُ كان فقيراً همّ في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تعمير كنيسة مار دميانس التي في اسيسي. وزمّم أيضاً كنيسة مار بطرس التي هناك. وكان في نواحي اسيسي محلّ يقال لهُ بُرتينُكْلَة. وكان هناك بيعة عتيقة مهمَلة على اسم العذراء مريم سلطانة الملائكة. فهمّ بتعميرها بتعب ونصب. وعزم أن يجعل مسكنهُ هناك* وبقي في تلك الكنيسة يصلّي نهاراً وليلاً. ويتضرّع بحرارة إلى سلطانة الملائكة لكي تمدّهُ بالعون السماويّ* فإذ كان يوماً فرنسيس في هذهِ الكنيسة حاضراً قدّاس الرسل. سمع عند قراءة الإنجيل تلك الكلمات التي بها المسيح أمر الرسل أن ينطلقوا إلى أقطار العالم ولا يحملوا شيئاً. فأتاهُ نور الاهيّ وأرشدهُ. واتّخذ تلك الكلمات تنبيهاً لنفسهِ. فخلع الحذاء ورمى العصا والدراهم. واكتفى بثوب فقريّ. وبدّل منطقة الجلد وتمنطق بزنّار من حبل. وهكذا نشّم بالسيرة الرسليّة* وشرع يحثّ الناس ويعظهم على التوبة. وكان خطابهُ يؤثّر في قلوب السامعين. فيتبعهُ خلق كثير. ومنهم من حذا حذوهُ في شكل اللباس ونوع العيشة. وهكذا نشأت رهبنة مار فرنسيس. وذلك سنة ١٢٠٩* وكان فرنسيس يرسل تلاميذهُ إلى العالم ليكرزوا فيهِ وهو يقول لواحدٍ واحدٍ منهم: ضعوا ثقتكم كلّها في الله وهو يعضدكم* وكان على الدوام يبكي على خطاياهُ بكاءً شديداً. حتى انّ الله سلاّهُ بتعزية لا توصف وأكّد لهُ غفرانها* واختُطف يوماً بالروح. وأوحى الله إليهِ بتقدّم رهبنتهِ ونجاحها وانتشارها وازديادها. فلمّا زاد عدد رهبانهِ ونما أخذ يكتب لهم قانوناً مؤَسَّساً على الإنجيل المقدّس* ثمّ انتقل مع جملة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تلاميذهِ إلى روميّة. والتمسوا من البابا اجازة القانون المذكور. وأظهر الله للبابا انوكنتيوس الثالث رؤية فيها أعلن لهُ أن يجيب إلى طلبة فرنسيس. لما كان مزمعاً أن ينتج لبيعة الله من هذهِ الرهبنة* فأحسن البابا في اقتبالهم. ثمّ ثبّت القانون الذي سطّرهُ فرنسيس. واجاز تلك الرهبنة وأذن لهم أن يكرزوا بالإنجيل في كلّ العالم. ونصب البابا مار فرنسيس رأساً لكلّ من يتبع هذا القانون* فعادوا إلى أرضهم. وجعلوا يبشّرون في المدن والقرى ويكرزون بالملكوت والتوبة. وقاسوا في ذلك أذيّات وعذابات كثيرة حتى انّهم ربّما لم يجدوا ما يأكلون. وإذ كانوا يوماً في برّيّة منقطعة ولم يكن لهم خبز ليأكلوا. ظهر لهم رجل بزيّ مسافر. فناولهم خبزاً وغاب عنهم بدون أن يروهُ يعرفوا ما جرى منهُ*

ثمّ جاء فرنسيس إلى بيت صغير بقرب مدينة أسّيسي وسكن فيهِ مع تلاميذهِ. وبقوا هناك مواظبين على الصلوة والعبادة يأكلون من صدقات الناس. وكان القدّيس يعلّمهم الصلوة العقليّة ليتأمّلوا في أعمال المسيح ويقتدوا بها* وكان في كلّ يوم أحد يمضي إلى المدينة ويكرز في كنائسها. وبعدما سكنوا مقدار سنة في هذا البيت تركوهُ. لأنّهُ كان ضيّقاً عليهم* وذهب مار فرنسيس إلى دير من أديرة مار بندكتس وطلب من الرئيس كنيسة من كنائسهم. فأجابهُ الرئيس إلى ذلك. وأعطاهُ كنيسة سيّدة الملائكة الملقّبة بكنيسة السيّدة الصغيرة بشرط أن تكون هذهِ الكنيسة رأس جميع رهبنتهِ. فرضي فرنسيس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وشكرهُ على ذلك وسُرّ سروراً عظيماً لكثرة محبّتهِ لمريم العذراء. وأقام فيها مدّة حياتهِ كلّها* وانتشر صيتهُ وصيت رهبنتهِ في كلّ البلاد. فدخلها كثير من أكابر الناس* وأخذ هناك أيضاً يكرز في القرى والنواحي المجاورة. وكان في ذلك الحين في مدينة اسّيسي رجل مصاب بمرض ثقيل شديد أعجزت معالجتهُ الأطبّاء فحكموا بموتهِ. فأرسل هذا إلى مار فرنسيس وسألهُ أن يصلّي إلى الله ليرفع عنهُ المرض. فأخذ القدّيس كسرة من الخبز. وغمسها في زيت القنديل الموقود أمام صورة السيّدة. وأرسلها إلى المريض فأكلها وشُفي من مرضهِ* فانتشرت الرهبنة بحيث انّهُ بلغ عدد الرهبان أكثر من ألف راهب. فنصب رؤساء ووكلاء في الرهبنة. وعظم حالها* ثمّ شاء أن يلخّص القوانين التي كان قد رسمها للرهبنة. فصعد إلى الجبل برفقة اثنين من رفاقهِ. وصام على الخبز والماء وطلب الرشد والهدى من الله وكتب القانون. وأثبت هذا القانون البابا هونوريوس الثالث. وما فتئَ يحثّ رهبانهُ على التمسّك بالقانون أفضل تمسّك. لأنّهُ كان يقول انّ الله هو الذي أوحى إليهِ بهِ*

وامّا الفضائل التي اتّصف بها هذا القديس فيتعذّر شرحها* فانّ مأكلهُ كان في الغالب الخبز والماء فقط. وإذا حضر في النادر شيء مطبوخ من البقول والحشايش. مزجهُ بقليل من الماء البارد والرماد ليمنع تلذّذ الشهوة* وكان ينام على التراب ووسادتهُ الحجر. وصار يفعل ذلك لئلاّ تميل نفسهُ إلى الشهوات الدنيويّة. وكان يلبس ثوباً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واحداً فقريّاً في الصيف والشتاء* وقد قاومهُ الشيطان منذ أوّل هجرهِ العالم بتجارب صعبة شديدة. حتى انّهُ اقتضى لهُ أن يلقي ذاتهُ وهو عريان في وهدة مملوّة ثلجاً لكي يطفي نار الشهوة الجسديّة* وكان يجلد نفسهُ جلداً قاسياً. ولا ينظر البتةّ إلى النساء ولا يجالسهنّ أو يتفاوض معهنّ. ويُقمع جسدهُ ويذلّهُ ويحتقرهُ ويسمّيهِ الربّان الحمار* وكان يحبّ الشغل والتعب ليميت جسدهُ ويوهن قواهُ. وبالغ فرنسيس كثيراً في تعذيب جسدهِ وقمعهِ بحيث انّهُ قبل موتهِ بمدّة وجيزة رأى أن يطلب العفو والمعذرة من جسدهِ لكثرة ما أساء بهِ إليهِ*

وانّ فرنسيس فضلاً عن تواضعهِ العظيم فقد أحبّ اماتة النفس. وأضحى جلّ مبتغاهُ أن يكون مرذولاً محتقراً عند الناس. وكان إذا سمع أحداً يمدحهُ أو يثني عليهِ طلب إلى بعض الأخوة أن يذمّوهُ ويهجوهُ. وقد حملهُ تواضعهُ على أن يبقى دائماً في درجة الشماسيّة أي الدياقونيّة بدون أن يتجاسر ويرتقي إلى القسيسيّة* وظهر لهُ يوماً ملاك وفي يدهِ اناء من بلّور صافٍ غاية الصفوّ وقال لهُ: يا فرنسيس كلّ من يريد الارتقاء إلى درجة الكهنوت يجب أن يكون نقيّاً صافياً من كلّ كدر مثل هذا البلّور. فإذ سمع هذا جزم على نفسهِ أن لا يصير كاهناً أبداً* وكان يتنازل كثيراً للقسوس ويحترمهم ولا يتأنّف من الذين هو أفضل منهم منزلةً بل يستشير بهم ويعمل بموجب أقوالهم* وأحبَّ الطاعة أيضاً حتى لرفاقهِ والذين كانوا أقلّ منهُ درجة. وآثر الفقر وسمّاهُ سلطان الفضائل. وجعلهُ أساس رهبنتهِ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأمر رهبانهُ ان لا يقتنوا شيئاً على الأرض حتّى بيوتهم* وجزم عليهم إذا ما تصدّق الناس عليهم بشيء ثمّ استردّوهُ منهم مرّةً أخرى أن يردّوهُ لهم. ليبعد عن رهبانهِ حبّ الدنيا ولهوها. ولذلك أيضاً ربّما هدم بعض الأديرة لأنّهُ كان يحسبها لطيفة غنيّة خلاف القانون* وفي أحد الأيّام سافر إلى مدينة ما مع بعض تلاميذهِ. وإذ دنوا من المدينة تراءَى لهم ثلاث نساء متشابهات في الصورة والزيّ. فسلّمنَ على فرنسيس ورفقتهِ قائلات: السلام على الفقر المقدّس وغبنَ عنهم. ففرحوا فرحاً عظيماً* ولكثرة حبّهِ للفقر لم يُرد أن يكون أحد أفقر منهُ في اللباس. فاتّفق أنّهُ رأى واحداً أفقر منهُ في الثياب فالتفت إلى رفيقهِ وقال: هذا يعيّرنا في فقرنا. وكان يحبّ أن يحصّل قوتهُ بالتسوّل على الأبواب. واتّفق يوماً انّ أحد الكردينالات دعاهُ للضيافة فذهب فرنسيس وجمع لهُ صدقة وجاء بها إلى الغداء فقسّم خبز الصدقة على المدعوّين من الأكابر. فأكلوهُ إكراماً لهُ. وبعدما انصرفوا قال لهُ الكردينال: اليوم أخجلتني بذهابك للصدقة. فماذا تقول عنّي الأكابر. قال: انّي اكرمتُك بفعلي هذا. لأنّي اليوم أكرمتُ مولى أكبر منك أعني المسيح بأكل المدعوّين من الصدقة* ويوماً ما في إِحدى سفراتهِ لَقيَ في الطريق كيساً. فقال لهُ رفيقهُ. باذنك يا أبانا أنا آخذ الكيس لنتصدّق بهِ على الفقراء. فأبى القدّيس. فكرّر عليهِ الطلب. فتوسّل القدّيس إلى الله أن يظهر شيئاً للراهب من شرّ الشيطان. وأذن لهُ بأخذ الكيس فتقدّم ومدّ يدهُ نحو الكيس. فرأى حيّة خرجت من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكيس. فرجع للوقت وهو خائف وخرّ على قدمَي فرنسيس واعترف بذنبهِ. فقال لهُ القدّيس: اعلم يا أخي انّ الدراهم للراهب مضرّة كضرر الحيّة*

وكان فرنسيس يكرز ويرشد الخطاة إلى التوبة والكفرة إلى الايمان* وعزم أن يسافر إلى بلاد الشام ليجذب أهلها إلى دين المسيح. ولكن منعتهُ الرياح. فرأى سفينة متوجّهة إلى ايطاليا. فأراد دخولها. فأبى صاحبها لأنّهُ رآهُ فقيراً. فدخلها بدون علمهِ. وظهر ملاك من السماء لأحد التجّار. وأمرهُ أن يتصدّق عليهِ بالكروة والزاد. ثمّ ضاددتهم ريح. فتاهوا عن الطريق. ونفذت المؤُونة قبل وصولهم إلى بلادهم. ولم يبقَ في السفينة شيء غير الزاد الذي عند القدّيس. فألقى الله فيهِ البركة وكفى كلّ من كان في المركب إلى أن وصلوا بلادهم* ثمّ رجع من سفرهِ سنة ١٢١٢. وحينئذٍ وضع الأساس لرهبنة الصغار الفقراء* وكان فرنسيس مغرماً بالمحبّة الإلهيّة ولذلك لُقِّب بالسارافيّ. وكان يقول على الدوام: الهي وغاية مناي كلّها ومرامي* وأَخذ يبالغ في التأمّل بحياة المسيح. وكان بعد عيد الدنح إلى البرّيّة ويصوم أربعين يوماً تذكرةً للصوم الذي صامهُ المسيح في البرّيّة. وأكثر التفكُّر في ميلاد المسيح. لأنّ المسيح بميلادهِ على الخصوص علّم الفقر في أبلغ نوع. إذ وُلد في اسطبل الحيوانات بين الحمار والثور. ووُضع في مذوذ* وكان لهُ عبادة عظيمة للعذراء مريم أيضاً*

ومنّ الله عليهِ بروح النبوّة حتّى صار يشعر بسرائر القلوب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والأفكار والأمور الخفيّة* وممّا جاد الله عليهِ بهِ أنّهُ كانت الطيور والحيوانات تطيعهُ بل العناصر أيضاً. وشفى كثيراً من الأمراض والعاهات. بحيث انّهُ كان إذا عجز عن الذهاب إلى المرضى. يبلّ الحبل الذي كان متمنطقاً بهِ بقليل من الماء ويرسل ذلك الماء إلى المرضى ليشربوهُ وينالوا الشفاء* ومن جملة الأعاجيب الباهرة التي صنعها. أنّهُ أقام كثيرين من الموت وأعادهم إلى الحيوة ثانيةً. وطرد الشياطين من الأجساد* وبصلواتهِ اخصب كثيراً من العواقر*

امّا الأعجوبة التي امتاز بها فرنسيس دون غيرهِ واشتهر بها أكثر من كلّ شيء. فهي انطباع جروح المسيح في جنبيهِ كما رأيت ذلك في اليوم السابع عشر من شهر ايلول. وكانت هذهِ جروح المسيح المطبوعة في جسدهِ ينبوع أعاجيب كثيرة باهرة*

ثمّ انّ الله عزّ وجلّ شاء أن ينقلهُ إليهِ بواسطة هذهِ الجروح المقدّسة. فانّهُ بسببها أخذت الأمراض تشتدّ عليهِ. وابتُلي أخيراً بداء الاستسقاء. وورمت رجلاهُ. فلمّا أيقن بدنوّ ساعتهِ. تلقّى الموت مسروراً. وتجهّز للرحيل* ثمّ أوصى رهبانهُ وصيّتهُ الأخيرة. وحثّهم على التمسّك بالقانون وحفظهِ. ثمّ شملهم ببركتهِ. وخلع ثيابهِ وألقى نفسهُ على الأرض. ثمّ تزوّد بالأسرار وطلب أن يقرأوا لهُ قصّة آلام المسيح من بشارة مار يوحنّا. وبعد ذلك شرع يتلو المزمور الحادي والأربعين بعد المائة. وأخيراً سلّم روحهُ بيد خالقهِ في اليوم الرابع من شهر تشرين الأوّل سنة ١٢٢٦. وذلك بنحو عشرين سنة من بعد إنشاء رهبنتهِ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وظهر مار فرنسيس بعد موتهِ لكثيرين واعلمهم بقرب ذهابهِ إلى الملكوت* وغدا جسدهُ من بعد موتهِ أبيض كالكافور. وقبروه باحتفال عظيم في كنيسة اسّيسي المعروفة بكنيسة مار جرجس. وجرت من بعد موتهِ آيات كثيرة. فلمّا تحقّقها البابا غريغوريوس التاسع أحصاهُ في ما بين القدّيسين*

* اليوم الخامس *

فلاقيدس ورفاقهُ الشهداء

كان رجل شهير في مدينة روميّة يقال لهُ ترتلُّس من أهل المراتب العالية. ومنزلتهُ تضاهي على نوعٍ ما منزلة الملوك أنفسهم* وكان لهُ أربعة أولاد. اسم الكبير فلاقيدس* واتّفق في تلك الأيّام أن ذاعت في الأقطار وانتشرت في الامصار شهرة القدّيس الجليل مار بندكتس أبي الرهبان. فأرسل إليهِ الرجل المذكور ابنهُ فلاقيدُس. ولم يبلغ بعدُ سبع سنين من عمرهِ. ورغب إليهِ أن يرشدهُ ويهذّبهُ ويعلّمهُ الطريق الموصّلة إلى السعادة* ففي يسير من الزمان أضحى تحت نظارتهِ هادئ الطبع حليماً متواضعاً طائعاً راغباً في الصوم والسهر والزهد. ونال بسب ذلك رضاء القدّيس بندكتس وخالص محبّتهِ. ثمّ خلع أبوهُ ترتلّس مالاً جزيلاً على الدير الذي ابتناهُ بندكتس. واوقف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لهُ أملاكاُ مخلّدة. فساء ذلك أهل جزيرة صقليّة. وأرادوا أن يضبطوا هذهِ الأملاك. فقلّد بندكتس تلميذهُ فلاقيدس أمر تهذيبهم واسكانهم وتقنيعهم. فسار إليهم وقضى الأمر بجزيل الفطنة والحكمة. وكان سنّهُ يومئذٍ زهاء إحدى وعشرين سنة* وفي مدّة سفرهِ هذا جرت عن يدهِ كرامات شتّى. وبذلك ذاعت شهرتهُ وعظمت حرمتهُ لدى أولئك القوم*

وكان القدّيس لا يزال يزداد مع تمادي الأيّام كمالاً وعملاً في الصلاح والفضيلة. فبلغ أسمى درجة منها. وصارت مفاوضتهُ كلّها تنبئُ جليّاً عن جزيل المحبّة الإلهيّة المتّقدة في قلبهِ. وكان لا يأتي بكلام الاّ لمنفعة يقصدها فيما يؤول إلى مجد الله أو لخير القريب* وكان يواصل الصلوة ولا سيّما التأمّل مدّة ساعات طويلة. ويلبس المسح على الدوام. وينقطع مدّة الصوم الكبير كلّهِ عن الأكل والشرب ما خلا يوم الأحد والخميس والثلاثاء من كلّ أسبوع. فكان يقتصر فيها على الخبز والماء* ولم يكن يتحرّك إلى الغضب بل كان مشهوراً بالحلم والوداعة والرفق. وبذلك اجتذب عدداً غير قليل من أهل الدنيا إلى السيرة الرهبانيّة. وإلى ذلك تُنْسَب مبادئ انتشار رهبنة مار بندكتس* وأقام القدّيس مدّة في صقليّة على هذا النحو من السيرة. وشاعت عنهُ الأخبار في البلدان والآفاق. واتّصلت بأهلهِ. وكانوا في وحشة مشاهدتهِ منذ زمن فجاء إليهِ أخوتهُ وأختهُ. وحدث في تلك المدّة انّ عبد الله ملك افريقيّة بعث جيشاً كبيراً إلى صقليّة. فلمّا بلغوا إلى دير مار يوحنّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المعمذان هجموا عليهِ واستأسروا رهبانهُ. ومن الجملة أخذوا فلاقيدس وأخوتهُ وأختهُ إلى أمام الملك عبد الله المذكور فأخذ يُفرغ معظم وسعهِ في اجتذابهم إلى عبادة الأوثان. وكان يستحضرهم لديهِ كلّ يوم ويعذّبهم. وأفضى بهِ البغي إلى حدّ أن قطع لسان القدّيس فلاقيدس. ولكن لم يخرس بذلك. بل أضحى كلامهُ أفصح ممّا كان قبلاً. ثمّ أخيراً أمر بقتلهم. وكان فلاقيدس زعيمهم. فالتجأ إلى الله وطلب العون والمساعدة للثبات على هذا الاضطهاد. وانثنى إلى رفاقهِ وجعل يشجّعهم ويعدّهم لهذا الجهاد. فلمّا استعدّوا قُتلوا في اليوم الخامس من تشرين الأوّل سنة ٥٤١ للمسيح. وكان عمر فلاقيدس يومئذٍ ستّاً وعشرين سنة. وبقيت أجسادهم ملقاةً على الحضيض أربعة أيّام. ثمّ حُمل جسد فلاقيدس إلى الدير وقُبر في الكنيسة التي فيهِ. وأمّا الباقون فقُبروا في محلّ مقتلهم. وجرت من بعد ذلك كرامات كثيرة على قبورهم*

* اليوم السادس *

مار برونون منشئ رهبنة الكرتوسيّين

انّ برونون منشئ رهبنة الكرتوسيّين وُلد من سلالة شريفة شهيرة في مدينة كولونيا من بلاد جرمانيا. ولمّا بلغ أشدّهُ أرسلهُ أبواهُ إلى مدرسة باريس الجامعة ليتعلّم العلوم. وفي مدّة يسيرة أتقن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العلم حتّى أصبح معلّماً جليلاً فاضلاً في الفلسفيّات والإلهيّات. ثمّ صُيّر قانونيّاً على كنيسة مار رميج* ومن بعد برهة عزم على هجر الدنيا والتخلّي عنها في دير لآيةٍ شاهدها هو بجملة جماعة كبيرة. بها أعلن الله لهم عظم عدلهِ الإلهيّ. وتبعهُ ستّة أشخاص من الحاضرين. فشجّعهم وقوّى عزمهم في هجر الدنيا. فباعوا أملاكهم ووزّعوا ثمنها على المحتاجين. وانضمّوا إليهِ. وقصدوا هوغس أسقف مدينة غرنبلة. وطلبوا إليهِ أن يمنّ عليهم ببعض المسالك المنفردة المنقطعة التي في أسقفيّتهِ ليعبدوا الله فيها. وحدث لهوغس الأسقف قبل أن يأتوا إليهِ ان رأى في الليل حلماً. فيهِ رأى البرّيّة التي يقال لها كرتوسة يقدّس الله مكاناً لهُ فيها. ورأى سبعة نجوم منتظمة في اكليل باهر مرتفع عن الأرض غير كثير. وهي تتقدّمهُ وتضيء الطريق أمامهُ. فأخذهُ الاندهاش لهذهِ الروايا. حتى جاءَهُ في الغد مار برونون المذكور مع رفاقهِ الستّة. فلمّا اقتصّوا عليهِ أمرهم من أوّلهِ إلى آخرهِ واطلعوهُ على سبب ذلك. وذلّلوا بين يديهِ طلبتهم. فرح فرحاً شديداً بهذا تفسير حلمهِ. وأعطاهم بكلّ خاطرهِ برّيّة كرتوسة. وكانت واسعة فسيحة. الاّ أنّها كانت شديدة البرد مقفرة صعبة محجرة لا تصلح الاّ للوحوش. غير انّهم لم يبالوا بذلك. بل أقبلوا يشيّدون لهم كنيسة على قمّة جبل في تلك البرّيّة. وحولها قلالي للرهبان. وكانت تلك السنة سنة ١٠٨٤. وأعانهم في عملهم هذا الأسقف المذكور*

ومنذ ذلك الحين نشأَت رهبنة الكرتوسيّين. إذ أخذ برونون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يسوسهم. فانضمّوا إليهِ في الاشتغال بالصلوة والتأمّل الغير المنقطع والتمسّك بالصمت التامّ متحذّرين من البطالة والتواني. لأنّ الكسل هو أبو الرذائل. والأوقات التي تفضو بيدهم كانوا يقضونها بنسخ الكتب أو بنقل كُتب مفيدة من لغة إلى لغة. وبذلك قصدوا أيضاً أن يكسبوا من تعبهم ما لا بدّ منه لقضاء المعيشة. واستنّوا على أنفسهم أن لا يذوقوا اللحم حتى في أمراضهم. وأضحوا يسيرون سيرة أشبه شيء بسيرة الملائكة. واتخذوا لهم شفيعة العذراء الطوباوية. والقدّيس يوحنّا المعمذان المشهور بالسيرة القشفيّة في القفر* وامتاز بينهم برونون وذاعت شهرتهُ. فصار المطران هوغس يستشير بهِ ويسترشدهُ في أصعب أمور رعيّتهِ. لا بل انّ البابا اربانس الثاني استدعاهُ إلى روميّة ليكون لهُ مشيراً في تدبير أمور الكنيسة كلّها. فاضطُرَّ القدّيس أن يفارق كرهاً منهُ ديرهُ ويأتي إلى روميّة. وأبان في وظيفتهِ هذهِ عن حكمةٍ ورشدٍ وقداسة عجيبة نادرة* ولم يجب البابا إلى طلبة رفاقهِ الذين أتوا إلى روميّة ليستردّوهُ إليهم. وبقى هكذا مدّة إلى أن حدث سفر البابا إلى بلاد فرنسا. فطلب القدّيس برونون أن يبيح لهُ في تلك المدّة أن يخرج إلى البرّيّة لعبادة الله. فتخلّى في برّيّة كلبرية. وعمل لهُ قلالي هناك. وتتلمذ لهُ بعض الناس في تلك البرّيّة* وكانت سيرتهُ هناك مع كونهِ موجوداً بالجسم على الأرض كأنَّهُ حاضراً بالروح في السماء* وخرج ذات يوم صاحب كلبرية إلى الصيد. ولحق صيدةً إلى مكان قلاَّية برونون. فرآهُ من بعدٍ راكعاً غارقاً في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

التأمّل والصلوة. فانذهل منهُ. وعزم أن يقف على أمرهِ. فلمّا انتهى إليهِ واستفهم عن كلّ شيء. أجرى لهُ رزقاً لقضاء حاجتهِ وحاجة رهبانهِ. وخصّص لهم بعض الكنائس. ومن ذلك اليوم مال إلى القدّيس برونون. فصار يستدعيهِ أحياناً ليستشيرهُ في أمورهِ وينتفع بصلواتهِ. وزادت حرمتهُ ومحبّتهُ لهُ على الخصوص إذ نجا يوماً من خطر مبين بشفاعة هذا القدّيس. فأعطاهُ مالاً كثيراً. فبنى ملاصق الدير كنيسة فاخرة على اسم العذراء* ثمّ وقع القدّيس مريضاً ومات في اليوم السادس من تشرين الأوّل من سنة ١١٠١. وانبع الله على ضريحهِ معجزات كثيرة باهرة*

* الأحد الأوّل من شهر تشرين الأوّل *

وفيهِ عيد سلطانة الوردية المقدسة

انّ السنكسار الرومانيّ يفتتح ذكر هذا اليوم بهذهِ الكلمات وهي: «اليوم يُصنَع ذكر سيّدتنا ذات الانتصار» وهذا العيد قد رسمهُ الحبر الأعظم مار بيوس الخامس شكراً لله على الغلبة التي نالها المسيحيّون على أعدائهم الأَلدّاء في حرب بحريّة. وذلك بشفاعة خصوصيّة من مريم العذراء. واتّبعهُ بذلك الحبر الأعظم غريغوريوس الثالث عشر. إذ رسم بأن تعيّد الكنيسة في كلّ سنة عيد الورديّة المقدّسة في الأحد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأوّل من شهر تشرين الأوّل*

فعبادة الورديّة هي من أجل العبادات المخصَّصة لاكرام مريم والدة الله وأسماها شرفاً وفضلاً. وهي تفوق كلّ الصلوات المقدَّمة لها. إذ تُسَرّ بها كثيراً. وبما أنّ هذهِ الصلوة ذات مفاعيل لدى السيّدة ملكة السماء. فهي لديها أكثر قبولاً. وتستجيب متعبّديها عاجلاً. وناهيك أنّ أصل وضع هذهِ العبادة الشريفة هو لتثبيت قدرتها العظيمة لدى ابنها. من ذلك انّهُ في أوائل القرن الثالث عشر لمّا أخذت بدعة الالبيجيّين بالانتشار. تجدّدت إذ ذاك تعاليم بدعة المانيّين المفسودة. وحدث اضطرابٌ عظيم سيّما في أغلب بلاد أوروبا المتمدّنة. وامتدّ وعثا فساد هذهِ البدعة في فرنسا وايطاليا وألمانيا وأسبانيا. وغوي بها كثير من أهالي هذهِ الأقانيم. وتظاهر أصحابها بزيّ التقوى والمحاماة الخارجة عن الايمان المستقيم. وملازمة نقاوة السيرة. ووجوب تهذيب الأخلاق. واعتدّوا نفوسهم صُلحاء وأتقياء. وتظاهروا بقداسة عظيمة وطهارةٍ فائقة. وانضمّ إلى حزبهم بعض الأمراء والأشراف ذوي الاقتدار. فتشامخوا بصولتهم. ووصلوا إلى أعلى منزلة. حتّى احتسبوا ذواتهم أقوياء. وقايسوا نفوسهم مع أعظم الملوك المسيحيّين. وأخذوا يتطاولون بجسارة على هدم الكنائس وخراب الأديرة. وقَتلِ الكهنة والرهبان. وتهييج القلق والاضطراب في كلّ مكان. فانتصاراً للحقّ شرعت الكنيسهِ المقدّسة تحارب هذهِ الهرطقة بغيرة وهمّة والديّة. وما فتئت تكافح وتناضل كلاًّ من الجماعات المتعصّبة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لتلك البدعة حتى بدّدت شملهم* وقد أورد قداسة الحبر الأعظم مار لاون الثالث عشر الجالس سعيداً في رسالتهِ العموميّة التي أصدرها في اليوم السابع من ايلول سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وألف المسيحيّة ما نصّهُ بقولهِ: انّهُ متهيّئٌ ليحارب أعداء الكنيسة المقدّسة ليس بواسطة الجنود والأسلحة. بل بقوّة الورديّة المقدّسة. وهو متأكّد أنّهُ ينال بها الغلبة والانتصار عليهم. سانداً عزمهُ على ما أعلنتهُ والدة الله بنفسها لمار عبد الأحد الذي كان ذا محبّة فائقة لهذهِ الأمّ القدّيسة. وقد أُضرم قلبهُ بنيران الحبّ والغيرة على خلاص النفوس. فخصّص ذاتهُ لردّ الهراطقة إلى الايمان الصحيح. وشمّر الساعد وبذل الهمّة وجدّ ساعياً ليبلغ منهم خير مأرب ويهديهم إلى الايمان القويم. وفضلاً عمّا كان عليهِ هذا القدّيس من غزارة العلم وسموّ القداسة وتشريف الله ايّاهُ باجراء الكرامات والآيات التي استخصّهُ بها. قد خارت قواهُ وارتخت عزائمهُ حين رأى أنّ جلّ مساعيهِ لم تكن تجديهِ نفعاً. وحينئذٍ أخذ يستغيث بالعذراء مريم بحرارة. وإذا بها قد ظهرت لهُ وسلّمتهُ مسبحة الورديّة قائلةً لهُ: تشجّع يا عبد الأحد. ولا يرتخِ عزمك. انّك تعلم جيّداً بأنّ خلاص الجنس البشري هو ثمين لدى ابني. ولا يريد أن يكون عمل فدائهِ باطلاً من دون ثمرة. فتقوَّ إذاً وتشدّد وثق ثقةً عظيمة. واعلم أنّ ثمرة أتعابك ستكون مخصبة غزيرة. وانّ الدواء الشافي للأمراض الروحيّة سيكون بالتأمّل والهذيذ في أسرار حيوة آلام ابني الوحيد وموتهِ وأمجادهِ مقترناً بتلاوة السلام الملاكيّ الذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بهِ ابتدأ عمل الله العظيم بأمر خلاص البشر* ولمّا علّمت ملكة السماء مار عبد الأحد كيفيّة تلاوة الورديّة كحسب أُسلوبها الذي نتلوهُ اليوم قالت لهُ: دونك وهذهِ الصلوة. وانذر بها في إرشاداتك. وعلّمها للناس وأنشرها فانّ هذهِ العبادة المحبوبة تسرّ ابني. وهي عزيزة عليّ. وتكون سلاحاً قويّاً للكنيسة. وتخوّلها الظفر والانتصار على أعدائها. إذ تُستأصَل بها الهرطقات. وتُمحى الرذائل. وتنمو الفضيلة. وتُستَمدّ الرحمة الإلهية. ويُحصَّل الكمال* فالقدّيس المشرَّف المومى إليهِ أدّى بإتقان أوامر السيّدة. ومنذ ذلك الحين أخذت مواعظهُ تحوز اقتداراً وتأثيراً عجيباً. والمؤمنون الذين سمعوهُ انعكفوا على عبادة تلاوة الورديّة. واتّقدت قلوبهم بحرارة التأمّل في الأسرار. وتغيّروا عمّا كانوا عليهِ. وزال عنهم ظلام الهرطقات. ونشرَ الايمان الكاثوليكيّ شعاعهُ في كلّ مكان* ومن بعد وفاة القدّيس عبد الأحد أخذ الأخوة الواعظون يُذيعون في كلّ قطر ومكان هذهِ العبادة الشريفة. وأقاموا أخويّات للاشتراك في الورديّة. وجمٌّ غفير من الشعب المختلف بطبقاتهِ حرّروا أسماءَهم في سجلّ هذهِ الأخويّات مجيبين إليها بسرعة ومن دون توقّف* وأعظم شاهد على انتصار الكنيسة المقدّسة العجيب على كلّ موانع الخلاص التي أصابت أولادها اللائذين بها هو ظفرها بأعدائها الحُقُد في الأزمنة التابعة. وذلك بواسطة الورديّة. إذ دافعت عن نفسها في الأخطار. ومحت الاضطرابات وكلّ سجس وشغب. وهكذا لا تزال منتصرة وممجّدة على الدوام*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ هذهِ العبادة الشريفة توضّح لنا الاقتدار العظيم الحائزة هي عليهِ. ويظهر لنا هذا جليّاً من نوع تقريرها وماهيّتها. فالعامّة بلغتهم الدارجة لقّبوها اكليلاً. لأنّها تُحصَر بدائرة مسلسلة ترمز عن أسرار حياة يسوع ومريم الخصوصيّة. وتتضمّن أفراحهما وأوجاعهما وانتصاراتهما. هذا وانّ التأمّل التقويّ في رتبة هذهِ الأسرار الشريفة يذخر للمؤمنين معونة عجيبة وافرة. وفضلاً عن ذلك فهي غذاء لايمانهم. إذ تحفظهُ من عدوان الأضاليل. وتزيل عنهُ قساوة القلب. ومن يتلو الورديّة فيوجّه فكرهُ إلى التأمّل في أسرارها ويهذّ سروراً بنور الايمان عندما ينتقل من سرّ إلى آخر. وعلى هذا النمط فانّ الذي يدمن على التأمّل في الورديّة. يغوص في بحر التعجّب. ولا يمكنهُ أن يستقصي كنه عمل الفداء العظيم الغير المدرك الذي اكتمل بثمن دمٍ الاهيّ. بل تستولي عليهِ الدهشة. ويتعلّق قلبهُ بحبّ مفرط غريب فائق الوصف. إذ انّ نفسهُ تتّقد بالمحبّة. وتتوق لأداء الشكر مقرّةً بالحبّ الالهيّ. وتحسّ بقوّة روحيّة تثبّتها. وتُنمي فيها الرجاء وتزيد فيها الشوق للانعكاف على الأعمال الصالحة وأَخذ الأجور السمويّة التي أعدّها يسوع للّذين اتّبعوهُ واقتفوا أثرهُ مقتدين بهِ ومشاركينهُ في أوجاعهِ وآلامهِ*

وقد ينضمّ إلى التأمّل في أقسام الورديّة تلاوة الصلوة الربيّة السامية القدر التي تفوّه بها ربّنا وعلّمنا إيّاها هو بنفسهِ. ومع هذهِ الصلوة تُتلى صلوة السلام لك المؤلّفة من التحيّة الملاكيّة التي اقتطفها من جنان الفردوس السماوي جبرائيل زعيم الملائكة. وممّا نطقت بهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدّيسة اليصابات حين زارها المخلّص بواسطة أمّهِ. وتُختَم بابتهال ألّفتهُ الكنيسة المقدّسة استغاثةً بسيّدة السماء وأمّ الشر. فهذهِ العبادة الكاملة والمزدانة بالصفات الزاهية تولي المدمنين عليها أثماراً جديدة وتلقي في قلوبهم حلاوة التقوى وعذوبة الصلوة والتأمّل*

ثمّ اعلم انّ في كلّ مرّة نحيّي مريم بكلمات الملاك تنعطف إلينا ملكة السماء وتحيّينا. بل كأنّنا بذلك نضفر لها اكليلاً ونسرّها غاية السرور* أخيراً لا يمكنّا أن نصف عظم ما يستولي على قلبها من مزيد الفرح والمجد كلّ مرّة نسلّم عليها. فانّنا لمّا نلفظ بعبادة يا ممتلئة نعمة. نذكّرها درجتها السامية وسرّ الفداء الذي أنعم بهِ الله لخلاص الجنس البشري. والخيرات التي غمّرها بها الجود الالهي. وافراح يسوع المسيح. وما قاساهُ من الأوجاع والاهانات وظفرهُ المجيد. إذ انّ هذهِ كلّها قد جعلتها أن تشترك معهُ في إنقاذ البشر من البوار الأبديّ. فمريم صارت أُمّاً ليسوع لتكون أمّنا. وان كنّا نتوق أن نفهم عظمة حبّها الوالديّ لنا لنتذكّرنّ معتبرين كيف انّ ربّنا يسوع المسيح ارتضى أن يتّخذ شبهنا. وسُرّ أن يُدعى ابناً انسانيّاً للعذراء وأخاً لنا. وذلك ليبيّن لنا واضحاً رحمتهُ كما قال الرسول بولس: لقد وجب أن يأخذ شبه أخوتهِ في كلّ شيء ما عدا الخطيّة ليكون رحوماً (عبر ص ٢ عد ١٧)*

وناهيك إن كان حبّ يسوع لنا قد أضحى عظيماً جدّاً وبنوع فريد سامٍ. فكيف لا يكون حبّ مريم لنا شبيهاً بحبّ ابنها. وذلك لأنّ الله اصطفاها أمّاً لسيّدنا يسوع المسيح أخينا. وبسبب هذا الانعام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذي حازتهُ من لدن الله. قد فاقت بحبّها كلّ حبّ والديّ. وهي تتنازل وتبذل نحو جميع البشر مفاعيل رأفتها العديمة الوصف* فمن ثمّ كما أنّنا مديونون لافضال ربّنا يسوع المسيح. وقد وجب علينا الشكر لهُ على الدوام. لأنّهُ قد استحقّ لنا الفضل العظيم. أعني الاشتراك بحقّ البنوّة لأبيهِ الأزليّ. وأن ندعو الله أبانا كما قد دعاهُ هو حينما كان على الأرض. هكذا نحن مديونون لهُ إذ اشتركنا أيضاً بحقّ البنوّة معهُ بمريم العذراء أمّهِ. وأن ندعوها مثلهُ أُمّنا. فبناءً على هذا ان كانت الطبيعة نفسها خصّت الأمّهات بحبّ منشغف نحو أولادهنّ وهو أصل الرقّة الوالديّة ومبدأ رأفتها. فكم بالأحرى يجب أن يكون حبّ مريم لنا متفاقماً عظيماً. لعمري من يقدر أن يصف مقدار حبّها لنا وأيّ لسان يوجد كفؤاً ليعبّر شدّة الرأفة المضطرم بها قلب أمّنا نحونا على الدوام. مع انّها ليست أمّنا بالطبيعة. بل بنعمة ربّنا يسوع المسيح الفائقة قوى الطبيعة التي قد جعلت محبّة مريم لنا أعظم وأسمى من محبّة الطبيعة بنوع لا يقاس*

وفوق ذلك نقول: بأنّ مريم تعرف جيداً وأكثر من غيرها ما نفتقر إليهِ وما يلزمنا من المعونات في هذهِ الحيوة الحاضرة. وانّها تدري أيضاً بالأخطار التي تتهدّدنا خصوصاً وعموماً. وبما يداهمنا من المشقّات والأوجاع. ولا يخفى عنها ما نحتاج إليهِ من الشجاعة والغيرة على محاربة أعداء خلاصنا الملازمين لنا. لا بل انّها قادرة أن تخوّلنا القوّة والتسلية في كلّ ما يعرض علينا من المصائب والمحن في هذهِ الدنيا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتتوق أكثر من غيرها إلى أن تمدّنا بكلّ نوع من المعونات. لأنّها تحبّنا محبّة فائقة الوصف فبناء على ذلك يجب أن نلجئَ إليها بثقة بنويّة. ونطلب إليها بحرارة واثقين بحقوق أفضالها الوالديّة التي جعلت وصال حبّها شديداً بين ابنها يسوع وبيننا نحن أولادها. ونندبها بقلب خاشع. ونتوسّل إليها بالصلوة التي عيّنتها لنا هي بنفسها. ونتلوها بتكاثر. لأنّها تنسرّ بها جدّاً. وبذلك نحصل على مقاصدنا. ونكسب الراحة والسكينة. لأنّنا نحتمي تحت ظلّ أمّ تفوق الأمّهات حنوّاً. وتسموهنّ قدرةً وهي أعظمهنّ شرفاً واقتداراً*

فإذا تقرّر ذلك علينا أَن نمعن النظر الآن في مزيّتين أخريين امتازت وتمتاز بهما عبادة الورديّة على غيرها من العبادات. وهما جمالها السنيّ واقتدارها العظيم. فعبادة الورديّة يحقّ لها أجلّ الثناء وأعظم التبجيل لما يظهر لنا من خواصّها الفريدة. إذ انّها منذ إنشاءِها قد انتشرت بسرعة. ولُحِظت بعين القبول. وانجذب نحوها الخاصّة والعامّة. وانعكف على تلاوتها المؤمنون على اختلاف رتبهم وطبقاتهم* ولا ريب أنّ تعبّد الشعب المسيحيّ لمريم العذراء هو على أنحاء شتّى. وذلك لأنّهُ يكرّمها ويبجّلها بألقاب متنوّعة عديدة. ووالدة اله تتلألأ بهاءً وتزداد مجداً عندما يتحفها المؤمنون المتعبّدون لها بأخصّ تباجيلهم. واخلص عباداتهم الوافرة. غير أنّها قد أظهرت علناً أنّها تفضّل بنوع خاصّ تلاوة الورديّة على غيرها من العبادات. لأنّ هذهِ العبادة تتضمّن بالاختصار قواعد ايماننا وتحوي بنوع وجيز الاكرام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الواجب علينا أداؤهُ لامّنا. والكنيسة المقدّسة في كلّ آنٍ قد فضّلت استعمال هذهِ العبادة العزيزة. وأمرت أن تُتلَى سرّاً وجهراً من الأفراد والجمهور ما بين العائلات وجمعيّات الأخريات. وقد استنبطت شركة أخويّات عديدة لعبادة الورديّة. وشيّدت مذابح على اسمها. وجعلت لها دورات احتفاليّة متيقّنةً بهذهِ كلّها وأمثالها انّها تكون أفضل واسطة لاحتفال أعيادها. ولنوال نعمها الجزيلة وحمايتها*

وناهيك انّنا إذا تأمّلنا في حوادث الزمان. نرى أن سيّدتنا تريد دائماً من البشر المحافظة على هذهِ العبادة الجليلة بهمّة خصوصيّة. وما يُظهر صحّة ذلك هو انّهُ كلّما خمدت حرارة هذهِ العبادة لعوارض الزمان في بعض النواحي. وتراخى المؤمنون في عبادة الورديّة. وبردوا عن تلاوتها فنزلت بهم الشدائد المهولة وأفزعتهم. واحتاطت بهم النكبات والمصائب وشتّت شملهم. وهذهِ العوارض وغيرها كانت تنعش قلوب المؤمنين وتحرّكهم على تلاوة الورديّة المقدّسة. وهكذا كانوا يعودون إلى استعمال هذهِ العبادة بنوعٍ عجيب. إِذ ينكبّ الجميع على تلاوتها مفضّلينها على سائر العبادات والأعمال التقويّة. وهذا ما رقّاها إلى شرفها الأوّليّ. لا بل جعلها أنّ تتفاضل وتزهو رونقاً في كلّ الأماكن جالبة الخير لجميع المنعكفين على استعمالها. وقد صرّح الاب الأقدس مار لاون الثالث عشر الجالس سعيداً في رسالتهِ بشأن عبادة الورديّة الصادرة في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايلول سنة ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين حيث قال: انّهُ لا حاجة لنا أن نأتي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بأمثال حدثت في الأزمنة السابقة تبرهن لنا عن تجديد عبادة الورديّة العجيب في العالم. لأنّنا نتأكّد ذلك ممّا نشاهدهُ عياناً في أيامنا هذهِ. فانّهُ لمّا شاءت عناية الله أن تسلّمنا زمام الكنيسة المقدّسة وتدبيرها في عصرنا هذا التعيس. الذي من الجهة الواحدة ما زال يكدّر الكنيسة بمساويهِ. ويسبّب لنا غمّاً عظيماً ويجرح فؤادنا ألماً. وأمّا من الجهة الأخرى فيمتلئُ قلبنا تعرية. ونرتقش فرحاً. إذ نرى المسيحيّين منصبّين باجتهاد كلّي معتنقين بشوق عظيم عبادة الورديّة. ومثابرين على تلاوتها في كلّ الأمصار والنواحي. وهذا موضوع سلواننا. لا بل انّنا نتّخذهُ سنداً مكيناً بهِ تنتعش قوانا. ونزيد ثقة كاملة لمّا نرى ونتحقّق أنّهُ بمساعدة مريم سلطانة الورديّة لا زالت الكنيسة المقدّسة تستظلّ تحت كنف حمايتها وتفوز بالانتصار مجدّداً وبنوع فائق خارق العادة. وهذا العمل يجب أن يُنسَب إلى الله وحدهُ مبدع البرايا. ومدبّر الناس بعنايتهِ. ولا يُنسبَنّ قطّ إلى فطنة البشر ولا إلى حذاقتهم الفائقة* فلننعكفنّ إذاً على صلاة الورديّة باكرام مثابرين عليها بمحبّة وثقة. لنتلونَّها خلوّاً من فتور وملل. ولنتأمّلنّ دائماً في أسرارها المقدّسة. لأنّ ورديّة سيّدتنا مريم البتول تتضمّن أسلوباً فاخراً ومفيداً جدّاً. وواسطة ذات فاعليّة لحفظ الايمان. ومرآة لجميع الفضائل المسيحيّة. لنلتجيَنَّ إلى صلاة الورديّة في جميع حاجاتنا العموميّة والخصوصيّة. لأنّها لا تزال عزيزة ومحبوبة لدى الكنيسة المقدّسة وأولادها. وهي بمنزلة عربون لانتصاراتها الأكثر شهرة. وهذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو أجلّ ثناء وُجّه للمؤمنين بشأن هذهِ العبادة السامية القدر. وهو ملخّص رسالتَي الحبر الأعظم الرومانيّ مار لاون الثالث عشر اللتين أذيع اصدارهما سنة ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين واثنتي وتسعين للمسيح*

فمن يروم الاشتراك في أخويّة الورديّة والتمتّع بانعاماتها يجب عليهِ أن يكمّل الشروط الآتية وهي: أوّلاً أن يدوَّن اسمهُ في دفتر الأخويّة. ثانياً أن يكون عندهُ مسبحة يباركها راهب دومنيكيّ أو كاهن حاز السلطان من قداسة الحبر الأعظم أو من رئيس الأخوة الواعظين العامّ. ثالثاً أن يتلو على الأقلّ مرّة في الأسبوع الخمسة عشر بيتاً. ويمكنهُ أن يقسمها إلى ثلاث مسابح. رابعاً أن يتأمّل في كلٍّ من أسرارها إذ يتفكّر في عقلهِ بالسرّ القابل للبيت الذي يتلوهُ. وذلك ليجني منهُ بعض الأثمار المفيدة وهذا الشرط الأخير واجب ومهمّ ومن دونهِ لا تُكتَسَب الغفرانات. وقد يُعفى منهُ الأولاد والمرضى والسُذّج*

ولا يخفى أنّ كلّ عمل تأمر بهِ أخويّة الورديّة لا يلزم إلزاماً شديداً. حتّى انّ اهمالهُ لا يوجب إثماً لا مميتاً ولا عرضيّاً. ولكنّ الزامهُ هو من باب النافلة. وانّما من أراد أن يكتسب فوائدها العظيمة فعليهِ أن يجدّ في بتكميل شروطها واتقانها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثامن *

القدّيسة بلاجية التائبة

إذ كان مجتمعاً في كنيسة مار يليانس الشهيد التي في انطاكية مجمع مؤَلَّف من ستّة أساقفة. وكان نونس القدّيس أسقف مدينة الرها يخطب الحاضرين. اتّفق ان عبرت بهم بلاجية إحدى النساء الشريفات. وهي مكتنفة بحشمها وجواريها وعليها زيّ الخلاعة وعلامة العهارة والتهتّك* فلمّا لمحها الأساقفة امتنعوا من النظر إليها قاطبةً. فاغتنم نونس الخطيب هذهِ الفرصة. ووجّه عظتهُ إلى تحريض الأساقفة وسائر الحاضرين على أن يكونوا قدوةً للناس ليعوّضوا على الخصوص عن مثل هذهِ الإهانات التي بها أهل الدنيا يهينون جلالة الربّ* ثمّ نزل وانفرد. وأقام يبكي وينوح ويستغفر الله ويسترحمهُ. ولكن بلاجية كانت تزداد وقاحةً واثماً* فلمّا كان يوم الأحد وحضر الأساقفة في القدّاس كلّف أسقف انطاكية مار نونس المذكور أسقف الرها أن يعظ الجماعة. فخطب خطبة بليغة عجيبة. أبرز فيها كنوز النعمة الإلهيّة المكنونة في قلبهِ. وذكّر السامعين بعدل الله العظيم وبقضائهِ الشديد الصعب وبعقوباتهِ الزمنيّة والأبديّة المعدّة للمصرّين. وفعل ذلك كلّهُ بمزيد الغيرة والحرارة. فهيّج الناس أجمع إلى البكاء*

وانّ الله الذي يريد رجوع الخطاة يسّر لبلاجية أن تكون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حاضرة في هذهِ الخطبة أيضاً. فصارت كلمات نونس أحسن دواء لها. وأصابت قلبها. بحيث انّها لم تنقطع دموعها مدّة الخطبة. ثمّ عندما انقضت الخدمة البيعيّة واختلى الخطيب في قلاّيتهِ. انفذت إليهِ هذهِ الرسالة وهي: إلى حضرة تلميذ يسوع المسيح القدسيّ السلام من الخاطئة امَة الشيطان. قد بلغني أنّ الاهكم نزل من علوّ السموات إلى الأرض من أجل خلاص الأنفس. وانّهُ إذ لا يجسر الكواريب أنفسهم أن يرفعوا نظرهم إليهِ قد جالس الخطاة والعشّارين وخاطبهم. حتّى أنّهُ لم يأنف من أن يخاطب أمرأة سامريّة وامرأة خاطئة. فان كنت من تلاميذ هذا المعلّم. فأسلك أن لا ترذل خاطئة مثلي وأن لا تحرمني من مواجهتك. فانّي أرغب أن أتوصّل بواسطتك إلى أن أرى يسوع المسيح* فلمّا قرأ القدّيس نونس هذهِ الرسالة. ارتاع في الأوّل. وخالجهُ خوف من غشّ الشيطان ومكرهِ. فأرسل الجواب الآتي: انّ يسوع المسيح لا يخفاهُ البتّة حالكِ وشأنكِ. فلا تخدعيني. فانّي إنسان خاطئ ولستُ أريد أن أواجهكِ الاّ في حضرة سائر الأساقفة* فلمّا بلغتها الرسالة ذهبت حالاً إلى الكنيسة المذكورة. وكان الأساقفة كلّمهم برفقة نونس مجتمعين في المجمع. فخرّت منطرحة على الأرض قدّام الأساقفة. ودنت من القدّيس نونس وبلّت قدميهِ بدموع غزيرة. وتوسّلت إليهِ ليعمّذها ويلطف بحالها كما كان دأب المسيح معلّمهِ. فأعلمها الأسقف أنّ قوانين الكنيسة لا تأذن أن يعمَّذ الشخص المشتهرة خطاياهُ قبل أن يرفض سوء سيرتهِ جهراً. فتكاثرت دموعها وألحّت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عليهِ في الطلبة والتوسّل بأن لا يُبطئ في تعميذها وأن يجعلها عروساً غير معيبة ليسوع المسيح في ذلك اليوم لئلاّ يعطي حساباً لله عنها في يوم الدين فتحرّك الأساقفة قاطبةً وحدّثوا البطريرك الانطاكيّ بجميع ما حدث. وطلبوا إليهِ أن يعيّن لهم إحدى النساء التقيّات لقضاء هذهِ المصلحة. فعيّن لهم واحدة اسمها رومانة وكانت من أتقى النساء وأقدسهنّ. فأرسلوها إليها رجاء أن تحضرها أمامهم حذراً من المكر والانخداع. فذهبت ورأتها لاصقة بالقاع. فأقامتها بتعبٍ جزيل وجاءت بها إلى الأساقفة. فسألها القدّيس نونس عن اسمها. فقالت: اسمي بلاجية. غير انّ أهل انطاكية يسمّوني مرغريثا أي لولو بسبب اللؤلؤ الفاخر الذي كنتُ أُكثر منهُ في تزويقي وزينتي. رجاء أن أوقع الناس في حبال الشيطان. وكانت تظهر في وجهها علامات الكآبة والندامة والانكسار. فعمّذها الأسقف وترك عليها اسم بلاجية. وقضى عليها سائر الرسوم والخِدَم المستعملة يومئذٍ في البيعة. ثمّ ناولها جسد يسوع ودمهُ الأقدس. وسلّمها بيد رومانة المذكورة لتكون لها مرشدة وهاذية في أمور الدين والخلاص*

وطارت في أسرع وقت بشارة توبتها في المدينة. ففرح لها الصالحون فرحاً جزيلاً. واندهش منها الأشرار اندهاشاً عظيماً. امّا الشيطان فاستشاط غيظاً وغضباً شديداً. بحيث انّهُ في تلك الأثناء سمعهُ الحاضرون أجمع يتشكّى ويقلق ويلعن القدّيس. لأنّهُ لم يكتفِ بأن يخطف من يدهِ شيئاً وافراً من جماعتهِ في مدينة هليوفوليس ومن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السراكسة. بل سقاهُ كأس المرارة إِذ خطف من يدهِ بلاجية الخاطئة التي كانت عضداً شديداً لهُ بل رجاءهُ وغاية منيتهِ. ثمّ أقبل الشيطان في تلك الساعة عينها ليغيّر قلب بلاجية ويعاتبها ويذمّها ويندّمها على صنيعها. فلمّا أحسّ بذلك نونس القدّيس أمر بلاجية بأن ترسم إشارة الصليب المحيي لتطردهُ. ففعلت. وولَّى الشيطان اللعين. ثمّ عاود إليها بعد يومين في الليل. فهزّمتهُ بإشارة الصليب أيضاً*

وقطعت بلاجية منذ حين توبتها كلّ تعلّقاتها العالميّة. وباعت بعد ثلاثة أيّام كلّ ما كان لها. حتى الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة. وأَتت بثمنها ووضعتهُ بين يدي القدّيس نونس لكي يوزّعهُ في ما يشاء. فسلّمهُ القدّيس بيد وكيل الكنيسة ليقسّمهُ على الفقراء والأيتام* ثمّ أطلقت بلاجية جميع من كان عندها من العبيد والاماء والخدّام والخادمات. وحذّرتهم من مكائد الدنيا وحيلها وشرورها*

ثمّ هربت بعد أيّام قليلة من انطاكية. وقصدت أورشليم وابتنت لها قلاّية في جبل الزيتون لتعبد الله فيها. وتردّت بزيّ الرجال. وعُرفت باسم بلاجيوس. وقضت هناك عيشة قشفيّة صعبة توبيّة*

وحدث لبعض شمامسة القدّيس نونس الأسقف أنّهُ بعد أربع سنوات حجّ إلى القدس الشريف. فاستأذن أسقف أورشليم أن يزور الراهب المعروف ببلاجيوس. فلمّا رآها. عرفتهُ التائبة بلاجية. وكانت صورتها أشبه شيء بصورة المائت لِمَا كانت عليهِ من قشف المعيشة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والأصوام الشاقّة والسهر الطويل. فطلب الدعاء منها لاسقفهِ نونس. ثمّ انصرف. وعاد إليها ثانيةً ليودّعها وقرع الباب فلم يحظَى بالجواب وكرّر إليها المجيء ثاني يوم وثالث يوم أيضاً. فلم يُرَدّ لهُ الجواب. فتطلّع من خلال الباب فإذا بها قد ماتت* فأعلم بذلك الرهبان الذين كانوا في تلك النواحي عاكفين على القداسة. فانضمّوا إليهِ أجمع. وذهبوا إلى قلاّية بلاجية. وأرادوا أن يدهنوا جسمها بالطيب. فرأوها امرأة. فشاع الخبر في الأقطار المجاورة. واجتمع لفيف رهبان سواحل الأردنّ وايريحا. وشيّعوها بما يجب من الاحتفال والعظمة*

* اليوم التاسع *

ديونوسيوس أسقف باريس

انّ من جملة الاضطهادات التي ثارت على الكنيسة هو الاضطهاد الذي أمر بهِ الملك سويرس* وباد بهِ عدد وافر من المؤمنين. حتّى امتلأت الطرق بدم الشهداء وحُشرت الكاتكمبات بأفواج المسيحيّين إذ كانوا يجتمعون فيها استعداداً للاستشهاد* وكان الاضطهاد شديداً في روميّة خاصّةً. فنهض سبعة رسل جدد في تلك الأيّام ومثلوا بين يدي البابا فبيانس. وطلبوا إليهِ أن يباركهم ليسافروا إلى بلاد بعيدة للانذار بإنجيل المسيح* وكان أحد هؤلاء المرسلين مار ديونوسيوس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتوجّهوا إلى مدينة ألس. وكانت إذ ذاك مدينة مشهورة عظيمة. فأخذوا ينذرون ويبشّرون فيها. وجذبوا جماعة كبيرة من الوثنيّين إلى الايمان الموحى بهِ. ثمّ تفرّقوا في الجهات المجاورة. وتوجّه ديونوسيوس إلى مدينة باريس. وكان أهلها قوماً متوحّشين غليظي الطباع شديدي القساوة* وصار ديونوسيوس يفتعل العجائب والآيات فيؤثّر كلامهُ في قلوبهم تأثيراً بليغاً وبذلك يجتذب الناس إلى الايمان الحقّ. ومن جملة العجائب التي صنعها أنّهُ بمجرّد ذكر اسم الله عزَّ وجلّ هدم تمثال الإله المعروف بالمريخ وكسّره. وتوغّل ديونوسيوس في أقاصي بلاد غاليا وهو ينذر ويبشّر بالايمان. فلمّا رأى ذلك الكهنة الوثنيّون أخذوا يتوقّعون فرصة ليقتلوهُ ويبيدوهُ. ولحقتهُ يوماً جماعة كبيرة من الوثنيّين وهم يتهدّدونهُ بأعلى صوتهم. ولكنّ الله حجزهُ في الساعة عنهم إذ أبهر وجههُ بنور ساطع بحيث لم يتمكّن أحد أن يحدق بهِ. فبُهت الحاضرون لهذهِ الأعجوبة. وانحاز كثيرون منهم إلى الايمان المستقيم* وأَعَدّ بيتهُ مصلّى لجماعة النصارى الذين تتملذوا لهُ هناك. وصار الذين رجعوا على يدهِ رسلاً مبشّرين يدعون الناس إلى النصرانيّة* ثمّ كثر عدد النصارى قليلاً قليلاً. فشُيّدت لهم الكنائس. واتُّخذ لذلك أيضاً عدّة من هياكل الآلهة الباطلة. ثمّ رسم لهم لباساً وخدّاماً للقدّاس. ومنذ ذلك اليوم انتظمت الكنيسة في باريس* فلمّا حصل على ذلك طابت نفسهُ. وشرع يطلب من الله أن ينعم عليهِ بأن يؤَيّد الايمان الذي أنذر بهِ ويختمهُ بدمهِ بالاستشهاد. فاستجاب لهُ الله*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فحدث انّ الملك إذ فطن باعتزاز الدين النصراني وتغلّبهِ في البلاد أعطى الأوامر الصارمة بتتبّعهِ ومحوهِ. وكانت شدّة الاضطهاد في أيّام الملك داقيوس أو والريانس. فأقبل العمّال يبحثون على النصارى في كلّ مكان وزاوية*

فالتجأت تلك الكنيسة الحديثة إلى الله وطلبت منهُ النعمة لكي يؤيّدها ثابتة على هذا الاضطهاد. وأَخذ راعيهم يشجّعهم ويقوّيهم ويحافظ عليهم. وكان كلّما قُبض على أحد المسيحيّين من جماعتهِ ذهب إلى المجالس والمحاكم والقضاة لكي يدافع عنهم ويثبّهم* فامتلأوا غضباً وغيظاً عليهِ. وإذ كان يوماً عند الوالي يشجّع الشهداء ويحثّهم على الثبات. قبضوا عليهِ وعلى رفيقيهِ رستيقس والوثاريوس. فلمّا ساقوهُ للحكم. شرع يقول ويكرّر: أنا عبد الله. فجزموا عليهِ بالجلد. وكان إذ ذاك عمرهُ مائة وعشر سنين. فجلدوهُ حتى جرت دماؤهُ. ومع ذلك فلم يتشكَّ البتّة. بل طفق يشكر الله على إحساناتهِ هذهِ ويقول علناً. لتداهمني جميع العذابات. وليُعطَ لي أن أبقى سعيداً بيسوع المسيح* ثمّ كُبّل بأغلال وأُلقي في السجن. ونزل الملائكة من السماء وجاءوا ليسلّوهُ ويعزّوهُ. وألقى الله في قلبهِ عذوبة سماويّة وأذاقهُ على الأرض شيئاً من الأفراح الأبديّة. ثمّ أحضروهُ إلى المحاكمة ثاني دفعة بصحبة رفيقيهِ. فأمروهم أن يقرّبوا للآلهة. فقال ديونوسيوس: انّنا نعبد يسوع المسيح. ولا يمكنّا أن نسجد للأصنام* فقالوا لهم: انّ الموت ينتظركم ان كنتم لا تمتثلون أوامر قيصر. قال الشهداء: نحن نطيع الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قال المعذّبون: ستُقتَلون لا محالة. أجابهم الشهداء: إذاً ننطلق إلى الملكوت* فلمّا عجز الوالي من اقناعهم أخرجهم إلى خارج المدينة ليُقتَلوا. فضُربت أعناقهم بالسيف. وتُرِكت جثّتهم مأدبة للوحوش. غير أنّ الله لم يسمح لها بأن تمسّ أجسادهم المقدّسة* ثمّ أتت بعد ذلك إحدى النساء الشريفات ودفعت مقداراً من الفضّة ثمن هذهِ الأجساد وقبرتها باحتفال وتبجيل في إحدى القرى. وهي التي تُعرَف اليوم بقرية مار ديونوسيوس. وجرت كرامات كثيرة على قبرهِ* ثمّ شُيّدت لهُ كنيسة فاخرة في محلّ قبرهِ. وتكاثرت الكنائس على اسمهِ في سائر فرنسا وأوروبا* وصار ذكر ديونوسيوس واسمهُ عزيزاً جليلاً عند اوليك الأقوام إلى يومنا هذا. وكلّ ملوك فرنسا كانوا يضعون مملكتهم تحت حمايتهِ وشفاعتهِ*

* اليوم العاشر *

مار لويس برترند الدومنيكيّ

انّ هذا القدّيس وُلد في والنسا في أوّل كانون الثاني سنة ١٥٢٦ وكان أبواهُ فاضلين من ذوي التقوى وتعمّذ في كنيسة مار اسطيفان حيث تعمّذ مار منصور فرّاري الدومنيكيّ الذي كان مزمعاً أن يتبع فضائلهُ ويقتفي آثارهُ ويقتدي بسيرتهِ* فهمّ أهلهُ بتهذيبهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتلقينهِ الفضائل المسيحيّة. فلمّا بلغ السنة السابعة من العمر. لازم التأَمّل والصلوة وإماتة النفس والتقشّف. وأحبّ التخلّي والانفراد. وتجنّب العالم* ثمّ تناول التناول الأوّل إذ صار عمرهُ خمس عشرة سنة. واتّخذ لهُ منذ ذلك اليوم عادة أن يتناول ثلاث دفعات في الأسبوع. ثمّ تفرّغ لخدمة المرضى ومداراتهم في البيمارستانات. وعزم على أن يعيش عيشة مميتة قشفيّة* وفطن بعد قليل بأنّ عيشتهُ في الدنيا كانت تمنعهُ من الاقتران مع الله اقتراناً شديداً. فذهب لينقطع في إحدى البراري. فنهض أهلهُ في طلبهِ وأدركوهُ في نصف الطريق وردّوهُ عن إنجاز قصدهِ هذا. ومع ذلك لم ينفكّ عن موغوبهِ. بل أخذ يلبس قميصاً من شعر ويقضي الليل بسهرٍ مقدّس. ويمزّق جسدهُ بالسياط إلى أن يجري منهُ الدم* وبعد سنين استأذن بالتوسّل والدموع أن يدخل في رهبنة مار عبد الأحد. فأُذن لهُ. فدخل وصار قدوةً صالحة لجميع أخوتهِ. وفاق على الرهبان جميعاً بحرارة عبادتهِ* وكان دخولهُ في الرهبنة سنة ١٥٤٤. ثمّ رُسم كاهناً سنة ١٥٤٧ ولهُ من العمر إحدى وعشرون سنة. وصار منذ ذلك اليوم يعترف كلّ يوم وبلغ في الكمال إلى أقصى درجة وأسمى نوع. بحيث أنّهُ نُصب مدبراً ورئيساً على الرهبان المبتدئين في والنسا. وصار يسوسهم بسيرتهِ أكثر ممّا بكلامهِ* وكان لهُ غيرة شديدة على خلاص النفوس واستجلابهم إلى نور الإنجيل المقدّس. ولأجل ذلك توجّه إلى أقاصي بلاد أميركا. وكانت تلك البلاد حينئذٍ غائصة في الشرور والأضاليل. وبقي هناك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سبع سنين يبذل الجهد والوسع وهو يطوف من بلدة إلى بلدة ومن قرية إلى قرية وينام على القشّ ويستعطي خبز يومهِ الذي ربّما كان يعوزهُ. مضنوكاً بمشقّات الجسم وغموم الروح. لكي يعتق الخطاة من رقّ الطغيان. وكثيراً ما التزم أن يقطع فراسخ كثيرة لكي يعترف بهفوات يسيرة كانت ثقيلة على نفسهِ الطاهرة* وكان الهنديّون يحبّونهُ حبّاً شديداً لما شاهدوهُ فيهِ من الهمّة والاجتهاد. حتّى انّ الذين عصوهُ أوّلاً أخذوا بعد ذلك يحترمونهُ ويتّخذونهُ كوليّ* وساعدهُ الله غير مرّة واستجاب صلواتهِ فنجح نجاحاً عظيماً في رسالتهِ. ولم يبالِ بكلّ الصعوبات والمضادات التي عرضت لهُ لتصدّهُ عن إنذار الوثنيّين في تلك البلاد* وكان كلّما حاول الشيطان منعهُ سخر هو بهِ وهزّمهُ بعلامة الصليب* وفي أحد الأيّام سقاهُ الهنديّون سمّاً نافعاً حتّى دنا بهِ من العطب فتداركتهُ الرحمة الإلهيّة وخلّصتهُ بأعجوبة* ونصبوا لهُ أحياناً مكيدة لعفّتهِ أو لحياتهِ. فكان القدّيس ينجو منها بالصلوة* ولقد جاد الله عليهِ بالنبوّة منذ كان في أسبانيا. وبموهبة اللغات وبفصاحة وبلاغة مقنعة. وبكرامة شفاء الأمراض وعمل المعجزات* وذُكر في الاخبار أنّهُ أحيا ميّتة هنديّة. ثمّ رحل من هناك ورجع إلى والنسا. ففرح بهِ أخوتهُ وأقاموهُ معلّماً للمبتدئين. ثمّ رئيساً على دير ما أُنفرس* وكانت مهمّات هذا المقام لا تمنعهُ من أن يكرز بكلام الله في كلّ مكان. وكثيراً ما كان يوشك على الموت لشدّة همّتهِ* وأضحى مشهوراً في كلّ بلاد اسبانيا. حتّى انّ القدّيسة ترازية كتبت إليهِ لتستعملهُ هل يرضى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الله بما كانت عازمة عليهِ من إصلاح ضوابط رهبنتها. فصلّى القدّيس أربعة أشهر. وبعد ذلك كتب إليها في قبول مقصدها وأنبأها بأنّهُ بعد خمسين سنة تروق رهبنتها غاية ما يكون*

ولمّا بلغ يوم موتهِ. علم بهِ وتنبّأ عنهُ قبل زمان. وحدثت وفاتهُ في التاسع من شهر تشرين الأوّل سنة ١٥٨١* وكان القدّيس في حياتهِ ضعيف الصحّة على الدوام لأنّهُ غدا ممنوًّا بنزلات غير منقطعة على عينيهِ وأذنيهِ وصدرهِ. وأُصيب بصداع دائم في رأسهِ. ومن يوم رجوعهِ من بلاد الهند كانت معدتهُ ضعيفة لما كان قد تأثّر فيها من السمّ الذي جرعهُ. فتولّد فيها دود ربّما طلع إلى فمهِ. وكان لهُ وجع في ساقيهِ ورجليهِ أيضاً*

* اليوم الحادي عشر *

بروبس وطرخس واندرونيقس الشهداء

من أجلّ ما جاء في أخبار أجدادنا المسيحيّين هو جهاد هؤلاء الشهداء وقد اتّصلت بنا حقيقتهُ من رسالة كتبها أهل قيلقيّة إلى أخوتهم المؤمنين في ايقونيّة. وهاك خلاصة هذا الجهاد الجليل بموجب ما جاء في الرسالة المشار إليها. والرسالة قد كتبها هؤلاء الآتي ذكرهم كما يستبين من فاتحتها. وهي:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من فمفيلس ومرقيانس ولوسياس واغاثقلس وفيلكس وجيملُّس واثنيون وطرخُس وأُروسيوس إلى أخوتنا الأعزّاء بسّوس وبَرُلُّس وطيماثاوس واقويلُس وإلى سائر المؤمنين الذين في ايقونيّة المقدَّسين بالايمان والمقترنين بالمحبّة لسيّدنا يسوع المسيح:

انّنا قد أفرغنا كلّ جهدنا وتدقّقنا في الوقوف على أهمّ ما جرى في قيليقيّة من الحوادث في أمر موت بعض الشهداء. ويا ليتنا نوثَق بقيودهم. فدونكم قصّة جهادهم. فنرغب إليكم أن تشهروها. واعلموا أنّنا حصلنا على هذهِ القصّة من سجلّ المحكمة في طرسُس بواسطة سَبَسْطس أحد العمّال الذين يجرون القضاء السامي في تلك المدينة. ونحن أعطيناهُ مقدار مائتي درهم على ذلك* وستقفون على جهاد هؤلاء الشهداء المشاهير بموجب ما بدا وجرى وخُتم. وعلى الأعاجيب التي شاء الله أن يجود بها عليهم لأجل مجدهِ ولأجل خيرنا* ثمّ نرغب إليكم بأَن تشاركوا بها أخوتنا المؤمنين الذين في بيسيديا وفمفليّة لكي يتمجّد بذلك سيّدنا يسوع المسيح ولكي يجد كلّ واحد من الناس في هذهِ القصّة سبباً قويّاً يشجّعهُ على مجاهدة أعداء ديانتنا بقوّة روح القدس* وبعد ذلك أخذوا يقصّون جهاد هؤلاء الأبطال القدّيسين بالتفصيل. فقالوا:

المحاكمة الأولى

في السنة التاسعة لديوقلطيانس والثامنة لمكسميانس في اليوم الحادي والعشرين من أيّار حدث في مدينة طرسُس قاعدة بلاد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قيليقيّة في ولاية فلابيوس قايُس نومريانس العظيم صاحب تلك البلاد في حضور مجلس حافل انّ اوثلاميوس جاء بثلاثة أشخاص من شيعة النصارى. لأنّهم أبوا الطاعة لأوامر الملك. فدعاهم الوالي وابتدأ بالأوّل وقال لهُ: ما اسمك. قال: أنا مسيحي. فقال الوالي دع عنك هذهِ الحماقة. وقل لي ما اسمك. فقال. أنا مسيحي. فالحّ عليهِ حتى عرّفهُ باسمهِ الحقيقي. ثمّ أخذ يسألهُ عن بلدتهِ وديانتهِ* فلمّا وقف على حقيقة ذلك أخذ يحثّهُ على رفض النصرانيّة وتقريب القرابين للآلهة. فلمّا تمنّع. أمر بضربهِ وجلدهِ. ثمّ قيّدهُ بالأغلال وسحبهُ إلى السجن* ثمّ أدخلوا الآخر. فقال لهُ: ما اسمك. قال: أنا لي اسمان. أحدهما اسم المسيحيّ وهو الأشرف والاسم الآخر هو بروبس. ثمّ استفهمهُ عن أهلهِ وبلدتهِ ودينهِ. فقال: انّ أبي في الأصل من بلاد ثراقية. وأنا مولود في صيدا في بلاد فمفليّة. وأهلي ليسوا من شرفاء العالم. غير أنّني نصرانيّ. فأخذ يحثّهُ على تقريب القرابين للآلهة. ووعدهُ بأفضل المناصب والهدايا. فرفضها ورذلها. وأنكر عليهِ عبادة الأوثان. فأمر بأن يُضرَب بعصب البقر ماية ضربة. ثمّ كرّر عليهِ هذا العقاب. وهو يندب يسوع المسيح. ثمّ قيّدوهُ بالأغلال وألقوهُ في السجن* وبعدهُ أدخلوا الثالث فسألهُ عن اسمهِ فقال: انّ اسمي الحقيقي هو مسيحي. ثمّ ألحّ عليهِ. فقال لهُ: انّ اسمي اندرونيقس. ثمّ سألهُ عن أهلهِ وبلدتهِ. فقال: انّ أبي من عظماء أهل افسس. فجعل يحثّهُ على السجود للآلهة. وبالغ في وصفهم. فأخذ اندرونيقس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يهزأ بهم وينكر العبادة والسجود لهم. فتهدّدهُ بالعذابات والعقوبات. ثمّ عرّاهُ ومدَّدهُ على آلة العذاب ومزّق لحمانهُ وهو مع ذلك لا يزال يحدّثهُ عن صحّة الديانة المسيحيّة ومنفعتها. فأمر الملك فقيّدوهُ بسلاسل وأغلال في عنقهِ وفي رجليهِ. واحتُفظ عليهِ*

المحاكمة الثانية

وفي المحاكمة الثانية أدخل الوالي هؤلاء الثلاثة المذكورين. ثمّ شرع يحرّضهم على رفض النصرانيّة والتمسّك بعبادة الأوثان. وبدأ بأوّلهم وأكبرهم وهو طَرَخُس. فأجابهُ بجواب قاطع ثابت. فاحتدّ الوالي ورماهُ بحجر في وجههِ. فتسحّقت أسنانهُ. ثمّ أمر باتيان مرجل فيهِ جمر نار. ووضع فيهِ يديهِ لتُحرقا. فسخر طرخس بهِ وبنارهِ. ثمّ أمر بأن يُعلَّق في الهواء ويوضع تحتهُ جمر نار ليُحرَق ويُباد. فقال للوالي: انّ نارك نفسها لم تنكِ فيَّ فكيف شرارة نارك. فاحضر ملحاً وخلاًّ وخلطهما بخردل وصبّهما في منخريهِ. فقال طرخس: انّي أحسّ بها عذبة كالعسل. ثمّ ارجعهُ إلى السجن* وبعد ذلك احضروا الآخر أي بروبس. فحثّهُ على التقريب للآلهة. فلم يرضَ. بل فهّمهُ انّ الأوثان ليست الاّ خشباً وحجارةً وصناعة أيدي الخلائق. فضربهُ أوّلاً بحجر على فمهِ. ثمّ أحمى صحفة من حديد بالنار ووضعها تحت رجليهِ. فلم يشعر القدّيس بأدنى تأثير وعذاب. ثمّ جلدهُ بعصب البقر حتّى تمزّق جسمهُ كلّهُ. وجرت الدماء منهُ. ثمّ حلق رأسهُ بالموسى. ووضع عليهِ جمرات من النار ليحترق. وهو مع ذلك لم يزل يبيّن لهُ صحّة الديانة النصرانيّة ويبجّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الاله العظيم يسوع المسيح ويذمّ آلهة الوثنيّين ويحتقرهم. فسحق أسنانهُ لئلاَّ يهجو الآلهة. وفي الآخر ألقاهُ في السجن* ثمّ دعوا الثالث وهو اندرونيقس. فأعاد عليهِ ما قالهُ لرفيقيهِ. وكانت أجوبتهُ تحاكي أجوبتهما أيضاً. فضربهُ أوّلاً ضرباً شديداً بعصب البقر. ثمّ ذرّى ملحاً دقيقاً على جروحهِ كلّها. وبعد ذلك شقّوا جروحهُ بعد أن أخذت تتضمّد. وكرّروا ضرباتهِ. وأعادوهُ إلى السجن*

المحاكمة الثالثة وجرت في اتازربة في قيليقيّة

ثمّ انّ قايس نومريانُس أحضرهم ثالث مرّة. وبدأَ بطرخس. ولم يهمل كلّ ما كان في مكنتهِ ليحملهُ على السجود للآلهة. ولكنّ القدّيس الجليل لبث ثابتاً مكيناً في الاقرار بديانتهِ النصرانيّة. وردع مدّعيات الوالي واحتقر حيلهُ ورفض مواعيدهُ. فلمّا رأى الوالي ذلك. عرض عليهِ امّا السجود للآلهة وامّا الموت بأقسى العذابات. فاختار طرخُس الموت والعذابات. فأمر الوالي أوّلاً بشدّهِ وتقييدهِ. ثمّ شقّ شفتيهِ وشوّه صورتهُ كلّها. وأوسعهُ جرحاً. وأحمى حجارة مسنونة ووضعها على جسدهِ وكوّاهُ بها وقطع أذنيهِ. وسلخ جلدة صلعتهِ ووضع عليها جمراً من النار. ثمّ كوّاهُ ثانيةً بحجارة حارّة محميّة. وأرسلهُ إلى السجن*

ثمّ أحضروا الثاني وهو بروبس. فأخذ يخوّفهُ ويمنعهُ من اتّباع عناد رفيقهِ طرخس لئلاّ يضحي شريكاً لهُ في العذابات والأذيّات التي قاساها. ولكنّ بروبس اعلمهُ بأنّهم جميعاً لهم رأي واحد وايمان واحد. وأثبت لهُ ان لا فائدة في إطالة الكلام. غير انّ الوالي لم يرتدع. بل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أخذ يفرغ غاية مجهودهِ كي يحملهُ على رفض النصرانيّة واتّباع الوثنيّة. ولمّا لم ينل منهُ بغيتهُ شدّهُ وعلّقهُ. وأوقد النار تحت رجليهِ. ثمّ أحمى حجارة حارّة. ورسم بها خاصرتيهِ وهكذا أحماها ثانيةً ورسم بها كتفيهِ. ثمّ بالغ في اضرامها حتى أضحت حمراء كالنار. فكوى بها ساقيهِ. وأحمى أيضاً بالنار مسامير جافية حمياً بليغاً. وخرق بها يديهِ. وكان القدّيس لا يتحرّك شيئاً لذلك ولم ينقص عزمهُ وثباتهُ. ثمّ فقأ عينيهِ بالابَر شيئاً فشيئاً وذلك ليزداد عذابهُ. وبعد ذلك سحبهُ إلى السجن*

ثمّ أحضر الثالث وهو اندرونيقس. فأمرهُ أن يفتكر في ما جرى لرفيقيهِ بسبب تمسّكهما الشديد بايمان المسيح وطلب إليهِ أن يشفق على نفسهِ ويرعوي إلى عبادة الأوثان لينجو من عذابات شبيهة بعذابات رفيقيهِ. فأراهُ اندرونيقُس أنّ القوّة والفضيلة انّما هما قائمتان في العذاب والاصطبار بسبب العدل والحقّ. فلمّا طال بهِ الخطاب ولم ينجع فيهِ شيئاً. وضع النار على بطنهِ وشواهُ. وبعد ذلك أحرق أصابعهُ بالنار. ثمّ قلع أسنانهُ من أصلها. وألقاها كلّها في النار لتستحيل إلى رماد وتُذَرَّى في الهواء كالهباء. ثمّ سُحب إلى السجن ليُحفَظ فيهِ إلى يوم العيد ليصير عرضةً للسخريَّة في اللعب*

فأمر الملك بأن تُعَدّ الملاعب في الغد. فلمّا كان يوم العيد أبكر الخلق أفواجاً كثيرة إلى محلّ اللعب. وكان ذلك المحلّ على مسافة يسيرة من المدينة. وحضر الوالي عند الظهر. فأمر شرطهُ بأن يحضروا المسيحيّين الذين في السجن ويعرضوهم على الوحوش الضارية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فبادر الشرَط إلى إخراج هؤلاء الشهداء. وقادوهم إلى الملك. وكثير من الحاضرين لم يتمكّنوا من النظر إليهم لما كانوا فيهِ من بشاعة الصورة لكثرة العذابات التي قاسوها وشدّتها* فأطلق عليهم كثيراً من الوحوش الضارية. ولكنّها وقعت ولم تتجرَّأْ على مضرّتهم شيئاً. فغضب الوالي غضباً شديداً. وأمر بإطلاق دبّ كان قد افترس ثلاثة أشخاص في ذلك النهار. فدنا من الشهداء وأخذ يلحس جروح اندرونيقس ويلاطفهُ. فاشتدّ غضب الوالي وأمر بقتل ذلك الدبّ* ثمّ أُطلقت للحال لبوءَة كانت قد جُلبت من بلاد لوبية. فأوّل ما أُطلقت أخذت تغرض وتزأر كثيراً. فارتعب الحاضرون لصوتها. ولكنّها إذ دنت من الشهداء ربضت عند قدمي طرخُس ولم تتحرّك. فأمر الملك بأن تُقتَل هذهِ اللُبوءَة أيضاً. فلمّا أحسّت بذلك اكتسبت طباعها السباعيّة. وأخذت تزأر وتتهدّد الحاضرين وتريد الخروج. فلمّا طال ذلك على الوالي أمر بإحضار الجلاّدين لكي يضربوا أعناق هؤلاء الشهداء. فضُربت أعناقهم. وأمر الملك بابقاء جثثهم على الحضيض. وأمر الجلاّدين بالاحتفاظ عليها. فاغتنم غفلةً بعض المؤمنين وهم الذين كتبوا هذهِ القصّة وأخذوا أجسادهم خفيةً وذهبوا بها إلى الجبل المجاور وقبروها فيهِ* وكان جهاد هؤلاء الشهداء في أيّام ديوقلطيانس الملك سنة ٣٠٤ للمسيح*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثاني عشر *

مار ولْفريد الأسقف

كان وِلْفريد انكليزيّاً في الأصل. وربّاهُ أبواهُ في خوف الله والتقوى وحبّ الديانة* فلمّا بلغ السنة الرابعة عشرة من العمر. اختلى في دير الرهبان لكي يتلقّن عبادة الله. فصار عالماً عاملاً راغباً في الزهد* ثمّ رحل إلى روميّة. وقرأ العلوم التي تختصّ بالاقليرس على واحد من أفضل العلماء. ثمّ عاد إلى بلادهِ* وكان الملك على انكلترّة إذ ذاك الفريدس. وكان كاثوليكيّاً* فلمّا اختبر الملك ولفريد ورأى فضلهُ وقداستهُ. أعطاهُ أرضاً ليبتني فيها ديراً. ثمّ رُسم قسّيساً* ومن بعد مدّة أرسلهُ الملك إلى فرنسا لقضاء مصلحة فسيم أسقفاً. ولهُ من العمر إذ ذاك نحو ثلاثين سنة. وعُيّنت لهُ كنيسة يُرك. غير انّ بعض أعدائهِ سعوا بهِ لدى الملك. فطردهُ ونفاهُ من المملكة سنة ٦٧٨. فتوجّه إلى روميّة لكي يبرّر نفسهُ أمام الحبر الأعظم. غير انّ الرياح قادتهُ إلى بلاد فريسية. فتعارف مع الملك ومع كثير من أهل تلك البلاد. وبذلك توصّل إلى أن يجذب عدداً وافراً منهم إلى الديانة النصرانيّة لأنّهم كانوا إلى ذلك اليوم خابطين في بحر الضلالة الوثنيّة* ثمّ رحل إلى روميّة ومثل بين يدي البابا اغاثون وعرض عليهِ أمرهُ. فلمّا فحصهُ علم انّهُ بارّ* ثمّ عاد إلى انكلترّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

غير انّهُ أقام خارجاً عن ابرشيّتهِ لعلمهِ بأنّ الملك عدوّهُ. وجعل يطوف في سائر الجهات ويكرز وينذر. وبلغ إلى جهات السكوتيّين. ورجع على يدهِ إلى الديانة المسيحيّة جميع الذين كانوا وثنيّين* وصنع معروفاً كثيراً مع أولئك الأقوام. وذلك انّهُ نجّاهم من غلاء شديد أصابهم بعد قحط في الأرض دام مدّة ثلاث سنين* ثمّ أُعيد ولفريد إلى كنيستهِ. فساسها سياسة حسنة بضع سنوات*

ومن حيث انّ الله أحبّهُ شاء بأن يقرّفهُ بعض الناس ويسعوا في نفيهِ وطردهِ من كنيستهِ. فالتجأ ولفريد إلى الحبر الرومانيّ. ورفع دعواهُ إليهِ. فجمع البابا سنهدوساً وبرّاهُ وزكّاهُ في حضور أعدائهِ أنفسهم. فنهض ولفريد حينئذٍ ليرجع إلى كرسيّهِ. فلمّا وصل إلى فرنسا وقع مريضاً. ثمّ تعافى بحولهِ تعالى وواصل سفرهُ* فلمّا بلغ إلى انكلترّة وسلّم للملك توصيات ورسائل من البابا فيها يثبّتهُ على الكرسيّ. أبى الملك وأمهلهُ مدّة. إلى أن تخلّف بعدهُ في الملك ابنهُ. فسعى في أمرهِ. وردّ إليهِ كنيستهُ. فساسها في أمن وسلام مدّة أربع سنوات* وبعد هذهِ المدّة. دعاهُ الله إليهِ ليأخذ أجرهُ في الملكوت. وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر تشرين الأوّل في سنة ٧٣٢*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث عشر *

ادورد ملك الانكليز

وُلد ادورد في بلاد الانكليز. وانعكف منذ نعومة أظفارهِ على التقوى والعبادة وخوف الله. وتبيّن منذ حينئذٍ انّ الله قد اصطفاهُ ليكون ناصراً ومحامياً لبلادهِ ومنقذاً لها من البؤس والشقاء* وكان ادورد هادئ الطبع عاقلاً حليماً وديعاً متديّناً يكثر من التردّد إلى الكنائس ومخالطة الاقليرس وأهل المراتب البيعيّة*

وكان الدانيّون أعني أهل دنمرك في تلك الأيّام قد غزوا بلاد الانكليز وضبطوها وهدموا كنائسها وأديرتها. وقتلوا كهنتها ورهبانها. وأفسدوا جميع ما فيها من الدينيّات والدنيويّات وأخربوها وبقيت تلك البلاد مدّة واقعة تحت هذهِ النوائب*

وذات يومٍ بينما كان أَحد أساقفة تلك الأراضي يصلّي على الله بقلب خاشع ويطلب إليهِ أن يمنّ عليهم من كرمهِ بالسلام واليسر. رأى الرسول بطرس قدّامهُ ادورد وعليهِ حلّة الملك وهو يضحك متبسّماً. فاقبل الرسول بطرس ومسح ادورد ملكاً. وأودعهُ وصايا جليلة نفيسة. وقال لهُ بأنّهُ مزمع أن يصير ملكاً لخير أمّتهِ*

ثمّ اضطربت أحوال بلاد الانكليز وساءت أمورها وأفضت إلى قتل الملك إِيمند أخي ادورد. فجعل ادورد حينئذٍ يطلب إلى الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويستمدّ منهُ الرحمة لتلك المملكة وأهاليها وأن ينجّيهم من يد الأعداء. وأستشفع بمار بطرس الرسول لذلك. ونذر أن يحجّ إلى ضريحهِ في مدينة روميّة ان بلغ اربهُ. فاستجاب الله دعاء ادورد. وعمّا قليل طُرد الدانيّون من تلك البلاد. واستراحت المملكة من بغيهم ومساوئهم* ثمّ بويع ادورد بالملك. فبشّ بهِ جميع الناس. ونهض ادورد وأزال بأنوار فضائلهِ الساطعة تلك الظلمات المكتنَفة بها تلك البلاد من كلّ ناحية. وجعل يحمل الناس بعلمهِ وقولهِ على الصلاح والمعروف* وكان متواضعاً مع الكهنة وديعاً مع الرعيّة رحوماً مع الفقراء والمحتاجين. وملجأً للمظلومين وناصراً للأَرامل وأباً للأيتام. وفي قليل من الزمان عاد السلام والراحة والأمان في المملكة* ثمّ ألحّت عليهِ الأمّة بأن يتزوّج لكي يخلّد للمملكة بذرّيّتهِ النجاح والاقبال. فوقع ادورد في حيرة عظيمة. وذلك لأنّهُ كان قد نذر في قلبهِ أن يبقى بتولاً. فجعل يتفكّر ويتأمّل في الأمر ويكثر الصلوات طالباً الرشد من الله. وأخيراً تزوّج بأُوديثة ابنة غودُوين أحد شرفاء المملكة. وقصد بذلك ارضاء الامّة واستمالتها إليهِ لمجد الله ولخير البلاد. ولكنّهُ اعلم قرينتهُ بنذرهِ. وطلب إليها أن توافقهُ على حفظ البتوليّة. فرضيت. فلبثا على الدوام متمسّكَين بالعفّة. وجازاهما الله عن ذلك بأفضل النعم. وزادهما نجاحاً واقبالاً. من جملتها انّ الدانيّين ولو انّهم كانوا قد طُردوا ونفوا من بلاد الانكليز. أغاروا بعد ذلك عليها ثانيةً. ولكنّهم بادوا قاطبةً في البحر*

ثمّ قصد الملك أن يحجّ بمقتضى نذرهِ إلى روميّة. ودعا عظماء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المملكة ووزراءَها وخاطبهم في ذلك. ثمّ كتب إلى البابا أيضاً. واستشارهُ في هذا الأمر. لأنّهُ كان يخاف على المملكة في حين غيابهِ. فكتب إليهِ البابا بأن يبقى في المملكة. وفسّح لهُ هذا النذر لأجل خير العامّة. وجزم عليهِ بدل ذلك أن يوزّع نفقات السفر على الفقراء ويقيم ديراً على اسم القدّيس بطرس. وأيّد لهُ الربّ ذلك بواسطة وحي أيضاً* فشيّد الدير بمدينة لندن. واتُّخذ مقبرة لملوك الانكليز منذ ذلك اليوم*

ومنّ الله على الملك ادورد بكرامات كثيرة في حياتهِ وبعد مماتهِ. وحضر بين يديهِ يوماً أحد الايرلنديّين وهو لا يطيق المشي. فقال لهُ قد طلبتُ من القدّيس بطرس ستّ مرّات أن يشفيني. فأشار إليَّ بأن آتيك واستشفعك لذلك. فشفاهُ الملك* وكان لهُ عبادة خصوصيّة للرسول مار بطرس ومار يوحنّا وينال منهما المواهب العظيمة* ثمّ وقع مريضاً وبقي يومين غائباً عن حسّهِ. فلمّا دنت ساعتهُ. تجهّز للرحيل. ومات مسنّاً بسلام الربّ في خامس كانون الثاني سنة ١٠٦٦. وقد ملك ثلاثاً وعشرين سنة ونيّفاً*

وجرت من بعد موتهِ كرامات عظيمة وآيات باهرة سماويّة. وفُتح قبرهُ بعد ستّ وثلاثين سنة. فوُجد جسدهُ صحيحاً سالماً من الفساد*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع عشر *

قلّسطس البابا الشهيد ـ ذكر اليوم الثامن من عيد الوردية

المقدسة أي في عبادة الخمسة عشر سبتاً

قلّسطس البابا الشهيد

وُلد قلّسطس في روميّة. وتخلّف في الكرسيّ الرومانيّ بعد مار زافرينس الذي مات شهيداً. فأحسن القيام بسياسة الكنيسة وتدبيرها. وكانت مدّة حبريّتهِ نيّفاً وخمس سنوات* ومن جملة أَعمالهِ أَنّهُ ابتنى في روميّة كنيسة القدّيسة مريم التي وراء نهر تَيبر. وابتنى مقبرة بسراديب على سمت الطريق الابنيّني وهي التي تُعرَف بكتكبمات مار قلّسطس. وقصد أن يدفن فيها جثث الشهداء المستشهدين أفواجاً في تلك الأيّام من أجل ايمان المسيح*

وهو الذي رسم في الكنيسة اللاتينيّة صوم الأزمنة الأربعة. وقصد بذلك أن يُقدَّم الشكر الجزيل لله تعالى على نعمهِ واحساناتهِ التي يجود بها على الناس في مدار السنة. وتُطلَب منهُ البركة لأثمار الأرض. وسنّ غير ذلك من القوانين والمراسيم*

وكان غيوراً هماماً في نشر ديانة المسيح. وجاد الله عليهِ باصطناع الآيات والكرامات. وبسعيهِ دخل كثيرون في دين الحقّ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وذلك لِمَا شاهدوهُ فيهِ من قداسة السيرة وكثرة العجائب الباهرة الجارية على يدهِ* ومن عجيب ما حدث انّهُ إذ كان يوماً الشُرَط يطلبون قلّسطس ليقبضوا عليهِ ويعذّبوهُ. اعتراهم العمى على فجأةٍ. وشاهد ذلك بلماقيوس أحد أرباب الوظائف في روميّة فتنصّر هو وامرأتهُ وأولادهُ ونيّف وأربعون شخصاً ممّن يلوذ بهِ* وتنصّر أيضاً سَمبْلقيوس وثمانية وستّون شخصاً من أهل دارهِ لعجائب أخرى ظهرت منهُ. وهؤلاء من بعد ذلك قُتلوا للشهادة عن دين المسيح*

فلمّا رأى الملك عدد الذين يهجرون عبادة الأوثان ويتنصّرون عن يد قلّسطس لا يزال يزداد يوماً فيوماً. اغتاظ كثيراً. فأمر عليهِ بالسجن. وصار يجلدهُ كلّ يوم* ومكث الحبر القدّيس في السجن مدّة خمسة أيّام لا يأكل ولا يشرب شيئاً وهو مواظب على الصلوة. وأكرمهُ ربّنا يسوع المسيح بزيارتهِ في تلك المدّة* وفي ذلك الزمان أيضاً شفى أحد الجند من قروح كان جسمهُ مضروباً بها. فلمّا بلغ ذلك الكسندر ساويرس الملك. امتلأ غضباً وأمر من ساعتهِ فطرحوهُ من طاقةٍ شاهقة في قصرهِ إلى القاع. ثمّ وضعوا في عنقهِ حجراً كبيراً وألقوهُ في البير. ورموا فوقهُ وهو في البير حجارة كثيرة. وبذلك نال قلّسطس اكليل الشهادة*

وبعد مرور سبعة عشر يوماً جاء إلى البير استأرس أحد الكهنة وبصحبتهِ بعض الاقليرس. فاستخرجوا جسدهُ من البير. ثمّ حملوهُ إلى المقبرة التي على الطريق الاورلياني. وقبروهُ فيها بكلّ إكرام.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وذلك في اليوم الرابع عشر من تشرين الأوّل سنة ٢٢٦. وهو اليوم الذي تعيّد لهُ الكنيسة الرومانيّة*

ذكر اليوم الثامن لعيد الورديّة المقدّسة أي في عبادة الخمسة عشر سبتاً

انّ الكنيسة المقدّسة قد عيّنت منذ الأجيال الأولى يوم السبت وخصّصتهُ اكراماً لمريم وذلك بالصوم والصلوة وممارسة الفضائل. وفي أواسط القرن السابع عشر أعني بهِ سنة ألفٍ وستمائة وأربع وثلاثين تقريباً انّ يوم السبت اشتهر ان يُعمَل فيهِ منذ ذلك الحين أعمال تقويّة ومقدّسة اكراماً لأسرار الورديّة الخمسة عشر. وتُقضى هذهِ العبادة في كلّ سبت من خمسة عشر سبّة متتابعة. ولهذا لُقّبت بعبادة الخمسة عشر سبتاً. وممّا يُثبّت لنا بالكفاية انّ هذهِ العبادة تسرّ الله ومقبولة لديهِ هو غايتها لأنّ نوع الممارسات الصالحة المحتوية فيها مشحونة بنعمٍ خارقة العادة وخيرات سماوية. وهذهِ هي أجلّ برهان يبيّن لنا بأنّ هذهِ العبادة قادرة أن تجذب حنوّ والدة الله المجيدة سلطانة الورديّة المقدّسة*

انّ هذهِ العبادة نشأت كما ذكرنا سابقاً في أواسط القرن السابع عشر حين أخذ الهراطقة البروتستانيّون المعروفون بالهيكنوتيّين واللوثاريّين والكلوينيّين يخرّبون ممالك فرنسا وإيطاليا وأسبانيا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وألمانيا بثوراتهم وحروبهم الكثيرة والقاسية. وقد أوحت سيّدتنا مريم العذراء المجيدة بهذهِ عبادة الخمسة عشر سبتاً. لأنّهُ بها وحدها يمكن الظفر بالهرطقات في كلّ الأرض. ولقّنتها للآباء الدومنكيّين الذين في تلوزا لتجديد استعمال الورديّة المقدّسة حسناً وللانتصار بهذا السلاح القويم على كلّ الهرطقات* وقبل ذلك أعني سنة ١٦٢٧ غلب لويس الثامن ملك فرنسا عسكر البروتستانيّين بقوّة صلاة الورديّة واستولى على مدينة الروشل وهدم قلعتهم الحصينة. وقبل أن يملك على هذهِ المدينة انطلق ماشياً صحبة اتباعهِ ليزور معبداً قديماً كان قد شيّدهُ على اسم سيّدتنا ذات الانتصار الملك شارل السادس وذلك سنة ١٣٨٢. فبعد أن جعل الملك نفسهُ تحت حماية سلطانة الورديّة انطلق إلى محاصرة الروشل. ومن هناك أرسل يطلب من الملكة أمّهِ بأن تُتلَى الورديّة جهراً على نيّة ظفرهِ. وأُعطي أمرٌ بأن تُتلى الورديّة باحتفال في كلّ سبت في كنيسة الآباء الدومنكيّين في باريس. وفي اليوم العشرين من أيّار سنة ألف وستّمائة وسبع وعشرين طفق رئيس أساقفة هذهِ المدينة يتلو مرتّلاً الورديّة هو بنفسهِ. ويوضّح تفسير الأسرار بحضور أمّ الملك وامرأتهِ وأخي الملك وكردينالين وجماعة من الأحبار وعدد وافر من الشعب. امّا الملك فاوعز إلى الأخوة الواعظين الذين خرجوا صحبة العسكر ان يعتنوا بالمرضى ويمنحوهم الأسرار. ويُنذروا بعبادة الورديّة في كلّ المعسكر. فوزّعوا على الجنود مقداراً وافراً من المسابح ما ينيف على خمسة عشر ألف مسبحة. وكان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يُسمَع في المعسكر مدّة ساعات من النهار والليل صدى مدائح والدة الله المجيدة. وفي غداة ذلك اليوم الذي فيهِ استولوا على المدينة دخل الأخوة الواعظون فيها قبل الجميع حسب أمر الملك يرتّلون طلبة العذراء الكليّة القداسة وفي مقدّمهم رايةٌ رُسمت فيها صورة مريم العذراء. وسُطّرت دائرها هذهِ الكلمات: افرحي يا مريم العذراء يا من أنتِ وحدَكِ تبيدين جميع الهرطقات من المسكونة كلّها* وذكراً لهذهِ الواقعة شيّد لويس الثامن اكراماً للعذراء سلطانة الورديّة على ما خوّلتهُ من النصر والغلبة كنيسة مشهورة في باريس وتُسمَّى إلى يومنا هذا باسم سيّدتنا ذات الانتصار. وقد لقّنت السيّدة عبادة الخمسة عشر سبتاً في ذلك الزمان عينهِ حينما نالوا الانتصار على الروشل وفي المحلّ عينهِ حيث شُنّت الغارة منذ أربعة أجيال على الهراطقة الالبجيّين في المدينة التي تُدعى تلوزا التي كانت قبلاً مركز الهرطقة الالبيجيّة ومقرّ مواعظ القدّيس عبد الأحد وحيث اقتبل هذا القدّيس المعظّم من مريم العذراء صلاة الورديّة. ففي هذا المحلّ عينهِ لقّنت السيّدة عبادة الخمسة عشر سبتاً لكي تعلن لنا بنوع أوضح عبادة الورديّة ولنوقّر هذهِ العبادة الحلوة والقديرة ولنستعملها بتواتر كلّ ذلك لنقتطف أثمارها بأكثر غزارة. فعبادة الخمسة عشر سبتاً بقوّة حماية مريم أخذت تنتشر في كلّ مكان. وصارت كزهرة فاحت رائحتها وملأ ذكاء عبوقها قلوب المؤمنين. وغرّقتهم بمياه نعمها الخلاصيّة. وانعشت نفوس الذين تسلّط عليهم عطب الهرطقة وجعلهم كأرض يابسة عقيمة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقد استحسنت الكنيسة المقدّسة هذهِ العبادة منذ منشإِها. ولدى انتشارها خوّلها الله عجائب عظيمة ومتعدّدة. ولم يُذكَر انّ أحداً اعتنق هذهِ العبادة ولم يجنِ منها النعم الفاخرة والنجاح في الفضيلة والنهوض من وهدة الخطيّة والقيام الروحيّ*

فلكي ينال المؤمنون الذين اعتنقوا عبادة الخمسة عشر سبتاً الغفرانات التي علّقها الكرسيّ في هذهِ العبادة عليهم ان يتناولوا القربان المقدّس في كل سبت من الخَمسة عشر سبّة اكراماً لأسرار الورديّة وأن يقضوا ربع ساعة بالتروّض الروحيّ مثلاً إِمّا بتلاوة مسبحة الورديّة أو التأمّل. وأَمّا الاستعمال الجاري عموميّاً عند المؤمنين فهو انّهم يزيدون على التناول والتأمّل في تلاوة الورديّة كلّها ممارسة إحدى الفضائل المسيحيّة المختصّة بأحد أسرار الورديّة مدّة الأسبوع كلّهِ*

انّ هذهِ العبادة تؤَدَّى على الخصوص وبنوع عموميّ مدّة الخمسة عشر سبّة السابقة لعيد الورديّة غير انّهُ يمكن أداؤها في كلّ وقت من أيّام السنة. وتسهيلاً لتأدية هذهِ العبادة ولئلاّ يُحرَم المتعبّدون من الغفرانات الممنوحة قد يمكن أيضاً تعويض يوم السبت بيوم الأحد عندما يعرض لأحدهم أشغال وموانع لا تمكّنهُ من تكميل أعمال هذهِ العبادة يوم السبت (قضيّة الجمعيّة المقدّسة في الغفرانات ١٧ ايلول سنة ١٨٩٢)*

وقد يوجد أيضاً من يعوّض عن الخمسة عشر سبتاً بخمسة عشر يوماً متتابعة وذلك عند الحاجة وفي بعض الظروف. كمن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يضطرّ إلى الحصول على نعمة لازمة في وقت الحال* ولنبحث بوجيز الكلام عن أثمار هذهِ العبادة. فنقول انّ كلّ من يمارس هذهِ العبادة يكتسب محبّة عظيمة للورديّة ويسهل لديهِ جدّاً التأمّل في أسرارها ويمكنهُ أن يتلوها يوميّاً وليس فقط يتحاشى الملل والضجر ولكنّهُ يتلوها بفرح ونشاط. ولا يتسلّط عليهِ تشتّت الأفكار بل يجني منها أثماراً عظيمة. هذا وان التأمّل في كلّ سبت بأحد أسرار الفرح والحزن والمجد من حياة ربّنا يسوع المسيح ووالدتهِ المجيدة المقرون بتلاوة الورديّة يورث لمن يؤدّيهِ اتّحاداً قدسيّاً مع المخلّص الإلهيّ ووالدتهِ المعظّمة. وهذا الاتّحاد يوليهِ بالتدريج التشبّه بحيوة ربّنا يسوع المسيح والامتثال بهِ وهكذا يتكمّل شيئاً فشيئاً في محبّة الله*

ثمّ انّ هذهِ العبادة تكون واسطة ذات مفاعيل معينة للنفوس التي تلهج بشوقٍ مقدّس للتكفير عن الإهانات المصنوعة ضدّ الله بالخطيّة. ليت شعري أيّ كفّارة معتبرة نقدر نقدّم لله وتكون أقدس وذات فوائد أعظم من تناول القربان المقدّس والتأمّل في أسرار الفداء وتلاوة الورديّة وصلب ذواتنا بانعكافنا على ممارسة الفضائل التي نحتاج إليها بالأكثر* أمّا من جهة الأشخاص الذين يتوقون إلى نوال نعمة خارقة العادة فعليهم ان يتشجّعوا واثقين بقوّة الأعمال الصالحة التي يؤدّونها حسبما تفرضهُ عبادة الخمسة عشر سبتاً. إذ انّها لها استطاعة عظيمة على قلب يسوع ومريم. فإنّ أعظم هذهِ الأعمال هي صلاة الورديّة. والحال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أَليست هي الصلوة المحبوبة جدّاً لدى والدة الله والقدّيسين. وهي التي لا يزال يحرّضنا على تلاوتها الأحبار العظماء والمنتشرة بالأكثر في الكنيسة المقدّسة. وفضلاً عن ذلك أفما هي الصلوة التي مُنحت بها مواعيد الظفر والخلاص الأكيدة والصريحة. وعلى هذا فانّ عبادة الخمسة عشر سبتاً تزيد على هذهِ الصلوة اقتبال سرَّي التوبة والأوخرستيّا والتأمّل بأحد أسرار الفداء وعمل فضيلة ما. فكلّ هذهِ الأعمال التقويّة تحوي أعمال الديانة الأكثر قداسة والمرضيّة لله بنوعٍ أجلّ وذات نفوذ أعظم. ثمّ هل يمكن انّ يسوع ومريم يرفضان صلواتنا يوم نشترك بواسطة الورديّة بأفراحهما وأحزانهما ومجدهما لا سيّما بعد أن نتّحد مع يسوع بتناولنا ايّاهُ ونقدّم نفسنا لهُ ونمارس إحدى الفضائل الموافقة لذلك اليوم* إنّنا في هذهِ أيّام الخمسة عشر سبتاً المباركة لا نقدّم إكراماً ليسوع تقشّفات وأصواماً ولبس المسح كالقديسين لكنّا نقدّم ما هو أعظم وهو جسدهُ ودمهُ الاقدسين وأسرار حياتهِ وآلامهِ وافتدائهِ وهذا هو الأعزّ لديهِ من كلّ ما في السماء والأرض ثمّ استحقاقات والدتهِ الكلّيّة القداسة. إذاً لا يستصعبنّ أَحد استعمال عبادة الخمسة عشر سبتاً ولا يفترنّ من التأمّل في أحد أسرار الورديّة المقدّسة. لأنّ هذهِ العبادة لا تفرض التأمّل مدّة طويلة ولا بمواضع صعبة عسرة الفهم. ويكفي التردّد وقتاً وجيزاً بالتأمّل في أحد الأسرار بنوع بسيط على قدر استطاعة المتأمّل. وليخاطب الله بمحبّة معتبراً نعمهُ وليشكرهُ على ما تخوّلهُ إيّاهُ جودتهُ تعالى من حاسيّات الحبّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القلبيّة التي يجب أن نطابق بها أعمال حياتنا*

* اليوم الخامس عشر *

القدّيسة ترازيا دي يسوع مجدّدة الرهبنة الكرمليّة

وُلدت ترازية في آويلة إحدى مدن اسبانيا في اليوم الثامن والعشرين من آذار سنة ١٥١٥. وكان أبواها فاضلين حسيبين. فهمّا بتربيتها أحسن تربية بحيث انّها إذ بلغت السنة السادسة أو السابعة من العمر. كان قلبها ينشرح بقراءة سيرة الشهداء واخبارهم. ومع صغر سنّها كانت تتمنّى أن يصيبها ما أصابهم* وكانت تكثر من التفكّر في الآخرة. ونتج من ذلك كلّهِ أن أخذها شوق جزيل إلى أن تنطلق إلى بلاد المغاربة لتموت هناك شهيدة. ولذلك خرجت يوماً من بيت أبيها. وتوجّهت لقضاء اربها هذا. فصادفها أحد أخوالها فرجع بها إلى المنزل. فأقامت القدّيسة في بيت أبيها مواظبةً على الصلوة والاختلاء ومكثرةً من تلاوة ورديّة مريم العذراء* وبقيت على هذهِ الحالة إلى أن بلغت السنة الثانية عشرة من العمر. وحدث حينئذٍ موت أمّها. فعزمت على أن تصير راهبة. واهتدت إلى ذلك من كثرة قراءتها رسائل مار هيرونمس. فكاشفت أباها على ذلك. ثمّ نهضت ذات يوم في الفجر. (وكان اليوم الثاني من كانون الأوّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من سنة ١٥٣٥) وذهبت إلى الدير المعروف بدير التجسّد في اويلة. ولبست اسكيم الراهبات الكرمليّات. فأذاقها الله في تلك الساعة لذّة الراحة والتخلّي عن الدنيا. وأظهر لها رضاهُ عنها بسبب ذلك* غير انّهُ خلط الملذّات بالتجارب والأمراض والاقلاق. ولكنّها بقوّتهِ تعالى تغلّبت على الشيطان وكسرتهُ وصبرت على الأمراض والأوجاع*

وما برحت نفسها مولعة بمحبّتهِ تعالى. وهي لا تزال تواظب على التأمّل والصلوة. فتغيب عن حواسّها وتُخطَف إلى السماوات كثيراً* وإذ كانت يوماً مشغوفة بالتأمّل والصلوة سمعت في نفسها صوتاً يخاطبها ويقول: انّني لستُ أشاء أن يكون لكِ الفة ومخالطة مع الناس. بل مع الملائكة فقط. فتمسّكت في كلّ حياتها بهذهِ الكلمات. إذ انّها لم تعاشر الاّ الناس القدّيسين الروحانيّين* واشتدّت فيها رغبة الاختلاء والتقشّف. فأخذت تهتمّ بأن تسير بموجب قوانين الكمال بكلّ ضبط واتقان* وحدث في أثناء ذلك انّ بعض الرهبان الكرمليّين افتكروا أن يصحّحوا قوانين الرهبنة الكرمليّة ويرجّعوها إلى الضبط القديم. فأخذت القدّيسة تطلب إلى الله أن يعينهم على ذلك. فاستجاب الله دعاءها. إذ انّهُ ورد إلى دير آويلة من لدن البابا براءة بها يأمر بترجيع قوانين الرهبنة الكرمليّة القديمة* فأقيم دير في آويلة وجُعلت فيهِ القوانين الصارمة وذلك سنة ١٥٦٢ في يوم عيد القدّيس برثلماوس. وبقيت القدّيسة في هذا الدير مدّة خمس سنوات تلتذّ جدّاً بتلك السيرة الشديدة الصعبة. وتخال نفسها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كأَنّها في الفرودس* ومع ذلك فلشدّة شوقها إلى خير النفوس كانت تطلب إلى الله أَن يعينها على العمل بما يحصل منهُ خلاص الأنفس لوجههِ تعالى. فقال لها تعالى ذات ليلة: رويداً يا ابنتي وتري أشياء عظيمة. وانجز الله الوعد معها بعد قليل من الزمان. وذلك انّهُ إِذ جاء إلى آويلة رئيس روساء الكرمليّين وزار الدير كاشفتهُ القدّيسة على كلّ شيء وأطلعتهُ على حالها وسيرتها وأشواقها. فطاب خاطرهُ كثيراً بها وأعطاها أوامر مكتوبة لكي تقيم أديرة في كلّ مكان تريدهُ. فكسبت بذلك عدداً وافراً من الناس لعبادة الله*

وكانت هذهِ القدّيسة ذات حزم ورأي وإصابة ثاقبة العقل. وتشهد لها بذلك المؤلّفات الروحيّة التي ألّفتها. ويندر وجود مثلها في هذا الباب* وانّ المحبّة الجزيلة الملتهبة في قلبها على الدوام جعلتها أشبه شيءٍ بالسارافيّين*

ولذلك فكثيراً ما كانت تشاهد بجانبها ملاكاً سارافيّاً وفي يدهِ حربة يطعن بها قلبها. فتضحي غارقة في بحر المحبّة الإلهيّة* وكتبت يوماً إلى معلّم اعترافها وقالت لهُ: كأنّني لستُ أنا التي أعيش. ولستُ أنا التي أريد. بل يوجد فيّ واحد يسوقني ويعطيني القوّة. وكأنّني خارجة عن نفسي. فأخال الحيوة ثقلاً عظيماً. واعظم شيء أُودّيهِ لله على هذا الاحسان هو أن أعيش لأجل محبّة الله إِذ أرى انّهُ يصعب عليّ جدّاً أن أنفصل منهُ تعالى. وان يصيبني في ذلك عذابات كثيرة واضطهادات شتّى* فانّي احتمل جميع ما يوجد في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الدنيا لأجل يسير من الأجر والجزاء. غير انّ غايتي ومقصودي في ذلك خاصّةً هو أن أعمل بمشيّتهِ أحسن ما يكون* إِنّني لا أطلب شيئاً. فلا الجاه ولا الحيوة ولا شيء آخر جسديّ أو روحيّ يصدّني عن محبّتهِ تعالى. ولستُ أقصد منفعة ذاتي بل مجدهُ فقط*

وكانت فيها محبّة القريب مقترنة بالمحبّة الإلهيّة. ولذلك أخذت تقتحم الأخطار وتباشر الأسفار الصعبة الطويلة رغماً عن الأمراض والأوجاع المصابة بها واشتداد البرد والأمطار والثلج والحرّ. وذلك لإقامة أديرة واجتذاب الناس إلى الله* ومن هذا القبيل كانت تحسد الواعظين الذين دابهم أن يجتذبوا الناس إلى الصلاح ويدعوهم إلى التوبة. وكانت عند ذلك تتوسّل إلى الله أنّ يمنّ عليها بأنْ يرجع بعض الخطاة بواسطة صلواتها* ولشدّة شوقها هذا إلى خير النفوس عزمت أن لا تقضي نهاراً بدون أن تفعل فعلاً صالحاً لهذهِ النيّة. وكان لها خشوع خصوصيّ للأنفس المطهريّة. وتعبّداً جزيلاً للعذراء مريم شفيعة الكرمل ولمار يوسف خطّيبها الطاهر. وتحثّ الناس على التعبّد لهما. وإذ كان التعبّد قائماً في الاقتداء بفضائل من يُتعبَّد لهُ كانت ترازية تعتني بأنّ تقتفي أثرهما*

وكانت متواضعة إلى الغاية. بحيث أنّها كانت تلتذّ بكشف خطاياها لكي تكون مرذولة محقورة لدى الناس. مع انّها في عمرها كلّهِ لم تخطئ خطيئةً مميتة* ولمزيد تواضعها كانت إذا شعرت أنّها قريبة من أن تُختَطف بالروح في بعض الأمكنة تمنع ذلك لئلاّ يحسّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بها أحد. طالبةً إلى يسوع المسيح انّ لا يجود عليها بهذهِ النعم قدّام الناس* وكان لها شوق عظيم إلى الأوجاع والأمراض حبّاً بيسوع المسيح. ولذلك كانت تخال أوجاعها يسيرة خفيفة مع شدّتها وكثرتها وتحسبها غير موازية لخطاياها. وبقيت مضروبةً في جسدها بأوجاع كثيرة إلى ساعة الموت. لأنّها كانت هي بنفسها تطلب إلى الله ان يجعل فيها الأمراض إلى الموت ان شاءت مشيئتهُ. وكانت لا تحزن من جرى أوجاعها الاّ من حيث انّها تعيقها وتصدّها من التقشّف واماتة النفس كما ترغب* وزيادةً على ذلك لم تبرح من أن تحرّض الراهبات وتحثهنّ على احتمال الأوجاع والأمراض حبّاً بالله*

ثمّ انّها طول إقامتها في الرهبنة لم تخالف في شيءٍ أحد النذور الثلاثة التي نذرتها بموجب قانون الرهبنة. ويشهد لذلك ما قالتهُ هي مرّةً في خصوص البتوليّة والطهارة: انّ الله قد صنع معي نعمة خصوصيّة مدّة حياتي كلّها وهي ان لا يكون لي ما اعترف بهِ في شان هذا الأمر* ولكثرة حبّها للفقر كانت تكتسي بثياب رثّة بالية وكانت لا تترك شغل اليد كلّما فضا بيدها قليل من الزمان* امّا طاعتها فمّما يوجب التعجّب إذ انّها كانت تحسب عملاً واحداً تعملهُ من أجل الطاعة أفضل من ألف وحي أو رؤيا يجود الله بها عليها. وتجعل أخفّ قانون من قوانين الرهبنة في أعظم منزلة* وكانت تقول كثيراً: ليس من طريق أسهل إلى الكمال مثل طريق الطاعة*

ثمّ انّ ترازية كان لها خبرة بليغة بأمور السيرة النسكيّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والزهد والكمال. وكتبت في ذلك خمسة أسفار فيها اقتصّت أخبار حياتها إلى أن سكنت في دير آويلة. وشرحت أخبار الأديرة التي نصبتها هي. باسطةً طرائق الكمال المسيحي بتفصيل واسهاب* وبعد أن نصبت هذهِ القدّيسة عدّة أديرة وفرغت من إقامة دير برغس علمت انّ يسوع المسيح يريد أن يستدعيها عندهُ. فأكثرت من الدعاء. وبقيت ثلاثة أيّام مواظبة على الصلوة بدون انقطاع. وأخذت تستعدّ للرحيل. فاعترفت وتناولت. ثمّ وعظت راهباتها واستغفرتهن وأودعتهنّ وصايا جليلة. وإذ أُتي إليها بالقربان المقدّس. وانتصبت وشرعت تقول: يا سيّدي وعريسي. لقد حضرت الساعة التي توقّعتها. وقد دنا الوقت لاشاهدك وجهاً بازاء وجهٍ. وحضر زمان الرحيل. فيا لسعدي. فلتكن مشيئتك. قد جاءت الساعة لاخرج من هذا المنفى وأحظى باقتران نفسي معك أنت الذي طالما تشوّقتُ إليك* ثمّ طلبت من الراهبات أن يصلّين من أجلها وحثّتهنّ على حفظ القانون. وفي الآخر مشحوها المشحة الأخيرة. واشتدّت أوجاعها عند الليل. ثمّ انّها بالغت في الصلوة ومسكت الصليب. ولبثت على هذهِ الحال إلى المساء وهي مشغولة بمناجاة الله. وسلّمت روحها بيد خالقها في اليوم الرابع من تشرين الأوّل سنة ١٥٨٢. وعمرها نحو سبع وستّين سنة. وقد قضت منها نحو سبع وأربعين سنة في الرهبنة. وفاح من جسدها رائحة ذكيّة سماويّة. وبقيت الراهبات محيطات بجسدها يقبّلنَ يديها ورجليها. وفي أثناء ذلك حدث على يدها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كرامات كثيرة. ثمّ قُبر جسدها في الغد باحتفال ورهج عظيم*

ومثلما انّ الله أكرم أَمتهُ في حياتها وساعة موتها بهبة الآيات والمعجزات. هكذا شاء أن تجري بشفاعتها كرامات كثيرة من بعد موتها* ثم انّهُ بعد موتها بنحو تسعة أشهر فُضّ قبرها. وإذا بجسدها قد مكث سالماً خالصاً من كلّ أثر فساد. وكانت تفوح منهُ روائح ذكيّة. ثمّ نُقل من دير البا حيث كان مقبوراً إلى دير آويلة. وقُسّمت اجزاء من جسمها الطاهر على أديرة الكرمليّين في كلّ النواحي* وكانت تتراءى كثيراً للراهبات اللواتي كنّ يعرفنها في حياتها. وتخاطبهنّ وتنيلهنّ ما كنّ يبتغينهُ منها*

ثمّ انّ البابا بولس الخامس جعلها في سلك الطوباويّين. وذلك سنة ١٦١٤ في ٢٤ نيسان*

* اليوم السادس عشر *

القدّيسة هوديجة أميرة بولونيا

كانت هوديجة ابنة برتون أحد أمراء بلاد مورابيا. ولمّا صار عمرها اثنتي عشرة سنة زوّجها والدها من هنري الذي كان دوقاً في سيلاسية وبولونيا. وعاشت معهُ في الفةٍ واتّفاق عجيب وهي مواظبة على الصلوة والعمل بالصلاح ومحبّة الطهارة. ورُزقت ستّة أولاد. ثمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ألهمها الله أن يحفظا عفّتهما. فاعتزلا بعضهما عن بعض. واستشارا بأسقف المكان فباركهما. ولبثا كالأخ والأخت مدّة ثلاثين سنة* وكانت القدّيسة هوديجة تحبّ فضيلة الطهارة وتعتبرها كلّ الاعتبار. وتجدّ في ترغيب الناس فيها. ولذلك أقامت بنفقتها ديراً لرهبنة الكرتوسيّين وأجزلت عليهِ العطاء. بحيث انّهُ كان يقوم بقوت ألف شخص* ثمّ اتّخذت لسكناها داراً ملاصقة للدير. وأقامت فيهِ معتكفة على الصلوة والصوم والسيرة الكاملة* وكانت منذ الأوّل مائلة طبعاً إلى حفظ الأدب والاحتشام ومتعوّذة من الزينة والتسقّل* فلمّا اعتزلت من زوجها في المحلّ المشار إليهِ بلغت أسمى درجة من الاتّضاع والفقر في ثيابها وعيشتها. فانّها كانت لا تلبس الاّ ثوباً عتيقاً بالياً* وكانت تحتقر نفسها وتحسب ذاتها أكبر الخطاة. وتشتهي ان يتّخذها كذلك جميع الناس. وكانت تحبّ أصفياء الله وأولياءهُ محبّة شديدة وتحترمهم احتراماً بليغاً. وتقبّل مواطئ أقدامهم وأمتعتهم وغير ذلك* وكانت تشتهي أن تصير راهبة. غير انّها تمنّعت من ذلك شفقةً منها على الفقراء. وشمّرت ساعد الهمّة لإسعافهم والقيام بحوائجهم خائفةً ان لا يتيسّر لها ذلك إذا دخلت الرهبنة. وما برحت القدّيسة تخدمهم وتغسل أقدامهم وخاصّةً البرص منهم وتهيّئُ لهم على الدوام مآدب وتجزل لهم الطعام. وتقوم بخدمتهم وهي راكعة. وتقبّل موضع خطواتهم. واختارت لها ثلاثة عشر فقيراً على عدد تلاميذ يسوع المسيح معلّمهم الالهي. وأَخذت تجالسهم دائماً. وتبالغ في اعزازهم واكرامهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتتواضع لهم كثيراً* وكانت تعتني أيضاً بجميع البائسين والمقطوعين. فصارت امّ الأيتام وعضيدة الأرامل وملجأ الغرباء ومنقذة المسجونين ومخلّصة المأسورين وملاذ الملهوفين. إذ كانت تشاركهم في مصائبهم كلّها وتعينهم فيها*

وعاشت عيشة قشفيّة ضيّقة شبيهةً بعيشة النسّاك والسيّاح. فانّها بقيت مدّة أربعين سنة لا تذوق اللحم. صائمة على الماء والخبز مجرّداً في كلّ يوم أربعاء وجمعة. وكانت في الغالب تمشي حافية مع اشتداد البرد والأمطار وعلو الثلج والجليد. ولا تلبس الحذاء الاّ في محافل الناس. وتتأزّر بشعر معقّد عقداً كثيرة جافية. وتنام على سرير ظاهرهُ مزيّن ولكنّ باطنهُ مملوّ من تراب وحجارة دقيقة. وتسهر جانباً عظيماً من الليل وتجلد نفسها جلداً قاسياً. وتصلّي الصلوات الخشوعيّة الحارّة* وكانت كلّما انتصبت للصلوة اختُطفت عن حواسّها في الغالب وشوهد حول رأسها تاج باهر نيّر* وكان لها عبادة جزيلة للقربان المقدّس والعذراء مريم الطوباويّة. وتلتذّ كثيراً بالتأمّل في آلام المسيح. وإذ كانت يوماً تصلّي قدّام صلبوت رفع المصلوب يدهُ وباركها* وأقامت معابد كثيرة. وخلعت عدّة آنية على المذابح والكنائس* وجاد الله عليها بهبات كثيرة. من ذلك المعرفة بالخفايا وافتعال الآيات* وامتحنها الله بشدائد كثيرة. فصبرت عليها الصبر الجميل. من ذلك انّها ثكلت ابنها في حرب مع التتر* وكانت كلّما أهانها أحد تقول لهُ غفر الله لك فعلك هذا*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ أوحى الله إليها بقرب وفاتها. فاستعدّت بأخذ الأسرار البيعيّة لهذا الرحيل. وأوصت بأن يُقبَر جسدها في مقبرة الراهبات لا في مكان آخر* فلمّا كان اليوم الخامس عشر من تشرين الأوّل من سنة ١٢٤٣ سلّمت روحها بيد الله. وبقي جسدها بهيّاً جميل المنظر. واجتمع خلق كثير لتشييعها إلى المقبرة. وبقيت مدّة ثلاثة أيّام غير مقبورة لازدحام الناس. وجرت كرامات كثيرة على يدها من بعد وفاتها* وفي سنة ١٢٦٨ في اليوم السابع من آب نُقل جسدها. وحدث أنّهُ إذ فُتح القبر فاحت منهُ رائحة ذكيّة ووُجدت الجثّة قد تخلخلت وقد زال عنها اللحم ما عدا الأصابع الثلاث من اليد اليسرى. وضابطة بيدها صورة صغيرة لمريم العذراء كانت في حياتها تمسكها بيدها على الدوام. وعند الموت قبضت عليها شديداً. بحيث انّهُ لم يسُغ لأحد أن يأخذها من يدها. وظهر منها غير ذلك من الأعاجيب*

* اليوم السابع عشر *

القدّيس اندراوس الاقريطي

انّ اندراوس وُلد في جزيرة اقريطش الشهيرة. ومنذ صباهُ قمع جسدهُ قمعاً ورفض ملاهي الدنيا ومبتغياتها وغناها. وتعلّق بمحبّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأشياء السماويّة فقط. واعتنى أن يقتدي بالرسل القدّيسين في سيرتهِ ليكون شريكاً لهم أيضاً في الصلوة*

وحدث انّهُ نشأ في تلك الأيّام في الكنيسة مذهب فاسد مخالف لاكرام ايقونات القدّيسين. وكان عضد هذا التعليم الفاسد الملك قسطنطين كبرونمس. وتبعهُ فيهِ خلق كثير* واحتجّ الملك قسطنطين كبرونمس لتزويق مذهبهِ هذا الفاسد احتجاجات باطلة. أخصّها انّ عبادة الايقونات هي نوع من عبادة الأوثان. وبذلك أطغى كثيراً من المتعامين والجهلة. وأوقعهم في حبالتهِ. والحالة انّ المراد بعبادة الايقونات ما هي الاّ اكرام يُقدَّم لا إلى الصور والتماثيل بنفسها بل إلى أصحابها القدّيسين أصفياء الله عزّ وجلّ وأعزّائهِ*

غير انّ الملك أعطى أمراً بافناء الصور وملاشاتها. وجزم على الذين يكرمونها بالعقوبات الشديدة من حبس وغير ذلك* فلمّا اتّصل الخبر باندراوس. ثارت غيرتهُ على مجد الله وأصفيائهِ القدّيسين. فمثل امامهُ وفهّمهُ تفهيماً محكماً بسوء صنيعهِ. وانّهُ بذلك بطل أن يكون مسيحيّاً. وأكثر من الكلام في هذا الشأن. وقبل أن يختم كلامهُ وقع بهِ الواقفون في خدمة الملك ومزّقوهُ أيّ ممزّق. وأشبعوهُ إهاناتٍ وتعدّيات. ولم يكفّهم الملك عنهُ البتّة. بل قال لهُ: أنا متعجّب من أمرك يا اندراوس. كيف انّك بلغت بك الغباوة والجهل ان تكرّم ما لا حاسّة لهُ كما هي حالة الصور. وأنت تعلم انّ موسى النبي عليهِ السلام نهى عن اتّخاذها من أيّ مادّة كانت* فقال لهُ اندراوس: أيّها الملك الجليل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّنا لو كانت عبادتنا للصور تحاكي عبادة الوثنيّين لأوثانهم لاستحقّينا من العقوبات أشدّها. ولكنّنا ليست صورنا تشابه صورهم. فانّ تلك صور آلهة كاذبة. وامّا صورنا فهي صور ذلك الذي صُلب من أجلنا أو صور أولئك الذين أعطوا دماءهم حبّاً لهُ. وناهيك انّ موسى عنى بكلامهِ المشار إليهِ عبادة الأوثان. ولولا ذلك لما أمر أن تُجعَل صور أربعة كواريب في هيكل الله*

فلمّا سمع الملك الظالم الطاغي هذهِ الكلمات التي أفحمتهُ ازداد غيظاً وأمر بأن يُوجع ضرباً بعصب الثور حتى أدمى جسمهُ كلّهُ* ثمّ استدعاهُ إليهِ وحاول أن يقنعهُ بطيّب الكلام. فلم يَنل شيئاً. إذ كان عزم القدّيس ثابتاً مشتدّاً بأن يموت محاماةً عن الايمان القويم. فأمر بضربهِ وسحبهِ في شوارع المدينة* واجتاز بهِ رجل من تبعة مذهب الملك. فلمّا رآهُ في حالة الكسافة وفي رمق يسير وهو مشرف على الموت. أسرع وقطع رجلهُ. وبعد هنيهة أودع القدّيس روحهُ بيد الله. وذلك في اليوم السابع عشر من تشرين الأوّل* وصنع الله كرامات كثيرة على يدهِ. وجرى اسمهُ في ديوان القدّيسين عند اليونان واللاّتين من قديم الزمان*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثامن عشر *

مار لوقا الإنجيليّ

وُلد القدّيس لوقا في مدينة انطاكية. وانصبّ منذ صباهُ على الدرس والعلم. فبرع وأجاد. وكان فاضلاً عفيفاً بتولاً. ومن جملة ما اشتهر بهِ الفصاحة والطبّ. بحيث انّ مار بولس الرسول يسمّيهِ في رسائلهِ الطبيب العزيز. واشتهر أيضاً بصناعة التصوير* وذهب بعض الآباء القدماء إلى انّهُ كان من جملة تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين. وزاد على ذلك بعضهم انّهُ كان في رفقة مار قليوفا أحد التلميذين المنطلقين إلى عمّاوص إذ ظهر لهما الرب بعد قيامتهِ* غير انّ غيرهم من الآباء ممّن يُعوَّل عليهم ينكرون ذلك. والظاهر من كلام مار لوقا عن نفسهِ في فاتحة انجيلهِ انّهُ لم يكن من شهود العيان لأعمال سيّدنا يسوع المسيح*

امّا ما لا يشوبهُ ارتياب فهو انّ لوقا كان رفيق بولس الرسول عند تبشيرهِ في البلاد وشريكاً لاتعابهِ كما يشهد الرسول بولس نفسهُ في رسالتهِ إلى طيمثاوس*

وكتب مار لوقا انجيلهُ باليونانيّة في مدينة طواذة لمنفعة اليونانيّين القاطنين هناك الذين كان يبشّرهم بولس الرسول. ولا بدّ انّ مار بولس الرسول أفاد مار لوقا افادات شتّى عن سيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح وأعمالهِ* وكان لمار لوقا الفة وتعارف مع سائر أيضاً ولا سيّما مريم العذراء امّ الله. ومنها خاصّةً تلقّن ما يختصّ ببشارة جبرائيل الملاك لها بولادة المخلّص وبزيارتها نسيبتها اليشباع وبولادة المخلّص في بيت لحم وما يتعلّق بذلك*

وقد كتب مار لوقا ما عدا الإنجيل كتاب الابركسيس أي كتاب قصص الرسل. وفيهِ ضمّن الأخبار الخاصّة بالرسل من بعد صعود المخلّص إلى السماء. وعلى الخصوص إذ كان لوقا رفيق الرسول بولس اعتنى باقتصاص أسفار الرسول وأتعابهِ في الإنذار والاضطهادات التي قاساها* ولم ينفكّ لوقا من مرافقة بولس. فانّهُ تبعهُ إلى روميّة إذ سيق إليها ليُسجَن. وأقام فيها مدّة سنتين* ثمّ عاد لوقا إلى المشرق وتوغّل إلى أعماق افريقية وطاف بلاد مصر كلّها. وبذلك جذب إلى الايمان بالمسيح عدداً وافراً من الوثنيّين ورتّب لهم قوانين ومراسيم. وشيّد لهم الكنائس. وأقام لها كهنة وأساقفة وأرسلهم للتبشير حتى أضحت تلك البلاد كلّها مستنيرة بالايمان الإلهيّ. وما زال يشتغل بالتبشير والإنذار بالديانة الموحى بها حتّى بلغ السنة الرابعة والثمانين من العمر. فمات حتف أنفهِ في بيثُنيّة على رأي مار هيرونمس* وأشار مار غريغوريوس النازينزي وغيرهُ إلى أنّهُ مات شهيداً. ولا يُعرَف ذلك بالتحقيق* ومن جملة ما اتّصف بهِ مار لوقا الإنجيليّ انّهُ صوّر صوراً كثيرة لربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح ولأمّهِ القدّيسة مريم. وأودعها في الكنيسة الكاثوليكيّة لتكون لديهم بمنزلة ذكر وتحريض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

للاقتداء بتعليمها وسيرتهما* ومن جملة هذهِ الصور صورة العذراء مريم المحفوظة اليوم في روميّة في الكنيسة المعروفة بكنيسة مريم العذراء الكبرى. وقد جرى عن يدها آيات كثيرة* وكانت وفاة القدّيس مار لوقا في اليوم الثامن عشر من تشرين الأوّل. وهو الذي فيهِ تعيّد الكنيسة عيدهُ. ونُقلت جثّتهُ منذ القديم إلى مدينة القسطنطينيّة. ثمّ حُملت إلى مدينة بادُوة. وهي باقية فيها إلى يومنا هذا. ويوجد شيء منها أيضاً في روميّة في كنيسة القدّيس بطرس الرسول*

* اليوم التاسع عشر *

مار بطرس ذو القنطرة

انّ بطرس ذا القنطرة كان أبواهُ شريفين في قرية القنطرة. وهي على مسافة يسيرة من مدينة والنسا في اسبانيا* وظهر منذ الصغر بسجيّة نجيبة وشمائل مليحة وطباع حسنة. وأوّل نشأتهِ انصبّ على الدرس. وتعلّم العلوم وبرع فيها* والهمهُ الله عزّ وجلّ أن يهجر الدنيا ويترهّب. فدخل في رهبنة مار فرنسيس. وكان عمرهُ ستّ عشرة سنة* وحدث لهُ انّهُ إذ كان قاصداً دير منيازر اجتاز بنهر. ولم يكن لهُ أحد يعبّرهُ. فما رأى نفسهُ الاّ وهو على الضفّة الأخرى من النهر* وقضى سنة واحدة فقط مع المبتدئين. فعند انقضائها أضحى كاملاً فائقاً في السيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرهبانيّة. ومال إلى العيشة القشفيّة وإلى اماتات النفس المتنوّعة حتى أضحى التقشّف ملكة بل طبيعة فيهِ. وكان طعامهُ الخبز وحدهُ. وربّما أضاف إليهِ قليلاً من الحشيش وكان يأكلهُ بارداً تافهاً. ولا يسدّ حاجة الجوع والعطش تماماً. فلذلك غدا عديم الذوق. وصار لا يميّز بين الطعام البارد والحارّ والمالح والتافة. وقضى مدّة ثلاث سنين يقتات بالخبز اليابس المنقوع بالماء والماء المخلوط بالملح* وحكى من يوثَقُ بهِ انّهُ قضى اسبوعاً صحيحاً لا يتناول شيئاً البتّة من الطعام* وعامل حاسّة بصرهِ شرّ معاملة. فانّهُ الجم عينيهِ الجاماً عجيباً. فكان لا يدري كيف هي هيئة سقف قلاّيتهِ وقد سكن فيها أكثر من سنة. وأمثال ذلك كثيرة* وذكرت القدّيسة ترازية انّها سمعتهُ يقول انّهُ مكث في بعض الأديرة مدّة ثلاث سنين لا يعرف أحداً من الأخوة الذين فيهِ لا بالنظر ولا بالحديث* ومنذ يوم دخل رهبنة مار فرنسيس إلى يوم موتهِ لم ينظر إلى امرأة البتّة* امّا سهرهُ فمّما يوجب التعجّب بالحقيقة فانّهُ بقي مدّة أربعين سنة لا ينام إلاّ ساعة ونصف في الليل ومثل ذلك في النهار. ولم ينم قط منضجعاً. بل كان ينام جالساً على السرير أو يسند رأسهُ إلى الحائط. وكان لا يلبس الاّ ثوباً بالياً مرقّعاً بعدّة رقع. وتحت الثوب يلبس المسح. ولم يكن يخلعهُ لا في حين العافية ولا في حال المرض*

وسمح الله بأن يقاومهُ عدوّان شديدان أعني بهما اللحم والشيطان. فحاربهما على الدوام بما ذُكر من الاماتات والاسهار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والصلوات* وأقلقتهُ ذات يومٍ تجربة شديدة. فألقى نفسهُ في ماء جليد وكان إذ ذاك البرد شديداً قويّاً جدّاً وانتصر عليها بذلك* وكانت عاقبة تقشّفاتهِ المذكورة انّهُ أصابهُ مرض في معدتهِ ومع ذلك فلم يخفّف شيئاً ممّا كان عليهِ من قشف المعيشة*

وكان متواضعاً يتذلّل كثيراً وحليماً ولا يتكلّم الاّ قليلاً من الفرض الواجب ولغاية يقصدها. وصبر على الشدائد التي ألمّت بهِ صبراً جميلاً. مسلّماً إرادتهُ في كلّ أمرٍ بيدهِ تعالى. وطلب إليهِ أن لا يقطع عنهُ المحن والشدائد* أمّا الأسفار والأتعاب التي قاساها في خير رهبنتهِ وصلاح الكنيسة فيعجز اللسان عن وصفها وتعدادها* فانّهُ طاف البلاد وجاب البراري ماشياً. وجرت عن يدهِ الكرامات لخير كلّ صنفٍ ومرتبة من الناس* ولم يكن يردّ قطّ أحداً بل كثيراً ما بذل جلّ سعيهِ في نوال خير من قصدهُ. وهو مع ذلك يرشد الجهّال ويمدّ بمشورتهِ الصالحة الذين يسترشدونهُ* وأبدى نحو القريب رحمة ومحبّة فائقتين. وما برح يعود المرضى في البيمارستانات ويخدمهم ويعتني بأمورهم الجسديّة والروحيّة فنال الشفاء بشفاعتهِ عدد غير قليل منهم. ولشدّة محبّتهِ للفقراء ورغبتهِ في مشاركة بؤس معيشتهم وذلّهم. كان يلتزم أحياناً كثيرة أن يطلب الصدقات لهم على الأبواب*

وفي إحدى السنين انقطع المطر. فساءت ظنون الناس وأخذوا يتحدّثون بحدوث غلاء. فاغتمّ القدّيس بسبب الفقراء اغتماماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شديداً. وتوسّل إلى الله بشأنهم فجاءت الأمطار غزيرةً* ولجزيل حبّهِ لفضيلة الفقر لم يكن يحوي في قلاّيتهِ سوى الصليب والكتاب المقدّس. مع انّهُ كان رئيس الدير* وكان على الدوام مقترناً بالله بالتأمّل والصلوة. وفي وقت القدّاس كان أحياناً كثيرة يُخطَف عن حواسّهِ ويرتفع عن الأرض وتهطل الدموع من عينيهِ. وكانت اختطافاتهُ كثيرة جدّاً*

وليس في المكنة تعداد المواهب التي جاد الله بها عليهِ. فانّهُ كان حاصلاً على موهبة الفرح والنبوّة والعلم بالغيب والتكلّم بألسنةٍ مختلفة شتّى* وكانت صلواتهُ عجيبة فائقة حتّى انّهُ بها كان ينال كلّ ما شاء. وأبرأ عدّة مرضى* وارتقى في رهبنتهِ إلى عدّة مراتب ووظائف وأحسن القيام بها. وأفضت إلى أن اتّسعت رهبنتهُ كثيراً وانتظمت أحوالها* ثمّ وقع مريضاً. فحُمل إلى دير مار اندراوس في ادیناس وهناك اعلمهُ الله بساعة مماتهِ. فاستدعى أخوتهُ الرهبان واطلعهم على ذلك. ووعظهم وأودعهم وصايا جليلة تؤول إلى خيرهم. ثمّ اشتدّ مرضهُ فتزوّد بالزوّادة الأخيرة بحرارة غزيرة وبدموع حارّة هيّجت الحاضرين أجمع على البكاء والنحيب. ثمّ مُشح بالمشحة الأخيرة. وأكرمتهُ العذراء الطوباويّة التي كان متعبّداً لها في عمرهِ بزيارتها لهُ بصحبة القدّيس مار يوحنّا الرسول. وسلّتهُ وامّنتهُ عن أمر خلاصهِ فكاد يطير من فرحهِ وقال: فرحتُ بما قيل لي: إلى بيت الربّ نمضي. ثمّ بعد هنيهة سلّم روحهُ بيد خالقها وذلك في ١٨ تشرين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأوّل من سنة ١٥٦٢. ولهُ من العمر ثلاث وستّون سنة وقد قضى منها سبعاً وأربعين سنة في الرهبنة*

ولبث جسدهُ بعد انفصال روحهِ منهُ بهيّاً لطيفاً. وفاحت منهُ رائحة طيّبة. فتسارع الناس لرؤيتهِ من كلّ النواحي. وتراموا عليهِ ليأخذوا شيئاً من ملابسهِ* ثمّ قُبر في كنيسة الدير باحتفال عظيم. وحدث في ساعة دفنتهِ أعجوبة باهرة. وعقبها أعاجيب كثيرة. فأجرى اسمهُ البابا غريغوريوس الخامس عشر في ديوان الطوباويّين والبابا اقليميس التاسع في ديوان القدّيسين*

* اليوم العشرون *

برشبيا ورفاقهُ الشهداء

كان اوجين أو آبون من جملة تلاميذ مار انطونيوس ابي الرهبان وهذا جاء من مصر إلى بلاد المشرق لينذر بالايمان وينشر السيرة الرهبانيّة فيها. فبنى لهُ ديراً في قرب نصيبين وتتلمذ لهُ كثيرون فأخذ تلاميذهُ يتفرّقون في جهات المشرق وخاصّةً في مملكة الفرس ليتلمذوها* وكان من جملة هؤلاء تلاميذ مار اوجين برشبيا. وكان هذا رئيساً على عشرة رهبان في دير من أديرة بلاد الفرس. فذاع في قليل من الزمان صيت فضائلهِ وغيرتهِ على الديانة النصرانيّة عند

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الوثنيّين* فلمّا اضطرم اضطهاد شابور الملك قُبض على برشبيا في الحال وأُحضر أمام الوالي. واحتجّوا عليهِ بأنّهُ سعى في إبادة ديانة المجوس من بلاد الفرس. وقُبض أيضاً على تلاميذهِ العشرة. وقُيّدوا بالأغلال. وسيقوا إلى قرب مدينة سوس عند الوالي. فاذيقوا هناك أمرّ العذابات. وفي الآخر أمر بقطع رؤُوسهم. وحدث ذلك في اليوم الثالث من حزيران في السنة الثالثة من اضطهاد شابور وهي السنة الثالثة والثلاثون لشابور الملك وتوافق سنة ٣٤٢ للمسيح*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار هيلاريون الناسك

وُلد هيلاريون في قرية طابورة بقرب مدينة غزّة في فلسطين. وكان أبواهُ وثنيّين. فارسلاهُ إلى الاسكندريّة لكي يتعلّم العلوم. فبرع وأجاد. وأنار الله عقلهُ بنورهِ الإلهي أيضاً. فتنصّر بنعمتهِ تعالى وتعمّذ. ثمّ تمسّك بتقوى الله واستكمل الفضائل المسيحيّة. وأخذ يصرف أغلب أوقاتهِ في الكنائس. ويجالس الاقليرس ولا سيّما الفاضلين منهم* وسمع بخبر الناسك مار انطونيوس فقصدهُ ومكث عندهُ زماناً ولبس اسكيم الرهبنة وتتلمذ لهُ. وتعلّم منهُ نوع التصرّف والقيام بالصلوة واستعمال التواضع والمواظبة على الشغل والتقشّف* ثمّ عاد هيلاريون إلى بلدهِ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبرفقتهِ نفر من الرهبان مرادهم أن يسيروا السيرة الرهبانيّة في بلاد الشام كما في بلاد مصر* ولدى وصول هيلاريون إلى بلدتهِ سمع بموت أبيهِ. فباع ما أصابهُ وفضّهُ على الفقراء. وانقطع إلى البرّيّة التي مبدأها من مدينة غزّة أي عكّا ومنتهاها شاطئ البحر* وكان في هذهِ البرّيّة لصوص كثيرون دابهم قطع الطريق على المسافرين. وكان عمر هيلاريون يوم انقطع إلى البرّيّة خمس عشرة سنة*

وكان يلبس على جلدهِ مسحاً وقميصاً من جلد كان قد وهبهما لهُ مار انطونيوس. وكان فراشهُ حصيراً من البرديّ مفروشاً على القاع. وقلاّيتهُ صغيرة تشبه القبر لا تكفي لتحوي جسمهُ كلّهُ إلاّ بالصعوبة* وكان قوت يومهِ خمسين درهماً من خبز الشعير. وقليلاً من البقل مطبوخاً. وفي تمادي الأيّام قلّل أكلهُ واقتصر على البقل والحشيش. فاحتدّ الشيطان عليهِ غضباً إذ رآهُ قد غلبهُ وكسرهُ بهذهِ سيرتهِ القشفيّة القدسيّة. فأثار عليهِ التجارب الصعبة. وهيّج فيهِ حركات الشهوة. وكان يضربهُ على صدرهِ. فلم يفشل هيلاريون من ذلك بل صار يبالغ في قمع جسدهِ وقهر الشيطان ويخاطب جسدهُ قائلاً لهُ: انّني سأجعلك ضعيفاً منحولاً بنوع انّك لن تقدر أن تلبث مستقيماً. وانّني سأحرمك القوت بحيث انّي لا أجود عليك إلاّ بقليل من التبن لتعلفهُ. ولاميتنّك بالجوع والعطش واثقلنّك بالأتعاب الباهظة ولاقهرنّك بالحرّ والبرد. فلا تعد تفكّر بالشهوة إذا دنوت من الطعام. وأجرى ذلك بالعمل. فانّهُ كان يستمرّ منقطعاً عن الأكل مدّة أربعة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أيّام. وهو يشتغل بفلاحة الأرض وينسج زنابيل من البرديّ. ويتأمّل في وقت الشغل في معاني آيات الكتاب المقدّس التي كان حافظها. فاستحال بذلك جسدهُ إلى جلد وعظم لا غير* وكان إذا داهمتهُ التجارب. ضاعف أشغالهُ وزاد تقشّفهُ وبالغ في الصلوة ورسم إشارة الصليب حتى تنصرف عنهُ التجربة وتزول. ومع ذلك كلّهِ لم يكفّ عنهُ الشيطان بمكايدهِ وتجاربهِ الصعبة الشديدة ولا هجع ولا هدأ ساعةً من تعذيبهِ. فكان إذا تهيّأ للنوم صوّر لهُ نساء غريبات ليهيّج شهوتهُ. وإذا جاع عرض على مخيّلتهِ مأدبة معدّة بالأطعمة الفاخرة اللذيذة. وإذا انتصب للصلوة شوّشهُ واقلقهُ بالصياحات والاضطراب. وربّما ضربهُ واوقعهُ بين حيّ ومائت على الحضيض*

وطلع اللصوص عليهِ يوماً ودخلوا قلاّيتهُ. فاستقبلهم بلا خوف ولا قلق. فقال لهُ أحدهم: أما تخاف منّا. قال: ولِمَ أخاف منكم. وأنا لا أملك شيئاً. قالوا: ترى أما نقدر أن نقتلك. قال: من كان قلبهُ زاهداً في كلّ ما في الدنيا لا يصعب عليهِ أن يموت*

وجازى الله هيلاريون بكرامة صنع الآيات والعجائب. فصار الناس يتوافدون إليهِ ليُشفَوا من أمراضهم وينالوا منهُ حاجاتهم. ومن جملة ذلك انّهُ جاءتهُ يوماً من مدينة غزّة امرأة شريفة يُقال لها أَرسْطناثس قد حجّت برفقة زوجها وأولادها الثلاثة إلى برّيّة مصر للتبرّك من القدّيس انطونيوس. وجرى لأولادها الثلاثة أنّهم ماتوا كلّهم في عودها من الحجّ. فشرعت تبكي وتتوسّل إليهِ بأنْ يردّ لها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أولادها. فتحرّك لنحيبها. وندب اسم يسوع. فأحياهم قاطبةً. فاشتّدت شهرتهُ بذلك. وتنصّر كثير من الوثنيّين الذين رأوا هذهِ الأعجوبة الباهرة وسمعوا بها ومنهم من تتلمذ لهُ* فتشيّدت حينئذٍ بعض الأديرة في سورية. وساسها أَحسن سياسة. وهكذا كان منشأ الأديرة والسيرة الرهبانيّة في بلاد الشام* ومن جملة أعاجيبهِ أنّهُ أخرج الشيطان من أجسام كثيرين وأبرأ المسقومين. وجذب الخطاة إلى التوبة* ومن الكرامات التي أكرمهُ الله بها انّهُ كانت تفوح من ثيابهِ ومن أمتعتهِ رائحة طيّبة ذكيّة. وحاز على روح النبوّة* وامتلأَت بلاد فلسطين من الرهبان والأديرة. وكان الرهبان الذين قام بتدبيرهم يجتمعون كلّهم حولهُ. وربّما بلغ عددهم ثلاثة آلاف* أمّا الفضيلة التي اتّصف بها على الخصوص فهي التواضع والتجنّب من المجد الباطل. ولمّا رأى الزائرين كثروا عليهِ. وصاروا يؤذون تواضعهُ بكثرة تقريظهم لهُ. جعل يتأوّهُ ويقول: لقد رجعتُ إلى قلق الدنيا وأخذت جزائي في حياتي* وأراد أن يحوّل مقرّهُ إلى موضع منقطع عن الناس. فلمّا بلغ ذلك أهل تلك النواحي حزنوا حزناً عظيماً. وذهبوا إليهِ ليصدّوهُ عن ذلك. ولكنّهُ أكّد لهم أنّهُ لا يأكل ولا يشرب إلى أن يتوجّه إلى القفر. وبقي ستّة أيّام صائماً حتّى خلّوا سبيلهُ. فرحل معهُ أربعون راهباً وتوجّهوا إلى مسكن مار انطونيوس. وأمّا هو فانفرد براهبين فقط وشرع يسير سيرة الملائكة* وهناك أيضاً رغماً عنهُ اشتدّت شهرتهُ في تلك الجهات المجاورة. وتسارع الناس إلى زيارتهِ والتبرّك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منهُ من كلّ جهة. فهرب أيضاً من هناك. وعزم على أن يخرج من حدود بلاد الشرق. فذهب إلى جزيرة صقليّة. وصار هناك كلّ يوم يقصّ حزمة من الحطب ويبيعها. ويقتات بها* فانتشر أيضاً صيتهُ هناك في أيسر وقت. فتوجّه إلى بلاد دلماطية. ثمّ قصد جزيرة قبرص. وفي كلّ هذهِ الأمكنة أجرى الله على يدهِ الكرامات المتنوّعة الكثيرة* فلمّا صار عمرهُ نحو ثمانين سنة. أوحى الله إليهِ بقرب وفاتهِ. فلمّا كان في سياق الموت قال لنفسهِ: اخرجي يا نفسي. لِمَ تخافين. ولِمَ تقلقين. انّكِ قد خدمتِ الله مدّة ستّين سنة. فعَلامَ تتخوّفين من الموت* وتُوفّي إذ ذاك بسلام الربّ. فقُبر باكرام في مدينة فاغوس في الجزيرة المذكورة. وكانت وفاتهُ في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايلول من سنة ٣٧٢*

* اليوم الثاني والعشرون *

مار ملكُس الناسك

وُلد ملكُس في قرية مارونة من أعمال انطاكية. فلمّا نشأ أراد أبواهُ أن يزوّجاهُ. ولكنّ الله أوقد في قلبهِ محبّة شديدة للطهارة. فلمّا رأى أبويهِ يلحّان عليهِ ويغصبانهِ على الزيجة خرج سرّاً من المنزل وذهب إلى دير في المغرب. فسكن فيهِ مدّة مواظباً على الشغل والصلوة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والزهد* ثمّ مات أبوهُ. فأراد أن يعود إلى بيتهِ ليبيع ما أصابهُ من التركة ويوزّع ثمنها على الفقراء ويوقف الباقي للدير. ويبقي حصّة لقضاء حاجتهِ. فلمّا مثل بين يدي الرئيس ليستأذنهُ في الانصراف صدّهُ الرئيس وبيّن لهُ انّ فكرهُ ذلك تجربة من الشيطان. وأورد لهُ أمثالاً لتأييد قولهِ. ثمّ تهدّدهُ بعقوبات شديدة صارمة من لدن الربّ* ومع كلّ ذلك لم يتوقّف ملكس من الخروج من الدير. ففي ذهابهِ إلى بلادهِ برفقة جماعة من الناس من رجال ونساء اجتاز بجماعة من العرب دأبهم أن يقطعوا الطريق على الناس. فوقع في يدهم ملكس وامرأة من تلك الجماعة أيضاً. فذهبوا بهِ إلى بلادهم وعذّبوهُ كثيراً في الطريق. ثمّ انّهم لمّا وصلوا بهِ إلى دارهم جعلوهُ راعياً على قطيع غنم. فسلّم تسليماً تامّاً للعناية الربّانيّة. وبقي يمشي عرياناً ويصلّي ويرتّل المزامير التي تعلّمها في الدير. وإذ شعروا بقداستهِ وصلاحهِ أرادوا أن يأتمنوا إقامتهُ عندهم فطلبوا أن يزوّجوهُ بالمرأة التي استأسروها. فأبى ملكس. فتهدّدوهُ وخوّفوهُ بالموت. فصافح ملكس المرأة للدلالة على أنّهُ قد خطبها. فلمّا صار الليل أخذ المسكين يفتكر في سوء حالهِ. ورأى انّ كلّ ذلك حدث بسماح من الله لعدم طاعتهِ لرئيسهِ في خروجهِ من الدير. وأخذ يرثي حالهُ ويلزم نفسهُ على سوء فعلهِ. ثمّ عزم أن يموت أحرى من أن يتزوّج بهذهِ المرأة. فذهب بها إلى مغارتهِ وأجلسها في زاوية. وقعد هو في الزاوية الأخرى وشرع يقول لها: ليكن الله معكِ. انّني أُوثر أن أكون شهيداً ليسوع المسيح ولا أصير زوجكِ. فلمّا سمعت المرأة المذكورة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذهِ الكلمات منهُ. جثت بين يديهِ وشكرتهُ على ذلك. وأظهرت لهُ انّها هي أيضاً قد عزمت على أن تَحفظ عفّتها. ووافقتهُ على ذلك. فاتّفقا حينئذٍ أن يعيشا سويّةً كالأخ والأخت. ولم يرفع ملكس بصرهُ قطّ إليها* وكان ملكس تشغلهُ الأفكار في شأن الدير الذي كان فيهِ وتزداد أشواقهُ إليهِ فعزم على أن يرجع إلى ديرهِ. ففاتح المرأة بذلك. واتَّفقا كلاهما على أن يهربا من ذلك المحلّ. فهربا. ولمّا كان اليوم الرابع لمحا شيخ العرب وعبدهُ يلحقانهما. فاختفيا في إحدى المغائر. ورآهما الشيخ يختفيان. فلمّا بلغ المغارة. أمر عبدهُ أن يخرجهما منها ليقتلهما. فلمّا دخل وشرع يصيح ويأمرهما بالخروج طلعت للوقت من المغارة لبوءة فافترستهُ. فلمّا أبطأ العبد دخل الشيخ وقد استلّ السيف لينتقم منهما. فافترستهُ أيضاً اللبوءَة. ولكنّها لم تضرّهما شيئاً. لأن عناية الله صانتهما منها. ثمّ انّها خرجت من المغارة من دون أن تفطن بهما وغب ذلك خرجا هما أيضاً. وبعد عشرة أيّام بلغا إلى البلاد التي كانت في حكم الروم. فذهب ملكُس إلى ديرهِ. وكان الرئيس قد مات* واعلم انّ مار هيرونمس قد شاهد ملكس هذا إذ كان شيخاً وقد سمع منهُ قصّة ما جرى لهُ. وهاك ما قال مار هيّرونمس في هذا الخصوص بعدما ذكر قصّتهُ: هذا ما حكانيهِ ملكس الشيخ إذ كنتُ شابّاً. وأنا إذ شختُ الآن احكيهِ للشبّان والعفيفين كأنّهُ قصّة العفّة. واطلب إلى الفتيات أن ينظرنَ إليهِ على الدوام. ثمّ خاطبهنّ قائلاً: لا تهملنَ ناشدتكنّ الله أن تحكينهُ لأولادكنّ وللذين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يأتون بعدكنّ. لكي يكون كلّ واحد متيقّناً انّ العفّة في البراري وبين مخاوف السيوف وفي وسط هول الوحوش الضارية لا خوف عليها من أن تُستعبَد. وانّ الإنسان المخصّص ذاتهُ ليسوع المسيح يقبل الموت ولا يقبل أن ينغلب في عفّتهِ*

والبائن ممّا ذكرهُ مار هيّرونمس انّ ملكس تُوُفّي في نحو سنة ٣٧٠ للمسيح في أيّام الملك والنتنيانس*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار يوحنّا دي كابستران الراهب برهبنة الأخوة الصغار

انّ من أشهر القدّيسين الذين قاموا في الرهبنة التي أسّسها مار فرنسيس السارافيّ هو الطوباوي يوحنّا دي كابستران* هذا وُلد في أشرف بيت في فرنسا. وذلك في اليوم الخامس والعشرين من حزيران. يوم عيد مار يوحنّا المعمذان من سنة ١٣٨٥. ولذلك سُمّي يوحنّا في العماذ. ثمّ أُلحقت بهِ كنية دي كابستران نسبةً إلى بلدة كابستران في إيطاليا التي وُلد فيها يوحنّا المذكور* فافرغ الجهد والداهُ في تربيتهِ وتهذيبهِ. فأبان الصبيّ عن حكمةٍ وحزمٍ ورزانة عقل ونجابة نفس في صغر سنّهِ. وبرع وفاق في الدرس. ومات أبوهُ وهو دون البلوغ. فجعل هو يسلّي أمّهُ ويعزّيها في حزنها وكآبتها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويحثّها على التسليم لله والصبر* ثمّ استأذن أمّهُ وذهب إلى مدرسة بروسة الجامعة المشتهرة يومئذٍ ليكمّل درسهُ. فبقي فيها مشتغلاً بالدرس مدّة عشر سنوات. فحاز قصبات السبق على جميع رفاقهِ في كلّ فنّ وباب. ولا سيّما في الفقه المدنيّ والبيعيّ. وصار الناس يتقاطرون إليهِ ويرفعون إليهِ دعاويهم ويستفتونهُ فيها. وكان متمسّكاً بالعدل ملازماً للاستقامة أشدّ ملازمة* وجاء إليهِ ذات يوم أحد الأكابر في بروسة وغايتهُ أن يظلم أحد الفقراء. فقدّم لهُ رشوةً كبيرة على أن يقضي لهُ ويظلم ذلك المسكين. فأبى القدّيس ورذل رشوتهُ وطردهُ من عندهِ. فاشتدّت شهرتهُ لدى الناس قاطبةً* وحدث يوماً نزاع بين عشيرتين فهمّ يوحنّا بالقاء الصلح بينهما. فإذ كان يوماً مسافراً إليهما لهذا السبب وقع في يد قطّاع الطريق فامسكوهُ وعذّبوهُ. ثمّ تفلّت من أيديهم فادركوهُ ثانيةً. وعند ذلك داخلهُ الفكر في زوال هذهِ الدنيا وما فيها. ثمّ ألهمهُ الله أن يترهّب في رهبنة مار فرنسيس. فقام يوحنّا وفكّ نفسهُ من العبوديّة بفدى. وانطلق إلى بلادهِ ووزّع جميع ما كان يملكهُ على الفقراء. وعاد إلى بروسة وترهّب في دير الأخوة المعروفين بالصغار. وكان عمرهُ إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة. وبقي مدّةً بين المبتدئين. فاظهر دلائل بيّنة على عظم تواضعهِ ومزيد ثباتهِ وعزمهِ. من ذلك انّهُ إذ أراد بعض الأخوة أن يختبروهُ سمّوهُ أحمق وجاهلاً فكان يسرّ بذلك* وما زال يزداد فضيلة وكمالاً وهو يقمع جسدهُ بالتقشّف والصوم والاسهار. ولم يكن ياكل أكثر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من أكلة في النهار. ولا يتناول إلاّ شيئاً يسيراً نزراً ويقسّم الباقي من طعامهِ على الفقراء* وكان يستعدّ للتناول قبل ثلاثة أيّام ويبقى فيها صائماً صوماً تامّاً. حتّى عرض لهُ مرض فمنعهُ الرؤساء والأطبّاء منعاً شديداً من ذلك* وكان ينام على القاع. ويكتسي بثياب رثّة بالية. ويلبس على بدنهِ المسح. ويجلد نفسهُ جلداً قاسياً* ومع ذلك فانّ الشيطان لم يكفّ من تجريبهِ. فكان القدّيس يبالغ في اماتة النفس. ويكثر من الصلوة واضعاً ثقتهُ كلّها في الله* وظهر لهُ الشيطان ذات ليلة فأخذ يرعبهُ ويخوّفهُ بكثرة الصياح والضوضاء. فقال لهُ يوحنّا: افعل مهما سمح بهِ الله لك. ولا تقصّر في شيء. فولّى الشيطان هارباً* ولعظم تواضعهِ فانّهُ كان يسرّ ويفرح بقضائهِ أحقر خدم الدير وأنذلها. كالكنس والتسوّل وغسل آنية الطعام وما أشبه ذلك. ويتمنّع كلّ التمنّع من استماع مديحهِ. ورفض عدّة اسقفيّات قُدّمت لهُ. واشتغل كثيراً بالوعظ والارشاد وجادل اليهود على الخصوص. فربح منهم للكنيسة جماعة وبعضاً من مشاهير علمائهم. فصار الهراطقة يرعبون منهُ. فارسلهُ الرؤساء إلى مدينة انقونة ليردّ جماعة من الهراطقة. فتكلّل سعيهُ بالنجاح وأتى بحميد العاقبة. ثمّ أُرسل إلى مدينة بندقيّة لهذهِ الغاية أيضاً* ومن بعد ذلك أُرسل إلى فرنسا حذراً من أن تمدّ فيها الهرطقة أصولها. فابغضهُ الهراطقة أشدّ بغضة. ومع ذلك فكان يخاطر بحياتهِ لخير النفوس ولمجد الله كما فعل في بلاد جرمانيا وبوهميا وهنغريّة وبولونيا وليتوانيّة وروسيا واسقلابونيا. غير انّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العناية الربانيّة صانتهُ من كلّ مضرّة وأذىً لخير الكنيسة*

وكان كلامهُ يؤَثّر في أنفس الخطاة كما يؤَثّر في قلوب الهراطقة. فانّهُ لم يباشر قطّ موعظةً أو إرشاداً الاّ وحرّك بعض الخطاة على التوبة والرعوى. حتّى انّهُ ذات يوم نال من نساء أهل مدينة اكويلا أن يأتينهُ بحليهنّ وسائر آلات التسقّل والتجمّل المفرطة* ولا يحصى عدد الولايات التي طافها فضلاً عن المدن والقرى التي أنذر فيها. ويصعب استقصاء الألوف والألوف التي كسبها للكنيسة وللملكوت في رسالتهِ المشار إليها* وكان في البلدان التي يدخلها يهتمّ بإرشاد أهلها وانقاذ الأشقياء من العذابات المحكوم بها عليهم وابراء برصهم وأمراضهم. ويسعى في إقامة بيمارستانات ومنازل للمساكين وذوي العاهات* ولم يقصّر القدّيس في إعانة رهبنتهِ وإسعافها بالرسالات التي باشرها. فانّهُ إذ نُصِب خليفة لمار برنردينس في الرياسة العامّة على رهبنة مار فرنسيس المعروفة برهبنة الأخوة الصغار أخذت الرهبنة تتّسع اتّساعاً عجيباً بهمّتهِ بحيث انّهُ في خطبة واحدة خطبها في بلاد بوهميا كسب ستّين شابّاً لرهبنتهِ. وكسب مرّة أخرى مائة راهب. وكثرت على يدهِ أديرة رهبنتهِ وخاصّة في جرمانيا وإيطاليا*

وكان الباباوات يوكّلونهُ على عدّة سفارات وقصادات ليقضي فيها مصالح الكنيسة لما عهدوا فيهِ من الفطنة والرزانة والقداسة. ومن جملتهم البابا اوجانيوس الرابع. فانّهُ إذ نشأت في وقتهِ شقاقات كثيرة في خصوص مجمع باسيلية ونُصب بابا آخر غير شرعيّ. أرسلهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى فيلبّس الدوق في بزغونيا ليستميلهُ إلى حزب البابا اوجانيوس. فاستمالهُ هو وجماعة أمرائهِ وعظمائهِ* واتّخذهُ بعض الملوك أيضاً واسطة لالقاء الصلح والأمان في ديارهم*

وكان في كلّ مدينة يدخلها. يخرج الناس لاستقبالهِ وملاقاتهِ. ويحدث احتفال ورهج عظيم في المدينة. فتتقاطر الناس لاستماعهِ ومشاهدتهِ* وحدث في سنة ١٤٥٣ في اليوم السادس من أيّار انّ سلطان الترك هجم على القسطنطينيّة. وقتل الملك قسطنطين واليولوغُس وتغلّب على كرسيّ المملكة. فاعلن البابا مرتينس الخامس بجهاد صليبي حذراً من غارة سلطان الترك على بلاد هنغريّة ودلماطية وسائر بلاد اوروبا. وجعل القدّيس يوحنّا واعظاً ومنذراً بهذا الجهاد الصليبيّ. فأطاع القدّيس وقضى ذلك بنشاط جزيل* فلمّا أخذ سلطان الترك يتجهَّز للاغارة على بلاد الغرب وأقبل بجيش عظيم ليستولي عليها. وقع كلّ الناس في خوف ورعب من بأسهِ وشدّتهِ. وكان القدّيس يوحنّا وحدهُ في أمن واطمئنان من هذهِ الجهة. يأمّن الملوك ويُهدِّئ روع الناس من مضرّة الترك. وفي سنة ١٤٥٢ أقبل الترك على مدينة بلغراد وحاصروها. ثمّ دخلها جانب من جيشهم وكادوا يستولون عليها. وإذ أخذ أهل المدينة يصيحون ويولولون. أقبل القدّيس وهو حامل صليبهُ في يدهِ. وشرع يحثّ الجند على المدافعة والشجاعة والثبات. حتى انّهم كرّوا على العدوّ وصرعوهُ وكسروهُ. ولم يزالوا على ذلك حتى ولّى الاتراك وانهزموا وقُتِل جميع الذين دخلوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المدينة* وكان يوحنا في هذهِ الحروب مع الترك يتقدّم الجيش في الغالب وهو حامل راية الصليب ويصيح: يا يسوع يا يسوع انصرنا. وفي كلّ ذلك لم يُصِب يوحنا أدنى جرح أو مضرّة. مع انّهم كثيراً ما عزموا على إهلاكهِ* وجاد الله عليهِ بروح النبوّة. فأخذ يتنبّأ عن الغيب ويوضّح المبهمات. وتنبّأ عن وفاة جملة من الأحبار الرومانيّين*

وممّا أوصل القدّيس يوحنّا إلى قمّة الكمال أمران على الخصوص. أولهما أنّهُ تتلمذ لمار برنردينس الشهير في رهبنة الأخوة الصغار. ومنهُ حصل على معارف كثيرة في طريق الكمال وعلم الروحانيّات. والثاني انّهُ تعبّد لمريم العذراء. وما انفكّ يكثر من مدحها ويبالغ في وصفها. وهذهِ العذراء الطاهرة هي التي أنالتهُ نعماً غزيرة في أمر الوعظ والإرشاد*

وبعد أتعاب جزيلة كثيرة قاساها في أمر الرسالة والأسفار خارت قواهُ ووهنت عزيمتهُ. ووقع مريضاً في الدير في مدينة ويلاق. وطال مرضهُ مدّة شهرين ونصف شهر. وزارهُ في تلك الأثناء الملك لادسلاوس والملكة زوجتهُ وكثير من أمراء هنغريّة. فلمّا حان وقت وفاتهِ استعدّ الاستعداد التامّ. ثمّ بارك الأخوة الحاضرين واسلم الروح. وذلك في سنة ١٤٥٦ في اليوم الثالث والعشرين من تشرين الأوّل. ولهُ من العمر يومئذٍ نحو سبعين سنة. وقد قضى منها نحو أربعين في الرهبنة* وجاد الله عليهِ بالكرامات بحيث انّهُ اقام من الموت أكثر من عشرين ميّتاً*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع والعشرون *

رافائيل رئيس الملائكة

انّهُ من جملة الملائكة السبعة الذين دأبهم الوقوف أمام عرش الله على الدوام رافائيل رئيس الملائكة. وذكرهُ موجود في العهد القديم في قصّة طوبيا. فانّهُ إذ أُرسل الشابّ طوبيا من بيت أبيهِ إلى بلاد مادي ليستوفي قدراً من الدراهم كان أبوهُ قد أودعهُ لدى جابيل صادف في سفرهِ رافائيل رئيس الملائكة رفيقاً لهُ. وقد تشكّل بزيّ بشريّ وسمّى نفسهُ باسم عازريا وهو الذي اهتمّ في السفر باعداد ما يقتضي من الطعام. وصانهُ على الدوام من الغوائل والأخطار* ومن أفضل احساناتهِ إليهِ أنّهُ بعد خروجهِ من نينوى بمدّة إذ ورد يوماً نهر الدجلة ليغتسل فيهِ طلع عليهِ حوت عظيم ليبتلعهُ. فأمرهُ رافائيل أن يقبض عليهِ. فاخرجهُ على الشاطئ. وأمره بأن يأخذ قلبهُ ومرارتهُ وكبدهُ لينتفع منها في وقتهِ* ثمّ انّهُ لمّا بلغ طوبيا مدينة اقبطانة قال لهُ الملاك رافائيل ان يتزوّج بسارة ابنة رعوائيل. فاحتجّ طوبيا بأنّ تلك الفتاة قد تزوّج بها سبعة رجال وماتوا كلّهم بيد الشيطان. فأشار الملاك إليهِ بأنّ قلب الحوت دواء يقي. فأطاع الشابّ. ثمّ أعانهُ الملاك أيضاً على اتمام سَفرهِ وقضاء حاجتهِ. ثمّ انطلق بهِ هو وزوجتهُ إلى نينوى. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلغا إليها قال لهُ رافائيل أن يضع من مرارة الحوت على عينَي والدهِ وكان ضريراً. ففعل. وبعد نصف ساعة أبصر الشيخ* ولم يشعر طوبيا ولا أبوهُ بحقيقة هذا الشخص الذي جاد عليهما بهذهِ الاحسانات العظيمة. بل احتسباهُ بشراً. فأراد أن يقسما معهُ املاكهما جزاءً لهُ على حسن عملهِ معهما. فقال لهما الملاك أن يؤَدّيا الشكر الجزيل لله مولي النعم كلّها. وكشف لهما حينئذٍ عن حقيقة اسمهِ وصفتهِ وفهّمهما بأنّهُ مُرسَل من لدن الله لكي يردّ البصر للشيخ وينجّي سارة امرأة طوبيا من الشيطان. ثمّ حثّهما على تقدمة الحمد للربّ. واستأذنهما وغاب*

ورافائيل لفظة عبرانيّة معناها دواء الله ويناسب ذلك ما اقتُصّ من قصّة طوبيّا التي سبقت*

اليوم الخامس والعشرون

خروسنثس وداريّة الشهيدان

انّ خروسنثس وُلِدَ في مدينة الاسكندرية. وكان من شرفائها. فجاء إلى روميّة بجميع أهلهِ وحصل على شرف وكرامة لدى الملك نومريانس. وتفرّغ هناك للدرس* وفي بعض الأيّام إذ كان يبحث بين صحف أبيهِ. وقف صدفةً واتفاقاً على كتاب الأناجيل. فأخذ يقرأ فيهِ. ثمّ قرأهُ من الأوّل إلى الآخر. وعند قراءتهِ استنار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عقلهُ بنور الايمان الإلهي. وأيقن أنّ يسوع المسيح هو الإله الحقّ* وكان في روميّة إذ ذاك رجل شهير يقال لهُ قَرْبوفورُس خبير بتفسير معاني الكتاب المقدّس. فقصدهُ خروسنثس. وكان مستخفياً حينئذٍ في إحدى الزوايا من هول الاضطهاد الثائر في تلك الأيّام على النصارى. فطلب إليهِ أن يشرح لهُ شرحاً شافياً مستوفياً ايمان يسوع المسيح وانجيلهُ المقدّس. فاقبل قَرْبوفورُس وجعل يمكنّهُ ويثبّتهُ في الايمان الإلهيّ. ثمّ عمّذهُ وثقّفهُ في أصول الديانة بحيث انّهُ بعد مرور سبعة أيّام فقط صار يكرز وينادي بيسوع المسيح في رومية. فبلغ ذلك إلى مسامع أبيهِ. وداخلهُ الخوف على ابنهِ من العذابات الصارمة التي كانت محتومة على النصارى إذ ذاك. فامسكهُ ووضعهُ في السجن عندهُ. ثمّ جعل يتملّقهُ ويلاطفهُ لكي يستميلهُ إلى الديانة الوثنيّة. ثمّ أراد أن يزيل عفّتهُ وبكوريّتهُ لكي يتيسّر لهُ ذلك. فانقذهُ من السجن. وألبسهُ أفخر الحلل. وزيَّن لهُ مقصورة وزخرفها. وجاءت لمجالستهِ عدّة من النساء. فلمّا رأى القدّيس ذلك رفع نظرهُ إلى السماء وطلب العون من الله. فنالهُ* ثمّ فكر أبوهُ في أن يزوّجهُ. فطلب لهُ داريّة إحدى الفُتيّات المخصّصات للآلهة مينِرْوة. وكانت بديعة جميلة دون الوصف. فتجهّزت وتزيَّنت وذهبت إليهِ يوماً وشرعت تلاطفهُ وتسحرهُ بكلمات عذبة لطيفة لتجذبهُ إلى رفض النصرانيّة لكي يتزوَّج بها. غير انّ الربّ أمدّهُ بنعمتهِ الإلهية. فردعها ورفض مطلوبها وجذبها إلى عبادة المسيح. ثمّ اتّفق كلاهما على أن يتزوَّجا بشرط أن يحفظا الطهارة والبتوليّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبذلك نجا خروسنثس من السجن. فتعمّذت داريّة سرّاً. وتزوّجا ولبثا على الدوام في البتوليّة*

ثمّ شرعا يجثّان أصدقاءَهما ومعارفهما على اعتناق الديانة النصرانيّة ويحرّضانهم على حفظ البتوليّة. فلمّا سمع قلرينس والي مدينة روميّة بخبرهما. أحضرهما ليفحص عن أمرهما ويعاقبهما ان وجدهما مذنبَيْن* وأخيراً سحب خروسنثس إلى هيكل زُحَل. ثمّ جلدهُ وضربهُ ضرباً قاسياً. حتى انكشفت عظامهُ وأمعاؤهُ. ثمّ حُبس في منزل مظلم وقد قُيّد بالأغلال في بديهِ ورجليهِ وألقوا في وجههِ أشياء قذرة. غير انّهُ فكّ الأغلال وأحال الرائحة الكريهة إلى رائحة طيّبة ذكيّة. ثمّ وضعوهُ داخل جلد بقرة مسلوخة. وعرضوهُ للشمس نهاراً صحيحاً. فلم تؤثّر فيهِ. ثمّ أُعيد إلى السجن مقيّداً بقيود شديدة كثيرة. فتكسّرت في الحال. واستنار السجن بنور سماويّ. ونجّاهُ الله من عذابات أخرى بآيات باهرة حتى انّ الحاكم إذ رأَى ذلك اضطُرّ ان يقرّ بحقيقة الديانة المسيحيّة وتمسّك بها. وتبعهُ في ذلك جماعة الجند وتعمّذوا قاطبةً. ثمّ لمّا سمع الملك نومريانس بخبرهم أمر بقتلهم. فمنهم من أُغرق في النهر. ومنهم من ضُرب عنقهُ. أمّا خروسنثس فأُلقي في السجن. وسُحبت دارية قرينتهُ إلى مكان فظيع. فارسل الله أسداً إلى دارية. فوقف عند قدميها وأخذ يزأر ويمنع الدنوّ منها فضلاً عن التعرّض لها. وافترس من تجرّأ على ذلك. وبذلك آمن كثيرون بالديانة المسيحيّة. وعذّب الملك خروسنثس بأصناف العذاب فلم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تؤثّر فيهِ شيئاً. فلمّا عجز الملك أخذهما إلى موضع خارج المدينة وأعدَّ لهما هوتة فألقاهما فيها وطمّهما بالتراب. وبذلك ختم هذان القدّيسان الجليلان جهادهما* واكرمهما الله بكرامات كثيرة باهرة. إذ نال الشفاء بشفاعتهما عدّة من المرضى. وحدث جهادهما في اليوم الخامس والعشرين من تشرين الأوّل من سنة ٢٨٤*

* اليوم السادس والعشرون *

كرابينس وكرابنيانس الشهيدان

انّ الكنيسة المقدّسة داهمها اضطهاد عظيم شديد في عهد ديوقلطيانس ومكسميانس الملكَين. وبلغ عدد الشهداء الذين قُتلوا في مدينة رومية وحدها في مدّة أقلّ من خمسة عشر يوماً نحو ثلاثين ألفاً* ومع ذلك فلم يضطرب المسيحيّون. ولا جزعت قلوبهم. بل اشتدّت عزائمهم وازدادوا غيرةً ونشاطاً. وصاروا يضاعفون هممهم ويبذلون مجهودهم في نشر تعليم المسيح الطاهر في كلّ قطر ومصر*

ومن جملة البلاد التي نجحت فيها أحوال الديانة المسيحيّة بسبب الاضطهاد المذكور كانت بلاد فرنسا. وذلك على يد القدّيسين كرابينس وكرابنيانس. وكان هذان في الأصل من روميّة. من شرفاء أهل فرنسا وكِرَامهم. واتّفق انّهما بلغا إلى مدينة سواسّون في تلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأثناء حيث كانت متّقدة نار الاضطهاد كثيراً. فعزما على إبادة الوثنيّة. وبذلا كلّ ما عندهما صيانةً للايمان الحقّ وللمتمسّكين بهِ* هذا وقد ظهرت أوامر صارمة على النصارى في تلك المدينة. ولم يكن مباحاً لأحد أن يضيف الغرباء منهم عندهُ أو يتصدّق عليهم. فرأى هذان القدّيسان أن يحترفا بحرفة السكافة لتحصيل ما لا بدّ منهُ لقضاء المعيشة. فازدحم الخلق عليهما لقلّة طمعهما في الربح. فاغتنما هذهِ الفرصة. وجعلا يرشدانِ الناس إلى حقيقة الديانة النصرانيّة ويبيّنان لهم حماقة عبادة الأوثان. ويسّر الله لهما أن يتلمذا جماعة كبيرة من الوثنيّين* فوصل الخبر إلى مسامع الملك مكسميانس. وهو إذ ذاك في بلاد فرنسا. فكتب إلى والي تلك المدينة يأمرهُ بأن يعذّب هذين المذكورَين ويذيقهما شرّ الأذيّات* فطلبهما الوالي فحضرا من دون خوف. وأقرّا من تلقاء أنفسهما بالديانة المسيحيّة وأنّهما متمسّكان بها. وكفرا بعبادة الأوثان* فقيّدهما بالأغلال وسيّرهما إلى الملك مكسميانس. ونسب إليهما فتناً كثيرة وخصومات شديدة نشأت في المملكة. فلمّا وصلا إلى الملك. سألهما عن أصلهما ومنشإهما وديانتهما. فقالا: انّنا من شرفاء أهل روميّة. وقد تركنا كلّ شيء وقصدنا بلاد فرنسا لنمحو منها رسوم الوثنيّة وننشر ديانة المسيح الإلهيّة. فلمّا سمع ذلك مكسميانس. اتّقد غضباً وجعل يقسم بآلهتهِ ويتهدّدهما بأشنع العذابات وأحدّها ان لبثا مصرّين على اقرارهما. فأجاباهُ بشجاعة وقالا: انّنا لا تخوّفنا تهديداتك شيئاً. ولا نرتاع لعذاباتك البتّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولا نبالي بمواعيدك أبداً. بل كفانا شرفاً وفخراً صليب المسيح وحدهُ. ولعمرنا انّك لو فهمت ذلك حقّ الفهم لهجرت مملكتك من أجلهِ واحتميت تحت رايتهِ. فازداد الملك غيظاً وقال: كأنّي بكما تريدان أن تجتذبا الملوك أيضاً إلى هذهِ ديانتكما الفاسدة. أما اكتفيتما بمن اصطدتماهُ إلى حزبكما بحديثكما السحريّ. فقالا: يا لك من أعمى. انّك بدل أن تقرّ بذلك الذي في قبضتهِ مملكتك نفسها نراك تقاومهُ هو وعبادهُ. اعلم انّك لن تقدر شيئاً عليهِ. فانّ هذهِ الديانة التي تحاجّها أنت بكلّ نوع ستنتشر في كلّ قطر لا محالة. فلمّا سمع مكسميانس هذهِ الكلمات أسلمها بيد الوالي. وأمرهُ بأن يذيقهما ما شاء من العذاب. فاشبعهما في الأوّل ضرباً. ثمّ سلخ جلدهما وقلع أظفارهما. فلم يتشكّيا أدنى تشكٍّ من جرّاء ذلك. بل جعلا يسبّحان في وسط العذاب تسبيح المدح والحمد ليسوع المسيح الإله القادر على كلّ شيء. فاحتار الوالي في أمرهِ. ثمّ ألقاهما في النهر وكان البرد شديداً. فلم يحسّا بالبرد. بل قذفتهما المياه إلى الناحية الأخرى من النهر. فقبض الوالي عليهما. وألقاهما في مرجل قد مُلئَ رصاصاً مذوّباً يغلي. فلم يلحق بهما أدنى أذىً من ذلك أيضاً. بل انّ الوالي نفسهُ أصابت عينهُ نقطة من ذلك الرصاص المغليّ وفُقئت على فجأَة. فثار غضبهُ وأمر بأن يُرميا في اناء واسع مملوّ من قار وزيت حارّ. فلمّا أُلقيا في وسط هذا العذاب رفعا نظرهما إلى السماء. وجعلا يصلّيان بصوتٍ عالٍ قائلين: نجِّنا يا رب وانقذنا من هذهِ النار. واجعل أن يكون هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العذاب حزناً للشيطان ولأعوانهِ. انّك لقدير على كلّ شيء. فاصنع ذلك لمجدك. فجاء للحال ملاك واستخرجهما من ذلك المحلّ. واضحيا أبهى وأقوى ممّا كانا قبلاً. فلمّا رأى الوالي ذلك استحوذ عليهِ الخجل وتداخلهُ الغضب. فرمى نفسهُ بذلك الإِناء وهلك من ساعتهِ*

ولمّا سمع الملك مكسميانس بموت الوالي لم يتّعظ بذلك ولا ازدجر. بل أعمى الغضب بصيرتهُ. فأمر بقطع راسَي القدّيسين الفاضلين. وجرى ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الأوّل سنة ٣٠٣*

وقُبرا في أوّل الأمر في مدينة سواسّون. ثمّ نقلهما الرومانيّون إلى روميّة. وقبروهما في كنيسة مار لورنتيوس. وهما هناك إلى يومنا هذا*

* اليوم السابع والعشرون *

مار بنقيس والقدّيستان سابينة وخرستلاّ

إذ كان الوالي داقيانُس يطوف بلاط اسبانيا ويسفك فيها دماء المسيحيّين. اتّفق لهُ أن يجتاز بمدينة في مملكة برتوغال قريبة من مدينة توليد. واتّصل بهِ إذ ذاك خبر أحد النصارى اسمهُ بنقيس وكان شريف الأصل. فاستدعاهُ إليهِ وأقبل يغريهِ بأن يهجر ديانة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

النصارى. فلمّا سمع ذلك بنقيس اغتاظ غيظاً شديداً. وحملتهُ الغيرة والحرارة على أن يوبّخهُ ويزجرهُ لئلاّ يتكلّم في حقّ ديانة المسيح. وحثّهُ على أن يعبد المسيح ويتّخذهُ الاهاً كما هو بالحقيقة. فقال لهُ داقيانس: انّني لأُشفق على صبوّتك وشبوبيّتك. إذ لا أعاقبك على هذا الكلام. وحرّضهُ أن يكرم الآلهة ويقرّب القرابين لهم. فقاومهُ بنقيس بكلام شديد. فغضب الوالي وطردهُ من أمامهِ. وأمرهُ أن يقدّم للآلهة والاّ يُقتَل. فقبض عليهِ الشرط وجاءوا بهِ إلى قدّام مذبح زُحَل ليقرّب لهُ. فداس بنقيس صخرة كانت بقرب المذبح فلانت تلك الصخرة وانطبع عليها أثر قدميهِ. فتحرّك الحاضرون لهذهِ الأعجوبة وقالوا: انّ إله بنقيس هو الإله الحقّ. فأَرجوا قتلهُ وحبسوهُ. وفي الحبس تتلمذ لهُ خلق كثير*

وكان لهُ أختان اسم الواحدة سابينة والأخرى خرستلاّ. وهما يتيمتان ليس لهما معين سوى بنقيس. فجاءتا إلى السجن. وجعلتا تشكوان إليهِ أمرهما لأنّهُ أهملهما. واشارتا عليهِ أن يتبعهما ويهربوا جميعاً إلى محلّ بعيد يختفون فيهِ من سورة غضب هذا الظالم وجورهِ ويعيشون عيشة مسيحيّة. واتّفقوا على ذلك. وهرب بنقيس سرّاً. ولم يعلم بهِ أحد وتبع أختيهِ وبلغوا مدينة اويلة. ثمّ أخذوا يجدّون في طلبهِ. فلقوهُ في اويلة. وقبضوا عليهِ وعلى أُختَيهِ المذكورتين* وكان بنقيس في سفرهِ قد حرّك اختَيهِ على محبّة يسوع المسيح بحيث انّهما كانتا تتوقان إلى إعطاء عنقهما من أجل ديانة يسوع المسيح. فلمّا أُحضروا أمام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الحكّام. صار جوابهم متّفقاً في الثبات على النصرانيّة ورفض كلّ تمليقات الحكّام والأعوان. فأمروا بجلدهم. ثمّ وضعوا رؤُوسهم على حجارة وسحقوها سحقاً بحجارة أخرى. فطار وتبّدد دماغهم في كلّ ناحية. وبذلك نالوا اكليل الشهادة وبقيت جثثهم ملقاة في البرّيّة. ولم يتجاسر أحد من الوحوش أن يمسّها أو أن يدنو منها* وحدث آيات كثيرة بشفاعة هؤلاء الشهداء* وكان جهادهم في اليوم السابع والعشرين من تشرين الأوّل سنة ٣٠٣ في عهد ديوقلطيانس ومكسميانس الملكَين*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار شمعون ومار يهوذا أي ثدّى الرسولين

كان شمعون ويهوذا وَلدَي مريم قليوفا وأخوَي يعقوب الصغير ومن أقارب مريم العذراء أمّ يسوع المسيح. ويُلقَّب هذا شمعون بالقناني أو الغيور* أمّا يهوذا فيقال لهُ أيضاً ثدّى. وذلك لكي يميَّز من الاسخريوطيّ* وذِكرُ هذين الرسولين يؤتى بهِ أوّل مرّة في الإنجيل المقدّس عند الكلام عن العشاء السرّيّ. ولا يوجد ذكرٌ آخر ليهوذا ولا لشمعون في الإنجيل في غير هذا المحلّ. امّا ما لا شكّ فيهِ فهو انّهما قاسيا أتعاباً ومشقات كثيرة في الإنذار بالإنجيل وافتعلا عجائب وآيات كثيرة. وجلبا جماعة كثيرة من الناس إلى الايمان. ومحوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الوثنيّة من بلاد كثيرة. وقلعا عبادة الشيطان من أمكنة عديدة. وكسّرا الأوثان* وقيل عن شمعون انّهُ كرز بالإنجيل في بلاد مصر. وعن ثدّى انّهُ أنذر في بلاد بين النهرين. ثمّ دخلا كلاهما في بلاد الفرس. وتعبا في ترجيع كثير من الوثنيّين إلى الديانة النصرانيّة. فقبض عليهما بسبب ذلك الولاة. وقُتلا شهيدين* هذا هو ملخّص سيرة هذين القدّيسين بموجب ما جاء عنهما في السنكسار*

ونُقلت في الأوّل جثّتا هذين القدّيسين إلى بابل. ثمّ حُوّلتا في الآخر إلى روميّة. ووُضعتا في كنيسة القدّيس مار بطرس* واعلم انّ استشهادهما حدث في اليوم الثامن والعشرين من تشرين الأوّل وهو اليوم الذي فيهِ تعيّد الكنيسة عيدهما. ولا تُعرَف بتحقيقٍ السنة التي فيها استشهدا*

ويوجد ليهوذا أي ثدّى رسالة قانونيّة مقبولة بين أجزاء الكتاب المقدّس* واعلم انّ شمعون الرسول هو غير شمعون أسقف اورشليم فانّ هذا كان من جملة تلاميذ المسيح السبعين. وليس هو برسول*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار نرقيسيوس أسقف أورشليم

انّ نرقيسيوس اشتهر في أواخر القرن الأوّل للمسيح. ولمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بلغ السنة الثمانين من العمر فُوّضت إلى همّتهِ كنيسة أورشليم ليسوسها وهو ثالث أسقف جلس على كرسيّ تلك المدينة* وذُكر في التواريخ انّهُ حضر برفقة ثاوفيلُس اسقف قيصريّة مجمعاً بخصوص مسأَلة الفصح. وفيهِ جزموا أن يُعيَّد عيد الفصح في يوم الأحد. لا في أيّ يوم وقع من أيّام الأسبوع كما هي عادة اليهود* وذكر اوسابيوس المؤرّخ الشهير عن نرقيسيوس انّهُ افتعل آيات كثيرة. ومن جملة ذلك انّهُ إذ نفد في إحدى السنين الزيت لوقود سُرج الكنيسة في أورشليم يوم عيد الفصح امر خدّام الكنيسة بأن يأتوهُ بماء. فلمّا اتوهُ بهِ جثا وصلّى عليهِ بايمان وحرارة وثقة. ثمّ قال للخدّام بأن يضعوهُ في السُرج ويوقدوهُ. فتحوّل الماءُ إلى زيت جيّد. فبهت الناس منهُ قاطبةً. وحُفظ منهُ للتبرّك كما شهد اوسابيوس المذكور عن زمانهِ. وأضحى بسبب اتّقائهِ لله وفضائلهِ الرائقة محبوباً عزيزاً لدى رعيّتهِ. غير انّ ثلاثة منهم قرّفوهُ تقريفاً شنيعاً. فاغتنم تلك الفرصة وانفرد في أحد القفار بدون أن يشعر بهِ أحد* فأقاموا مكانهُ في كرسيّ أورشليم ديّوس. وتخلّف بعدهُ جرمانس. ثمّ غرديوس. فلمّا تُوفّي هذا ظهر نرقيسيوس بين الناس كانّهُ قد قام من الأموات. فكاد الناس يطيرون من شدّة فرحهم لرؤيتهِ. فتذلّلوا بين يديهِ لكي يرتضي بأن يصير عليهم راعياً مرّة أخرى. فأجاب إلى طلبتهم وبقي مدّة مهتمّاً بتدبيرهم إلى أن انهكتهُ وأوهتهُ أمراض الكهولة وأوجاعها. فتخلّف في مكانهِ مار الكسندرس. وانفرد هو يستعدّ للرحيل من هذهِ الدنيا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولم يهمل الدعاء في شأن رعيّتهِ* ثمّ توفّي بسلام الربّ ولهُ من العمر نحو مائة وستّ عشرة سنة*

* اليوم الثلاثون*

مار مرقلّس الشهيد

بينما كان الجيش في بلاد غليطيّة يعيّد مولد الملك ديوقلطيانس وهم مزيّنون بورود واكاليل من زهور ويقرّبون عطر البخور للصنم الخاصّ بالملك أنكر عليهم هذا الفعل مرقلّس قائد كتيبة طرايانس الملك. فعجب منهُ سائر الجند وجعلوا يلحّون عليهِ لكي يوافقهم على تقدمة البخور. امّا هو فلازدياد محبّتهِ وغيرتهِ وحميّتهِ على الديانة المسيحيّة خلع ثياب الجنديّة ورمى السيف وأقرّ بأنّهُ مسيحيّ* فوُشي بهِ لدى فرطوناطس رئيس الكتيبة. فاحضر هذا مرقلّس وسألهُ عن حقيقة الأمر. فاقرّ بشجاعة وثبات. فحكم عليهِ بالسجن. ثمّ دعاهُ للمحاكمة مرّة ثانية. فلم يغيّر جوابهُ السابق. فبعثهُ إلى قدّام اغريقُلا الوالي في طنجر إحدى المدن في بلاد تَنْجِتانيا في افريقية. وكانت تحت حكم اسبانيا. وقاسى في هذا السفر الطويل أتعاباً ومشقّات لا توصف*

فلمّا مثل بين يدي اغريقلا وفُتحت المحاكمة اعترف كذلك بكونهِ مسيحيّاً وانّهُ لا يبالي بالتهديدات والتخويفات. فلمّا رآهُ اغريقلا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثابتاً لا تتزعزع أبرز هذا الحكم وهو: انّي أريد وآمر بأن يُقتَل مرقلّس. لأنّهُ نكث نكثاً واضحاً وجهراً العهد الذي أعطاهُ يوم دخل الكتيبة التي آثر الخروج منها الآن. فخضع مرقلّس لهذه القضيّة. فأُخذ رأسهُ بالسيف وقُبر هناك* ثمّ انّ فرديننس الملك وايسابلّة همّا في نقلهِ من طنجر إلى ليون. ووُضع في الكنيسة التي تُعرَف بكنيسة مار مرقلّس تحت المذبح* وكان استشهاد مار مرقلّس في سنة ٢٩٨ للمسيح في أيّام ديوقلطيانس الملك*

* اليوم الحادي والثلاثون *

الفنسس ردريكس

كان الفنسس ابن تاجر في بلاد ساغوبيا ووُلد في اليوم الخامس والعشرين من تموز من سنة ١٥١١* وعُني أبوهُ بأمر تربيتهِ كثيراً. وامتاز منذ صغرهِ بعبادة شديدة لمريم العذراء المغبوطة. فكان إذا وقع بصرهُ على صورة من صورها صبا قلبهُ وانشغف بحبّها وقال لها: أيّتها العذراء يا ما أكثر حبّي لكِ. انّ محبّتي لكِ عظيمة إلى الغاية. لا يمكن أن تفوقها محبّتكِ لي. فظهرت لهُ العذراء يوماً وقالت لهُ بحنوّ: انّك متوهّم يا بُنيّ فانني أحبّك محبّة عظيمة جدّاً ليس في مكنتك أبداً أن تبلغها. فلم يُعد الصبي القدّيس يكرّر الكلمات المشار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إليها. وصار قلبهُ يزداد حبّاً للعذراء* وسعى في تهذيبهِ وإرشادهِ أحد اليسوعيّين. وقرأ العلوم على أفاضل علمائهم في مدينة القلعة* ثمّ انّهُ اضطرّ عند موت أبيهِ أن يترك الدرس ولم يكن بعد أكمل ما قصد من العلوم. وصار مدبّراً لتجارة بيتهِ. وتزوّج بإحدى الشريفات ورُزق غلاماً وجارية. وأضحى في أمورهِ الدنيويّة كلّها متديّناً صالحاً* فشاء الله أن يدعوهُ إلى خدمتهِ في حال أفضل. ولذلك جرّبهُ أوّلاً بموت ابنتهِ ثمّ بموت قرينتهِ. فأخذ يأنف من الدنيا وما فيها. وتخلّى عن أهلهِ. وبقي في دارٍ منفرداً هو وابنهُ. وكان عمرهُ إذ ذاك اثنتين وثلاثين سنة. وشرع يتأمّل في الموت. ثمّ اعترف بخطاياهُ اعترافاً عامّاً باستعداد وندامة كاملة جدّاً. بحيث انّهُ لبث ثلاث سنين تامّة عقيب ذلك تسيل الدموع من عينيهِ. ولبس المسح وقهر جسدهُ بالجلد واماتة النفس والتقشّف. واشتغل بالصلوة والرياضات الروحيّة. وخاصّةً بالتأمّل بآلام سيّدنا يسوع المسيح وأوجاع العذراء أمّهِ. وجاد الله عليهِ برؤى كثيرة فيها أكّد لهُ حسن رضائهِ عنهُ. ومن جملة ذلك انّهُ في يوم عيد السيّدة أي في عيد انتقالها بكّر إلى كنيسة اليسوعيّين ليتأهّب لتناول القربان المقدّس. وبعد التناول جُذب بالروح فظهرت لهُ العذراء مريم برفقة مار فرنسيس والملاك الحارس. وصارت العذراء تقدّمهُ تقدّمة بين يدي الآب الأزليّ* فلمّا أفاق من انجذابهِ هذا اتّضح وتبيّن لهُ جليّاً زوال الدنيا وغرورها. فنزع من قلبهِ منذ ذلك اليوم نزعاً تامّاً كلّ ما كان يمكن أن يعلّقهُ بالدنيا* وساعد الله استعدادهُ وطلبتهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إذ خطف إليهِ تعالى ابنهُ عقيب صلوة بها طلب القدّيس من الله أن ينقل إليهِ هذا الولد خوف أن يرتكب خطيّة مميتة. وكان موت هذا الولد قبل أن ينقضي الشهر من بعد طلبتهِ* فأخذ يفتكر في دخول إحدى الرهبنات. ثمّ دخل أخويّة اليسوعيّين بمشورة مرشدهِ. ونذر النذور الاحتفاليّة في جزيرة ما يركا في سنة ١٥٨٥. وأقام هناك إلى آخر عمرهِ. وصار هناك بوّاباً. وقام بوظيفتهِ هذهِ بتواضع ولطف. وكان كلّما يفضو لهُ يسير من الزمان يتلو الورديّة المقدّسة لشدّة تعبّدهِ لسيّدتنا مريم العذراء. وما زال يندب شفاعتها في كلّ ساعة من النهار* وكان أيضاً منشغفاً بحبّ الأنفس المطهريّة ويذرف على الدوام الدموع على عذابها ويقدّم اسعافاً لها كلّ ما كان يعمل في النهار من التقشّف واماتة النفس والصلوة وسائر الأفعال الخيريّة* وكان كلّما يخرج إلى المدينة يجثو قدّام يسوع طالباً إليهِ أن يميتهُ أحرى من أن يرتكب خطيّة* وكان يجتهد محتفظاً على بصرهِ مدّة اقامتهِ في المدينة. ويتجنّب الأزقّة التي تكثر فيها جماعة الناس. وامات نفسهُ في حواسّهِ كلّها اماتةً بحيث انّهُ لُقّب بالراهب المائت* وأثار الشيطان عليهِ تجاريب صعبة قويّة ضدّ العفّة بنوع يزعجهُ ويقلقهُ ويخوّفهُ. وكان أحياناً يضربهُ ويلقيهِ على الأرض. ولكنّهُ تغلّب عليهِ دائماً بمعونة يسوع ومريم* وكان يُجذَب بالروح مرّاتٍ كثيرة. فتظهر لهُ سيّدتنا العذراء*

وكانت طاعتهُ كاملة فائقة. ومن ذلك أمرهُ الرئيس يوماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن يذهب إلى المينا. ويسافر بدون أن يذكر لهُ اسم المكان الذي يتوجّه إليهِ ومن غير أن يجهّز لهُ لوازم السفر* فتوجّه الطوباويّ إلى باب الدير في الحال من دون أن يذهب إلى حجرتهِ. وكان الرئيس قد سبق وأمر أحد الأخوة بأن يوقفهُ. فاوقفهُ إذ قال لهُ بأنّ الرئيس يستدعيهِ. فعاد إليهِ. فقال لهُ الرئيس: إلى أين تذهب وأيّ سفينة تركب وأنت تعلم أنّهُ لا يوجد الآن في المينا مركب* فقال: انّي ذاهب لأُؤدّي الطاعة. وحدث لهُ أمثال ذلك كثيراً* ومن أصعب ما جرّب بهِ الرئيس طاعتهُ انّهُ دعاهُ يوماً وقال لهُ بأن يخرج من الدير لكبر سنّهِ ولعدم منفعتهِ للدير. فطأطأ الطوباوي رأسهُ لهذا الأمر الموجع. ولم يلفظ كلمة. بل لبس رداءهُ وتوجّه إلى باب الدير. ثمّ ارجعوهُ* وجاد الله عليهِ بروح النبوّة*

ثمّ توفّي في ٣١ تشرين الأوّل ولهُ من العمر ٨٦ سنة. وشُيّع إلى المقبرة أحسن تشييع. وجرت على قبرهِ آيات كثيرة بحيث انّ البابا لاون الثاني عشر أحصى اسمهُ بين الطوباويّين وكان ذلك سنة ١٨٢٥ للمسيح*

* انتهى شهر تشرين الأوّل *

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* شهر تشرين الثاني *

* اليوم الأوّل *

عيد جميع القدّيسين

انّ من أجلّ الأعياد التي تعيّدها الكنيسة المقدّسة في مدار السنة وممّا يستحقّ أوّل منزلة هو عيد جميع القدّيسين. لأنّ هذا العيد دون سائر الأعياد يعمّ كلّ صنف وكلّ مرتبة من القدّيسين* وقد رسمهُ البابا بونقاق الرابع في روميّة سنة ٦١٣ إذ قدّس الهيكل الذي أقامهُ في روميّة مرقس اغريفا لزحل وسمّاهُ باسم العذراء الطوباويّة وسائر القدّيسين. وكان يُدعى قديماً الهيكل المشار إليهِ هيكل بَنْثأُون أعني هيكل جميع الآلهة* وبونقاق البابا المذكور رسم أن يُعيَّد هذا العيد في اليوم الثالث عشر من أيّار. وهو اليوم الذي فيهِ جعل الكنيسة المومى إليها باسم العذراء* غير انّ البابا غريغوريوس الرابع الذي تُوُفّي سنة ٨٤٤ للمسيح رسم أن يُعيَّد هذا العيد في أوّل تشرين الثاني وهو الجاري إلى اليوم* وغاية الكنيسة في رسم هذا العيد ليست فقط أن تعمّ ذكر جميع القدّيسين المعلومة أسماؤهم والغير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المعلومة بل أن نمجّد الربّ ونسبّحهُ في قدّيسيهِ الذين خلّفوا لنا أمثالاً نفيسة في أخصّ الفضائل وأجلّها لكي نقتفي أثرهم*

ثمّ انّ القدّيسين دأبهم أن يشفعوا فينا ويستمدّوا لنا من الله القوّة والمعونة. فإذا ذكرناهم نحن جميعنا في يوم واحد كانت طلبتهم وأدعيتهم المتّفقة في شأننا أقدر وأقوى* وهؤلاء القدّيسون هم كثيرون جدّاً لا يُستقصَى عددهم. وفي احتفال ذكرهم يجب علينا أن نخطر على بالنا انّهم كان لهم طبيعة كطبيعتنا البشريّة الواهنة. فنشتدّ إذ ذاك عزماً ونتمكّن قوةً وشجاعة للتغلّب على جميع أعدائنا الذين يحاولون أن يخطفوا من يدنا الملكوت* ولنتذكّر قول القدّيس مار اوغسطينس الجليل إذ قال: انّما يحتفل أعياد الشهداء أولئك الذين يحذون حذوهم ويقتدون بهم. فهؤلاء وحدهم ينتفعون من أعياد القدّيسين: فانّ أعياد الشهداء ليست الاّ دعاءً قلبيّاً إلى الشهيد بهِ نطلب إليهِ أن يجعلنا متمسّكين بما نحتفل ذكرهُ ونفتخر بهِ* ويزداد شوقنا في اتّباع القدّيسين بتأمّلنا السعادة التي حصلوا عليها جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة الحسنة*

انّ الإنسان لا يتمكّن من أن يدرك بعقلهِ المجد الذي يحصل عليهِ القدّيسون في الملكوت لأنّهم يضحون شركاء للذات الإلهيّة في السعادة* وأيّ خليقة يمكنها أن تصف أو تفهم حقّ الفهم حال السعادة الإلهيّة* لقد صدق الرسول بولس إذ قال: انّ المجد الذي قد أُعدّ للقدّيسين أصفياء الله ما رأتهُ عين ولا سمعت بهِ اذن. وإذ قال في محلّ آخر:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّنا نشاهد الله عيناً بازاء عين* فالذي يرى الله ويحظى بهِ ويحوزهُ فأيّ شيء يعوزهُ وإلى أيّ شيء يهوى قلبهُ* انّ كلّ ما ينظرهُ الإنسان ويتصوّرهُ ويتخيّلهُ هو بمنزلة لا شيء بالنسبة إلى السعادة الأبديّة في الملكوت*

هذهِ هي صفة الملكوت بوجه الاختصار من جهة السعادة التي يتنعّم فيها أهل الملكوت. وامّا عدد أهل الملكوت فشيء لا يُطاق وصفهُ أيضاً. وقد ذكر مار يوحنّا الرسول في كتاب الرؤيا انّ عدد القدّيسين في الملكوت لا يُحصَى. وهم كلّهم محيطون بالعرش الإلهيّ لابسون لباساً نقيّاً أبيض في أيديهم سعف الغلبة وهم ينشدون تسابيح الشكر والتمجيد لله عزّ وجلّ* وهذا الجمّ الغفير من القدّيسين مقسوم إلى أصناف ومراتب مرتبطة بعضها مع بعض بنظام عجيب ونسقٍ بديع* وكلّ واحد من القدّيسين راضٍ مغتنٍ بسعادتهِ وتمتّعهِ ويفرح بسعادة رفاقهِ وأصحابهِ. ومقصودهم قاطبةً تمجيد الله وتبجيلهُ* ومن ذا الذي لا يذوب شوقاً عند تفكّرهِ في الطبقات الموجودة في السماء ولا يبذل جهدهُ ووسعهُ في الوصول إليها* فانّ الملائكة مقسومون إلى سواريف وهم ملتهبون على الدوام بشرارة المحبّة الإلهيّة. وإلى كواريب وفيهم غوامض الأسرار الإلهيّة. ثمّ إلى طغمات مراتب أخرى* امّا القدّيسون من البشر فمنهم آباء العهد القديم. ومنهم الأنبياء. ومنهم الرسل والتلاميذ. ثمّ يليهم صنف الشهداء الغير معروف عددهم وهم موسومون بسمة الجهاد من أجل ربّهم وسيّدهم يسوع المسيح. ثمّ صنف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الملافنة والأساقفة والأحبار والمعترفين. ثمّ صنف العذارى. وكلّهم يبهرون أفضل من الثلج بياضاً* فلا بأس أن يقاسي الإنسان مهما كان من العذاب للحصول على هذهِ السعادة. ولقد أصاب القدّيس اوغسطين إذ قال: لو اقتضى مقاساة الشدايد كلّ يوم ومكابدة عذابات جهنّم نفسها مدّةً ما لأجل يسوع المسيح ومجدهِ للحظوى برفقة المختارين. فلا بأس بذلك. إذ انّ هذهِ العذابات تفضي إلى ملكوت السماء* وهذا الفكر وحدهُ يكفينا لنزهد في كلّ الملاهي ونتمسّك بالصلاح ونردع الشيطان وحيلهُ. ولنغتنم هذهِ الفرصة لكي نتقوّى على الثبات في محاربة الشيطان. ولنطلب إلى القدّيسين أن يمدّونا بعون من لدنهِ تعالى حتّى نبلغ السعادة السماويّة*

* اليوم الثاني *

ذكر الأموات المومنين بأجمعهم

انّ الكنيسة اللاتينيّة تشمل هذا اليوم برحمتها الموتى المؤمنين الذين يتعذّبون في نيران المطهر* وهذا الذكر قد رسمهُ البابا يوحنّا الحادي عشر كما ذكر المحقّقون* والكنيسة في هذا الذكر تعلّمنا شيئَين وهما: أوَّلاً انّهُ يوجد محلّ عذاب يقال لهُ المطهر فيهِ يتعذّب جميع الذين يرحلون من هذهِ الدنيا وهم في حال نعمة الله إذ يكونون عند

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رحيلهم غير سالمين من بعض الزلاّت والنواقص ولم يكونوا قد وفوا وفاءً تامّاً عن خطاياهم التي غُفرت لهم* وثانياً تعلّمنا بأنّ هذهِ الأنفس تطلب منّا أن نقدّم عنها لله تعالى الصلوات والأدعية لكي تصل في أيسر وقت إلى دار الملكوت والسعادة* فنظراً إلى الباب الأوّل لا يخفى انّهُ لا يلج الملكوت الاّ من يكون قد خرج من هذهِ الحيوة بدون أن يلوّث نفسهُ بخطيّة مميتة أو عرضيّة. فالذين يكونون عند خروجهم من هذهِ الحيوة حاصلين على النعمة الإلهيّة ناجين من كلّ خطيّة مميتة غير انّهم لا يخلون أن يكونوا ملوّثين بالخطيّة العرضيّة التي من طبعها لا تنفي النعمة أو تبقّى عليهم شيءٌ من بقايا الخطيّة المميتة لم يؤدّوا الكفّارة اللازمة عنهُ فلهم محلّ ممتاز منفرد وهو المطهر يلبثون فيهِ إلى أن يُؤدّوا ما تبقّى عليهم. فانّ مار يوحنّا يشهد صريحاً انّهُ لا يلج الملكوت أحد ملوّث بدنس الخطيّة* وهذا المطهر هو بمنزلة الكور الذي فيه يُصفَّى ويُستخلَص الذهب. وانّ وجود المطهر في العالم الآخر لأمرٌ واضح من الشواهد الكثيرة في العهد القديم والعهد الجديد. فيكفي انّهُ يُذكر فيهِ ما فعلهُ يهوذا المقابيّ إذ أرسل اثني عشر ألف درهم لتوزَّع صدقةً عن خطايا الجند الذين قُتلوا في الجهاد. ولنا أيضاً شهادة واضحة من العهد الجديد في هذا الخصوص في إنجيل مار متّى وهي قول المسيح: كلّ من يقول كلمة على روح القدس لا يُغفَر لهُ لا في هذا العالم ولا في الآتي. ففي العالم الآتي إذاً محلّ للغفران لبعض الخطايا والزلاّت. ولولا ذلك لكانت كلمات المسيح الأخيرة خالية من المعنى زائدة لا حاجة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليها* وقد جاء في المجامع الاقليميّة والمسكونيّة ما يثبّت هذا المعتقد في وجود المطهر أشدّ إثبات. ثمّ اعلم انّهُ في نوافير القدّاس كلّها الشرقيّة والغربيّة معاً يُجعَل ذكر خاصّ ممتاز لأنفس الموتى المؤمنين وتُقدَّم إلى الله طلبات في شأنها* والحال انّهُ لو لم يكن المطهر موجوداً لبطل ذلك ولكان فارغاً من كلّ معنى* وقد جاء في الكتاب المنسوب إلى مار ديونوسيوس الذي من اريوس فاغون ما مضمونهُ: انّ التقليد في خصوص الصلوة لأجل الموتى قد اتّصل بنا من الرسل القدّيسين الذين كانوا قوّادنا ومعلّمينا في الإلهيّات* وقال مار يوحنّا فم الذهب: انّ الرسل لم يرسموا باطلاً أن نصنع تذكاراً للأموات في حين تقديس الأسرار* وأمّا الآباء فقد اتّفقت آراؤُهم قاطبةً كلّ الاتّفاق بهذا الشأن* وممّا يؤيّد ذلك أحسن التأييد هو ما نقرأهُ في سير بعض القدّيسين إذ ظهر لهم بعض الذين توفّوا وطلبوا منهم الدّعاء والصلوات عن روحهم لكي يسرعوا في الدخول إلى الملكوت*

واعلم انّ الأنفس في المطهر مسجونة كما في سجن محرومة من الحظوى برؤية الله. وتقاسي عذابات شتّى حاسّيّة إلى أن تؤدّي ما عليها بسبب نواقصها. ويمكن التعويض عن عذاباتها بالأعمال الصالحة التي يقدّمها الأحياء لله عوضاً عنها أو باسعافات الكنيسة المقدّسة*

واعلم انّ منفعة الاسعافات التي تقدّمها الكنيسة لأجل أرواح المطهر ناتجة من حيث انّ الكنيسة هي كجسم روحانيّ رأسهُ يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح وأعضاؤهُ متعلّقة بعضها ببعض بالايمان والرجاء والمحبّة* وكما انّهُ في الجسم الطبيعيّ يوجد التحام شديد بين الأعضاء بحيث انّهُ إذا مرض أحد الأعضاء مرض الجسم كلّهُ. فهكذا يحدث الأمر في جسم الكنيسة كما قال القدّيس اوغسطينس: انّ أرواح الأبرار ولو انّها خرجت من هذهِ الدنيا فهي غير منفصلة من الكنيسة التي هي مملكة يسوع المسيح. ومن هذا الالتحام ينتج انّ الأحياء يقدرون أن يعينوا المتوفّين الموجودين في المطهر بواسطة صلواتهم واسعافاتهم. ويقدر أهل الملكوت أيضاً أن يعينوا أهل المطهر ويشفعوا في شأنهم* والاسعافات التي يمكننا أن نؤدّيها في شان المتعذّبين بعذابات المطهر هي على ثلاثة أضرب. الأوّل وهو أجلّها ذبيحة القدّاس. والثاني الصلوة. والثالث سائر الأعمال الصالحة التي تُقدَّم كفّارةً عن الخطايا مثل الصوم والصدقة واماتة النفس والحجّ وغيرها ممّا يحاكيها*

ويضاف إلى ذلك كلّهِ الغفرانات التي يمنحها الحبر الأعظم ويوجّهها إلى خير الأنفس المطهريّة* وانّ البابا في الغفرانات التي يمنحها ليس مقصودهُ أن يحلّ أهل المطهر هم خارجون عن حدود سلطانهِ. ولكنّهُ يمنح هذهِ الغفرانات بمنزلة اسعاف لهم. وذلك إذ انّهُ مسلَّط على كنز الكنيسة المتكوّن من فضائل يسوع المسيح الغير المتناهية والغير المحدودة وأفضال قدّيسيهِ وأصفيائهِ. فيستخرج من هذا الكنز جانباً يوجّههُ إلى الأنفس المطهريّة لكي يغفر الله لهنّ بواسطة هذهِ التأدية الموجّهة إليهنّ من كنز الكنيسة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولهذا فيجب علينا دائماً أن نسعف أنفس المطهر بمقتضى مكنتنا. ونؤدّي عوضاً عنهنّ شيئاً من الإسعافات التي ذكرناها لكي ننقذ النفوس من المطهر ونعجّل في ادخالهنّ إلى السموات لكي يسبّحن الله ويمجّدنهُ سريعاً* وبذلك نكون قد عملنا عملاً مرضيّاً لله تعالى. وحصّلنا شفاعة القدّيسين لنا* وعلى الخصوص يجب علينا أن نكثر من هذهِ الأعمال في مثل هذا اليوم الذي رسمتهُ الكنيسة خاصّةً لكي تحثّ بنيها على مساعدة بعضهم بعضاً* فيجب علينا أن نتّعظ من هذا العيد اتّعاظاً بهِ نتوصّل إلى الاستنكاف من أدنى خطيّة ونقصية. إذ انّ أقلّ شيء من ذلك مرذول ومرفوض عند الله بحيث انّهُ إذا وجد سبحانهُ أحد أصدقائهِ وأحبّائهِ قد وقع في شيءٍ من ذلك فانّهُ يريد ان يتطهَّر منهُ أوّلاً ثمّ يدخلهُ إلى ملكوتهِ السماويّ*

* اليوم الثالث *

القدّيس ملاخيا اسقف أَرمغا

وُلد ملاخيا في مدينة أَرْمغا من بلاد ايرلندا من عائلة ذات حسب ونسب. ومنذ أوّل نشأتهِ اعتنت أمّهُ بتثقيفهِ في الديانة والتقوى أكثر ممّا في العلم والمعارف. فمالت نفسهُ منذ الصغر إلى حبّ التقوى وخوف الله وما يتعلّق بذلك من الروحانيّات. وأخذ يفضّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السهر والتأمّل والصلوة على الملاعب واللّهو. وذلك خلافاً لعادة الصبيان. واستمرّ على هذهِ الحالة من حسن السيرة إلى أن بلغ سنّ الرجوليّة. فقصد حينئذٍ أن يعاشر أحد النسّاك المنقطعين في البراري. وكان هذا معبدهُ يبعد كثيراً عن الكنيسة. فتتلمذ لهُ. وقضى في قلاّيتهِ مدّة غير يسيرة مواظباً على الصلوة والطاعة والخضوع التامّ لمعلّمهِ* ثمّ رسمهُ الأسقف كلسس دياقوناً أي شمّاساً. فازداد فيهِ التواضع وصار يقبر الأموات الفقراء المقطوعين*

وفي السنة الخامسة والعشرين من عمرهِ رسمهُ الأسقف قسّيساً. ووكّلهُ على تهذيب أهل تلك الجهات. فشرع يكرز ويرشد أولئك الجهال البليدين. واستأصل منهم عدّة رذائل. وغرس بدلها العوائد الممدوحة المستحسنة. فاصبح حال الكنيسة صالحاً رائقاً* وبعد مدّة أراد عمّهُ أن يتتلمذ لهُ وكان قد استرث مالاً جزيلاً. فجاء إلى ملاخيّا وطلب إليهِ أن يقبلهُ في الدير مع جملة الرهبان. وأعطاهُ ذلك المال ليبني بهِ ديراً مهدوماً في أرض بنغور. فأبى القدّيس ان يقبض هو الدراهم بل دلّهُ على وكيلهِ الذي في المدينة ليقبضهُ ويصرف منهُ ما يقتضي للعمارة. فلمّا تمّ العمل نشأ الدير بجملة من الرهبان وتروّس عليهم ملاخيا وأضحى قدوتهم ومقدامهم في الفضيلة والعمل*

وحدث ان ترمّلت من بعد ذلك كنيسة كُنّور المجاورة لديرهم. فاجمعوا على نصب ملاخيا أسقفاً لذلك الكرسيّ. فتمنّع. ثمّ اضطرّ ان يطيع أمر رئيسهِ إيمارس وأسقفهِ كلسُس. وكان عمرهُ إذ ذاك نحو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثلاثين سنة. فنهض ملاخيّا باعباء الأسقفيّة اتمّ نهوض. وتصدّى لمهمّاتها بجدّ وجهد. وقاسى في ذلك مشقّات شتّى. لأنّ أهل ذلك المرعيث كانوا غليظي الطباع غريبي الأخلاق. ولم يكن لهم من النصرانيّة سوى الاسم مجرّداً. فبذل كلّ مجهودهِ في إنذارهم وتهذيبهم وصار تارةً يخوّفهم ويتهدّدهم. وتارةً يلاطفهم ويرغّبهم ويتساير معهم* ثمّ أخذ يطوف القرى والبلدان وسائر الأماكن التي تمتدّ إليها أبرشيّتهُ وهو يقطع كلّ يوم أميالاً كثيرة ماشياً. ولم يتثقّل من هذهِ المشقّات ولا راعتهُ الأسفار وتعبها. وكان كلّما أصابتهُ ضيقة من أهل مرعيثهِ يصلّي إلى الله بحرارة ودموع لكي يليّن قلوبهم الصلبة. فأتت أتعابهُ بثمار كثيرة*

وأغار على مدينة كنّور الأقوام الشماليّون المتوحّشون. وأخربوا تلك الأراضي. فجاء القدّيس ملاخيّا برهبانهِ إلى بلاد مُنستر. وكان عددهم مائة وستّة وعشرين. وابتنى لهم فيها ديراً فاخراً بنفقة الملك كومارُس وجعلهُ مأواهُ. ثمّ انّ ملاخيّا مع كونهِ اسقفاً ورئيس الدير لم يتأخّر عن أن يتناوب مع الرهبان في ما يصير في الدير من الخدم الحقيرة النذلة من الطبخ والقيام بخدمة الرهبان عند الطعام إلى غير ذلك بدون استثناء شيء من هذهِ الخدم*

وبعد قليل من الزمان انتقل من هذهِ الدنيا إلى الآخرة كَلْسُس مطران مدينة أَرمغا. فاجمع الناس قاطبةً على نصب ملاخيّا مكانهُ. فضلاً عن أنّ كَلْسُس المتوفّي نفسهُ كان انتخبهُ قبل وفاتهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خليفةً لهُ. وظهرت لهُ آية سماويّة بها تأيّدت لديهِ إرادة الله في هذا الشأن. وذلك انّ ملاخيّا بينما كان كَلْسُس مريضاً رأى في حلمهِ امرأة ذات هيبة عليها مسحةُ حسنٍ وبهاء. فسألها عن اسمها. فقالت: أنا عروس كَلْسُس. وعند ذلك ناولتهُ قضيباً. وغابت. ثمّ انّ كَلْسُس إذ رأى نفسهُ مشرفاً على الموت أرسل إلى ملاخيّا للدلالة على تعيينهِ إيّاهُ خليفةً لهُ قضيباً يحاكي القضيب الذي رآهُ في الرؤيا. فلمّا شاهد ذلك انقاد لأمرهِ ولكن بشرط أن لا يبقى في تلك الوظيفة الاّ مقدار ما ينبغي لإصلاح حال تلك الكنيسة ثمّ يرجع إلى كنيستهِ*

وكان قد طرأ منذ مدّة غير يسيرة على رسوم الكنيسة في تلك النواحي فساد. إذ جرت العادة أن تكون الأسقفيّة بالوراثة* فلمّا أحسّت عشيرة كَلْسُس الأسقف المتوفّي بانتخاب ملاخيّا مكانهُ ورأوا أنّهم بذلك قد أُحرموا حقّ الوراثة المُدَّعى بها داخلهم الطمع فسوّلت لهم أنفسهم أن ينصبوا لهُ مكايد في الطريق ليبيدوهُ بها ويفنوهُ. ففي بعض الأيّام إذ علموا انّ القدّيس مزمع أن يمرّ في إحدى الطرق التي تؤدّي إلى بلاد ايرلندا قدم رأس تلك العشيرة بجملة رجال مسلّحين ومتهيّئين لعمل ما سبقت إليهِ فكرتهم. فعرف ملاخيّا ذلك وعدل إلى الكنيسة. وشرع يصلّي ويدعو. فاظلمت الدنيا واشتدّ اللميع والرعد والصواعق وقُتل بها مقدّمهم وستّة من رفاقهِ. ولم يمسّ ملاخيّا أو أحداً من تبعتهُ مكروهٌ البتّة. وهكذا كلّما تهيّأَ أعداء ملاخيّا من هذهِ العشيرة على مضرّتهِ أنزلت بهم يد الله العقاب. وأخيراً نُسِفوا واستُؤصلت شافتهم*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحسنت حال تلك الكنيسة بهمّة ملاخيّا وانتظمت وترتّبت واصطلحت. فاستأذنهم وطلب الرجوع إلى كنيستهِ الأولى طبقاً للوعد الذي جرى بينهُ وبينهم* ثمّ قُسِمت كنيستهُ إلى شطرين. فاختار ملاخيّا الشطر الأصغر والأفقر. وأقام في كنيستهِ جمعيّةً من القسوس يعيشون سويّة كاخوة* وبعدهُ افتكر أن يستعفي وينقطع في أحد الأديرة ليعبد الله. ولكن الله ألهمهُ أن يحجّ إلى روميّة لزيارة الأماكن المقدّسة التي فيها. ويُطلع الحبر الأعظم على ما في نيّتهِ* فلمّا بلغها أحسن البابا إِنّوكنتيوس الثاني استقبالهُ. وحدّثهُ حينئذٍ ملاخيّا بالاستعفاء ليقضي ما بقي لهُ من العمر في دير كلارولاّ لدى القدّيس برنردس. غير انّ البابا رفض استعفاءهُ. وفضلاً عن ذلك أقامهُ نائباً رسوليّاً وسفيراً على ايرلندا كلّها. ثمّ رفع التاج من على رأسهِ ووضعهُ على راس ملاخيّا. وخلع عليهِ من ثيابهِ القدسيّة. ثمّ انفذهُ إلى بلادهِ بانعامات واكرامات وهدايا*

وفي سفرهِ هذا اجتاز بدير كلارولاّ وواجه القدّيس برنردُس. واعجبتهُ حال أولئك الرهبان وما كانوا عليهِ من حسن السيرة والقداسة. ثمّ لمّا بلغ إلى كنيستهِ أرسل إلى الدير المذكور أربعةً من مرعيثهِ. وغبّ ان اتقنوا السيرة الرهبانيّة عادوا بها إليهِ وانشأوا ديراً في ايرلندا. وتكاثر منذ ذلك اليوم عدد الرهبان في تلك البلاد*

ثمّ انّ ملاخيّا بقوّة السلطان الذي قلّدهُ إيّاهُ الحبر الأعظم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جمع في بلاد ايرلندا مجامع اقليميّة. وسنّ فيها عدّة سنن تؤول إلى صلاح أمر الديانة الكاثوليكيّة في تلك النواحي. ولم يتجرّأ أحد على مقاومتهِ* هذا وانّ العجائب والمعجزات التي ظهرت عن يدهِ كانت كثيرة باهرة. وقد شهد بذلك القدّيس برنردس. فانّهُ كان يخرج الشياطين من الأجسام. ويُبرئُ ذوي الأسقام المزمنة المتنوّعة. وكان الله ينزل القصاص بالذين لا يذعنون لوصاياهُ وأوامرهُ* وامّا الذين أبرأهم من أهواء النفس المتملّكة عليهم ونشلهم من موت الخطيّة إلى حياة النعمة فلا يُحصى عددهم* واتّفق للقدّيس انّهُ بينما كان في بعض الأيّام يشرح صدرهُ مع الرهبان دارت المحاورة في خصوص الموت. وشرع كلّ واحد منهم يقول متى يشتهي أن يموت وكيف يموت. فلمّا جاءت نوبة القدّيس ملاخيّا قال: انّ ميتتي لا بدّ من أن تكون في ايرلندا. واتمنّى أن أموت في محلّ القدّيس بطريقيوس. والاّ فبُغيتي أن أُقبر في دير كلارولاّ. وأشتهي أن يكون موتي يوم ذكر الأموات وهو اليوم الثاني من تشرين الثاني. فبلّغهُ الله منيتهُ هذهِ وذلك بعد مدّة جمع القدّيس ملاخيّا مجمعاً اقليميّاً كسالف عادتهِ. وقنّع أساقفة بلاد ايرلندا أن يرسلوا إلى البابا عريضة بها يطلبون إليهِ أن يمنحهم هو بنفسهِ البليون. ففعلوا. وانتخبوا ملاخيّا وسيّروهُ بذلك إلى البابا. فاجتاز في سفره بدير كلارولاّ وأقام فيهِ مدّة وسُرّ بمار برنردس. ثمّ شعر بحمّى شديدة. فلزم الفراش. وخطر على بالهِ انّ الله يريد بذلك أن يبلّغهُ منيتهُ. فاشتدّت عليهِ الحمّى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتزوّد بالأسرار واقتبل المسحة الأخيرة بخشوع بليغ. وشكر الله على انّهُ يسّر لهُ أن يموت في وسط ذلك الدير. وحدّث الرهبان في ذلك وباركهم. ومات بعد منتصف الليل. وذلك في اليوم الثاني من تشرين الثاني سنة ١١٤٨ ولهُ من العمر أربع وخمسون سنة. ولاحت على صورتهِ مسحة جمالٍ وبهاء ورونق الحيوة كانّ الموت ما زادهُ الاّ حسناً ولطافة. فحملهُ الرهبان إلى معبد مريم العذراء في ذلك الدير وهم يزمّرون المزامير ويرتّلون الأناشيد. وقبروهُ في المحلّ طبقاَ لما طلبهُ منهم* وفي وقت دفنهِ أظهر الله أعجوبة باهرة على يدهِ. وكتب سيرتهُ القدّيس برنردس نفسهُ*

* اليوم الرابع *

كارُلُس بُرُّوميّا كردنال الكنيسة الرومانيّة ومطران مديولان

كان كارلُس من أشرف نسبٍ واجلّ حَسبٍ في إيطاليا. ووُلد في اليوم الثاني من تشرين الأوّل سنة ١٥٣٨. وحين ولادتهِ سطعت الحجرة بنور باهر سماوي. وكان اسم أبيهِ جلبرتُس وهو رجلٌ فاضل تقيّ متديّن واسم أمّهِ مرغريثا دي ميديشس وهي أخت البابا بيوس الرابع* فأظهر الصبيّ منذ صغرهِ علامات واضحة ودلائل سنيّة تنبئُ عن حياتهِ وعيشتهِ المقبلة. ولم يلتذّ في الصغر الاّ بالصلوة والعبادة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والتكلّم عن أمور القسوس والبيعة* ثمّ درس بعض العلوم في مدرسة مديولان وبعضها في مدرسة بافيّا. ونال الاجازة في علم الفقه المدنيّ والبيعيّ* وكان منذ صباهُ يتناول القربان المقدّس كلّ اسبوع. ويجتهد في تحصيل أجلّ الفضائل المسيحيّة ولا سيّما الطهارة*

ومات أخوهُ الأكبر بدون ذرّيّة. فحاول أهلهُ أن يحملوهُ على أن يتزوج. ولم يزالوا يلحّون عليهِ في ذلك زماناً طويلاً. فأراد أن يتفلّت من الحاحهم ويقطع آمالهم. فارتسم قسّيساً*

فلمّا جلس خالهُ على كرسي مار بطرس وهو البابا بيوس الرابع. استدعاهُ إليهِ وأخذ يرقّيهِ إلى أفضل المناصب والمراتب حتى جعلهُ كردنالاً. ثمّ رسمهُ مطراناً على مديولان*

وكان في تلك الأيّام قد أُوقف المجمع التريدنتينيّ قبل أن يبلغ إلى النهاية. فبذل كارلس جهدهُ بتبليغهِ إلى النهاية المرغوبة. فلمّا انقضى المرام بختامهِ. صار يحثّ الملوك والأساقفة على أن يقبلوهُ وينادوا بهِ في بلادهم ويتمسّكوا بهِ* ولمّا أُلحق بالمجمع التريدنتيني المجلس المقام لحلّ المشكلات العارضة على الأساقفة في فهم مراسيم المجمع المذكور كان كارلس أوّل من اعتنى بعقد هذا المجلس وقيامهِ. ثمّ وجّه نظرهُ إلى إجراء قوانين المجمع في العمل. وأراد أن يأتي بالكردنالات والأساقفة خاصّةً إلى التمسّك بما رُسم فيهِ على كلّ صنفٍ منهم* فتفرّغ بكلّ وسعهِ ليجري هذهِ الأوامر والاصلاحات. وبدأ أوّلاً باصلاح نفسهِ. فحرم نفسهُ وأهل قصرهِ من كلّ ما رآهُ لا يناسب الهيبة والأسقفيّة والمنزلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكردناليّة. وأبطل شيئاً كثيراً من الرغد والعيش الطيّب والعظمة ولو كانت هذهِ الأشياء في نفسها حلالاً* ثمّ اعتاد من ذلك الحين أن يختلي في النهار مرّتين للصلوة العقلية. ويصرف زمانهُ كلّهُ في الصلوة والوعظ وإعطاء الأسرار وتدبير الكنيسة* ثمّ أنّهُ إذ تأمّل بأنّ المجمع التريدنتينيّ سنّ سناً قويّة على الأساقفة الذين لا يلازمون ابرشيّاتهم. انقلق فكرهُ لسبب انّهُ كان غائباً عن كنيستهِ ومقيماً في روميّة لتدبير أحوال الكنيسة الجامعة بأمرٍ صريح من الحبر الأعظم. فالتمس من البابا خالهِ أن ينطلق إلى ابرشيّتهِ. وبعد لجاجة كثيرة وتوسّل شديد نال مرادهُ فانطلق إلى مديولان كرسيّهِ. فلمّا صار في ابرشيّتهِ افتكر في أمر تقديس نفوس قطيعهِ وفي مجد كنيستهِ. فاستجلب أفضل الناس علماً وصلاحاً وقرّبهم إليهِ وعقد مجمعاً اقليميّاً وسنّ فيهِ قوانين جليلة لإصلاح حال الاقليرس ونظام أمر عبادة الله* وكان الاقليرس والرعيّة في ابرشيّتهِ في أشقى حال من الجهل بما يختصّ بأمور الديانة. فأخذ في إصلاح ذلك بالعمل. ولهذا وضع قانوناً على دارهِ نفسها. وكانت تحتوي على مائة نسمة. وفرض عليهم أن يعملوا كلّ الأعمال سويّةً بموجب القانون. ويجتمعوا كلّهم للأكل على مائدة واحدة في وقت معلوم. ويُقرأ في حين الطعام كتاب روحيّ على مسامعهم. ويتفرّغوا مرّتين في النهار للصلوة العقليّة. فاضحت دارهُ كأنّها دير رهبان*

وكانت أضاليل البروتستنت في تلك الأيّام تنتشر وتتّسع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في البلاد. فسهر على قطيعهِ وحافظ عليهِ. لئلاّ يُصاب بها* وطاف جميع مدن ابرشيّتهِ وكانت واسعة جدّاً وزارها زيارة راعويّة مرّات كثيرة. وافتقد أيضاً الأبرشيّات الأسقفيّة التي كان هو مطراناً عليها. وربّما شوهد يمشي راجلاً في سفراتهِ. ويقاسي الجوع والعطش والحرّ والبرد وينام على القشّ ويتسلّق إلى أعلى الذرى الوعرة. وينحدر إلى أعمق المهاوي وأهولها. وهو يسعى بجدّ في طلب الغنمة الضالّة ليردّها إلى حضيرة الحيوة الأبديّة* وما برح يعظ في كلّ من أقسام ابرشيّتهِ التي يزورها عدّة مواعظ ويحثّ الشعب على إصلاح أحوالهم وعمل الخير*

وفي كلّ سنة كان يعتكف بالرياضات الروحيّة مدّة أيّام كثيرة* وهو كان أوّل الأساقفة الذين نصبوا في أبرشيّاتهم مدارس اقليرسيّة لتدريس الشبّان الراغبين الارتقاء إلى درجة الكهنوت تبعاً لرسم المجمع التريدنتينيّ. وأنشأ في أبرشيّتهِ خمساً من هذهِ المدارس. وسطّر لها قوانين. وهذهِ القوانين اتّخذتها سائر المدارس قدوةً* وشاد أيضاً مدارس علميّة للعلمانيّين وبيمارستانات وأديرة. وأنشأ أخويّات كثيرة لنشر روح التقوى بين المؤمنين. وهذّب أحوال الاقليرس. وجمع ستّة مجامع. وكلّها أثبتها الكرسي المقدّس*

وحدث الغلاء سنة ١٥٧٠ في مديولان وفي لمبرديّة كلّها. ولولا همّة القدّيس كارلس لمات خلق عظيم جوعاً. فانّهُ أغذى ثلاثة آلاف بالرزّ والبقل والخبز ما عدا الصدقات الكثيرة الوافرة التي فرّقها على الفقراء*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ووقع الوباء سنة ١٥٧٦ في مديولان أيضاً. فنهض هو لمداراة المصابين. وانفق عليهم جميع ما عندهُ. حتى انّهُ باع أملاكهُ وأثاث بيتهِ حتى المنام الذي ينام عليهِ. وشرع يدور في بيوت المساكين ويطعمهم هو بيدهِ ويسقيهم ويكسوهم. ثمّ استدعى من بلاد بعيدة أناساً لمعالجتهم خبيرين بهذا المرض* فصار جميع الشرفاء من أهل المدينة يتقاطرون إلى البيمارستانات لمداراة المصابين اقتداءً بمطرانهم. وأظهر جزيل الهمّة في تهيئَة المصابين إلى ميتة صالحة بتناول أسرار البيعة. وحرّض قسوسهُ على الاهتمام بذلك خاصّةً* ثمّ انّهُ إذ فطن في طول مدّة الوباء ورأى في ذلك عقاباً من لدن الله لازدياد الاثم والنفاق التجأ إلى الصوم والصلوة والتوبة كفّارةً عن الخطايا التي أنزلت على مدينتهِ هذهِ الضربة الشديدة. فأقام صلوات جمهوريّة وطلبات مشتهرة وبواعيث متواصلة ليُسَكِّنَ غضب الله. وما فتئ في كلّ يوم أحد وعيد يعظ الناس ويعطيهم هو أمثالاً نادرة عجيبة في التقوى ومحبّة الله* وإذ سمع انّ المنديل الذي مُسِحَ بهِ وجه المسيح عند آلامهِ قد جُلب إلى مدينة تورين حجّ إليها للتبرّك منهُ. وحجّ إليها مرّة ثانية أيضاً. وكان في أغلب الأيّام حتّى في أسفارهِ يصوم على الخبز والماء مجرّداً*

وما زال كارُلُس عزيزاً جليلاً على الأحبار الأعظمين حتّى انّهم بأجمعهم اتّخذوهُ واسطة لإصلاح أحوال الكنيسة في عدّة جهات. من ذلك انّهُ في أواخر سنة ١٥٨٣ إذ كان حال الكنيسة في بلاد شويتسر في أشقى حال لتكاثر الهراطقة فيها رحل إليها بصفة نائب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رسولي. وأخذ معهُ جماعة من أفاضل الناس ذوي علمٍ وتقوى. وباشر إصلاحها* وذاعت شهرتهُ في كلّ البلدان. حتّى انّ كثيرين من الأمراء والشرفاء قصدوا مديولان لزيارتهِ ومشاهدتهِ*

ثمّ اعلمهُ الله بقرب مبارحتهِ هذهِ الدنيا فانفرد في جبل وارلّو واعتكف على الرياضات الروحيّة بحرارة زائدة ونشاط فائق. وشرع يطيل تأمّلهُ في كلّ يوم مدّة ستّ ساعات* فلمّا كان اليوم الرابع والعشرون من تشرين الأوّل داهمتهُ حمّى مثلّثة. فبالغ في الاستعداد للرحيل. وقام وجاء إلى مديولان. ثمّ تزوّد بالزوّادة المقدّسة وسائر أسرار البيعة. ففاضت روحهُ بيد خالقها وهو يضحك تبسّماً. وذلك في اليوم الثالث من تشرين الثاني من سنة ١٥٨٤. ولهُ من العمر يومئذٍ ستّ وأربعون سنة ونيّف. فتقاطر الناس من كلّ الجهات لتشييعهِ. وقدم إلى مديولان عدّة أساقفة لذلك. فقُبر باحتفال عظيم عجيب. وحافظ خدّامهُ على كلّ أمتعتهِ وثيابهِ واتّخذوها لهم ذخائر للتبرّك* وبعد موتهِ بقليل ظهر لأحد الرهبان اليسوعيّين بزيٍّ مجيد بهيّ. وأخبرهُ بالسعادة التي هو حاصل عليها*

واجترح آيات في مدّة حياتهِ وبعد موتهِ أيضاً. بحيث انّهُ لا تزال تجري على قبرهِ الكرامات الربّانيّة إلى يومنا هذا* وقد أجرى ذكرهُ البابا بولس الخامس في سفر القدّيسين سنة ١٦١٠*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس *

مار مرتينس دي بُرس الراهب بالصنف الثالث

من رهبنة مار عبد الأحد

انّ مرتينس وُلد في ليما قاعدة بيرؤ في التاسع من كانون الأوّل من سنة ١٥٧٩. وكان أصل أبيهِ من بلاد اسبانيا* وأظهر منذ صباهُ شفقةً ورحمةً على الفقراء. وصارت هذهِ أفضل مزيّة امتاز بها مدّة حياتهِ كلّها. فانّهُ حرم نفسهُ من الأكل واقتصر على يسير من الخبز والماء ليتصدّق على الفقراء والمساكين* وأضحى ذا ولع شديد في الصلوة منذ أوّل أمرهِ. فأخذ يصرف معظم الليل في ذلك. ولا يرقد إلاّ على الحضيض* وألهمهُ الله أن يزهد في الدنيا. ولم يكن لهُ من العمر إذ ذاك سوى خمس عشرة سنة* فدخل في الصنف الثالث من رهبنة مار عبد الأحد. وبقي تسع سنين في الصنف الثالث من هذهِ الرهبنة حتّى أُبيح لهُ أن ينذر النذور الاحتفاليّة. وهذا الأمر قليل نادر جدّاً في أهل الصنف الثالث من هذهِ الرهبنة. فانّهم لا ينذرون النذور البتّة* وكان مرتينس يتنازل إلى أرذل الأشغال وأدناها. ويخدم المرضى ويداريهم ليلاً ونهاراً بمحبّة فريدة وشفقة عظيمة وصبر جزيل* وكان متواضعاً جدّاً محتسباً نفسهُ آخر الجميع. وإذا أراد أحد أن يمدحهُ. امتلأَ خجلاً وخزياً. وظهرت علامات ذلك في وجههِ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وممّا فُوّض إلى همّتهِ في الدير أيضاً هو أن يقسّم الصدقات على الفقراء الذين يقصدون الدير كلّ يوم في وقت معلوم معيَّن. وشرع يصنع ذلك ببشاشة وأُنس. ويعامل الفقراء أحسن معاملة. ويوزّع عليهم طعامهُ ويحثّ الأغنياء على التفضّل عليهم. وكان إذا نفدت مادّة التصدّق التي في يدهِ ولم تكفِ لجمهور الفقراء. يلتجئ إلى الله ويطلب إليهِ في شأن الباقين. فيزداد المقدار الذي في يدهِ ويتضاعف حتّى يفضل فاضل بعد أن يجزل العطاء للفقراء. وكان يغتنم هذهِ الفرصة لكي يغذي الفقراء بالغذاء الروحيّ أيضاً لا بالغذاء الجسديّ فقط. وعند فراغهِ من التصدّق كان يحثّهم في أمور التقوى والعبادة. ويحرّضهم على اسداء الشكر الواجب لله وعلى محبّتهِ* وكان يعتني أيضاً بتعليم مبادئ الديانة للصبيان الصغار*

ثمّ انّهُ فكر في حال الصبيان المقطوعين والفتيات اليتيمات. فعزم على إقامة بيمارستان لهم ليتهذّبوا ويتثقّفوا فيهِ. فما برح يجدّ ويجتهد في نوال ذلك لدى الأغنياء والأسقف حتّى أعانوهُ على قضاء اربهِ*

وكانت محبّتهُ للفقراء لا تكتفي بالقيام بأمر الفقراء الذين يقصدونهُ على باب الدير فقط بل كان يطوف المدينة كلّها ويفتّش عليهم واحداً واحداً. ويسدّ حاجاتهم ويخدمهم ويقوم بواجباتهم*

وجاد الله عليهِ بكرامات كثيرة. منها روح النبوّة. وهبة الانتقال من بلدٍ إلى بلد في لحظة من الزمان. وخرق الحيطان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والأبواب. ومعرفة فائقة في خواصّ الذات الإلهيّة مع انّهُ لم يدرس العلوم أبداً. ومعرفة اللغات والألسن*

وكان في عيشتهِ قشفاً جدّاً. ويعذّب جسدهُ بلبس المسح دائماً. ويقهرهُ بالاماتات الصعبة والجلد القاسي* فاحبّ الله أن ينقلهُ إلى السماوات ليجازيهُ على فضائلهِ وحسن أعمالهِ. وأوحى إليهِ بقرب موتهِ. فاستعدّ لهُ. وفاجأتهُ حمّى شديدة. وجاء أهل المدينة كلّهم خاصّتهم وعامّتهم لزيارتهِ. وما زال مرضهُ يشتدّ حتّى مات في اليوم الثالث من تشرين الثاني في سنة ١٦٣٩. وأُجري لهُ احتفال عظيم في وقت دفنهِ. بحيث انّ وزير مدينة ليما وأسقفها واثنين آخرين من عظمائها حملوا نعشهُ* وجرت عن يدهِ آيات كثيرة سماويّة. وأَحصى اسمهُ بين الطوباويّين البابا غريغوريوس السادس عشر*

* اليوم السادس *

القدّيس لئُونردُس

وُلد القدّيس لئُونردُس في فرنسا. وكان كلوبيس أوّل الملوك المسيحيّين في فرنسا يحبّهُ ويميل إليهِ ويكرمهُ. فأخذ لئُونردُس يتجنّب صحبة الملك ابتغاء ان يتفرّغ إلى خدمة الله* فتتلمذ للقدّيس رميج الشهير الذي قد مرّت بك سيرتهُ. فأصبح فائقاً جليلاً فاضلاً تحت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نظارة القدّيس المذكور. وشاع صيت قداستهِ* فدعاهُ الملك كلوبيس إليهِ ليقلّدهُ أفضل المراتب. فامتنع وعمد إلى خدمة الله وتحصيل خير الناس* فجعل يطوف بلاد فرنسا مبشّراً بالإنجيل الطاهر وداعياً الناس إلى اتّباعهِ. لأنّ جهات كثيرة من فرنسا لم تكن تخلو إلى ذلك اليوم من عبدة الأوثان* وانالهُ الله كرامة افتعال العجائب من طرد الشياطين وابراء الأسقام وردّ البصر للعميان والسمع للصمّ* واقتضى يوماً أن يقطع غاباً. فرأى الملك والملكة قد خرجا لطلب الصيد فيهِ. وكانت الملكة حاملاً وقد وافاها المخاض والطلق. فسهّل الله أمرها بشفاعتهِ. ووضعت غلاماً. فأهدى لهُ الملك تحفاً نفيسة مع أوانٍ من فضّة وذهب. فرفضها وطلب إلى الملك أن ينفقها على الفقراء والمحتاجين* ومن بعد ذلك أعطاهُ الجبل الذي تُشاهَد اليوم عليهِ مدينة ماونغ. فاختصّ لهُ منهُ جانباً صغيراً فقط. وأقام فيهِ مصلّى للعذراء مريم. ونصب فيهِ هيكلاً باسم القدّيس رميج. واتّخذ سكناهُ هناك. وعاش في زهدٍ وقشف شديد وهو مواظب على الصلوة وملازم الشغل والعمل الليل والنهار. وكان عندهُ راهبان فقط* ولم يكن بجانب ذلك المكان ماء لقضاء حاجتهم. فصلّى القدّيس وانبط الله لهُ عيناً في ذلك المكان لم تزل باقيةً إلى يومنا هذا*

ونال القدّيس من الله هبة اصطناع الأعاجيب والمعجزات حتّى انّهُ انتشر صيتهُ في فرنسا وبلاد الانكليز وجرمانيا* وهمّ القدّيس بفكّ المأسورين من السجن. فأخذوا يتقاطرون إليهِ ويعرضون ذواتهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لخدمتهِ. وهو كان بالعكس يقدّم نفسهُ لخدمتهم. ويرشدهم ويعلّمهم طريق خوف الله* وبعدما فاق في عمل الخير والصلاح مات في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ٥٥٦* وقُبر جسدهُ باحتفال في الكنيسة التي شادها هو على اسم السيّد المسيح. ثمّ نُقل إلى كنيسة أخرى بوحي إلهيّ* وجاد الله عليهِ بعد موتهِ بعمل العجائب وخاصّةً في شأن المأسورين. فنجا من السجن منهم جماعة كبيرة. ولاظهار شكرهم لهُ على هذهِ النعمة التي نالوها منهُ علّقوا على قبرهِ قيودهم واغلاهم*

* اليوم السابع *

انجلبرت اسقف كلونيا الشهيد

كان انجلبرت من أشرف الناس وأغناهم. واعطى دلائل واضحة تشير إلى القداسة التي كان مزمعاً أن يصل إليها يوماً* فلمّا رأى أهلهُ شدّة ميلهِ إلى التقى أيقنوا انّ الله يدعوهُ إلى السيرة الاقليرسيّة. فاهتمّوا بتهذيبهِ وتعليمهِ أصول الديانة ومبادئَ العلوم. فنشأ متجمّلاً بالفضائل الرائقة والطهارة والنقاوة السامية* ثمّ انفرد انجلبرت في الخلوة مدّة سنين غير يسيرة مواظباً على عبادة الله. وشاع صيتهُ وخبرهُ في تلك الجهات. فحدث انّ كرسيّ مدينة منُستر فرغ بموت الأسقف. فجاء رُسُل إلى انجلبرت وأخبروهُ بأنّهُ قد انتُخب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أسقفاً لذلك الكرسيّ. فرفض ذلك انجلبرت. وتمنّع من الأسقفيّة كلّ التمتّع. غير انّهم لم يقطعوا أملهم. فلمّا اعترضت لهم فرصة أخرى بفراغ كرسيّ مدينة كولونيا اختاروهُ ثانيةً أسقفاً لتلك المدينة. وألحّوا عليهِ حتى أذعن* فرُسم أسقفاً في سنة ١٢١٥. واهتشّ بذلك جماعة كولونيا لعلمهم جيداً بسموّ فضائلهِ. وفي أيسر وقت أصلح حال الرعيّة* وكانت غاية همّتهِ المحافظة على قوانين الكنيسة ومراسيمها. وقصدهُ بذلك مجد الله الأعظم* ولم يُبالِ بأهل الجاه والمراتب بل التزم للعدل والحقّ. واتّخذ لهُ أشخاصاً من أفضل الناس وأسماهم خبرةً وعلماً وفطنةً ليستشيرهم في أمورهِ* وكان أهل كولونيا يتّخذونهُ بمنزلة اب حقيقيّ لهم. وهو يهتمّ بخيرهم ويصرف كلّ همّتهِ وقوّتهِ في ما يؤُول لصلاحهم* وكان يعلم جيّداً انّ درجة الأسقفيّة تقتضي سيرة كاملة فاضلة. وبما أنّ أساس الكمال هو متوقّف على اماتة النفس والتقشّف. أقبل متفرّغاً على الأصوام والأسهار والتقشّفات المتواصلة الفائقة فضلاً عن انهماكهِ بالأشغال والأتعاب طول النهار والليل* وكان أيضاً من عادتهِ أن يصوم على الدوام على الخبز والماء. ولم يكن يأكل قليلاً من البقل الاّ في يوم الأحد والأعياد. ولم يذُق اللحم قطّ ولا البيض ولا السمك. أمّا في الصوم الكبير وفي أسبوع الحاش فكان صومهُ صارماً شديداً* وكان يقول للذين يحاولون صدّهُ عن صرامة المعيشة المتمسّك هو بها: انّ أوّل فرائض الأسقف أن يبذل حياتهُ عن يسوع المسيح سيّدهِ وفي خدمة الكنيسة عروسهِ التي افتداها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بدمهِ الثمين* وكان يسهر كثيراً وينام جالساً على فراش صَلِب. ولم يغيّر عادتهُ هذهِ حتى في وقت المرض* فانتجت فيهِ هذهِ العيشة الشديدة التواضع الفائق البليغ المقرون بوداعة عظيمة. فانّهُ أنزل نفسهُ آخر منزلة بين الناس. ولم يُرد أن يسمع الاّ أن تُعَدّ زلاّتُهُ ونواقصهُ* وكان مضيفاً للغرباء. ورؤُوفاً شفوقاً على الفقراء. وقسّم أوقاتهُ بدون أن يصرف منها شيئاً للراحة. وكان إذا فرغ من مهمّات رعيّتهِ انعطف على القراءة والدرس. وعند قراءَتهِ الكتاب المقدّس كان يركع على الأرض* وكان يجمع إليهِ القسوس لكي يطّلع على تصرّفاتهم مع الناس واعتنائهم بأمور خلاص المفوّضين إلى همّتهم*

ثمّ انّ انجلبرت مع كونهِ وديعاً فاضلاً مهتمّاً بخير الناس عامّةً وخاصّة هاجت عليهِ بغضاء بعض الناس حتّى قتلوهُ. وذلك انّ فردريك قوميس اسّمبرع الأمير (وكان من آلهِ وعشيرتهِ) كان يتعدّى على بعض أديرة الراهبات ويسلب الأملاك التي تخصّها. فوكّل البابا والملك انجلبرت مطران كولونيا على ردعهِ وقصاصهِ ان بقي متعصّباً. وكانت الراهبات أيضاً تلتجئ إليهِ. فنصحهُ في أوّل الأمر. ثمّ تهدّدهُ بالقصاص إِن لم ينتهِ. فاغتاظ فردريك وجزم على قتلهِ وإبادتهِ. وإذ وقف انجلبرت على حقيقة هذا الخبر اعترف اعترافاً عامّاً بخطاياهُ واستعدّ الاستعداد الواجب للموت. وفي أثناء تلك الأيّام إِذ كان ذاهباً إلى مدينة سولمة لتكريس بيعة في وقت معلوم عند فردريك كَمَنَ لهُ بعض عمّالهِ في الطريق. فباد بين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أيديهم انجلبرت وهو يطلب الغفران والصفح لأعدائهِ وقاتليهِ* وحدث ذلك في اليوم السابع من تشرين الثاني سنة ١٢٢٥. وقُبر في كنيسة مار بطرس في كولونيا*

* اليوم الثامن *

المكلَّلون الأربعة

كان في أيّام الملك ديوقلطيانس في مدينة روميّة أربعة أخوة يُدعَون سويرُس وساورينس وقربوفُرُس ووكتورينس وكانوا متديّنين بأجمعهم بديانة المسيح ومشتاقين إلى بذل أعناقهم شهادةً عن هذهِ الديانة التي شغفت قلوبهم بمحاسنها* فلمّا سمع الملك ديوقلطيانس بأمرهم قبض عليهم وساقهم إلى قدّام صنم اسقولابيوس. وأمرهم بالسجود لهُ والاّ فيُجلَدون قاطبةً. فلمّا رفضوا السجود للوثن نزعوا عنهم ثيابهم وشرعوا يجلدونهم جلداً قاسياً بقيود مرصّصة. وفي وسط هذا العذاب فاضت أرواحهم بيد خالقهم. ورأى الملك أن يترك جثثهم ملقاةً على القاع لتأتي الكلاب وتأكل منها. فلمّا دنت منها الكلاب احترمت تلك الجثث القدسيّة وتمنّعت من أن تعبث بها* ثمّ انّ النصارى حملوها خفيةً إلى المقبرة وقبروها باحترام واكرام. ومنذ القديم تمسكت الكنيسة الرومانيّة بعمل ذكر لهؤلاء الشهداء الأربعة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع *

القدّيس ثاودورس

انّ ثاودورس كان جنديّاً في مدينة اماسيا من بلاد بنطس. ولكنّهُ في باطنهِ كان يخدم الملك السماوي* وحدث لهُ بعض الأيّام انّهُ اتّصل بهِ خبر منشور برز من لسان الملك في تتبّع النصارى واضطهادهم. وهذا الخبر أوعب صدرهُ والظاهُ بنار المحبّة فشرع في حضور جماعة أصحابهِ ورفاقهِ الجند يقرّ علناً بالديانة النصرانيّة. وقال انّهُ مستعدّ لبذل دمهِ لوجههاً* فقُبض عليهِ في الحال. وفي أوّل الأمر لطفوا بهِ وأشفقوا على حسنهِ وجمالهِ ونجابة شمائلهِ وخصائلهِ. فعفوا عنهُ وأطلقوهُ في حال سبيلهِ*

فلمّا فطن ثاودورس بالفرصة التي فاتتهُ. تأسّف من جرى ذلك وطلب إلى الله بحرارة أن ينيلهُ فرصة أخرى مثلها. وكان الذين أطلقوهُ من بعد القبض عليهِ قد أوصوهُ الاّ يتعرّض للنصرانيّة بالمحاماة عنها وأن يتمسّك بعبادة الأوثان. فأحبّ أن تكون أفعالهُ نفسها جواباً لهُ. فتخلّل في إحدى الليالي في هيكل من هياكل الأوثان وكان على شاطئ النهر. وكانت تلك الليلة ذات رياح وبرد. فألقى النار في الهيكل حتى أضحى كلّهُ رماداً محروقاً. ولم يفزع ثاودورس ولا كتم قصّة هذا الأمر. بل أقبل هو عينهُ يقرّ على نفسهِ واعترف بما فعلهُ*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلمّا علم القضاة ذلك قبضوا عليهِ وأخذوا يجذبونهُ إلى عبادة الأوثان ويرغّبونهُ فيها بلطيف ما عندهم من الكلام. فلم ينالوا منهُ شيئاً. فأمروا بجلدهِ. ثمّ حبسوهُ في مكان وتركوهُ بلا أكل كي يبيد جوعاً. فظهر لهُ المسيح في الليل وقال لهُ: تشجّع يا ثاودورس لأنّي معك. لا تأكل ولا تشرب من يد الناس. فانّي أنا أعطيك حيوة أبديّة. فاهتشّ لذلك وكاد يطير من الفرح. وأخذ يغنّي وينشد تسابيح الله. وانحدرت الملائكة وشرعت تسبّح معهُ. ورأى الحرّاس كلّ ما جرى. فتعجّبوا وأخبروا الوالي فجاء إلى السجن. فلم يشاهد شيئاً. ورأى باب السجن مغلقاً*

ثمّ أخرجوهُ من السجن. وعرضوا عليهِ أشياء كثيرة وتحفاً نفيسة. فلم يقدروا إلى أن يزعزعوهُ. ثمّ جلدوهُ وسلخوا جلدهُ. ثمّ أحرقوا فخذيهِ بالنار وهو لا يُبين عن ألم أو عذاب بل يزداد فرحاً وشكراً لله. وفي الآخر حكموا عليهِ بأن يُحرَق بالنار. فألقى نفسهُ هو في النار من شدّة فرحهِ وأخذ يسبّح الله تعالى. وبذلك تمّ استشهادهُ* وشُوهدت نفسهُ في وقت انفصالها من جسدهِ تصعد إلى السماء بهيئة نور لامع. وحملت جثّتهُ بعض النساء بهيئة نور لامع. وحملت جثّتهُ بعض النساء العابدات فقبرتها باكرام* وكان استشهادهُ في التاسع من تشرين الثاني سنة ٣٠٤ للمسيح* واشتدّت شهرة هذا القدّيس في الشرق والغرب. فصار المؤمنون يتقاطرون إلى زيارة ضريحهِ. وأُقيمت كنائس كثيرة على اسمهِ. وإلى يومنا هذا يوجد في روميّة كنيسة قديمة قد بُنيت لهُ منذ القديم*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومن جملة من خلّف لنا قصّة مار ثاودورس هو القدّيس غريغوريوس النوسيّ. وهاك ختام مقالتهِ فيهِ: انّ كنّا لا يمكننا الساعة أن نراك بأعيننا الجسديّة. فأنت أمِل نظرم إلى قرابيننا وإلى صلواتنا. وأسأل الله أن يستجيبنا إذا تشفّعت في شأن بلدتنا التي هي بلدتك أيضاً. فاسألْهُ أن يرفق بأخوتك وأهلك وأصحابك. أعني أن يصوننا من العدوّ ولا سيّما السكوتيّين ومن أقوام البادية الذين يحاربوننا* دافع عنّا مثل جنديّ واشفع فينا بحقّ اكليل شهادتك. انّك قد وصلت المينا ولكنّك لا تجهل الأخطار التي تكتنف براكبي الأبحار. فاستمدّ لنا راحة بلا قلق. واجعلنا أن نقوم في خدمة ذلك الذي خدمتهُ أنت. لئلاّ يدنّس الأقوام المتوحّشون هياكلنا المقدّسة ويجعلوا مذابحنا اسطبلاً. انّنا نعلم خير العلم انّ الراحة والهدوّ اللّذَين نحن نتقلّب فيهما إلى اليوم هما صادران ليس عن فضلنا بل عن صلواتك. ولهذا نترجّى منك أن تحفظنا في ما بعد أيضاً*

* اليوم العاشر *

مار ميلس وابروسيم وسينا

انّ ميلس نشأ في أرض رزيق من بلاد الفرس. وتربّى في دار المملكة. ونال في المملكة أشرف الوظائف وأجلّها. ثمّ اختارهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الربّ لخدمتهِ فتنصّر واعتمذ وعزم أن يصون نفسهُ طاهراً. ثمّ قصد مدينة عيلام وتمكّن أن يهدي بفضائلهِ وتعاليمهِ كثيراً من الوثنيّين إلى ديانة الحقّ. وبذلك في ذلك كلّ وسعهِ* ثمّ سيم أسقفاً لكنيسة السوس. وقاسى ما لا يوصف من الجهد والتعب لقلع الرذائل والوثنيّة من بينهم. فلم تنجع أتعابهُ. بل أصابتهُ بدل ذلك اهانات شديدة. فاضطرّ أن يبتعد من هناك. وحجّ إلى القدس الشريف* ثمّ رحل إلى مصر ليشاهد تلاميذ مار انطونيوس وأديرة الرهبان. وتعارف مع امونيوس. وفي عودتهِ إلى المشرق اجتاز بمدينة نصيبين ليزور مار يعقوب أسقفها* ثمّ نزل إلى المدائن. وكانت أحوال النصارى في المدائن مبلبلة جدّاً بسبب الجاثليق فافا. فعُقد فيها مجمع لتدبير أحوال النصرانيّة ورفع الشكوى وتقويم القوانين. وكانت سنة ٣١٤. فدخل ميلس في المجمع وقال للجاثليق فافا: لماذا تحتقر اخوتك. أنسيتَ قول ربّنا يسوع المسيح: ليكن الأكبر فيما بينكم خادماً لكم. فأجاب فافا قائلاً وقد اشتدّ غضبهُ: وكيف تتجرّأ على أن تعلّمني أنت. كأنّني أجهل فريضتي. فأخرج القدّيس كتاب الإنجيل وقال لفافا: ان كنت تخجل أن تتعلّم من حقارتي ما هو مفروض عليك. فدونك الإنجيل لتتعلّمهُ منهُ* ثمّ ذهب ميلس إلى ميسان فتتلمذ لأحد النسّاك. وافتعل المعجزات الكثيرة الباهرة. ثمّ رجع إلى أرض رزيق وعمّذ كثيراً من الوثنيّين. فسمع صاحب تلك البلاد بذلك. فأمر بإحضارهِ وبإحضار تلميذَيهِ ابروسيم القسّيس وسينا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشمّاس. فحكم بتقييدهم بالسلاسل وضربهم بالسياط. وآذاهم بعذابات متنوّعة ليحملهم على السجود للشمس. واستدعاهم يوماً لديهِ وتهدّدهم بقطع الراس. فلم يتزعزعوا بل لبثوا مصرّين ثابتين على اقرارهم بالديانة المسيحيّة* فقام الوالي من على كرسيّهِ واستلّ سيفهُ وقد قدحت في وجههِ نار الغضب. وضرب كتف ميلس فخزقها. وعقبهُ أخوهُ أيضاً إذ استلّ خنجرهُ وضربهُ بجنبهِ. ومات القدّيس بعد قليل وقُتل كذلك تلميذاهُ بالرجم. وكانت سنة ٣٤١* وقد جُعل لهؤلاء الشهداء ذكر في السنكسار الروماني في اليوم الثاني والعشرين من نيسان امّا سنكسار اليونان فيذكرهم في اليوم العاشر من تشرين الثاني*

* اليوم الحادي عشر *

مرتينس أسقف تُرس

وُلد مرتينس في ساباريّة إحدى قرى هنغرية. وتربّى في مدينة بادوا في إيطاليا. وكان أبوهُ جنديّاً وثنيّاً. ومنذ صغرهِ أخذ يتردّد إلى كنيسة النصارى وطلب إلى القسوس أن يقبلوهُ بين المستعدّين لأخذ المعموذيّة. وصار ذا ولع شديد في الروحانيّات. وأحبّ الخلوة والانفراد لتبقى نفسهُ مقرونة بالله*

وأبرز الملك قسطنس يوماً أمراً فيهِ جزم على جميع الجند

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن يأتوا بأولادهم ويخرجوهم برفقتهم إلى الحرب. واضطُرّ مرتينس أيضاً أن يمتثل هذا الأمر. غير أنّهُ تحفّظ على نفسهِ كلّ التحفّظ من أن يقع في شيء من المنكرات التي يقع فيها الوثنيّون. وأظهر في ذلك الحين فضائل رائقة جليلة. إذ انّهُ كان يداري المصابين والمجروحين ويتصدّق على الفقراء* وأحبّ أن يستكمل الفضائل في أبلغ نوع. فعزم أن يهجر المعسكر. فحضر بين يدي قائد الجيش. وكان القائد يليانُس المنافق وقال لهُ: انّني اليوم جاهدتُ عنك وعن مملكتك. فاطلقني الآن لكي أجاهد جهاد الله. فانّ جزاءَهُ أعظم وجهادهُ أجلّ* فلمّا سمع يليانُس هذهِ الكلمات. عاتبهُ ونسب ذلك إلى خوفهِ من الموت وقلّة شجاعتهِ. ثمّ أطلقهُ* فتوجّه إلى مدينة بوايتير وتتلمذ للقدّيس هيلاريوس أسقف تلك المدينة* ثمّ أمرهُ العليّ أن يقصد أهلهُ ويهديهم إلى الايمان. فقام عليهِ الشيطان لكي يصدّهُ عن ذلك بعدّة عوائق واخطار. فلم يبالِ بكلّ ذلك بل تمكّن من اقناع أمّهِ فتعمّذت. امّا أبوهُ فاصرّ على عبادة الأوثان. وتلمذ أيضاً بعضاً من خاصّتهِ لديانة الحقّ. فاضطهدهُ أهل بلدتهِ. وجلدوهُ جلداً مشتهراً ونفوهُ من البلد. فأراد الرجوع إلى معلّمهِ هيلاريوس. ولكنّهُ كان قد نُفي من المدينة بسبب الاضطهاد الثائر. فاختلى في مدينة مديولان. وابتنى لهُ ديراً ليختفي فيهِ* وأحسّ بهِ تبّاع بدعة اريوس وأمرهُ اسقفهم أن ينفرد في إحدى الجزائر المنقطعة. وبقي القدّيس هناك أربع سنين منعكفاً على الصلوة والتقشّف. ثمّ أُعيد عقيب ذلك هيلاريوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

معلّمهُ إلى كرسيّهِ. فلحق مرتينس في أثرهِ. ورُسِم قسّيساً وعمّر ديراً لينفرد فيهِ. وجرى في تلك الأثناء انّ كرسيّ مدينة تُرس ترمّل. واختار أهل المدينة مرتينس ليتخلّف بعدهُ. فحملوهُ على الخروج من خلوتهِ. وسيم أسقفاً في نحو سنة ٣٧٠ للمسيح وعمرهُ حينئذٍ نحو خمسين سنة. وعند ارتقائهِ إلى الأسقفيّة لم ينقص شيئاً من سيرتهِ القشفيّة. بل بالغ في اماتة النفس والأتعاب* وأكرمهُ الله بعمل العجائب. وبذلك انتصر على عبادة الأوثان وأبادها من تلك النواحي. ونصب على ردم هياكلها عدّة كنائس مسيحيّة. وأضحى رحوماً شفوقاً على الفقراء لوفور المحبّة الإلهيّة المتّقدة في قلبهِ* وأحبّ مرتينس أن يجعل لهُ تلاميذ يثقّفهم في الفضائل هو بنفسهِ. فصار يصرف في إرشادهم الوقت الذي يفضل في يدهِ. وخرج من بين هؤلاء تلاميذهِ جملة قدّيسين مشهورة أسماؤهم في التواريخ البيعيّة*

وكان مرتينس مكرَّماً معزوزاً لدى الملوك وعظماء الأرض. وحليماً متواضعاً ذا قلب وديع حنون* فلمّا شاخ ودنت ساعة مجازاتهِ أوحى إليهِ الربّ بقرب وفاتهِ. فاشتدّ غيرةً وحرارة لقضاء أواخر حياتهِ أحسن ما يكون. وحدث انّهُ في تلك الأثناء ثارت خصومات وانقسامات في كنيسة كندية. فذهب إلى هناك. ووضع الصلح بينهم بحضورهِ فقط. وغبّ ذلك داهمتهُ حمّى شديدة لم تمكّنهُ من الرجوع إلى تُرس. فجاء إليهِ تلاميذهُ. واحتاطوا بهِ في ساعة رحيلهِ وجعلوا يقولون: أيّها المعلّم الصالح كيف تتركنا نحن المنكودي الحظّ. وماذا يكون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منّا بدونك. ثمّ توفّي وهو منضجع على القاع. وذلك في اليوم التاسع من تشرين الثاني سنة ٣٩٦. ولهُ من العمر إحدى وثمانون سنة. وصارت جثّتهُ تسطع منها أنوار عجيبة. وسُمع الملائكة يترنّمون بترانيم سماويّة. ثمّ حُمل جسدهُ إلى مدينتهِ وقُبر فيها باحتفالٍ عظيم*

* اليوم الثاني عشر *

مرتينس البابا الشهيد

انّ أصل القدّيس مرتينس من مدينة تودي من تُسكانا. واسم أبيهِ غبريقيوس. وكان ذا قداسة وفضيلة لا تماثَل. وجلس مرتينس على كرسيّ روميّة بعد البابا ثاودورس. وذلك في أوّل تموز من سنة ٦٤٩. وكان ضابط زمام الملك إذ ذاك قسطنطين الثاني ابن هرقل الملك. وكان فاسد الراي والمذهب في اعتقاد المشيّتين في المسيح ربّنا. وأهل هذا المذهب الفاسد يُسمَّون منوثليتيّين أي قائلين بالمشيّة الواحدة* وكان بولس بطريرك القسطنطينيّة قد لقّنهُ ذلك فأضحى الملك محامياً لمذهب المنوثليتيّين ومتتبّعاً لمعتقد الكاثوليكيّين. وفي تلك الأثناء كان الملك قد أبرز في كتابٍ صورة ايمانهِ. سمّاهُ الطوفس وسيّرهُ إلى مرتينس البابا منذ جلوسهِ على كرسي الخلافة. فرفضهُ البابا واتّخذهُ ايماناً فاسداً محروماً. وكتب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى الملك وقال لهُ: انّهُ لا شيء يمكن أن يبعدني أو يميلني ولو قليلاً عن المعتقد الكاثوليكيّ. وانّني مستعدٌ لسفك دمي إلى آخر نقطة حبّاً بالايمان الكاثوليكي القويم. ثمّ لكي يمنع الأضرار التي كانت تبدو من هذهِ الهرطقة سيّر سفراء بمكاتيب إلى بولس بطريرك القسطنطينيّة. وطلب إليهِ أن يمتنع عن هذهِ المساوئ وأن لا يبتعد من الايمان الكاثوليكي وما حدّدتهُ المجامع المقدّسة. فلم يقع عندهُ ذلك موقعاً حسناً. بل غمّهُ هذا الصنيع. وسعى عند ذلك في أن ينفي سفراء البابا. فنفاهم وأصابهم عذابات كثيرة بسبب ذلك*

فعند ذلك جمع مرتينس مجمعاً في روميّة مركّباً من خمسمائة أسقف. وأوضح ايمان الكنيسة من هذا القبيل. وحرم فورس وقورس وسرجيوس الذين كانوا من عمدة هذهِ البدعة. وحرم بولس المذكور وتبّاعهُ* وكان مرتينس شجاعاً. فانّهُ مع رؤيتهِ أساقفة المشرق متمسّكين بهرطقة المنوثليتيّين وعضيدهم الملك نفسهُ كان لا يخاف ولا يفشل. بل كان مستعدّاً لسفك دمهِ. فلمّا بلغ الملك خبر المجمع الذي التأم برومية احتدم غيظاً على البابا. وأراد أن يبيدهُ لينتقم منهُ. فوضع في البلاد التي تحت حكمهِ حتّى في إيطاليا عمّالاً من حزبهِ وأهل مذهبهِ. وأمرهم أن ينشروا الهرطقة ويعضدوها. وعمل عامل إيطاليا كلّ جهدهِ في اجتذاب أهل روميّة إلى هرطقتهِ. فلم يحصّل شيئاً. فأراد قتل البابا. وأرسل يوماً أحد عساكرهِ ليقتلهُ في وقت القدّاس. فحين أقبل الجندي ليقتلهُ أغشى العمى على بصرهِ فجأةً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فارعوى عامل إيطاليا بذلك. ولمّا مات هذا عقبهُ عامل آخر شرّ منهُ. وهذا أيضاً أفرغ كلّ حيلتهِ لينتقم من البابا. وتوصّل هذا العامل المكّار من خدع أحد حشم البابا. فدخل يوماً قصرهُ بجنودهِ واستأسرهُ وقيّدهُ بالأغلال وقادهُ إلى القسطنطينيّة وأساء إليهِ كلّ الإساءَة. وهكذا أضحى هذا الخروف الوديع بيد هؤلاء الذئاب الخاطفة* فلمّا أُحضر بين يدي الملك حبسهُ في جبّ عميق. فمكث فيهِ مدّة اثنين وتسعين يوماً وهو لا يواجه أحداً. ثمّ دعاهُ الملك للمحاكمة وأهانهُ وعاملهُ شرّ معاملة. وبعد ذلك قيّدهُ بالأغلال وأعادهُ إلى السجن. ولمّا رأى أنّهُ لا يقدر أن يحملهُ على الاشتراك مع المنوثليتيّين نفاهُ إلى أرض الخرسونيس. وهي أرض باردة جدّاً يقلّ من يسكن فيها وبقي هناك مسجوناً محتاجاً إلى لوازم المعيشة. فصبر على ذلك الصبر الجميل كما يستبين من مكاتيبهِ التي أرسلها إلى أهل روميّة من سجنهِ* وأخيراً مات في المنفى وذلك في اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ٦٥٤. بعد أن جلس على الكرسي الرسولي نيّفاً وستّ سنين* وأكرمهُ الله بعمل العجائب في حياتهِ ومن بعد مماتهِ. ثمّ نُقلت من بعد ذلك جثّتهُ إلى روميّة وقُبرت في كنيسة مار سلبستر*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث عشر *

ديداقيوس الراهب من رهبنة مار فرنسيس

انّ هذا القدّيس وُلد في إحدى المدن من أعمال الاندلس. وأقام في بلدتهِ مدّة. وتتلمذ لاحد النسّاك واقتبس منهُ روح العبادة والصلوة والتأمّل. وكان يشتغل أيضاً بشغل اليد لكي يتجنّب الكسل ويكسب ما يقتضي للمعيشة وسدِّ حاجة الفقراء والمساكين* ومنذ ذلك الحين أخذ يتشوّق إلى أن يضحي من جملة أولاد مار فرنسيس فقدّرهُ الله على بلوغ منيتهِ. فتوجّه إلى دير من أديرة رهبان مار فرنسيس الشهيرين بالصغار (وهو على مسافة يسيرة من مدينة قرطاجنة) ولبس اسكيم الرهبنة هناك. ثمّ انّهُ بعد أن نذر النذور سُيّر بصحبة أحد رهبان تلك الرهبنة أيضاً إلى جهات الجزائر الكناريّة لكي ينصب فيها لواء الديانة المسيحيّة* فلدى وصولهِ إليها أقام ديراً في إحدى هذهِ الجزائر. وتروّس هو عليهِ مع انّهُ لم يكن بعد قسّيساً. فجدّ مواظباً على السيرة القشفيّة واماتة النفس وأخذ يقمع جسدهُ بالصوم والصلوة تائقاً إلى أن يعطي عنقهُ لأجل دين المسيح. ثمّ رحل إلى كناريّة الكبيرة بهذهِ النيّة. غير انّ الملاّحين لم يشاءوا أن يرسوا في تلك الأرض لخوفهم من أهاليها الذين كانوا وثنيّين يومئذٍ* وبعد ذلك عاد بأمر رؤسائهِ إلى الأندلس. وجذب في سفرهِ عدداً وافراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى ديانة المسيح* وفي سنة ١٤٥٠ إذ كان في روميّة عيد عظيم بسبب اليوبليون وبسبب إثبات قداسة مار برنردينس السيانيّ أُرسل هو أيضاً إلى روميّة. فخلّف في كلّ البلاد التي مرّ بها في سفرهِ هذا أمثالاً جليلة في سيرة الكمال والفضائل* وبعد إقامتهِ في روميّة ثلاثة أشهر عاد إلى سيولّة ثمّ إلى توليد. وأقام هناك مدّة ثلاث عشرة سنة أي إلى آخر عمرهِ. وشاع صيتهُ في تلك النواحي بسبب محبّتهِ الغزيرة ليسوع المسيح. ولم يزل يشتدّ ويتقدّم في الكمال. فانّهُ لم يكتفِ بحفظ قانون مار فرنسيس بالاتقان والتدقيق. بل أخذ يجتهد كلّ الاجتهاد في الاقتداء بهِ والاقتفاء في أثرهِ. وأضحى متواضعاً يحسب نفسهُ أنزل كلّ الرهبان. وحليماً لم يأَتِ قطّ بكلام غير مرتّب لأيّ سبب كان وكان يعامل جسدهُ بقساوة ويقهرهُ ويكثر من جلد نفسهِ والسهر الطويل والاماتات والأصوام العسرة* وكلّما أحسّ أو شعر بتجربة رمى نفسهُ في ماء بارد أو في ثلج. ولو في قلب الشتاء* وكانت ثيابهُ فقريّة. ونفسهُ مشتغلة بالصلوة والتأمّل الغير المنقطع الغير المنقطع بحيث انّهُ كان يغيب عن حواسّهِ غالباً ويرتفع جسدهُ عن الأرض* وكان لهُ على الخصوص غرام شديد في آلام المسيح. واتّخذ لهُ صليباً من خشب يمسكهُ في يدهِ ليكون فكرهُ مشتغلاً بآلام المسيح على الدوام* وتعبّد بنوع خصوصيّ لمريم العذراء. وأخذ يصوم على الخبز والماء في أيام السبت وفي ليالي أعيادها. وكان يخدم المرضى بلطف وشفقة بليغة باذلاً جلّ سعيهِ في خير النفوس واجتذاب الخطاة إلى التوبة* وكانت ثقتهُ بالله تعالى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وطيدة لا يبالي بأمور هذهِ الدنيا حتّى بما لا بدّ منهُ لقضاء هذهِ الحيوة. ولذلك لم تسمح العناية الإلهيّة أن يعوزهُ شيء* فلمّا شاخ أرسل الله قرحاً في ذراعهِ. فاستعدّ للرحيل أحسن استعداد. وانتقل إلى دار السعادة في اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٤٦٣* وظهرت على ضريحهِ كرامات كثيرة من أجلها رأى البابا كسطس الخامس أن يكتب اسمهُ في سفر القدّيسين وذلك سنة ١٥٨٨*

* اليوم الرابع عشر *

مار لورنتيوس مطران دُبلين

وُلد لورنتيوس في بلاد ايرلندا من سلالة الملوك. وتربّى تربية ملكيّة. وكان الموكّلون على تهذيبهِ وتربيتهِ أناساً فاضلين متديّنين. فراقت نفسهُ في أيسر مدّة بأجلّ الفضائل* وأُرسل إلى المدرسة ليتعلّم مبادئ العلوم. ففاق رفاقهُ* وحدثت عداوة بين أبيهِ وبين دومطيوس الملك. فأرسلهُ أبوهُ إلى الملك واسطةً للصلح. فرفضهُ الملك وأرسلهُ إلى بلاد مقفرة بعيدة. فوقع في أشقى حال وصار يحصّل قوتهُ بالتسوّل. ثمّ اضطرّ الملك واطلق لورنتيوس. وأرسلهُ إلى أسقف غلندنوك* وبعد ذلك اختار لورنتيوس السيرة الاقليرسيّة وذلك انقياداً لوحي الله لهُ. وتتلمذ للأسقف وأطاعهُ طاعة عمياء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ مات معلّمهُ الأسقف* وفي السنة الخامسة والعشرين من عمرهِ أُقيم رئيساً على إحدى الكنائس. ولم تزدهُ الرياسة الاّ قداسةً وفضيلة. وكان يتقدّم القسوس في جميع الأشغال* وحدث الغلاء في المدينة فنهض لورنتيوس لسدّ حاجات الفقراء واسعاف المساكين. وأنفق جميع ما تركهُ لهُ أبوهُ في أعمال الخير والصلاح. وكان يحبّ الفقر والاتّضاع كثيراً ولا يرغب في شيء سوى الاقتداء بيسوع المسيح*

ثمّ حدث موت الأسقف. فوجّه الناس قاطبةً أفكارهم إليهِ. وانتخبوهُ للأسقفيّة. فتمنّع واستعفى. ولكنّ الله حفظ لهُ درجة أسمى من هذهِ. وذلك انّهُ إذ مات مطران مدينة دُبلين في ايرلنده. وقع الانتخاب عليهِ* وعند صيرورتهِ مطراناً جعل يضاعف أعمالهُ التقويّة. ويبالغ في التأمّلات والصلوات ويكثر من التقشّف واماتة النفس والتواضع* وأراد أن يصير بسيرتهِ قدوةً صالحة لرعيّتهِ. فصار يلبس المسح على الدوام ويقهر جسدهُ ويقمعهُ بالأصوام الطويلة والجلد القاسي* ثمّ همَّ بإصلاح أحوال رعيّتهِ والاعتناء بخيرهم وشرع يطوف المدينة كلّها ويزورهم. ويداري المرضى ويسلّي الحزانى. ويعامل الجميع معاملة الاب لابنهِ* وبذل همّتهُ على الخصوص في تهذيب الاقليرس. ورسم لهم قوانين يسيرون بموجبها. وأخضع نفسهُ هو لهذهِ القوانين عينها وصار لهم اماماً وقدوةً فيها. وبالغ في حفظ الاختلاء والصمت والصلوات والأصوام* واتّقدت في قلبهِ على الدوام نار المحبّة الإلهيّة. وأخذ يقضي ساعات طويلة مديدة في مناجاةٍ قلبيّة يناجي بها يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المصلوب الذي مات من أجل البشر* وشدّد أصوامهُ منذ ذلك اليوم فلم يذُق اللحم أبداً إلى يوم وفاتهِ بل اكتفى بالخبز والماء في أيّام الجمعة وربما قضاها بالصوم التامّ. وكثيراً ما أشغلتهُ التأمّلات البليغة والصلوات الحارّة عن الطعام وانستهُ الأكل والغذاء*

وكان ينفرد عن الناس في كلّ سنة أربعين يوماً مختلياً في مغارة بعيدة في إحدى البراري ويواظب على الصلوة والتأمّل والتقشّف البليغ* ومع ذلك لم يغفل البتّة عن الاهتمام برعيّتهِ. لا بل كان يدافع عنهم. ويبذل حياتهُ من أجل خيرهم* وطلب أعداؤهُ موتهُ عدّة مرّات. وتوصّلوا بعض الأحيان إلى تصديعهِ وإصابتهِ. ومع ذلك نجّاهُ الله مراراً من الموت بأعجوبة فائقة* وسافر أكثر من مرّة إلى بلاد الانكليز لقضاء مصالح تنوط بخير رعيّتهِ. ونجا بشفاعتهِ جميع من كان معهُ بالسفينة من خطر غريق مبين* وانطلق أيضاً إلى روميّة لأمور تختصّ برعيّتهِ فأكرمهُ البابا كثيراً وجعلهُ قاصداً على بلاد ايرلنده كلّها. فانتظم حال الكنائس في تلك البلاد وحصل فيها رونق وترتيب* وجاد الله عليهِ بمنّة افتعال العجائب. فطرد الأرواح النجسة من أجسام كثيرين وأبرأهم من الأسقام. وانقذ البعض من الموت* واحتمل القدّيس اضطهادات شتّى لمجد الله. وذلك انّهُ إذ قتل هنري ملك بلاد الانكليز مار توما مطران كنتربري حدث بينهُ وبين ملك ايرلنده خصام ونزاع. فتوجّه القدّيس لورنتيوس إلى الملك لكي يصالحهُ مع ملك ايرلنده. فساء ذلك هنري ورفض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لورنتيوس. ومنعهُ من الرجوع إلى كرسيّهِ. فانفرد لورنتيوس في أحد الأديرة. ثمّ لحق في أثر الملك حينما توجّه إلى بلاد ترمنديّة ليلحّ عليهِ في طلب الصلح. وإذ انتهى إلى نواحي بولونيا داهمتهُ الحمّى. فأيقن بقرب وفاتهِ. فاختلى في إحدى الكنائس التي تحت يد رهبان مار اوغسطين واستعدّ للموت بالاعتراف وتناول القربان المقدّس بحرارة وعبادة غزيرة. وصار يغيب عن حسّهِ كثيراً وينجذب عقلهُ إلى السماء. فلا يشعر بالأوجاع. ثمّ تسلّح بالمشحة لمدافعة تجارب الشيطان. وفي الآخر سلّم روحهُ بيد الله وذلك في الرابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٢٢١. ولم يتغيّر جسدهُ شيئاً في لونهِ وشكلهِ. وقُبرت جثّتهُ في الكنيسة المذكورة. ثمّ إذ فُتح قبرهُ بعد مرور خمس سنين لُتُنقَل رمّتهُ إلى مكان أشرف وُجد جسدهُ بهيّاً خالصاً من كلّ فساد. وفاحت من القبر رائحة ذكيّة. وجرت في ذلك اليوم عدّة كرامات على القبر. وعقبها كرامات أخرى أيضاً بعد نقلهِ. منها انّهُ أقام من الموت صبيَّين*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس عشر *

جرترودة رئيسة البندكتيّات ـ غوريا وشامونا وحبيب الشهداء

جرترودة رئيسة البندكتيّات

وُلدت جرترودة في مدينة ايسلب في بلاد سكسونيا العالية. وكان أبواها ذوي حسب ونسب. وإذ صار عمرها خمس سنين أُرسلت إلى دير البندكتيّات الذي في رُودِسْدُرف. وفي هذا الدير نفسهِ لبست من بعد ذلك اسكيم الرهبنة. ثمّ صارت عليهِ رئيسة في سنة ١٢٩٤. وبعد ذلك فُوّض إليها أيضاً أمر دير هِلْدلْفس* وكانت ذات عقل حاذق توصّلت بهِ إلى التوغّل في معرفة معاني الكتاب المقدّس. وكان دأبها الصلوة المتواصلة الغير المنقطعة والتأمّل المتعمّق. ووجدت أخصّ لذّاتها في التأمّل بآلام يسوع المسيح ربّنا ومحبّتهِ التي أظهرها للبشر في سرّ الاوخرستيا. وفي حين تأمّلها كانت تذرف الدموع الكثيرة الغزيرة وتغيب عن حواسّها وينجذب عقلها إليهِ تعالى* وصارت محبّتها الزائدة للعزّة الإلهيّة تحرّك كلّ آمالها وتقود أفعالها بأسرها. ولذلك كانت ترذل الدنيا وملاهيها. وتقمع جسدها وتقهرهُ بالأذيّات الصعبة والتقشّفات الصارمة والاسهار الطويلة والطاعة الكاملة* واقترنت فيها فضيلة التواضع بما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا يوصف من الوداعة والحلم والرفق. ومع نجابتها وسموّها روحاً وجسداً لم تكن تفتخر بشيء. بل كانت تُسَرّ بأن تُحصى نقائصها ورذائلها وتُحقَر في شخصها. وكانت تتعجّب من رحمة الله كيف انّهُ يحتملها على وجه الأرض. وكانت تتنازل إلى انذل أعمال الدير. وتحسب نفسها غير مستحقّة أن تدنو من أخواتها. وتبذل مجهودها في ملاحظة الراهبات وتدبير أمورهنّ نفساً وجسداً* وخلّفت لنا كتاباً يتضمّن الوحي والرؤى التي جاد الله بها عليها. ومنهُ نستدلّ على شدّة الشوق الذي كان لها للذات الإلهيّة والاقتران المتواصل بها الذي بهِ أضحت نفسها مقرونة على الدوام بحبيبها يسوع المسيح. وفي هذا الكتاب مكنونة أسرار شتّى في صيد أنفس الخطاة إلى الله وتمكينهم في محبّتهِ تعالى. وفيهِ أيضاً فوائد نادرة ثمينة لمن يرغب التقدّم في سيرة الكمال* وكانت محافظةً على كنز طهارتها وعفّتها محافظة بليغة شديدة. فانّها منذ صغرها اختارت يسوع وحدهُ عريساً لها* واشتاقت غاية ما يكون إلى امتلاك هذا العريس الإلهي في ملكوت السماوات* فلمّا لاح ذلك اليوم الذي ما زالت تتوقّعهُ أعني يوم القضاء. استعدّت لهُ أحسن استعداد. وتوفّيت في سنة ١٣٣٤ بعد أن لبثت في الرياسة أربعين سنة. وجرت على يدها عجائب شتّى تبيّن جليّاً أنّ موتها كان عزيزاً في عيني الله*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

غوريا وشامونا وحبيب الشهداء

انّ غوريا وشامونا وحبيب هم من جملة الشهداء الذين أعطوا أعناقهم من أجل ايمان الربّ يسوع المسيح في اضطهاد ديوقلطيانس الملك* وكان أصل غوريا وشامونا من ضواحي مدينة الرها التي في ما بين النهرين. الاّ انّهما تربَّيا في مدينة الرها نفسها. فجدّا راغبَين في التقوى مواظبَين على الصلوة والتأمّل محبّين للروحانيّات. ثمّ خرجا إلى بعض البراري وانفردا فيها وتمسّكا بالسيرة النسكيّة والزهد* وكانا بعملهما وحسن سيرتهما الفريدة العجيبة يدعوان الناس إلى اتّباعهما ويجذبان الغير المؤمنين إلى ديانتهما. فوصل خبرهما بذلك إلى انطونينس الوالي. فقبض عليهما وألقاهما في السجن. ثمّ صرف كلّ حيلتهِ في اكراههما على إنكار المسيح والسجود للأصنام فلم ينل منهما بغيتهُ. فحكم عليهما بأن يُعلَّقا بأيديهما في راس عمودٍ عالٍ. وان توثَق برجليهما حجارة ثقيلة كبيرة تجرّهما إلى أسفل. فقاسيا بذلك عذاباً شديداً لا يوصف. وبقيا على هذهِ الحالة مدّة خمس ساعات وهما ثابتان على إيمانهما صابران بسرور وفرح على هذا الأذى الصعب. كأنّهما لم يكونا من لحم ودم كباقي الناس. ثمّ ردّهما الوالي إلى سجن ضيّق رديّ المناخ. وقطع عنهما المأكول والمشروب. وأخيراً أحضرهما بين يديهِ. وأخذ تارةً يلاطفهما ويعدهما. وطوراً يتهدّدهما ليستميلهما إلى مقصودهِ. فلم ينجع كلامهُ فيهما شيئاً. فجزم عليهما بقطع الرأس. وكان جهادهما في اليوم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخامس عشر من تشرين الثاني*

وفي المدّة التي فيها كان ليقينيوس ضابطاً زمام المملكة في بلاد المشرق وقع القبض على حبيب وهو كان شمّاساً من نواحي مدينة الرها أيضاً. هذا إذ علم أنّ الوالي يجدّ في طلبهِ ليحاكمهُ ويقتلهُ مثل هو من تلقاء نفسهِ بين يدي القاضي. فساء القاضي هذا العمل واتّخذ ذلك إهانةً لهُ فعذّبهُ. ثمّ مشّط جسمهُ بأمشاط حديديّة. فتمزّقت لحمانهُ من شدّة العذابات وخرجت أمعاؤهُ. وبعد ذلك ازداد الوالي قساوةً فاعدّ ناراً موقدة ووضعهُ عليها ليحترق. فاسلم حبيب الشمّاس روحهُ بهذا العذاب. وقُبر على رفيقيهِ*

واتّخذت مدينة الرها منذ ذلك اليوم هؤلاء الشهداء الجليلين عوناً لها على كلّ النوائب والغارات التي تداهمها. ونالت على الدوام من الله بشفاعتهم النعم السنيّة والعون الوافر*

* اليوم السادس عشر *

ادمندُس مطران كنتربري

وُلد ادمُندُس في قرية أَبِنْغَتدُون في بلاد الانكليز. وكان أبواهُ متديّنَيْن قدّيسَيْن. فاهتمّا بتربيتهِ وتهذيبهِ في واجبات الديانة الكاثوليكيّة والفضائل المسيحيّة. وبتعويدهِ منذ الصغر على السهر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واماتة النفس والصوم. فلمّا بلغ أشدّهُ أرسلاهُ إلى مدرسة باريس الجامعة ليقرأ العلوم على أفاضل العلماء. وأوصتهُ أمّهُ قبل أن يبارحها بمعاشرة الناس الفاضلين والاجتناب من الأشرار كلّ التجنّب. ولقّنتهُ أيضاً أن يلبس المسح على بدنهِ. فاحتفل ادمُندُس بوصايا أمّهِ وأكثر من التردّد إلى الكنائس والصلوة والتسابيح. وبذل جلّ سَعْيهِ في اكتساب الفضائل. ودونك ما كان يفوه بهِ أغلب الأحيان: إذا رأَيتُ الخطيئة في جهةٍ والجحيم في جهةٍ أخرى أفضّل النزول إلى الجحيم على أن أرتكب الخطيئة ولو مرّة واحدة*

ولمّا تمكّنت محبّة الفضائل في نفسهِ عزم على نذر عفّتهِ لله. واتّخذ لهُ العذراء مريم عروساً. فصاغ لهُ خاتمين وكتب فيهما السلام الملاكي. ووضع أحدهما في اصبع تمثالٍ لمريم العذراء. والآخر في أصبعهِ للدلالة على اقتران روحهِ بالعذراء* وكان يظهر لهُ يسوع أحياناً بشكل طفل ويسلّيهِ ويلاطفهُ ويؤنسهُ في خلوتهِ* ثمّ انّ أمّهُ إذ وقعت مريضة وظهر خطر موتها استدعتهُ إليها لكي تشاهدهُ آخر مرّة. وتركت لهُ في وقت رحيلها المسح الذي كانت لابستهُ وغير ذلك من الآلات التي بها تعذّب جسدها*

ثمّ بعد ذلك رحل إلى باريس لاتمام درسهِ. فأخذ حينئذٍ الشيطان عدوّ الصلاح يثير عليهِ التجارب الصعبة ويحرّك عليهِ الشهوات الرديّة. ولا يريحهُ ولو هنيهة* فشرع ادمندُس يقاومهُ بسلاح الصلوة المتواصلة ولا سيّما التأمّل في آلام يسوع المسيح والتقشّف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البليغ والصوم الطويل حتّى بلغ بهِ الضعف إلى درجة لم تمكّنهُ من عمل شيء. ومع ذلك فلم يكفّ الشيطان عنهُ. من جملة ذلك وسوس ذات يوم في قلب إحدى النساء واغراها على أن تزورهُ وتحملهُ على افتعال الخطيئة معها. فلم يكن من القدّيس الاّ أن رفضها وردعها*

وحينما أكمل درسهُ رُسم قسّيساً. ثمّ صُيّر معلّماً في مدرسة باريس. وأقام فيها مدّة ستّ سنين. فاهتمّ بتهذيب تلاميذهِ وترويضهم على الصلوة والدرس خاصّةً. بحيث انّ كثيرين منهم انقياداً لتعاليمهِ هجروا الدنيا ودخلوا الرهبنة. ونال أغلبهم أسمى المناصب في عدّة رهبنات* وكان يعلّمهم مجّاناً من دون أجرة لا بل كان هو يصرف عليهم ويداريهم ويخدم من يعتريهِ مرض فيما بينهم. فكان الله يمنّ عليهم بالشفاء لأجل شفاعتهِ*

ومنّ الله عليهِ برؤى كثيرة وانجذابات شتّى وآيات* وما عدا اشتغالهِ بالتدريس لم يزل منصبّاً على الوعظ والإرشاد. ومتفرّغاً لسائر مهمّات الكهنوت. وفي وقت الوعظ كان يحمل صليباً في يدهِ* وارعوى كثيرٌ من الخطاة والأشرار بهمّتهِ*

وشاع خبر وعظهِ واشتهر صيتهُ في الآفاق. وسمع بهِ البابا فوكّلهُ على الإنذار بحرب الصليبيّين. فأخذ يطوف البلاد ويتخلّل المدن والقرى وهو يحثّ الناس على حمل الصليب على الالبجيّين* وكان في أثناء إنذارهِ هذا يمارس الافعال القشفيّة. ويرقد على الحضيض ولا يأكل إلاّ مرّة واحدة في النهار. فدعاهُ الأساقفة إليهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقدّموا لهُ عدّة مناصب ومراتب فرفضها ورذلها*

وفرغ في تلك الأيّام كرسيّ مدينة كنتربري. فاستدعاهُ البابا غريغوريوس التاسع. وصيّرهُ مطراناً على المدينة المذكورة. فلمّا حصل على هذهِ الدرجة لم يغيّر شيئاً من تقشّفهِ السابق. ولم يزل على سيرتهِ السالفة مواظباً على التقوى واماتة النفس* وما استفاد شيئاً من دخل كنيستهِ. بل أنفقهُ كلّهُ على الفقراء والمحتاجين وستر عراهم وزار البيمارستانات وخدم المرضى* وكان في آرائهِ شديداً محافظاً على قوانين الكنيسة. ويعاقب الذين يتجاوزونها. فأخذ بعض الناس يعادونهُ. وأثاروا عليهِ فتناً شديدة حتّى حمّلوا الملك عليهِ. ولكنّهُ لم يبالِ بكلّ ذلك بل ما زال يحبّ أعداءَهُ ويهتمّ باستعطاف قلوبهم إليهِ. فلمّا لم تنجع أتعابهُ أوحى إليهِ الله بأن ينطلق إلى أرض فرنسا وظهر لهُ الحلم أيضاً مار توما مطران كنتربري وحثّهُ على ذلك. فذهب واختلى في دير نُبِتنْبي. وبقي هناك مدّة عاكفاً على القراءة والدرس والصلوة والوعظ في الجهات المجاورة. وألّف كتباً شتّى منها الكتاب البديع الذي سمّاهُ مرآة الكنيسة* ثمّ وقع مريضاً فطلب القربان المقدّس. وتناول بشوق وحبّ وحرارة حتّى تحرّك الحاضرون إلى البكاء. ثمّ تزوّد بسائر أسرار الكنيسة وتوفّي في اليوم السادس عشر من تشرين الثاني سنة ١٢٤٣ للمسيح. وقُبر جسدهُ في الدير* وفي يوم دفنتهِ جرت ثلاث أعاجيب. وتكاثرت من بعد ذلك الآيات الربانيّة على قبرهِ بحيث انّ البهائم أيضاً نالت منهُ منّة الشفاء*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السابع عشر *

غريغوريوس العجائبي

وُلد غريغوريوس في مدينة قيصريّة في آسيا الصغرى. وكان أبواهُ غنيّين حسيبين وثنيّين* فلمّا نشأ وأبان عن ميل إلى التقوى والعلم أُرسل إلى الاسكندريّة. وفي أثناء الدرس اهتدى إلى معرفة الله الحقّ. ورأى جليّاً ضلالة الوثنيّة. فرفضها. وأضحى بين الدارسين نموذجاً وقدوةً للجميع في سيرتهِ وعلمِه* فانّهُ قبلما تعمّذ أيضاً كان حسن السيرة وديعاً عفيفاً فاضلاً* وأخذ الأشرار يبغضونهُ إذ انّهم رأوا في سيرتهِ المرتبّة الطاهرة تبكيتاً لرذائِلهم ومنكراتهم. فتشاوروا وعلّموا إحدى النساء الشهيرات بالعهارة ان تطلب منهُ حق اغتصابها في حضور جماعة صالحة. فجاءتهُ ذات يوم وهو يتحادث في مسألة علميّة مع بعض الفلاسفة. وشكتهُ بأنّهُ اغتصبها عدّة مرار إلى القبيح ولم يعطِها جزاءَها أبداً. فسكت ولم يتحرّك للمحاماة عن نفسهِ. غير انّ الحاضرين طردوها وأبعدوها. لأنّهم علموا جيّداً بأنّ ذلك بهتان* وكان في ذلك العصر أُوريجنيس الملفان الشهير يعلّم العلوم الإلهيّة في مدرسة الاسكندريّة. فتتلمذ غريغوريوس لهُ. وبرع خصوصاً في معرفة معاني الكتاب المقدّس* ثمّ عاد إلى قيصريّة. وكانت إذ ذاك مشحونة بالوثنيّين. ولم يكن فيها سوى ستّة عشر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نصرانيّاً. فواظب على عبادة الله والعمل بالفضائل المسيحيّة* فلمّا فطن أسقف أماسية بحال النصارى الذين بقيصريّة وبلغتهُ شهرة غريغوريوس شاء أن يرسمهُ أسقفاً عليهم. فأرسل يستدعيهِ إليهِ. فلمّا علم غريغوريوس بذلك. أخذ يهرب من مكان إلى مكان ليتفلّت منهُ. ولكنّهُ أدركهُ أخيراً ورسمهُ*

فقام غريغوريوس بذلك أحسن قيام وبذل وسعهُ في فلاحة كرم الربّ في قيصريّة. وأيّدهُ الله بعونهِ لمدافعة الوثنيّين واستئصال ديانتهم من قيصريّة* وكانت الشياطين تضجّ وتعوي لخوفها منهُ. وحدث يوماً انّهُ إذ كان مارّاً في إحدى الطرق أخذت السماء تمطر مطراً غزيراً فالتجأ إلى هيكل أَفلُّو. وعند دخولهِ إليهِ رسم الصليب عليهِ. وطلب من الله أن يخرج منهُ الشيطان الذي فيهِ. ثمّ بعد ذلك خرج من الهيكل ودخل في أثرهِ كاهن وثنيّ ليقرّب القرابين. وحين دخولهِ سمع ضجيجاً وعويلاً والشيطان يقول: انّني لا أقدر على الدخول إلى الهيكل بسبب غريغوريوس* فلحق الكاهن في أثر غريغوريوس وطلب إليهِ أن يأذن للشيطان في الدخول إلى الهيكل. فلم يرضَ القدّيس. وإذ تأمّل هذا الوثني خير التأمّل في هذهِ القضيّة. جاء إلى غريغوريوس وطلب منهُ أن يعلّمهُ حقيقة الديانة النصرانيّة. فشرحها لهُ وأيّد قولهُ بآيات اقترحها أمامهُ في تلك الساعة. فانحاز إلى النصرانيّة هو واهل دارهِ قاطبةً. ولمّا شاع في المدينة خبر هذا الحادث العجيب جاءَهُ جمٌّ غفيرٌ منهم. ورفضوا بين يديهِ ضلالة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الوثنيّة. وتمسّكوا بالايمان الحقّ. فكسروا الأصنام وأقاموا مكانها كنيستةً* وحدثت بعد ذلك زلزلة عظيمة في المدينة حتى خربت بها العمارات كلّها ما عدا الكنيسة التي أقامها القدّيس. فصار الناس جميعاً يتّخذونهُ إنساناً سماويّاً ويحترمونهُ ويعتبرون قولهُ حق الاعتبار. وكان الذي لا يوقّرهُ يحلّ بهِ عقاب الله* وجرت على يدهِ عجائب باهرة سامية. وذلك انّهُ فشا في إحدى السنين الوباء في قيصريّة. فكان كلّ مَن يدعو لهُ القدّيس يسلم من الموت. فكثر بذلك عدد النصارى في المدينة* وطلب منهُ يوماً أهل مدينة قرمانا أن يوافيهم لينصب لهم أسقفاً. فعند وصولهِ عرضوا عليهِ عدّة أناس موصوفين بالعلم والبلاغة. فرفضهم. واعلمهم بأنّ فضل الأسقف متوقّف على القداسة والتقوى. فذكروا لهُ الكسندر الفحّام. وكان هذا قد ترك العلم والمعارف وصار فحّاماً للتواضع. وقصدوا بذلك أن يسخروا بهِ. فلمّا أحضرهُ واختبرهُ رسمهُ لهم أسقفاً. وكان الله قد أوحى إليهِ بذلك*

ومن عجيب ما حدث لهُ أنّهُ إذ كان راجعاً يوماً إلى المدينة مكر بهِ اثنان من اليهود. وذلك أنّهما تشاوروا على أن يتماوت أحدهما ويجلس الآخر على قارعة الطريق يبكي ويطلب الصدقة للميّت بحجّة أن يبتاع لهُ كفناً ويجهّزهُ للدفنة. فلمّا مرّ القدّيس وطلب منهُ اليهودي الصدقة لدفن المائت خلع رداءَهُ واعطاهُ إيّاهُ وواصل طريقهُ. فلمّا غاب القدّيس شرع ذلك اليهودي يتقهقه ضحكاً ويعالج ليقيم رفيقهُ ليقصّ عليهِ الخديعة التي بها خدع غريغوريوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مع كونهِ ذا جاهٍ ومنزلة عظيمة عند النصارى. فلم يفِق رفيقهُ. لأنَّهُ مات منذ وضع عليهِ رداء القدّيس. فصارت هذهِ عبرة أظهر بها الله العقاب الذي يستحقّهُ أولئك الذين يسخرون بقدّيسي الله وأصفيائهِ*

وفي تلك الأيّام اشتدّ الاضطهاد على النصارى بأمر الله داقيوس. وقدحت نارهُ في كلّ المملكة. فرأى غريغوريوس أن يختفي من هذا الاضطهاد لخير كنيستهِ. فاختلى هو وشمّاسٌ لهُ في أحد الجبال. فلمّا أحسّ بهِ الوثنيّون أرسلوا في طلبهِ. فذكر لهم واحدٌ من الوثنيّين المكان الذي رآهُ فيهِ مختفياً. فأرسلوا إليهِ جنداً ليأتوهم بهِ. فلمّا ذهبوا أغشى الله على بصيرتهم وحجبهُ عنهم. فلمّا علم بذلك الواشي بهِ اعترف بالله وقوّتهِ. فرفض الوثنيّة وآمن* ثمّ زال الاضطهاد. فعاد القدّيس إلى رعيّتهِ. ورسم أيّاماً معلومة في السنة فيها يُصْنَع ذكر الذين أعطوا أعناقهم من أجل الديانة في ذلك الاضطهاد. ثمّ أخذ يزور رعيّتهُ ويفتقد حالهم وينظمهُ. فرأى انّ المدينة كلّها قد تنصَّرت. ولم يبقَ من الوثنيّين الاّ عدد نزر يبلغ ستّة عشر. فشكر الله على ذلك. وطلب إليهِ أن يحفظهم ويصونهم ثابتين على الايمان المستقيم*

ولمّا علم بقرب وفاتهِ أخذ يتجهّز للرحيل من الدنيا إلى الآخرة. فأوصى جماعتهُ بأن يقبروهُ في محلّ منفرد خاصّ. بل يلقوا جسدهُ في أوّل هوّة يصادفونها* ومات القدّيس في ١٧ تشرين الثاني سنة ٢٦٦ للمسيح في أيّام غاليانس الملك. وقُبر جسدهُ في الكنيسة. وأجرى الله على يدهِ عجائب كثيرة. أشهرها ما جرى في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حدوث زلزلة في المدينة ضُرب بها جانب عظيم من المدينة ما خلا الكنيسة التي قُبر فيها جسد القدّيس*

وخلّف غريغوريوس عدّة كتب. منها كتابهُ في سرّ الثالوث المقدّس. وهو مذكور في اخبار المجمع الخامس المسكوني*

وقد خلّف لنا قصّة هذا القدّيس غريغوريوس أسقف قيصريّة غريغوريوس النوسيّ. وباسيليوس أخوهُ. وقال عنهُ: انّ غريغوريوس العجائبي قد أنار بيعة الله مثل مشعل نيّر. وقاوم الشياطين كثيراً. وكانت تهابهُ وتهرب منهُ. وإذ صار أسقفاً لم يكن في رعيّتهِ سوى ستّة عشر شخصاً من النصارى. ولكنّهُ بعد ذلك جذب إلى ايمان يسوع المسيح كلّ الوثنيّين الذين كانوا في المدينة والقرى* ولكثرة الأعاجيب التي جرت على يدهِ في حياتهِ ومماتهِ سُمّي العجائبي*

* اليوم الثامن عشر *

مار رومانس وبارُلاّ الشهيدان

انّ رومانس كان شمّاساً في كنيسة قيصريّة فلسطين. وجرى لهُ انّهُ رحل عن بلدتهِ فحلّ في أنطاكية* وفي ذلك الزمان ثار فيها اضطهاد شديد على المسيحيّين. وصاروا في خوف لشدّة العذابات بحيث انغلب بعضهم لضعف الطبيعة. فطفق رومانس يحرّضهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جهراً ويشدّد عزمهم على الثبات واحتمال العذابات. وفيما كان يوماً يخاطبهم بذلك في الكنيسة أقبل اسقلابيدس الوالي بجملة من الجند ليهجم على الكنيسة ويخرّبها. فخرج القدّيس ومثل بين يديهِ وقال لهُ: أيّها الوالي انّ غلبتك ليست بكاملة كما تخال. فانّ الله قد حفظ لهُ أبطالاً بيننا هيهات أن تكسرهم* فاغتاظ الوالي ووجّه نحوهُ سورة غضبهِ فأوقع بهِ هو وأعوانهُ. وعذّبهُ بأشدّ العذابات. فلم يتزعزع القدّيس شيئاً. بل قال لهُ: كفّ عمّا تقاوم بهِ الله القدير على كلّ شيء. وكيف تخال انّك تتغلّب على السيّد يسوع المسيح الذي هو وحدهُ الملك الحقيقيّ على العالم بأسرهِ. فازداد الوالي حنقاً وحكم عليهِ بالحريق. فانطلقوا بهِ إلى خارج المدينة ودمهُ يسيل من كلّ جهة. فأوقدوا ناراً في محلّ اختاروهُ. ووضعوهُ على النار الموقدة. وكان قد خرج جماعة كبيرة من اليهود لمشاهدة الواقعة. وفيما هم يهزأون بالنصارى وبالنصرانيّة وبصاحبها يسوع المسيح اكتست السماء بغيوم وهطلت في الحال أمطار غزيرة مع بَرَد كثير. فخمدت النار بالمياه وتشتّتت الجماعة. فبادروا إلى إخبار الملك بذلك. وكان يومئذٍ موجوداً في انطاكية. فارتعب الملك وأرسل إلى الوالي وقال لهُ: كفّ عن تعذيب رومانُس. وخَف من هذا الاله السماء الذي أظهر تحزّبهُ لهُ. فلم يرتضِ الوالي بذلك بل أقنع الملك فأباح لهُ بقطع لسانهُ. ثمّ ألقاهُ في السجن. ولكنّ الله مع كلّ ذلك جاد عليهِ بالتكلّم. فبُهت من ذلك الوثنيّون. وظنّ الوالي انّ الذي قطع لسانهُ لم يستأصلهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من أصلهِ. فأمر بإحضارهِ. وكان هذا قد حفظ عندهُ لسان القدّيس. فلمّا جاء أظهرهُ وبيّن انّ تكلّمهُ لم يكن ناتجاً إلاّ عن أعجوبة لا عن بقيّة جانبٍ من اللسان بلا قطع*

ومن عجيب ما حدث في جهاد رومانس انّهُ بعد ما شرح شرحاً يسيراً للوالي أصول الديانة المسيحيّة وبيّن لهُ صحّتها. أعقب ذلك ببرهان سهلٍ بيّن في إيضاح حقيقتها. ومضمونهُ أنّهُ ادّعى انّ الوثنيّين لا يذعنون لحقيقة الديانة المسيحيّة الاّ لسبب تعصّبهم وبغضتهم البليغة للنصارى لا لسبب آخر. وقال انّ الطبيعة المجرّدة من التعصّبات الخالية عن الأغراض تشهد للنصارى بصحّة دينهم. وتعاهد معهُ على أن يُحضر صبيّاً عمرهُ سبع سنين ايّاً شاء ويسألهُ عن الديانة المسيحيّة والديانة الوثنيّة. فرضي الوالي بذلك. ودعا صبيّاً صغيراً جدّاً اسمهُ بارُلاّ فسأَلهُ القدّيس قائلاً: قل لنا يا بُنيّ ما بدا لك في شأن عبادة الإله الواحد والايمان بيسوع المسيح. وفي شان عبادة آلهة كثيرة. أيّ الأمرين تظنّهُ الاصوب والأوفق للحقّ. فقال الطفل وهو يبتسم: انّ الذي يعبدهُ الناس وهو الذي يسمّونهُ الله يقتضي أن يكون واحداً من دون شكّ. وهذا الإله الواحد لهُ ابن واحد وهو إله واحد مع أبيهِ. وهو الذي يُعرَف بيسوع المسيح. امّا أمر وجود آلهة كثيرة أكثر من واحد. فهذا ممّا لا يصدّقهُ الصبيان أنفسهم* فاندهش الحاضرون قاطبةً من هذا الجواب. والتفت إليهِ الوالي وقال لهُ: من علّمك ذلك. قال: امّي. وهي قد تعلّمت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذلك من الله. فأرسل في طلب أمّهِ. فلمّا حضرت. شرع يعذّب ابنها أَمام عينيها. فعرّاهُ من ثيابهِ. وعلّقهُ على عمود. وجلد ذلك الجسد اللطيف الطريّ جَلْداَ قاسياً. فجرت دماؤهُ من كلّ جهة. وانفجرت أحشاؤهُ عن حليب. وحنّ جميع الواقفين لهذا المشهد الموجع. وبكى لهُ الناس أجمع حتّى الجلاّدون أنفسهم. الاّ الوالي وأمّ الطفل فانّهما لم يسكبا ولا دمعةً واحدة. أمّا الوالي فلتصلّب قلبهِ. وأمّا أمّهُ فلأَنّ المحبّة الإلهيّة تملّكت على قلبها كلّ التملّك وتغلّبت فيها النعمة على الطبيعة نفسها. حتّى انّها دنت منهُ وأخذت تزيدهُ حرارةً وشجاعةً وثباتاً على ما هو فيهِ من العذاب. وعطش الطفل لشدّة الضرب وهيجان دمهِ عطشاً شديداً. فطلب ماءً ليشرب. فاقبلت إليهِ أمّهُ حينئذٍ وونّبتهُ على ذلك وحرّضتهُ على الاحتمال بكلمات رقيقة لطيفة مسّت جنانهُ. ثمّ وصفت لهُ اللذّات التي هو مزمع أن يحصل عليها بعد قليل في الملكوت جزاءً لهُ على اصطبارهِ واحتمالهِ. وألظت قلبهُ بنار المحبّة الإلهيّة وأوغرت صدرهُ بالأفراح الغير الزائلة* ثمّ انّها لكي تزيدهُ ثباتاً وحرارةً رأت أن تورد لهُ من الأخبار السالفة أمثال صبيان كثيرين قاسوا أشدّ العذابات من أجل الله سبحانهُ وتعالى فارحين مسرورين إلى آخر نسمة من حياتهم* فذكرت لهُ أوّلاً قصة اسحق الذي أخذهُ أبوهُ ابراهيم إلى الجبل وقدّمهُ بيدهِ ضحيّةً لله بموجب أمرهِ تبارك وتعالى* ثمّ قصّت عليهِ قصّة الشهداء المقابيّين الذين عذّبهم انطيوخس. وحكتهُ انّ امّ هؤلاء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشهداء المقابيّين السبعة كانت لا تهدأ البتّة من تحريض واحدٍ واحدٍ منهم في حين عذابهم* أَمَّا بارلاّ الطفل فكان كلّما سمع من أمّهِ مثالاً جديداً يتسلّى قلبهُ تسلية أعظم. وتلوح على وجههِ علامات السرور والفرح. ثمّ أخذهُ الوالي وألقاهُ في السجن. وقادتهُ إليهِ أمّهُ نفسها* ثمّ أمر الوالي بإحضار رومانس ليبتدأُوا أوّلاً بعذابهِ من حيث انّهُ صار سبباً لهذهِ البلبلة كلّها. فلمّا أتوا بهِ أمر الوالي الشُرَطَ بتعذيبهِ. فتناولوا سياطهم الحديديّة ليمتثلوا أمرهُ. فشرع القدّيس يخاطبهم ويحرّكهم على أن يعجّلوا في إبادتهِ. ويعيبهم على وهنهم وقلّة بأسهم إذ انّهم أبطأوا في إهلاكهِ طول تلك المدّة. فاحتدم الوالي غضباً. وقال لهُ: من حيث انّك تتوق إلى الموت بدون اصطبار. فاعلم انّك في أقرب وقت ستُحرَق وأنت حيّ وتضحي رماداً. ففرح القدّيس. ثمّ اطرق الوالي برهةً فقال: ولكن أي منفعة من الابطاء في معاقبة الشرّ. فأمر بإبادة كليهما جميعاً. وجزم أن يُقطَع رأس الصبي. وأن يُحرَق القدّيس. ففُعل بهما كما أمر الوالي. وكانت امّ الطفل حاضرة تشاهد عذاب ابنها وتقوّيهِ* وكان جهادهما في سنة ٣٠٣ للمسيح*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم التاسع عشر *

مار برلعام ـ القدّيسة اليشباع

مار برْلَعام

انّ برلعام وُلد في قرية من أعمال انطاكيّة. وقضى أوّل سنيهِ في فلاحة الأرض متفرّغاً للتقوى وعمل الصلاح. وبذلك استعدّ لاكليل الشهادة* وكانت حقائق الإنجيل منطبعة في عقلهِ بأبلغ نوع. بحيث أنّهُ أخزى علماء هذهِ الدنيا وأخجلهم* ولشدّة ما أظهرهُ من الغيرة والنشاط في المحاماة عن النصرانيّة أحسّ بهِ الوثنيّون. فقبضوا عليهِ وحبسوهُ في مدينة انطاكيّة. فأقام في السجن مدّة مديدة صابراً على الشدائد التي تصيبهُ وطالباً العون من الله. ثمّ أُحضر بين يدي الوالي للمحاكمة. فحكم عليهِ بالجلد. فجُلد حتّى سُحِقت عظامهُ. ثمّ تهدّدهُ الوالي بالموت. ووضع قدّامهُ سيوفاً مسلولة وحربات حادّة ملطّخة بدم الشهداء. فسُرّ القدّيس بذلك وأظهر بشاشة عجيبة. ثمّ أُعيد إلى السجن. ثمّ أُخرج منهُ بأمر الوالي. وسيق إلى هيكل الأوثان. وأُقيم أمام المذبح حيث تتّقد جمرات النار وقد أُعدّت للبخور اكراماً للآلهة. فوضعوا يدهُ فوق النار. وظنّوا انّهُ لا يطيق احتمال ذلك. لكنّهُ صبر ولم يحرّك يدهُ البتّة. فبُهت من ذلك الحاضرون أجمعون*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ دعاهُ الله بعد هذا بقليل إلى الخدر السماويّ. وكان ذلك في أيّام الملك ديوقلطيانس*

القدّيسة اليشباع أو اليصابات ابنة ملك هنغريّا

انّ اليشباع كانت ابنة اندراوس ملك هنغريّا. واتّصفت منذ أوّل أيّامها بمحبّتها الجزيلة للقريب. وصار لها ولع شديد في العبادة والتقوى. وأكثرت من زيارة المعابد. وجعلت لها في القصر الملكيّ معبداً. وما برحت تقيم فيهِ ساعات كثيرة للصلوة* واتّخذت لها شفيعةً العذراء الطوباوية مريم. وتعبّدت أيضاً لمار يوحنّا الإنجيليّ*

ثمّ زوّجها أهلها من أمير ثورنجة. وكان رجلاً فاضلاً عاقلاً. فلم تغيّر شيئاً ممّا كانت هي عليهِ بعد الزواج. بل أخذت تتقدّم لاكتساب الفضائل يوماً فيوماً* وكان تنهض في نحو نصف الليل من المنام وتصلّي* ومارست التواضع البليغ في ثيابها وسيرتها. وما برحت تشتغل هي وبناتها بشغل اليد لكي تتصدّق على الفقراء من ثمرة تعبها*

وكان ملاصقاً لقصرها منزلٌ للغرباء. فصارت تداريهم وتخدمهم فضلاً عن انّها كانت تعول كلّ يوم تسعمائة فقير. عدا الذين كانوا يقصدونها في بعض الأيّام خلاف العادة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وامتحنها الله بتجارب عديدة. فصبرت عليها الصبر الجميل ولذلك استحقّت أن يتجلّى لها الله بعض الأوقات في ساعة الصلوة ليعزّيها ويسلّيها* وكانت دائماً تزداد حرارةً في تأمّلاتها وصلواتها. وحدث مرّةً انّها بينما كانت تصلّي وقعت نار على ثيابها فاحرقتها. فلم تشعر بها* وكان الذين يجلسون بقربها وقت صلواتها يشعرون بحرارة محسوسة تخرج منها وتُؤثّر فيهم* وكانت تعتني خصوصاً في مداراة الفقراء والمرضى وتقوم هي نفسها في خدمتهم. ولا تتكرّه من قروحهم. وتلاطفهم وتجزل لهم ما يحتاجون إليهِ*

ثمّ أراد الله أن يجازيها على فضائلها هذهِ وأعمالها الصالحة. فانبأها بقرب موتها. فوقعت في حمّى شديدة وتزوّدت بالأسرار المقدّسة استعداداً للرحيل من هذا العالم. ثمّ التفتت إلى جميع من كان حاضراً عندها. ووعظتهم وحرّضتهم على عمل الخير والتصدّق على الفقراء. وتوُفّيت في اليوم التاسع عشر من تشرين الثاني من سنة ١٢٣١* فتقاطرت الناس أفواجاً لمشاهدة جثّتها وللتبرّك منها. فبقيت أربعة أيّام بدون دفنة لازدحام الزائرين. ثمّ قُبرت في مَرْبُرغ إحدى قُرى جرمانيا. وأجرى الله على قبرها آيات كثيرة باهرة. من جملة ذلك عاد بشفاعتها إلى الحيوة ستّة وعشرون ميّتاً*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم العشرون *

مار فيلكس (أي سعيد) دي بالواس

وُلد فيلكس في سنة ١٤٢٧ من نسل الشرفاء والأمراء في بلاد فرنسا. وعمّذهُ القدّيس هوغُس أسقف مدينة روُين* فنشأَ هذا الصبيّ مزيّناً بالفصائل السنيّة وخاصّةً بفضيلة محبّة القريب والفقر بحيث انّهُ لم يردّ فقيراً أبداً* ووافاهُ يوماً الربّ تقدّس اسمهُ بزيٍّ بشريّ وطلب منهُ ثيابهُ ورداءَهُ صدقةً. فأعطاها من دون تمنّع. فخلّى سبحانهُ الثياب وغاب*

وفي تلك الأيّام اشتهرت الحروب الصليبيّة. فأبا فيها القدّيس عن شجاعة وغيرة وتقوى* ثمّ انّهُ إذ رآها ذات عاقبة غير حميدة رجع إلى باريس وتمسّك بالسيرة الاقليرسيّة. فسيم قسّيساً. وفضّل خدمة الله على التاج الملكي وهجر الدنيا وانقطع في منسك كان قديماً مسكن القدّيس افيكَر. وتفرّغ هناك لاكتساب الفضائل السامية في أبلغ نوع. فصار يضاهي القدّيس انطونيوس وهيلاريون في عيشتهما النسكيّة. وكان الله يرسل إليهِ في كلّ يوم أحد جرّة ماء مع قليل من الخبز لقوتهِ. مثلما جرى لمار بولس الناسك* وهاجت عليهِ الشياطين لتجرّبهُ وتسقطهُ. فاستعان بالنعمة الإلهيّة وظفر بهم على الدوام*

فلمّا مضى على نسكهِ هذا مدّة عشرين سنة زارهُ مار يوحنّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

دي ماثا الناسك وأخذا بمخاطباتٍ مقدّسة. وبينما هما جالسان على عين ماء رأيا غزالاً مقبلاً إلى العين ولهُ في مفرقهِ صليب ملوَّن بالأحمر والأزرق. فلم يفهم فيلكس معنى ذلك. غير انّ يوحنّا أخبرهُ بأن قد ظهرت لهُ هذهِ الآية قبل ذلك مراراً. وأشار الله إليهِ بهذا أن ينشئ أخويّة لأجل عتق العبيد. ثمّ بعد ذلك ظهر لهما ملاك وأمرهما بأن ينطلقا إلى الحبر الأعظم. ويقصّا عليهِ ما شاهدا. فتوجّها إلى رومية. وكان البابا يومئذٍ انّوكنتيوس الثالث. فاستقبلهما أحسن استقبال. وكان الله قد سبق وأعلن لهُ بواسطة آية أمر إنشاء رهبنة في شأن عتق العبيد. فلمّا عرضا عليهِ ما حدث لهما أجاب إلى سؤالهما. ولبّسهما ثوباً أبيض فيهِ صليب أبيض وأزرق. وعمل لهما قوانين خصوصيّة. وبذلك نشأت رهبنة الثالوث المقدّس من أجل عتق العبيد* وبعد ذلك عادا إلى فرنسا. ودعوا الناس إليهما. ثمّ أقاما ديراً في المحلّ الذي فيهِ لاح لهما الغزال المشار إليهِ* فكثر فيه الرهبان وتولّى أمرهم فيلكس. ثمّ أخذت الرهبنة بالاتّساع. فنصب عدّة أديرة في فرنسا. وافرغ وسعهُ في تثقيفهم واعدادهم إلى الرسالة النفيسة التي باشروها* وظهرت لهُ العذراء وبيّنت لهُ المجد الذي أُعدّ لهُ في الملكوت جزاءً لهُ على فعلهِ. واذاقتهُ شيئاً من لذّة الملكوت. فصار يتوق إلى الانحلال من الجسد ليطير إلى الملكوت ويحصل على السعادة. فأتاهُ ملاك من قِبَل الله. وأنبأَهُ بقرب وفاتهِ. ثمّ وقع مريضاً فتزوّد بالاسرار للرحيل. وقال عند موتهِ: طوبى لذلك اليوم بهِ آثرتُ البرّيّة على القصر. يا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ما أطيب تلك الليالي التي قضيتُها في السهر والصلوات. يا ما أسعد تلك الدموع التي أذرفتُها على خطاياي. يا ما أحبّ تلك الاماتات التي بها قهرتُ جسدي. أنت يا ربّ اليوم تأخذني إلى السعادة الأبديّة* ثمّ حرّض الحاضرين على اقتناء الفضائل والكمال. وأسلم روحهُ. وكان ذلك في اليوم الرابع من تشرين الثاني من سنة ١٢١٢. وكان لهُ إِذ ذاك من العمر نحو خمس وثمانين سنة. وفي حين انفصال روحهِ من جسدهِ قُرعت النواقيس من ذاتها. وصار لهُ احتفال عظيم في وقت دفنتهِ. وجرت آيات كثيرة على يدهِ*

* اليوم الحادي والعشرون *

تقدمة العذراء إلى الهيكل

انّ الله سبحانهُ وتعالى قد أعطانا في قدّيسيهِ أمثلةً كثيرةً فاضلةً شتّى تحثّنا وتجذبنا إلى الأعمال الصالحة في كلّ أمورنا وفي مدّة حياتنا كلّها* ومن جملة ذلك المثال الذي تركهُ لنا القدّيسان الجليلان يوياقيم وحنّة أبوا العذراء مريم إِذ قدّما في مثل هذا اليوم ثمرتهما مريم إلى هيكل الله في أورشليم. وتركاها هناك لكي تنتشي وتتهذّب مع سائر المنذورات. لأنّهما كانا قد نذراها لله* وممّا حمل هذين الأبوين القدّيسين على هذهِ التقدمة ما عدا النذر الذي نذراهُ هو مشاهدتهما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّ مريم كانت منذ طفوليّتها تعمل أعمالاً حسنة تشير إلى النعمة الإلهيّة الغزيرة التي هي ممتلئة منها والتي تحرّكها على إعطاء هذهِ الدلالة والإشارات الجليلة السامية* فلمّا بلغت السنة الثالثة من العمر. ذهب بها أبواها إلى الهيكل ليقدّما للآب الأزليّ ابنتهُ وللابن الإلهيّ أمّهُ ولروح القدس عروسهُ في حضور الملائكة الذين هي ملكتهم. وفي حضور الناس الذين هي شفيعتهم وملجأهم. فسلّماها بيد الكهنة وطلبا إليهم أن يعتنوا بها. وفهّماهم أنّهما قد خصّصاها لله منذ أوّل دقيقة من عمرها* فتأمّل في العناية الإلهيّة التي دبّرت هذا الأمر بنوع انّها ألهمت حنّة ويوياقيم ان ينذر ابنتها ويقوما بانجاز نذرهما هذا فأضحى تخصيصها لله أمراً لائقاً مناسباً مستحبّاً. لأنّها منذ أوّل ما صُوّرت في الرَّحم اصطفاها الله بنعمتهِ الغزيرة وصانها من كلّ دنس. واختصّها لذاتهِ. فهي إذاً مخصَّصة لله تعالى منذ تلك الدقيقة*

فأخذ الكهنة الطفلة النجيبة وأصعدوها إلى المذبح. وانعكفت العذراء على الفضائل النفيسة السامية العجيبة. فبُهت منها جميع من وقف على أمرها* وقد قال القدّيس امبروسيوس: انّ العذراء لم تمل إلى مخاطبة الفتيات الأُخريات. فانّها كانت غالباً مشغولةَ البال هاذّةً بأفكار قدسيّة. وتتسلّى دائماً بوحدتها هذهِ بقراءة الكتب المقدّسة مصحوبةً بالملائكة ومرافقة بالأنبياء* وقال مار هيرونمس: انّ العذراء الطوباويّة كانت تقوم من النوم ليلاً قبل رفيقاتها. وكانت أيضاً خبيرة بشريعة الله أكثر الجميع. وأشدّهنّ تمسّكاً بالتواضع. وأحسنهنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اتقاناً في تسبيح أناشيد داود ومزاميرهِ. وأكثرهنّ حرارةً في المحبّة. وانقى في الطهارة وأكمل في سائر الفضائل* وكان كلامها دائماً مملوّاً نعمة. لأنّ الله كان على الدوام في فيها. وكانت تصلّي بدون انقطاع. وتهذّ في شريعة الله نهاراً وليلاً. وتتحفّظ على رفيقاتها لئلاّ يفُهن بكلمة غير لائقة وتحمد الله على الدوام وتسبّحهُ. وتضيف على هذهِ الأشياء شغل اليد كالنسج والغزل والخياطة. وتقرأ في الكتاب المقدّس. وتتوغّل في معانيهِ* وفي الاجمال انّ سيرة العذراء في الهيكل صارت أفضل مرآةٍ لنا في خصوص الكمال. لأنّها قد جمعت في نفسها الفضائل كلّها. وأضحت قدوةً لجميع المؤمنين وخاصّةً لأولئك الذين نذروا بتوليّتهم لله. فانّ العذراء من ذلك الحين نذرت بتوليّتها لله نذراً مؤبّداً* وبقيت في الهيكل إلى أن بلغت السنة الرابعة عشرة من العمر. وعند ذلك أوحى الله إلى الكهنة بأن يخطبوا لها رجلاً من ذرّيّة داود الملك* فجمع الكهنة جميع الرجال الذين هم من ذرّيّة داود الملك. وألقوا القرعة عليهم. فوقعت على يوسف من قبيلة يهوذا المولود في بيت لحم. وكان رجلاً قدّيساً فاضلاً كاملاً في السنّ. فالهمهُ الله بأن يتّخذ هذهِ الفتاة القدّيسة خطّيبة لهُ لكي يصونها ويحافظ على بتوليّتها لا لسبب آخر. وأوحى الله إلى العذراء نفسها أن تذعن لهذا الأمر صيانةً لبتوليّتها* واعلم أنّ الكنيسة الشرقيّة والغربيّة تعيّد هذا عيد تقدمة العذراء إلى الهيكل منذ زمان طويل*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثاني والعشرون *

القدّيسة كِكيلية العذراء الشهيدة

انّ أصل هذهِ القدّيسة من مدينة روميّة من سلالة الأغنياء وشرفاء المدينة* ثمّ انّها دعاها الربّ إليهِ انقادت إلى صوتهِ المقدّس وشرعت تحبّهُ محبّة قلبيّة صادقة. وأخذت محبّتها لله تعالى في ازدياد واشتداد حتى بلغت إلى آخر درجة. ولذلك فكانت على الدوام تحمل كتاب الأناجيل المقدّس. وتكثر من قراءَتهِ وتبذل مجهودها في العمل بموجبهِ. وتقهر جسدها بالأصوام والعذابات والتقشّف لكي ترضي عريسها الإلهيّ أحسن ما يكون*

فلمّا نشأت ككيلية أراد أن يزوّجها أبواها من أحد العظماء يقال لهُ والريانس. فأبت. غير انّ أبويها أصرّا على إجراء إرادتهما. فأخذت تسأل الله العون والمساعدة وتطلب إليهِ بحرقة قلب ان يصونها طاهرةً نقيّة. ثمّ صامت مدّة الأيّام الثلاثة السابقة ليوم العرس. فلمّا حضر يوم العرس وصار احتفال عظيم وفرح جزيل لجميع الأهل والأصدقاء بسبب عرسها شُوهدت هي وحدها في حزن واكتئاب. فلمّا أمسى المساء وانفردت هي بعريسها تحرّكت بإلهام الاهيّ وقالت لهُ: يا عريسي العزيز ان لبثت أميناً غير خائن معي على الدوام. أطلعتك بكلّ خاطري على سرّي. فحلف لها والريانس بذلك. فقالت: يجب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ان تعلم يا عزيزي انّني لي ملاك من لدن الله يرافقني دائماً. ويحافظ علي باهتمام وحرص. ولذلك فان رمتَ أن تصلني وصالاً زوجيّاً. أخاف عليك أن يبيدك. ولكن ان بقيت في رفقتي واحببتني على الدوام محبّةً طاهرة عفيفة. طاب لهُ ذلك. وأحسن إليك كلّ الإحسان. فتعجّب عريسها من هذا الكلام. وقال لها: ان كنتِ تريدين اقناعي بما قلتِ. فاجعليني أن أرى هذا الملاك الذي ذكرتِ عنهُ. والاّ فتحمليني على سوء المظنّة في تفضيلكِ شخصاً آخر عليّ بالمحبّة. فتكوني سبباً لأن أبيدكِ وابيدهُ. فاجابتهُ قائلة: انّ الأعين المظلمة لا تستطيع مشاهدة النور الساطع. فنفسك غير الطاهرة لا تتمكّن من رؤية الملاك. فان رغبت في رؤيتهِ فآمن بالمسيح ربّنا. وتطهّر أولاً بسرّ المعموذيّة من خطاياك وأوساخك. فاشتاق المذكور إلى مشاهدة هذا الملاك. وارتضى بقولها. وطلب إليها أن تعلّمهُ ما يقتضي لنوال العماذ. فدلّتهُ على البابا أُربانس. وكان مختفياً في إحدى مغائِر رومية من خوف الوثنيّين. فذهب إليهِ وعرض بين يديهِ ما جرى لهُ. فخرّ البابا ساجداً على الأرض. وشكر الربّ على هذهِ احساناتهِ إلى والريانس. وطلب لهُ النور والنعمة من الله. فلمّا نهض اربانس من صلاتهِ. ظهر لهما شيخ وعليهِ حلّة بيضاء يققة. وفي يدهِ قرطاس عليهِ كتابة بالذهب. فوقع والريانس على الأرض. فأقامهُ البابا وأمرهُ أن يقرأ. فقرأ. وكان فيها مكتوباً: ليس الاّ الاهٌ واحد وايمان واحد ومعموذيّة واحدة. فآمن بذلك. وغاب ذلك الملاك الذي ظهر بزيّ شيخ. ثمّ عمّذهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

البابا وأرسلهُ فرحاً مسروراً إلى قرينتهِ. فدخل عليها وهي قائمة للصلوة. ورأى بجانبها ملاك الربّ بزيّ شابّ حسن بديع بهيّ يسطع وجههُ نوراً وضياء. وبقي ينظر إليهِ. فرأى في يديهِ اكليلين من ورد وزنبق. عرض أحدهما عليهِ والآخر أعطاهُ لعروستهِ وهو يقول: انّ يسوع المسيح هو الذي بعث لكما هذين الاكليلين لكي تحبّاهُ من الآن فصاعداً محبّةً طاهرة نقيّة. واعلما انّ هذهِ الزهور لن تذبل أبداً ولا تنقص رائحتها الذكيّة. ولكن لا يشعر بها إلاّ من يحبّ العفّة والطهارة مثلكما. وأنت يا والريانس من حيث انّك صدّقت قرينتك في ما قالتهُ لك. فابشّرك بأنّ الله يحبّك محبّةً جزيلة وهو مستعدّ لإجابتك في كلّ ما تسألهُ إيّاهُ. فسجد على الأرض. وشكر الله شكراً بليغاً على هذه العمة السنيّة. ثمّ نهض وقال للملاك: انّي لا أبتغي شيئاً سوى أن أرى أخي طيبرتيوس يُؤمن كذلك بايمان المسيح. فاعلمهُ الملاك بأنّ الله قد استجاب طلبتهُ. ثمّ غاب* وجاء بعد زمان قليل طيبرتيوس لزيارة أخيهِ وقرينتهِ. فلمّا دخل عليهما. اشتمّ تلك الرائحة الذكيّة التي تفوح من الزهور السماويّة. فتطلّع. فلم يرَ شيئاً. فسأل عن ذلك وهو في غاية التعجّب. لأنّهُ لم يكن ابّان الزهور والورود. فأخبراهُ بكلّ ما جرى لهما. ثمّ بالغا في وصف ملكوت السماء والسعادة الأبديّة. وبيّنا لهُ زوال هذهِ الدنيا. فانشغفت قلبهُ بمحبّة الأفراح السماويّة. وطلب العماذ. فذهب والريانس بأخيهِ إلى البابا. فتعمّذ من يدهِ* ثمّ نال الأخوان اكليل الشهادة. وبعد استشهادهما أرادوا أن يضبطوا أموالهما. فقبضوا على ككيلية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأمروها أن تطلعهم على ثروة زوجها. فقالت لهم: ليس لهُ شيء بل انّ كلّ ما لهُ من الأموال وزّعهُ على الفقراء. فاتّخذ الحاكم ذلك حجّة عليها وأمرها بأن تقرّب للآلهة وتهدّدها بالقتل. فلم تبالِ بقولهِ. فأمر بسحبها إلى هيكل من هياكل الأوثان لتقرّب فيهِ قرباناً للآلهة. فلمّا صارت في الهيكل قالت للحاضرين: لا تتوهّموا. انّني لا أفقد شيئاً بموتي من أجل المسيح بل أنال بذلك شيئاً لا يوصف. ولذلك أنا واثقةٌ كلّ الثقة بأنّي سأحصل من لدن الله على حيوةٍ سعيدة أبديّة بدل هذهِ الحيوة الزائلة الفانية* وأيّ شين في تفضيل ما لا ثمن لهُ على البخس. والذهب الابريز على التراب. والصحّة على المرض. والحيوة على الموت. والغير الفاني على الزائِل. فلماذا يسؤكُم عملي في تقديمي جسدي للعذابات اليسيرة وللموت نفسهِ لكي أنال بذلك الدخول إلى خدر عريسي العزيز الفاخر المزيّن بأفضل الأشياء. وهناك اتقلّب في سعادة لا تزول ولا تنقص* فأصابت كلماتها هذهِ أعماق قلوبهم. فآمنوا بالسيّد يسوع المسيح. فذهبت بهم إلى دارها. واستدعت البابا لكي يعمّذهم. فشرح لهم حقايق الديانة المسيحيّة وعمّذهم. وكن عددهم نحو أربعمائة نفر*

ثمّ وُشِي بهم إلى الحاكم. فاحتدّ غضباً. وأفرغ كلّ وسعهِ في اجتذاب ككيلية إلى السجود للأصنام. فلمّا عجز. حبسها في جرن معدنيّ فسيح. وأوقد النار تحتهُ لكي تميت ككيلية بسورة حرارتها. ولكنّها بقيت فيهِ مدّة يوم صحيح وهي لا تشعر البتة بقوّة النار* فأخرجها الحاكم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهو منزعج محتدم غضباً وأمر بقطع رأسها. فضرب السيّاف عنقها ثلاث دفعات ولم ينفصل رأسها. بل انجرح جروحاً فقط* ثمّ ذهبت إلى دارها وتراكم عليها المؤمنون لزيارتها. وجاء في جملتهم البابا المومى إليهِ أيضاً. فسلّمتهُ جميع ما لها ليوزّعهُ على المساكين والمحتاجين. ثمَّ بعد مرور ثلاثة أيّام سلّمت روحها بيد الله. وكان ذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني من سنة ٢٣٢ للمسيح* وقُبر جسدها باكرام في المقبرة المعروفة بمقبرة مار قلّسطُس. واتُّخِذت دارها كنيسة*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار اقليميس البابا الشهيد

انّ اقليميس كان من مدينة روميّة. وكان بينهُ وبين دومطيانس الملك قرابة جنسيّة. وتتلمذ لمار بولس الرسول إذ كان يبشّر بالايمان في مدينة روميّة. فاتّخذهُ الرسول المذكور معاوناً لهُ على التبشير بالإنجيل كما يشهد هو بنفسهِ في رسالتهِ إلى أهل فيلبّي إذ يقول عن اقليميس انّهُ جاهد معهُ في التبشير وانّ اسمهُ مكتوب في سفر الحيوة* ثمّ تتلمذ أيضاً لبطرس رأس الرسل. فرسمهُ مار بطرس أسقفاً ليكون لهُ خليفةً في كرسيّهِ بروميّة* غير انّهُ لشدّة اتّضاعهِ تمنّع من الجلوس على الكرسيّ الرومانيّ بعد موت بطرس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فجلس عليهِ لينُس. ثمّ اقليطس. وبعد اقليطس جلس اقليميس الذي نحن قاصّون سيرتهُ* ومن جليل أعمالهِ انّهُ اهتمّ بكتابة سِيَر الشهداء الذين أعطوا أعناقهم من أجل ديانة المسيح في روميّة. وجاهد كثيراً في الانذار ببشارة الإنجيل. فنما على يدهِ عدد النصارى* وعاش بتولاً. فاقتدى بهِ كثير من الذين آمنوا على يدهِ بايمان المسيح. ومن ذلك انّهُ خصّص لله فلابية دومِتِلّة العذراء ابنة اخت دومطيانس الملك*

ومنَّ الله عليهِ بكرامة افتعال العجائب. وجذب بذلك عدّة من عظماء المدينة وشرفائها إلى الديانة المسيحيّة. فحمل الشيطان عدوّ الخير كهنة الأوثان على الانتقام منهُ. فوشوا بهِ لدى مامرتين حاكم روميّة. فاحضرهُ وعاملهُ بلطفٍ حرمةً لأصلهِ. وبعد ذلك فطن الحاكم بأنّ المدينة كلّها انقسمت إلى حزبين حزب يمدح اقليميس ويصف أتعابهُ وأعمالهُ الخيريّة الحسنة. وحزب يحتسبهُ ساحراً مسجّساً للراحة. فرأى أن يشاور الملك طرايانس في ذلك. فكان جواب الملك لهُ بأن يُكره اقليميس على التقريب للآلهة. والاّ فليُنْفَ إلى جزيرة خَرْسونيس التي في البحر الأسود. فعاد مامرتين إلى القدّيس وعرض عليهِ ثانيةً السجود للآلهة. فانثنى عليهِ القدّيس وجعل يحرّضهُ على أن يصير نصرانيّاً. وبيّن لهُ صحّة دين المسيح. فأذعن مامرتين لنعمة الله ولقولهِ. ودعا لهُ وهو يقول: رافقك الله الذي تعبدهُ في هذهِ المشقّات التي أنت مكابدها من أجل حبّهِ. ثمّ أعدّ سفينة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وسيّرهُ إلى المنفى وتبعتهُ جماعة كثيرة. وكان الملك طرايانس قد نفى إلى تلك الجزيرة عدّة من المسيحيّين. ففرحوا بقدومهِ إليهم. وسلاّهم هو وخفّف أتعابهم ومشقّاتهم مذكّراً إياهم بأفراح الملكوت المعدّة لهم. ثمّ اجترح أعاجيب كثيرة في ذلك البلد. من ذلك انّهُ انبع عين ماء غزير. فجذب بذلك جماعة كبيرة من الوثنيّين إلى ديانة الحقّ* فلمّا بلغ ذلك إلى الملك احتدّ غضباً وكتب إلى والي الجزيرة يأمرهُ أن يبيد المسيحيّين قاطبةً وعلى الخصوص اقليميس. فاستدعاهُ الوالي وأخذ يستميلهُ إلى عبادة الأوثان. فلمّا لم ينجع عملهُ وقولهُ أمر بوضع مرساة في عنقهِ وزجّهُ في وسط البحر* وكان لاقليميس تلميذان اسم أحدهما قرنيليوس والآخر قابيس. فطلبا من الربّ أن يُظهِر لهما جسد معلّمهما. فلمّا فرغا من الصلوة شرع البحر يتقهقر وانكشفت مسافة كبيرة من قعرهِ. فسارا فيها بجماعة من المسيحيّين. فوصلوا إلى بيت مقبَّب كانت موضوعة فيهِ جثّة القدّيس وبجانبها المرساة التي وُضِعت في عنقهِ* وهذهِ الآية الباهرة كانت تحدث في كلّ سنة في مثل يوم جهادهِ. والناس تتقاطر من كلّ ناحية لمشاهدة هذهِ الأعجوبة في ذلك الحين* وألّف اقليميس كتباً شتّى بديعة. وأشهر ذلك رسالة وجّهها إلى كنيسة قورنثس في شان ابطال سجس عظيم حدث في تلك الكنيسة* وكانت مدّة حبريّتهِ تسع سنين. وحدث جهادهُ في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من سنهِ ١٠٢ للمسيح*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع والعشرون *

مار يوحنّا الصليبي

وُلِد يوحنّا في مدينة أَيبيرة في كستيلية القديمة سنة ١٥٤٢. ومات أبوهُ بعد ولادتهِ بمدّة يسيرة. ولمّا نشأ وضعتهُ أمّهُ في المدرسة ليتعلّم المعارف مع انّها كانت فقيرةً* ثمّ خرج من المدرسة وعمرهُ ثلاث عشر سنة. وأخذهُ بعض الأشراف إلى أحد البيمارستانات في المدينة لكي يداري المرضى. فلاحت عند ذلك رحمتهُ وشفقتهُ على المرضى والبائسين. وأخذ يداريهم بلطف ومحبّة. ويصرف ما بقي لهُ من الوقت في الدرس والقراءة. فبرع في ذلك. ولمّا بلغ السنة الخامسة عشرة من العمر واصل درسهُ في مدرسة الآباء اليسوعيّين. وفاق على رفاقهِ قاطبةً* وما زال عقلهُ مشغولاً بمحبّة الله. وهو منصبّ إلى اقتناء الفضائل* فلمّا كانت سنة ١٥٦٢ دخل دير الكرمليّين. ثمّ سيم قسّيساً. فأخذ حينئذٍ يزداد غيرةً ونشاطاً. ولم يكن يقدّس القدّاس الاّ بعد أن يكون قد استعدّ لهُ بالتقشّفات والصلوات الحارّة. وصار لهُ ولع شديد في التأمّل بآلام سيّدنا يسوع المسيح* وكانت الرهبنة الكرمليّة إذ ذاك قد تداخلها تهاون وبلبلة وبرودة عظيمة. وكانت القدّيسة ترازية قد باشرت إصلاح الرهبنة وتشديد قوانينها وضوابطها. فاتّخذت يوحنّا معيناً لها في هذا العمل لما رأتهُ فيهِ من الفضائل السامية وحبّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكمال* فاهتمّ بإصلاح الرهبنة الكرمليّة. وأقام ديراً في قرية دُرْوكل بموجب الإصلاح الذي أجراهُ في القوانين في سنة ١٥٦٨. وسُمّي منذ ذلك الحين باسم يوحنّا الصليبيّ. ولبث يوحنّا في ذلك الدير نحو سنة ونصف. فشاع صيت الكرمليّين القاطنين في دُرْوكل وأخذ الجميع يوافون لمشاهدتهم والاقتداء بهم* ثمّ انتقل أهل هذا الدير إلى مدينة منزيرة. وبنوا لهم ديراً فيها. واقتضى إذ ذاك أن ينطلق يوحنّا إلى مدينة القلعة لكي يصلح دير الكرمليّين الذي هناك. فصارت سيرة أولئك الرهبان تحاكي سيرة الرهبان والنسّاك القدماء* ثمّ دُعي إلى دير الرهبنة الكرمليّة الذي في آفيلة. وصُيّر مرشداً ومعلّم اعتراف للراهبات الكرمليّات اللواتي كنّ فيهِ* فقاومت يوحنّا سائر أديرة الرهبنة الكرمليّة التي رفضت الإصلاح الذي أجراهُ يوحنّا في بعض اديرة الرهبنة المذكورة. واضطهدتهُ وعاملتهُ شرّ معاملة. حتّى انّهم امسكوهُ في دير توليد وحبسوهُ* فلمّا كان يوم عيد انتقال العذراء في سنة ١٥٧٧ ظهر لهُ يسوع ومريم وأشارا إليهِ أن يهرب من الدير. وأقرّا لهُ بالعون والمعاضدة. فقام في الليل. وانفتح في وجههِ باب الحبس. ففرّ هارباً. ووصل سالماً إلى دير المدُويار الذي جرى فيهِ الاصلاح المقول عنهُ. ومن ثمّ سيّرهُ روساؤُهُ إلى عدّة جهات ليقيم فيها أديرة بموجب القانون الجديد الذي باشر إدخالهُ. وكان يبذل كلّ مجهودهِ ووسعهِ في استكمال الفضائل في نفسهِ أوّلاً لكي تضحي سيرتهُ قدوةً للرهبان. ويبالغ في جلد نفسهِ وقمع جسدهِ بالتقشّفات المفرطة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولبس المسوح واستعمال القيود والسلاسل المشوّكة بشوكات حديديّة* وكان متواضعاً ويتنازل إلى أذلّ الأعمال وأحقرها مع كونهِ مقلّداً أفضل المراتب والمناصب في رهبنتهِ* فبعد أن جدّ واجتهد مدّة سنين كثيرة في ترجيع الرهبنة إلى رونقها الأوّل وطاف بلاداً كثيرة وأقام فيها أديرة غير يسيرة محتملاً بصبر ووداعة لا توصف مضايقات واعاقات واضطهادات أُثيرت عليهِ بسبب هذا الاصلاح الذي اعتنى في إجرائهِ. حان يوم رحيلهِ من الدنيا لأخذ جزاء أتعابهِ الفاضلة* فلمّا كان في دير بنيويلة اعترتهُ حمّى شديدة فرحل إلى دير اوييدة. فاشتدّ مرضهُ ولاحت في بدنهِ قروح كثيرة. واحتمل بصبر جميع المعالجات الصعبة التي عالجهُ بها الجرّاحون* ثمّ توفّي في اليوم الرابع عشر من كانون الأوّل سنة ١٥٩١. وهو يقول: يا ربّ بيدك اسلّم روحيّ. وجرت على قبرهِ كرامات كثيرة*

* اليوم الخامس والعشرون *

القدّيسة كاترينة العذراء الشهيدة

انّ كاترينة وُلدت في مدينة الاسكندريّة من سلالة الملوك. ونشأَت مكمّلة بالآداب والعلم. ماهرة في الحكمة والفلسفة. وظهرت لها العذراء مع ابنها يسوع في الحلم ليلةً. وحرّضتها على العماذ. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أفاقت كاترينة. تنصّرت وتعمّذت. ثمّ ظهر لها مرّةً أخرى يسوع المسيح وهو مصحوب بلفيف الملائكة والقدّيسين. وهنّأَها على العماذ. واتّخذها في حضرة أمّهِ مريم وسائر القدّيسين والملائكة عروسةً مؤَبّدة لهُ. وأعطاها خاتماً في اصبعها للدلالة على ذلك. فلمّا أفاقت من النوم رأت الخاتم في اصبعها*

وكان يومئذٍ مكسمينُس ضابط زمام الملك في بلاد المشرق بمدينة الاسكندرية. فأعطى أمراً بغصب الناس جميعاً على تقريب القرابين للآلهة. وتهدّد الغير الطائعين لأمرهِ بالموت لا محالة. فانقاد كثير من الناس لامرهِ* فلمّا فطنت كاترينة بذلك قامت وانطلقت إلى الملك وهو في الهيكل. فدخلت عليهِ. وكلّمتهُ بكلّ شجاعة وجراءَة وبيّنت لهُ الضلالة العظيمة التي هو فيها في تقريبهِ الذبائح للأوثان والتماثيل وفي الزامهِ الناس اتّباعهُ. ثمّ برهنت لهُ على وحدة الله خالق الأشياء كلّها. وفسّرت لهُ بوجيز الكلام حقائق الديانة المسيحيّة. فانزعج الملك كثيراً من سبب كلامها. وبقي مدّةً لا يطيق التكلّم. ثمّ قال لها بأنّهُ سيعطيها الجواب في قصرهِ بعد تقدمتهِ الذبيحة. فلمّا حضرت لديهِ في قصرهِ سأَلها عن أَصلها وعن كلامها لهُ. فقالت: انّ اصلي من سلالة الملوك. وهذا الأمر معروف ومشهور في المدينة كلّها. واسمي كاترينة* واعلم انّني قد قضيتُ عمري كلّهُ في درس البيان والمنطق. ولكنّي لا أعتدّ بشيء سوى كوني مسيحيّة. وانّ عريسي يسوع المسيح هو الاله الحقّ والإنسان الحقّ. ثمّ أخبرتهُ بالتفصيل عن سيرتها وايمانها. وأبانت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في ذلك كلّهِ عن حكمة وعقل ورزانة عجيبة. بحيث انّ الملك غدا متعجّباً منها. ولم يقدر على مجاوبتها* فدعا علماء مملكتهِ لكي يحاجّوها ويفحموها. واجتمعت المدينة كلّها المشاهدة ذلك. وكان عدد العلماء الوثنيّين خمسين. وكان لها من العمر يومئذٍ تسع عشرة سنة فأخذ العلماء يسألونها عن ديانتها والحقائق التي فيها. فاثبتتها لهم واحدةً واحدةً. ثمّ دحضت خرافاتهم. وفنّدت أقوالهم كلّها في شأن الآلهة الكذبة. فاقرّ العلماء كلّهم لها بالانتصار. ومالوا إلى الايمان بالمسيح. وقالوا للملك: نحن نرى بأن لا أصل لعبادة الأوثان* فاغتاظ الملك غيظاً شديداً. وأوقد ناراً كبيرة لإحراق الفلاسفة. فرموا هم أنفسهم فيها ليقدّموا ذلك كفّارةً عن خطاياهم وأضاليلهم. وشرعت القدّيسة تسلّيهم وتثبّتهم وتشجّعهم وتعدّهم بقرب الجزاء في دار الملكوت* وانثنى الملك إليها. وأخذ يغريها بالوعد والوعيد ليجذبها إلى مقصودهِ. فلم يَنل بغيتهُ مع كلّ أتعابهِ. فأمر بجلدها. فجلدها جلداً شديداً وطال مدّة ساعتين. ثمّ حبسوها في مغارة عميقة. وتركوها بدون أكل مدّة اثني عشر يوماً. فأرسل الله إليها ملائكة أتوها بطعام* وجاءت الملكة ذات ليلة لزيارتها في السجن. فاغتنمت القدّيسة تلك الفرصة لإنذارها بالايمان الصحيح. فآمنت الملكة* فلمّا كان اليوم الثاني عشر أخرجها الملك من السجن. وإذ رآها في قيد الحيوة. بل في أتمّ عافية بُهت من حالها. ثمّ بعد مفاوضات طويلة عمل لها أربع عربات لها مناخر من حديد ووضع بينها جسمها لتُمزَّق أيّ ممزّق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكنّ الملاك الحارس حضرها. فكسر العربات وشتّت قِطَعها بين جمع الوثنيّين. فأصابتهم وقتلت بعضاً منهم. وأمّا هي فبقيت سالمةً من كلّ مضرّة* ومع ذلك كلّهِ لم يلن قلب الملك شيئاً بل اخترع عذابات أخرى قاسية شديدة ليعذّبها بها. فوفدت إليهِ الملكة امرأتهُ وحثّتهُ على ان ينكفّ من تعذيب كاترينة. فاشتدّ غيظاً وأمر بقطع رأس الملكة نفسها. ثمّ أمر أيضاً بقطع رأس القدّيسة. وازدحمت المدينة كلّها في مكان الاستشهاد لتنظر جهاد هذهِ القدّيسة العجيب. فلمّا أقبل السيّاف لإجراء أمر الملك رفعت بصرها إلى السماء. وشكرت الربّ على نعمهِ. وقدّمت لهُ دمها شهادةً على جزيل محبّتها لهُ. ثمّ طلبت كلّ الخيرات للوثنيّين ولجميع الحاضرين. وعند اختتام صلاتها ضُرب عنقها. ثمّ حمل الملائكة جثّتها إلى جبل سينا وقبروها هناك* وأجرى الله على قبرها كرامات يعسر استقصاؤُها* وحدث جهاد القدّيسة كاترينة في اليوم الخامس والعشرين من تشرين الثاني من سنة ٣٠٧ للمسيح*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السادس والعشرون *

بطرس الشهيد أسقف الاسكندريّة ـ لئونرد الذي من بُرْت موريتيوس

بطرس الشهيد أسقف الاسكندريّة

وُلد هذا القدّيس في مدينة الاسكندريّة. ولا نعلم عنهُ شيئاً إلى أن صُيّر أسقفاً على الاسكندريّة نفسها. فتخلّف لِثئُونَس. وهو السادس عشر بين بطاركة الكرسيّ الاسكندريّة من بعد القدّيس مرقس الإنجيلي* وفي أيّامه نشأ اضطهاد ديوقلطيانس ومكسميانس القيصرين على المسيحيّين. فافرغ بطرس وسعهُ في تقوية النصارى على هذهِ الشدائد وتثبيتهم على هذهِ الامتحانات* ولأجل خوفهِ على رعيّتهِ هرب إلى أحد المواضع الغير المألوفة. ومن ذلك المحلّ أخذ يكتب رسائل جليلة إلى المسيحيّين بها يحثّهم على الصبر والثبات. وكان يفرح عند سماعهِ بحسن جهادهم عن الديانة والايمان* ثمّ سكن الاضطهاد برهةً. فخرج بطرس من منفاهُ وعاد إلى الاسكندريّة. وكان ملاطيوس أسقف لوقوبُليس في مصر كفر وقرّب دفعتين للآلهة. فجمع بطرس أسقف الاسكندريّة سنهدوساً وانزلهُ من كرسيّهِ. فطلب ملاطيوس أخذ الثار منهُ. فبلبل أحوال الكنيسة وابتدع بدعةً. واستعان بِاريوس على ذلك. فحرمهُ مار بطرس. وقطعهُ من الكنيسة. وحرم اريوس كذلك*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ ضبط زمام الملك في المشرق مكسمينس. فقبض على بطرس وألقاهُ في السجن. فثارت المدينة كلّها وجاءت إلى السجن لتخلّصهُ بالقوةّ والسلاح. ولكنّ الملك القاسي أمر بقطع رأسهِ حالاً. ففكّر السيّاف في امهال الأمر إلى الليل حتّى تنصرف الجماعة وتعود إلى بيوتها. فلمّا صار الليل لم تشأ الرعيّة أن تبارح راعيها. فلمّا شاهد بطرس الأمر. وقلبهُ يذوب شوقاً وتحرّقاً إلى الحصول على اكليل الشهادة. أشار إلى السيّاف بأن يعمل ما هو قائل لهُ. وهو ان يذهب بهِ إلى المحلّ الذي فيهِ استشهد مار مرقس الإنجيليّ ويقتلهُ هناك* فلمّا بلغوا إلى ذلك المكان جثا القدّيس ليصلّي واستشفع بمار مرقس. وصلّى في شأن الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الاسكندريّة*

ثمّ احنى رأسهُ. فضربهُ أحد الجند. وذلك في اليوم السادس والعشرين من تشرين الثاني من سنة ٣١٠ للمسيح* وكانت مدّة أسقفيّة مار بطرس الشهيد على الاسكندريّة اثنتي عشرة سنة. فحمل المسيحيّون جثّتهُ إلى الكنيسة باكرام وتأسّف. ثمّ ألبسوهُ الحلّة الكهنوتيّة واجلسوهُ على كرسيّ مار مرقس. ثمّ قبروهُ. وجرت على قبرهِ كرامات كثيرة*

مار لئونرد الذي من بُرْت موريتيوس

وُلد لئونرد في بُرت موريتيوس في لحف جبال الابنّين في ٢٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كانون الأوّل من سنة ١٦٧٦* وكان أبوهُ ملاّحاً حاذقاً ومسيحيّاً متديّناً فاضلاً. فأحسن في تربية أولادهِ بحيث أنّ ثلاثة منهم لبسوا ثوب رهبنة مار فرنسيس. وكان اسم لئونرد في المعموذيّة بولس هيرونمس. ومنذ صغرهِ بدأ يظهر على حالهِ انّهُ مائل إلى الروحانيّات. وكان على الخصوص متعبّداً لمريم العذراء* فلما صار في السنة الثالثة عشرة من العمر أرسلهُ أبوهُ إلى روميّة ليتعلّم العلوم. فتعلّم العلوم في المدرسة الجامعة هناك. وكان يتردّد إلى المصلّى الذي أقامهُ اليسوعيّون في روميّة والمعروف بمصلّى الباتري كَرَاويتا* وكان يجتمع في المصلّى في مدّة الصوم مساءً زمرة مختارة من الأخوة فيخطب عليهم خطبة عن آلام المسيح. ثمّ يجلدون أنفسهم* وكان من عادة هذهِ الجمعيّة أن يختاروا اثني عشر نفراً ليعلّموا أصول التعليم المسيحي في المدينة يوم الأحد والعيد. فاختير في تلك السنة لئونرد مع كونهِ مشتركاً أيضاً في أخويّة مار فيلبّس نيري برومیّة* وأقرّ هو بنفسهِ بالمنفعة العظيمة التي حصل عليها من هاتين الأخويّتين أو الجمعيّتين* ومنذ صغرهِ كان يلبس المسح على بدنهِ وينام على الحضيض ويسند رأسهُ إلى حجر. ويميت نفسهُ بغير ذلك من الاماتات* ثمّ أحسّ بإلهام إلهي يدعوهُ إلى الرهبنة. وإذ كان يوماً مارّاً في طريق المدينة العظيمة. رأى راهبين عليهما ثوب رثّ وهيئة أدب واحتشام. فظنّهما ملاكين. فتتّبع أثرهما إلى أن بلغا دير مار بونونتورا الذي يسكنهُ رهبان مار فرنسيس. فدخل الدير والرهبان يقيمون صلاة الفرض. فهاج قلبهُ وقال: هذهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هي راحتي* وعزم على الدخول في هذهِ الرهبنة. وتردّد كثيراً إلى هذا الدير إلى أن اتّضحت لهُ إرادة الله بذلك. فلبس اسكيم هذهِ الرهبنة وعند ذلك أخذ تسمية لئونرد. ثمّ نذر النذور*

وكان لا يزال يتشوّق كثيراً إلى الذهاب إلى الرسالة في بلاد الوثنيّين ولا سيّما بلاد الصين. وذلك لما بلغهُ من خبر الاضطهاد الذي فيها على النصارى. ولكنّ الله شاء أن يقضي سنين كثيرة في أتعاب باهظة بدل أن يسفك دمهُ* وكانت فضيلتهُ عظيمة رائقة بحيث انّهُ اختير ليعظ مدّة الصوم في إحدى كنائس روميّة قبل أن يرتسم قسّيساً* وكان من عادتهِ أن يعترف كلّ يوم قبل القدّاس لتكون نفسهُ طاهرة نقيّة* وكانت صحّة بدنهِ ضعيفةً. فلمّا ازداد في التقشّف بلغ إلى آخر درجة من الضعف* ثمّ عاد من روميّة إلى بلدتهِ لتبديل الهواء في سنة ١٧٠٤. ونال الشفاء من العذراء* وهو الذي ادخل في بلدتهِ درب الصليب* ثمّ أخذ في الوعظ والإرشاد في تلك البلاد حتّى تاب على يدهِ جماعة كثيرة من الناس واستأصل عدّة رذائل من بلاد شتّى* واعلم انّ الرهبنة التي أنشأها مار فرنسيس تفرّعت إلى فروع كثيرة. كلّ منها لطّف القانون القديم تلطيفاً زهيداً* وكان مار لئونرد يفضّل من رهبنة مار فرنسيس الصنف المعروفة أديرتهُ باديرة الخلوة الذي أسسهُ مار بطرس دي القنطرة. وذلك حبّاً بالخلوة المفروضة. وعزم القدّيس على إقامة مكان في مدينة أَلْبِنْغة. فأضحت هذهِ المدينة مقدّسة بسيرتهِ. وثابر على الوعظ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أيضاً في تلك الجهات* ثمّ أنشأ من أديرة الخلوة في عدّة أماكن. من ذلك دير أقامهُ في مدينة فلورنسة. فأصابهُ من سبب ذلك اضطهادات شتّى* ثمّ نشر رسالاتهِ إلى تُسقانا ثمّ إلى إيطاليا كلّها. وطالت هذهِ الرسالات مدّة عشرين سنة* وكان من عادتهِ قبل أن يسافر أن يضع حبلاً في عنقهِ ويحضر هكذا قدّام الرهبان وقت الطعام. ثمّ يقرّ بخطاياهُ وزلاّتهِ واحدة واحدة. وبعد ذلك يزور القربان المقدّس ويسافر وهو يتلو ليتنيّة العذراء* وكان في كلّ صباح عند النهوض من النوم يجلد ذاتهُ جلداً قاسياً. ويزيد على تقشّفات القانون الرهباني تقشّفات أخرى اختياريّة وأعمالاً صالحة لكي يأتي بثمرة غزيرة في تلك البلاد ويكون قدوة لغيرهِ بسيرتهِ* وكان طعامهُ البقول المغليّة لا غير. وانّما إطاعةً لامر الباب بندكتس الرابع عشر زاد على البقول قليلاً من السمك أيضاً. وذلك في غاية الندور* وكان في رسالاتهِ يحثّ الناس على التعبّد لقلب يسوع خاصّةً. ويجعلهم أن يكتبوا هذا الاسم المقدّس على أبواب جميع البيوت. وهذا أخصّ مضمون عظاتهِ. ويضيف إلى ذلك عبادة العذراء. فيفرغ غرامهُ في محبّتها في عظاتهِ فيسمّيها أمّهُ العزيزة* وكان إذا أحبّ أن يؤثّر كلامهُ في الشعب يستعمل وسائط كثيرة. فيجلد نفسهُ قدّام الجميع. ويجعل اكليلاً من شوك على رأسهِ. ويضع حبلاً في عنقهِ. ويجثو على ركبتيهِ طالباً الغفران والصلوة من الحاضرين. ويقبّل أقدام القسوس الحاضرين وغير ذلك* ولأجل المنافع والثمار العجيبة التي أظهرها في هذهِ رسالاتهِ المشهورة. أخذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأساقفة في كلّ محلّ يطلبونهُ من رئيسهِ ليقدم إلى ابرشيّاتهم ويصلح أحوالها. وقد حُفظت تقريظات جليلة في الخير العظيم الذي صنعهُ لديهم* ولشدّة شهرتهِ في الوعظ والإرشاد دعاهُ الأحبار الرومانيّون مراراً عديدة ليكرز في روميّة. ووعظ فيها سنة اليوبيل مدّة خمسة عشر يوماً في سنة ١٧٥٠* وخرج من بعد ذلك يجول في بلاد إيطاليا ليعظ فيها. فلمّا كان في مدينة لوريتو اعترتهُ حمّى باردة. فطلب إلى الله أن يتوفّاهُ في مدينة روميّة العظمى في دير مار بونونتورا. فتوجّه إلى روميّة وبلغها اليوم السادس والعشرين من تشرين الثاني. وفي ذلك اليوم عينهِ طلب الزوّادة الأخيرة. وتناول القربان المقدّس بخشوع وعبادة لا مزيد عليهما* ثمّ رقد بالربّ عند منتصف الليل من ذلك اليوم عينهِ من سنة ١٧٥١. ولهُ من العمر خمس وسبعون سنة* ورثت موتهُ مدينة روميّة بأسرها. وقُبر باحتفال عظيم في كنيسة مار بونونتورا* ولمّا وقف البابا بيوس السادس على كثرة الكرامات التي جرت بشفاعتهِ من بعد موتهِ أيضاً. أحصاهُ في سفر الطوباويّين في سنة ١٧٩٦. ثمّ كتب اسمهُ بين القدّيسين البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٧*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليوم السابع والعشرون

يوشافاط وبرلعام ـ مار يعقوب المقطّع

يوشافاط وبرلعام

من بعد استشهاد مار توما رسول الهند. فأقام بالمُلك على تلك البلاد الملك أَبْنير. ووُلد لهُ ولد سمّاهُ يوشافاط* وبعد ولادتهِ جمع المنجّمين والسحرة لديهِ وجعل يسألهم أن ينبئُوهُ بسعد أيّامهِ أو نحسها. فقالوا لهُ متملّقين: انّ ابنك سيكون عزيزاً قديراً مهيباً لدى الجميع. ويضحي من أعظم ملوك الدنيا وأجلّهم. غير انّهُ وُجد بينهم واحد كشف لهُ حقيقة الأمر وأخبرهُ بأنّ ابنهُ سيكون عزيزاً جليلاً. ولكن لا من حيث ما ذكر السحرة من حسن سياستهِ وسلطنتهِ الدنيويّة. بل لأنّهُ سيتنصّر ويستنير بالنور السماويّ. فحزن الملك من ذلك. وعمل كلّ جهدهِ ليزحزح عن ابنهِ هذا الفأل. فبنى لهُ داراً منفردة عن مسلك الناس. وجعل لهُ معلّمين وخدّاماً وثنيّين يلازمونهُ* فلمّا نشأ الصبيّ. أبان عن حكمة وحزم واصابة رأي ممّا عجب منهُ كلّ أحد. ولم يكن يُؤذَن لهُ الخروج من القصر. فسأل أحد أمنائهِ عن سبب ذلك. فاطلعهُ على حقيقة الأمر. فمسّ الله قلبهُ بنعمتهِ ورغّبهُ في الديانة النصرانيّة. واتّفق انّ أباهُ دخل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عليهِ يوماً ليزورهُ. فشكا إليهِ حالهُ. واستأذنهُ في الخروج من القصر. فلم ينكر عليهِ ذلك. بل أصحبهُ بأناس أوصاهم أن يمنعوهُ من مخالطة النصارى ومحادثتهم* وكان في جولانهِ المدينة يقع نظرهُ على ذوي الفاقات والأسقام فيرقّ لهم قلباً. وأخذ يفتكر في زوال الدنيا ووهاء ما فيها* وكان في برّيّة سنعار ناسك زاهد شهير يُقال لهُ بَرْلَعام. فأوحى الله إليهِ أن يذهب إلى يوشافاط ويشرح لهُ أصول الديانة المسيحيّة ويتلمذهُ* فقام بَرْلَعام وتوجّه إلى بلاد الهند. ودخل على يوشافاط ابن الملك بصفة تاجر. وعاود الدخول عليهِ مراراً. ثمّ كشف لهُ عن ما قدم إليهِ بهِ. وبسط لهُ مفصَّلاً معتقد النصرانيّة وأسرارها وأبوابها. فتنصّر يوشافاط واعتمذ* وأحسّ في الآخر الملك أَبنير بما جرى لابنهِ مع الناسك. فأراد أن يقبض عليهِ. ولكن لم يستطع لأنهُ كان قد رجع إلى برّيّتهِ. فلحق هو بنفسهِ في أثرهِ لينتقم منهُ. فلم يلقَهُ. فاقبل على ابنهِ راجياً أن يحملهُ على الارتداد إلى الوثنيّة. فلمّا لم يقتنع بتحريضات أبيهِ ومواعيدهِ. أشار على الملك أَبنير بعض شرفاء دولتهِ أن ينادي في مملكتهِ بمفاوضة جهريّة في خصوص الديانة النصرانيّة والوثنيّة* وكان هناك رجل من الوثنيّين يقال لهُ ناقور. لهُ خبرة كافية بأمور النصارى. فرأى الملك أن يُحضِرَهُ في المفاوضة وكالةً عن النصارى. وإذ كان ناقور شبيهاً كلّ الشبه ببرلعام الناسك معلّم ابنهِ. أمرهُ أن يتظاهر بكونهِ هو برلعام نفسهِ. وأوصاهُ أن يُحامي أوّلاً عن النصرانيّة. ثمّ يسلّم لحجج الوثنيّين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويرفض النصرانيّة. فيختزي ابنهُ عند رؤيتهِ انكسار معلّمهِ. فيتبعهُ هو كذلك* فلمّا حان اليوم المؤجّل وحضر في المحفل المنادى بهِ أبرع كهنة الوثنيّة وأفصحهم. أقبل ناقور للمحاماة عن النصرانيّة متشكّلاً بزيّ برلعام الناسك ومدّعياً بكونهِ ايّاهُ* وكان الملك ابنير جالساً على العرش في وسط المحفل. وإلى جانبهِ ابنهُ. فأوحى الله إلى يوشافاط بحقيقة الأمر. وكشف لهُ عن المكر والخديعة. فلمّا شاهد يوشافاط ناقور مقبلاً لردّ حجج الوثنيّين. التفت إليهِ قائلاً: لقد جاء يا برلعام وقت تبيين المعتقد الذي علّمتنيهِ. فعليك أن تحامي عنهُ وتوضحهُ خير إيضاح. والاّ عاقبتك أشدّ عقاب. كما يليق بمن يتجرّأ على اطغاء ابن الملك* فلمّا سمع ناقور هذا الخطاب ارتاع وأخذتهُ الحيرة وعرف كبير الخطر الموجود فيهِ. وأيقن أنّهُ أن تبع وصيّة الملك لم يتمكّن من التخلّص من يد يوشافاط. وان أذعن لقول يوشافاط أغاظ الملك عينهُ* ولكنّهُ في الآخر عمد على المحاماة عن الحقّ. وأمدّهُ الله بنورهِ ونعمتهِ. وقوّى عزمهُ وأطلق لسانهُ. فبرع وأجاد حتّى أُفحم الكهنة الوثنيّون وعيوا مختزين* ثمّ تنصّر ناقور وتعمّذ. فاستشاط الملك غيظاً وازداد حيرةً في أمرهِ. فأشار عليهِ بعض الكهنة الوثنيّين أن يجعل لخدمة ابنهِ في قصرهِ عدّة فتيات. ويوصيهنَّ أن يفسدن قلبهُ ويُزِلْن عفّتهُ. فيتيسّر لهُ إذ ذاك أن يحملهُ على رفض النصرانيّة* فوضع الملك عدّة فتيات بديعات في الحسن وجعلهنّ لخدمة ابنهِ نهاراً وليلاً. وأوصاهنّ سرّاً بما سبقت الإشارة إليهِ* فاحسّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوشافاط بالخطر العظيم الذي وُجد فيهِ. فأكثر من الصوم والصلوة إلى الله وسألهُ أن يصونهُ من السقوط في كيدهنّ. وكانت بينهنّ فتاة منقطعة النظير في الحسن والجمال. وقد أوصاها الملك وصيّة شديدة باستعطاف قلب ابنهِ واستمالتهِ إليها. ووعدها على ذلك بأفضل المواعيد* فشرعت تزوّق كلامها وتلطّف خطابها وتفرغ جهدها في استجذابهِ. وأعانها الشيطان على ذلك. ولقّنها أن تتظاهر في محادثتها لهُ بالتديّن وتستر قبيحها بهذهِ الحجّة* فأخذت تستفسره في أمور النصرانيّة وتعدهُ انّها تتنصّر لا محالة. وبالغت في ذلك. ثمّ طلبت إليهِ أن يتزوّج بها كأنّهُ بذلك يتيسّر لها بلوغ اربها. فتنجو من يد أبيهِ* وأوشك يوشافاط أن يقع في حبالتها لو لم تعضدهُ ذراع الله. فأفاق على حالهِ. ولم يعد ينظر إليها ولا إلى رفيقتها. بل صار يمقتهنّ جميعاً* ووقع مريضاً بسبب الاضطراب الناشئ في نفسهِ من حضورهنّ لديهِ* ثمّ جاء يوماً أبوهُ لزيارتهِ. فشكا إليهِ سوء حالهِ. وقال لهُ: قد عزمتُ على الخروج في أثر معلّمي برلعام في البرّيّة ان لم تكفّ عنّي وتأذن لي بالتمسّك بالنصرانيّة* ففكر الملك طويلاً ورأى أن يقسم المُلْك مع ابنهِ لعلّهُ بذلك يستجذبهُ ويستعطفهُ. فألبسهُ التاج وملّكهُ نصف مملكتهِ* فجعل يوشافاط مقرّهُ في مدينة واسعة مشحونة بالخلق من مدن المملكة. ثمّ طفق ينادي بالديانة المسيحيّة. وهدم الهياكل الوثنيّة. وكسّر الأصنام وعظّم الصلبان ورفع أمكنتها. فدخل الناس في الايمان الحقّ أفواجاً أفواجاً. وجرت عند ذلك آيات كثيرة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واغلب الذين اعتمذوا طُهّروا من الأَسقام الجسديّة أيضاً* وراقت في أيسر مدّة أحوال النصرانيّة في تلك المملكة. واتّصل الخبر بذلك كلّهِ بالملك ابنير* فانفتحت عيناهُ جهراً بالنور السماويّ. وعزم على التنصّر. فبعث إلى ابنهِ كتاباً في ذلك. وطلب إليهِ الغفران والمعذرة لسوء معاملتهِ لهُ. ثمّ ذهب إلى ابنهِ فشرح لهُ أصول الديانة اتمّ شرح. فتعمّذ* ثمّ لبس المسح وجلس على الرماد واعتكف على التوبة. وصرف في ذلك أربع سنين. وعقيب ذلك مات ميتة الأبرار. وعند موتهِ وعظ ابنهُ الجماعة عظة بليغة في زوال الدنيا وعظمتها. ثمّ عزم هو على تخلية الملك والانفراد في القفر لخدمة الله وعبادتهِ فخرج سرّاً متنكّراً وضرب في البرّيّة راجلاً. حتّى وصل إلى أرض سنعار. وانضمّ إلى معلّمهِ برلعام. وأقام لديهِ قانتاً ناسكاً. وكان عمرهُ يوم خرج إلى سنعار ثمانين سنة* ثمّ مات معلّمهُ بعد أن أودعهُ وصايا جليلة قدسيّة. وبعد مدّة غير طويلة مات هو أيضاً في ذلك المحلّ نفسهِ. بعد أن قضى في الزهد مدّة ثلاثين سنة. فقبروهُ على معلّمهِ. ثمّ نُقلت جثّتهُ وجثّة معلّمهِ إلى بلاد الهند. ووُضعتا بإكرام في الكنيسة التي كان يوشافاط قد عمّرها. وجرى على ضريحَيهما آيات باهرة وكرامات ربّانيّة*

مار يعقوب المقطّع

انّ مار يعقوب المعروف بالمقطَّع وُلد في بلاد الفرس في مدينة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لفط. وكان من شرفاء أهل المملكة. فنال عزّاً وجاهاً جزيلاً لدى يزدجرد ملك الفرس. فأولاهُ أشرف المراتب وأجلّها* وكان هذا الملك معادياً للديانة المسيحيّة مبغضاً للنصارى. فخدع يعقوب بالهدايا والمناصب وحملهُ على رفض الديانة النصرانيّة التي وُلد فيها. فانكر يعقوب يسوع المسيح وسجد للأصنام. فلمّا بلغ هذا الخبر أمّهُ وزوجتهُ شقّ عليهما ذلك جدّاً. وكتبتا إليهِ عتاباً شديداً قويّاً ولامتاهُ على ما فعل. وقالتا لهُ: انّ الملك الذي تحبّهُ حبّاً زائداً جعلك انّ تكفر بالآله السرمديّ هو إنسان زائل لا محالة كباقي الناس. ومع كلّ ثروتهِ وغناهُ لا تصل يدهُ أن ينشل أحداً من العذاب الدائِم* فتُب عن غيّك. والاّ فانت تحت عقاب يد الله القادرة. ونحن لا نعرفك أبداً* فلمّا قرأ يعقوب هذهِ الرسالة أفاق على حالهِ. وشرع ينتحب ويقول: ان كان أمّي وزوجتي لا تعرفانني. فكيف يعرفني الله الذي أجرمتُ في حقّهِ كلّ هذا الجرم. فتاب توبة نصوحاً. وعاد إلى ديانتهِ النصرانية الأولى. وانقطع لعبادة الله* فلمّا سمع الملك وارارن بذلك. استحضرهُ فلمّا مثل بين يديهِ. سألهُ قائلاً: أصحيح انّك صرتَ نصرانيّاً. قال: نعم. قال لهُ: ان بقيت مصرّاً على ذلك فعلتُ بك كذا وكذا. ولا تظنّ انّني اكتفي بأخذ رأسك بالسيف مجرّداً* فلم يرتعب يعقوب من هذا التهديد. بل اشتدّ عزماً وقوّةً. وأخذ يردّ على احتجاجات الملك في شأن الوثنيّة ويفنّدها واحدة واحدة. فأمر الملك بأن يعذَّب بتقطيع أعضائهِ كلّها واحداً واحداً. فأُخذ إلى محلّ العذاب. وقطعوا أوّلاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أصابع يدهِ اليمنى اصبعاً اصبعاً. ثمّ أصابع يدهِ اليُسْرى كذلك. وهو يسبّح الله ويحمدهُ على كلّ اصبع تُقطَع ويقرّبها قرباناً لهُ تعالى. ثمّ فعلوا كذلك برجلهِ اليمنى. ثمّ باليُسْرى. ثمّ قطعوا ساقيهِ. ثمّ ذراعيهِ إلى أن لم يبقَ سوى قدّهِ وراسهِ. ومع كلّ ذلك لم يسمعوا منهُ كلمةً تدلّ على نفور أو تشكٍّ أو تألّم. بل كان يحثّ الجلاّدين أن يجروا أمر الملك بلا ابطاء. ثمّ استمهلهم. ورفع نظرهُ إلى السماء. وصلّى إلى الله صلوة حارّة. وسلّم نفسهُ بيدهِ تعالى. وعقيب ذلك احتزّوا راسهُ* وحدث ذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني. وأخذ النصارى جثّتهُ المباركة وحملوها سرّاً إلى الكنيسة. وقبروها باكرام وتبجيل*

* اليوم الثامن والعشرون *

القدّيس يعقوب المركاوي

انّ يعقوب وُلد في منتْبَرنْدن وهي قرية بأرض مَرْكا* ولمّا نشأَ وُضع في مدرسة بروسيا ليقرأَ العلوم. فدرس واستفاد وتعلّم وأجاد. ثمّ حصّل لهُ بعض الناس وظيفة في المحكمة في مدينة فلورنسة. يكتسب بها لنفسهِ ما يحتاج إليهِ. غير انّ يعقوب بعد مدّة غير مديدة أخذ يتفكّر في أخطار الدنيا ومهالكها. فعزم على الانفراد في خلوة لعبادة الله*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلمّا صار عمرهُ عشرين سنة قصد دير الكرتوسيّين في فلورنسا. وكشف ضميرهُ لرئيس الدير طالباً منهُ الرشد. فقال لهُ الرئيس: اصبر مدّة مواظباً على الصلوة واطلب الهدى من الله لتلوح لك إرادتهُ الإلهيّة* ثمّ عاد إلى بلادهِ. وفي عودتهِ اجتاز بدير سيّدتنا مريم سلطانة الملائكة (وهذا الدير هو الذي فيهِ أسّس مار فرنسيس رهبنتهُ) فدخل الكنيسة ليزورها. وإذ ذاك أوحى الله إليهِ بأن يترهّب في ذلك المحلّ. فلبس الاسكيم وصار من رهبنة الفرنسيسيّين* فلزم كسر الإرادة والسيرة القشفيّة. وصار يسهر الأسهار الطويلة ويصوم الأصوام المتكاثرة. وبذلك تغلّب على الشيطان والدنيا والجسد* وكان حريصاً جدّاً على الزمان. فلم يكن يصرف هنيهة منهُ بلا عمل ولا ينام أكثر من ثلاث ساعات* وفي مدّة إقامتهِ في الرهبنة لم يذُق اللحم قطّ. وكان يجلد نفسهُ كلّ يوم. ولشدّة ما عذّب جسدهُ وقع في أمراض مختلفة معضلة. فصبر عليها مدّة سنين طويلة* ثمّ انطلق إلى لوريتو حاجّاً إلى بيت العذراء الطوباويّة الذي فيها. ونال من شفاعة مريم صحّة بدنهِ لكي يتمكّن من القيام بفرائضهِ في أبلغ نوع*

وكان لهُ ولع شديد في معالجة خلاص الأنفس. فما زال يعظ في الكنائس ويرشد الناس وينذرهم بالحقائق الدينيّة. وطاف لذلك مدناً كثيرة من إيطاليا وبولونيا وجرمانيا وبوهميا وغيرها من البلاد وهو يدعو الناس إلى التوبة. وكثيراً ما خرج من شعورهِ في الوعظ لشدّة غيرتهِ. فجاءت مواعظهُ بأثمار جزيلة. من ذلك انّهُ جذب إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرعوى بعظة واحدة وعظها في مدينة مديولان ستّاً وثلاثين امرأة من النساء العاهرات* وكان إذا لم يتمكّن من الوعظ من الكنائس والبلاد. اكتفى بإرشاد الرهبان في ديرهِ وحثّهم على العمل بالفضائل* وفي مدّة شيخوختهِ عوّض عن ذلك بالصلوة والطلبة إلى الله في شأن توبة الخطاة*

غير انّ معظم مواعظهِ كان يوجّهها إلى نفسهِ وهو يحثّ ذاتهُ على التقدّم في سيرة الكمال والتمسّك بالفضائل الخاصّة بالرهبان* وآثر فضيلتَي الطهارة والعفّة. فأضحى محتشماً عفيفاً في بصرهِ وسائِر حواسّهِ. وكان يهرب كلّ الهرب من مجالسة النساء بل من النظر إليهنّ* ومع ذلك فانّ الشيطان لم يسكن أبداً من تحريك الشهوة فيهِ ليكسف رونق نفسهِ النيّرة. فتغلّب عليهِ القدّيس على الدوام بأصوام متضاعفة وصلوات متكاثرة* ومن جملة ما تمسّك بهِ من الفضائل أشدّ التمسّك فضيلة الطاعة فانّهُ طول عيشتهِ الراهبيّة لم يعفِ نفسهُ أبداً من قوانين الرهبنة مهما كانت صعبة ولم يكن يبالي بحال عافيتهِ الواهي* وكان أيضاً متواضعاً كثيراً. وإذ كان في مدينة مديولان مشغولاً بالوعظ انتخبهُ اقليرس المدينة المذكورة وجماعتها أسقفاً عليهم. فاقتضى لهُ أن يتعب تعباً كثيراً ليتفلّت من أيديهم*

وكانت شهرة القدّيس كبيرة لدى رؤساء الكنيسة. فاتُّخذ مراراً عديدة واسطة لإصلاح أمور كثيرة. من ذلك انّ ثلاثة من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الباباوات أرسلوهُ إلى بلاد هنغريا لقضاء مصالح مهمّة. ولكنّ الشيطان عدوّ الخير أثار عليهِ الحسد والبغضاء بسبب هذهِ شهرتهِ. فوُشي بهِ لدى الديوان البيعيّ. ولكنّ الله نصَرهُ على أعدائهِ. وتفضّل عليهِ بكرامات كثيرة. فساغ لهُ أن يجذب كثيرين إلى سبيل الصلاح* ثمّ سافر إلى روميّة. وأحسن البابا بولس الثالث استقبالهُ وترحّب بهِ* وسمع بصيتهِ ملك نابلي. فكتب إلى البابا ورغب إليهِ أن يرسل يعقوب إليهِ. فأجاب البابا إلى طلبتهِ وسيّرهُ إليهِ. وكان في نابلي ديران للرهبنة الفرنسيسيّة. أحدهما في باطن المدينة. والآخر في ظاهرها. فجعل مقرّهُ في الدير الخارجيّ. وصنع آيات كثيرة في مدّة إقامتهِ بمدينة نابلي. أشهرها أنّهُ نجّى فرديننـد ملك نابلي من خطر الموت*

وكانت حياة يعقوب كلّها مرضاً متّصلاً وعذاباً غير منقطع. فانّ الأوجاع التي تغلّبت عليهِ وصارت لهُ بمنزلة الحال الطبيعيّة قيل انّها بلغت إلى نحو خمسة عشر وجعاً. وكان يحتملها كلّها بصبر عظيم وفرح جزيل وانبساط قلب كامل* ثمّ اشتدّت عليهِ الأوجاع بنوع مفرط. فادنف وأخذ يتجهّز للرحيل. فدعا الرهبان وطلب منهم المغفرة. ثمّ حرّضهم على التمسّك الشديد بالسيرة الرهبانيّة. ثمّ طلب صلواتهم. وبعد ذلك أخذ الأسرار القدسيّة. ففاضت روحهُ وهو يتلفّظ باسمي يسوع ومريم ويطلب عونهما. وذلك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٤٧٦. وكان سنّهُ يومئذٍ تسعين سنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقد قضى منها سبعين في الرهبنة* وقُبر جسدهُ باجلال عظيم في مدينة نابلي. وجرت منهُ كرامات كثيرة*

* اليوم التاسع والعشرون *

ساطُرْنينس أسقف تولوزا

وُلد ساطرنينس في مدينة بتراس من بلاد اخائيّة والبولوبُنيس. وهو من جنس الملوك* وكان معاصراً لمار يوحنّا المعمذان. فاتّصلت بهِ شهرتهُ فانطلق إلى اليهوديّة لرؤيتهِ. وتتلمذ لهُ. وبواسطة مار يوحنّا توصّل إلى معرفة يسوع المسيح. فتبعهُ وصار من جملة تلاميذهِ إلى حين آلامهِ وموتهِ. واختلى هو أيضاً بجملة الرسل والتلاميذ في العلّيّة ليتهيّأ لحلول روح القدس* ثمّ انّهُ إذ خرج الرسل والتلاميذ للإنذار بإنجيل المسيح ذهب إلى بنتابُليس في فلسطين ثمّ إلى هيارابُلس. ثمّ توجّه إلى بلاد مادي وما يلي بلاد الفرس. وشرع يبشّر بالحقائق التي أوحى بها يسوع المسيح. وافتعل أيضاً عجائب كثيرة ومعجزات باهرة. تمكّن بها من أن يضمّ إليهِ جماعة وافرة من تلك البلاد* ثمّ عاد إلى انطاكية. ثمّ توجّه إلى بلاد فرنسا لينصب فيها لواء الديانة المسيحيّة. وبدأ بالإنذار في مدينة ارلس. ثمّ بمدينة نيمس. ثمّ توجّه إلى كركسّون. ثمّ إلى تولوزا* وعمل في تولوزا آيات كثيرة. منها انّهُ طهّر امرأة من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شرفاء المدينة من برص كان فيها. بحيث أنّهُ بذلك امال نحو منتصف أهل المدينة إلى التنصّر. فعمّذهم جميعاً هو بيدهِ* ثمّ خرج وطاف في المدن المجاورة. ودعا أهلها إلى اتّباع ديانة المسيح ورفض عبادة الأوثان* وكان عدد النصارى لا يزال في ازدياد ونموّ. فانتخب من بينهم عدّة تلاميذ وسيّرهم إلى بعض الجهات ليتلمذوها* وكان جلّ مقصودهِ أن يمحو عبادة الأوثان ويزيلها من تلك النواحي. فهاج عليهِ كهنة الأوثان وأرادوا إبادتهُ* فلمّا دنا وقت استشهادهِ أوحى الله إليهِ بذلك. فأخذ يحثّ المسيحيّين ويمكّنهم ويشدّدهم على الثبات والمحافظة على الايمان الصحيح* ثمّ قُبض عليهِ وشُدّ وسيق إلى معبد الأوثان ليقرّب للآلهة. فأخذوا يعالجون اقناعهُ بأن يسجد للأوثان ويقرّب لها القرابين. فسخر بهم القدّيس. ثمّ رفع بصرهُ إلى السماء وطلب من الله ان يمدّهُ بعونهِ ليحتمل بسرور جميع العذابات التي أُعدّت لهُ من أجل ايمانهِ المقدّس. فأقبل عليهِ الشرط وسلخوا جلدهُ بأمشاط حديديّة. ثمّ جلدوهُ وأشبعوهُ ضرباً. وبصقوا عليهِ ومزّقوهُ كلّ ممزّق* وأبان الله قدرتهُ في ذلك الحين بأن وقعت الأصنام من ذاتها وتكسّرت. فاشتدّ غضبهم وتناولوا الحجارة ورجموهُ. ثمّ شدّوهُ في ذَنَب ثور وجعلوا يضربون الثور لكي يجري بهِ فيتهشّم ويترضّض ويتسحّق* وهكذا ختم القدّيس ساطرْنينس جهادهُ. وكان ذلك في اليوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني* ثمّ انّ الله الهم اثنين من أهل تلك المدينة أن يذهبا بجسدهِ سرّاً ويقبراهُ* وأجرى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الله على قبرهِ كرامات وآيات لا تُحصى. فانتشر اسمهُ وصيتهُ في الأقطار. ورُفعت لهُ أعلام التبجيل والاكرام*

* اليوم الثلاثون *

مار اندراوس الرسول ـ شابور واسحق ونرسي الشهداء

مار اندراوس الرسول

انّ اندراوس الرسول هو أخو بطرس رئيس الرسل. وكان من بيت صيدا من بلاد الجليل. وتتلمذ أوّلاً لمار يوحنّا المعمذان. وحضر حين أشار يوحنّا باصبعهِ إلى المسيح وقال: هذا هو حمل الله الحامل خطايا العالم. فلمّا سمع هذهِ الكلمات من فم معلّمهِ مار يوحنّا أسرع هو وتلميذ آخر وتقدّما إلى يسوع وهو مقبل. فلمّا رآهما يسوع. قال لهما: من تطلبان. فقالا لهُ: يا معلّم نريد أن نعلم أين تسكن. فامسكهما يسوع عندهُ. فايقنا بكونهِ المسيح ابن الله* ولمّا رجع اندراوس حكى ما رأى لأخيهِ شمعون وجاء بهِ إلى يسوع. وهذهِ أوّل مرّة فيها عرف اندراوس يسوع المسيح* وحدث بعد ذلك انّهُ كان يوماً يصيد السمك على بحيرة الجليل هو وأخوهُ. فمرّ بهما يسوع وقال لهما: هلمّ ورائي فاجعلكما صيّادَي الناس. فتركا الشِباك والسفن وتبعا يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتتلمذا لهُ* واعلم انّ اندراوس يُعَدّ الأوّل بعد بطرس في أسماء الرسل الموجودة في إنجيل لوقا* امّا ما يختصّ برسالتهِ وانذارهِ واستشهادهِ فيؤخذ عن أقدم المؤلّفين المسيحيّين الذين ذكروهُ. ولا سيّما الرسالة التي كتبها القسوس والشمامسة في اخائيّة إلى الكنائس بأجمعها في حين استشهادهِ*

ومن بعد حلول روح القدس على التلاميذ في علّيّة صهيون لبث اندراوس مدّة مع الرسل في اليهوديّة. ثمّ وقعت في حصّتهِ بلاد سقوثيّة. وقيل انّهُ أنذر أيضاً السُغْديّين وسكّان بلاد الحبش. وزعموا أيضاً أنّهُ أنذر في بلاد القبادوق. وفي بلاد أخرى من بلاد اليونان* واقترح مار اندراوس في إنذارهِ عجائب كثيرة بها جذب عدداً غفيراً من الوثنيّين إلى الديانة المسيحيّة. فلمّا سمع الوالي بَتْراس بخبر اندراوس والذين تلمذهم شرع يحاول استمالة النصارى إلى عبادة الأوثان. فجاء إليهِ اندراوس وقال لهُ: يجب عليك أيّها الوالي أن تعرف وإليك وحاكمك الذي في السماوات وتعبدهُ وتعترف أنّهُ الاهك. وترفض جميع الذين ليسوا بآلهة حقيقيّين* فقال لهُ الوالي: أَأَنت هو اندراوس الذي يهدم هياكل الأصنام ويجذب الناس إلى اتّباع الديانة السخيفة التي نفاها الروم من أرضهم. فأخذ الرسول القدّيس يبيّن للوالي آلوهيّة الديانة النصرانيّة. ويكشف لهُ عن أسرارها. ويقصّ عليهِ ما فعلهُ يسوع المسيح ابن الله لخلاص العالم. وكانت آخرة الجدال أنّ الوالي حكم على اندراوس بالسجن* ثمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

استحضرهُ في الغد لديهِ وقال لهُ: أظنُّ أنّك قد تروّيت في أمرك وعزمتَ أن تنزع من عقلك السخافة التي كنت فيها أمس لكي يسوغ لك أن تعيش عيشة هنيّة وتنجو من ميتة مرعبة. وليكن موكّداً لديك انّك لن تتفلّت منها أبداً ان ثبتَّ مداوماً على زعمك وايمانك بكون يسوع المسيح الاهاً. فقال لهُ اندراوس: انّ الذي لا يؤمن بيسوع المسيح لا يمكن أن يعيش ولا أن يتهنّأ. وقد شرحتُ ذلك في انذاري أهل هذهِ البلاد. فقال الوالي: ولهذا قد عزمتُ على ان احملك كرهاً منك لتقرّب للآلهة حتى يترك جميع الذين تبعوك المذهب الباطل الذي علّمتهم إيّاهُ ويعودوا إلى ايمانهم القديم بآلهتهم السالفة. فانّي أرى في كلّ مدينة من اخائيّة قد خَلَتْ الهياكل بسبب مذهبك الفاسد. ولذلك أريد منك أنت الذي خدعت الناس أن تكون أيضاً واسطة ليرعووا ويعودوا إلى ديانتهم الأولى. والاّ فاستعدّ لتموت مصلوباً. فقال اندراوس: انّي إلى الآن قد خاطبتُك بلطفٍ ورفقٍ. وقصدي بذلك أن تنتفع من خطابي فترفض عبادة الأوثان. ولكن إذ أراك عنيداً. فاعلم انّني لا أخاف البتّة من تهدّداتك. فافعل بي ما بدا لك. واعلم انّ يسوع المسيح يزيدني اجراً بازديادك في تعذيبي. وانّك بذلك ستكثر العذابات التي أُعدّت لك في جهنّم. فاغتاظ الوالي من هذا كلامهِ. وعرّاهُ من ثيابهِ وجلدهُ قاسياً. فجرت منهُ الدماء من كلّ جهة. ثمّ أمر بتعليقهِ على صليب ليطيل عذابهُ. فلمّا رأى اندراوس خشبة الصليب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أقبل يترحّب بها ويتلقّاها ببشاشة وشوق وهو يقول: السلام عليك أيّها الصليب الذي تقدّست بجسد ربّي وأعضائهِ. انّي أقبل إليك بفرحٍ وسرور. فاعتنقني. طالما اشتقتُ إليك وجدّيتُ في طلبك. فاعتنقني الآن إذ قد حصلتُ عليك* وبقي مدّة يومين معلّقاً على الصليب. ثمّ اسلم الروح وقد اكتنفتهُ أنوار باهرة سماويّة من كلّ جهة* وحدث ذلك في الثلاثين من تشرين الثاني من سنة ٦٣ في أيّام نيرون الملك* فانزلت مكسيملّة إحدى النساء الشريفات جسدهُ من على الصليب وحنّطتهُ ووضعتهُ في قبر لائق. وجرت على قبرهِ أعاجيب كثيرة. ثمّ نُقِل من بعد ذلك جسدهُ إلى القسطنطينيّة*

شابور واسحق ونرسي الشهداء

انّهُ في عهد شابور الثاني ملك الفرس ثار الاضطهاد على جماعة النصارى الذين كانوا في مملكة الفرس. وذلك انّهُ جاء المجوس يوماً إلى الملك وقالوا لهُ: انّ الشمس والهواء والماء والأرض قد انقطعت عبادتها. إذ انّ المسيحيّين يرذلون هذهِ الأشياء ويحتقرونها. فاغتاظ شابور الملك عند سماعهِ ذلك. وأبرز أمراً بالقبض على النصارى وحبسهم. فقُبض في أوّل الأمر على ثلاثة من أهل فارس وهم معنا وابراهيم وشمعون. وفي الغد جاء المجوس إلى الملك ثانيةً وقالوا لهُ: انّ شابور أسقف بيت نقطور واسحق اسقف بيت سلوخ يشيّدان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كنائس ويدعوان الناس إلى اتّباعهما ولا يزالان يغريانهم. فقال الملك وقد قدحت في وجههِ نار الغضب: ليُبحَث عن كلّ المذنبين في مملكتي. وليُدعَوا إلى المحاكمة في ظرف ثلاثة أيّام. فبعث أناساً يجدّون في طلبهم ويقبضون قبل الجميع على الذين شكاهم المجوس. فأُلقوا في السجن مع الذين كانوا فيهِ. ثمّ أُخرج في الغد معنا وابراهيم وشمعون وشابور واسحق إلى المحاكمة. فقال لهم الملك: أما تعلمون انّني من سلالة الآلهة. وأقرّب القرابين للشمس والناس. فهل تتجرأون وتعصوني وتأبون تقريب القرابين لهما. فقالوا جميعاً: انّنا لا نعرف الاّ الهاً واحداً. ولا نسجد الاّ لهُ. قال الملك: أيوجد الاه أفضل من هرمزد وأقوى من اريمان. ومن ذا الذي يجهل انّ الشمس تستوجب السجود. فقال الأسقف شابور: انّنا لا نعرف الاّ الإله الواحد الذي خلق الأشياء بأجمعها. ونسجد ليسوع المسيح ابنهُ. فأمر الملك بأن يُضرَب على فمهِ. فضربوهُ ضرباً شديداً حتّى كسّروا أسنانهُ وكسّروا عظامهُ كلّها. ثمّ قُيّد بالأغلال وطُرح في السجن* وبعد ذلك أُحضر اسحق. فوبّخهُ الملك على جسارتهِ في إقامة الكنائس. فلم يفزع. فأمر بأن يُرجَم* وفرح شابور عند سماعهِ ذلك. إذ انّهُ أيقن بقرب موتهِ. فمات بعد يومين في السجن. ولكنّ الملك أراد أن يأتمن موتهُ. فقطع رأسهُ* امّا الباقون لمّا نظر الملك شدّة ثباتهم في الاقرار بيسوع المسيح عزم على اهلاكهم. فأمر بأن يُسْلَخ جسم معنا كلّهُ. فمات بهذا العذاب* وابراهيم فُقِئت عيناهُ بسيخ محميّ. ومات بعد يومين* وشمعون دُفِن إلى وسطهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في الأرض. ورُشق باسهم كثيرة حتّى مات. فحمل المسيحيّون سرّاً أجساد هولاء الشهداء وقبروهم باكرام واحترام* امّا يوحنّا أسقف بيت سلوخ فهو ايضاً مات لأجل ايمان المسيح. ولكن قبل هؤلاء الشهداء. وذلك بأمر اردشير صاحب حذياب أخي شابور الثاني في السنة السابقة للاضطهاد الثاني الذي أثارهُ هذا الملك*

ومن جملة الشهداء الذين بادوا في اضطهاد شابور الثاني نرسي اسقف شهرقرد المدينة الأولى في باجرمي برفقة تلميذهِ يوسف* وذلك انّهُ لمّا كانت السنة الرابعة من هذا الاضطهاد قُبِض عليهما وأُحضِرا بين يدي شابور. فقال شابور لنرسي: يا ما أبهى شيخوختك وأهيبها ويا ما ألطف شبوبيّة تلميذك وأبهجها. انّي أشفق على حسنكما وأخاف عليهِ أن يتمرّغ بالدم. فيجعل القتل مأواهُ الجحيم. فاسمعا منّي وامتثلا أمري. واسجدا للشمس فاكرمكما. قال لهُ نرسي: يا ما أمرّ كلماتك التي ظاهرها حلاوة. ويا ما أخبث أقوالك وأكذبها. فانّك تهتمّ بحطّنا من الدرجة السامية التي نحن فيها إلى ذلّ هذهِ الدنيا الزائلة التي أنت تفتخر بها. وكيف لا يخطر ببالك انّ هذهِ الدنيا الزائلة التي أنت تفتخر بها. وكيف لا يخطر ببالك انّ هذهِ الدنيا الزائلة التي أنت تفتخر بها. وكيف لا يخطر ببالك انّ هذهِ الدنيا تغيب عنك كحلم وتزول مثل الظلّ. امّا أنا فقد شختُ ولي من العمر ثمانون سنة. وفي حياتي كلّها لم أتمسّك إلاّ بخدمة الله الواحد. فحاشا لي الآن أن أهجرهُ وأكفر بهِ فاسجد للشمس خليقتهِ. فقال لهما الملك: لعمري انّكما قد حضرتم أمامي في يوم نحس. ولا مفرّ لكما من الموت ان لم تفعلا مرادي. قال نرسي: لو كان في مكنتك أن تقتلنا ثمّ تحيينا سبع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مرّات. لما جحدنا ربّنا وامتثلنا أمرك. فأمر الملك بقتلهما. ولمّا بلغا إلى محلّ القتل. رفع نرسي بصرهُ لينظر إلى الخلق المحيط بهِ. فقال لهُ تلميذهُ يوسف. ما بالك يا سيّد تحدق بالناس. انّ الناس يحدقون بك ويودّون لو كانوا هم في مقامك ورجعت أنت سالماً إلى البيت. فقال لهُ نرسي: طوبى لك يا يوسف. لأنّ قلبك لم يتعلّق بالدنيا أبداً. وكأنّك منذ الآن قد دخلتَ ملكوت السموات. ثمّ قُتِل يوسف أوّلاً وبعدهُ نرسي*

انتهى شهر تشرين الثاني

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شهر كانون الأوّل

* اليوم الأوّل *

إلواس أسقف نويون

وُلد إلواس في قرية كاللاّك على مسافة يسيرة من ليموج مدينة من مدن فرنسا. ومنذ نعومة أظفارهِ وُضع بيد معلّمين ماهرين ليثقّفوهُ في المعارف والفضائل* ثمّ تعلّم حرفة الصياغة وأتقنها. ووصلت شهرتهُ بملك فرنسا. فاتّخذه أوّل صائغ في قصرهِ. وسلّمهُ قطعاً من الذهب والفضّة تكفي لصوغ حليٍ جليل بديع. فصاغ منها حَلْيَيْن يعادل وزن كلّ منهما وزن ما تسلّمهُ من الذهب والفضّة. فعجب الملك من ذلك. وأيقن فيهِ كرامة ربّانيّة. فعظم قدر الواس لديهِ. فاتّخذهُ من أهل قصرهِ وجعلهُ من خواصّهِ. وكان يتفاوض معهُ في خصوص أمور الديانة والتقوى. وأمّا الواس فما زال يتحفّظ مجتهداً على نفسهِ لئلاّ تشغلهُ ملاهي القصر الملكيّ وبلبلة أحوالهِ عن التفرّغ لعبادة الله. وأخذ يقضي أوقاتهُ كلّها في الصلوة والتوبة والبكاء على خطاياهُ. وبلغ من التفكّر والتأمّل والتوغّل في فظاعة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخطايا وعظمها أقصى غاية. بحيث انّ الشيطان توصّل إلى أن يوقعهُ في الياس وقطع الرجاء من الخلاص. فبقي في قلق مغموماً مهموماً مدّة إلى أن سمع يوماً صوتاً من السماء يؤمّنهُ ويؤكّد لهُ مغفرة خطاياهُ. ثمّ حكى ما حدث لهُ لأحد أصدقائهِ من حواشي الملك وكان اسمهُ أُوين. فاتّفقا كلاهما وعزما على هجر ملاهي الدنيا والاعتكاف على عبادة الله*

وكان الملك ينشرح صدرهُ بمجالستهِ ومؤانستهِ جدّاً. فأجزل عليهِ الهدايا الجليلة النفيسة والعطايا السابغة الوافرة. فأنفقها إلواس كلّها في خير القريب من إسعاف الفقراء والقيام بحاجة المرضى وتسلية الحزانى واعتاق المأسورين. ومع ذلك كلّهِ شرع هو بنفسهِ يداري المرضى ويضمّد جروحهم ويداوي قروحهم الكريهة. فكان يجود الله عليهِ بعض الأحيان فيُبرئهم منها عند لمسهِ إيّاها أو تقبيلهِ لها. وكلّما احتاج إلى بعض الدراهم ليوزّعها على ذوي الفاقات ولم يتيسّر لهُ باع أثاثهُ وأمتعتهُ وثيابهُ لذلك. وكان حشم الملك وأعوانهُ أنفسهم يسخرون بهِ بسبب ذلك. فلم يبالِ بقولهم وفعلهم*

وانعكف مواظباً على اماتة النفس والسيرة القشفيّة* من ذلك انّهُ ربّما بقي مدّة ثلاثة أيّام صحيحة بدون تناول طعام البتّة. وكان طعامهُ غالباً خبزاً يابساً لا غير. ولم يذُق اللحم الاّ مرّة واحدة. وذلك اغتصاباً وكرهاً منهُ. وكان ينام على القاع ويلبس المسح على لحمهِ. ويسهر مدّة ساعات طويلة في الصلوة والقراءة والتأمّل. وأضحى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حازماً فطناً فهماً دون الوصف. فأرسلهُ يوماً ملك فرنسا إلى ملك برتانيا لكي يميلهُ إلى المسالمة والصلح. وكان هذا قد نوى مباشرة حرب مع ملك فرنسا. فبهمّتهِ واصابة رأيهِ ودرايتهِ نال منهُ المقصود. وكفى الأهالي عاقبة شرور كثيرة* وبذلك انتشرت شهرتهُ أيضاً في البلاد البعيدة القاصية* أمّا هو فكانت أفكارهُ في وسط هذهِ النعمة والجلالة متّجهة إلى السيرة النسكيّة. وما زال يتوقّع الفرصة ليهجر العالم والقصر الملكيّ ويتخلّى في إحدى الصحارى. غير انّ الله صدّهُ عن ذلك ليجعلهُ فلاّحاً هماماً في كرم بيعتهِ المقدّسة* فلمّا لاحت لهُ مشيئة الله. نهض لإنذار الناس وجذبهم إلى سبل الصلاح* وخرج من تحت يدهِ عدّة قدّيسين مشهورين. ومن أعمالهِ أيضاً انّهُ أقام عدّة أديرة. منها الدير المعروف بدير سولنياك. وكان من أحسن أديرة فرنسا واضبطها وأشدّها نظاماً وتمسّكاً بالقانون. ثمّ أحال دارهُ التي في باريس إلى مقام للعذارى بلغ عددهنّ إلى نحو ثلاثمائة عذراء. وعيّن لهنّ أموالاً جزيلة* وكان يزور الرهبان ويحترمهم ويكرّمهم جدّاً. ويقبّل أقدامهم ويخدمهم عند الطعام*

أمّا الآيات التي جرت على يدهِ فكثيرة عديدة بكلّ اللسان عن ذكرها. فانّهُ بإشارة الصليب أقام عدّة أشخاص من الموت وشفى كثيرين من أمرضاهم وأسقامهم* وكان لهُ غيرة وحرارة على الايمان الكاثوليكي. وجدّ في مقاومة الهراطقة بكلّ قواهُ وردعهم ومنعهم من زرع الزوان في حقل الكنيسة الكاثوليكيّة* وسعى كثيراً لدى الملك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في عقد مجمع بمدينة ارلينس لاستئصال رذائل كثيرة كانت متملّكة في تلك النواحي ولا سيّما السيمونيّة*

فلمّا أضحى في أعظم منزلة من القدر والجاه عند الخاصّة والعامّة نُصِب أسقفاً على مدينة نويون. ثمّ جُعل قاصداً باباويّاً على بلاد فرنسا وفلَنْدرا وفريسيّة وسوابيّة. وكانت عبادة الأوثان موجودة إلى ذلك الحين في تلك النواحي. فبذل جلّ مجهودهِ في محو رسوم الوثنيّة منها. وعمّذ أَهاليها قاطبةً* ثمّ نصب فيها عدّة أديرة. وحوّل هياكل الأصنام إلى كنائس فاخرة. فأثار الشيطان بعضاً من الوثنيّين لمضرّتهِ وقتلهِ. ولكنّهم كفّوا عن غايتهم الرديّة لآيةٍ ظهرت لهم* ثمّ عاد إلى فرنسا وأصلح أحوالها ونظم أمورها* وكان غيوراً على أوقاف الكنيسة ودخلها. وربّما عاقب المتعدّين عليها بعقوبات جسيمة* وأظهر حرصهُ على الشرائع والقوانين البيعيّة عدّة مرّات. من ذلك انّهُ بصلواتهِ وقع في جنون جماعة من نويون بسبب أنّهم قضوا يوم عيد مار بطرس الرسول بالرقص والزهو*

ثمّ لمّا دنا وقت مجازاتهِ على أتعابهِ وأعمالهِ الحسنة. مرض. وأنبأهُ الله بقرب رحيلهِ. فدعا قسوس بيعتهِ لديهِ. وحثّهم على المحبّة وحسن القيام بخدمة الربّ. وختم كلامهُ معهم بقولهِ: اطلق الآن يا ربّ عبدك بالسلام. والطف بحال أولادك. واحرسهم على الدوام بنعمتك المقدّسة. ثمّ أسلم روحهُ وذلك في أوّل كانون الأوّل من سنة ٦٦٥* ورثاهُ أهل فرنسا بأجمعهم. ووفدت إلى نويون آثلدة الملكة هي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأولادها الثلاثة لتشييع جثّتهِ. فدُفن في نويون باحتفال وكبكبة* وتكاثرت الأعاجيب بشفاعتهِ من بعد موتهِ بنوع فائق جدّاً*

* اليوم الثاني *

القدّيسة ببيانة العذراء الشهيدة ـ مار بطرس خرسولوغس

مطران راوينا ـ حبقوق النبي

القدّيسة ببيانة العذراء الشهيدة

كانت ببيانة في الأصل من روميّة بنت شهيدين من شهداء المسيح أي بنت الوالي فلبيانُس ودفروسة* وتمسّكت ببيانة بأجلّ الفضائل المسيحيّة منذ صغرها. ثمّ انّهُ إذ ثار الاضطهاد على النصارى في زمان يُليانس المنافق. قُبض عليها وفُوّض أمرها ومحاكمتها إلى فَوْسطس الوالي. فشرع يحثّها بحجج شتّى على عبادة الآلهة. ثمّ أخذ يتهدّدها بتهديدات مريعة ان أبت ذلك. ولكنّها بقيت ثابتة غير متزعزعة من كلّ هذهِ المعالجات لا بل انّ الله أعطاها قوّةً ونعمةً حتّى توصّلت إلى أن تليّن قلب الوالي وتنير عقلهُ بنور الديانة. فرفض ضلالة الأوثان وتنصّر. ثمّ استشهد* ثم سيقت إلى قدّام قاضٍ آخر. فلمّا رآها ثابتةً كلّ الثبات على الديانة النصرانيّة ومتعوّذةً كلّ التعوّذ من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عبادة الأوثان جزم عليها بالجلد. فجُلِدت. ثمّ مزّق لحمانها بسفائف حادّة من حديد. وبذلك نالت اكليل الشهادة. وحدث ذلك في سنة ٣٦٢ للمسيح. وبقيت جثّتها ملقاة على الأرض مدّة يومين. ثمّ وفد أحد الكهنة النصارى وحملها إلى المقبرة. ووضعها بجانب أمّها. وذلك في اليوم الثاني من كانون الأوّل. فاتُّخِذ هذا اليوم لعمل ذكرها*

مار بطرس خُرسولوغُس مطران راوينا

وُلِد بطرس في إيمولة وهي في جوار مدينة روميّة. فلمّا نشأ وابان عن شمائل حسنة وأخلاق مليحة وأعمال فاضلة رسمهُ أسقف ايمولة دياقوناً أي شمّاساً انجيلياً* ثمّ اصطحبهُ قرنيليوس اسقف ايمولة في سفرهِ إلى روميّة إذ قصد البابا كسسطس الثالث بجملة من أعيان مدينة راوينا ليستمدّوا منهُ تأييد من انتخبوهُ ليكون اسقفاً في راوينا. فلم يُجب البابا إلى طلبتهم. وذلك لأنّهُ رأَى في الحلم ذات ليلةٍ مار بطرس الرسول وتلميذهُ مار أَيليُنّاريس أوّل أسقف على راوينا يصدّانهِ عن تأييد من يعرضونهُ هم عليهِ ليكون أسقفاً لتلك المدينة ويشيران إليهِ أن ينصب لهم واحداً يجيء في صحبتهم. فلمّا رأَى في صحبتهم بطرس الشمّاس. جعلهُ أسقفاً عليهم. فاغتاظ السفراء من جرى ذلك. فلمّا اطلعهم البابا على علّة ذلك. اعتقدوا في بطرس استحقاق تلك الوظيفة وايقنوا انّ الله هو الذي انتخبهُ ليسوسهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلمّا عادوا بمطرانهم الجديد في راوينا وانتشر فيها عجيب ما حدث في شأن انتخابهِ. طلعت المدينة بأهلها لاستقبالهِ وترحابهِ. ولا سيّما الملك والنتينس الثالث وأمّهُ بلاقيدية لأنّهما كانا حينئذٍ في مدينة راوينا. ثمّ افتتح وظيفتهُ الجديدة بخطاب وجّههُ إلى جماعتهِ بأسرها. وبهِ حثّهم على معاونتهِ ومساعدتهِ في هذا الحمل الثقيل الذي وضعتهُ على كاهلهِ العناية الإلهيّة وحدها بدون مداخلة أحد الناس في ذلك. وفهّمهم انّ مساعدتهم لهُ متوقّفة على التمسّك بشريعة الله والاذعان لأوامرهِ وتدابيرهِ. ثمّ شرع في عمارة كنائس ودور وغير ذلك من البناء ممّا يفتقر إليهِ خير ابرشيّتهِ. ولكنّ أخصّ صفاتهِ كان علمهُ الزاخر السنيّ الفريد بأُمور الديانة والحقائق الموحى بها. وتلألأ علمهُ بفصاحةٍ وبلاغة بديعة عجيبة. وناهيك انّهُ من سبب علمهِ وبلاغتهِ المشار إليهما استحقّ أن يُطلَق عليهِ لقب خُرسولوغس أي الذهبي الكلام* وبهذهِ طلاوة لسانهِ وعظيم علمهِ تمكّن من التغلّب على حواجز كثيرة تعرّضت لهُ*

وفي أيّامهِ التأم المجمع بمدينة خلقيدونيّة لحرم البدعة المنوفسيتيّة وابطالها. وكان المهتمّ بذلك مار لاون الأوّل البابا الروماني. فكتب إلى بطرس وطلب إليهِ أن يضع مقالة في معتقد الطبيعتين ردّاً على الضلالة المنوفسيتيّة ويسيّرها إلى المجمع الخلقيدوني. ففعل ذلك وأتى بالمقصود وأجاد. فنالت مقالتهُ التقاريظ الجليلة من آباء المجمع المذكور* وبذل جليل ما كان لهُ من الفصاحة والعقل في استئصال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رذائل كثيرة كانت قد بقيت في راوينا من آثار عبادة الأوثان. ولم يزل يسعى بذلك لدى جماعتهِ في مواعظهِ وإرشاداتهِ حتّى محاها كلّها* ثمّ اقتضى لهُ أن يذهب إلى مدينة ايمولة محلّ مولدهِ وصحبهُ جماعة من أهل راوينا. فلمّا كان في ايمولة أوحى إليهِ الربّ بقرب وفاتهِ. فأخذ يستعدّ للرحيل. ودخل كنيسة مار قسّيانس الشهيد. وطلب من هذا القدّيس العظيم أن يساعدهُ على العبور من الدنيا إلى الآخرة. وسلّم نفسهُ بيدهِ لكي يسلّمها هو بيد خالقهِ* ثمّ انثنى على جماعتهِ. وكانوا معهُ. فوعظهم وحثهم على الثبات والتمسّك بشريعة الله. وحرّضهم على انتخاب خليفة لهُ في الأسقفيّة تكون فيهِ الشروط اللاّزمة المستحبّة* ثمّ انتقل إلى ربّهِ في ثاني كانون الأوّل من سنة ٤٤٩* وكان لهُ في الأسقفيّة عشر سنين. وقُبر جسدهُ في كنيسة مار قسّيانس المذكورة. ووُضع بجانب جسد هذا الشهيد المعظّم. وقد وصل إلينا غير يسير من مواعظهِ الجليلة البديعة*

حبقوق النبي

انّ حبقوق هو من قبيلة شمعون من قبائل بني إسرائيل. ووُلد في بيت زكر كما ورد في بعض الصحف* وذُكر عنهُ انّهُ إذ رأى بختنصّر ملك بابل مقبلاً إلى أورشليم يريد الاستيلاء عليها. هرب إلى بلاد العرب. وأقام هناك مدّة من الزمان. ثمّ انّهُ رجع إلى أرض يهوذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعدما افتتح البابليّون اورشليم وانثنوا عنها إلى بلادهم. وصار يعمل في فلاحة الأرض والزراعة* واتّفق لهُ انّهُ إذ كان يوماً يُعِدّ الغداء للحواصيد سمع صوتاً يقول لهُ: اذهب إلى دانيال في بابل. واجعل لهُ حصّة من هذا الغداء. فاحتجّ بكونهِ لا يعرف دانيال ولا بابل. فمسكهُ ملاك الربّ من خصلة شعرهِ. ونقلهُ في الحال إلى بابل بالغداء الذي كان قد أعدّهُ للحواصيد. فقدّم الطعام لدانيال. وكان إذ ذاك دانيال قائماً في الجبّ بين الأسود. وبعد ذلك نقلهُ الملاك نفسهُ من بابل إلى يهوذا. وأقام هناك إلى آخر عمرهِ. وكانت وفاتهُ قبل انتهاء الجلاء البابليّ بسنتين. وذلك سنة ٥٣٨ قبل المسيح. وقيل انّهُ تنبّأَ عن قرب عود شعب اسرائيل من السبي. وعن تجديد هيكل أورشليم. وعن خراب مدينة أورشليم. ويُعَدّ حبقوق بين الأنبياء المعروفين بالصغار. وبين جملة الكتب المقدّسة القانونيّة الجزء المعروف بنبوّة حبقوق. وهي تنطوي على ثلاثة فصول*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث *

فرنسيس خاوير رسول بلاد الهند ـ قسّيانس الشهيد

فرنسيس خاوير رسول بلاد الهند

كان فرنسيس من أشرف البيوت التي في ناوارا. ووُلد في سنة ١٥٠٦. فلمّا نشأَ أُرسل إلى المدرسة الجامعة بباريس لكي يتعلّم العلوم. فبرع في الفلسفة. وكان حاذقاً فهماً دون الوصف* واتّفق في تلك المدّة انّ القدّيس اغناطيوس لويولا قدم إلى باريس هو أيضاً إلى المدرسة الجامعة. وكان منزلهُ منزل فرنسيس نفسهُ. فتعارفا وصار لهما أُلفة. وشرع اغناطيوس يحثّ فرنسيس إلى اتّباعهِ. فاظهر فرنسيس قليلاً من التمنّع لأنّهُ كان يشتاق إلى أن يملك جاهاً وقدراً ومنصباً في الدنيا لِما كان فيهِ من ملاحة الشمائل وحسن الخلال. ولكن في الآخر خضع وسلّم لمار اغناطيوس. فجزم على نفسهِ أن يسير سيرة قشفيّة وان يبلغ إلى درجة الكمال. ولم يزل يزداد يوماً فيوماً في محبّة يسوع المسيح ويبالغ في اماتة النفس والتقشّف. ولذلك اخترع أن يشدّ نفسهُ بقيود جافية معقَّدة شدّاً بليغاً. فتأَصّلت في لحمهِ وأحدثت لهُ أوجاعاً شتّى* وفي عيد انتقال السيّدة سنة ١٥٣٤ نذر هو ورفاقهُ قاطبةً ان ينطلقوا إلى بلاد فلسطين لهداية الغير المؤمنين إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الايمان الحقّ. فانطلق برفقتهم إلى روميّة لينالوا بركة الحبر الأعظم ويذهبوا إلى بلاد فلسطين لوفاء نذرهم. وسافروا راجلين. وحدث لهُ في السفر ان اشتدّت عليهِ الأوجاع لسبب القيود التي كان مقيّداً بها وتورّم جسدهُ كلّهُ. ثمّ نال الشفاء من الله بصلوات رفاقهِ. فساروا وكانوا في أيّ مدينةٍ يدخلونها ينطلقون إلى البيمارستانات لخدمة المرضى ومداراتهم. عائشين بالصدقة* ثمّ وصلوا إلى روميّة. ومثلوا بين يديّ البابا ونالوا بركتهُ. ثمّ سافروا منها متوقّعين انجاز نذرهم في الذهاب إلى فلسطين. فبلغوا مدينة بندقية. وارتسم فيها فرنسيس قسّيساً سنة ١٥٣٧. ونذر نذْر العفّة والفقر* ثمّ انّهم إذ تعسّر لهم الذهاب إلى فلسطين كما نذروا لسبب الحرب بين أهل بندقيّة والترك. فوّضوا أمرهم بيد الحبر الأعظم. فبدّل نذرهم بنذر آخر وهو أن يعملوا في خير النفوس في بلاد أخرى* فذهب فرنسيس إلى بولونيا. وشرع يشتغل بمداراة المرضى وخدمتهم. وتعليم أصول الديانة للصبيان والاعتراف والوعظ وغير ذلك من الأعمال التي تؤول إلى خير النفوس* وأخذ يحصّل قوتهُ النزر من الصدقة. ثمّ دُعي إلى روميّة في سنة ١٥٣٨* وفي تلك الأثناء ورد إلى روميّة رسالة من يوحنّا الثالث ملك البرتوغاليّين فيها يطلب إرسال نفر من اليسوعيّين إلى بلاد الهند التي كانت تحت يدهِ لتلماذها. فاختار البابا بولس الثالث فرنسيس خاوير لينذر بالإنجيل في تلك البلاد. فرحل في نحو سنة ١٥٤١. ولم يأخذ معهُ شيئاً من متاع الطريق سوى كتاب الصلوات الفرضيّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القانونيّة. وبعد سفر طويل متعب. نزل في ٦ أيّار من سنة ١٥٤٢ في مدينة غوا التي كانت قاعدة أملاك البرتوغال في تلك البلاد. وفي مدّة سفرهِ عمل عجائب كثيرة* وكان في كلّ مدينة ترسو السفينة فيها. يخرج لعمل الخير ولمداراة المرضى وللوعظ والانذار* فلمّا رأَى سوء حال أولئك الأقوام في أمور الدين. انفطرت كبدهُ شفقةً وبكى عليهم* وأعطاهُ البابا براءة شريفة فيها جعلهُ سفيراً رسوليّاً في تلك النواحي. لكن مع ذلك لم يشأ أن يعمل شيئاً الاّ بإذن أسقف المحلّ ومشاورتهِ* فأخذ يهتمّ بإصلاح أحوال ذلك الشعب البائس. وأَخذ يستأصل الرذائل الكثيرة المتأصّلة فيهم* فبدأ بمداراة المرضى واعانة الفقراء. ثمّ انعكف على الوعظ. فشرع أوّلاً يرشد ويزجر وينذر أولئك القوم حتّى يصلح أحوالهم ويجعلهم يسلكون مسلكاً لائقاً بالدّين الطاهر الذي كانوا متديّنين بهِ. ثمّ وجّه الحاظهُ خاصّةً إلى الشباب ليدرّبهم في سبيل الصلاح. وشرع يجمع الصبيان ويسوقهم إلى الكنيسة ويعلّمهم التعليم المسيحيّ وفرائض الديانة المسيحيّة* فبهت أهل المدينة لما رأوهُ في الصبيان من التقوى والورع وحسن السلوك. واعتبروا بهم وغيّروا أطوارهم* وانتبه المتغافلون وارعوى الخاطئون إذ ساءهم حالهم. وقصدوا فرنسيس وتابوا على يدهِ. وهكذا بأتعاب هذا القدّيس لم يبقَ أحد في المدينة مذموم السيرة إلاّ نادراً* ولم يصرف لنوال ذلك أكثر من خمسة أشهر* ثمّ رحل إلى راس كومرين. وكان فيهِ نصارى ليس لهم من النصرانيّة سوى الاسم مجرّداً. لأنّ عوائدهم كانت تخالف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

دين المسيح* فأخذ يطوف القرى والضياع ماشياً حافياً وهو ينذر باسم يسوع المسيح. فنجع إنذارهُ في قلوب أولئك الأنام. وتاب جمّ غفير منهم* ودعا الغير المؤمنين أيضاً إلى الديانة النصرانيّة. فعمّذ منهم هو نفسهُ أربعين ألفاً ونيّفاً* واتّخذ لهُ كتاباً يحوي التعليم المسيحيّ ومبادئ الديانة. فكان يجمع الصبيان في الصباح والفتيات عند المساء ويشرحهُ ويفسّرهُ لهم بلغتهم بعناء جزيل وهمّة غزيرة. ويزور المرضى ويسلّي البائسين. حتّى انقلب حال تلك البلاد إلى حال جديد عجيب. وكثر في أولئك الشعوب عدد الصلحاء والقدّيسين* وأيّد الله أتعابهُ بكرامات ربّانيّة كثيرة. حتّى انّ أمتعتهُ كانت تهب الشفاء لمن يمسّها بايمان وثقة* ثمّ توغّل في البلاد المجاورة ووصل إلى مملكة تراوَنْكور. فكسب من أهلها جماعة كبيرة إلى ديانة المسيح. فهدموا هياكل أصنامهم وكسّروا أوثانهم واتّخذوا كنائس ومعابداً لله الحقّ* وصار قبل كلّ شيءٍ يستميل الملوك والولاة إليهِ ويجذبهم إلى دين المسيح فيتسارع الناس إلى طلب العماذ والتنصّر* وشاع صيتهُ إلى أقصى بلاد الهند. فأخذوا يرسلون إليهِ من كلّ ناحية يلتمسون منهُ ان يأتي عندهم ليهديهم ويعمّذهم. فرحل إلى جزيرة سيلان. ثمّ توجّه إلى مليابور. وهي موضع قبر مار توما الرسول. فبقي مدّة سبعة أيّام صائماً في سفرهِ استعداداً لزيارة ضريح هذا الرسول العظيم* وبذل الجهد البليغ هناك أيضاً للإنذار بالإنجيل. وتلمذ كثيرين* وكان الشيطان يثير على فرنسيس وعلى تلاميذهِ اضطراباً شديداً. حتى انّهُ ذات ليلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هجم عليهِ بجنود عديدة فضربوهُ ضرباً قاسياً. الاّ انّهُ تغلّب عليهم بالصلوة* ثمّ قصد ملاقة وهي من أعظم بلاد الهند. وجذب أفواجاً لا تحصى من أهلها إلى دين المسيح. وتوجّه أيضاً إلى البلاد المجاورة. ونصب فيها جميعاً كنائس ومعابد. وقاسى في كلّ ذلك مشقّات وأتعاباً وصعوبات وشدائد وضيقات لا يُعبِّر عنها اللسان. ومع هذهِ الأتعاب المتواصلة الغير الموصوفة التي قاساها في النهار لم يهمل أمر تقديس نفسهِ. وصرف الليالي في السهر والصلوة والتأمّل*

ولم يكتفِ فرنسيس بما صنعهُ في بلاد الهند. بل أراد ان يذهب إلى يابان في شرقيّ بلاد الصين مع بُعدها. وينذر أهلها بإنجيل المسيح. فتوجّه نحو تلك الأرض. ووصل إلى مدينة كَنفكسيمَة في يابان سنة ١٥٤٩ في يوم عيد انتقال العذراء. وطلب مواجهة الملك فأباح لهُ الإنذار. فطفق ينادي ويبشّر بالإنجيل. وأجرى الله على يدهِ كرامات. منها أنّهُ أقام ابنة أحد الشرفاء الوثنيّين وابرأ ابرصاً. فتتلمذ لهُ جمّ غفير من الناس* ثمّ انّ الكهنة الوثنيّين الذين يُقال للواحد منهم البُنْزاذ فطنوا بانقراظ عبادة الأوثان في تلك البلاد لدخول الناس أفواجاً في النصرانيّة. شوّشوا فكر الملك. وأثاروا على فرنسيس اضطهاداً شديداً حتّى أحوجوهُ أن يبارح تلك المدينة. فذهب إلى فيرندو فكسب من أهلها عدداً غير يسير. ثمّ توجّه إلى مدينة امنفوخي وهي عظيمة مشحونة بالخلق. فلم يثمر تعبهُ هناك. فانصرف وتوجّه وجهتهُ نحو مدينة مياكوا التي هي قاعدة ممالك يابان. فاراد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن ينذر فيها. فرأى انّ أولئك القوم في اضطراب وفتن حربيّة غير مستعدّين لقبول استنارة الحقّ فرجع إلى أَمَنْفوخي. وتساير مع أولئك القوم وطابقهم في اللبس والعظمة حتّى نال الإجازة في أن ينذر هناك بالإنجيل* فأنذر وتلمذ وعمّذ ثلاثة آلاف نفس من أهل تلك المدينة في أقلّ من سنة* وبعث صاحب مملكة بَنْغوا في طلبهِ. فسار إليهِ. وحصل لديهِ على اعزاز واكرام فائق* وجمع الملك البنزات أي كهنة الوثنيين وأحضر فرنسيس بينهم. فجعل يجادلهم في حضور الجمهور حتّى أفحمهم وأخزاهم. وحمل نفراً منهم على أن يتنصّروا وتبعهم جماعة عظيمة من أولئك الأقوام. حتى انّ الملك نفسهُ تعمّذ* فلمّا رأى الحصاد كثيراً في تلك البلاد والفعلة قليلين عزم على الرجوع إلى بلاد الهند لكي يرسل من الهند فعلة إلى بلاد يابان ممّن يستصوبهم ويراهم أهلاً لذلك. فعاد إلى غوا وجهّز عدّة من المرسلين لبلاد يابان* ثمّ انّهُ أخذهُ غرام روحانيّ بإنذار أمّة الصين بايمان المسيح. وكان الغرباء ممنوعين منعاً شديداً من دخول تلك البلاد. فافتكر في الأسباب التي بها يمكنهُ أن يصل إلى اربهِ. فطلب من الوزير أن ينفذ واحداً من أعوانِه سفيراً إلى ملك الصين بهدايا نفيسة جليلة ويرافق هو هذا السفير. لكي يتوصّل بهذهِ الحجّة إلى دخول بلاد الصين ليختبرها ويكتشف عن استعداد أهلها لاقتبال النصرانيّة. غير انّهُ عندما أراد السفر قامت عليهِ صعوبات ومشاكل متعدّدة من كلّ نوع. ولكنّهُ لم يرتخِ عزمهُ شيئاً. فبعد المعالجة الطويلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والصبر الجميل نال أن يدخل جزيرة سَنِجْيان المجاورة لمدينة مكاءُو التي هي في ساحل الصين* انّ الحكمة الإلهية ربمّا ألهمت عبيدها أفكاراً لا تريد أن تنجزها بالعمل لكي تجازيهم على نيّتهم الصالحة. وهكذا جرى الأمر مع فرنسيس. فانّهُ إذ كان يرجو أن يتوغّل في أرض الصين وقع مريضاً. وقضى اثني عشر يوماً في الأوجاع والعاهات بغير عون من أحد الناس. ثمّ توفّي سنة ١٥٥٢ في اليوم التاسع من كانون الأوّل ولهُ من العمر ستّ وأربعون سنة*

انّ اللسان يحسر عند وصف خواصّ هذا القدّيس الجليل وأتعابهِ وفضائلهِ. فانّهُ كان متواضعاً دون الوصف. وفي مدّة سفرهِ ما برح يخدم المرضى ويتعاطى انذل الأمور وأحقرها محتسباً نفسهُ آخر الناس وأعظم الخطاة. وكان يتجنّب مديح الناس. ولهذا فما زال يكثر ويبالغ في حثّ رفاقهِ على التمسّك بالتواضع أكثر من كلّ شيء. وهذا التواضع أنتج فيهِ طاعة عمياء حقيقيّة لأوامر روسائهِ ولا سيّما اغناطيوس رئيس اليسوعيّين. وكان فيهِ التواضع والطاعة مقرونين بحبّ الفقر. فكان يرفض كلّ الهدايا والعطايا والخلع التي يمنّ بها عليهِ الأغنياء والولاة ويفضّل عليها تحصيل قوتهِ بالسؤال والاكتساء بالثياب البالية الرثّة. وناهيك انّ السبب الذي علّق فرنسيس بهذهِ الأشياء وحملهُ على اقتحام الأخطار والأهوال والمشقّات الكثيرة لم يكن سوى المحبّة العظيمة لربّنا يسوع المسيح. وهذهِ محبّتهُ العجيبة جعلتهُ أن يحتمل الاضطهادات والاهانات والشدائد الصعبة بتسليم وصبر عظيم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبهذهِ المحبّة كان يستغني عن كلّ شيء. ويزداد رغبةً في الاحتمال. وكان يتمنّى أن يجعل العالم بأسرهِ يحبّ يسوع المسيح. فكان يهتمّ بالإنذار وجذب الخطاة إلى التوبة والغير المؤمنين إلى الايمان. ويقتحم لذلك الأتعاب الجزيلة والأخطار العظيمة. وكان يتساير مع الناس وينزل معهم أيّ منزلة كانت ليكسبهم للمسيح*

ومن نتائج هذهِ محبّتهِ الغزيرة اضحت دائماً روحهُ مقرونةً بالله وبالصلوات الحارّة والتأمّلات المتعمّقة حتّى انّهُ ما فَتِئ يصرف غالب الليل في التأمّل والصلوة. وكان إذا استراح قليلاً بالنوم يصرخ في الحلم مراراً ويقول: يا يسوع حبيبي. يا حبيب نفسي يا خالقي يا سيّدي* وكانت محبّتهُ الشديدة لآلام المخلّص وشدّة توغّلهِ في التأمّل تجعلانهِ أن يغيب أحياناً كثيرة عن حواسّهِ ولا يشعر بما يكون في صدرهِ. وكان يحدث لهُ ذلك كثيراً في وقت القدّاس. وجاد الله عليهِ في وقت الصلوة بهبات ربّانيّة كثيرة. منها روح النبوّة. فانّهُ كثيراً ما تنبّأَ عن حوادث مستقبلة آتية حدثت بموجب ما تنبّأَ. فصار الناس يخافونهُ ويصدّقونهُ ويذعنون لكلامهِ* وكان من جملة هبات الله لهُ انّهُ كان يعرف سرائر الناس واخفى أفكارهم. فكان يكشف للناس خطاياهم فيَحترزون على أنفسهم من الوقوع بها. لأنّهُ لم يكن يخفاهُ خافٍ* ومن أفضل هبات الله لهُ العجائب والآيات التي أمدّهُ بها. فانّهُ كان لهُ سلطان على طرد الأرواح النجسة. وابرأ كثيرين من الأسقام والعاهات المستولية عليهم. وأقام أيضاً أربعة أموات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثلاثة في الهند وواحداً في يابان*

ولنرجع إلى الحديث عن موتهِ. فانّهُ لمّا علم الناس بموتهِ. تقاطروا إلى رؤيتهِ. فرأوهُ منضجعاً وعليهِ مسحة البهاء والنور كأنّهُ نائِم. فأخذوا جسدهُ وقبروهُ باحتفال وقد ألبسوهُ ثيابهُ القدسيّة. وذرّوا على جثّتهِ نورة قصدَ أن تفني لحمانهُ عاجلاً. فيمكنهم أن يحملوا رمّتهُ إلى الهند. ولكن بعد أكثر من شهرين وجدوا جثمانهُ صحيحاً طريّاً كأنّهُ حيّ. وثيابهُ لم تبلَ. ونقلوهُ إلى مدينة غوا. وهناك وُضع في كنيسة مار بولس باكرام وتوقير. وتجري على ضريحهِ إلى اليوم كرامات وآيات سماويّة*

مار قسيانُس الشهيد

كان قسّيانس من جملة كتّاب اوراليوس اغريقلانُس عامل افريقيّة. فجرى انّهُ إذ سيق مرقلّس الشهيد إلى الحكم وشرعوا يحاكمونهُ. كان قسّيانُس يكتب أجوبة الحاكم* وأخذ يتأمّل في أقوال الشهيد مرقلّس السديدة ويميّزها بعقلهِ. فأنار الربّ عقلهُ بنورهِ السماويّ. فجعل يستقبح معاملة اغريقلانس وتعدّيهُ على مار مرقلّس. إذ رآهُ يحكم عليهِ بالموت مع براءتهِ وحسن المدافعة عن نفسهِ. فعيل صبرهُ وقام ورمى بالقلم والدواة. وأبى الكتابة. فاحتدم اغريقلانُس غيظاً. وأرسلهُ إلى السجن. ثمّ قتلهُ. وذلك في الثالث من كانون الأوّل*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع *

القدّيسة بربارة الشهيدة ـ الطوباوي كرلومون

القدّيسة بربارة الشهيدة

كان في أيّام الملك مكسمينس في مدينة نقوميديّة رجل شهير من أغنياء الناس وعظمائهم يقال لهُ ديوسقورس. وكان فظّاً قاسياً متعصّباً لعبادة الآلهة الكذبة. وكان لهُ ابنة وحيدة اسمها بربارة وهي جميلة بديعة لها أخلاق تبعد عن أخلاق أبيها بكثير. فحبسها أبوها في محلّ منفرد حرصاً عليها. فحرّك الله قلبها في أثناء إقامتها في الخلوة. فعزمت على حفظ بتوليّتها على الدوام. وزهدت في ملذّات هذهِ الدنيا وملاهيها. واتّخذت الربّ وحدهُ عريساً لنفسها* فلمّا شاء أبوها أن يزوّجها من أحد الشرفاء أبت ذلك وقالت لهُ: قد اتّخذتُ لي عريساً لا يموت. فكيف أفضّل عليهِ زوجاً مائتاً. فغضب أبوها أشدّ الغضب عليها. ورأى أن يبتعد عنها مدّة من الزمان علّها تبدّل رأيها. ثمّ دعا البنّائين وأمرهم على عمل حمّام ذي شبّاكين لابنتهِ. ثمّ سافر إلى بعض البلاد. ونزلت بربارة يوماً لترى العمارة. فأمرت أن يُعمَل ثلاثة شبابيك بدل الاثنين على عدد الأقانيم الثلاثة في سرّ الثالوث. ثمّ رسمت على الجرن إشارة الصليب. فانطبع الصليب على المرمر كما ينطبع على الشمع.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وصار كلّ من يَلج ذلك الحمّام من ذوي الأسقام. يزول عنهُ مرضهُ في الحال. وبعد ذلك صعدت من الحمّام إلى محلّ كانت فيهِ أصنام لأبيها. فاغتمّت جدّاً* فلمّا عاد أبوها من السفر ورأى الشبابيك الثلاثة وعلامة الصليب في الجرن. سألها عن ذلك وسببهِ. فاغتنمت الفرصة وأنذرتهُ بسرّ الثالوث وسرّ التجسّد. فلمّا رآها على دين النصارى احتدّ غضباً وانقلب من حال الوالد إلى صفة المعذّب القاسي. وتناول السيف ليقتلها هو بيدهِ. فهربت من قدّامهِ. فلحقها. وصانها الله بأعجوبة سالمةً من يدهِ. وذلك انّها في هربها منهُ جاء قدّامها حاجز. فلان الصخر بحيث انّها خرقتهُ. ثمّ عاد من ساعتهِ إلى صلابتهِ واصل طبيعتهِ. ومع هذهِ الآية الباهرة لم تنكسر حدّة أبيها. لأنّ قلبهُ وذهنهُ كانا كالحجر الصوّان لا يُؤَثّر فيهما شيء. وبعد ذلك إذ عرف المحلّ الذي وصلت إليه بربارة. سعى في طلبها. ولمّا أدركها أوقع بها السيف فهشّمها. ثمّ أمسكها بذوائب شعرها. وجرّها هو بيدهِ في شوارع المدينة حتّى بلغ بها إلى بيت صغير فحبسها فيهِ. ثمّ أحضرها أمام الوالي مرقيانس لكي يحاكمها ويعاقبها. فبَشّ بها مرقيانس أوّلاً وأخذ يلاطفها ويستميلها بالمواعيد والتملّقات. فلم ينَل منها بغيتهُ. فجعل يتهدّدها ويخوّفها. فلمّا عجز. أمر بجلدها. فسالت دماؤها من كلّ ناحية. ثمّ ألقاها في السجن. وظهر لها في السجن يسوع المسيح وعزّاها وقوّاها وشجّعها ووعدها بأيدهِ. فزال وجعها كلّهُ بهذهِ تسلية عريسها الحبيب يسوع المسيح. وازدادت شجاعةً. وتمكّنت عزماً وثباتاً* ثمّ أُحضِرت في الغدّ قدّام الوالي. فلمّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رأى بأن قد شُفيت جروحها أخذهُ العجب. ولكنّهُ اضرب عن ذلك. فكرّر عليها تارةً المواعيد وتارةً التخويفات ليجتذبها إلى عبادة الأصنام. فلم يحصّل بهذا كلّهِ شيئاً. فأمر بأن يُمزَّق فخداها بأمشاطٍ حديديّة. ثمّ أحرقهما بمشاعل موقودة. ورضّض رأسها بمطارق من حديد* وفي وسط كلّ هذهِ العذابات كانت مسرورةً فرحى تناجي يسوع وتقول لهُ: يا حبيبي يسوع لا تتركني يدك القديرة هنيهة. فانّي بدون أَيدك لا أقدر على شيء. وبك أقدر على كلّ شيء* ثمّ قطع الوالي ثدييها ولكن لم تقف هنا سورة غضبهِ. بل أمر أيضاً بأن تُجَرّ عريانةً وهي على تلك الحال في طرق المدينة وشوارعها. وزاد على ذلك أمراً بأن تُضرَب في حين سحبها. وكانت هي في تلك الأثناء ترفع نظرها إلى السماء وتطلب من يسوع حبيبها أن يستر هو عري جسدها لئلاّ يهزأ بها الحنفاء. فاستجاب الله دعاءها. والبس جسدها كلّهُ ضياءً سماويّاً باهراً حتّى انّهُ لم يقدر أحد من الحنفاء أن يحدق نظرهُ فيها* ثمّ أُعيدت إلى الوالي. فحكم عليها بأن يُقطَع رأسها. وطلب أبوها الفظّ أن يفوَّض إليهِ قطع راسها. فتناول السيف وأخذ ابنتهُ إلى ظاهر المدينة. فجثت بربارة على الأرض وصلّت وسلّمت نفسها بيد الربّ. فسمعت صوتاً من السماء يدعوها إلى أخذ اكليل الجزاء في دار الملكوت. ثمّ مدّت عنقها. فضربهُ أبوها ديوسقورس بالسيف. وجرى ذلك في اليوم الرابع من كانون الأوّل في الاضطهاد الذي أثارهُ مكسمينس. واحلّ الله القصاص بديوسقورس أبيها في ذلك اليوم عينهِ. وذلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

انّهُ في عودهِ إلى المدينة أصابتهُ صاعقة فمات بها*

واستشهدت بصحبة بربارة امرأة أخرى يقال لها يُليانة. هذهِ كانت حاضرة في جهاد القدّيسة بربارة ورأت الآيات التي أظهرها الله في تلك المدّة. فدقّتها النعمة فرفضت عبادة الأوثان. وتشهّدت بديانة يسوع المسيح. فقُبض عليها في الحال. وعُذّبت. وقُطِع ثدياها. ثمّ ضُرب عنقها*

الطوباوي كرلومون

كان كرلومون أخا كرُلُس مرتلُّس عمّ كارلُس الكبير الشهير ملك فرنسا. وكان كرلومون عند موت أبيهِ قد أصابتهُ ولاية نوسترية وسوابية وثورنجية. فافرغ غاية جهدهِ في إصلاح أحوال الكنيسة فيها* وكان بونفاقيوس القدّيس ينذر بالايمان في ذلك العهد أهل بلاد جرمانيا. فامدّهُ بعونهِ وجمع مجامع وفيها سنّ عدّة قوانين بيعيّة ثمّ خلع على عدّة أديرة خلعاً نفيسة جليلة* وكان القدّيس بونفاقيوس يكلّمهُ كلاماً مفيداً لخلاص نفسهِ. حتّى عزم كرلومون على الزهد في الدنيا. فنهض سنة ٧٤٧. واقام أخاهُ مكانهُ. وتوجّه إلى روميّة. فرسمهُ البابا قسّيساً. وأشار عليهِ بأن يتخلّى في دير للبندكتيّين المعروف بجبل مار أَورسطس* وشيّد كرلومون في ذيل الجبل ديراً لهُ. ثمّ بنى أديرة أخرى وكان لا يجد راحة في ذلك المكان لكثرة تردّد الناس إليهِ لزيارتهِ. فعزم على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الهرب إلى أحد الأديرة المنفردة البعيدة. فتواعد مع أحد الرهبان وهرب ليلاً إلى جبل كسّين. وهو أوّل أديرة البندكتيّين* فلقيهُ الرئيس بالاكرام والترحاب. ولكنّهُ شاء أن يختبرهُ ويجرّبهُ ويمتحن تواضعهُ. فوكّلهُ على الغنم والمواشي ليرعاها. وأخذ يعاملهُ بعنفٍ وشدّة. ثمّ أرسلهُ إلى المطبخ ليعاون الطبّاخ. فكان إذا زلّ في شيءٍ زجروهُ ووبّخوهُ أشدّ التوبيخ. ومع ذلك فكان كرلومون متواضعاً صبوراً* ثمّ أرسلهُ البابا إلى فرنسا لقضاء أمر مهمّ عند أخيهِ بيبين الملك* وفي هذهِ سفارتهِ حصل كرلومون على ذخائر مار بندكتس والقدّيسة سخو لسطقة. فعاد بها إلى جبل كسّين. ووضعها على المذبح الكبير. وشاء كرلومون أن يعود إلى اشغالهِ السابقة. فأخذ يشتغل في بستان الدير. ولكن لم يلبث ان سيّرهُ رئيس الدير إلى فرنسا ليصالح بيبين الملك المعروف بالصغير مع اسقلفوس ملك اللمبرديّين* ثمّ انفرد في دير بمدينة وَيَنّا. فهجمت عليهُ حمّى شديدة وأفضت بهِ إلى الموت وذلك في اليوم الرابع من كانون الأوّل من سنة ٧٥٤. فحُمل جسدهُ إلى جبل كسّين. وعُمل لهُ صندوق من ذهب* وأجرى الله من ذخائرهِ الكرامات الباهرة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس *

مار سابا الانبا

وُلد سابا في إحدى قرى قبادوقيّة. وكان أبواهُ شريفين خائفين من الله. واضطرّا أن يرحلا من بلدتهما إلى مدينة الاسكندريّة. فتركا ولدهما لدى واحد من أخوالهِ. وكان عمر الولد حينئذٍ نحو خمس سنوات* ونشأت مباحثات ومناقشات بين أخوالهِ من سبب المعاش الذي عيّنهُ لهُ أبواهُ عند سفرهما وصار يحزن سابا من أجل هذهِ المنازعات. إذ كان يميل طبعاً إلى الهدوّ والسلامة* فتخلّى عن هموم الدنيا في بعض الأديرة. وتفرّغ للتقوى والأعمال الصالحة. وفي مدّة وجيزة انشغف قلبهُ بالسيرة الرهبانيّة. بحيث انّهُ إذ تصالح أخوالهُ وجدّوا في استرجاعهِ إلى العالم لم يتمكّنوا من اقناعهِ بحجّة من الحجج* ومكث في الدير يقضي النهار بشغل اليد. ويصرف الليل بالسهر والصلوة والخشوع. وما زال يقظاً ساهراً محتفظاً على نفسهِ من مكائد الشيطان ودسائسهِ* وفي أوّل دخولهِ الدير حدث ذات يوم أنّهُ بينما كان يشتغل في البستان رأَى في شجرة تفّاحات شهيّة ناضجة. فجنى منها ليأكلها. فأفاق على نفسهِ وتأسّف على ما فعل ورمى بالثمرة إلى الأرض وقمع شهوتهُ*

وأقام في الدير الذي في بلادهِ إلى أن بلغ السنة الثامنة عشرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من العمر. ثمّ استأذن روساءَهُ ليحجّ إلى القدس الشريف. وفي ذلك انقاد لالهام ربّاني حرّك نفسهُ. فغبّ زيارتهِ لتلك الأماكن المقدّسة تتلمذ لناسك قدّيس كان في بعض أديرة القدس. وأضحى قدوةً للرهبان والعابدين الذين هناك. فصاروا يسمّونهُ الشابّ الشيخ. لأنّهُ إذ كان في عمرهِ شابّاً كان في سيرتهِ وسلوكهِ شيخاً كاملاً* وكان متواضعاً طائعاً محبّاً للشغل مواظباً على الصلوة شفوقاً معيناً للجميع* ورحل إلى الاسكندريّة. فاختلى في مغارة هناك. وأقام فيها نحو خمس سنين يسير سيرة أشبه شيء بسيرة الملائكة* فانّهُ كان يبقى مدّة خمسة أيّام صحيحة صائماً منقطعاً عن كلّ مأكول ومشروب. ويقضي أكثر الليل متهجّداً بالصلوة والتأمّل. ولا يخرج من مغارتهِ الاّ مرّة في كلّ أسبوع ليجمع سعف النخل ويعمل منها حصراً* ثمّ ترك المغارة وابتنى ديراً. فاجتمع إليهِ جماعة كبيرة من الرهبان يبلغ عددهم نحو مائة وخمسين راهباً. فأخذ يدبّرهم ويحثّهم على العيشة النسكيّة. وكان الناس يجزلون العطاء والصدقات على ذلك الدير اكراماً لسابا رئيسهم* وجاد الله عليهم أيضاً بعين ماء لا تنفذ ولا ينقص ماؤها صيفاً وشتاءً. ومكّنهُ تعالى أيضاً من إقامة سبعة أديرة وجعلهُ قديراً على الشياطين ومتسلّطاً على الوحوش الضارية. وصار الناس كلّهم يحترمونهُ ويكّرمونهُ* وسمح الله أن يقوم عليهِ بعض الأحيان رهبانهُ ويسيئون إليهِ. فكان سابا يعاملهم بالرفق والمسايرة والملاطفة ويتغلّب عليهم*

وبقي سابا ملازماً الخلوة عاكفاً على الزهد والنسك. إلى أن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اضطرّهُ الخروج من منسكهِ أمر مهمّ يؤول إلى خير الكنيسة. وكان عمرهُ إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة. وذلك انّهُ اقتضى لهُ ان يذهب بعدّة رهبان إلى انسطاسيوس الملك الهرطوقيّ في القسطنطينيّة ليحملهُ على ترجيع الأساقفة الكاثوليكيّين الذين نفاهم. فأُذن لسائر الرهبان أن يدخلوا إلى الملك الاّ سابا. فانّهُ حُرّم عليهِ الدخول من قبيل رثاثة ثوبهِ. فجدّ رفاقهُ في إدخالهِ. فلمّا دخل رأى الملك ملاكاً نيّراً يتقدّمهُ. فخشي الملك. وقام في سلامهِ واكرمهُ. ثمّ سألهُ عن الأمر الذي أتى بهِ إليهِ. فلمّا عرضهُ بين يديهِ أجاب إلى سؤالهِ اجلالاً لهُ* وحدث مرّة أخرى في مدّة إقامتهِ في القسطنطينيّة انّهُ سطا على المدينة غلاء وجوع وكان الشعب مثقّلاً بأثقال سلطانيّة. فحنّ سابا لشقاوتهم. وطلب إلى الملك أن يعفو عنهم. فعفا عنهم* فلمّا ختم سفارتهُ بحميد العاقبة. رجع إلى خلوتهِ. ثمّ مات انسطاسيوس وتخلّف بعدهُ يسطين الملك. وكان ارثدكسيّاً. فأبرز أوامر ومناشير في خير الديانة الكاثوليكيّة. فبرز سابا ثاني مرّة للانذار بهذهِ الأوامر وللمناداة بها. وكان عمرهُ يومئذٍ ثمانين سنة* ثمّ خرج مرّة ثالثة من منسكهِ أيضاً (وكان عمرهُ إحدى وتسعين سنة) إلى يسطنيان في القسطنطينيّة ليطلب إليهِ أن يعاقب السامريّين الذين كانوا يعادون النصارى. فنال بغيتهُ من الملك المذكور* ومن جملة ما حدث لهُ في هذهِ سفارتهِ انّهُ إذ كان يوماً عند الملك لقضاء مصالحهِ. قُرع ناقوس الصلوة. فاختلى سابا في إحدى الزوايا للصلوة. فقال لهُ رفيقهُ انّ ذلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

غير مناسب. فقال سابا: انّ الملك يقضي فرضهُ ونحن كذلك نقضي فرضنا* ثمّ عاد سابا إلى ديرهِ. فوقع مريضاً. وكان عمرهُ اثنتين وتسعين سنة وادنف. فدعا رهبانهُ ووعظهم والزمهم بحبّ التقوى والكمال. ثمّ انتقل إلى الملكوت في اليوم الخامس من كانون الأوّل سنة ٥٣١. وقدمت الأساقفة لتجنيزهِ*

* اليوم السادس *

مار نيقُلاوس أسقف موره

انّ نيقُلاوس فخر الكنيسة وزينة أساقفتها وُلد في باتارة مدينة من مدن لوقية. وكان أبواهُ حسيبين يتّقيان الله* فلمّا وُلد هذا الولد أظهر دلائل واضحة جَليّة على كونهِ قد اصطفاهُ الله ليكون عظيماً في كنيستهِ المقدّسة* ومن عجيب ما شوهد فيهِ انّهُ منذ طفوليّتهِ كان ينقطع يوم الأربعاء والجمعة من كلّ أسبوع عن رضع الحليب* فلمّا نشأ أرسلهُ أبواهُ إلى المدرسة. فأبان عن عقل واسع حاذق وعن لياقة عظيمة لاقتباس العلوم والمعارف وحفظها. وصار في معاشرتهِ يتجنّب الصبيان الكسالى القليلي الآداب والعديمي خوف الله. ويجالس الفاضلين منهم* وشرع منذ صباهُ يقمع جسدهُ ويقهرهُ بالأصوام العسرة والمسوح والجَلد. ويزور الكنائس كثيراً. ويطلب من الله النعمة ليصون نفسهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عفيفاً طاهراً أبداً. ولذلك أيضاً كان لا ينظر إلى امرأة ولا إلى غلام. وفي الإجمال أضحى نيقُلاوس هيكلاً يسكنهُ روح القدس على الدوام. وأَخذ الناس قاطبةً يحترمونهُ ويحبّونهُ لما شاهدوهُ فيهِ من كبير الرزانة والدراية والصلاح وقداسة السيرة. مع انّهُ كان بعد في عنفوان الشبوبيّة*

وكان لهُ خال أسقف. هذا أشار عليهِ وعلى أهلهِ بأن يقدّموهُ هديّةً لله. ففرح نيقُلاوس بذلك وسيم قسّيساً من يد خالهِ. وفي حين السيامیذ قال خالهُ عنهُ للجماعة: يا أخوتي انّي أرى شمساً نيّرة قد أشرقت اليوم وسيستنير بها العالم يوماً. فيا لسعد ذلك القطيع الذي سيكون هذا راعيَهُ. فانّهُ سيجمع الخرفان الضالّة ويسلّي الحزانى ويشفي المرضى ويريح المتعوبين* وشرع نيقُلاوس يسير سيرة أقدس وأفضل ممّا كان قبلاً لنوالهِ بالرسامة نعماً أجلّ وأسمى. فضاعف أصوامهُ وتقشّفاتهِ. وكثّر صلواتهِ وبالغ في زيارة الكنائس*

ثمّ مات أبواهُ. فانفق جميع ما اتّصل بهِ من الميراث في التصدّق على الفقراء. وكان في تصدّقهِ عليهم يصنع ذلك أحياناً خفيةً بحيث تصل الصدقة إلى الفقراء بدون أن يحسّوا على المتصدّق بها عليهم. فإذا أحسّوا بهِ يتوسّل إليهم أن لا يخبروا بذلك أحداً. وما ذلك إلاّ لزيادة تواضعهِ* ثمّ انّ خالهُ ابتنى ديراً ونصب نيقُلاوس رئيساً عليهِ* ثمّ خرج من الدير ليحجّ إلى القدس الشريف. وكان لهُ نيّة أن يذهب من هناك إلى مصر. فثارت عليهم عاصفة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شديدة حتّى كادوا يغرقون بها. فأزالها الله عنهم بصلاة عبدهِ نيقُلاوس* ومن عجيب ما جرى في السفينة انّ أحد الملاّحين سقط من محلّ شاهق من السفينة إلى البحر. فغرق وباد. فنشلهُ القدّيس وردّهُ إلى الحيوة* ثمّ وصل إلى القدس وتبارك من تلك الأراضي المقدّسة. وعندما ازمع الذهاب إلى مصر. أوحى الله إليهِ بأن يرجع إلى بلادهِ. فنهض وعاد إلى ديرهِ. ففرح بهِ الرهبان* ويوماً ما بينما كان يتفرّغ للصلوة. سمع هاتفاً يقول: انّي لا أريد أن تبقى في هذا المكان. بل قُم اذهب وتعاطَ مع الناس واختلط معهم ليحصل بذلك مجدي* فبادر وذهب إلى مدينة مورة قاعدة ولاية لوقيّة* وحدث انّ أسقف مدينة مورة مات في تلك الأيّام فاجتمع الشعب لإقامة أسقف بدلهُ. فأوحى الله إلى أحد الأساقفة المجتمعين لنصب الأسقف الجديد بأن يتّخذوا نيقُلاوس أسقفاً لمدينة مورة. فاخبر بذلك سائر المجتمعين للانتخاب. فاجمعوا على ذلك. وسيم نيقُلاوس اسقفاً على تلك المدينة* فشرع الأسقف الجديد يزداد كمالاً وقداسةً وتقشّفاً لازديادهِ درجةً ووظيفة* فاتّخذ لهُ لباساً دنيّاً. وصار يأكل مرّة واحدة فقط في النهار. وحرم نفسهُ من أكل اللحم رأساً. وجعل سريرهُ القاع المجرّد. وهو يسهر الساعات الطويلة ويرتّل التسابيح والمزامير الداوديّة لتمجيد الله* ثمّ شمّر لإصلاح حال ابرشيّتهِ. وبدأ بالقسوس. ورسم أن يجمع قسوسهُ مرّة في كلّ سنة ليصلح أحوال جماعتهِ ويرى الاقبال أو الادبار الذي حصلوا عليهِ في ذلك العام* وعني أيضاً بسدّ حاجات الفقراء بصِلات جزيلة قسّمها عليهم*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان الضابط لزمام الملك في تلك الأيّام وديوقلطيانس ومكسميانس الملكين. وكانا قاسيين جدّاً عدوّين مبغضين للديانة النصرانيّة. فأثارا الاضطهاد على النصارى في كلّ المملكة* فبذل نيقلاوس معظم جهدهِ في المحافظة على جماعتهِ وتمكينهم وتثبيتهم في الايمان المستقيم. فنفاهُ الوالي إلى محلّ بعيد. وصحبهُ في المنفى خلق كثير من جماعتهِ. وبقي هناك إلى أن نصر قسطنطين الملك الكنيسة وأعطاها الأمان والحرّيّة. فعاد نيقلاوس إلى كنيستهِ واهتمّ بهدم هياكل الأوثان واستئصال الوثنيّة من تلك البلاد* واجتمع في أيّامهِ المجمع الشهير في مدينة نيقية. وكان نيقُلاوس من جملة آبائهِ. وافرغ جلّ ما كان عندهُ من مناضلة اريوس وتبّاعهِ*

وممّا اشتهر بهِ على الخصوص نيقُلاوس افتعال العجائب والآيات. ومن ذلك أيضاً انّهُ إذ كانت إحدى البلاد في اسيّا قد خلعت الطاعة لقسطنطين الملك وعصتهُ أرسل إليها ثلاثة من قوّادهِ لكي يجبروا أهلها إلى الاذعان والطاعة. فلمّا بلغوا في سفرهم إلى بعض أعمال مورة. أخذهم الطمع فأغاروا على الأهالي لينهبوهم. فتناولوا السلاح لكي يدافعوا عن أموالهم وأنفسهم. وعلم ذلك نيقُلاوس فأسرع إليهم لكي يمنع تلك الفتن والشرور. ثمّ أخذ القوّاد إلى منزلهِ. واعزّهم واكرمهم. فبينما كانوا عندهُ حدث انّ ثلاثة من أهل مورة حكم رئيس المدينة عليهم بالقتل ظلماً. وكانوا أبرياء. فقام القدّيس وذهب بالقوّاد إلى محلّ القتل وقد استلّ السيّاف سيفهُ ليضرب عنقهم. فلمّا وصل القدّيس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

امسكهُ عن ذلك. وخلّصهم من القتل. ثمّ ذهب بالقوّاد لقضاء مصلحتهم فختموها بخير. وعادوا غانمين إلى قسطنطين الملك. فأكرمهم وأعزّهم. فحسدهم بعض الناس ولا سيّما ابلابيوس نديم الملك واحد أعوانهِ. فسعى بهم لدى قسطنطين الملك حتّى حملهُ على الحكم بقتلهم. فاحتاروا في أمرهم. ولم يكن لهم وسيلة ليتخلّصوا من الموت. فاستغاثوا بالقدّيس نيقُلاوس في الصلوة لما شاهدوهُ منهُ في تخليصهِ الأشخاص الثلاثة في مورة من القتل. فاستجاب القدّيس طلبتهم. وظهر في الحلم لقسطنطين الملك وكذلك لابلابيوس ووضّح لهما تعدّيهما على القوّاد المشار إليهم ونهاهما عن مضرّتهم. فلمّا استيقظ الملك دعا ابلابيوس وقصّ عليهِ ما رأى في الحلم. فبادر ابلابيوس وأخبرهُ بما رأى هو أيضاً في تلك الليلة. فأطلقا القوّاد وأرسلاهم إلى مورة بهدايا ومواهب نفيسة إلى مار نيقلاوس*

وبعد أن أنار هذا القدّيس الجليل بيعة الله بغزارة علمهِ وقداسة سيرتهِ وكثرة أعاجيبهِ مدّة سنين مديدة. انتقل من هذهِ الدنيا إلى الآخرة. وذلك في اليوم السادس من كانون الأوّل سنة ٣٢٦ في أيّام قسطنطين الملك* فتقاطر الناس الخاصّة والعامّة منهم من كلّ ناحية ليشيّعوهُ. فشيّعوهُ بدموع ونحيب* ثمّ انّهُ من بعد موتهِ بقليل أخذت تسيل منهُ مادّة طيّبة ذكيّة تشفي كلّ نوع من الأمراض. ودام ذلك مدّة مديدة. واكرمهُ الله بغير ذلك من العجائب الكثيرة الساطعة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السابع *

القدّيسة فارا

كان ابوا هذهِ القدّيسة شهيرين في بلاد اوستراسية. واشتهرا بذرّيّة قدسيّة. وأضحت فارا منذ أوائل حياتها راغبة في الصلوة مجتهدة بالتقوى المسيحيّة. وتملّكت محبّة الله على قلبها ونفسها تملّكاً شديداً منذ صغرها. بحيث انّها منذ ذلك الحين خصّصت نفسها للربّ بحضور أشخاص قدّيسين. فأخذت تحافظ على نفسها وتصونها من أدنى شائبة. وذلك انّها اتّخذت لها عريساً يسوع المسيح ابن الله الطاهر القدّوس* وكان لها عبادة عظيمة لمريم العذراء الطوباويّة وللملاك الحارس ولمار بطرس رئيس الرسل. وكانت تعيش دائماً في الانفراد والخلوة. وتكثر من الصلوة والتأمّل ولا سيّما التروض بآلام المسيح* فلمّا بلغت خطبها بعض الشرفاء. فسمح الله بأن تفقد بصرها لتخلص من لجاجة أهلها وأقربائها على تزويجها. وانسرّت القدّيسة بذلك سروراً عظيماً إذ انّها اتّخذت ذلك احساناً من الله إليها. فشكرتهُ شكراً جزيلاً على انّهُ أزال بصرها ليخلّص نفسها* ثمّ ظهر الربّ لها في الحلم وسلاّها. وأراها شيخاً مهيباً فوعدها بأن يردّ لها بصرها. ثمّ أنبأها أيضاً عن أشياء أخرى مستقبلة* وبعد أيّام اجتاز مار اوسطاسيوس بمدينة أَوْبنيي حيث كانت هي. فابرأها من مرضها وأعاد عليها بصرها. ثمّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حثّ أهلها على أن يخلّوا سبيلها ويبيحوا لها أن تنذر نفسها الربّ وحدهُ. فوعدوهُ بذلك* ولكن بعد مرور مدّة من الزمان نكثوا العهد. ورضوا باعطاء فارا ابنتهم لأحد الشرفاء بدون أن يطلعوها على شيء من ذلك* فلمّا آن الوقت وجاء أهل العريس ليحملوا فارا إليهِ. هربت فارا إلى الكنيسة. وطلبت من الله بحرقة قلب أن ينجّيها من هذا الخطر الآخر. فلحقتها أمّها لتقنعها بالقبول. فلم تشأ* فلمّا علم أبوها بالأمر احتدم غضباً عليها. وأرسل إليها خدّامهُ وأمرهم أن يأتوهُ بها عنفاً وكرهاً. والاّ أن يقطعوا رأسها ويحملوهُ إليهِ* فامتثل أوامرهُ الخدّام وجرّوها مقداراً وضربوها واساءوا إليها كلّ الإساءة. وكادوا يقطعون رأسها لو لم تحرّكهم هي بدموعها وولولتها وبكلماتها الطيّبة إلى أن يكفّوا عنها* فأرسل أبوها حينئذٍ أشخاصاً غيرهم ليسوقوها إلى سجن مظلم ويلقوها فيهِ مدّة ستّة أشهر* وفي ذلك الزمان اجتاز مرّة أخرى ببلدتهم مار اوسطاسيوس. فلمّا وقف على حقيقة ما جرى لفارا. وبّخ اباها توبيخاً شديداً على نكثهِ وعدهُ الذي وعد بهِ الله. وونّبهُ على ذلك. فندم أبوها على سوءِ فعلهِ. وأطلق الحرّيّة لابنتهِ. واثباتاً لذلك احضر الأسقف فالبسها الاكسيم. ثمّ باشر بناء دير لها بنفقتهِ. وسمّى ذلك المحلّ فارا منُستيريس أي دير فارا. فانضمّ إليها جملة من العابدات والراهبات. وكان مرشدها مار كَنْيُلد* ورحلت القدّيسة إلى بلاد الانكليز. ثمّ عادت منها بعدّة من الفتيات الشريفات إلى ديرها. فهذّبتهنّ وأرشدتهنّ في طريق الصلاح والفضيلة. وخرج من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تحت يدها غير يسير من القدّيسات* ثمّ انّها نالت بصلواتها أن تخلّص أخاها فارون من أخطار الدنيا وغوائلها. وبعد ذلك ألهمهُ الله أن يترهّب في أحد الأديرة. وأعدّ قرينتهُ أيضاً لترضى باعتزالهِ عنها. فذهبت هي أيضاً إلى الدير* وما زالت فارا طول عمرها مواظبة على الانفراد والصلوة والتأمّل والقنوت والعيشة القشفيّة. ولمّا حان وقت وفاتها. استعدّت الاستعداد الواجب. فسلّمت روحها بيد خالقها في اليوم السابع من كانون الأوّل من سنة ٦٥٥ للمسيح*

* اليوم الثامن *

عيد مريم العذراء المحبول بها بلا دنس أصليّ

انّ الكنيسة المقدّسة تعيّد أعياداً كثيرة في مدار السنة لاكرام مريم العذراء الطوباويّة التي اختارها الله أن تكون أمّاً لهُ. ومن جملة هذهِ الأعياد هو عيد الحبل بلا دنس الذي يستحقّ المرتبة الأولى والطبقة العليا. فانّ فيهِ ذكراً خاصّاً لأوّل نعمة حازتها البتول مريم من لدن الله. إذ اصطفاها وجعل الحبل بها بدون عيب ودنس أصليّ. خلافاً لسائر أولاد آدم وحواء* ومعنى هذا العيد يتّضح من حقيقة معتقد الكنيسة وتعليمها في شان الخطيئة الأصليّة. فانّ الكنيسة المقدّسة تعتقد وتعلّم انّ آدم وحواء ابوَي البشر خلقهما الله تعالى في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حال النعمة والبرّ الأصليّ. وانّ الجسد فيهما كان خاضعاً خضوعاً تامّاً للنفس. وانّ الجسد والنفس كانا يتعاونان ويتعاضدان جميعاً في الحصول على السعادة الأبديّة. ولكنّ آدم وحواء عصيا الله وخالفا وصيّتهُ الإلهيّة. فثارت فيهما حركات الجسد وقامت على النفس. وأضحى جميع الذين يولدون من نسلهِ يولدون على هذهِ الصفة*

غير انّ الله تعالى استثنى من ذرّيّة آدم وحواء العذراء مريم الطوباويّة وحدها. فانّهُ منذ الأزل اختصّها لتكون أمّاً لهُ* وعلى ذلك فانّ العذراء مريم ولو حبلت بها أمّها القدّيسة حنّة من يواقيم. فمع ذلك قد صار حبلها بدون خطيّة أصليّة. أي انّها أوّل ما تصوّر جسدها ضمّ الله إليهِ نفساً حبيبة لهُ متسربلة بنعمتهِ حاصلة على البرّ الأصليّ* وهذهِ النعمة التي اختصّت بها العذراء مريم ليست بموجب مقتضى طبيعتها. فانّها هي أيضاً كانت ابنة آدم ومن سلالتهِ. بل حازت ذلك من فضل ربّنا يسوع المسيح الذي شاء أن يختارها أمّاً لهُ* فلهذا السبب الكنيسة في هذا اليوم تذكر هذهِ النعمة العظيمة التي مَنَّ الله بها على مريم امّهِ*

وترى انّ الكتاب المقدّس يتضمّن حججاً ودلائل قويّة تبيّن صحّة ما تمسّكت بهِ الكنيسة منذ القديم. فانّ الله عزَّ وجلّ أوّل ما أخطأ الإنسان أسمعهُ صوتهُ وأشار إلى هذهِ المرأة الجليلة وأومأ إلى هذهِ صفتها وخاصيّتها. وقال مخاطباً الحيّة أي الشيطان: انّي أضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين زرعكِ وزرعها. أنتِ ترصدين عقبهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهو يسحق راسكِ* فترى انَّ هذهِ المرأة التي يأتي منها المخلّص الذي يسحق رأس الشيطان ويغلبهُ وينتصر عليهِ أعني يسوع المسيح لا يمكن أن تكون غير مريم العذراء امّ المخلّص ربّنا يسوع المسيح* وترى هذهِ المرأة يصفها الله تعالى بكونها مبغضةً للشيطان على الدوام وانّ بينها وبينهُ عداوة متواصلة غير منقطعة البتّة* فلو فرضنا انّ العذراء حُبل بها بالدنس الأصليّ. لوجب أن نقول انّها بقيت مدّة موافقة للشيطان مستعبَدة لهُ. ووُجد زمان فيهِ لبثت العذراء غير معادية للشيطان. وإذ ذاك فكيف لا يبطل قول الله العظيم الذي أنبأ آدم وحواء وسلّى الناس بالمخلّص*

ثمّ انّ الكتاب المقدّس فيهِ رموز وإشارات متعدّدة إلى العذراء. منها تتّضح وتتبيّن تبييناً جليّاً صفتها هذهِ. ففي سفر الحكمة تُسمّى العذراء زنبقاً نبت بين الشواك. وذلك لأنّ العذراء وحدها حُبل بها بغير وصمة. فهي مثل زنبق بهيّ شهيّ نقيّ نبت في بستان العالم بين أشواك الدنس الذي يطرأ على ذرّيّة البشر بأجمعها من سبب الخطيّة الأصليّة* ولهذا يناديها العروس السماويّ قائلاً: انّكِ كلّكِ جميلة يا حبيبتي. ولا دنس فيكِ ولا أثر خطيّة*

ثمّ انّ الملاك جبرائيل قد صرّح واضحاً بهذهِ خاصّة العذراء عند بشارتهِ لها. وذلك عندما حيّاها بقولهِ لها: السلام عليكِ يا ممتلئة نعمةً* فصفة العذراء متوقّفة على كونها ممتلئة من النعمة. فلو كانت العذراء مولودة بخطيّة أصليّة. لكانت غير ممتلئة من النعمة. أي لكانت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تعوزها هذهِ النعمة الجليلة الفريدة وهي أن تولد بدون خطيّة أصليّة. فبقولهِ لها ممتلئة نعمةً عنى أنّ العذراء فيها كمال النعم الإلهيّة وتمامها. فلا يمكن أنّها كانت تعوزها هذهِ النعمة*

ثمّ انّنا إذا أجلنا طَرْفَنَا في كتب الآباء وتعليم الكنيسة في شان هذهِ القضيّة نراهم قاطبةً متّفقين اتّفاقاً عجيباً في تثبيتها. ونستغني بإيراد الشهادة التي أدّاها مار اوغسطينس الملفان العظيم إذ قال في هذا الخصوص: انّنا نستثني العذراء امّ الله في كلامنا عن الخطايا. فانني لا أشكّ أدنى شكّ في شأنها. لأنّنا نتيقّن انّها نالت نعمة سابغة فائِقة لكي تغلب الخطيّة غلبة تامّة. إذ انّها استحقّت أن تحمل في حشاها وتضع ذلك الذي نحن نعلم انّهُ كان خالصاً من كلّ درن* وكيف يمكن القول انّ الله سمح بأن تتلوّث بالخطيّة ولو ساعة واحدة ولم يصُنها من كلّ درن. وهو قد شاء أن يأخذ لهُ لحماً من لحمها ويسكن فيها مدّة تسعة أشهر* انّ منزلة امّ الله هي أعظم وارفع من كلّ المنازل الموجودة والممكن وجودها في الخلائِق. ولهذا نرى الآباء القدّيسين يعظّمونها على الكواريب والسواريف وجميع الخلائق الكائنة والممكنة. وقالوا بأنّهُ بعد الله تعالى لا يوجد أشرف وأجلّ من مريم العذراء. وإذ ذاك فكيف يمكن أن تكون قد تسلّط عليها الشيطان واستولى عليها برهةً تحت عبوديّتهِ. ونحن نعلم انّ الملائكة لم يتلوّثوا بخطيّة* فأيّ إنسان أيّتها العذراء الطوباويّة الطاهرة النقيّة يقدر أن يدرك جيّداً النعم التي نلتِها في ساعة الحبل بك. انّ الله تعالى في ذلك الحين لم ينظر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إليك كنظرهِ إلى ابنة آدم بل إلى ابنة الله أبيهِ وأمّهِ وهيكل الروح القدس. ان كانت السماء التي هي مسكن الله لا دنس فيها ولا يلجها شيء مدنّس. فكيف يمكن أن يكون قد طرأ عليكِ الدنس وأنتِ أصبحتِ سماء ثانية بل أعظم من السماء. إذ انّ ابن الله اتّخذ لهُ جسداً من جسدكِ* انّ تابوت العهد صُنع من خشب لا شائبة فيهِ لأنّهُ كان مزمعاً أن يحوي لوحي الشريعة التي اشترعها الله. فكيف يمكن أن تكون العذراء حين فُطرت علا عليها الدنس والعيب وهي أمّ صاحب الشريعة ووالدتهُ المقدّسة*

وناهيك انّ الكنيسة الشرقيّة والغربيّة قد أجمعت منذ القديم على تعييد الحبل بالعذراء. وهل ممكن أن تعيّد الكنيسة حَبَلاً لا تعتقدهُ طاهراً من كلّ عيب* ثمّ انّ هذا العيد في عصرنا هذا قد انتشر وازداد عظمةً. وعلى الخصوص في عهد البابا بيوس التاسع. فانّهُ أحبّ أن يسرد هذهِ القضيّة في سلك سائر أبواب المعتقد الكاثوليكي. ولذلك ففي سنة ١٨٥٤ بعدما شاور جميع أساقفة العالم الكاثوليكي وجمع آرآهم وآراء كنائسهم في هذهِ القضيّة. دعا إلى روميّة مائة وستّة وتسعين حبراً من الكردنالات والبطاركة والمطارنة والأساقفة. وجمعهم في محفلٍ في ثامن يوم من شهر الأوّل وهو عيد الحبل بسيّدتنا في كنيسة مار بطرس العظيمة. وفي ذلك المحفل العظيم بين الرهج والأفراح والتهاليل العموميّة أبرز القضيّة الجليلة بكون سيّدتنا مريم امّ المسيح قد حُبل بها بلا دنس. وقال: انّنا بحول ربّنا يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح وسلطان الرسولين المغبوطين بطرس وبولس وسلطاننا نقرّر ونحدّد انّ مريم العذراء القدّيسة منّ أوّل دقيقة من حبل امّها بها قد صانها الله من كلّ دنس الخطيّة الأصليّة. وانّ هذا التعليم قد أوحى الله بهِ. فمن يتجاسر أن يزعم خلاف ذلك. فليعلم انّهُ مشجوب وانّهُ قد خرج من الايمان الكاثوليكي*

* اليوم التاسع *

بطرس فُرْيير

وُلد بطرس في اليوم الثلاثين من شهر تشرين الثاني من سنة ١٥٦٥ وذلك في بعض مدن لورينة. وتربّى تربية صالحة فاضلة. وانعطف إلى حبّ الطهارة والصدق والفضائل بالعموم. ومال خاصّةً إلى حبّ السيرة الاقليرسيّة. وبرع في المعارف والعلوم وفاق على الجميع. وكان مع صغر عمره يظهر رزانة عقل وفطنة وحزماً* ثمّ انتقل إلى مدرسة اليسوعيّين. وكان الرئيس عليها يوحنّا فُرييرأحد أقربائهِ. فاعتنى هذا بتهذيبهِ. ثمّ سيم قسّيساً في اليوم الرابع عشر من ايلول من سنة ١٥١٨. وبعد ذلك أُقيم قسّيساً لكنيسة متَّينكرت. فانسرّ أهل تلك المدينة بقدومهِ. وأظهروا لهُ علامات الفرح والترحاب. وكانت تلك الكنيسة مبلبلة الأحوال. فرأى أن يقيم فيها مدارس لتهذيب الصبيان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وشرع يزورها هو كلّ يوم بنفسهِ. ويعظهم ويحثّهم على الصلاح* ولم يألُ تعباً في استئصال الرذائل الكثيرة التي كانت مبثوثة ومغروسة في تلك الجماعة. ولذلك نصب عدّة أخويّات ليجتذبهم بها إلى عبادة الله ويسلكهم في سبيل الكمال والتقوى* وكان رحوماً شفوقاً على الفقير. وفي كلّ أسبوع يدعو فقراء المدينة إلى منزلهِ مرّتين ويقسّم عليهم الطعام. وكان في الأعياد الكبيرة يكثر من الصدقة* وهمّ أيضاً بتحصيل خير جماعتهِ الدنيويّ* فلمّا اصطلحت وانتظمت أحوال رعيّتهِ قصد سائر بلاد لورينة ليتلمذها. وأقام فيها المدارس وعُني بأمر تهذيب الصبيان والشباب. ومع ذلك كلّهِ لم يهمل أمر كنيستهِ في متَّينكرت عند غيابهِ عنها* وبهمّتهِ ومشوراتهِ اهتدى كثير من الرجال والنساء إلى الزهد والتمسّك بالسيرة الرهبانيّة* ولمّا رأى حال النفوس لا يصطلح اصطلاحاً تامّاً الاّ باصطلاح الكهنة والاقليرس. أقامهُ أسقف تلك النواحي زائراً عامّاً من لدنهِ على القسوس القانونيّين المنسوبين إلى مار بطرس مُنت. ونصبهُ رئيساً عليهم. فجدّد قوانينهم وشدّد عليهم أمر السيرة وما زال على ذلك إلى سنة ١٦٣٢. فاجتمعوا وقتئذٍ لانتخاب رئيس عام على أولئك القانونيّين. وبينما كان يطلب الاستئذان والاستعفاء ليعود إلى رعيّتهِ المحبوبة أصابتهُ القرعة ليكون هو الرئيس العامّ. فحيّاهُ الحاضرون أجمعون بهذا الاسم. وما زالوا على ذلك إلى أن سلّم للعناية الرّبانيّة في ذلك* وحدث اضطراب وقلق في لورينة في تلك الأثناء بسبب حرب شبّت بين ملك فرنسا وبين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كرلس الرابع. فساءت أحوال الناس فيها حتّى وقع العلاء والوبأ. فشمّر بطرس الساعد لخدمة المضروبين البائسين ومداراتهم واعداد من كانت ضربتهُ قتّالة للرحيل من هذهِ الدنيا بالأسرار البيعيّة والاستعدادات التقويّة. وكان يمنّ على المحتاجين بما يفتقرون إليهِ. وما انفصل قطّ من هولاء أولادهِ في الليل والنهار إلى أن زال الغلاء والوبأ* وكانت الأمور الدنيويّة مضطربة مبلبلة. فافتكر في مبارحة مدينتهِ والتوجّه إلى مكان اسمهُ غرى. ولكنّهُ كان قد شاخ وهرم وبلغ عمرهُ اثنتان وسبعون سنة وقد أنهكتهُ الأسفار والأتعاب والمشقّات. فاشتدّت عليهِ الحمّى في أواخر سنة ١٦٤٠ ومع كلّ ذلك ما انكفّ ولا تأخّر من تأدية فرائض الكهنوت. ثمّ داهمتهُ أمراض أخرى أصعب وأشدّ. بحيث أنّهُ لم تقبل معدتهُ أدنى طعام. فادنف. وشوهد قُبَيل النزاع يرتعد ويخاف من الوقوف قدّام منبر الله. ويستعين على الشيطان بمناجاة يسوع ومريم. وهو يقول ليسوع: لا تطرحني من أمام وجهك ولمريم: ارينى كونكِ امّي* ثمّ تناول الأسرار المقدّسة بعبادة وحرارة غزيرة. وأسلم روحهُ في ٩ كانون الأوّل سنة ١٦٤٠ ولهُ من العمر ثلاث وسبعون سنة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم العاشر *

القدّيسة اولالية ـ مار بهنام الشهيد ورفاقهُ

القدّيسة اولالية

كان أبو هذهِ القدّيسة نصرانيّاً ذا حَسَب. فلمّا نشأت همّ بتثقيفها وتعليمها خوف الله والمعارف اللازمة. ووضعها بيد قسّيس ليحسن أمر تهذيبها* فانشغف قلبها بحبّ التقوى والسيرة الروحانيّة. فصارت تكره أمور الدنيا وسائر ما يتعلّق بها. وترفض التزيّن والتحلّي. ولكنّها تولّعت كلّ التولّع في اكتساب محاسن النفس وزينة الروح*

فلمّا صار عمرها نحو اثنتي عشرة سنة جاء الحاكم كلفريان إلى بلدتها. وكانت يومئذٍ هذهِ البلدة مشتهرة جدّاً مشحونة بالناس (وكان يقال لها مريدة) وذلك لكي يعادي النصارى ويعذّبهم ويقاوم ديانتهم. وقد أرسلهُ لذلك داقيوس الملك* فأبرز أمراً في عمل عيد كبير للآلهة. وجزم على الناس قاطبةً أن يحضروا إلى محلّ عيّنهُ ليقرّبوا الذبائح في اليوم المعيّن* امّا أبوها فلعلمهِ بما كانت عليهِ اولالية من جزيل الحبّ للديانة والتلهّف إلى احتمال العذابات والشدائد من أجل يسوع المسيح ذهب بها إلى محلّ بعيد عن المدينة ليحميها من الاضطهاد. ولكنّها لمّا بلغها خبر الاضطهاد الثائر على النصارى أسرعت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وجاءت خفيفةً إلى المدينة لتبيّن انّها مسيحيّة. فلمّا بلغت المدينة. مثلت قدّام الحاكم كلفريان وبيّنت لهُ سخافة عبادة الأوثان وحماقتها وقباحة التعدّيات التي عزم على اجرائها على النصارى. فأخذ يتملّقها ويلاطفها ويبذل المجهود ليجتذبها إلى رأيهِ. فلمّا رأى أن لا منفعة من الملاطفة. أخذ بالتهدّد والتخويف. ولم ينجع بذلك أيضاً. فأمر أخيراً بتعذيبها. فجُلدت جلداً قاسياً. ثمّ سكب على جلدها زيتاً حارّاً مغليّاً. ثمّ مزّق جسدها كلّهُ بصفائح حديديّة. وفي كلّ هذهِ العذابات ما زالت في انبساط وسرور. ترفع عينيها إلى السماء وتقدّم نفسها قرباناً لله. وتسألهُ الأيد والقوّة. وفي الآخر ألقوها في اتون النار. وبذلك ختمت جهادها. وشوهدت نفسها في تلك الساعة تطير إلى السماء بزيّ حمامة نقيّة* وحدث جهادها في اليوم العاشر من كانون الأوّل سنة ٣٠٤ للمسيح في أيّام ديوقلطيانس ومكسميانس الملكين* وأُلقي جسدها المقدّس على القاع معرَّى. فأنزل الله عليهِ ثلجاً من السماء فغطّاهُ. ثمّ وفد بعض المسيحيّين وحملوا جسدها المقدّس وقبروهُ* وأجرى الله كرامات كثيرة على قبرها. وبشفاعتها خصوصاً نجّى مدينة مريدة من يد الغوثيّين الذين عالجوا التغلّب عليها مراراً. فلم يتمكّنوا من ذلك* واتّسعت شهرة هذهِ القدّيسة في كلّ البلاد ولا سيّما في اسبانيا. وبقي ذكرها ثابتاً عندهم على ممرّ الأيّام. فانّهُ إلى يومنا هذا نرى التعبّد لها كثيراً في أهل اسبانيا. وكثير من النساء يُسمَّين باسمها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مار بهنام الشهيد ورفاقهُ

لمّا ملك على الروم في مملكة المشرق يليانس المنافق. وأعاد عبادة الأوثان في العالم. واضطهد المسيحيّين الذين في البلاد الخاضعة لهُ أشدّ اضطهاد هرب كثير من الرهبان والنسّاك إلى مملكة الفرس ليتفلّتوا من كيدهِ وجورهِ. ومن جملة هؤلاء الرهبان الذين هربوا إلى البلاد الخاضعة لملك الفرس القدّيس الفاضل متّى الشيخ أحد تلاميذ مار اوجين منشئ السيرة الرهبانيّة في البلاد المشرقيّة وكان منسكهُ بقرب مدينة آمد المسمّاة الآن ديار بكر. فجاء بجملة من تلاميذهِ إلى نواحي مدينة نينوى القديمة* وكان في آثور يومئذٍ ملك يقال لهُ سنحاريب. ولهُ ولد نجيب يقال لهُ بهنام. فاتّفق ان بهنام خرج ذات يوم إلى الصيد كعادة أولاد الملوك. فرأى صيداً فلحق أثرهُ فلم يدركهُ وأمسى عليهِ المساء وهو بين تلك الأودية. فلمّا لم يجد مبيتاً يقضي بهِ تلك الليلة. نزل في لحف الجبل ونام هناك. فبينما هو راقد ظهر لهُ ملاك وأشار عليهِ أن يقصد الشيخ الذي كوخهُ في قمّة الجبل ويتتلمذ لهُ* فقام بهنام من النوم وهو مرعوب خائف. وصعد الجبل فرأى الشيخ الذي دلّهُ عليهِ الملاك. فشرع الناسك متّى يحدّثهُ في شأن ديانة المسيح وحقيقتها. وبسط لهُ بوجيز الكلام سيرة يسوع ابن الله صاحب هذهِ الديانة ورغّبهُ فيها. ووعدهُ وعوداً جليلة بالآخرة. فلمّا سمع بهنام هذا الكلام استنار عقلهُ بالنور السماويّ واتّقد قلبهُ بنار المحبّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الإلهيّة. ثمّ طلب إلى مار متى أن يكثر من تنويرهِ في حقائق الايمان الصحيح. فبالغ في تهذيبهِ وتثقيفهِ. فوقع ذلك كلّهُ خير موقع في قلب الصبي النجيب* ثمّ سأل الشيخَ القدّيس آيةً بها تثبت لديهِ صحّة الديانة التي ينذرهُ بها. وكان لهُ أخت اسمها سارة جسمها مضروبٌ ببرص منذ زمان. ولم يقدر أمهر الأطبّاء على إزالتهِ. فعرض على القدّيس أن يُبرئَها من برصها. فوعدهُ بذلك* وعاد عند ذلك بهنام إلى اثور ليأتي بأختهِ إليهِ. فلمّا دخل على أمّهِ اقتصّ عليها ما جرى لهُ مع الناسك. واستأذنها في أخذ أختهِ إلى الجبل عند مار متّى. وكتم القضيّة عن أبيهِ* فارسلتهُ أمّهُ سرّاً مصحوباً بأختهِ وحشمهِ إلى القدّيس* وكان القدّيس منتظرهُ. فلمّا رآهُ مقبلاً اشتدّ فرحهُ. ثمّ جثا على القاع وسأل الله العون والايد. ثمّ ضرب الأرض بعصاهُ. فانبعت لهُ ماءً فأخذ سارة وعمذها باسم الثالوث المقدّس. فخرجت من الماء وقد برئت من برصها واستنارت نفسها بالنور الإلهيّ. فايقن الحاضرون بالمسيح وقدرتهِ. وتنصّروا وتعمّذوا كلّهم أجمعون. ثمّ انصرفوا إلى آثور ممتلئون فرحاً وثباتاً. فلمّا رأى الملك سنحاريب ابنتهُ قد برئت من برصها تعجّب من ذلك. ثمّ طفق يسألها قائلاً: من الذي ابرأكِ. قالت: الربّ الإله خالق السماء والأرض. ثمّ حكتهُ القصّة كما جرت. وأقرّت بين يديهِ بايمانها بالمسيح. ووافقها على ذلك بهنام. فاستشاط سنحاريب غضباً. وجمع عظماء مملكتهِ. واستشارهم في الأمر. فأشاروا عليهِ أن ينادي في بلد آثور بعيدٍ للأوثان ويدعو الناس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أجمع إلى السجود لها وتقريب للآلهة. فيخزى بهنام واختهُ ويطابقا الجمهور على عبادة الأوثان. ففعل الملك كذلك. ولكنهما أبيا اباءً شديداً السجود للآلهة. وتشهّدا أمام المحفل بايمانهما بالله الواحد وابنهِ يسوع المسيح. فاشتدّ غضب الملك عليهما وعزم على ابادتهما. فخرج بهنام من المحفل باختهِ. ودعا حشمهُ الذين كانوا قد تعمّذوا برفقتهِ. وكانوا أربعين. وشجّعهم وحرّضهم على التمسّك بديانة الحقّ على رغم كلّ التهديدات والأذيّات. ثمّ اخذهم إلى البرّيّة. وذهب بهم إلى معلّمهم متّى ليتبرّكوا منهُ قبل أن يُقتَلُوا. فلمّا ساروا مدّةً نزلوا عند تلّ ليستريحوا* وكان الملك سنحاريب إذ سمع بخروج بهنام برفاقهِ إلى نحو متّى. أمر جنودهُ أن يتبعوا أثرهم ويأتوهُ برؤوسهم. وبينما كانوا مستريحين في المحلّ المشار إليهِ إذ أقبل الجند وقتلوا الأربعين أولاً. ولم يتركوا الاّ بهنام وسارة. فقال لهم القدّيس بهنام: اقتلوني ولا تشفقوا عليّ. فانّ القتل يوصلني إلى الخدر السماوي. ثمّ جثا على الأرض وصلّى خشوعية. وتبعتهُ أختهُ سارة في الصلوة. وبعد ذلك أخذ رأسيهما السيّاف. فنزلت حينئذٍ أشعّة ساطعة استنارت بها أجسام هؤلاء القدّيسين. ثمّ انشقّت الأرض فاختفت أجسامهم فيها* وبعدهُ انزل الله العقاب بسنحاريب حتّى ارعوى وتاب وندم على ما فعل وتنصّر. وهو الذي شيّد الدير المعروف بدير مار بهنام بقرب مدينة الموصل. ووضع فيهِ ذخائر هؤلاء الشهداء* وجَرَى استشهاد مار بهنام سنة ٣٥٢ للمسيح. ومنذ ذلك الحين شرع النصارى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يتكاثرون في تلك النواحي* وأخذوا يتقاطرون إلى ضريح القدّيس بهنام لكثرة الآيّات التي كان الله يجريها عليهِ*

* اليوم الحادي عشر *

دَمَسوس البابا

كان دَمسوس البابا في أصلهِ من بلاد أسبانيا. ووُلد على ما رأَى بعض المحقّقين في ترّاغونة. وزعم غيرهم انّهُ وُلد في مدريد* ولم يتّصل بنا شيء من أخبار هذا الرجل الفاضل الشهير ينبئنا عن سيرتهِ وصفتهِ قبل أن رُقّي إلى كرسيّ مار بطرس رأس الرسل* فلمّا تقلّد رياسة الكنيسة وجلس على كرسيّ روميّة بذل معظم وسعهِ في خير الكنيسة الكاثوليكيّة. فأزال أضاليل كثيرة. وجذب عدّة من الغير المؤمنين إلى حضن الكنيسة المقدّسة. فاشتدّت شهرتهُ بذلك. وأكثر من مدحهِ المؤَرّخون المعاصرون لهُ. فقال ثِئودوريطُس عنهُ بأنّهُ كان مزيّناً بكلّ الفضائل. وموقّراً عند كلّ أحد. وقال مار هيرونمس كاتبهُ بانّهُ كان بتولاً بدون وصمة. واهلاً للبابويّة. وقال مار امبروسيوس عنهُ بانّ الله سبحانهُ وتعالى نصبهُ راعياً في كنيستهِ. ونعتهُ المجمع السادس المسكونيّ ببَطَل شديد مدافع للبدع والهرطقات* ونشأ بسبب نصبهِ شقاق واختلاف بين جماعة روميّة. فازالهُ الملك والنتنيانس الكبير.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واثبت شرعيّة دَمسوس* امّا دَمَسوس فلطف بحال الذين قاوموهُ مع انّهُ كان قادراً على تأديبهم. ولم ينكفّ أعداؤُهُ من معاداتهِ والسعي في اسقاطهِ. فاخترعوا عليهِ بهتاناً فظيعاً واتّهموهُ بخطيّة الزناء. فلم يتحرّك شيئاً بل جمع أربعين أسقفاً وغيرهم من الكهنة وأهل الفضل والدراية. وعرض عليهم الأمر في مجمعٍ عقدهُ في روميّة ليفحصوهُ. فلمّا قرّ وتحقّق إِفك وزور وافتراء المقترفين عليهِ بذلك ولاحت براءتهُ. حكم الآباء بالعقاب الذي توجبهُ الكنيسة على مثل هؤلاء المفترين*

وثارت في أيّام دمسوس فتن شديدة في بيعة الله ولا سيّما في بلاد المشرق. فسعى القدّيس لدى الملك ثِئودوسيوس لكي يجمع مجمعاً مسكونيّاً في القسطنطينيّة ويستأصل الأضاليل التي قد نشأَت إذ ذاك على يد مقدونيوس الذي تجرّأ على انكار الوهيّة روح القدس فأذعن الملك لقولهِ. وجمع المجمع. وفيهِ حُرِم مقدونيوس وبدعتهُ. وأيّد البابا دَمَسوس تحديد هذا المجمع بسلطانهِ* ومن المهمّات التي تصدّى لها القدّيس المومأ إليهِ في مدّة حبريّتهِ استئصال رذائل شتّى كانت متملّكة في البيعة المقدّسة ولا سيّما الاقليرس* ومن ذلك انّهُ أزال نصب راعيَيْن على رعيّة واحدة. وخطّأَ عادة أولئك الأساقفة الذين كانوا يتّخذون لهم معاونين في رعاية جماعتهم لكي يستريحوا هم* ومن أعمالهِ انّهُ أيضاً شيّد عدّة كنائس فاخرة في روميّة. من ذلك كنيسة مار لورنتيوس الشهيد. وزيّنها بهدايا نفيسة* ولمزيد تواضعهِ كان يتنازل كثيراً لمار هيّرونمس ويستشيرهُ ويسألهُ المعاونة والرأي. واتّخذهُ كاتباً لهُ* وهو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الذي أيّد ترجمة العهد القديم اللاتينيّة التي عملها هيّرونمس* ثمّ انّهُ بعد ان ساس الكنيسة مدّة ثماني عشرة سنة. توفّي بسلام الربّ وذلك في اليوم الحادي عشر من كانون الأوّل من سنة ٣٨٤ للمسيح. ولهُ يومئذٍ من العمر ثمانون سنة*

* اليوم الثاني عشر *

ابيمَقُوس والكسندر الشهيدان

لمّا تغلّب داقيوس طرايانس على عرش مملكة الروم. أثار اضطهاداً على الكنيسة. وأخرج أوامر شديدة على المسيحيّين. فنال جمٌّ غفير منهم اكليل الشهادة* وكان الاضطهاد عظيماً في كلّ المملكة. وأكثر ما يكون في مصر. ولا سيّما في مدينة الاسكندريّة. فانّ النصارى الذين كانوا فيها قاسَوا كلّ نوع من العذاب والقساوة. وكانت النار تُعَدّ من أخفّ العذابات* ومن أشهر الشهداء الذين استشهدوا في الاسكندريّة القدّيس ابيمَقُوس والكسندر رفيقهُ* وقد ذكر جهادهما ووصف شجاعتهما مار ديونوسيوس أسقف الاسكندريّة في رسالة كتبها إلى فابيوس اسقف انطاكية* وصفة جهادهما انّهما إذ أبيا امتثال أوامر الملك في السجود للأصنام وتقريب القرابين للآلهة الكذبة القاهما في السجن وقيّدهما بالأغلال. وأذاقهما مرارة شديدة. ثمّ أوقد لهما ناراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كبيرة وألقاهما فيها. فبادا بها ونالا الشهادة* امّا زمان جهادهما فقد اختلف فيهِ المؤَرّخون. وكان ذلك في نحو منتصف القرن الثالث*

* اليوم الثالث عشر *

القدّيسة لوقيّة العذراء الشهيدة ـ القدّيسة أُوديلة

القدّيسة لوقيّة العذراء الشهيدة

وُلدت لوقيّة أو لوسيّة في مدينة سيرَ كوسة من جزيرة صقليّة. وكانت ذات حسب ونسب. ومائلةً طبعاً إلى حبّ الفضائل المسيحيّة ولا سيّما فضيلة الطهارة. فخصّصت نفسها لله وحدهُ* ثمّ تُوُفّي أبوها. فخطبها وثنيٌّ من أحد الشرفاء زوجةً لهُ. فعاهدتهُ أمّها على ذلك. ولكن لمّا سمعت لوقيّة بما جرى اغتمّت جدّاً وقاومت امّها كلّ المقاومة وطلبت من الله أن يمدّها بالعون والأيد لكي تعلو على إرادة أمّها بخصوص زواجها وتبقى عذراء طاهرة على الدوام. فاستجاب الله دعاءَها. واوقع امّها في مرض طالت مدّتهُ أربع سنين* وفي تلك الأيّام شاعت شهرة القدّيسة اغاثة التي استشهدت في أيّام داقيوس الملك. وخبر الكرامات والآيات الكثيرة التي كانت تجري على ضريحها. وأشارت على أمّها أن تحجّ إلى قبر هذهِ القدّيسة في مدينة كَتَانة وتطلب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منها الشفاء. ففعلت امّها كما قالت لها وحجّت إلى قبر الشهيدة اغاثة ونالت الشفاء. وصحبتها ابنتها أيضاً. فلمّا كانت على قبر القدّيسة اغاثة اخذها النوم. فظهرت لها اغاثة وقالت لها: يا أختي لوقيّة على مَ تسأليني أنتِ ما هو في مكنتكِ أيضاً. انّ ايمانكِ هو الذي نال الشفاء لأمّكِ. اعلمي انّهُ مثلما انّ كتانة استنارت بي. كذلك مدينة سيركوسة تستنير بكِ* ثمّ عادت مع امّها إلى مدينتها. وانتهزت حينئذٍ الفرصة وتوسّلت إلى امّها بأن لا تعود تخاطبها في أمر خطبة وزواج. وقالت لها بانّها عازمة عزماً ثابتاً على أن تبقى عذراء. ورغبت إليها في أن يُقسَّم مهرها على الفقراء والمحتاجين. ولحّت عليها في ذلك كثيراً حتّى أقنعتها ونالت منيتها* فلمّا رأَى خطّيبها حليَّها تُباع ويُقسَّم ثمنها على المساكين ووقف على حقيقة ما جرى احتدّ غضباً. فوشى بها لدى حاكم المدينة. فاحضرها الحاكم إلى مجلسهِ. وأخذ يحثها على ترك النصرانيّة والانقياد لعبادة الأوثان وتقريب القرابين للآلهة. فلم تنخذع لوقيّة بلطيف كلامهِ ومواعيدهِ. بل اشتدّت حميّة وأخذت تبيّن لهُ بلا خوف انّ القربان لا يحقّ الاّ لله العظيم وحدهُ. ثمّ شرعت تبرهن لهُ على سماجة عبادة الأوثان. وتبسط لهُ جلالة الديانة النصرانيّة. وأخيراً قالت لهُ بأنّها مستعدّة كلّ الاستعداد للمحاماة عن الديانة المسيحيّة ولو باعطاء عنقها للقتل. وأكّدت لهُ انّها لا شيء يفصلها من محبّة يسوع المسيح. وفهّمتهُ انّ قوتها كلّها ناتجة من نعمة روح القدس. فشنّع عليها الحاكم وسخر بها. وفي الآخر أمر بأن تُجَرّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عنفاً إلى بعض الأماكن القبيحة لكي تُفتَضّ بكوريّتها قسراً واغتصاباً. فلمّا شرعوا في سحبها مكّن الله جسدها في الأرض تمكيناً بحيث انّهُ لم يَسُغ لقوّة طبيعيّة ان تزعزعهُ منها. فشدّوها بالحبال وجاءُوا بالأثوار والبقر ليجرّوها ويحرّكوها. فلم يستفيدوا شيئاً بل لبثتْ راسخة في الأرض. فشرع الحاكم يزأر مثل الأسد لشدّة غضبهِ. واحتار احتياراً عظيماً في أمرهِ. فطفقت القدّيسة تبيّن لهُ من ذلك صحّة الديانة المسيحيّة وقوّة الله الواحد الحقّ. فلم يذعن الشقيّ لتلك الأدلّة الواضحة الساطعة. بل بلغ بهِ عنادهُ إلى أن أمر فأُتي بحطب وقار وزيت وأوقدوا أتوناً حولها ليُحرَق جسدها. فلم ينكِ ذلك فيها البتّة. بل قالت قدّام الحاضرين بصوتٍ جهريّ عالٍ: انّني سألتُ سيّدي يسوع المسيح ان لا تحرقني هذهِ النار. وقد شاء يسوع سيّدي ان يطيل مدّة جهادي لكي يبقى المسيحيّون ثابتين في الايمان الحقّ متمسّكين بهِ على رغم كلّ العذابات والقساوات. فيحصل بذلك خزي وفشل للغير المؤمنين* فلمّا رأى الحاكم أن لا منفعة في الابطاء أمر بأن يُضرَب عنقها. فضُرب وبقي رأسها معلّقاً بجسدها مدّة وهي بعد حيّة. ثمّ صلّت إلى يسوع المسيح في خير الكنيسة وثبات جميع المسيحيّين في عبادة الله وهداية الوثنيّين إلى كنيسة المسيح. ثمّ تناولت القربان المقدّس من يد قسّيس جاءها بهِ خفيةً. فاسلمت روحها* وقُبرت جثّتها في سيَركوسة. وشُيّدت على اسمها الكنائس الفاخرة. وما زالت تنبع من قبرها الكرامات والآيات الباهرة* ثمّ نُقل جسدها إلى مدينة القسطنطينيّة. ثمّ حُوّل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى مدينة بِنِسية وهي بندقية. وهو محفوظ فيها إلى يومنا هذا باكرام ووقار عظيم.

وكان استشهاد القدّيسة لوقيّة في اليوم الثالث عشر من كانون الأوّل في نحو أواخر ملك ديوقلطيانس ومكسميانس القيصرين.

القدّيسة اوديلة

وُلدت هذه القدّيسة في ولاية اوستراسية. وكان أبواها من أشرف الناس وأشهرهم. وذلك في نحو سنة ٦٥٧ للمسيح. وكانت أُسرة القدّيسة شريفة من ذوات الحسب والنسب. ومنها خرج عدّة ملوك لفرنسا وجملة سلاطين لجرمانيا وعدد وافر من الأمراء والولاة للورينة ولبلاد كثيرة من جرمانيا. وعند ولادة هذهِ الطفلة استبشر أهلها وأقاربها كلّهم وأخذوا يتفوَّلون بالسعد والاقبال واليمن. ولكن ما لبث أن انقلب سرورهم هذا إلى حزن والم لا يوصف. وذلك لأَنَّ هذهِ الطفلة وُلِدتْ عمياء. فهاج أبوها غيظاً وعزم على إبادتها لئلاّ يلحق بعشيرتهِ العار حسبما كان يزعم. فسكّنت غيظهُ امرأتهُ قليلاً. فرأى أن يكتم أمرها ويربّيها سرّاً في محلّ منفرد على حدة. بحيث أنّها إذا عاشت وكبرت لا يعلم أحد بكونها ابنتهُ. وعلى هذا شيّع الخبر بموتها. وحُمِلت إلى مكان خفيّ وبقيت فيهِ مدّة. ثمّ انّها إذ نشأَت قليلاً ورآها الناس وداخلهم بعض الشكّ في أمرها وفي نسبتها وأخذوا يتحدّثون في هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشأن أرسلها أبوها إلى دير يقال لهُ دير بوم الواقع في قرب مدينة بيسنسون. وفُوّضت تربيتها إلى عمّتها التي كانت يومئذٍ رئيسة على ذلك الدير. فتهذّبت الطفلة هناك وتثقّفت في أصول الديانة. واكتسبت جلّ الفضائل المسيحيّة. وبلغ عمرها إلى اثنتي عشرة سنة ولم تكن بعد قد تعمّذت. وذلك بسبب العجلة التي بها أراد أبوها اخفاءها وكتم أمرها من الناس. وفي ذلك عناية خصوصيّة من الله. إذ انّهُ عزّ وجلّ سمح بأن يُهمَل عماذها إلى ذلك الحين لكي يحصل بذلك مجدهُ ويذهل الناس بعجائبهِ. وتنتشر شهرة القدّيسة. وتظهر فضيلتها السنيّة. فاوحى تعالى إلى مار أَرْهَرْد اسقف بَوْييره بأن يذهب إلى الدير المذكور ويعمّذ الفتاة العمياء التي هناك ويسمّيها اوديلة. وانبأهُ بأن بصرها سيعود في وقت العماذ. فقام ارهرد وتوجّه إلى الدير. فلمّا رَآها رقّ قلبهُ لها. ثمّ فحصها فوجدها بارعة في الأمور التقويّة خبيرة بمعرفة أصول الديانة وما يختصّ بها. ثمّ تهيّأَ لتعميذها. فاجتمعت الراهبات إلى كنيسة الدير. فلمّا وصل إلى مشحة الموعوظين. أخذ الزيت ومسح عينيها وقال: باسم ربّنا يسوع المسيح لتنفتح عينا جسدكِ كما تنفتح عينا روحكِ. فلم يلبث أن انفتحت عيناها. وقبل كلّ شيء رفعت بصرها إلى السماء وشكرت الربّ على هذا الإحسان. فبُهت جميع الحاضرين من هذهِ الآية. ثمّ وقف الأسقف القدّيس على قصّتها كما هي. وشرع يعالج في ترجيعها إلى أبيها. ليُسَرّ بها وتنسَرّ هي برؤية أهلها. ولكنّ أباها لم يرضَ بذلك لأنّهُ كان غريب الطباع شرس الأخلاق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جامد الجنان. ثمّ كتبت هي مكتوباً لأحد أخوتها مضمونهُ انّها تبتغي الرجوع إلى قصر أبيها لتنسرّ بمعانقة أهلها. ثم تعود إلى الدير. فخاطب أخوها في ذلك أباها فلم ينَل منهُ منيتها* فتجرّأ أخوها وأرسل عربة إلى الدير لتأتي بها سرّاً إلى أبيها. فبلغت القصر وكان أبوها مجتمعاً مع أولادهِ يؤَانسهم. فلمّا دَخلت عليهم غفلةً احتدّ أبوها غضباً وشنّع على ابنهِ الذي سعى في جلبها إلى القصر* فما كان منها الاّ ان ركعت على ركبتيهِ ولاطفتهُ. فخمد غضبهُ قليلاً. ولكنّهُ لم ينطفئ بالتمام. ثمّ تعانقت مع أهلها بأجمعهم* وصار أبوها ينظر إليها شزراً ويعاملها كأمتهِ لا كابنتهِ. وكانت هي تصبر على كلّ ما تقاسيهِ منهُ وتحتملهُ بفرح وسرور* وأخيراً حرّك الله قلب أبيها لمحبّتها جزاءً لها على عظيم اصطبارها* وأخذت تواظب على الصلوة والخلوة والأعمال الصالحة. وتتمنّى الرجوع إلى الدير فلم يأذن لها أبوها بذلك. ثمّ توصّلت إلى ان جذبت قلوب كثير من أهلها ورغّبتهم في السيرة الزهديّة* وكانت ذات شفقة ورحمة على الفقراء والمساكين وتجزل لهم العطاء. وتحرم نفسها لتنفع المحتاجين. وتنطلق كلّ يوم لتداري المرضى وتهيّئ المائتين للوفاة الصالحة* ثمّ أراد أبوها ان يزوّجها من أحد أمراء جرمانيا. فقالت لهُ بانّها قد خصّصت نفسها للربّ يسوع. فقال لها: لا بدّ من ذلك. وعزم على اغتصابها. فتنكّرت وهربت إلى برّيّة بعيدة عن بيت أبيها. فخرج في طلبها أبوها. وسيّر أشخاصاً إلى الجهات. حتّى رآها يوماً من بعيد. فدنا منها* فلمّا رأت أباها بخدّامهِ مقبلاً إليها ليجبرها على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الزواج رفعت قلبها إلى الله وطلبت إليهِ بحرقة قلب أن يصونها ويصون طهارتها. وكان هناك صخرة عظيمة. فانفلقت للوقت ودخلت فيها اوديلة واحتجبت عن نظر أبيها. وبقيت هناك في البرّيّة نحو سنة تقضي عيشة عسرة قشفيّة جدّاً. وغبّ ذلك أعطاها أبوها الحرّيّة التامّة فعادت إلى دارها. وطلبت إليهِ أن يبني ديراً لتختلي فيهِ. فاعطاها قصرهُ نفسهُ. فجعلتهُ ديراً. وانضمت إليها عدّة من الفتيات. وأخذنَ يعشنَ معها عيشةً قشفيّة عسرة. ومع ذلك زاد فيهِ عدد الراهبات كثيراً* ثمّ ابتنت القدّيسة منزلاً للمرضى والشيوخ الهرمين. وأخذت تزورهم كلّ يوم وتداريهم وتخدمهم. فاكرمها الله بآيات كثيرة في خير المرضى* وعُنيت أيضاً عناءً جزيلاً بأمر الفقراء. فأخذ يجتمع على بابا ديرها من الفقراء عددٌ لا يُحصَى. وهي كانت تتصدّق عليهم أجمعين بسخاء لا يوصف. وبعض الأحيان كانت تعطيهم طعام الراهبات. فكان الله يضع البركة في الدير ولم يعوزهنّ إلى شيء أبداً* وعاشت هي بعد موت والديها نحو عشرين سنة. وصرفتها كلّها ترتيب أمور الدير وخير النفوس* ولمّا دنا حين وفاتها أنبأها الربّ عن ذلك. فطارت من الفرح واستدعت الراهبات وحرّضتهنّ على التواضع والمحبّة وسائر الفضائل. ثمّ عزّتهنّ وسلّتهنّ. وبعد ذلك تناولت الأسرار وغابت عن حواسّها. وفي الآخر أسلمت روحها بيد خالقها. وذلك في اليوم الثالث عشر من كانون الأوّل من سنة ٧٢٠ أو سنة ٧٢٢*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الرابع عشر *

مار سبيرديون

وُلد هذا القدّيس في قبرس. وكان راعي غنم في أوّل الأمر. ومع ذلك حسن الحال. كريماً يقري ضيوفاً كثيرة* ثمّ تزوّج ورُزق جارية. ولكن بعد ذلك اتّفق هو وامرأتهُ على ان يعيشا بالعفاف ويلبثا مثل الأخ والأخت* وأظهر الله رضاءهُ عن سيرتهِ الصالحة القدسيّة بما جاد بهِ عليهِ من صنع الآيات* ثمّ جُعل أسقفاً على تريمون بجزيرة قبرس. فتضاعف المعجزات على يدهِ. ومن جملة ذلك انّهُ في تلك الأيّام أرسل الله غلاء على الناس لكي يدعوهم إلى السبيل المستقيم الذي كانوا قد تباعدوا عنهُ. وباد بهذهِ الضربة نحو ثلثي الخلق. فاستغاث الناس بالقدّيس. فرفع الله عنهم الضربة بشفاعتهِ*

وكان يقاسي مشقّات كثيرة لخير الناس. ويسافر الأسفار الطويلة الصعبة لذلك. وكان يمشي في سفرهِ على الدوام* وفي زمانهِ التأم المجمع المسكوني في نيقيّة لدحض آريوس وهرطقتهِ. فحضرهُ هو أيضاً. وحاول الاريوسيّين كثيراً* وحضر كذلك مجمع سردِقة ضدّ الاريوسيّين أيضاً*

وامدّهُ الله بهبة اصطناع المعجزات. من ذلك انّهُ كان يعلم بالغيب ويجد المفقودات. وممّا حُكي عنهُ من ذلك انّ امرأة كانت قد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اودعت لدى ابنتهِ ايرينة جوهرة ثمينة. وماتت الابنة بدون ان تردّ الجوهرة المودعة لديها إلى صاحبها. ولا اعلمتها عن الموضع الذي فيهِ محفوظة. فتوسّلت إلى القدّيس بأن يجد لها جوهرتها. فذهب إلى قبرها مصحوباً بجماعة كبيرة وقال لها: يا ابنتي اين وضعتِ الجوهرة التي أودعتها عندكِ هذهِ المرأة لكي تحفظيها. فأجابت ايرينة وقالت: قد وضعتها في المكان الفلانيّ. فبحث في المحلّ المشار إليهِ فوجدها* ولمّا تولّى زمام المملكة قسطنس بن قسطنطين أصابهُ مرض عضال. فابرأهُ منهُ مار سبيرديون* وممّا حدث في تلك الأثناء انّهُ إذ دخل قصر الملك ليشفيهُ تفرّس فيهِ الحاجب فرأى عليهِ زيّ الرثاثة. فاشتبه أمرهُ عليهِ فضربهُ على خدّهِ. فلم ينزعج من ذلك. بل حوّل لهُ الخدّ الآخر. وخلع الملك عليهِ هذا يا نفيسة لما نالهُ منهُ من الخير. فرفضها. فلمّا الحّ عليهِ قبلها منهُ ففرَّقها على المساكين* ومن جملة آياتهِ أيضاً أنّهُ أعاد إلى الحيوة بعض الموتى* ومن ذلك أيضاً انّ الذين كانوا يتجرّأُون على تجاوز وصايا الله أو مقاومة أوامرهِ يعاقبهم الله في الحال بعقوبات شديدة* ومن عجائبهِ أيضاً انّهُ بصلواتهِ سقطت هياكل الوثنيّين في الاسكندريّة وتكسّرت الأصنام*

فلمّا حان يوم وفاتهِ أوحى الله إليهِ بذلك. فاستعدّ الاستعداد الحسن وتوفّي في كانون الأوّل. وأجرى الله على قبرهِ كرامات كثيرة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الخامس عشر *

القدّيس اوسابيوس اسقف وركيل الشهيد

لمّا كان جالساً على كرسي مار بطرس راس الرسل البابا اوسابيوس وذلك في مبادي القرن الرابع. وفدت إلى روميّة امرأة من سردينية ومعها ولد. فجاءت بهِ إلى البابا المؤمأ إليهِ ورغبت إليهِ أن يأخذهُ تحت حمايتهِ ويهتمّ بتربيتهِ. فأجاب البابا إلى سؤالها. وعمّذهُ وسمّاهُ باسمهِ. وانبأهُ الله في شأنهِ بأنّهُ سيكون رجلاً جليلاً عظيماً في كنيسة الله. فاهتمّ بتهذيبهِ وتثقيفهِ. فبرع في المعارف والعلوم وصار يحبّ التقوى أشدّ محبّة ويحافظ على الطهارة بكلّ حرص. فجزم على نفسهِ أن يبقى دائماً بتولاً. وصانهُ الله من كلّ شائبة ومكيدة نصبها لهُ الشيطان* ثمّ ترهّب في بعض الأديرة. وبعد ذلك جُعل أسقفاً على مدينة وركيل في لمبرديّة. وكانت تلك الكنيسة يومئذٍ شهيرة واسعة. ولم يحدِ شيئاً عن السيرة الرهبانيّة في مدّة اسقفيّتهِ كلّها. وكانت في تلك الأيّام البدعة الاريوسيّة محميّةً بحماية قسطنس الملك. فامتدّت في النواحي المشرقيّة واتّسعت فيها كثيراً وكادت تستملك على المغرب أيضاً* فلمّا بلغ الاريوسيّين خبر نصبهِ اسقفاً على وركيل وقعوا في قلق واضطراب. وحاولوا صدّهُ عن الدخول في مدينتهِ. فلم يتمكّنوا من ذلك* فلمّا استولى على كرسيّهِ أخذ يناضل الاريوسيّين ويقاومهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كثيراً* ورأى البابا ليباريوس الذي كان جالساً إذ ذاك على كرسيّ مار بطرس أن ينفذ سفيراً بعدّة رسل إلى القسطنطينيّة ويسأل الملك المشار إليهِ المعاضدة في إصلاح أحوال الكنيسة المبلبلة بأن يُعقَد مجمع في مديولان لهذهِ المصلحة. فاختير اوسابيوس لهذهِ السفارة. ونال من لدن قسطنس ما تمنّاهُ البابا* فلمّا عُقد المجمع في المحلّ المعيَّن حضرهُ الملك عينهُ وعددٌ وافر من الأساقفة الاريوسيّين. وبلغ من هؤلاء الأساقفة انّهم حرموا مار اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة المعظّم. فحاجّهم اوسابيوس. فنفوهُ إلى سردينية بجملة من الأساقفة الكاثوليكيّين. فلمّا بلغ إلى سقيثوبليس مقرّ منفاهُ قبض عليهِ بتر وفيلس الأسقف الذي هو من آل اريوس. وألقاهُ في السجن وعاملهُ بئس المعاملة. وامسكهُ هناك مدّة أيّام بدون أكل وشرب. فصبر على هذهِ الشدائد وأمثالها صبراً عظيماً. وكتب رسائل ونصائح إلى رعيّتهِ بها يحثّهم على عمل الصلاح والثبات على الايمان الارثدكسيّ* وكتب أيضاً مكتوباً إلى بتروفيلس. وفيهِ بيّن لهُ صحّة المذهب الكاثوليكيّ وفساد المعتقد الاريوسيّ. وقباحة التعدّيات التي ارتكبها في حقّهِ. فلمّا رأى بتروفيلس ما في الأسقف المذكور من شدّة العزم. رماهُ من مكان شاهق مشرف. فسقط ولم يلحق بهِ أدنى ضرر* ثمّ سيّروهُ إلى سقيثوبليس في قبّادوقيّة. ولكنّهُ حدث إذ ذاك موت قسطنس الملك. فتفلّت حينئذٍ من يد آل آريوس وذهب إلى الاسكندريّة عند مار اثناسيوس لكي يعينهُ على استئصال بدعة آريوس. وحضر المجمع الذي جمعهُ اثناسيوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هناك لهذا الشان* ثمّ ذهب إلى انطاكيّة ليصلح أحوال الاقليرس المبلبلة بسبب هذهِ البدعة نفسها. ثمّ بأمر البابا وأمر القدّيس اثناسيوس طاف بلاد المشرق كلّها لكي ينصر تلك الكنائس على الفرقة الاريوسيّة. وعاد غانماً ظافراً إلى إيطاليا. فخرج المؤمنون لاستقبالهِ أفواجاً* وأبدع أيضاً في بلاد ايطاليا كما أبدع في بلاد المشرق. فثارت عليهِ تبعة آريوس فقبضوا عليهِ ومزّقوهُ أيّ ممزّق. فاسلم روحهُ وذلك سنة ٣٧١. ولهُ من العمر ثمانون سنة*

* اليوم السادس عشر *

القدّيسة أَديليدة الملكة

وُلدت أَديلَيْدة القدّيسة في سنة ٩٣١. وكان أبوها رُدُلْفس الثاني ملك برغونيا من سلالة كارلس الكبير ملك فرنسا* ومات أبوها وهي صغيرة. فورثت هي تاج الملك. ثمّ تزوّجت من لوثاريوس قوميس بروبنسة المالك في إيطاليا* ثمّ توفّي زوجها عقيب ذلك بثلاث سنين. وتغلّب على إيطاليا بدلهُ برنجار الثالث. فطلب اديليدة امرأة لابنهِ. فانكرت عليهِ ذلك. فاغتاظ وأخذ يسيء إليها. حتّى انّهُ ضبط أموالها وأملاكها وحبسها في قلعة غَرْدة في مكان مظلم* فلمّا شاع الخبر بين الناس عملوا كلّ حيلة لانقاذ هذهِ الفاضلة من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يد هذا العاتي الطاغي. فتوصّل أحد الأساقفة إلى أن يخرجها من القلعة بواسطة بُهرة صُنعت تحت الأرض* فلمّا أحسّ لوثاريوس بذلك استشاط غضباً وتتبّع أثرها. فادركها ذات يوم في القفر فسترها الله عنهُ حتى أخذها البرتوس أَزّو صاحب كانُسَّا إلى منزلهِ في أمان وسلام* وأحلّ الله القصاص ببرنجار لما عملهُ. وذلك ان امراء إيطاليا خلعوا الطاعة لهُ واستنجدوا اوثون ملك سكسونيا. فاستولى هذا على لمبرديّة* وكانت امرأتهُ قد ماتت. فلمّا رأى اديليدة وعلم بخبرها وما قاستهُ من برنجار اتّخذها زوجة لهُ في سنة ٩٥١* فوُلد لها منهُ ابن وهو اوثون الثاني. فاهتمّت بتربيتهِ وتلقينهِ مبادئ الديانة والتقوى. وبعد ذلك رحل اوثون إلى روميّة. فتولّت هي أمر الملك. ونجحت. واهتمت باصلاح أمور الديانة وبحصول الصلح في المملكة كلّها* وكانت متّقية الله وشفوقة على الفقراء والمرضى وقاسية على نفسها* ثمّ مات زوجها وابنها صغير السنّ دون البلوغ. فتولّت هي أمر الحكم. فقام بعض الجهلاء وحمّلوا ابنها اوثون عليها. فضبط الملك منها. ورفض مشوراتها واستبدّ برأيهِ ورأي الجهلاء ونغّص معيشتها* وما برحت تذرف الدموع الغزيرة عليهِ وتطلب اناء الليل والنهار إلى الله أن ينير عقلهُ. ثمّ خرجت من القصر وانطلقت إلى كنرادس ملك برغونيا عمّها. ثمّ انتبه ابنها على رداوتهِ فتصالح معها* وكانت اديليدة قد جعلت دارها منظومة مثل دير. وأخذت تصوم مرّات كثيرة. وتواظب على الصلوة والقراءة والتأمل. وتكثر من السهر. وتتجنّب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الزينة والعظمة في ثيابها. وتصرف جلّ ما عندها في التصدّق على الفقراء وفي إقامة أديرة* ومع ذلك فكانت تشتغل دائماً في القيام بصالح الملك وتلازم العدل والانصاف* وأقامت عدّة أديرة وأوقفت لها أملاكاً كثيرة* فلمّا شاخت ودنت من الموت. أخذت تتجهّز للوفاة. فحجّت إلى مزارات شتّى ومعابد. وكانت تهذّ دائماً في السماويّات وترذل الأرضيّات. ثمّ داهمتها في سنة ٩٩٩ حمّى شديدة فتناولت أسرار البيعة. وبعد قليل توفّيت. وكانت وفاتها في اليوم السادس عشر من كانون الأوّل*

* اليوم السابع عشر *

لعازر حبيب المسيح ـ يوحنّا دي ماثا

لعازر حبيب المسيح

كان لعازر يهوديّاً في الأصل وهو أخو مرتا ومريم المجدليّة* وإذ كان يسوع المسيح ابن الله في ذلك الحين يكرز ويبشّر في اليهوديّة أضحى مُحِبّاً للعازر وأختيهِ كثيراً لما رأَى فيهم من الأعمال الحسنة الصالحة والمحبّة الحقيقيّة لهُ* والدليل على محبّة يسوع للعازر أنّهُ إذ وقع مريضاً. سيّرت أختاهُ خبراً بذلك إلى يسوع. فنهض وجاء من وراء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأردنّ إلى بيت عنيا حيث كان المريض. فلمّا قدم يسوع كان لعازر قد مات ولهُ أربعة أيّام. وقد اجتمع في دارهِ خلق كثير ليعزّوا اختيهِ وأهلهُ بسبب موتهِ. فلمّا قرب يسوع من الدار أسرعت مرتا وخرجت للقائهِ وشكت بين يديهِ ما حدث لاخيها في غيابهِ وقالت لهُ: لو كنت ها هنا لم يمُت أخي. واعترفت بايمانها الوثيق الثابت بقدرتهِ. فوعدها الربّ باحيائهِ* ثمّ خرجت مريم المجدليّة اختهُ الأخرى. وقالت مثلما قالت لهُ مرتا. فاثبت يسوع لها وعدهُ بإقامة أخيها. ثمّ سأل عن قبرهِ. وبكى عليهِ وارتجّ في نفسهِ دلالةً على حزنهِ واكتئابهِ على موتهِ* فلمّا صار إلى القبر وتبعتهُ جماعة عظيمة أمر برفع الحجر من على فم القبر. فلمّا رفعوهُ رفع يسوع عينيهِ إلى السماء. ثمّ قال: لعازر اخرج خارجاً. فخرج للوقت الميّتُ وبهت اليهود قاطبةً من ذلك. وبقي لعازر شاكراً على الدوام ليسوع على هذا احسانهِ إليهِ. ودعا لعازر يسوع عندهُ قبل الفصح بستّة أيّام* وكان هذا من جملة تلامذة المسيح السبعين على ما جاء في تقليد الكنيسة. فانّنا نعلم انّهُ حينما تفرّق التلاميذ في أقطار المسكونة كلّها للانذار بما علّمهُ وأوحى بهِ يسوع المسيح. ركب البحر لعازر واختاهُ وجماعة من المسيحيّين وتوجَّهوا في وجهتهم حتّى بلغوا مدينة مرسيلية من بلاد فرنسا. فحلّوا فيها. وشرع يكرز بانجيل المسيح ويدعو الناس إلى اتّباعهِ. فكثر عدد المسيحيّين فيها. وجعلوهُ اسقفاً عليهم* امّا مرتا فانفردت في دير مع عدّة من الفتيات لعبادة الله. غير انّ مريم توجّهت إلى إحدى البراري.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأقامت فيها مدّة ثلاثين سنة وهي تؤدّي توبة عن خطاياها السالفة* وأمّا لعازر فبعدما جدّ وتعب كثيراً في مرسيلية لانتشار ايمان المسيح فيها انتقل إلى الملكوت. وذلك في اليوم السابع عشر من كانون الأوّل*

يوحنّا دي ماثا

وُلد يوحنّا في قرية فوكون في حدود بروبنسة. وذلك في ٢٣ حزيران من سنة ١١٦٠. ولقّنهُ أبواهُ منذ طفوليّتهِ محبّة قلبيّة لله سبحانهُ وتعالى وعبادة بنويّة للعذراء مريم. فكان يكرم يسوع المسيح ابن الله بانقطاعهِ عن الرضاع في أيّام الجمعة. ويكرم العذراء مريم بانقطاعهِ عن الرضاع أيضاً في أيّام السبت* ومع نموّهِ في العمر نمت فيهِ المحبّة لله والعبادة للتبول* ثمّ وُضع في مدرسة ايكس ليدرس العلوم. فتعلّم وبرع. وكان يقسم أوقاتهُ بين الدرس والصلوة وزيارة الكنائس ومستشفيات المرضى والسجن* ثمّ عاد إلى بلدتهِ ليتوادع مع أهلهِ وينقطع في إحدى البراري للنسك. فذهب إلى برّيّة بوم. وأخذ ينام على القاع ويلبس المسح ويقتات بالحشائش* فحاول الشيطان صدّهُ عن تلك السيرة المقدّسة القشفيّة. وأثار عليهِ تجاريب صعبة شديدة. أشدّها أنّهُ جاء إليهِ يوماً بزيّ النسّاك. وطلب إليهِ أن يتّخذهُ تلميذاً لهُ. فأجابهُ يوحنّا إلى ذلك.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعد أن صارت لهُ الفة معهُ. أخذ يخدعهُ ويوسوس في أذنهِ بأن يرجع إلى العالم ويعاشر الناس ويسترشدهم في أمر العبادة. وعالج اقناعهُ بذلك بواسطة حجج مكريّة مضمونها انّهُ في خطر الانخداع والسقوط لقلّة خبرتهِ بالأمور ولعدم وجود مرشد يهديهِ في طرق الزهد ومعلّم يقيمهُ من سقطاتهِ. وبالغ في ذلك. فأخذ القدّيس يطلب من الله بصلوة حارّة أن يرشدهُ في الأمر الذي عرضهُ عليهِ. فكشف لهُ الله خديعة الشيطان. فطردهُ وانتهرهُ. فولّى المكّار خزيان. وبقي ينسك في تلك البرّيّة مدّة سنة. فأمرهُ الله أن يرجع إلى المدينة ويتكمّل في العلم. فاقبل على درس اللاهوت بنشاط فائق حتّى صار من أفضل المعلّمين فيهِ. ثمّ رسمهُ أسقف باريس قسّيساً. فلمّا كان يقدّس قدّاسهُ الأوّل رأى عند تزييح الأسرار ملاكاً لابساً لباساً أبيض وعلى صدرهِ صليب بلون الأزرق والأحمر. وشاهد يديهِ مصلّبتين وفي احداهما عبد نصرانيّ وفي الأخرى عبد من السودان* وشاهد كذلك جميع الحاضرين هذهِ الرويا. فلمّا أفاق. سألتهُ الجماعة عمّا رآهُ وعن معناهُ فاقرّ لهم بأنّ الله أشار إليهِ أن يقيم رهبنة لانقاذ العبيد من رقّ العبوديّة. ثمّ عزم على التوجّه إلى روميّة ليعرض الأمر على البابا. فلمّا بلغ إلى فوكون أمرهُ الله بأن يكرّ إلى الوراء. فعاد إلى باريس وانقطع في غاب في ولاية ماوكس. وأقام فيهِ بالصوم والصلوة والتقشّف مدّة سبعة أشهر إلى أن أخبرهُ تعالى عن الناسك فيلكس دي بلواس. فاجتمع بهِ. وقضيا ثلاث سنين أخرى في الزهد* وقد مرّ بك في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذكر اليوم العشرين من تشرين الثاني انّ الله أيّد ما قد أوحى بهِ ليوحنّا في شان إقامة رهبننة لفكّ العبيد بآيات أخرى أظهرها لرفيقهِ فيلكس وللبابا أيضاً* فالبسهما البابا انّوكنتيوس الثالث اسكيم الرهبنة الجديدة. فرحلا إلى فرنسا ونصبا ديراً في سرفروادة* ثمّ انّهُ في أواخر سنة ١١٩٨ عاد يوحنّا إلى روميّة وبنى ديراً في مُنتِكليوس. وجمع مبلغاً صالحاً من صدقات المؤمنين لانقاذ العبيد. وسيّر اثنين من رهبانهِ إلى الأمير امولين صاحب مراكش فخلّصا من أسر العبوديّة نحو مائة وستّة وثمانين رقيقاً* ثمّ رحل هو إلى تونس وفكّ بتعب جزيل عدداً وافراً من اغلال الأسر. وصنع أمثال ذلك في والنسه* وأخذ جماعة هؤلاء العبيد الذين فكّهم. وذهب بهم غانماً مسروراً إلى روميّة. فاكرمهُ البابا وأعزّهُ* ثمّ أرسلهُ الحبر الأعظم قاصداً إلى دلماطية ليستأصل منها عدّة رذائل كانت قد عمّت في تلك البلاد. وأراد البابا أن يجازيهُ على أتعابهِ. فعرض عليهِ أسقفيّة أُستية. فتمنّع* وبذل يوحنا جزيل همّتهِ في توسيع رهبنتهِ في كلّ النواحي. فأقام أديرة كثيرة في اسبانيا وفرنسا. وامدّهُ الملوك والباباوات بنفقات جزيلة وافرة لذلك* وكانت لهُ هبة افتعال الآيات. وحدث انّهُ إذ كان يوماً يعظ في بيعة بروميّة لمح رجلاً أخرس قد تداخلهُ الشيطان فوضع القدّيس على فمهِ الصليب المنقوش على اسكيمهِ. فخرج منهُ الشيطان وأُطلق لسانهُ للوقت*

ثمّ وقع مريضاً وادنف. فاستعدّ للموت وتناول الأسرار.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فانشد نشيد شمعون الشيخ: اطلق عبدك بسلام. ثمّ اسلم الروح. وذلك في اليوم السابع عشر من كانون الأوّل من سنة ١٢١٣* ورثاهُ جميع الناس خاصّةً وعامّةً. وقُبر في كنيسة الدير. ولبثت جثّتهُ في حال الطراوة وهيئة الحيوة. وأجرى الله على ضريحهِ كرامات شتّى*

* اليوم الثامن عشر *

القديسة اولمفية

وُلدت اولمفية في نحو سنة ٣٦٨. ومات أبوها وهي طفلة. وتولّت أمر تربيتها ثاودوسية أخت مار امفيلوكيوس. وكانت ثاودوسية فاضلة جدّاً. فتلقّنت منها اولمفية أخصّ الفضائل المسيحيّة. ولمّا بلغت تزوّجها نبرديوس أحد خوّاص الملك ثاودوسيوس الكبير. ولكنّها ترمّلت بعد عشرين شهراً. فطلبها كثيرون من الشرفاء فأَبت الزيجة. وانصبّت إلى السيرة اللائقة بالأرامل. وانقادت في ذلك لوصايا مار بولس الرسول التي في رسائلهِ. فصارت تكثر من الصلوة والتأمّل. وقمعت جسدها بالأصوام الطويلة العسرة. وجزمت على نفسها بالاّ تذوق اللحم أبداً. وأخذت تقضي غالب الليل بالسهر* وكانت متواضعة حليمة منزّهة عن أباطيل الدنيا وملاهيها. ذات شفقة ورحمة على الفقراء. وقال مار يوحنّا فم الذهب: انّ صدقاتها كانت بمنزلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نهر مبذول لجميع الواردين إليهِ من أقطار المسكونة كلّها. فاغتنت الكنائس من كرمها وجودها. وحظي كثير من البلدان البعيدة على شيء من فضلها وسخائها. فانّها بذلت كلّ ثروتها في عمل الخير. ولذلك ربّما اضطرّ القدّيس يوحنّا فمّ الذهب أن يحثّها على اقلال صدقاتها*

ثم انّ الله سبحانهُ وتعالى شاء أن يبلوها ويختبرها بمصائب وشدائد وتجاريب شتّى. فصبرت عليها جميعاً. وازداد بذلك أجرها وثوابها* من ذلك انّها بقيت مدّة سنين كثيرة تقاسي أمراضاً صعبة وعذابات كثيرة واهانات عظيمة. فكان مار يوحنّا الذهبي الفمّ يسلّيها ويحثّها على احتمالها بصبر وشكر. ويشغلها عنها بالجزاء الغير الموصوف الذي وعد بهِ الله الصابرين. فصبرت على ذلك الصبر الجميل وحازت بسبب صبرها شهرة فريدة* وأكثر من ذكرها ووصفها المعاصرون لها ولا سيّما القديسين مار امفيلوكيوس ومار ابيفانيوس ومار بطرس اسقف سبسطيّة وغيرهم. ثمّ انَّ نقطاريوس أسقف القسطنطينيّة رسمها شمّاسةً على كنيستهِ. وكان من فرائض الشمّاسات أن يعددن أغطية المذبح* وتخلَّف في الكرسي القسطنطينيّ بعد نقطاريوس مار يوحنّا فم الذهب. فصار هو مرشداً لاولمفية في سيرتها الروحانيّة. فلمّا حُكم عليهِ بالنفس. اغتمت كثيراً وبكت بكاءً مرّاً عند انفصالها منهُ. وأصابها شيء كثير من الاضطهاد لسبب القدّيس حتى انّهُ حُكم عليها بالخروج من المدينة. فخرجت محتارةً في أمرها لا تدري إلى أيّ وجهة تتوجّه. فطافت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في نواحي شتّى. ثمّ عادت إلى القسطنطينيّة في سنة ٤٠٥. فالقى عليها الحاكم غرامة عظيمة. وبيعت أملاكها لتأدية تلك الغرامة* وأخذت مرّات إلى الحاكم فكان يسيءُ إليها أعوانهُ حتّى الجند* ولم ينقطع مار يوحنّا من أَن يواصلها بمكاتيب يرسلها إليها من منفاهُ ليسلّيها ويعزّيها ويثبّتها في ما كانت عليهِ من الاحتمال والصبر. ويرغّبها فيها بأُسوة ايّوب ولعازر* وهي كانت ترسل لهُ ما يحتاج إليهِ في منفاهُ. وتعيّن لهُ مقداراً كافياً لعتق العبيد واسعاف الفقراء الذين في تلك الجهات. ولم تزل على هذهِ العيشة المقدّسة حتى ماتت في سنة ٤١٠* واعلم انّ اليونان يصنعون ذكر اولمفية في اليوم الخامس والعشرين من تموز. واللاتين يعيّدون عيدها في اليوم الثامن عشر من كانون الأوّل*

* اليوم التاسع عشر *

نماسيون الشهيد ورفاقهُ

انّ نماسيون وُلد في الاسكندريّة. فلمّا قدحت نار الاضطهاد الذي أثارهُ داقيوس الملك. قُبض عليهِ بتهمة السرقة. فبرّر نفسهُ. فانثنى أعداؤهُ إلى تقريفهِ ثانيةً. وشكَوهُ بكونهِ مسيحيّاً. وأخذوهُ إلى عامل مصر. فلم يفشل بل أخذ يقرّ اقراراً جهريّاً بايمانهِ وديانتهِ. فاشبعوهُ ضرباً. ثمّ حكم عليهِ الوالي بان يُحرَق. كما يُفعَل بشرّ المجرمين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واعظمهم. فاحتمل هذا العذاب بثبات وشجاعة وسرور لا مزيد عليهِ. وكان إذ ذاك في المحكمة أربعة من الجند أسماؤهم امّرنيوس وزينون وبطلماؤس وانجنّوس وشيخٌ اسمهُ ثأوفيلس وكانوا مسيحيّين بأجمعهم. فجعلوا يحثّون نماسيون ويشجّعونهُ على احتمال العذاب الذي جُزم عليهِ. فوُشي بهم من ساعتهم لدى الوالي. فانطلقوا من تلقاء أنفسهم قدّامهُ. واعترفوا بين يديهِ بايمانهم بيسوع المسيح. فانذهل من اقرارهم هذا. ولم يجسر في أوّل الأمر أن يعطي أمراً في شان هؤلاء الجند الابطال الشجعان. ولكنّهُ أمر أخيراً بقطع رؤوسهم. فبادروا من ساعتهم إلى محلّ العذاب. وسلّموا أعناقهم بسرور وفرح جزيل* واستشهد ببلاد مصر في مدّة هذا الاضطهاد جمٌّ غفير من الشهداء من كلّ صنف من شيوخٍ وصبيانٍ وعذارى. وقد ذكر أغلبهم مار ديونوسيوس الذي من اريوس فاغوس في رسالتهِ إلى فابيوس اسقف مدينة انطاكية* امّا نماسيون فيُصنَع ذكرهُ في السنكسار الروماني في اليوم التاسع عشر من كانون الأوّل. غير انّ باقي الشهداء يُصْنَع ذكرهم في أيّام أخرى*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم العشرون *

مار فيلوغونيوس اسقف انطاكية

انّ ما وصل بنا في شان هذا القدّيس نزرٌ جدّاً لا يُقضى بهِ الوطر. وخلاصتهُ هو ان فيلوغونيوس نال شهرةً عظيمة بسبب براعتهِ ومهارتهِ في العلوم وخاصّةً في علم الفقه. ولكنّ شهرة قداستهِ فاقت على شهرة فصاحتهِ وبلاغتهِ. وممّا يدلّك جليّاً على قداستهِ انّهُ إذا أجمعت الجماعة على اتّخاذهِ أسقفاً لهم. ولم يكن قد قضى زماناً كافياً في القسوسيّة كما توجب القوانين البيعيّة لمن يرتقي إلى الدرجة الأسقفيّة. رأوا أن يخفّفوا الشريعة في شأنهِ مستغنين عن الزمان بقداستهِ الفريدة السامية. فجلس على الكرسيّ الانطاكيّ بعد ويتال وذلك في نحو سنة ٣١٨. وقام بتدبير أمور رعيّتهِ بما يفوق الوصف من الغيرة والحكمة والديانة* ويوحنّا فم الذهب يثني عليهِ من هذا القبيل. وتكلّم عمّا كانت حاصلة عليهِ كنيسة انطاكية من الراحة والأمن والنظام بسبب حسن قيام راعيها هذا بتدبيرها كما ذكرنا. وهذا أحسن برهان على محامدهِ* وأخذ الأساقفة بل البطاركة أيضاً يستشيرونهُ في الأمور البيعيّة. ومن ذلك انّ الكسندر بطريرك الاسكندريّة إذ قام على اريوس الملحد وناضل بدعتهُ وحَرَمهُ. أرسل صورة ذلك إلى فيلوغونيوس وطلب إليهِ المساعدة والمعاضدة. فوافقهُ على ذلك صفيّهُ هذا وأيّد حكمهُ. وقاوم كثيراً الضلالة الاريوسيّة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي أيّامهِ حدث الاضطهاد الذي أثارهُ مكسميانس وليقينيوس على الكنيسة* واحتمل هذا الزكيُّ اذيّات كثيرة ومشقّات شتّى اصابتهُ من جرى ذلك بحيث انّهُ استحقّ ان يُعَدّ بين جملة المعترفين المجاهدين عن الايمان المقدّس* ثمّ توفّي في اليوم العشرين من شهر كانون الأوّل من سنة ٣٨٦. وقد جلس خمس سنوات فقط على الكرسي الانطاكيّ. وفي يوم موتهِ ابّنهُ مار يوحنّا فم الذهب أحسن تأبين*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار توما الرسول

كان توما من الجليل ومهنتهُ الصيد. ثمّ تبع يسوع المسيح وصار من جملة رسلهِ الاثني عشر واجلّهم. وممّا ورد عنهُ في الإنجيل المقدّس انّهُ إذ قصد يسوع الذهاب لاقامة لعازر. شرع الرسل والتلاميذ يتخوّفون ويصدّون يسوع عن الذهاب إليهِ خوفاً من اليهود الذين كانوا يريدون ابادتهُ. ولكنّ توما خالفهم وقال لهم: تعالوا نمضِ نحنُ أيضاً لنموت معهُ. وهذا ممّا يدلّنا على شدّة محبّتهِ لمعلّمهِ. بحيث انّهُ لم يبالِ بحياتهِ من أجلهِ* ومن أشهر ما ذُكر عنهُ في الإنجيل انّهُ إذ ظهر الربّ في يوم قيامتهِ للتلاميذ والرسل وهم مجتمعون في العليّة كان توما غائباً. فلمّا حضر أخبرهُ الرسل بما رأوا. فتوقّف في تصديقهم وبلغت بهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الجسارة إلى أن قال لهم: إِن لم أبصر في يديهِ رسم المسامير. واجعل اصبعي في رسم المسامير واترك يدي في جنبهِ لا أُومن. فلا يخفى انّ الله سمح بهذا شكّهِ لكي نكون نحن ناجين من قلّة الايمان* ولم يلبث مصرّاً على قلّة ايمانهِ بقيامة المسيح. لأنّ الله لم يهمل رسولهُ الذي يحبّهُ محبّة شديدة. بل بعد ثمانيّة أيّام إذ كان مع سائر التلاميذ في العليّة. ظهر لهم يسوع والأبواب مغلقة. ثمّ التفت إليهِ وقال لهُ: يا توما هاتِ اصبعك إلى هنا. وانظر إلى يديّ. وهاتِ يدك واجعلها في جنبي. ولا تكُن غير مؤمنٍ بل مؤمناً. فهام حينئذٍ قلب توما من شدّة حبّهِ ليسوع وشكر الربّ وذاب قلبهُ سروراً وفرحاً. وهتف قائلاً: ربّي والهي. وبذلك بيّن واثبت تثبيتاً واضحاً انّ المسيح الذي تألّم ومات وقام ممجّداً من بين الأموات هو ربّ العالم كلّهِ ومساوٍ في اللاهوت لأبيهِ الأزليّ* ولم تزل الكنيسة في كلّ وقتٍ متمسّكة بهذا اقرار مار توما الرسول أشدّ تمسّك. وبهِ دحضت الهراطقة* ومن جملة ما ورد عنهُ أيضاً في الإنجيل المقدّس انّهُ إذ قصد بطرس البحر للصيد كان بصحبتهِ توما وغيرهُ. فتعبوا الليلة كلّها ولم يصطادوا شيئاً. فظهر لهم يسوع وأمرهم أن يلقوا الشبكة عن يمين السفينة. فاصطادوا سمكاً كثيراً*

ثمّ انّ مار توما بعد أن حلّ عليهِ وعلى جملة الرسل روح القدس خرج يبشّر في أورشليم وفي اليهوديّة. ثمّ توجّه إلى النواحي الشرقيّة للإنذار بالإنجيل. وأرسل هو مار ثدّى الذي من جملة الاثنين والسبعين تلميذاً إلى ابجر ملك الرها ليعلّمهُ الحقائق الإلهيّة* ثمّ انذر في بلاد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مادي وبلاد الفرس وغير ذلك من البلاد المجاورة. وتوغّل إلى أقصى بلاد الهند. وفي هذهِ البلاد وغيرها دعا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الحقّ جمّاً غفيراً من الناس مؤَيِّداً انذارهُ بآيات باهرة. وبذلك سقطت كثيراً عبادة الأصنام في تلك النواحي وخصوصاً في الهند* فامتلأَ الوثنيّون حسداً وغضباً عليهِ وطلبوا قتلهُ. فرشقوهُ بعدّة أسهم حتّى مات* وحدث ذلك في مدينة قلامينة ويقال لها الآن مليابور. وذلك في اليوم الحادي والعشرين من كانون الأوّل من سنة ٧٥ للمسيح* واعلم انّهُ من قديم الزمان كان لأهل الهند وللشعوب المجاورة عبادة خاصّة لمار توما. فكانوا يحجّون إلى قبرهِ ويُسمَّون باسمهِ ويحترمونهُ غاية الاحترام. وما زالوا على ذلك إلى أيّامنا هذهِ كما يذكر السيّاح* وذُكر في التواريخ انّ جسدهُ نُقل من بعد ذلك إلى مدينة الرها في ما بين النهرين. وتجد ذلك مفصّلاً في اليوم الثالث من تمّوز*

* اليوم الثاني والعشرون *

القدّيس خيرمون الأسقف الشهيد ـ مار ثيمستكلس

القدّيس خيرمون الأسقف الشهيد

اشتهر هذا القدّيس في مصر في أيّام الملك داقيوس. وكان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قد تزوّج بامرأة فاضلة. وصار هو وزوجتهُ يتعاونان على النموّ في الفضائل وسيرة الكمال* ومع كونهِ مزوّجاً صُيّر أسقف على مدينة نيلوبُليس* ثمّ اشتدّ الاضطهاد على النصارى في تلك الأيّام بأمر داقيوس الملك وعمّ البلاد كلّها. ومن الجملة بلاد مصر* فهرب مار خيرمون الأسقف بامرأتهِ إلى أقاصي بلاد العرب. واختفى في جبالها. وقضى هناك عيشة قشفيّة عسرة. ولم يَسُغْ لهُ الرجوع إلى بلدتهِ لشدّة الاضطهاد* فمات في الغربة بعيداً عن رعيّتهِ لأجل محافظتهِ على ايمان المسيح. ولذلك اتّخذتهُ الكنيسة بين جملة الشهداء. وجعلت ذكرهُ في اليوم الثاني والعشرين من كانون الأوّل*

مار ثيمستكلس

وُلد ثيمستكلس في أرض لوقية في أواسط القرن الثالث. وكان أبواهُ فقيرين. غير انّهما كانا فاضلين* فلمّا نشأ صار يرعى الغنم ليحصّل معاشهُ. ثمّ استأجرهُ أحد الأغنياء ليشتغل في أراضيهِ. فكان يقدّم جميع أتعابهِ لمجد الله وكفّارةً عن خطاياهُ. وبذلك يكسب أجراً عظيماً لديهِ تعالى. ومن هذا القبيل صارت عيشتهُ عيشة ناسك لا عيشة فاعل* وكان كلّما فرغ من الشغل يقوم للصلوة ويسهر ساعات كثيرة من الليل* ويمارس التقشّف ويحبّ الصوم والخلوة والانفراد. ولذلك كان ينفرد أحياناً عند شجرة من الشجر وينحت لهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صليباً في قشرها. ويبقى جاثياً عندها ساعات طويلة. وعقلهُ مشغول بالتأمّل والتعمّق في آلام المسيح وموتهِ من أجل جنس البشر* وفي مدّة شغلهِ كانت نفسهُ على الدوام مقترنة بالله عزّ وجلّ وهو يتفكّر في صفات الذات الإلهيّة ويؤدّي لله الشكر الجزيل على احساناتهِ الكثيرة* وفي الاجمال نقول انّ عيشتهُ كانت صلوة غير منقطعة وتأمّلاً متواصلاً. وكان يتَّخذ الخلائق الحاسّة بمنزلة محرّض لهُ على ذلك* ولشدّة تعمّقهِ وتوغّلهِ بالتأمّل والصلوة كان يغيب عن حوّاسهِ ولا يحسّ بالأتعاب الكثيرة الشاقّة التي يُقاسيها* ومع كلّ هذهِ المعاملة الصارمة التي كان بها يعامل نفسهُ ويعذّب جسدهُ كان بشوشاً بسيطاً حليماً مع الناس. وصابراً على جميع الاهانات التي تصيبهُ* وكان إذا سمع أحداً يشتمهُ أو يسخر بهِ دعا لهُ وتمنّى لهُ معظم الخيرات* وحدث لهُ يوماً انّهُ إذ كان مشتغلاً بالتأمّل اجتاز بهِ رجل مسيحيّ هارباً من قوم وثنيّين يضطهدونهُ ويلتمسون قتلهُ. فلمّا بلغوا إلى ثيمستكلس ظنّوهُ ذلك المسيحيّ الذي تفلّت من أيديهم. فلم يفزع بل أقرّ بين أيديهم من تلقاء نفسهِ بايمان المسيح. فقبضوا عليهِ وذهبوا بهِ إلى حاكم لوقية. فلمّا وجدهُ غير متزعزع ومتمسّكاً أشدّ التمسّك بالديانة المسيحيّة أمر بجلدهِ وقتلهِ. فمُزّق لحمهُ كلّهُ بآلات حديديّة. ثمّ أسلم الروح*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الثالث والعشرون *

مار سربُلُس ـ الشهداء العشرة في اقريطش

مار سربُلُس

انّ سيرة هذا القدّيس اتّصلت بنا ممّا خلّفهُ لنا في ذلك مار غريغوريوس الحبر الروماني الكبير. ونحن نورد هنا سيرتهُ بالكلمات التي بها وصفها مار غريغوريوس عينهُ. قال البابا المشار إليهِ: اعلم انّهُ كان على باب المدينة الذي يقضي إلى كنيسة مار اقليميس رجل فقير يقال لهُ سربُلُس (أي عُبَيْد). وقد اختبرنا حالهُ أنا وغيري خير الخبرة. وكان هذا في عازة شديدة. ولم يكن عندهُ شيء من المال. غير انّهُ كان غنيّاً بالفضائل والأعمال الصالحة. ولهُ مرض قديم قد انحلهُ. ولم يكن يطيق النهوض من المنام أو الجلوس أو تحريك يديهِ أو الانقلاب من جهة إلى جهة. وكان لهُ أمّ وأخ يخدمانهِ ويداريانهِ. وكان إذا أتاهُ صدقة من الناس يقسّمها على الفقراء عن يديهما* وكان يتوسّل إلى أحد المؤمنين أن يقرأ عليهِ شيئاً من الكتاب المقدّس لكونهِ لم يكن يعرف القراءة. فيصغي بشوق إلى كلّ ما يُقرأ عليهِ* وكان يجزل الشكر لله على آلائهِ في وسط أوجاعهِ. ويمدحهُ بمدائح التسبيح على الدوام* فلمّا حان الوقت ليجازيهُ الله على صبرهِ واحتمالهِ اشتدّ مرضهُ بحيث انّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أوجاعهُ المبثوثة في جسمهِ كلّهِ اجتمعت كلّها إلى مركز قلبهِ وادنف. فدعا الذين حولهُ لكي يرافقوهُ في تزمير المزامير استعداداً للموت* وإذ كان يرتّل هذهِ المزامير قال: ألا اسكتوا. أما تسمعون صوت الأغاني في السماء. ولبث قلباً ونفساً شاخصاً في الملكوت وهو ينصت لهذهِ الأناشيد. وعند ذلك انفصلت نفسهُ من جسدهِ واقترن بالملائكة. وفاح من المكان الذي فيهِ كانت جثّتهُ رائحة ذكيّة استنشقها جميع الحاضرين* وأخبرنا بهذهِ القصّة أحد الرهبان الذي كان حاضراً في هذهِ الواقعة. وشهد انّهُ هو وجميع الحاضرين كانوا يستنشقون تلك الرائحة إلى أن فرغوا من تجنيزهِ* انتهى*

الشهداء العشرة في اقريطش

لمّا جلس داقيوس الملك على سرير المملكة أضرم نار الاضطهاد على المسيحيّين. وهذا الاضطهاد يُعرَف بالاضطهاد السابع. وكان شديداً قاسياً إذ اقتُرِحت فيهِ عذابات جديدة واستُنبطت آلات حديثة لإكراه المؤمنين على رفض الديانة المسيحيّة* ووقع في هذا الاضطهاد عدد وافر من القتلى يفوق عدد الشهداء الذين وقعوا في الاضطهادات السابقة بأسرها. ولحدّتهِ كفر عدد غير يسير من الضعفاء المرتخين بديانتهم. أو هربوا إلى بلاد أخرى* واشتدّ في أبلغ نوع في جزيرة اقريطش على الخصوص. ومن جملة الشهداء الذين تكلّلوا إذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذاك في تلك الجزيرة عشرة. وهم ثأودولس وسَاطُرْنينُس واوفورُس وجلاسيوس واونقيانُس وزُتقُس واقلاومينُس واغاتوبُس وباسيلدِس وإِيوَرسطس. ويُعرَفون بشهداء اقريطش العشرة* وصفة هؤلاء الشهداء انّهم كانوا من أمكنة مختلفة من الجزيرة المذكورة. فلمّا قدحت نار الاضطهاد الجأتهم محبّة المسيح إلى أن يجتمعوا بأجمعهم في مكان واحد ليجاهدوا جهاداً جليلاً عن الايمان المسيحيّ* فلمّا شاع خبرهم قبضوا عليهم. وجاءوا بهم إلى حاكم مدينة غرتونة التي في الجزيرة. فشرع يغريهم ليجتذبهم إلى عبادة الأوثان. فانكروا عليهِ ذلك وسخروا بهِ. وكشفوا لهُ عن حماقة كلّ ديانة تنفي الإله الواحد. وبلغت بهم الشجاعة المسيحيّة إلى أن ذكروا لهُ الضلالات الكثيرة التي هو فيها والتعدّيات التي يرتكبها والمنكرات التي يفعلها. فحرد عليهم. ووافقهُ الناس على إبادتهم بشرّ العذاب* فمنهم من مُزّق جسدهُ بأظفار حديديّة. ومنه من ثُقِبت أجسامهم بمناقب حادّة. وكان الشهداء في تلك الحالة لا يزالون يتشهّدون بكونهم مسيحيّين ويُظهرون انّهم مستعدّون لأشنع الميتات وأشدّ العذابات. وفي هذهِ الحال ما فتئوا يترنّمون بتسابيح الله ومدائحهِ* فلمّا رأى الحاكم الأمر كذلك. حكم بضرب أعناقهم* فدعوا للمتعدّين عليهم. وطلبوا لهم المغفرة من الله. ثمّ أُخذت رؤوسهم وحُملت أجسادهم سرّاً إلى مقبرة النصارى. ونُقلت ذخائرهم إلى مدينة روميّة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليوم الرابع والعشرون

مار غريغوريوس القسّيس الشهيد في اسبوليت

انّهُ في عهد مكسميانس الملك وُجد رجل ظالمٌ قاسٍ يُقال لهُ فلكُّس. هذا أرسلهُ مكسميانس الملك إلى مدينة اسبوليت لكي يحمل أهلها قاطبةً على عبادة الأوثان. فلمّا أقام فيها أيّاماً سمع بصيت أحد الكهنة النصارى الشهيرين يُقال لهُ غريغوريوس. وبلغهُ عنهُ أنّهُ يفتعل العجائب والمعجزات ويطرد الشياطين ويشفي المرضى ويهدي كثيراً من الوثنيّين إلى عبادة الله. فطلب إحضارهُ. فلمّا مثُل بين يديهِ قال لهُ وقد لاح الغضب على وجههِ: أَأَنت هو غريغوريوس. قال: نعم أنا هو. قال: أفأنت تتجرّأ على الآلهة وتعصي أوامر الملك. فطفق القدّيس يبيّن لهُ حماقة عبادة الأوثان وضلالتها. فاغتاظ وأمر بضربهِ. ثمّ شدّهُ على مشواةٍ ووضعهُ على جمر النار لكي ينقلي عليها مثل مار لورنتيوس الشهيد. فلمّا فعلوا بهِ ذلك حدثت فجأةً زلزلة في الأرض تهدّم بها جانب صالح من المدينة وباد نحو أربعمائة وخمسين من الوثنيّين. فارتاع الناس وتراكضوا إلى البراري لينجوا من أخطار الزلزلة. وهرب أيضاً فلكُّس وأعوانهُ. وهكذا خلص غريغوريوس من أيديهم* ثمّ عقيب مدّة يسيرة أُلقي غريغوريوس في السجن. وأرسل الله إليهِ ملاكاً يعزّيهِ ويقوّيهِ. ثمّ استحضرهُ فلكُّس ثانيةً وأخذ يستجذبهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويستميلهُ إلى إجابة طلبتهِ بأنواع شتّى. فلم يفعل. بل كان يزداد ثباتاً ويشتدّ شجاعةً. فضربت ركبتيهِ بسفائف حادّة حديديّة. وأحرق جنبيهِ بمشاعل ملتهبة. وصبر غريغوريوس على هذهِ العذابات شاكراً مسروراً. ثمّ قطع رأسهُ في اليوم الرابع والعشرين من كانون الأوّل من سنة ٣٠١. وأُطلقت عليهِ الوحوش الضارية لافتراس جثّتهِ. فلم تمسّها. بل أظهرت لها الحرمة والوقار. فصاح وقتئذٍ جماعة الوثنيّين قائلين: انّ يسوع المسيح اله النصارى هو الإله الحقّ وحدهُ. وكثير منهم انحازوا إلى ديانتهِ* وبقي جسدهُ مطروحاً على الأرض مدّة. حتّى فكّتهُ إحدى النساء الشريفات بمبلغ وقبرتهُ في مقبرة بمدينة اسبوليت بوقار وتكريم*

* اليوم الخامس والعشرون *

عيد الميلاد ـ القدّيسة انسطاسية الرومانيّة

عيد الميلاد

من أعظم الأعياد التي تعيّدها الكنيسة المقدّسة في مدار السنة هو عيد ميلاد يسوع المسيح ابن الله الذي نزل من السماء وتجسّد في أحشاء مريم. ثمّ ظهر منها بالولادة على الأرض* هذا هو العيد الذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أزال عن المسكونة تلك اللعنة التي لُعِنت بها منذ الأوّل بسبب خطيّة آدم* هذا هو العيد الذي ابتهج بهِ الجنس البشريّ بأسرهِ بعد أن بقي مدّة أجيال طويلة يئنّ تحت عبوديّة الشيطان* هذا هو العيد الذي يجب على كلّ مسيحيّ أن يذوب قلباً ونفساً لدى تأمّلهِ فيهِ* انّ آدم وحوّاء انّما صبرا على المشقّة والتعب والمصائب التي حلّت بهما بتذكّرهما هذا اليوم فقط. لا بمشاهدتهِ* وكذلك ابرهيم اهتشّ فرحاً بمجرّد سبق فكرتهِ إليهِ* وجميع الأنبياء والآباء كانوا يهيمون إلى رؤيتهِ ويتوقون إليهِ* وأيّ يوم يستحقّ التعظيم أكثر من هذا. فانّ السموات بلفيف ملائكتها وأهلها تنادي بتعظيمهِ واجلالهِ وهي تصيح بفم الملائكة النوريّين: المجد لله في العلى وعلى الأرض السلامة* أيمكن وجود أحد بين المسيحيّين لا يجيب لهذهِ مناداة السموات ولا يمتثل هذا الأمر السامي ولا يتّبع الرعاة المساكين الذين بادروا في الحال إلى مغارة بيت لحم ليسجدوا لملك الملوك وسيّد السادات ويهدوا لهُ قلوبهم وأشواقهم*

فيجب علينا أن نتأمّل في صفة هذا ميلاد المخلّص ونتملّى القصّة الإنجيليّة في ذلك. ليُرسَم في قلوبنا وأذهاننا رسماً بليغاً* انّ المسيح ربّنا في تجسّدهِ وميلادهِ اتّضع اتّضاعاً بليغاً لا مزيد عليهِ. وغاية هذا التواضع هي تمجيد الله وارضاؤهُ. لأنّ آدم والجنس البشريّ بخطاياهم تكبّروا وأهانوا الله وعزّتهُ* ثمّ انّ المسيح جاء إلى الدنيا لكي يفكّ الإنسان من قيود الخطايا التي أساسها هو الكبرياء. ويعظهم بمثالهِ وسيرتهِ قبل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أن يعظهم بأقوالهِ وتعاليمهِ* فانظر انّ الربّ شاء أن يُولَد في وقت هيّأت فيهِ العناية الإلهيّة العالم كلّهُ إلى الراحة والهدوّ والصلح*

ثمّ انّهُ رغبةً في أن يتعذّب كثيراً جعل ميلادهُ في أواخر شهر كانون الأوّل القاسي البرد. واتّخذ بيت لحم محلاً لميلادهِ وهي قرية صغيرة في جهات اورشليم* وتأمّل في العناية الإلهيّة إذ يسّرت الأمور وصحّحت النبوّات في شأن ميلاد المخلّص حدث انّ اوغسطس قيصر إذ كانت الدنيا في ذلك الزمان في صلح وأمان أبرز أمراً في أن تُحصَى عدد نفوس جميع أهل مملكتهِ. فذهبت العذراء مع يوسف إلى بيت لحم ليكتتبا فيها. لأنّ بيت لحم كانت بلدة أجدادهما. فلمّا بلغا المدينة. لم يتيسّر لهما منزل ينزلان فيهِ فاضطرّا أن يبيتا ليلتهما في إحدى مغايرها. وعند منتصف الليل حانت ساعة ولادة مخلّص العالم. فوضعت العذراء ابنها الحبيب بغير وجع وبدون فقد بكوريّتها. ومثلما حبلت بهِ بدون عمل رجلٍ خلافاً للطبيعة. كذلك وضعتهُ بدون فساد أصلاً. وعند ذلك سجدت العذراء نفسها للطفل الإلهي. وهو يبهر أكثر من الشمس. وخرجت من شفتيهِ البعقات الحلوة وهو يرجف برداً* انّ اللسان يحسر عند وصفهِ ظهور المخلّص على وجه الأرض ولا يسع الكلام ليترجم عن السرور والفرح والهيام والاندهاش الذي أخذ العذراء الطوباويّة في تلك الدقيقة إذ رأَت ربّها بين يديها* من ذا الذي يقدر أن يعبد المناجاة الحلوة التي ناجتهُ بها. وقد أخذها تأمّل الأسرار الإلهيّة الغويصة* ثمّ انّ مريم احتضنت طفلها الإلهيّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وضمّتهُ إلى صدرها وجعلت ترضعهُ من حليبها النقيّ* وإذ كان الطفل يبعق لشدّة البرد ولا تجد شيئاً بهِ تغطّيهِ وتدفئهُ وضعتهُ في مذود بين الحمار والثور لكي يدفئاهُ بانفاسهما* طوبى لذلك المذود الذي فيهِ وُضع الطفل الإلهيّ* انّ الأعاجيب التي ظهرت في ميلاد المخلّص باهرة غريبة يصعب استقصاؤها* انّ ملك العالم وخالقهُ لا منزل لهُ في الدنيا الاّ المذود والاسطبل. وسيّد الأشياء وموجدها يعوزهُ كلّ شيء وليس لهُ رداء يتردّى بهِ. والأزليّ الذي لا تسعهُ المسكونة يولد ميلاداً بشريّاً في الزمان ويظهر بصورة طفل صغير. انّ الإله وُلد انساناً بدون أب طبيعيّ. وأمّهُ وضعتهُ بدون أن تزول بكوريّتها*

ورد في الكتاب المقدّس انّهُ كان في تلك الكورة رعاة متبدّون يحرسون حراسة الليل نوباً على مراعيهم. وإذا ملاك الربّ قد وقف بهم ومجد الربّ أشرق عليهم. فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا لأنّي أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. انّهُ وُلد لكم اليوم مخلّص. الذي هو المسيح الربّ في مدينة داود. وهذهِ لكم علامة: انّكم تجدون طفلاً ملفوفاً مضجعاً في مذود* وظهر بغتةً مع الملاك جنود كثيرة سماويّون يسبّحون الله ويقولون: المجد لله في العلى. وعلى الأرض السلام. وفي الناس المسرّة الصالحة* قط ظهر هذا الملاك لكي يؤيّد ميلاد المسيح. ويبشّر الناس بمجيء المخلّص ويدلّهم على مكان ميلادهِ لكي يبادروا إليهِ ويسجدوا لهُ. وترى انّ الربّ في ميلادهِ كلّهِ أظهر حبّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

للفقر والفقراء والودعاء* فتراكض الرعاة للذهاب إلى بيت لحم. فلمّا بلغوا المغارة. شاهدوا مريم ويوسف والطفل في مذود ملفوفاً بقمط. وذلك طبقاً لما دلّهم الملاك عليهِ* فطوبى لهؤلاء الرعاة الذين آمنوا بمخلّص العالم في هذهِ الأحوال الدنيّة الذليلة* فيجب علينا أن نجهّز قلوبنا لمشاهدة المخلّص ونقتدي بالرعاة. فنُسَرّ ونفرح بميلاد المخلّص. إذ انّ ذلك الذي هو سيّد كلّ الأشياء وربّ كلّ النعم وحاوي كل الأوصاف ومعطي كلّ الخيرات والمواهب قد شاء فلبس جسمنا. اننّا نجد فيهِ دواءً ومسدّاً لكلّ حاجة تعرض لنا. وان كان الملائكة يفرحون في مثل هذا اليوم. فكم بالحري يجب أن يكون فرحنا أكثر وأوسع إذ نرى بهِ قد ارتفع جنسنا. وقد جاء المسيح لخلاصنا نحن البشريّين ولسدّ حاجاتنا* ويجب علينا أن نسجد لهذا المخلّص ونشكرهُ ونحمدهُ ونعترف لهُ بضعفنا ونستمدّ منهُ النعم والخيرات. وعلى الخصوص نجتهد أن ننقّي أنفسنا ونطهّرها ونجعلها شريكة ليسوع المسيح كما قال مار لاون: اعتبر أيّها المسيحي منزلتك. وإذ أنت شريك الطبيعة الإلهيّة لا تَعُد إلى عوائدك القديمة السالفة. انظر جزء أيّ راس وعضوَ أيّ جسد أنت. وتأمّل انّ ثمن عتقك هو دم يسوع المسيح* وفي تقدّمنا إلى هذهِ المدرسة الجليلة يجب أن نذعن على الخصوص للأقوال الإلهيّة التي يعظنا بها المذود الإلهيّ بصوت صامت. فانّ كلّ ما يوجد فيهِ يشير إلينا أن ننزع من قلوبنا حبّ الدنيا وما فيها ونرفض الغنى والعظمة ونتمسّك بالتواضع والفقر ونرذل هذهِ الدنيا* فلنرسم ذلك كلّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رسماً بليغاً في قلوبنا. ولنجعل لذّتنا الوحيدة في يسوع المسيح*

القدّيسة انسطاسية الشهيدة

انّ القدّيسة انسطاسية كانت في الأصل من مدينة روميّة ويقال لها انسطاسية الثانية لتمييزها من انسطاسية الأولى التي يقع عيدها في ٢٨ تشرين الأوّل* وكان قد تزوّجها رجل شريف اسمهُ بُبليوس. وكان غريب الطباع سيّئ الأخلاق متمسّكاً أشدّ التمسّك بعبادة الأوثان. فصار يبغضها لمّا علم بأنّها على مذهب النصرانيّة. وتحرّكت فيهِ الطباع السباعيّة بنوع خصوصيّ إذ رآها في حين الاضطهاد تعتني بأمور النصارى ولا سيّما المجاهدين منهم لأجل دين المسيح وتشاركهم في عذاباتهم وتخدمهم* وذكر ميتفرستس المؤرّخ انّ زوجها لم يجتمع أبداً معها. فلبثت عذراء. وبلغت بهِ بغضتهُ لها إلى حدّ انّهُ حبسها في محلّ ضيّق. وجزم أن لا يُؤدَّى لها من الطعام إلاّ مقداراً نزراً لكي يهلكها جوعاً. وشدّد عليها الأمر بحيث انّها اضطرّت إلى أن تكتب رسالتين إلى القدّيس خروسونُغُس إذ كان محبوساً يومئذٍ برومية وتوسّلت إليهِ أن يدعو لها. فسلاّها القدّيس وشجّعها وقوّاها على الاصطبار* وحدث انّ الملك ديوقلطيانس سيّر زوجها إلى ملك الفرس في مصلحة عرضت لهُ. فنهض للتوجّه وأوصى بامساك زوجتهِ في السجن إلى حين قدومهِ. واضمر ان يبيدها عند عودهِ من السفر. غير انّ الله الذي لا يخفاهُ أمر عمل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعكس ما رجا. فانّهُ باد في الطريق واضحت هي مطلقة الحرّيّة مخيّرة الإرادة مستولية على كلّ أملاكهِ. فانفقتها على الفقراء وبذلتها في اسعاف المجاهدين والشهداء* وكانت هذهِ القدّيسة تقضي غالب أوقاتها في زيارة المسيحيّين في السجن. وتعزّيهم وتسلّي قلوبهم وتضمّد جروحهم. فتقبر المقتولين منهم. وتأتيهم بكلّ ما يحتاجون إليهِ* وبقيت على هذهِ الحالة من خدمة شهداء المسيح مدّةً من الزمان حتّى ظفر بها وعلم بأمرها رئيس المدينة. فقبض عليها وألقاها في سجن مظلم. فافاقت فيهِ مدّة شهرين* ثمّ انّ الشهيدة ثاودورة التي قبل مدّة يسيرة كانت قد استشهدت ظهرت لها. وصارت تاتيها في كلّ يوم بطعام سماويّ فتقتات بهِ. وفي آخر الشهرين برز الأمر أن يُحمَل النصارى في مركب إلى نصف البحر ويُلقَوا في المياه ليغرقوا. فحُملت انسطاسية في السفينة بجملة مائتي رجل وستّين امرأة من النصارى. ولكنّ الله بذراعهِ القديرة قاد السفينة إلى الجانب الآخر من البحر عند جزيرة بَلْمَا. فخرجت انسطاسية مع سائر المعترفين إلى الساحل. فهجم الوثنيّون عليهم قاطبةً وأبادوا انسطاسية بالنار. وجرى ذلك في ٢٥ كانون الأوّل في سنة ٣٠٢ للمسيح. وذلك في أيّام ديوقلطيانس ومكسميانس الملكين القيصرين* وجاءت سرّاً إحدى النساء الشريفات يُقال لها أَبُلّينة. وحملت جثّتها خفيةً وحنّطتها وقبرتها في بستانها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم السادس والعشرون *

مار اسطفانس الشمّاس أوّل الشهداء ـ ارخلاوس اسقف كشكر

مار اسطفانس الشمّاس أوّل الشهداء

انّ المسيح كان قد سبق وأنبأ رسلهُ وتلاميذهُ بالاضطهادات الشديدة والمقاومات الكثيرة العتيدة أن تصيبهم* ونحن نرى انّ اليهود وخاصّةً الصدوقيّين وهم الزنادقة هاجوا على الرسل وضربوهم وعذّبوهم وأساءوا إليهم من سبب انذارهم بدين المسيح* وكان التلاميذ يُسَرّون بذلك. والكنيسة المنتشئة تزداد يوماً فيوماً رونقاً وعدداً وثباتاً وكمالاً. وبلغ المؤمنون إلى درجة سامية من الكمال المسيحيّ. بحيث انّهم أخذوا يبيعون أملاكهم ويضعون ثمنها قدّام أرجل الرسل. وكانت كلّ المقتنيات والأملاك عامّة مشتركة بين أولئك المسيحيّين القدماء غير مختصّة بأحدٍ منهم* وكان جزيل اعتنائهم أن يسدُّوا حاجات اليتامى والأرامل والمقطوعين. ونشأَ في أورشليم بسبب ذلك تذمّر وتقمقم من اليهود المولودين في بلاد الروم. إذ كان أمرهم مهملاً غير معتنىً بهم في تفريق الصدقات. فجمع التلاميذُ المؤمنين وونّبوهم على هذا التقمقم في شأن أمور الدنيا. ثمّ عرضوا عليهم أن يختاروا سبعة من الرجال الكاملين الفطنين الممتلئين من روح القدس ويولّوهم أمر تفريق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الصدقات على المحتاجين. فاعجب المؤمنين هذا الرأي وانتخبوا سبعة أشخاص وجدوا فيهم الأوصاف المذكورة فقدّموهم للرسل. فوضع الرسل عليهم الأيادي ورسموهم شمامسة. ووكّلوهم على الاعتناء بحاجات المؤمنين وتقسيم الصدقات عليهم. وقلّدوهم وظيفة الإنذار بالإنجيل وغير ذلك ممّا يتعلّق بدرجتهم* وكان المتقدّم بين هؤلاء السبعة القدّيس اسطفانس الذي يشهد لهُ الكتاب المقدّس بأنّهُ كان مملوّاً من الايمان وروح القدس. فجعل يبذل جزيل همّتهِ وشفقتهِ في توزيع الصدقات. واكبَّ مواظباً على الوعظ والإنذار بما لا يوصف من الجدّ والهمّة. فأجرى الله على يدهِ آيات كثيرة باهرة. وقال عنهُ مار اقليميس البابا انّ اسطفانُس لم ينقص عن الرسل شيئاً في محبّتهِ الغزيرة لله. وكانت في اورشليم في ذلك العهد عدّة كنائس مع مدارس يهوديّة يُعَلَّم فيها ما يختصّ بالمذهب اليهوديّ. فنهضت خمس من هذهِ المدارس لمجادلتِهِ. فافحمهم بالبراهين الساطعة والآيات الباهرة. فانجاز كثير منهم إلى ديانة المسيح. وصار الباقون يبغضونهُ أشدّ بغضة. فطلبوا قتلهُ. وجدُّوا في طلب شهود زور ليقرّفوهُ. فاحضروهُ قهراً إلى المجمع. وشرعوا يقولون عليهِ بانّهُ أخطأ في حقّ الناموس وأهان بكلامهِ المكان المقدّس. فسألهُ الرئيس عن صحّة ما شُكي بهِ. فجعل الجمهور يحدق بهِ. ورأوا وجههُ يسطع كوجه ملاك. لأنّ روح القدس كان يسكن فيهِ وهو الذي يبعث عليهِ نوراً سماويّاً. فطفق يخطبهم وطالت خطبتهُ. وفيها كلّمهم أوّلاً عن دعوة الله لابرهيم. ثمّ ذكر احسانات الربّ إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بني إسرائيل شيئاً فشيئاً ولا سيّما ما صنعهُ على يد موسى صفيّهِ ونبيّهِ. ثمّ أخذ يذكّرهم ما تنبّأَ بهِ موسى عن مجيء المسيح. وامتلأ غيرةً وشرع يونّبهم على ما أساءوا بهِ إلى أنبياء الله وعلى الخصوص بسبب انّهم وضعوا أيديهم على قدّيس القدّيسين يسوع المسيح ابن الله وقتلوهُ. فامتلأ اليهود حنقاً وغضباً عليهِ ونووا اهلاكهُ. فرفع عينيهِ إلى السماء وإذا بيسوع المسيح ظهر لهُ ممجّداً جالساً عن يمين الله الآب. وبذلك زادهُ الله شجاعةً ورغّبهُ في ملكوت السماوات. واطلعهُ على الجزاء المعدّ للّذين يجاهدون عن ايمان المسيح. فامتلأ سروراً وفرحاً ولم يتمالك من أن صاح قائلاً: ها انّي أرى السموات مفتوحةً وابن الإنسان قائماً عن يمين الله* وبحيث انّ اليهود كانوا يتوقّعون حجّة ليحكموا عليهِ بالقتل. فلمّا تلفّظ بهذهِ الكلمات. ثاروا عليهِ وجعلوا يصيحون: ليُقْتَل ليُقْتَل هذا المجدّف. ثمّ أخرجوهُ خارج المدينة وخلعوا ثيابهُ وتركوها عند شابٍّ يُدعى شاول (وهو بولس الرسول. وكان يُعرَف بهذا الاسم قبلما اتّبع المسيح). ثمّ تناولوا الحجارة. وشرعوا يرجمونهُ بها. غير انّ اسطفانُس لم يحرد عليهم. ولم يبالِ بهم. بل صار يرفع عينيهِ إلى السماء ويقول تارةً: أيّها الربّ يسوع خذ روحي. ثمّ يرفعهما تارةً أخرى ويقول: يا ربّ لا تُقِم لهم هذهِ الخطيّة. وبذلك حذا حذو سيّدهِ وهو معلَّقٌ على الصليب يطلب الغفران لليهود الذين صلبوهُ. واستجاب الله دعاءهُ. فانّ كثيرين من الحاضرين استناروا إذ ذاك بالنور الإلهيّ وآمنوا بايمان المسيح. وما عدا ذلك فانّ طلبتهُ نفذت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خصوصاً في شأن شاؤُل. فانّ كثيرين من القدّيسين مثل امبروسيوس ويوحنّا فم الذهب وغيرهما ينسبون توبة شاول إلى طلبتهِ. ولم يكفّ اليهود مع ذلك كلّهِ عن رجمهِ حتّى أسلم روحهُ ومات* واعلم أنّ اسطفانُس هو باكورة الشهداء. لأنّهُ أوّل الذين اعطوا أعناقهم لأجل الايمان بالمسيح من بعد صعودهِ إلى السماء* وذكر مار لوقا في أعمال الرسل انّ رجالاً أتقياء كفّنوا جسده وقبروهُ ورثوهُ* وجرى استشهادهُ في اليوم السادس والعشرين من كانون الأوّل من سنة ٣٥ للمسيح*

انّ الكنيسة الشرقيّة لا تذكر في هذا اليوم مار اسطفانُس الشهيد. بل تؤخّر عيدهُ إلى اليوم الثامن من كانون الثاني. وبدل ذلك تعيّد في مثل هذا اليوم عيد تهنئة العذراء الطوباويّة بميلاد المخلّص* فالواجب علينا أن نتأمّل في سموّ هذهِ الأمّ العجيبة وخوّاصها الفريدة* انّ الكنيسة تكنّي بكلّ صواب مريم العذراء باب السماء. وذلك ليس فقط من حيث انّ الناس بها يلجون ملكوت السماء. بل خاصّةً من حيث انّ ابن الله الذي عرشهُ هو السماء بها دخل العالم* فأيّ إنسان يقدر أن يقدّم التهاني اللائقة على ما خُصّت بهِ من النعم والآلاء السمويّة التي لا يتمكّن العقل البشريّ من إدراكها. ومَن مِن الخليقة بأسرها يقدر أن يفتخر بما يحقّ لامّ الله أن تفتخر بهِ. انّها أشرف الخلائق وأسمى السواريف والكواريب. لأنّها قد أضحت من وجهٍ ما شريكةً للآب الأزليّ. فانّ يسوع قد وُلد من أبيهِ الأزليّ ميلاداً أزليّاً. وهو أيضاً وُلد من العذراء المغبوطة ميلاداً زمنيّاً. فلنغبطها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على منزلتها هذهِ ولنؤَدِّ لها الشكر على انّها ولدت لنا الفادي الإلهيّ الذي بهِ ننجو من عبوديّة الشيطان وندخل ملكوت السماء*

مار ارخلاوس اسقف كشكر

من جملة الآباء المشاهير الذين تلألأوا في الكنيسة السريانيّة في نحو القرن الثالث مار ارخلاوس الشهير اسقف كشكر في ما بين النهرين. وممّا اتّصف بهِ انّهُ انقذ من يد الروم عدداً غفيراً من المسيحيّين الذين سطت عليهم العساكر الروميّة فيما كانوا مجتمعين في مغارة يقيمون الدعاء لنوال الغيث والمطر* امّا ما اشتهر بهِ خاصّةً القدّيس فهو انّهُ في تلك الأيّام ظهر في بعض جهات ما بين النهرين ماني الهرطوقيّ الشهير وأخذ يبثّ أضاليلهُ. فاستدعاهُ الأسقف إليهِ واحضرهُ في مجادلة بحضرة جماعة عظيمة من أهل البلد. فكسرهُ وأفخمهُ وأخزاهُ. فولّى هارباً إلى مدينة ديودوردس في ما بين النهرين. فتتبّعهُ القدّيس بأن أرسل إلى قسّيس تلك المدينة كتاباً يتضمّن خلاصة البراهين والحجج التي أفحمهُ بها. ثمّ رحل هو بنفسهِ إلى تلك المدينة ليحاجّهُ ويوقعهُ. فانهزم ماني* وهذهِ غلبة مار ارخلاوس على هذا الملحد تُعَدّ بين أفضل مجادلات الآباء للهراطقة والملحدين الذين قاموا على الكنيسة في كلّ الأزمنة والجهات. ولهذا نرى مار هيّرونمس في دفتر الآباء الذين زيّنوا الكنيسة بتآليفهم جعل ذكراً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خاصّاً لمار اوخلاوس اسقف كشكر* وممّا يدلّك أيضاً على شهرة هذهِ مجادلتهِ انّها منذ قديم الزمان نُقِلت إلى اليونانيّة واللاتينيّة*

* اليوم السابع والعشرون *

مار يوحنّا الإنجيليّ الرسول

انّ يوحنّا الذي يدعوهُ الكتاب المقدّس باسم التلميذ الحبيب والذي يكنّيهِ الشرقيّون بيوحنّا الثاولوغس أي الإلهيّ كان ابن زبدا وسالومي. وهو أخو يعقوب الكبير الرسول. وكان دأبهُ الصيد. فترك يوماً شباكهُ وأهلهُ وبيتهُ وتبع يسوع لآيةٍ ظهرت لهُ منهُ. ولمّا دعاهُ يسوع هو وأخاهُ إلى اتّباعهِ سمّاهما بابني رغش أي بابني الرعد. دلالةً على ثبات ايمانهما وقوّتهِ الساطعة ولأنّهما كانا مزمعين أن ينيرا العالم بنور البشارة الإنجيليّة* ويُتّخذ مار يوحنّا الأصغر بين الرسل عمراً. ويُظنّ انّهُ لم يكن يتجاوز العشرين حين تتلمذ للمسيح. ومع صغرهِ كان لا ينقص عن سائر الرسل شيئاً في المحبّة للمسيح وفي الفضائل والتقوى والفطنة والحكمة* وكان عفيفاً طاهراً بتولاً. ونال عند المسيح ربّنا حظّاً ووداً خصوصيّاً بحيث انّهُ في إنجيلهِ يكنّي نفسهُ بالتلميذ الذي يسوع يحبّهُ. وصنع ذلك ليظهر شكرهُ للمسيح الذي اختصّهُ بانعطاف فريد إليهِ. وهذا الامتياز الذي بهِ اختصّ المسيح يوحنّا ناتج عن ثلاثة أسباب على ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذهب مار اوغسطينس: السبب الأوّل حبّ يوحنّا الغزير للمسيح. السبب الثاني هدوّ أخلاقهِ وكرامة نفسهِ. السبب الثالث نقاوة بتوليّتهِ* وذهب الآباء قاطبةً انّهُ من أجل طهارتهِ البتوليّة استاهل أن يستودع المسيح أمّهُ الحبيبة مريم بيدهِ عندما كان على الصليب في سياق الموت ومن خَوَاصّ محبّة يسوع ليوحنّا انّهُ جعلهُ مع بطرس ويعقوب شاهداً عيانيّاً لتجلّيهِ ولعرقهِ الدمويّ في بستان الزيتون. ومن ذلك خاصّةً انّهُ في العشاء السرّيّ اجلسهُ بجانبهِ وسمح لهُ أن يسند رأسهُ إلى حضنهِ الإلهيّ*

وكان بين يوحنّا وبين بطرس الرسول الفة ومحبّة شديدة. وأساس هذهِ المحبّة محبّتهما ليسوع. ومن هذا القبيل ذكر الآباء القدّيسون انّ يسوع إذ كان جالساً على العشاء السرّيّ وأخذ يشير عن التلميذ الذي سيسلّمهُ اكبّ بطرس على يوحنّا وطلب إليهِ أن يستفهم الربّ عن حقيقة الأمر. فانبأهُ يسوع عن خيانة يهوذا بتسليمهِ ايّاهُ في أيدي اليهود* وذكر مار يوحنّا الذهبيّ الفم في كلامهِ عن آلام المسيح انّهُ إذ قُبض عليهِ انهزم الرسل كلّهم الاّ يوحنّا. فانّهُ لم ينفكّ أبداً من معلّمهِ في مدّة آلامهِ كلّها* وممّا لا يشوبهُ ريب البتّة انّهُ كان على جبل الجلجلة في حين نزاع المسيح على الصليب. وفي ذلك الحين التفت يسوع إليهِ وفوّض إليهِ أمر أمّهِ وأوصاهُ بحسن القيام بها. فبناءً على وصيّة المخلّص اتّخذ يوحنّا مريم العذراء في دارهِ واعزّها واكرمها وجعلها بمنزلة امّهِ. وممّا يدلّنا أيضاً على شدّة اعزاز المسيح ليوحنّا ومحبّتهِ لهُ انّهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

التفت إلى مريم امّهِ أيضاً وأعطاها يوحنّا ابناً لها يقوم مقامهُ. ولبث يوحنّا عند الصليب إلى حين موت المسيح* ثمّ انّهُ لمّا جاءت مريم المجدليّة إلى التلاميذ وأخبرتهم بأنّها شاهدت القبر فارغاً من جثّة يسوع. بادر يوحنّا وبطرس إلى القبر لتحقيق الأمر. ووصل يوحنّا أوّلاً لسرعة جريهِ. ولكنّهُ لم يدخل القبر بل انتظر بطرس الذي جعلهُ المسيح رئيس الرسل* ثمّ انّ الربّ بعد قيامتهِ بمدّة وجيزة ظهر لهُ بشكل متغاير إذ كان يصيد في بحيرة طبريّة هو وبعض من التلاميذ. وهو الذي ميّزهُ وعرفهُ أوّلاً* وبعد صعود الربّ يسوع إلى السماء أخذ ينذر ويكرز بإنجيل المسيح. ويفتعل العجائب. ومن أوّل الآيات التي افتعلها انّهُ إذ دخل الهيكل في وقت القربان هو وبطرس وأبرأ المقعد قُبض عليهما. ثمّ أُطلِقا وأُوصِيا بأن لا ينذرا بالمسيح. وتهدّدوهما بتهديدات مخيفة. غير انّهما لم تقلّ همّتهما وغيرتهما في التبشير والإنذار* ثمّ أرسلهما الرسل إلى السامريّة لكي يضعا أيديهما على الذين تلمذهم فيلبّس الشمّاس في تلك المدينة. فقبض اليهود على يوحنّا وعلى سائر الرسل وضربوهم وجلدوهم. فسرّوا بذلك سروراً لا مزيد عليهِ. لأنّهم استاهلوا أن يُصابوا من أجل المسيح معلّمهم* وقيل انّ بلاد الفرثيّين هي أوّل بلاد بشّر فيها يوحنّا وأوّل كرم فلحهُ. ومن هذا القبيل نرى القدّيس مار اوغسطينس يسمّي بعض الأحيان رسالة يوحنّا الأولى بالرسالة إلى الفرثيّين. ثمّ جعل يوحنّا الرسول يطوف بلاد اسيّا الصغرى. وأَسّس كنائس في مدنها الأكثر شهرة أي في افسس وسمّرنة وبرغام وثواتير وفيلادلفية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وسردس ولاودقية. وزعم قوم انّ يوحنّا لم يُؤسّس هذهِ كنائس اسيّا الصغرى الاّ بعد انتقال مريم العذراء* وكان يعتني اعتناءً خصوصيّاً بهذهِ الكنائس. وجعل مقرّهُ غالباً في مدينة افسس* واعلم انّ الله بعنايتهِ السامية قادهُ إلى بلاد اسيّا الصغرى لأجل غاية عظيمة. أي لكي يقاوم هرطقة ابيون وقرنثيوس. وكان هذا ابيون يزعم بكون يسوع خليقة أعظم من الملائكة. ويدّعي بوجوب حفظ الرسوم الموسويّة مع الوصايا الإنجيليّة. وانضمّ إلى ابيون قرنثيوس. وذهب إلى انّ التطهير فرضٌ واجب على النصارى. ومنع أكل اللحوم التي تسمّيها الشريعة القديمة غير طاهرة. وغير ذلك* فقام مار يوحنّا على هذين المبدعَين الضالَّين. وحافظ على رعيّتهِ وحثّهم وحرّضهم وحذّرهم مخالطتهما ومشاركتهما* وكان هو يسير سيرة قشفيّة ويلازم الصوم ولا يذوق اللحم أبداً*

فلمّا اشتدّ على الكنيسة الاضطهاد الثاني في سنة ٩٣ وذلك على يد دومطيانس الملك. قُبض عليهِ وسيق إلى روميّة إلى الملك. فغطّسهُ في مرجل مملوّ زيتاً مغليّاً. فخرج منهُ بلا أذى. ومن أجل ذلك استحقّ أن ينعتهُ الآباء بنعت شهيد. وترى انّهُ بذلك صحّت نبوّة المسيح عنهُ بأنّهُ سيشرب كاس آلامهِ. ثمّ نفاهُ الملك من روميّة إلى جزيرة بطمس. وهناك كتب سفر الجليان أو الرؤيا. إذ كان منقطعاً عن الأنس. وحصل على اكتشافات نبويّة بعثها إلى سبع كنائس من كنائس اسيّا. وبعدما أودع في هذا السفر الوصايا الخاصّة بكلّ كنيسة من تلك الكنائس أشرق عليهِ نور الروح الإلهيّ فتنبّأَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بتشابيه سامية عن اندثار عبادة الأوثان وتظَفّر الكنيسة. وكانت تلك السنة سنة ٩٦ للمسيح*

فلمّا مات دومطيانس. نسخت المشيخة جميع ما كان قد سنّهُ. فرجع يوحنّا من المنفى إلى مدينة افسس. وقضى فيها بقيّة حياتهِ وهو يسوس من هناك جميع بيَع اسيّا. وكتب انجيلهُ اجابةً إلى طلبة اساقفة اسيّا الذين التمسوا منهُ أن يدفع لهم شهادة شرعيّة في ألوهيّة يسوع المسيح التي كان ابيون وقرنثوس ينكرانها. وقبل ان يكتبهُ أمر المؤمنين بأن يصوموا ويقيموا صلوات. فافتتح انجيلهُ بتلك الكلمات السامية الفائقة تشير إلى ولادة الكلمة الإلهيّة في الأزل. ومن أجل ذلك نرى المتقدّمين من الآباء والملافنة يشبّهون يوحنا بنسر طار ووصل إلى ما لا يقدر بشر أن يصلهُ. ولهذا أيضاً اطلق عليهِ الآباء الشرقيّون تسمية الثاولوغس أي العالم بالالهيّات. وممّا خلّفهُ أيضاً للكنيسة رسائلهُ الثلاث. ونشاهد بينها وبين انجيلهِ نسبة عظيمة*

وكان يوحنّا غيوراً على خلاص النفوس. ويطوف البلاد ويقتحم الأخطار ويقاسي الأتعاب والمشقّات لانقاذ الناس من الضلالة والشرور* ونقتصر في ذلك على ما رواهُ عنهُ مار اقليميس الاسكندريّ. قال انّهُ كان يوماً في إحدى مدن اسيّا. ولمّا فرغ من عظةٍ وعظ بها المؤمنين. وقع بصرهُ على شابّ ظريف ذي نباهة ولبابة في الجماعة. فأَمسكهُ بتعطّف. والتفت إلى أسقف المدينة واقل لهُ بمحضر الجماعة: اوصيك على هذا الفتى أمام الكنيسة وأمام المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاهتمّ بهِ. ثمّ رجع إلى افسس. فأَقبل الأسقف على الفتى وعلّمهُ وأرشدهُ وهذّبهُ ليأخذ سرّ العماذ. ثمّ عمّذهُ وثبّتهُ وناولهُ القربان المقدّس. وإذ حسب انّهُ صار مستغنياً عن عنايتهِ تركهُ على شأنهِ وخاطرهِ. فاغتنم الشاب الفرصة وتصاحب مع أندادهِ من الشباب ذوي الخلاعة. فاغووهُ أن يعمل معهم كلّ فاحشة. ومال لاهوائهم حتّى فاق رفاقهُ في الفحشاء وصار مقدام قطّاع الطريق* وبعد سنين رجع يوحنّا إلى تلك المدينة. فطالب الأسقف بالوديعة التي أودعهُ إيّاها. فظنّ الأسقف إِنّهُ يطالبهُ بوديعة من دراهم. واستغرب ذلك. فقال لهُ يوحنّا: انّما اطلب منك الشابّ الذي أوعتهُ عندك وادّعيك بنفس أخينا. فاطرق الأسقف وقال: قد مات. قال يوحنّا: كيف مات وأيّ ميتة. قال الأسقف: مات عن الله. لأنّهُ صار شريراً ولصّاً. وقد استبدّ بجبل وفيهِ جعل مأواهُ مع جملة من اللصوص. فصاح يوحنّا بصوت عظيم وقال: عليّ بفرس ودليل. وخرج من الكنيسة وتوجّه إلى الموضع الذي فيهِ اللصوص. فقبض عليهِ خفراؤهم. وذهبوا بهِ عند قائدهم. وكان ينتظرهُ مسلّحاً. فلمّا رأى الشابّ يوحنّا عرفهُ. فاستحوذ عليهِ خجل عظيم وفرّ هارباً. فركض يوحنّا وراءهُ مع شيخوختهِ وصاح في أثرهِ قائلاً: يا ابني لماذا تهرب عنّي. لماذا تجفل من أبيك وهو شيخ بلا سلاح. يا ابني ارحمني ولا تخف لأنّهُ يوجد رجاء لخلاصك بعد. وأنا أُجاوب عنك يسوع المسيح. واعطي حياتي مسروراً فدية عنك كما أعطى المسيح حياتهُ عنّا. فقف عندك. وصدّقني انّ يسوع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح هو الذي بعثني عليك. فوقف وبكى وتخشّع فعانقهُ يوحنّا بتعطّف. وامّنهُ ووعدهُ من قِبَل الربّ بغفران خطاياهُ. وانطلق بهِ إلى الكنيسة وصلّى من أجلهِ وصام معهُ. ووعظهُ بأقوال مفيدة. ولم يتركهُ حتّى صيّرهُ أهلاً لأخذ الأسرار*

وكان يوحنّا يكثر من تحريض المسيحيّين على حبّ بعضهم بعضاً. ويستغني بهذهِ الوصيّة عن غيرها. فلمّا شاخ وهرم ولم يمكنهُ أن يخطب الشعب بخطبة طويلة مفصّلة. كان يأمرهم فيحملونهُ إلى الكنيسة في وقت اجتماع الناس. فيكرّر عليهم كلّ مرّة هذهِ الكلمات وهي: يا أولادي احبّوا بعضكم بعضاً* وتوفّي يوحنّا في مدينة افسس في السنة الثالثة من ملك طرايانس قيصر وهي السنة المائة للمسيح وكان عمرهُ يومئذٍ نحو أربع وتسعين سنة*

* اليوم الثامن والعشرون *

أطفال بيت لحم

انّهُ في الأيّام التي وُلد فيها يسوع المسيح كان الوالي على اليهوديّة هيرودس. وكان اليهود في ذلك العصر ينتظرون قدوم المخلّص الموعود بهِ في الكتاب المقدّس وفي الأنبياء* وحدث انّ الله تعالى في نحو ذلك الزمان دعا المجوس أي ملوك المشرق إلى اليهوديّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ليسجدوا للملك المولود. فلمّا بلغوا أورشليم وأخذوا يبحثون عن الطفل المشار إليهِ ويسالون عن محلّ ولادتهِ. وصل الخبر بذلك إلى هيرودس فتداخلتهُ الأفكار والظنون. وطفق هو أيضاً يسأل الكتبة والعلماء ليوقفوهُ على مولد ملك اليهود الموعود بهِ في الكتاب. فذكروا لهُ بيت لحم* فقال للمجوس بأن يذهبوا إلى بيت لحم. وأوصاهم بأن يعودوا إليهِ ويخبروهُ بما يرونهُ. فينطلق هو أيضاً للسجود لهُ. ولكن ما كان قد أضمرهُ في قلبهِ كان مخالفاً لما كان يتظاهر بهِ في حديثهِ معهم. الاّ انّ الله سبحانهُ وتعالى أمر المجوس بأن يحيدوا عن الطريق التي جاءوا منها ويرجعوا إلى بلادهم بدون أن يجتازوا بأورشليم* وكان هيرودس في انتظار عظيم. فلمّا طالت بهِ المدّة واستدلّ على انّ المجوس سخروا بهِ. اشتدّت مخاوفهُ بجدّ ويجتهد في طلب الملك المولود جديداً ليبيدهُ ويقتلهُ. لئلاّ ينتشي ويتغلّب عليهِ ويضبط الملك من يدهِ كما كان يتوهّم. غير انّ الله الذي يعلم بأخفى سرائر الناس وينظر أعماق القلوب كان قد سبق وأخبر القدّيس يوسف خطّيب مريم العذراء بما نواهُ هيرودس. وأمرهُ بأن يذهب بالصبيّ وأمّهِ إلى بلاد مصر. وكان هيرودس لا يزال يفتّش على الصبيّ. فلمّا لم يتمكّن من الوقوف على حقيقة ما جرى لهُ مع كثرة تفتيشهِ عليهِ هاج غيظهُ وعزم على قتلهِ لا محالة* وإذ لم يكن يعلم مَن هو الطفل المطلوب من بين أطفال بيت لحم. اخرج أمراً بقتل جميع أطفال بيت لحم لكي يبيد المخلّص المولود حديثاً بجملتهم. ولم يقتصر على قتل أولئك الذين وُلدوا في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نحو زمان ميلاد المخلّص في بيت لحم بموجب ما ذكر لهُ المجوس. بل عمّ بأمرهِ جميع الأطفال من أهل سنتين فما دون من الذين كانوا في الجهات المجاورة لبيت لحم. فذُبح هؤلاء الرضعان القدّيسون لأجل يسوع المسيح. وجرت دماؤهم في كلّ ناحية. وسُمع ضجيج امّهاتهم في تلك الأماكن. وذكر الآباء القدّيسون انّ عددهم كان وافراً جدّاً يبلغ عدّة آلاف* ثمّ انّ الكنيسة كلّها الشرقيّة والغربيّة تعيّد لهؤلاء الأطفال وتتّخذهم بين جملة شهدائها. فانّهم تعمّذوا بدمائهم التي سُفكت من أجل يسوع المسيح* فطوبى لهؤلاء الأطفال الذين استحقّوا ان يؤَيّدوا حقيقة ميلاد المسيح في العالم بواسطة سفك دمهم. ونُقِلوا من شرور هذهِ الدنيا وفسادها قبل أن يطرأ عليهم. وضُفرت لهم أكاليل المجد والغلبة في ملكوت السماء. وخُلّد ذكرهم على وجه الأرض في كلّ الأقطار وعلى ممرّ الأزمان*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار توما مطران كنتربري الشهيد

وُلد توما في مدينة لندن من بلاد الانكليز. فلمّا نشأ أُرسل إلى المدرسة ليتعلّم العلوم. فبرع فيها. وحصل من سبب ذلك على مزيد الاعتبار والقدر* وكان مليح الأخلاق نجيب المهجة ذا دراية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفطنة لا يتشبّث بالأشياء الباطلة التي لا طائل تحتها* فلمّا اطّلع على سيرتهِ ثيبوت مطران كنتربري. اتّخذهُ من أهل دارهِ. وجعلهُ ارخدياقوناً في كنيستهِ. وقلّدهُ وظائف أخرى. واشتدّت شهرتهُ حتّى انّ الملك نفسهُ جعلهُ من أعوانهِ. فأَفرغ الهمّة والنشاط في القيام بوظائفهِ كلّها. وأَضحى عزيزاً جليلاً لدى كلّ أحد* وكان الملك يجالسهُ كثيراً ويؤانسهُ ليستفيد من حديثهِ*

ثمّ مات ثيبوت مطران كنتربري. فألقى الملك نظرهُ على توما ليرقّيهُ إلى كرسي تلك المدينة. فلما أحسّ توما بذلك. أخذ يتوسّل إليهِ أن يعفيهُ من هذا الحمل الثقيل. وفهّمهُ انّهُ إذا صار مطراناً. فلا بدّ من أن يقع في سخطهِ لأنّهُ يكون مضطرّاً أن يقاوم العادات الغير المستقيمة الموجودة في المملكة. ومع ذلك فلم يكفّ الملك عن عزمهِ. حتّى جعل توما أن يسلّم ويذعن. فرُسم قسّيساً في نهار السبت ليلة أحد الفنطقسطي ثمّ سيم مطراناً في أحد الفنطقسطي في حضور الملك هنري وعدّةً من أشراف المملكة. وكان عمرهُ يومئذٍ أربعاً وأربعين سنة. ثمّ أرسل البابا الكسندر الثالث إليهِ البليون*

فأخذ الأسقف الجديد يحاكي في سيرتهِ السيرة الرسليّة. ويتجنّب زهو هذهِ الدنيا وملاهيها. وقهر جسدهُ بلبس المسيح وبالسهر. وعكف على الصلوة الغير المنقطعة وقراءة الكتاب المقدّس. ثمّ احبّ أن يرتّب عيشتهُ. فلبس لباس القسوس القانونيّين. وأخضع نفسهُ للسنن المختصّة بهم* وكان يهتمّ باسعاف الفقراء وسدّ حاجاتهم. فلم يقصدهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

محتاج الاّ ونال بغيتهُ منهُ* ثمّ بذل وسعهُ في تحصيل أوقاف الكنيسة التي كان قد اعتاد بعض أرباب الحكم أن يضبطوها. فسعى بهِ هؤلاء لدى الملك. فلم يبالِ بهذا حتّى حملهُ على بغضتهِ ومعاداتهِ أمر آخر. وذلك انّ اثنين من جملة اقليرسهُ كانا قد ارتكبا بعض الجرائِم. فأخذ توما يونّبهما ويؤدّبهما. غير انّ بعضاً من العلمانيّين ثاروا عليهِ وطلبوا اقامة الدعوى على هذين المذنبين من الاقليرس في المحكمة المدنيّة. فأبى توما ذلك* فاحضرهُ الملك في مجلس التأم بهِ أكابر المدينة وبعض الأساقفة. وأمرهُ بأن يدفع إليهِ جميع المجرمين من الاقليرس ليحاكمهم ويعاقبهم هو* فانكر توما عليهِ ذلك. وبيّن لهُ انّ ذلك مخالف للانعامات التي أُنعم بها على الاقليرس في كلّ مكان وخاصّةً في انكلترة منذ قديم الزمان* فاحتدّ الملك غضباً لذلك. واستحالت محبتهُ القديمة لتوما إلى بغضاء وعدوان. ووافقهُ سائر أهل المجلس من العلمانيّين وأهل الاقليرس على ذلك. وبقي توما وحدهُ محامياً عن الحقّ مجاهداً عن الحرّيّة البيعيّة. وشرعوا بأجمعهم يتهدّدونهُ ويحثّونهُ على موافقة الملك وارضائهِ* ثمّ عرض الملك على جماعة الأساقفة عريضة. وفرض عليهم أن يمضوها. ومضمونها انّ الملك وحدهُ لهُ الاستبداد بمحاكمة الاقليرس. وبهِ تناط أمور الأساقفة والمطارين. وإليهِ يرفعون دعاويهم. ولا يمتثلون أوامر البابا الاّ باجازتهِ. فأبى وتمنّع توما من امضائها. فأثار الملك اضطهاداً مبيناً عليهِ. فهرب توما في إحدى الليالي إلى فلندرا. فلمّا أحسّ الملك بذلك كتب إلى البابا الكسندر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الثالث شكاية على توما. ثمّ ضبط أملاكهُ وعذّب أهلهُ وخاصّتهُ ونفاهم. فانطلق توما إلى روميّة إلى البابا. وقصّ عليهِ أمرهُ. وطلب الاستعفاء. فلم يجبهُ البابا إلى ذلك. بل أيّدهُ في درجتهِ. غير انّهُ أشار عليهِ بأن يختلي في أحد الأديرة مدّة ريثما يخمد غضب الملك عليهِ. فقصد دير الشسترسيّين في فرنسا. وأقام فيهِ مدّة سنتين في عيشة قشفيّة صعبة جدّاً جدّاً* ثمّ انتقل إلى دير مار كولمبوس. وبقي على ما كان عليهِ من التقشّف واماتة النفس مدّة أربع سنوات* وسمع يوماً بعد القدّاس يقول لهُ الربّ: يا توما انّك ستنير كنيستي بسفك دمك* ثمّ انّ لويس السابع ملك فرنسا اتّفق مع البابا في وجود الطرق لمصالحة توما مع هنري ملك الانكليز. وصالحاهما. فرجع توما إلى كنيستهِ استناداً على هذهِ المصالحة. ولكن بعد رجوعهِ بثلاثة أشهر هاج عليهِ غضب الملك من جديد. فقال في حدّة غيظهِ: يا للعجب. اما يوجد في كلّ مملكتي أحد ينتقم لي من قسّيس ازعج مملكتي كلّها. فكانت هذهِ كلمات الملك قضيّة الموت على المطران القدّيس. فانّ أربعة من خاصّتهِ تواطأُوا على الجريمة الجسيمة أن يقتلوا توما. وذهبوا مستخفين إلى مدينة كنتربري. وقتلوهُ وهو في كنيستهِ* فدُفن في كنيستهِ بقرب مذبح مار يوحنّا المعمذان ومار اوغسطين. وأجرى الله الآيات والكرامات الربّانيّة على ضريحهِ. فصار الناس يقصدونهُ في كلّ الجهات* فلمّا وقف الملك هنري على خبر ما جرى ارتاع من هذا الخطب. وحلف انّهُ لم يأمر بهِ قطّ. وأقام في مقصورتهِ ثلاثة أيّام مختلياً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صائماً لا يواجه أحداً. واستعدّ أن يرضي العدل الإلهي بتوبة نصوح فحجّ إلى قبر القدّيس توما. وأخذ المقرعة وجلد نفسهُ بازاء ذلك الشهيد الجليل واعترف بخطيّتهِ بدموع حارّة وندامة حقيقيّة* وحدث استشهاد توما في التاسع والعشرين من كانون الأوّل من سنة ١١٧٥*

* اليوم الثلاثون *

الطوباوي سبسطيان وَلفره

وُلد سبسطيان في قرية وردن من قرى بيامنت وذلك في ٩ آذار من سنة ١٦٢٧. وأظهر في صغرهِ دلائل واضحة على ميلهِ وحبّهِ الشديد للتقوى* فلمّا نشأ اختصّهُ الله بدعوتهِ إيّاهُ إلى السيرة الاقليرسيّة. فتعلّم العلوم في مدينة تورين واتقنها. ثمّ انضمّ إلى أخويّة مار فيلبس نيري في ٢٦ أيّار من سنة ١٦٥١. ثمّ سيم قسّيساً في السنة التابعة. فنصب هذا القسّيس الجديد أخويّة مركّبة من أهل الصنائع والحرف. وصار يجمعهم لديهِ ويتقدّمهم هو في أفعال شتّى خيريّة كالتردّد إلى الكنائس وزيادة المرضى وحثّهم على الصلاح. وبقي على هذهِ الحالة مدّة سبع عشرة سنة. وساس أيضاً أخويّة مار فيلبّس بفطنة وحلم* وكان يقسّم أوقاتهُ بين الصلوة والوعظ وزيارة المرضى ومداراتهم واستماع الاعترافات. امّا صلاتهُ فكانت في الغالب قائمة في التأمّل بآلام المسيح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ربّنا. وامّا استماع الاعترافات فكان يصرف فيهِ كلّ يوم نحو نصف النهار. وكان الله ينير عقلهُ ويجود عليهِ بالعلم بالغيب في خير المعترفين. وكثيراً ما كان هو يشرح الخطايا نيابةً عن التائب. ويدعو الناس من كلّ ناحية ليعترفوا. فاستعرف عدداً وافراً من الذين لم يكونوا يعترفون قطّ* وكان إذا انتصب للوعظ لقّنهُ الله أن يذكر الزلاّت الموجودة خاصّةً في جماعة السامعين. ولو لم تكن لهُ خبرة بهم قبلاً* ومن أجل ذلك كسب كثيرين إلى سبيل الله. وصدّ كثيرين ممّا كانوا عليهِ من العصيان لأنّهُ اقنع الذين كانوا يتعوّذون من الاعتراف ورغّبهم فيهِ. واستعرف أيضاً كثيرين من المدنفين اعترافاً جيّداً فماتوا ميتة صالحة* وجاد الله عليهِ بكرامات أخرى لا تُحصى لشفاء المرضى. حتّى انّهُ أشفى من هم في مرض عضال أو في خطر موتٍ مبين* وكان مع ذلك متواضعاً جدّاً بحيث انّهُ إذ ألحّ عليهِ ملك ايطاليا لينصبهُ اسقفاً على مدينة تورين لم يجِب إلى طلبتهِ وتمنّع* ورغبةً في التواضع جاء يوماً بأخيهِ. وكانت عليهِ ثياب الفلاّحين الرثّة. فادخلهُ إلى قصر الملك وقال لهم: هذا هو أخي* ثمّ وقع مريضاً في سنة ١٧١٠. وزارهُ الملك وكثير من شرفاء المدينة. ثمّ ادنف فأخذ الأسرار ومات في اليوم الثلاثين من كانون الأوّل من سنة ١٧١٠. وكان سنّهُ يومئذٍ ثمانين سنة* فتقاطر أهل المدينة لتشييعهِ. وفي تلك الأثناء كثير من المرضى نالوا الشفاء. ثمّ قُبر باكرام ودموع غزيرة*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

* اليوم الحادي والثلاثون *

مار سلبسطر البابا ـ ملانية الرومانيّة ـ كولونبة الشهيدة

مار سلبسطر البابا

كان سلبسطر في الأصل من مدينة روميّة. وظهر منذ الأوّل بسيرة صالحة وبأعمال تقويّة. وتهذّب في أمور الديانة. ومن جملة ما اعتاد عليهِ من عمل الخير منذ الأوّل انّهُ كان يضيف الغرباء ويخدمهم ويقوم بما يحتاجون إليهِ* وحجّ يوماً إلى روميّة مار طيمثاوس الأنطاكيّ. فاضافهُ في منزلهِ. وفي تلك الأثناء قُبض على طيمثاوس لسبب انّهُ كان لا يزال ينادي بدين المسيح في روميّة. وعُذِّب أشدّ العذابات وأخيراً أُميت من أجل المسيح. فاعتنى سلبسطر بحمل جثّتهِ سرّاً ولحدها. فلمّا بلغ ذلك حاكم المدينة. استدعاهُ وطلب منهُ أن يسلّمهُ تركة طيمثاوس. وكان الحاكم يظنّها وافرة. ثمّ حكم عليهِ بالسجن لتحصيلها. فلم يتحرّك القدّيس لذلك. بل أبان عن سرور وفرح. وتنبّأ بأنّ سجنهُ سيكون قصيراً وانّ الحاكم يبيد في الغد فحدث الأمر طبقاً لما قال: فانّ الحاكم اختنق بشوكة من عظم السمك وهلك. فأُطلق سلبسطر* ثمّ رسمهُ البابا مار مرقلّينس قسّيساً لما رأى فيهِ من الاستحقاق لهذهِ الدرجة. فطفق يبذل وسعهُ في القيام بواجباتها وقضاء فرائضها*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلمّا فرغ الكرسيّ الروماني بموت مار ملخياد. بُويع سلبسطر بالحبريّة. وذلك باتّفاق الكهنة والجماعة قاطبةً*

وكان قسطنطين الكبير ضابطاً زمام المملكة في تلك الأيّام ومشغولاً بمحاربة مكسنتيوس ولقينيوس ومكسمينُس. وكان الاضطهاد على الكنيسة قويّاً شديداً في ذلك العصر. ولكن لمّا شاء الله أن ينصر كنيستهُ ويمنّ عليها بالراحة والأمن ضرب قسطنطين بالجرب. ثمّ أمرهُ الربّ أن يلتجئ إلى سلبسطر ليُشفَى من مرضهِ. فاحضرهُ للوقت. فأخذ القدّيس يرشدهُ في صحّة الديانة النصرانيّة ويحثّهُ على التمسّك بها. فتعمّذ وبرئ من داء النفس والجسد معاً* فشرع ينصر النصرانيّة. ويدمّر الوثنيّة ويهدم هياكلها ويسحق أصنامها. ويشيّد الكنائس على ردمها. ويجزل عليها العطايا والهدايا النفيسة الثمينة* وكان على الخصوص يكثر من اكرام القدّيس واعزازهِ. فخلّى لهُ مدينة روميّة. ونصب هو كرسي مملكتهِ في مدينة القسطنطينيّة التي بُنِيت إذ ذاك على اسمهِ*

ثمّ بعد برهة قام اريوس في الاسكندريّة. وشرع يزعج الكنيسة التي استراحت قليلاً من الاضطهادات الطويلة الشديدة التي قاستها مدّة ثلاثة قرون وأكثر. وأخذ يقلقها ببدعة ابتدعها في حق الوهيّة يسوع المسيح ابن الله اذ زعم بانّهُ غير مساوٍ للآب في الجوهر. فالتأمت في الكنيسة عدّة مجامع لمقاومتهِ وردعهِ. واشهر ذلك المجمع المسكوني الذي اجتمع بمدينة نيقيّة. وكان الذي اهتمّ بجمعهِ هو سلبسطر البابا بمعاونة قسطنطين الملك. وسيّر اوسيوس اسقف قرطبة لكي ينوب عنهُ في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

التروّس على المجمع المذكور* وقام سلبسطر بمهمّات الكنيسة بنشاط وهمّة فريدة. فشُيّدت الكنائس الفاخرة الكثيرة برومية. وانحاز على يدهِ كثير من الوثنيّين إلى حضن الكنيسة* ومن أعمالهِ انّهُ قتل تنّيناً ظهر في روميّة وأفسد الهواء وعدم عدداً وافراً من الناس* وساس الكنيسة نحو اثنتين وعشرين سنة. ثمّ توفّي في اليوم الحادي والثلاثين من كانون الأوّل من سنة ٣٣٨. وقُبِر في المقبرة المعروفة بمقبرة برسقلّة على مسافة يسيرة من روميّة*

القدّيسة ملانية الرومانيّة

كانت ملانية من مدينة روميّة مزوَّجة. ثمّ ترمّلت. فنزعت من قلبها محبّة الدنيا. واعتصمت بالله وحدهُ. فرحلت إلى الاسكندريّة لمشاهدة مار اثناسيوس أسقف تلك المدينة. ثمّ ضربت في براري مصر. وأقامت فيها مدّة. ثمّ حجّت إلى القدس. وكانت في هذهِ أسفارها تعتني جدّاً بأحوال النصارى في تلك البلاد التي تجتاز بها وتساعدهم وتسدّ حاجاتهم* ثمّ أقامت ديراً للراهبات في القدس. فضمّت إليهِ خمسين من الفتيات. وأقامت هي معهنّ. ودبّرتهنّ مدّة سبع وعشرين سنة. ثمّ عادت إلى روميّة. وبعد ذلك توجّهت نحو بلاد افريقية. ومنها قصدت القدس. وتوفّيت فيهِ بعد وصولها إليهِ بأربعين يوماً* وقيل انّ ملانية كان قد خدعها روفينس وديدُمُس الضرير المعلّم الشهير في الاسكندريّة. وأوقعها في ضلالة اوريجينس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكنّها جحدت بعد ذلك هذهِ الأضاليل. وقدّمت التوبة الواجبة بين يدي مار هيرونمس كما يتّضح من أقوال مار اوغسطينس*

هذهِ سيرة ملانية الكبيرة. وتوجد ملانية أخرى يقال لها ملانية الصغيرة لتمييزها من ملانية الكبيرة. وذكرها أيضاً واقع في هذا اليوم. كانت هذهِ ابنة اربانس أحد بني ملانية الكبيرة المارّ ذكرها. وكانت وحيدة لأهلها. فزُوّجت وهي صغيرة من رجل شريف اسمهُ بُنْيات على كرهٍ منها. ووُلد لهما جارية. ثمّ غلام. ومات الغلام* وكانت قد حثّت زوجها على حفظ البتوليّة في زيجتهما. فلم يكن يرضى. فلمّا وقعت مريضة أشارت عليهِ أن ينذر لله حفظ البتوليّة منذ ذلك اليوم ان منّ الله عليها بالشفاء. فنذر. واقتبل الله نذرهُ وأيّدهُ باقامتهِ ايّاها من المرض سريعاً. فاخذا يتفرّغان لعبادة الله وخدمتهِ. وكانا من أغنياء الناس وأكثرهم مالاً وأملاكاً. فشرعا ينفقان النفقات السابغة على الفقراء والمساكين والأديرة والكنائس. وكان لهما أملاك في بلاد كثيرة من بلاد اوروبا. فقسّما ثمن ما باعاهُ منها على المحتاجين والمعابد في تلك البلاد. ثمّ رحلا إلى جزيرة صقليّة. ومنها إلى افريقية. فاعتقا عدداً غفيراً من العبيد. ثمّ أقاما ديرين في قرطاجنة أحدهما للرجال والآخر للنساء. وقضت القدّيسة سنين في دير النساء وهي مواظبة على عيشة قشفيّة مميتة* ثمّ رحلا إلى الاسكندريّة وفازا بمزيد الاكرام لدى مار قورلّس اسقف تلك المدينة. ثمّ حجّا إلى القدس الشريف. ثمّ عرّجا إلى برّيّة الصعيد لزيارة أولئك النسّاك القدّيسين ولاسعافهم*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمّ عادا إلى أورشليم. واتّخذت القدّيسة لسكناها قلاّية في دير جبل الزيتون وأقامت فيها مدّة أربع عشرة سنة بدون أن تواجه أحداً أو تخاطب أحداً. ثمّ تحوّلت إلى قلاّية أخرى. ومكثت فيها مدّة سنة. واجتمعت إليها عدّة من العابدات. فشيّدت لهنّ ديراً. وكان لها عمّ وثنيّ في روميّة. فأرسلهُ يوماً الملك إلى القسطنطينيّة في سفارة. فوقع مريضاً. فالهمهُ الله بأن يستدعي ملانية ابنة عمّهِ. فلمّا صارت إليهِ. حرّضتهُ على رفض عبادة الأوثان والتديّن بالديانة المسيحيّة. ففعل. ومات ميتة صالحة* ثمّ عادت إلى منسكها. وتجهّزت للرحيل من هذهِ الدنيا. فانتقلت في آخر يوم من كانون الأوّل. وأجرى الله على يدها آيات باهرة كثيرة*

القدّيسة كولمبة العذراء الشهيدة

كانت كولمبة وثنيّة من بنات أغنياء الناس في بلاد اسبانيا. فهداها الله إلى معرفة الديانة الحقيقيّة. فخرجت من بيت أبيها وتوجّهت إلى بلاد الغاليّين لكي تتنصّر. فتعمّذت في مدينة ويّنا. وأخذت تسير سيرة قشفيّة قدسيّة. فوُشي بها وبرفيقاتها لدى الملك اورليانس الذي قدم قبل أيّام إلى مدينة سنس في بلاد الغاليّين. فاستدعاها الملك بجملة رفيقاتها. فلمّا رآهنّ ثابتات في ايمانهنّ متمسّكات بالديانة المسيحيّة أشدّ التمسّك حكم عليهنّ بالموت ما عدا كولمبة فانّهُ استثناها من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذهِ قضيّة الموت. ورجا بذلك أن يخوّفها ويليّنها بقتل رفيقاتها. فعقب قتلهنّ أحضرها إليهِ وقال لها: ما اسمكِ. قالت: اسمي كولمبة. واعلم انّ عزمي وثباتي ناتج عن محبتي الشديدة ليسوع المسيح. قال: وما الذي حملكِ على التمسّك بمذهب باطل لا صحّة لهُ. قالت: انّي لا اومن الاّ بالله الواحد الذي خلق العالم بأسرهِ. وفطرنا نحن على صورتهِ. وبابنهِ الوحيد الذي ظهر على الأرض ومن أجل خلاصنا تألّم في أيّام بنطيوس بيلاطس. ثمّ بعد قيامتهِ انار كنيستهُ بارسال روحهِ القدّوس على تلاميذهِ ورسلهِ. فاحتدّ الملك غضباً وذكّرها الأوامر التي نشرها على النصارى وتهدّدها بالعذابات الشديدة ان بقيت مصرّة على عنادها. فجعلت تسخر بالآلهة وبالذين يعبدونهم. فرأى الملك أن يكسبها بالتملّقات والتلطّفات. فكانت هي تزداد ثباتاً وعزماً واعتصاماً بمحبّة المسيح. وزجرتهُ على مخاتلتهِ في اجتذابها إلى الضلالة الوثنيّة واحتيالهِ عليها لذلك. ثمّ قالت لهُ بأنّها مستعدّة لمقاساة كلّ العذابات من أجل الايمان بالمسيح. فقيّدها بالاغلال. وألقاها في سجن ضيّق. ثمّ أطلق عليها أحد الشبّان العاهرين لكي يقتصّ بكوريّتها. فامتلأت القدّيسة شجاعة سماويّة وقوّة فائقة الطبيعة. وانتهرتهُ وتهدّدتهُ بالعقابات الإلهيّة. وبينما هي تردعهُ هكذا إذا أقبل فجأةً دبّ وتهيّأ لافتراس ذلك الشاب. فنهتهُ فوق على الباب يحرسها. وأخذت تنصح ذلك الشاب وترشدهُ وتبرهن لهُ على قوّة يسوع المسيح ومحافظتهِ على عبيدهِ وتبّاعهِ. فآمن. واطلقتهُ سالماً* فلمّا وصل الخبر إلى مسامع الملك أمر باحضارها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لديهِ فلما ذهبوا لاخراجها. وثب عليهم الدبّ. فولّوا مرتاعين. فحوّط الملك السجن بالنار ليبيدها. فلمّا أحس الدبّ بالحرارة تخلّل في إحدى الشقوق وهرب. وامّا هي فلم تنكِ بها اللهبات البتّة. فدعاها الملك وشرع يقذف بها ويشنّع عليها. ثمّ أمر عليها بأن تُجلَد ويُمزَّق جسدها بأمشاط من حديد ثمّ يُقطع رأسها* فسُرّت القديسة بذلك وشكرت الله وطلبت إليهِ أن يقتبل بعين الرضاء قربانها. فأُجريت أوامر الملك. وطارت نفس القدّيسة إلى ملكوت السماء لتأخذ جزاءها الذي لا يزول*

وكان في تلك الأيّام أمير اسمهُ أَوبرتس يسكن في تلك الجهات على مسافة ميل من المدينة قد فقد بصرهُ منذ مدّة مديدة. فبلغهُ خبر الآيات والكرامات التي تجري من جثّة القدّيسة كولمبة. فاهتشّت نفسهُ واستنار عقلهُ بالنور الإلهيّ ورجا بالله أن ينال البصر بشفاعة هذهِ الشهيدة. فأمر بأن يحملوهُ إلى محلّ استشهادها حيث كان جسدها ملقيّاً على الحضيض. فلمّا صار إليهِ خرّ ساجداً وقبّل جثّتها بدموع غزيرة. ثمّ أخذ من دمها ودهن بهِ عينيهِ بايمان ورجاء وطيد. ومن ساعتهِ نال الشفاء المرغوب ورجع يبصر ويمجّد الله في قدّيسيهِ*

* تمّ المجلّد الثاني *

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فهرست المجلد الثاني

شهر تموز

يوم		صحيفة
١	هارون الحبر	٥
٢	زيارة مريم العذراء الطوباويّة	٩
٣	ايريانوس ومستيولا الشهيدان	١٦
	نقل ذخائر مار توما	١٨
٤	هوشع النبي	١٩
٥	القديسة غدلانة	٢٢
٦	ايشعيا النبي	٢٥
٧	ايديلس اسقف كليرمنت	٣١
٨	بروكوبيوس الشهيد	٣٥
٩	يوحنّا الدومنيكي ورفاقهُ المستشهدون لنصر الاوخارستيا والكرسي الرسولي	٤٣
١٠	القديسة فليسيتاس أي سعدة وأولادها السبعة الشهداء	٤٨
١١	يعقوب اسقف نصيبين	٥٠
١٢	يوئيل النبي	٥٦
١٣	اوجين اسقف قرطاجنة ورفاقهُ	٥٧
١٤	بوناونتورا الكردينال اسقف البانو الملفان	٦٦
١٥	قرياقوس وامّهُ يوليطي الشهيدان	٧٥
١٦	مريم العذراء سيدة الكرمل	٧٧
١٧	الكسيس رجل الله	٨٢
١٨	كملّس للّيس منشئ رهبنة الاقليرس القانونيّين لخدمة المرضى	٨٨
١٩	منصور بولا منشئ رهبنة العازاريّين وأخوات الرحمة	٩٦
٢٠	ايليا النبي	١٠٧
٢١	دانيال النبي	١١٩
٢٢	مريم المجدليّة	١٣٣
٢٣	براجيئة الأرملة	١٤٤
٢٤	خرستينة العذراء الشهيدة	١٥٠
٢٥	يعقوب الكبير الرسول	١٥٤
٢٦	حنّة ام سيّدتنا مريم العذراء	١٥٩
٢٧	بنطاليون الطبيب الشهيد	١٦٣
٢٨	وكتور البابا الشهيد	١٧١
٢٩	مرتا العذراء مضيفة المسيح	١٧٣
٣٠	عبدون وسينون الشهيدان	١٧٥
٣١	اغناطيوس لويولا منشئ رهبنة اليسوعيّين	١٧٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم		صحيفة
	شهر آب	
١	اليعازر الشيخ وشموتي وأولادها السبعة والشهداء المقابيّون	١٩٠
٢	الفنسس ماريا ليغوري الأسقف منشئ جماعة الفدائيّين	٢٠٤
٣	وجدان أجساد اسطفانس أوّل الشهداء وغملائيل ونيقوديمس وحبيب	٢٢٢
٤	عبد الأحد منشئ رهبنة الأخوة الواعظين	٢٢٥
٥	مريم العذراء ذات الثلج	٢٥٢
٦	تجلّي ربّنا يسوع المسيح	٢٥٤
٧	غايطان الثيآني منشئ جماعة الاقليرس القانونيّين	٢٦٠
٨	هرمزد الشهيد	٢٦٧
٩	رومانس الشهيد	٢٦٩
١٠	لورنتيوس الشهيد	٢٧١
١١	طيبرسيوس الشهيد ورفاقهُ	٢٧٨
١٢	القديسة كلارة	٢٨٩
١٣	القديسة رادغندة الملكة	٢٩٦
١٤	اوسابيوس	٣٠٩
١٥	انتقال مريم العذراء إلى السماء	٣١٠
١٦	هياكنثس الدومنيكيّ	٣١٥
١	مامز الشهيد	٣٣٤
١٨	روكس	٣٤١
١٩	هيلانة الملكة القديسة	٣٤٧
٢٠	برنرد رئيس دير كلارولاّ ملفان الكنيسة	٣٤٨
٢١	حنّة فرنسيسة دي شنتال	٣٦١
٢٢	ثامن عيد انتقال مريم العذراء وفيهِ ذكر مريم موزعة النعمة	٣٦٣
٢٣	فيلبّس بانيتي من رهبنة عبيد مريم العذراء	٣٦٧
٢٤	برثلماوس الرسول	٣٦٩
٢٥	لويس التاسع ملك فرنسا	٣٧٤
٢٦	زافرينس البابا الشهيد	٣٧٨
٢٧	قيساريوس الشهيد	٣٧٩
٢٨	اوغسطينس اسقف هبّونة وملفان الكنيسة	٣٨٣
٢٩	سابينة الشهيدة	٣٨٩
٣٠	وردة الليماويّة	٣٩٠
٣١	ريمندس ننّانس	٣٩٤
	شهر ايلول	
١	فيلومينة العذراء الشهيدة	٣٩٧
٢	اسطيفان ملك الهنغريّين	٤٠٠
٣	القديسة سرابية	٤٠٣

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم		صحيفة
٤	موسى النبي	٤٠٦
٥	لورنتيوس	٤٣١
٦	بمبون الناسك	٤٣٦
٧	ريجينة العذراء الشهيدة	٤٣٨
٨	ميلاد العذراء مريم	٤٤٢
٩	بطرس كلابر	٤٤٦
١٠	بلكارية ملكة الروم في المشرق	٤٥٠
١١	ثئودورة التائبة	٤٥٤
١٢	يونان النبي	٤٥٨
١٣	ايميلدة الطوباويّة	٤٦٢
١٤	ارتفاع الصليب المقدس	٤٦٥
١٥	يوحنّا الناسك الملقّب بالرّون	٤٦٨
١٦	قبريانس اسقف قرطاجنة الشهيد	٤٧١
١٧	انطباع جروح المسيح في جسم مار فرنسيس السارافي	٤٧٤
١٨	اوفيمية الشهيدة	٤٧٦
١٩	بنواريوس ورفاقهُ الشهداء	٤٧٩
٢٠	اوسطاخيوس الشهيد	٤٨١
	اورسلة بينانكازة	٤٨٥
٢١	متّى الإنجيلي الرسول	٤٩١
٢٢	موريقيوس ورفاقهُ الشهداء	٤٩٤
٢٣	تقلا أوّل الشهيدات	٤٩٦
٢٤	جيرد الأسقف الشهيد	٤٩٨

يوم		صحيفة
٢٥	فرمينس اسقف اميانس الشهيد	٥٠١
٢٦	قبريانس ويسطينة الشهيدة	٥٠٢
٢٧	قزما ودميانس الشهيدان	٥٠٤
٢٨	بنقسلاوس الشهيد	٥٠٦
٢٩	ميخائيل رئيس الملائكة	٥٠٨
٣٠	هيرونمس ملفان الكنيسة	٥١١
	شهر تشرين الأوّل	
١	رميج اسقف ريمس	٥١٦
٢	الملائكة الحرّاس	٥١٩
٣	يوحنا الملقّب بالمشيّح	٥٢١
٤	فرنسيس الاسيسي السارافي	٥٢٤
٥	فلاقيدس ورفاقهُ الشهداء	٥٣٤
٦	برونون منشئ رهبنة الكرتوسيين	٥٣٦
٧	الأحد الأوّل من تشرين الأوّل	
	عيد سلطانة الورديّة المقدسة	٥٣٩
٨	بلاجية التائبة	٥٥٠
٩	ديونوسيوس اسقف باريس	٥٥٤
١٠	لويس برترند الدومنيكي	٥٥٧
١١	بروبس وطرخس واندرونيقس الشهداء	٥٦٠
١٢	ولفريد الأسقف	٥٦٧
١٣	ادورد ملك الانكليز	٥٦٩
١٤	قلّسطس البابا الشهيد	٥٧٢

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم		صحيفة
	ذكر اليوم الثامن من عيد الورديّة المقدسة أي في عبادة الخمسة عشر سبتاً	٥٧٤
١٥	ترازيا دي يسوع مجدّدة الرهبنة الكرملية	٥٨٠
١٦	هوديجة اميرة بولونيا	٥٨٦
١٧	اندراوس الاقريطي	٥٨٩
١٨	لوقا الإنجيلي	٥٩٢
١٩	بطرس ذو القنطرة	٥٩٤
٢٠	برشبيا ورفاقهُ الشهداء	٥٩٨
٢١	هيلاريون الناسك	٥٩٩
٢٢	ملكس الناسك	٦٠٣
٢٣	يوحنا دي كابستران من الأخوة الصغار	٦٠٦
٢٤	رافائيل رئيس الملائكة	٦١٢
٢٥	خرونش وداريّة الشهيدان	٦١٣
٢٦	كرابينس وكرابنيانس الشهيدان	٦١٦
٢٧	بنقيس والقديستان سابينة وخرستلاّ	٦١٩
٢٨	شمعون ويهوذا أي ثدى الرسولان	٦٢١
٢٩	نرقيسيوس اسقف اورشليم	٦٢٢
٣٠	مرقلس الشهيد	٦٢٤
٣١	الفنسس ردريكس	٦٢٥

شهر تشرين الثاني

يوم		صحيفة
١	عيد جميع القدّيسين	٢٢٩
٢	ذكر الأموات المومنين	٦٣٢
٣	ملاخيا اسقف ارمغا	٦٣٦
٤	كارلس برُّوميا كردينال الكنيسة الرومانية ومطران مديولان	٦٤٢
٥	مرتينس دي بُرس الراهب بالصنف الثالث من رهبنة مار عبد الأحد	٦٤٨
٦	لئونردُس	٦٥٠
٧	انجلبرت اسقف كولونيا الشهيد	٦٥٢
٨	المكلّلون الأربعة	٦٥٥
٩	ثاودورس	٦٥٦
١٠	ميلس وبروسيم وسينا	٦٥٨
١١	مرتينس اسقف تُرس	٦٦٠
١٢	مرتينس البابا الشهيد	٦٦٣
١٣	ديداقيوس الراهب من رهبنة مار فرنسيس	٦٦٦
١٤	مار لورنتيوس مطران دُبلين	٦٦٨
١٥	جرترودة رئيسة البندكتيّات	٦٧٢
	غوربّا وشامونا وحبيب الشهداء	٦٧٤
١٦	ادمندُس مطران كنتربري	٦٧٥
١٧	غريغوريوس العجائبي	٦٧٩
١٨	رومانس وبارُلاّ الشهيدان	٦٨٣

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم		صحيفة
١٩	برلعام	٦٨٨
	القديسة اليشباع	٦٨٩
٢٠	فيلكس أي سعيد دي بالواس	٦٩١
٢١	تقدمة العذراء إلى الهيكل	٦٩٣
٢٢	ككيلية العذراء الشهيدة	٦٩٦
٢٣	اقليميس البابا الشهيد	٧٠٠
٢٤	يوحنا الصليبي	٧٠٣
٢٥	كاترينا العذراء الشهيدة	٧٠٥
٢٦	بطرس الشهيد اسقف الاسكندريّة	٧٠٩
	لئونرد الذي من بُرت موريتيوس	٧١٠
٢٧	يوشافاط وبرلعام	٧١٥
	يعقوب المقطّع	٧١٩
٢٨	يعقوب المركاوي	٧٢١
٢٩	ساطُرنينس اسقف تولوزا	٧٢٥
٣٠	اندراوس الرسول	٧٢٧
	شابور واسحق ونرسي الشهداء	٧٣٠

شهر كانون الأوّل

١	إنواس اسقف نويون	٧٣٤
٢	ببيانة العذراء الشهيدة	٧٣٨
٣	بطرس خُرسولوغس مطران راوينا	٧٣٩
	حبقوق النبي	٧٤١
٣	فرنسيس خاوبر رسول الهند	٧٤٣
	قسيانس الشهيد	٧٥١
٤	بربارة الشهيدة	٧٥٢
	كرلومون	٧٥٥
٥	سابا الانبا	٧٥٧
٦	نيقُلاوس اسقف موره	٧٦٠
٧	القديسة فارا	٧٦٥
٨	مريم العذراء المحبول بها بلا دنس أصليّ	٧٦٧
٩	بطرس فُرير	٧٧٢
١٠	القديسة اولالية	٧٧٥
	بهنام الشهيد ورفاقهُ	٧٧٧
١١	دمسوس البابا	٧٨٠
١٢	ابيمَقُوس والكسندر الشهيدان	٧٨٢
١٣	لوقيّة العذراء الشهيدة	٧٨٣
	القديسة اوديلة	٧٨٦
١٤	سبيريديون	٧٩٠
١٥	اوسابيوس اسقف وركيل الشهيد	٧٩٢
١٦	اديليدة الملكة	٧٩٤
١٧	لعازر حبيب المسيح	٧٩٦
	يوحنا دي ماثا	٧٩٨
١٨	القديسة اولمفية	٨٠١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوم		صحيفة
١٩	نماسيون الشهيد ورفاقهُ	٨٠٣
٢٠	فيلوغونيوس اسقف انطاكية	٨٠٥
٢١	توما الرسول	٨٠٦
٢٢	خيرمون الأسقف الشهيد	٨٠٨
	ثيمستكلس	٨٠٩
٢٣	سربُلُس	٨١١
	الشهداء العشرة في اقريطش	٨١٢
٢٤	غريغوريوس القسيس الشهيد في اسبوليت	٨١٤
٢٥	عيد الميلاد	٨١٥
	انسطاسية الرومانيّة	٨٢٠
٢٦	اسطفانس الشمّاس أوّل الشهداء	٨٢٢
	ارخلاوس أسقف كشكر	٨٢٦
٢٧	يوحنا الإنجيليّ الرسول	٨٢٧
٢٨	أطفال بيت لحم	٨٣٣
٢٩	توما مطران كنتربري الشهيد	٨٣٥
٣٠	سبسطيان وَلفره	٨٣٩
٣١	سلبسطر البابا	٨٤١
	ملانية الرومانيّة	٨٤٣
	كولمبة العذراء الشهيدة	٨٤٥

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فهرست على حروف الأبجديّة للمجلّد الثاني

	صحيفة
حرف الألف	
ابروسيم	٦٥٨
ابيمقوس الشهيد	٧٨٢
ادمندس مطران كنتربري	٦٧٥
ادورد ملك الانكليز	٥٦٩
اديليدة الملكة	٧٩٤
ارتفاع الصليب المقدس	٤٦٥
ارخلاوس اسقف كشكر	٨٢٦
اسحق الشهيد	٧٣٠
اسطفانس أوّل الشهداء	٨٢٢
وجدان جسده	٢٢٢
اسطفان ملك الهنغريّين	٤٠٠
اشعيا النبي	٢٥
أطفال بيت لحم	٨٣٣
اغناطيوس لويولا منشئ اليسوعيّين	١١٧
اقليميس البابا الشهيد	٧٠٠
الفنسس ماريّا ليغوري	٢٠٤
الفنسس ردريكس	٦٢٥
الكسندر الشهيد	٧٨٢
الكسيس رجل الله	٨٢
الواس أسقف نويون	٧٣٤
اليشباع	٦٨٩
اليعازر الشيخ	١٩٠
الأموات المومنون	٦٣٢
انتقال مريم العذراء إلى السماء	٣١٠
ثامن عيد انتقالها وفيهِ ذكر مريم موزعة النعمة	٣٦٣
انجلبرت اسقف كولونيا الشهيد	٦٥٢
اندراوس الرسول	٧٢٧
اندراوس الاقريطي	٥٨٩
اندرونيقس	٥٦٠
انسطاسية الرومانيّة	٨٢٠
اوجين اسقف قرطاجنة	٥٧
اوديلة	٧٨٦
اورسلة بينانكازا	٤٨٥
اوسابيوس الشهيد	٣٠٩
اوسابيوس اسقف وركيل	٨٩٢
اوسطاخيوس الشهيد	٨٨١
اوغسطينس اسقف هبونة الملفان	٣٨٣
افيمية الشهيدة	٤٧٦
اولالية	٧٧٥
اولمفية	٨٠١
ايرناوس	١٦
ايليدس اسقف كليرمنت	٣١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صحيفة

ايلياء النبيّ ١٠٧
ايملدة الطوباويّة ٤٦٢

حرف الباء

بارلاّ الشهيد ٦٨٣
ببيانة العذراء الشهيدة ٧٣٨

براجيثة الأرملة ١٤٤
بربارة الشهيدة ٧٥٢
برتلماوس الرسول ٣٦٩
برشبيا ورفاقهُ الشهداء ٥٩٢
برلعام الشهيد ٦٨٨
برلعام الناسك ٧١٥
برنرد رئيس دير كلارولاّ ٣٤٨
بروبس الشهيد ٥٦٠

بروكوبيوس الشهيد ٣٥
برونون منشئ رهبنة الكرتوسيّين ٥٣٦
بطرس فرير ٢٧٢
بطرس ذو القنطرة ٥٩٤
بطرس اسقف الاسكندريّة ٧٠٩

بطرس كلابر ٤٤٦
بطرس خرسولوغس ٧٣٩
بلاجية التائبة ٥٥٠
بلكارية ملكة الروم في المشرق ٤٥٠

بمبون الناسك ٤٣٩
بنطاليون الطبيب الشهيد ١٦٣

صحيفة

بنقسلاوس الشهيد ٥٠٦
بنقيس ٦١٩
بهنام الشهيد ورفاقهُ ٧٧٧

بوناونتورا الكردنال ٦٦

حرف التاء

تجلّي ربّنا يسوع المسيح ٢٥٤
ترازيا مجدّدة الرهبنة الكرملية ٥٨٠
تقدمة العذراء إلى الهيكل ٦٩٣
تقلا أوّل الشهيدات ٤٩٦
توما الرسول ٨٠٦
تقل ذخائرهِ ١٨
توما مطران كنتربري الشهيد ٨٣٥

حرف الثاء

ثاودورس ٦٥٦
ثئودورة التائبة ٤٥٤
ثدّى الرسول ٦٢١
ثيمستكلس ٨٠٩

حرف الجيم

جرترودة رئيسة البندكتيات ٦٧٢
جميع القدّيسين ٦٢٩
جيررد الأسقف الشهيد ٤٩٨

حرف الحاء

حبقوق النبي ٧٤١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

	صحيفة
حبيب	٢٢٢
حبيب الشهيد	٦٧٤
حنّة ام سيدتنا مريم العذراء	١٥٩
حنّة فرنسيسة دي شنتال	٣٦١
حرف الخاء	
خرستلاّ الشهيدة	٦١٩
خرستينة العذراء الشهيدة	١٥٠
خرونشس الشهيد	٦١٣
خيرمون الأسقف الشهيد	٨٠٨
حرف الدال	
داريّة الشهيدة	٦١٣
دانيال النبي	١١٩
دمسوس البابا	٧٨٠
دميانس الشهيد	٥٠٤
ديداقيوس من رهبنة مار فرنسيس	٦٦٦
ديونوسيوس اسقف باريس	٥٥٤
حرف الراء	
رادغندة الملكة	٢٩٦
رافائيل رئيس الملائكة	٦١٢
رميج اسقف ريمس	٥١٦
روكس	٣٤١

	صحيفة
رومانس الشهيد	٢٦٩
رومانس الشهيد	٦٨٣
ريجينة العذراء الشهيدة	٤٣٨
ريمندس نُنّانس	٣٩٤
حرف الزاء	
زافرينس البابا الشهيد	٣٧٨
زيارة مريم العذراء الطوباويّة	١١
حرف السين	
سابا الانبا	٧٥٧
سابينة الشهيدة	٣٨٩
سابينة الشهيدة	٦١٩
ساطرنينس اسقف تولوزا	٧٢٥
سبسطيان ولفره	٨٣٩
سبيرديون	٧٩٠
سرابية العذراء الشهيدة	٤٠٣
سربلس	٨١١
سلبسطر البابا	٨٤١
سلطانة الورديّة المقدسة	٥٣٩
ذكر اليوم الثامن من عيدها أي في عبادة الخمسة عشر سبتاً	٥٧٤
سينون الشهيد	١٧٥
سينا الشهيد	٦٥٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

صحيفة

حرف الشين

شابور الشهيد ٧٣٠
شامونا الشهيد ٦٧٤
شمعون الرسول ٦٢١
شموني وأولادها السبعة ١٩٠
الشهداء المقابيون ١٩٠
الشهداء العشرة في اقريطش ٨١٢

حرف الطاء

طرخس ٥٦٠
طيبرسيوس الشهيد ورفاقهُ ٢٧٨

حرف العين

عبد الأحد منشئ رهبنة الواعظين ٢٢٥
عبدون الشهيد ١٧٥

حرف الغين

غايطان الثياني ٢٦٠
غدلانة ٢٢
غريغوريوس العجائبي ٦٧٩
غريغوريوس القسيس الشهيد ٨١٤
غملائيل الشهيد ٢٢٢
غوريا الشهيد ٦٧٤

حرف الفاء

صحيفة

فارا ٧٦٥
فرمينس اسقف اميانس ٥٠١
فرنسيس الاسيسي السارافي ٥٢٤
انطباع جروح المسيح في جسمهِ ٤٧٤
فرنسيس خاوير رسول الهند ٧٤٣
فلاقيدس ورفاقهُ الشهداء ٥٣٤
فليسيتاس وأولادها السبعة الشهداء ٤٨
فيلبّس بانيتي ٣٦٧
فيلكس أي سعيد دي بالواس ٦٩١
فيلوغونيوس اسقف انطاكية ٨٠٥
فيلومينة العذراء الشهيدة ٣٩٧

حرف القاف

قبريانس أسقف قرطاجنة ٤٩١
قبريانس الشهيد ٥٠٢
قرياقوس وأمّهُ يوليطي ٧٥
قزما الشهيد ٥٠٤
قسّيانس الشهيد ٧٥١
قلّسطس البابا الشهيد ٥٧٢
قيساريوس الشهيد ٣٧٩

حرف الكاف

كاترينة العذراء الشهيدة ٧٠٥

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

	صحيفة
كارُلس برّوميا	٦٤٢
كرابينس وكرابنيانس	٦١٦
كرلومون	٧٥٥
ككيلية العذراء الشهيدة	٦٩٦
كلارة	٢٨٩
كملّس للّيس	٨٨
كولمبة العذراء الشهيدة	٨٤٥

حرف اللام

لعازر حبيب المسيح	٧٩٦
لورنتيوس الشهيد	٢٧١
لورنتيوس	٤٣١
لورنتيوس مطران دبلين	٦٦٨
لوقا الإنجيلي	٥٩٢
لوقية العذراء الشهيدة	٧٨٣
لويس التاسع ملك فرنسا	٣٧٤
لويس برترند الدومنيكي	٥٥٧
لئونردس	٦٥٠
لئونرد الذي من بُرت موريتيوس	٧١٠

حرف الميم

مامز	٣٣٤
متى الإنجيلي الرسول	٤٩١
متى الإنجيلي الرسول	٤٩١
مرتا العذراء مضيفة المسيح	١٧٣
مرتينس دي برس	٦٤٨
مرتينس أسقف ترس	٦٦٠
مرتينس البابا الشهيد	٦٦٣
مرقلس الشهيد	٦٢٤
مريم العذراء سيدة الكرمل	٧٧
مريم العذراء ذات الثلج	٢٥٢
مريم المحبول بها بلا دنس	٧٦٧
مريم المجدلية	١٣٣
مستيولا	١٦
المكللون الأربعة	٦٥٥
ملاخيا اسقف ارمغا	٦٣٦
ملانيا الرومانية	٨٤٣
الملائكة الحراس	٥١٩
ملكس الناسك	٦٣
منصور بولا منشئ العازاريّين	٩٦
موريقيوس ورفاقهُ الشهداء	٤٩٤
موسى النبي	٤٠٦
ميخائيل رئيس الملائكة	٥٠٨
ميلاد المسيح	٨١٥
ميلاد العذراء مريم	٤٤٢
ميلس الشهيد	٦٥٨

حرف النون

نرسي الشهيد	٧٣٠
نرقيسيوس اسقف اورشليم	٨٠٣
نماسيون ورفاقهُ الشهداء	٨٠٣
نيقلاوس اسقف موره	٧٦٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

	صحيفة
نيقوديمس الشهيد	٢٢٢
حرف الهاء	
هارون الحبر	٥
هرمزد الشهيد	٢٦٧
هوديجة أميرة بولونيا	٥٨٦
هوشع النبي	٩١
هياكنثس الدومنيكي	٣١٥
هيرونمس ملفان الكنيسة	٥١١
هيلاريون الناسك	٥٩٩
هيلانة الملكة	٣٤٧
حرف الواو	
وردة الليماويّة	٣٩٠
وكتور البابا الشهيد	١٧١
ولفريد الأسقف	٥٦٧
حرف الياء	
يسطينة الشهيدة	٥٠٢
يعقوب اسقف نصيبين	٥٠
يعقوب الكبير الرسول	١٥٤
يعقوب المقطّع	٧١٩
يعقوب المركاوي	٧٢١
يناريوس ورفاقهُ الشهداء	٤٧٩
يوحنا الإنجيلي الرسول	٨٢٧
يوحنا الدومنيكي ورفاقهُ الشهداء	٤٣
يوحنا الناسك	٤٦٨
يوحنا الملقّب بالمشيّح	٥٢١
يوحنا دي كابستران	٦٠٦
يوحنا الصليبي	٧٠٣
يوحنا دي ماثا	٧٩٨
يوئيل النبي	٥٦
يوشافاط	٧١٥
يونان النبي	٤٥٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved